



ثبوة تاريخ وحضارة

بحوث المؤتمر العلمي الثالث





ثبوة تاريخ وحضارة

بحوث المؤتمر العلمي الثالث



مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر
Aden Center for Studies and Research of Historical and Publishing

حقوق الطبع محفوظة

لمركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر

رقم الإيداع بالمكتبة المركزية/ شبوة: (101) لعام 2021م

الطبعة الأولى: 2021



الهيئة العامة للكتاب / شبوة
General Book Authority - Shabwah

توزيع: الهيئة العامة للكتاب م / شبوة

برنامج الجلسات

م	جلسات اليوم الأول (الثلاثاء 24)	الوقت	إلى
	الجلسة الافتتاحية	9,00	9,30
	آية من الذكر الحكيم		
	كلمة اللجنة العلمية والتضيرية يلقيها مدير المركز / د. محمود السالمي		
	كلمة السلطة المحلية يلقيها محافظ المحافظة / الأستاذ محمد صالح بن عديو		
	الجلسة الأولى	9,30	10,45
1	أ. مشارك د. ناصر سعيد العيشي	9,30	9,45
2	أ. د. ناصر صالح حبتور	9,45	10,00
3	أ. د. محمد بن هاوي باوزير	10,00	10,15
4	أ. مشارك. د. أسوان محمد حسين	10,15	10,30
5	م. فوزي سالم باعباد	10,30	10,45
	استراحة	10,45	11,15

الجلسة الثانية			
1,00	11,15		
11,30	11,15	تمنع عاصمة الدولة القتبانية	د. نبيل عبدالوهاب عبدالغني
11,45	11,30	"الأهمية الاستراتيجية لوادي يشم"	د. فيصل حسين البعسي
12,00	11,45	التشريعات القتبانية للتطور الحضاري في تاريخ جنوب الجزيرة العربية القديم (قانون تمنع التجاري أنموذجاً)	د. عوض عبدالرب الشعبي
12,15	12,00	العلاقات بين الممالك العربية الجنوبية في شبوة في الألف الأول قبل الميلاد (أوسان، قتبان، حضر موت)	د. علي صالح الكهالي
12,30	12,15	شبوة في كتابات الرحالة الأوربيين بنات سبأ أنموذجاً	علي سالم علي باهادي
1,30	12,30	نقاش	

م	جلسات اليوم الثاني (الأربعاء 25)		من	إلى
الجلسة الأولى				
11	أ. د. طه حسين هديل	شبوة في كتب المؤرخين والجغرافيين	8,00	9,45
12	أ. د. محمد يسلم عبدالنور	الدور العلمي لأسرة آل محمد بن عمر المالكي في شبوة في القرن التاسع الهجري ...	8,15	8,30
13	أ. مشارك. د. لبيد حسين الجابري	موقف كيانات وسلطنات شبوة من الوجود البريطاني في جنوب اليمن	8,30	8,45
14	أ. مشارك. د. خالد طوحل	موقف الكيانات السياسية في منطقة شبوة من الوجود البريطاني	8,45	9,00

9,15	9,00	المقاومة الشعبية للوجود البريطاني في سلطنات شبوة ومشيخاتها (1934 - 1967م)	د. محمد سعيد يسلم المدحجي	15
9,45	9,30	علاقة إمارة بيحان بريطانيا (1903 - 1967)	أ. د. أسماء أحمد ريمي	16
10,00	9,45	استراحة		
12,30	10,00	الجلسة الثانية		
10,15	10,00	شبوة والاستعمار البريطاني في ذاكرة الشعر الشعبي	أ. د. علي صالح الخلاقي	17
10,30	10,15	المظاهر الاجتماعية في الشعر الشعبي في شبوة مساجلات السيد وباسرودة أنموذجًا	أ. مشارك د. سعيد محمود بايونس	18
10,45	10,30	شخصيات رائدة في تاريخ شبوة	د. وليد عبد الباري قاسم	19
11,00	10,45	تعدد الأنماط المعمارية القديمة وتقنياتها في شبوة	أ. د. احمد إبراهيم حنشور	20
11,15	11,00	رؤية مستقبلية للحفاظ على التراث المعماري المتنوع وفنونه في شبوة	د. محمد أحمد السدلة	21
11,30	11,15	المواقع الأثرية والتاريخية والمعالم السياحية في شبوة وآلية الحفاظ عليها	أ. خالد سعيد مدرك	22
11,45	11,30	مدن تاريخية وأثرية في محافظة شبوة: حوطة الفقيه علي نموذجًا	أ. علي عبد الباقي علي المعلم	23
12,45	11,45	نقاش		
		التوصيات		

كلمة: د. محمود علي السالمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



د. محمود علي السالمي
مدير مركز عدن للدراسات
والبحوث التاريخية والنشر

يسعدني ويشرفني باسمي وباسم اللجنة العلمية والتحضيرية ومركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، أن أستهل كلمتي بالإعراب عن جزيل الشكر ووافر الامتنان والتقدير، للأستاذ محمد صالح بن عديو محافظ محافظة شبوة على رعايته الكريمة لهذا المؤتمر، وتكفله بطباعة بحوثه، كما أتوجه بالشكر والتقدير كذلك للأستاذ عبد ربه هشلة ناصر الأمين العام للمجلس المحلي، والدكتور خالد سريع عميد كلية التربية شبوة، ومحمد سالم الأحمدي مدير مكتب الثقافة، الذين تابعوا معنا خطوات التحضير للمؤتمر باهتمام وحرص كبير. وكذلك لكل من دعمنا وتعاون معنا وشجعنا على قيام المؤتمر، وأبرزهم الشيخ صالح بن فريد العولقي، والدكتور قاسم صالح الأصبحي، والدكتور سالم ناصر لجدع.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من تفاعل مع دعوتنا وشرفنا بالحضور من أساتذة ومهتمين وضيوف، من جامعات عدن وحضرموت وأبين ومن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.

وأعرب كذلك عن خالص الشكر للأساتذة الباحثين الذين تفاعلوا بشكل إيجابي مع موضوع المؤتمر وبأدروا إلى تقديم بحوثهم العلمية المهمة والقيمة، التي لولاها لما كنا هنا اليوم، ونقدم في الوقت نفسه اعتذارنا لمن لم تقبل مواضيعهم، ونأمل مشاركتهم معنا في فعالياتنا القادمة.

لن نتحدث عن أهمية شبوة ولا عن أهمية تاريخها، فهذا ما نتوق لسماعه من مقدمي الأوراق البحثية الذين غطوا في بحوثهم المقدمة إلى المؤتمر التي بلغت 24 بحثاً معظم جوانب تاريخها. لكننا نود التأكيد على أهمية الأهداف التي سعى لها المؤتمر، وأهمها إبراز الأثر الحضاري والتراثي الذي زخرت به شبوة على مدار تاريخها. وتسلط الضوء على الدول والكيانات المحلية التي كان لها دورها في ماضي شبوة. وتشجيع المؤسسات المختصة والباحثين داخل المحافظة وخارجها على بذل المزيد من العناية والاهتمام بتاريخها وتراثها وآثارها. وفهم العوامل التي ساعدت على نهضتها الحضارية في بعض مراحلها، وتلك التي تسببت بتراجعها في المراحل الأخرى.

وبشكل عام نود التأكيد على الأهمية الكبيرة التي يكتسبها علم التاريخ ليس على صعيد شبوة وحدها أو على صعيد الوطن كله، وإنما على الصعيد الدولي، ففي ظل ثورة المعلومات يتزايد الإدراك العام في العالم بأهمية هذا العلم لدى الأمم والشعوب التي تبذل جهوداً كبيرة لاستقصاء جذورها، والمحافظة على هويتها، وتحقيق الشعور بالانتماء والمواطنة لدى أبنائها.

وإدراكاً من مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر لتلك الأهمية فقد حاول خلال عمره القصير الإسهام في خدمة تاريخنا الوطني بحسب إمكاناته المتواضعة، من خلال إقامة العديد من الأنشطة والندوات والمؤتمرات العلمية، وكذلك الدراسات التاريخية العديدة التي أصدرها، والدوريات العلمية التي أهمها المجلة التاريخية المحكمة والتي يسهم في الكتابة فيها أساتذة من جامعات محلية وعربية ودولية.

وبشكل عام نسعى في المركز بجهود مجموعة من الكفاءات والقدرات العلمية التاريخية التي تدير المركز والتي تنتمي إلى جامعة عدن إلى الإسهام مع غيرنا من مراكز المعرفة والتنوير، وفي مقدمتها أقسام التاريخ في الجامعات الحكومية والأهلية، إلى تعميق المعرفة التاريخية وتعزيز القيم الوطنية وترسيخ ثقافة واعية ومعتدلة، تستطيع أن تتغلب على الكثير مما يعانیه المجتمع.

ولا شك أن المؤسسات البحثية الحكومية والأهلية المهمة في التاريخ تقع عليها مسؤولية الإسهام في الكشف عن تاريخنا وتراثنا الوطني وقراءته وقراءة علمية رزينة

ورصينة، تبرز سلبياته وإيجابياته، وتوضح عوامل ضعفه وقوته، حتى يستطيع المجتمع ومختصوه ونخبه استلهام الدروس والعبر من ماضيه بصورة دقيقة وصحيحة.

فغاية البحث العلمي في الأساس ليس الحصول على شهادة أو على لقب أو درجة، وإنما خدمة العلم والمعرفة، ولا شك في أن الجميع يدرك أن البحث العلمي أصبح خياراً استراتيجياً للعالم واستثمار مضمون العائد.. وأن الدول المتقدمة التي قطعت شوطاً في مجال التقدم والتنمية، اعتمدت في الأساس على البحث العلمي في تشخيص واقعها، وفي حل مشكلاتها المختلفة. ولسنا بحاجة للتأكيد على أن ما يعانيه مجتمعنا اليوم من أزمات وصراعات وحروب وثورات قبلية وعصبيات مذهبية ومناطقية، لها علاقة وطيدة بماضيه، إن لم تكن كلها بسبب ذلك الماضي، ولذلك فكلما أحسنا قراءة الماضي أحسنا فهم الحاضر واستشراف المستقبل.

نأمل أن يكون هذا المؤتمر التاريخي فاتحة طريق لمؤتمرات وندوات أخرى، تخوض في تاريخ شبوة وأثارها وتراثها وكياناتها السياسية منذ تاريخها القديم وحتى تاريخها المعاصر، ونعلن هنا استعدادنا في مركز عدن للدراسات التاريخية التعاون مع أي فاعلية علمية من ذلك النوع، كما نبدي رغبتنا في الإسهام في نشر أي دراسات تاريخية علمية عن تاريخ شبوة في كل مراحلها، وترجمة أي دراسات أو نتائج بعثات تنقيبية كتبت بلغات أخرى حتى تصبح في متناول الجميع.

أكرر شكري وتقديري لجميع الحضور.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شبوۃ القديمة في اللغة والشعر والتاريخ

المقدمة:



الأستاذ المشارك

الدكتور/ ناصر سعيد ناصر العيشي

تمتاز الدول الفاعلة عن غيرها بثلاث مزايا هي: الموقع الاستراتيجي، والمكانة الاقتصادية، ومدنها العمرانية بمبانيها العظيمة وتحصيناتها المكيمة وقوانين حياتها المدنية المنضبطة، ودولة حضرموت بعاصمتها التاريخية (شبوۃ) التي ذُكرت في الكتب المقدسة، وكتب التاريخ الكلاسيكية اليونانية وغيرها، وكذلك في نقوش اللغة العربية الجنوبية في اليمن وخارجه؛ كان لها

حضورٌ في الشعر العربي الجاهلي، وذلك لتبوُّثها مكانةً مميزةً في الجغرافيا والتاريخ.

وهذا الأمر قد انعكس صداه عند الباحثين من رحالةٍ ومستشرقين وأثريين - قديمًا وحديثًا - في مسماها الذي تعدد نطقه بألسنة اللغات المختلفة فجاء بألفاظٍ مختلفة؛ يجمعها الجذر اللغوي الواحد (شبا) الذي اقتربت منه تلك الألفاظ أو ابتعدت؛ فجاءت على (شبا وسبتا وسابته وساباته وسبوتا وشابوا وشبوت وشبوه بالهاء وشبوۃ)، والأصل لكل تلك الألفاظ ما ورد في النقوش التي كتبها بخط المسند على (شبوت).

وقد ورد لفظ (شبوۃ) في معجمات اللغة العربية على معانٍ مختلفة ومتباينة، وتلك المعاني قد جاءت في ثلاثة اتجاهاتٍ، هي:

- المسميات المادية الجامدة.



- المسميات المادية الحية.

- المسميات المعنوية المجردة.

وجميع تلك المعاني تتفق على جامع معنويّ واحد، هو؛ (العلوّ) الذي توافق مع ارتفاع المكان الذي اختير ليكون موقعاً حصيناً للمدينة، وذلك حرصاً على مناعتها وحمايتها وسلامتها من الاعتداءات والغزوات.

و قد ارتادت المدينة مكاناتٍ متقدمةً من العمران والتجارة والزراعة، وأصابت شيئاً كثيراً من الترف والرفاه والثراء، وكان الضابط لهرمونية الانتظام العام للحياة المدنية فيها قوانين تنظم حركتها العامة، منها:

- قانون المواعيد التجارية.

- قانون الجبايات التجارية.

- قانون تحديد الدخول والبيع.

- قانون المخالفات التجارية.

وفي هذا دليلٌ قاطع على أن إنسان شبوة ومدينتها قد بلغا في الحياة المدنية شأواً رفيعاً من الانضباط والانتظام.

و قد اختلطت الثقافات والأجناس في شبوة من حيث الاشتغال بالعمران والفن العمراني والأعمال الزخرفية ومراسم تنصيب الملوك، وذلك بحضور وفودٍ من دولٍ أجنبية، وليس أدل على هذا إلا ما وجد من آثارٍ يونانية ورومانية وقبطية وساسانية، ومن أعلامٍ في فن البناء والعمران كـ (فوكاس الروماني)، وزميله (لحيّ اليماني).

وليس هذا فحسب؛ فقد تسابق الرّحالة والمستشرقون وغيرهم إلى الوصول إلى شبوة بدافع الاطلاع حيناً، وحيناً آخر بدافع الحصول على كنوزها، وحيناً ثالثاً لاكتساب الثروة، ورابعاً للدراسة التاريخية والتوثيق المعرفي لما وصل إليه إنسان ذلك المكان والزمان من مواكبة عمرانية وتجارية لمحيطه وللعالم الذي تزامن معه.

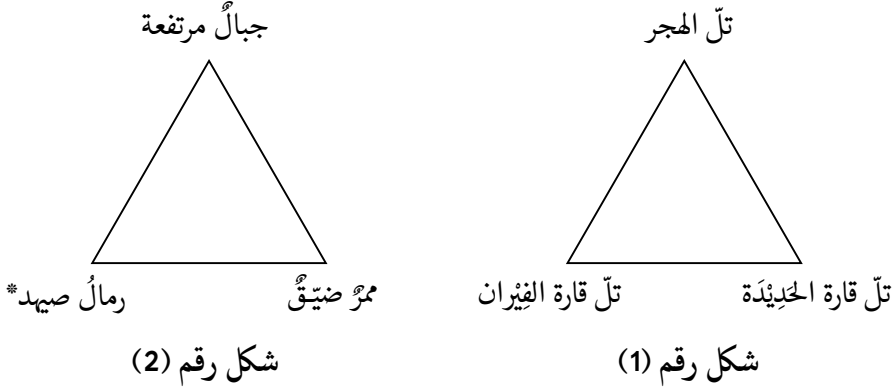
الموقع الجغرافي:

شبوذة من المدن التي كان لها شأنٌ تاريخيٌّ عظيمٌ في الاقتصاد والسياسة والثقافة والفنّ، ولهذه الأمور اختيارٌ وضعها العمرانيّ في مكانٍ آمنٍ من الاعتداءات، وهذا ما رآه ابن خلدون في المقدمة من مراعاة إقامة المدن في الأماكن المتوعرة والمتمنعة على الأعداء، وذلك بينائها على الهضاب المتوعرة أو في الاستدارات البحرية أو النهرية⁽¹⁾، ويرى من وجهٍ آخر أنّ العرب لا يراعون طيب الهواء والماء والزرع، بل يراعون مراعي إبلهم فقط⁽²⁾، ولكن اختيار موقع مدينة (شبوذة) يؤكد لنا خلاف ذلك؛ فموقعها اختيار على مرتفعٍ من التلال التي تحيطها منطقة من الغرين، أي؛ الطّفَل المخصّب للتربة في نهاية مجرى وادي عطف الذي يتكون من التقاء عدّة أودية؛ وادي عرمة ووادي أنجال، كما أنّ وادي عرمة ينقسم عند ذلك المرتفع إلى فرعين من الأودية هما: وادي المعشار في الغرب ووادي مَحَبَد في الشرق وتروى بالآبار، وبالأمطار والسيول الموسمية⁽³⁾، وموقعها محميٌّ، وقد كان المؤلفون الإغريق واللاتين يظنون أنها على جبلٍ عالٍ، والحقيقة أنّ ذلك المرتفع لا يزيد ارتفاعه عن (50) متراً، وهذا الموقع ثلاثيّ المزايا الظاهرة في الحقائق الجغرافية الآتية:

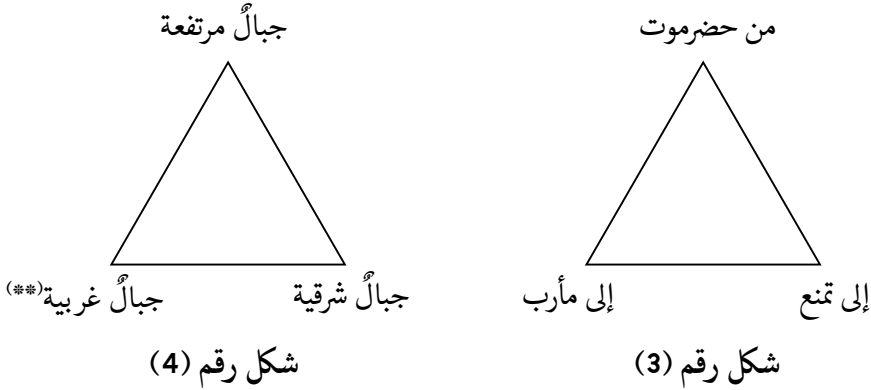
(1) ينظر: 276.

(2) ينظر: م. ن: 285، وترى بعض الفرق الأثرية أنّ السبر الاستراتيجي لطبقات السكنى الأولى المفحوصة بركبون (14) تنبئ أنّ تاريخ المدينة يرجع إلى (1550 + 60 ق. م) في حين أنّ التلال المطلّة على شبوذة قد سكنت في العصر الحجري الحديث (4800 + 400 ق. م)، ينظر: شبوذة عاصمة حضرموت: 108.

(3) ينظر: شبوذة عاصمة حضرموت: 20، 46، 168، الموسوعة اليمنية: 3 / 1689، ع / 1. 4 - ينظر: شبوذة عاصمة حضرموت: 45، 46، 168، الموسوعة اليمنية: 3 / 1689، ع / 1. 5 - ينظر: شبوذة عاصمة حضرموت: 35، 45.



وإذا كانت هذه الأشكال تمثل الأبعاد الجغرافية لـ (شبووة) فإن هنالك أبعاداً تَظْهَرُ في الدروب، أي؛ الطرق، وفي الحدود الجبلية الحصينة التي تُظْهَرُ الامتياز الذي تحظى به هذه المدينة، وجعلها همزة وصل تجاري بين البحار والبراري المترامية، وجعلها عصبية على الأعداء قرونًا طويلةً عدداً حالاتٍ معينةٍ رافقها تدهورٌ سياسيٌ واقتصاديٌ، ولأجل ذلك نورد مثلثي التجارة والحصانة:



وتقع (شبووة) لتقاء حضرموت ما بين بيحان وحضرموت، في الداخل بالنسبة لميناء (قنا)، وعند عتبة التواء الصخري لآخر المرتفعات الجيرية لهضبة حضرموت، وتقابل

(*) الأشكال (1، 2): شبووة تعدّ المثلث، وزواياه الثلاث حدود الموقع الشبوي، ينظر: شبووة عاصمة حضرموت: 35 - 36، 46، 49، 167، الموسوعة اليمنية: 3/ 1690، ع/ 2.

(**) الأشكال: (3، 4) شبووة تعدّ المثلث، وزواياه الثلاث طرق تجارية وسلاسل جبلية، ينظر: شبووة عاصمة حضرموت: 35 - 36، 168 - 169، الموسوعة اليمنية: 3/ 1690، ع/ 2.

رملة السبعين الواقعة جنوب الرّبع الخالي، محاطةً بالسهول الفيضية والتلال⁽¹⁾، وظلّت شبوۃ مكانًا حضريًا في عصورها الزاهية إلى أن أصبحت ((مستعمرةً بدويةً))⁽²⁾ ثم غدت أثرًا مهجورًا لم يُعتنَ به إلا مؤخرًا.

شبوۃ في اللغة :

في اللغة كثيرٌ من المعاني التي تُظهِرُ حقائقَ الأشياء، ومن تلك الأشياء الأسماءُ التي تُسمّى بها الأماكن الجغرافية المسماة بأسماء أشخاصٍ أو بأسماء آلهةٍ أو بأسماء معانٍ دالةٍ على مفاهيم ذات صلةٍ بالمسمى عينه، أو بما يحيط به من أمور البيئة وتضاريسها ومناخها وما فيها من حيواتٍ مختلفةٍ، أو ما ارتبطَ بذلك المسمى الجغرافي من أحداثٍ تاريخيةٍ بشريةٍ أو طبيعيةٍ، أو ما اتصل بذلك الموقع من أمورٍ تتعلق بالمخيال الأسطوريّ والفلسفي في تفسير الظواهر الطبيعية أو البشرية أو الفكرية.

وقد ورد اسم (شبوۃ) في كثيرٍ من المصادر والمراجع العربية والأجنبية بالفاظٍ متقاربةٍ في اللغات العبرية والعربية الجنوبية والشمالية واللاتينية، ومن تلك المسميات ما جاء في اللغة العبرية في التوراة في نظر بعض الباحثين على لفظ (سَبْتَه) (Sabtah) وقد يكون هذا الاسم أقدم اسمٍ لشبوۃ ورد في كتابٍ قديمٍ إذا كانت التوراة التي ورد فيها هذا الاسم قد كتبت في عهد موسى (ع) أو في عهدٍ قريبٍ منه، وقد وردت كذلك في اللغة العربية الجنوبية (اليمانية) في نقوشها المحفورة على الصخور الجبلية والأعمدة الصخرية ومدونات الحجارة والبرونز والنحاس وغيرها، وقد ضبط الباحثون تلك الأسماء في ما وجدوه من كتابات مثل: (شبوت) وفي بعض الكتابات لم يجدوا إلا حرفين من الاسم على النحو الآتي (... وت)، وقد اجتهدوا بوضع تصوراتٍ للاسم على الأنماط الآتية: (شبوت) و(رسوت) و(ريسوت) و(موت)⁽³⁾، والغالب على

(1) ينظر: معجم ما استعجم: 3/ 780، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة: 55، تاريخ اليمن القديم: 45، شبوۃ عاصمة حضر موت: 20، 35، الموسوعة اليمنية: 3/ 1691، ع/ 1.

(2) اليمن من الباب الخلفي: 77، للضبط: مستعمرة بدوية.

(3) ينظر: صفة جزيرة العرب: 87، 98، الإكليل: 8/ 90، تاريخ اليمن لنجم الدين عمارة اليمني: 241: هـ

(3)، معجم البلدان: 5/ 234، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 2/ 157، 372، 373، شبوۃ

عاصمة حضر موت: 171.

الأمر أن الاسم كما عُرف هو (شبوت) في اللغة العربية الجنوبية و(شبوثة) كما عُرف في اللغة العربية الشمالية.

أما في اللغة العربية الشمالية فقد ورد الاسم على وجوه متعددة هي الألفاظ الآتية: (شبوثة) و(شباه) التي قُلبَ واوها أَلْفًا وتاؤها المربوطة هاءً، ومن ثم قُلبت الهاء ميمًا فصارت اللفظة (شبابًا)، وتعرف (شباب) عند بعضهم باسم (شبات)⁽¹⁾، وهي المنطقة التي سكنها الشبويون بعد خراب مدينتهم (شبوثة)⁽²⁾، ولشبوثة معانٍ دالّةٍ على مسمياتٍ أخرى سنأتي عليها.

أما في المؤلفات اللاتينية التي وردت عند الإغريق في لغتهم اللاتينية فقد جاءت على (Sabata، أي: ساباتا) و(Sabota، أي: سابوتا) و(Sabotha، أي: سابوثا) و(Sabbatha، أي: ساباتا) و(Sabtah، أي: سبتة) و(Sawa، أي: ساوا) و(Sbota، أي: سبوتا)⁽³⁾، وقد جاءت عند بعض المؤلفين الغربيين في الكتب المترجمة من اللغات اللاتينية إلى العربية على الملائف الآتية: (سابوتا وشابوا وشابوه وشبوا)⁽⁴⁾(6)، والحقيقة أن الاسم في جميع حالاته لم يخرج عن حروفه الصامتة ومعظم حروفه الصائتة عدا الإبدال في ما بين الألف والواو كما هو في (ساباتا وسابوتا) وخروج (ساوا) عن الحروف الصامتة عدا حرف السين في أولها.

- (1) ينظر: الأمكنة والمياه والجبال للزمخشري، تح: سالف وادي غرافة، النجف، ط/ 1، 1857 م: 280 / 146، 151، منتخبات من أخبار اليمن: 53، الروض المعطار في خبر الأقطار: 3003 / 1663، العباب الزاخر واللباب الفاخر: 5710، لسان العرب: 8 / 18، ع / 2، معجم ما استعجم: 3 / 558، 780، 4 / 1213، صفة جزيرة العرب: 199، تاج العروس: 1 / 8448، معجم البلدان: 3 / 323، 5 / 67، تاريخ اليمن لنجم الدين عمارة: 241: هـ (3)، تاريخ اليمن القديم: 48، 49، شبوثة عاصمة حضرموت: 171.
- (2) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 2 / 157، 460، تاريخ اليمن القديم: 45، الموسوعة اليمنية: 3 / 1689، شبوثة عاصمة حضرموت: 45، 171.
- (3) ينظر: الكتاب المقدس: سفر التكوين: 10 / 7، 26، 28، 25 / 3، سفر أخبار الأيام الأول: 1 / 9، 20، 22، 32، نبوءة حزقيال: 27 / 22، 23، وقد ورد فيها على هذا النحو: (سبا بالسين المهملة، وشبا بالشين المعجمة، وسبثة، وسبتا، وسبتكا)، صفة جزيرة العرب: 171.
- (4) ينظر: كنوز مدينة بلقيس، ويندل فيليبس: 45، 180، 207.

من الملاحظات على ما سبق في الأسماء التي أحطنا بها في اللغات المذكورة آنفًا؛ ورود الاسم في جميع ألفاظه شاملًا الحروف التي ترد بها (شبوۃ) ذات الأصل الاشتقاقي للكلمة المحدد بـ (ش، ب، و) وهي موجودة في الألفاظ العربية وغيرها مع تحويرٍ يسيرٍ في الصوت وإعلالاته وتضعيفه وتخفيفه، وهو ظاهرٌ فيما جاء أعلاه..

شبوۃ في علم الصوت:

جاءت (شبوۃ) في اللغة العربية محكومةً بالتنوع اللفظي الصوتي على وفق الاستعمال اللغوي في المكان أو الزمان، وهذا تطلب من ذوي الاستعمال اللغوي تقليات صوتيةً مختلفةً عائدةً إلى الانحرافات الصوتية أو الاختلاطات الاجتماعية الصوتية اللهجية بين كل قبيل وآخر، وهذا ما جعلها تأتي على ستة ألفاظٍ هي: (شبوۃ وشبأة وشبات وشبأه بالهاء الساكنة وشبأة مهموزة وشبام مبدلة الهاء ميمًا) كما ورد فقط في اللغتين العربيتين الجنوبية والشمالية.

وقد تنبه على هذه التغييرات في الكلمة الزبيدي في تاج العروس قائلاً: ((والشباة... معتلةً بالاتفاق))⁽¹⁾، ولأن الزبيدي يمني مدركٌ لحقائق الكلمة، وقد بين لنا ما في لفظها من إعلالٍ، والإعلال فيها ظاهرٌ في أمرين هما:

الأول: - قلب الواو ألفاً:

يتضح هذا في انقلاب الواو في كلمة (شبوۃ) التي ظهرت في النقوش اليمنية بالواو، وظلت كذلك في اللغة العربية الشمالية، إلا أن المُستعمل اللغوي قد خرج عن هذا الوضع على المُشَرِّع اللغوي، فقلب الواو ألفاً، وقد التمس علماء الصوت العرب حقيقة ذلك القلب في أمثال هذه اللفظة، وقد جاء في المزهر للسيوطي قوله: العين أقوى من الفاء واللام في الكلمة؛ لأن الفاء واللام يكونان مبدولين للعوارض والإعلال⁽²⁾، وقال الزمخشري: حكم الواو أن تُعلَّ أو تُحذف أو تُسَلَمَ عندما تكون لا ماً متى تحركت

(1) /1 /8447.

(2) ينظر: المزهر في علوم اللغة للسيوطي: 1 /42.

أو تحرك ما قبلها⁽¹⁾، وتعلّ الواو إذا كان ما قبلها ساكنًا وهي متحرّكة حركة فتح كما هو في (مدار) الذي وزنه (مفعّل) من (يدور) وأصله (مدور) وذلك بنقل حركة الفتح من (الواو) إلى (الدال)، ولهذا قُلبت (الواو) لتحركها في الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، ويُسمّى علماء الصوت هذا الإعلال (إعلال الاتباع)⁽²⁾، وعلى هذا الحكم نجد أن (شَبُوة) قد تحرك واوها وما قبله ساكنٌ، ولكي يتمّ الإعلال نُقلت الفتحة من الواو إلى الباء الساكن قبلها ولذلك قُلبت الواو قلبَ إعلالٍ فصارت ألفًا لتحركها في الأصل وانفتح ما قبلها الآن⁽³⁾، وقد يُرجع أولئك العلماء إعلال الواو بقلبه ألفًا إلى أمرٍ آخر هو أن الألفاظ تتبع أفعالها في الإعلال⁽⁴⁾، ونحن نرى أن الفعل (قاد وقام) أصلهما (قَوَدَ وقَوَمَ) و(غزا وهفا) أصلهما (غَزَوَ وهَفَوَ)، وعلى ذلك ورد الفعل الذي اشتقت منه كلمة (شَبُوة) على (شبا) وأصله (شَبَوَ) وفي حاله هذه نجد أن واوه متحرّك بالفتح، وأن ما قبله متحرّك بالفتح أيضًا ولحركاتهما بالفتح قلب (الواو ألفًا) وأصبح الفعل على (شبا) وقد كان أصله (شَبَوَ) وعلى القلب في الفعل على (شبا) جاءت (شَبُوة) معتلة (الواو) المنقلب (ألفًا) فقالوا (شباة) بالتاء المربوطة وشباه بالهاء الساكنة) وكتلتهما بلا واو الآن، وقد جاء الواو أصلًا في أصل الكلمة واشتقاقاته قبل حدوث الإعلال في الواو كما هو على النحو الآتي: (شبا يشبو شَبُوة فهو مُشَبٌّ على وزن مُفَعِّلٍ مثل مُدِنٍ من دنا يدنو، ومَشَبُّو على وزن مَفْعُولٍ مثل مَدِينُو من دنا يدنو، ومنه شَبُوة وشبًا وشبوات واللفظان الأخيران جمعاً تأنيثٌ؛ تكسيرٌ وسالمٌ)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري: 590 / 553 من الموسوعة الشعرية، الإصدار الثاني،

قرص حاسوبي مضغوط.

(2) ينظر: م. ن: 548 - 549.

(3) ينظر: شرح أدب الكاتب للجواليقي: 755 / 144 الموسوعة الشعرية، م. ن.

(4) = : المفصل: 548 - 549، شرح أدب الكاتب للجواليقي: 755 / 144، الموسوعة الشعرية، م. ن.

(5) = : منتخبات أخبار اليمن: 53، لسان العرب: 8 / 19، ع / 1، تاج العروس: 1 / 8447، المحيط في

اللغة: 9300، الرائد: 2 / 861، الكافي: 580.

الثاني: قلب الألف همزة:

في الأسطر السابقة رأينا مجيء (شبووة) على (شباة) بقلب الواو ألفاً، وهنا سوف نرى المظهر الذي اكتسبته الكلمة بقلب ألفها همزةً وذلك بمجيئها على لفظ (شباة) قال: ((ابن الإعرابي: الشباة: فراشة القفل))⁽¹⁾ وجاء في تاج العروس: أنها قد جاءت مهموزةً وقد رُدَّ عليه ذلك⁽²⁾، وقد ذهب أبو العلاء المعري إلى أن ((الألف مجانسةٌ للهمزة))⁽³⁾، وفي هذا القول ما يشير إلى انقلاب الألف همزةً وانقلاب الهمزة ألفاً، وقد حلَّ العلماء هذه الظاهرة الصوتية قي إبدال الهمزة من الحروف اللينة على النواحي الآتية:

1 - إبدال مطرد:

يظهر هذا الإبدال فيما تتابع فيه حرفا لينٍ في آخر الكلمة لأنهما على قول سيبويه منجزمان، أي: ساكنان، أو أن يبدل الأخير منهما من ألف التأنيث كما في صحراء أو كساء، وهذا الإبدال لا ينطبق على الهمزة التي في لفظة (شباة) لأن إبدالها غير مطرد.

2 - إبدال غير مطرد:

يظهر هذا الإبدال في الكلمات التي لا تتابع فيها لحرف الألف مرتين، بل يأتي الألف مفرداً في الكلمة، ويقوم المستعمل اللغويّ بهمز الألف وقلبه همزةً في مثل دأبةً واذهأماً والعالم والخأتم، وهذا الإبدال ينطبق على الهمزة التي في لفظة (شباة) لأنه إبدال غير مطرد⁽⁴⁾.

ومما تجب معرفته أن الهمزة في لفظة (شباة) قد انقلبت من الألف المنقلبة من الواو في اللفظة في أصلها الأول، ومما يلزم إظهاره هو التطور اللفظي الذي طرأ على اللفظة

(1) العباب الزاخر: 1578.

(2) 8447 / 1.

(3) رسالة الملائكة: 68 / 226.

(4) ينظر: الأمالي للقالبي: 1172/1525، الأزمنة والأمكنة للمرزوقي: 547 / 1509، أدب الكاتب

للصولي: 392 / 41، المفصل: 590 / 219 - 220، خزنة الأدب: 6036 - 6038 / 10299.

على النحو الآتي (شبو = شبا = شباة)، ولكن هذا الإبدال ليس إبدالاً مطرداً كما هو في (عطاء ورداء وكساء)، لأن أمثالها من الألفاظ لم تعل ولم تقلب حروفها اللينة همزاتٍ مثل (نبوة ولبوة وكبوة) وفي هذا دليلٌ على أنها داخلةٌ في الإبدال غير المطرد..

قلب تاء التانيث المربوطة هاء ساكنة أو تاء مفتوحة :

جاءت تاء التانيث في (شبو) علامةً للتانيث، وهي - تاء التانيث - إحدى العلامات الثلاث المعروفة للتانيث اللواتي هنّ (التاء المربوطة والألف المطوية والألف الممدودة في مثل غرفة وسلوى وصحراء)، وميزة تاء التانيث إتيان ما قبلها مفتوحاً، وكذلك في (شبو) لأنّ الواو التي قبل تاء التانيث المربوطة فيها مفتوحة⁽¹⁾، وتكتبُ تاء التانيث في الاسم المفرد تاءً مربوطةً في مثل (شبو وشهوة وغفوة)، وقد أشار إلى ذلك ابن قتيبة والزمخشري⁽²⁾، وقد جرت التاء المربوطة على ألسنة العرب بلفظ التاء المربوطة معربةً، وجاءت كذلك على وجهين هما:

- الوقف عليها هاءً ساكنةً: ورد في تاج العروس أنّ الهاء تُبدلُ من التاء المربوطة - تاء التانيث - في الوقف كما هو في (طلحة وقناة)، وقد ورد قلبها هاءً ساكنةً في القرآن الكريم وذلك في مواقع الوقف⁽³⁾، وهذا ينطبق على لفظة (شبو) التي جاءت على الحالات الآتية: (شبو ثم شباة وبعدها شباة) وهو الأمر الذي انتقلت منه اللفظة إلى الحالة اللاحقة والأخيرة (شباام) وهو ما سنناقشه في موضعه.

- قلبها تاءً مفتوحةً ساكنةً متحركةً: جاء في المفصل أنّ من العرب مَنْ يقف على تاء التانيث المربوطة بالتاء الساكنة، وقد سُمِعَ في الوقف قول العرب؛ هذا طلحت وهذا حمزت، وفي لغة يقولون؛ ليست عندنا عربيت، وقد نادى منادٍ؛ يا أهل سورة البقرت⁽⁴⁾،

(1) ينظر: أدب الكاتب لابن قتيبة: 751 / 317، المفصل للزمخشري: 590 / 181، 235، البلغة في المذكر والمؤنث للأنباري: 28 / 2، خزانة الأدب للبغدادى: 10299 / 1478.

(2) أدب الكاتب: 751 / 293، المفصل: 590 / 293.

(3) 1 / 8205، وينظر: أدب الكاتب: 751 / 293، المفصل: 590 / 181، 487، خزانة الأدب: 10299 / 8834.

(4) 590 / 487، وينظر: الصاحبي: 4230 / 133، خزانة الأدب: 10299 / 2936.

وقد قَلِبَتْ اللفظة من (شباة) إلى (شبات) وفي ذلك إقرارٌ أن كلَّ الإجراءات التي تَمَّت في اللفظة لم تخرجها عن المسار اللغويَّ العربيَّ الفصيح..

أما قلبها تاءً مفتوحةً متحركةً فذلك يكون عندما تضاف إلى ضميرٍ متصل في مثل: شجرتي وناقتك وناقتك وخيمته وخيمتها وشاتهم وشاتهم وباديتنا وباديتكم، وهذا القلب لا محيصٌ منه لأنَّ التاء المربوطة لا تتصل بما بعدها، أما الإضافة إلى الاسم الظاهر كإضافة الرحمة إلى الله في قولنا: (السلام ورحمة الله)، فإن التاء المربوطة فيها تُكْتَبُ تاءً مفتوحةً متصرفَةً إعرابياً، لذلك قالوا: (السلام عليكم ورحمتُ الله)، وقد جاءت في القرآن الكريم في مواضع بالتاء المفتوحة المتصرفَةً إعرابياً⁽¹⁾ (9)، وفي هذا أيضاً إقرارٌ آخر أن اللفظة المقلوبة إلى (شبات) قد مرّت بتلك الإجراءات التي مرّت بها أخواتها في العربية الفصيحة ساكنة التاء المفتوحة أو متصرفتها إعرابياً..

قلب تاء التانيث المربوطة ميماً :

جاء في صفة جزيرة العرب: ((لما احتربت حمير ومذحج خرج أهل شبوة من شبوة، فسكنوا حضرموت وبهم سُمِّيَت شبام، وكان الأصل في ذلك شباة، فأبدلت الميم من الهاء))⁽²⁾، وقد أبدلوا الميم من الواو في (فم) وذلك بعد حذف اللام نسياً منسياً، ولكي لا يقع الإعراب على عين الكلمة مثل (يِدِ ودم)⁽³⁾، وقد جاء إبدالهم الهاء ميماً كما جاء في شرح أدب الكاتب للجواليقي قوله: فحذفوا الهاء وهي لام الكلمة وأبدلوا منها الميم وقالوا (فم) والأصل فيه (فوه) على زنة (سَوَطِ)، وقيل إنهم لما أفردوا لم يحتمل الواو والتنوين فحذفوها وعوضوا من الهاء ميماً وقالوا: فَمٌ وفمانٍ وفموانٍ ولو كان الميم عوضاً من الواو لما اجتمعوا، وقد جاء أن الإبدال من لام الكلمة (الهاء) بدليل أنهم قدرُوا (الفاه والفوه والفيه والفوهة)⁽⁴⁾، وفي هذا وذاك الإبدال قائمٌ إن كان

(1) ينظر: أدب الكاتب: 751 / 293، 294، المفصل للزمخشري: 590 / 487، خزنة الأدب: 10299 / 2936، 2935.

(2) ينظر: 171، تاريخ اليمن، لنجم الدين عمارة اليمني، 241: هـ (3)، معجم البلدان: 3 / 323.

(3) ينظر: شرح الرضي على الكافية: 2 / 268، 269، 273، خزنة الأدب: 10299 / 3531، تاج العروس: 7598 / 1.

(4) ينظر: 755 / 83، تاج العروس: 1 / 8235، خزنة الأدب: 10299 / 3531.

يأبدال الواو هاءً أو بحذفها وإحلال الهاء محلها أو باعداد اللام في الكلمة هاءً، ومن ذلك يتضح لنا إبدال الهاء الساكنة في الوقف عليها في (شباة) ميمًا وغدت (شباة) كما أبدلت في (فم وفمين) ..

شبوۃ في علم الصرف:

في هذا التناول نجد أن لفظة (شبوۃ) قد جاءت في اللغة من الجذر اللغويّ (ش ب و) ويُقرأ بتحريك حروفه الثلاثة على قولنا (شَبَوَ) وهذا يعني (علا وارفع)، ولدينا ثلاث قضايا صرفية تتطلب منا تناولاً استقرائياً لما فيها من أمورٍ تتصل ببنائها الصرفي، وتلك القضايا الثلاث هي:-

1 - الفعل مجرداً ومزيداً. 2 - اسم الفاعل والمفعول. 3 - الجمع سالمًا ومكسرًا..

1 - الفعل مجرداً ومزيداً:

الجذر اللغويّ لكلمة (شبوۃ) آتٍ من الفعل (شَبَوَ) وترد تصريفاته في معجمات اللغة على النحو الآتي (شبا يشبو شَبَوًا)، ومسميات تصريفاته هي: (الماضي الثلاثي والمضارع من الثلاثي والمصدر)، وعلى الرغم من أن الفعل قد جاء مجرداً إلا أنه آتٍ لازماً ومتعدياً بلا زيادةٍ في بنائه، ومن ذلك قولنا: (شبا الغصنُ: علا وظهر، وشبا النارُ: أوقدها)، وصيغة تلك التصريفات تتابع على النحو الآتي (فَعَلَ يَفْعُلُ فَعَلًا)⁽¹⁾، وإذا أخذنا تصريفاته جميعها الخاصة ببنائه مع ضمير الغائب نجده على النحو الآتي: (شَبَا يَشْبُو شَبَوًا، شَبَتَ تَشْبُو شَبَوًا، وَشَبَوَا يَشْبُوَانِ شَبَوًا، وَشَبَتَا تَشْبُوَانِ شَبَوًا، وَشَبَوَا يَشْبُونُ شَبَوًا، وَشَبَتَا تَشْبُوَانِ شَبَوًا)، ولا تختلف تصريفاته الأخرى مع ضمائر المتكلمين والمخاطبين كثيراً، أما تصريفاته مع الأفعال الخمسة فعلى النحو الآتي: (يَشْبُوَانِ وَتَشْبُوَانِ وَيَشْبُونُ وَتَشْبُونُ وَتَشْبِيْنِ وَتَشْبِيْنِ)، وقد ظهرت جميع حروف الجذر اللغويّ (ش ب و) في معظم التصريفات..

وقد ورد الفعل عند العامة على (شَبَّتَ) في قولهم: (شَبَّتِ الفرسُ)⁽²⁾، وهذا الفعل

(1) ينظر: تهذيب اللغة: 24440، تاج العروس: 1/ 8447، المحيط في اللغة: 9300، الكافي: 580.

(2) = تاج العروس: 1/ 8447.

يختلف عن الفعل المستعمل الذي هو مأخوذٌ من الجذر (شَبَوَ) الناقص، أي؛ معتلّ الآخر بالواو، أما الفعل (شَبَبَ) المضعّف فهو من الجذر (شَبَبَ)، وقول العامة (شَبَبْتُ) لحنٌ يجب اجتنابه، وعلينا أن نقول (شَبَبَتِ الفرسُ) بحذف الواو لالتقاء الساكنين: (الواو المنقلب ألفاً لتحركه وتحرك ما قبله الباء والواو لام الفعل وتاء التانيث الساكنة) وعند التقائهما يحذف الواو، ويصير الفعل على (شَبَبْتُ).

وقد اشتقّ من الفعل (شبا) فعلٌ على زنة (أفعل) في قولهم (أشبي) ومضارعه (يُشبي) ومصدره (إشباء)، وذلك على النحو الآتي (أشبي يُشبي إشباء)، ويقولون إن (أشبي) مثل (أشبل) زنة، وأشبي: أعطى وأكرم، وأشبي الرجل؛ وُلِدَ له ولِدٌ ذكيّ كيس، وأشبي الشجرُ يشبي إشباء؛ طال والتفّ نعمةً وعضوّةً، وهو هنا لازمٌ، ويأتي هذا الفعل متعدّيًا نحو قولهم: أشباه: أعطاه وأكرمه، وأشبي زيدٌ عمراً، أي؛ ألقاه في مكروهٍ أو في بئرٍ⁽¹⁾..

1 / 2 - صيغة اسم الفاعل:

أ - من الثلاثي المجرد:

ترد صيغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرد على وزن (فاعل)، والفعل الذي أخذت منه لفظة (شبوۃ) هو (شبا الماضي ومضارعه يشبو) وهو مثل (كبا الماضي ومضارعه يكبو) و(سما يسمو)، واسم الفاعل من (كبا وسما) هو في التنكير (كابٍ وسام) وهما في التعريف (الكابي والسامي) وفي الإضافة هما (كابي الجبين وسامي المقام)، والياء في (كابٍ وسام) قد حُذِفَتْ لالتقائهما بالتنوين وكلاهما ساكنٌ فحذفت الياء وناب عنها التنوين المعوّض عن حذف الياء، والياء في (الكابي والسامي) أصلها الواو التي في (كبا وسما) اللذين أصلهما (كَبَوَ وَسَمَوَ)، وقد قُلبَت في الفعلين ألفاً كما سبق، والواو قُلبَت قلبَ إعلالٍ في (الكابي والسامي) لأنّ ما قبلها مكسور والكسر لا يتناسب إلّا مع الياء لأنّ الكسرة من جنس الياء والياء معدودةٌ بكسرتين، وعلى القياس

(1) = تهذيب اللغة: 24440، الصحاح: 9074، لسان العرب: 49969، تاج العروس: 1 / 8447، كلها

من سلسلة العلم النافع.

نفسه يكون اسم الفاعل من (شبا) في التنكير على (شاب) وهو في التعريف (الشابي) وفي الإضافة (شابي القدمين)⁽¹⁾، وهو كذلك من كل فعلٍ معتلٍ الآخر.

ب - صيغة اسم الفاعل من الثلاثي المزيد بحرفٍ قبل فائه:

يأتي اسم الفاعل في مثل هذه الحالة من أفعالٍ على زنة (أَفْعَلْ يُفْعَلْ إِفْعَالًا) على (مُفْعِلٍ)، واسم الفاعل على هذه الصيغة من (أشبي) على (مُشِبِّ) في التنكير، وهو في التعريف على (المُشْبِي) وفي الإضافة على (مُشْبِي الأذكياء) وهو في الزنة مثل (مُشْفِقٌ ومُشْبِلٌ ومُكْرِمٌ)⁽²⁾، وياؤه في (مشب) قد حُذِفَتْ حذْفَهَا في (كابٍ وشابٍ) وفي (المُشْبِي ومُشْبِي الأذكياء) فُلبِتْ قلبَهَا في (الشابي وشابي القدمين)، لأنَّ حركة العين في فاعِلٍ ومُفْعِلٍ واحدة، وقد جاء اسم الفاعل على هذه الصيغة للإناث على (مُشْبِيَّة) بزنة (مُفْعِلَةٌ)، وقيل: امرأةٌ مُشْبِيَّةٌ على ولدها؛ أي: مشفقة، وفي الوزن ك (مشبلة)⁽³⁾.

2 / 2 - صيغة اسم المفعول:

هذه الصيغة تأتي من الفعل الثلاثي المجرد ومن الفعل الثلاثي المزيد، ومجيئها من الفعل الثلاثي المجرد المبني للمجهول مثل (فَعَلَ) على (مَفْعُولٍ) بزيادة ميم مفتوحة قبل فائه، وإسكان فائه، وضم عينه وزيادة واو ساكنة بعد عينه وقبل لامه، وهذا ينطبق على جميع الأفعال الثلاثية المجردة بما فيها الناقص، أي؛ معتل الآخر، ومن ذلك (شبا) وما شابهه ك (دعا ودنا وكبا) كل ما جاء منها من أسماء المفعولين يكون على صيغة (مَفْعُولٍ) وهو في صياغته الأولية على النحو الآتي:

1 - الإتيان بالأفعال المضارعة لتلك الأفعال الماضية التي هي: (يشبو - يدعو - يرنو - يكبو).

2 - قلب ياء المضارعة ميمًا مفتوحًا، وإسكان فاءات تلك الأفعال، وضم عيناتها،

(1) ينظر: المحيط في اللغة: 9300.

(2) ينظر: تهذيب اللغة: 24440، لسان العرب: 49969، تاج العروس: 1 / 8448.

(3) ينظر: لسان العرب: 49969، تاج العروس: 1 / 8448.

وإدخال واو زائدة ساكنة بعد عينها وقبل لامها على النحو الآتي:
(مَشْبُوٌّ - مَدْعُوٌّ - مَدْنُوٌّ - مَكْبُوٌّ).

أما في مرحلة صياغته الثانية فتتم فيه الإجراءات الآتية:

1 - الأسماء السابقة واوية اللام وقد تحركت بالضم تنويناً.

2 - سبقت لامها واو اسم المفعول الزائدة الساكنة.

3 - الحرفان معتلان وهما من مخرج واحدٍ وصفتها واحدة.

4 - حقّ الحرفين الادغام بإدخال الثاني في الأول، ورسمهما في صورة حرفٍ واحدٍ وذلك على النحو الآتي: (مَشْبُوٌّ - مَدْعُوٌّ - مَدْنُوٌّ - مَكْبُوٌّ)

5 - وضع علامة التضعيف (الشدة) على ذلك الحرف للدلالة على أنه حرفان أولهما ساكنٌ وثانيهما متحركٌ بالضم تنويناً على المنحى الآتي: (مَشْبُوٌّ - مَدْعُوٌّ - مَدْنُوٌّ - مَكْبُوٌّ).

6 - إخراجهما من مخرجٍ واحدٍ مع الوقوف على الأول بالإسكان وتحريك الثاني بالضم تنويناً⁽¹⁾.

أما مجيء اسم المفعول من تلك الأفعال على صيغة (مَفْعَلٍ) فهو على النحو الآتي:

1 - قلب ياء المضارعة ميماً مفتوحاً.

2 - إسكان فاءات تلك الأفعال.

3 - فتح عيناتها، وبهذه تكون الصيغة الأولى منها على النحو الآتي:

(مَشْبُوٌّ - مَغْزُوٌّ - مَدْنُوٌّ - مَكْبُوٌّ).

4 - لَمَّا وقعت الواوات رابعةً قَلِبَتْ ياءً، فصارت على النمط الآتي: (مَشْبِيٌّ -

مَغْزِيٌّ - مَدْنِيٌّ - مَكْبِيٌّ).

(1) = : الخصائص: 1/ 94 - 95، شذا العرف: 75، التطبيق الصرفي: 82.

5 - ولما تطرفت الياء وهي متحركة وما قبلها مفتوحٌ قَلِبَتْ أَلْفًا، وغدت على ما يأتي: (مَشْبَى - مَغْزَى - مَدْنَى - مَكْبَى)، وهذه هي الصيغة الأخيرة المستعملة في التداول اللغوي المعروف بصيغة (مَفْعَل)⁽¹⁾، وهذه الصيغة تشترك فيها ثلاثة معانٍ هي: (اسم المفعول والمصدر واسم المكان والزمان)⁽²⁾.

ويأتي اسم المفعول من الفعل الثلاثي المزيد بحرفٍ في مثل (أَفْعَل) الذي مضارعه (يُفْعَلُ)، وعلى ذلك يكون اسم المفعول منه على وزن (مُفْعَل)، ويأتي من الفعل الثلاثي الناقص المزيد بحرفٍ قبل فائه في مثل (أُشْبَى) الذي مضارعه (يُشْبَى) على صيغة (مُشْبَى)، وهذه الصيغة تتبع فيها المراحل الآتية:

1 - قلب حرف المضارعة ميماً مضموماً.

2 - الإبقاء على فاء الكلمة ساكناً.

3 - فتح عين الكلمة.

4 - قلب ياء الكلمة (لامها) ألفاً مطوياً.

وبهذه الإجراءات تغدو اللفظة على النحو الآتي: (مُشْبَى)⁽³⁾.

جمع شبوذة:

جاءت شبوذة مجموعةً على جمعي السلامة والتكسير، ومجيئها على جمع التكسير منتظمةً في جموع الكثرة، وذلك على النحو الآتي:

جمع السلامة:

يُجمع كلُّ اسمٍ مؤنثٍ مفردٍ منتهِ بتاء التأنيث المربوطة جمع سلامةٍ للإناث بحذف تائه المربوطة وزيادة ألفٍ يابسةٍ مدّيةٍ بعد لام الكلمة ثم تاءٍ مفتوحةٍ أي غير مربوطةٍ، وهذا هو الحكم على كلِّ اسمٍ كان على تلك الشاكلة، ومن هنا تأتي تلك الأسماء مثل

(1) ينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني: 2/ 672، الخصائص: 2/ 345 - 346.

(2) ينظر: الشافية في علم التصريف لابن الحاجب: 1/ 28، 27، 30، 53، 68، شرح ابن عقيل: 1/ 206.

(3) ينظر: التطبيق الصرفي: 83.

(شبوۃ وكبوۃ ودعوۃ وربوۃ) مجموعۃً على هذه الشاكلة: (شَبَوَاتٌ وَكَبَوَاتٌ وَدَعَوَاتٌ وَرَبَوَاتٌ)⁽¹⁾ وقد انتظمت (شبوۃ) في هذه الجموع لأنها اسمٌ مفردٌ مؤنثٌ منتبهٌ ببناء التأنيث المربوطة، ولهذا جاءت على (شَبَوَاتٍ)⁽²⁾، ويُقالُ إنَّ جموع السلامة تكون للقلۃ وهنالك مَنْ يقولُ إنها تأتي للقلۃ والكثرة⁽³⁾، وقد نقد (النابعۃُ الذبيانيُّ) شاعر الرسول (حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ) في ما جاء في قوله مِنْ جمع سلامةٍ في هذا البيت:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرُّ يَلْمَعْنَ بِالضَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطْرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا
فقد أخذ عليه فخره بـ (الجفنات) حاكمًا عليها بأنها جمع سلامةٍ فيه معنى قلّة، ويرى أن جمع (جَفَنَةٍ) جمعٌ كثرةٌ على (جِفَانٍ) فيه كثرةٌ وهذا دليلٌ على الكرم والعطاء والبذل وفيه مفعرةٌ بالجود⁽⁴⁾..

وقد جُمِعَت (شبوۃ) جمع تكسيرٍ على (شَبَا)⁽⁵⁾، وفي هذا جمعٌ كثرةٌ، ويتحقق لنا جمعان لللفظة (شبوۃ) هما: (شَبَوَاتٌ وَشَبَا) الأول على وزن (فَعَلَاتٍ) والثاني على وزن (فَعَلَ)..
النسبة إلى شبوۃ: النسبة إليها (شبوئي) بحذف تاء التأنيث المربوطة ووضع ياء النسبة المضعفة⁽⁶⁾.

شبوۃ في علم الدلالة:

ترد (شبوۃ) في كتب اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا لمعانٍ محكومةٍ بالمعنى الرئيس والمركزي لللفظة الذي يدلُّ على الارتفاع والعلو، وقد جاء في بعض المعجمات:

- (1) = : اللمع في العربية: 1/ 180 - 181، أسرار العربية: 1/ 307.
- (2) = : العين: 9800، تهذيب اللغة: 24440، الفصول والغايات: 783 / 152، الصحاح: 9074، مختار الصحاح: 328، لسان العرب: 8 / 18، المحيط في اللغة: 9300، الرائد: 2 / 861، الكافي: 581.
- (3) ينظر: أسرار العربية: 1/ 309.
- (4) = : م. ن: 1/ 309 - 310.
- (5) = : الصحاح: 9074، مختار الصحاح: 328، لسان العرب: 8 / 18، المحيط في اللغة: 9300، الرائد: 2 / 861، الكافي: 581.
- (6) ينظر: الأنساب للسمعاني: 3 / 398، لب اللباب في تحرير الأنساب: 1 / 48.

((شبا الشيءُ يشبو شبواً: علا وظهر، وشبا وجهه: أضاء بعد تغيّر، وشبا الفرسُ: قام على رجليه، وشبا النار يشبوها شبواً: أوقدها))⁽¹⁾، وجاء في بعضها: ((وأشبي الرجلُ؛ طال والتفّ من النعمة والغضوضه، وأشبتِ الشجرةُ ارتفعت وعلت))⁽²⁾ ونلاحظ أن ما ارتبط بهذا المعنى محكومٌ بذلك، ولنا أن ننظر في الأمرين الآتين:

- المسميات الطبيعية الجغرافية جاءت على مواقع عالية على ما حولها من أماكن.
- المسميات الحية؛ هي أو ما اتصل بها من أمورٍ ماديّةٍ أو معنويةٍ تدلّ على العلوّ أو علوّ في الأمر أو مبالغة فيه

ولكن هذا المعنى العامّ الجامع لا يمنع من وجود معانٍ فرعيةٍ قليلةٍ لا تُلغى الارتباطات العامة التي تحدّد المحور الأساسي الذي يشبك بين تلك المعاني المتعددة، وسوف نقوم بإيراد تلك المعاني حسب ما تلتقي عليه من جامعٍ معنويٍّ وذلك على النحو الآتي:

1 - معانٍ لمسميات طبيعية مادية جامدة منها:

- أ - شبوة: اسم ناحية وموقع ومدينة وعاصمة لمملكة حضرموت في الجنوب اليمني، وهي تقع على مرتفع صخريٍّ بمحاذاة وادي المعشار. ب - شبوة: اسم لموقع قرويٍّ يقع على مرتفع على أطراف العراق.⁽³⁾

2 - معانٍ لمسميات حيّة بشرية أو حشرية:

- أ - شبوة: العقرب أيّاً ما كانت وأيّاً ما كان لونها. ب - شبوة: العقرب الصفراء. ج - شبوة: العقرب حينَ تلدها أمها. د - شبوة: يُقال: جاريةٌ شبوةٌ؛ جريئةٌ كثيرةُ الحركة،

(1) الكافي: 580، وينظر: تهذيب اللغة: 24440، المحيط في اللغة: 9300، تاج الروس: 1/ 8447، الرائد: 2/ 861.

(2) لسان العرب: 8/ 19، شبا، ع/ 1.

(3) ينظر: منتخبات أخبار اليمن: 53، لسان العرب: 8/ 18، شبا، ع/ 1، 2، العباب الزاخر: 5710، معجم البلدان: 3/ 323، معجم ما استعجم: 3/ 780، 4/ 1213، تاج العروس: 1/ 8448، تاريخ اليمن القديم، با فقيه: 48، 49، شبوة عاصمة حضرموت: 171.

فاحشة. هـ - شبوة: اسمٌ علمٌ لبعض الشخوص المذكورة مثل: شبوة بن ثوبان العبسيّ العكبيّ وهو أبو قبيلة يمانية، وشبوة بن أبي الأسود. وشبوة: يأتي علمًا لبعض الشخوص المؤنثة مثل: شبوة الخزاعية أمّ أبي الحكم سمعان الخزاعيّ.⁽¹⁾

أما اللفظ الذي قَلِبَ واوه أَلْفًا قَلِبَ إِعْلَالٍ، وجاء على لفظ (شباة) وجامع معانيها الطرف للشيء أو فرعه أو بعضه، وتلك المسميات على النحو الآتي:

1 - مسميات بشرية حيوانية وحشرية:

أ - الشباة: الرجل السفية. ب - الشباة: الفرس التي تعطو في العنان. ج - الشباة: العقرب الصفراء. د - الشباة: العقرب حين تُلدها أمّها. هـ - الشباة: إبرة العقرب. والشباة: حمة العقرب.⁽²⁾

2 - مسميات مادية جامدة:

أ - حدّ كلّ شيء أو حدّ طرفه. ب - الشباة: جانب أسلة النعل، وجانباها: الشباتان. ج - الشباة: جانب أسلة السيف، وجانباها: الشباتان.⁽³⁾
أما الشبو أو الشبا فهما لمسميات معنوية أو مادية والأكثر فيهما الدلالات المادية، وذلك على النحو الآتي:

الشبو: الأذى، الشبا: الحدّ من كلّ شيءٍ، والبرّد، والطحلب، وشبا النعل: جانبها أسلته والشبا وادٍ من أودية المدينة فيه عين⁽⁴⁾، وفي الاشتقاقات المختلفة من الجذر

(1) ينظر: أسماء خيل العرب وفرسانها لابن الأعرابي: 1، تهذيب اللغة: 2444، الفصول والغايات: 620، المفصل في صنعة الإعراب: 6، المستقصى في أمثال العرب: 888، مجمع الأمثال: 293، منتخبات أخبار اليمن: 53، لسان العرب: 8/ 18، شبا، ع/ 2، 19، شبا، ع/ 1، معجم البلدان: 3/ 323، الإصابة: 1/ 310، 6/ 7، تاج العروس: 1/ 8447، الوافي بالوفيات: 5/ 123.

(2) ينظر: الكامل للمبرد: 1/ 373، تهذيب اللغة: 24440، الصحاح: 9074، أساس البلاغة: 6910، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: 1363، لسان العرب: 8/ 18، شبا، ع/ 2، مختار الصحاح: 328، شبا، المحيط في اللغة: 9300، الرائد: 2/ 861، الكافي: 581.

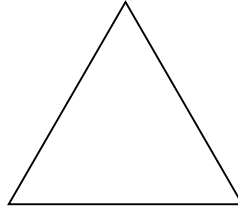
(3) ينظر: م. ن.

(4) ينظر: الكامل: 1/ 373، تهذيب اللغة: 24440، أساس البلاغة: 6910، لسان العرب: 49969، الرائد: 2/ 861.

اللغويّ للكلمة: (شَبَوَ) كثيرٌ من الدلالات المتوافقة أو المتقاربة أو المتدرّجة في مستواها المعين من درجةٍ أدنى إلى درجةٍ أعلى..

وإذا عدنا إلى المثلث الدلاليّ الذي بيّن لنا الصلة بين زوايا الاستيعاب الثلاث لرأينا أن المشرّع اللغويّ لم يتعد عن الحقيقة الجامعة لتلك الزوايا في جميع المسميات التي يكون حاملها ما تفرّع من الجذر اللغويّ (شَبَوَ)، وفي اللفظ (شبوّة) ومسمياته ومعاني تلك المسميات وصورها المرسومة في الواقع أو في الذهن البشريّ لا تختلف كثيرًا في دلالاتها عن الجامع العام للمعنى المركزيّ والمحوريّ، وهذا الأمر يتضح في المخطط الآتي:

اللفظ الرمز: شبوة



الدلالة / المعنى: العلوّ الصورة / الشكل: ↑

وفي هذه العلاقات الارتباطية التي جعلت الحُكْمَ لدى المشرّع اللغويّ حكمًا صادقًا منطبقًا على الوضع الاختياريّ للمعاني والألفاظ والأشكال ذات الجامع المركزيّ المتمحور في اللفظ المسمى به وفي الدلالة المعبرة عنه وفي الصورة المظهرة له، وبها جميعًا تتحقق الصلات المعنوية بين كلّ المسميات، فالموقع الشبويّ مرتفعٌ وإبرة العقرب مرتفعةٌ وشبا السنان أعلاه المحدّد المذرب، ولك أن تأخذ أيّ لفظٍ آخر وستجد فيه معنىً من معاني العلوّ والارتفاع أو الغلوّ والمبالغة..

شبوّة في علم النحو:

وردت (شبوّة) في مباحث النحو العربيّ في مبحثين اثنين الأول في التعريف والثاني في الإعراب، وهي لا تخرج عن ما في النحو العربيّ من أحكام ضابطةٍ لقواعده المعروفة، والأحكام تلك إن وردت على مسمى اللفظ علمًا لموقع جغرافيّ معينٍ في اليمن أو في

غيره، أو علمًا لحشرةٍ معيَّنةٍ معروفةٍ كما سيرد لاحقًا؛ فإنها لا تخرج عن تلك الأحكام، وورودها على النحو الآتي:

التعريف والتنكير:

يقول أحمد بن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة): ((تدخل ألف التعريف ولامه على اسمين؛ متمكِّنٍ وغير متمكِّنٍ، فالذي هو غير متمكِّنٍ ((الذي)) و((التي))، والمتمكِّن قولنا: ((رجلٌ))، ثم يكون ذلك للجنس والتعريف، فالأول قولنا: ((رجلٌ)) لمنكورٍ [أي؛ لاسمٍ نكرةٍ]، فإذا عُهدَ مرَّةً [أي؛ إذا عُرفَ مرَّةً] قيل: ((الرجل)) والجنس قولنا: ((كثُرَ الدينارُ والدرهمُ)) وقوله:

والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ به

لا يريد ذئبًا بعينه، إنما يريد أنه يخشى هذا الجنسَ من الحيوان))⁽¹⁾، وتدخلان لغير ذلك كالتضخيم في مثل الأسماء الآتية: (العَبَّاسُ والفَضْلُ)، وهما - الألف واللام - يدخلان في اسم الله - عزَّ وجلَّ - وصفاته كـ (الرحمن الرحيم والكريم العظيم)⁽²⁾، وقد وردت بعض الأسماءِ أعلامًا غير قابلةٍ للتعريف مثل: شعوبَ اسمًا

للمنية وهنيدة اسمًا لمائةٍ من الإبل وذكاءَ اسمًا للشمس وأسامةَ اسمًا للأسد ومَحْوَةَ للشمال وحَضارَةَ للبحر، وهذه جميعها لا يدخلها التعريف لأنها أعلامٌ لمسمياتٍ⁽³⁾، وقد جاء عند الميداني قوله: ((شبوۃ... لا تدخلها

الألف واللام مثل مَحْوَةَ للشمال وحَضارَةَ للبحر))⁽⁴⁾، وهذا يعني أنها علمٌ لمسمىٍ معيَّنٍ إن كان لجمادٍ أو لحييٍّ فهو دالٌّ على شيءٍ معروفٍ لا يحتاجُ إلى الألف واللام لتعريفه مثل قولنا: (عدنٌ وأسامةٌ) في أعلام المدن والحيوان، وقد جاء أن بعض

(1) ينظر: تاج العروس: 1 / 8447.

(2) 423 / 118 - 119 - ينظر: م، ن: 423 / 100.

(3) ينظر: إصلاح المنطق لابن السكيت: 716 / 551 - 552، مجمع الأمثال لميداني: 293.

(4) مجمع الأمثال: 293، وينظر: تهذيب اللغة: 24440، لسان العرب: 8 / 18 (شبا)، ع / 2، تاج العروس:

1 / 8447.

النحويين يعرفها وبعضهم لا يعرفها⁽¹⁾ اعتماداً على أمرين هما:

- 1 - تعريفها على أنها اسمٌ دالٌّ على أي موقعٍ مرتفعٍ أو أيّ عقربٍ صفراءٍ أو سوداءٍ.
- 2 - عدم تعريفها بالألف واللام على أنها اسمٌ علمٌ معرفةٌ بلفظه المجرد من (أل) التعريفية.

وقد جعل الزبيديّ إدخال (أل) على (شبوّة) وهمّاً قائلاً: ((والصواب؛ لا تدخلها أل، ومنه قول الشاعر:

قَدْ جَعَلْتُ شَبْوَةَ تَرْبِئِرٍ تَكْسُو اسْتَهَا لَحْمًا وَتَقْشَعِرٌ))⁽²⁾.

والحقيقة أن الاسم العلم هو معرفة بلفظه ولا يحتاج إلى تعريفٍ، أما إذا سُعي إلى جعله قابلاً لـ (أل) التعريفية فلا بدّ من أن يكون قَصْدُ المتكلم به دالاً على اسم عام غير محدّد بمسمّى معيّنٍ علماً عليه، بل يكون اسماً دالاً على مسمّى متوافقٍ مثلاً مع أيّ من المواقع التي في اليمن والعراق والمدينة، أو على العقرب الصفراء أو السوداء أو غيرهما، وهنا لا يكون المقصود به علمٌ معيّنٌ فيسقط تعريفه ويصير نكرةً لأن الاسم الذي فيه سببان من أسباب المنع من الصرف أحدهما العلمية وثانيهما التأنيث إذا سقط أحدهما لم يقوَ الآخر على المنع فينوّن ذلك الاسم ويعرّف بالألف واللام⁽³⁾ ولما سبق، أي؛ لتنكيره يدخل عليه التعريف بالألف واللام والإضافة، فيقال: (الشبوّة، وشبوّة اليمن وشبوّة العراق وشبوّة المدينة)، و(هذه شبوّة ومررتُ بشبوّة ورأيتُ شبوّة) لمواقع جغرافية، ويقال في الاسم الدال على أي شخصٍ وليس على شخصٍ بعينه: (الشبوّة جاء وشبوّة آل يزيدٍ قادمٌ) وفي التنكير: (هذا شبوّةٌ وسلمتُ على شبوّةٍ ورأيتُ

(1) ينظر: الفصول والغايات للمعري: 152، تاج العروس: 1 / 8447.

(2) م، ن. ومعنى تربيئرٌ: تتفش، وتقشعرٌ: تتغير، وقد ورد محلّ تقشعرٌ تقمطرٌ واقمطرتِ العقربُ إذا عطف ذنبها وجمعت نفسها،

ينظر: العين: 1 / 1، قشعر، 3 / 2، زبأر، الصحاح: 1 / 1، قشعر، 2 / 1، قمطر، 3 / 2، زبأر، اللسان: 2 / 1، 2، قشعر، 6 / 3، قمطر، 19 / 16، 18، زبأر، والرجز لـ.

(3) ينظر: الخصائص: 3 / 38، 44، المفصل للزمخشري: 1 / 36، الإنصاف في مسائل الخلاف: 2 /

492، 674، 708، 709، شرح ابن عقيل: 1 / 17، 3 / 337.

شبوۃ قادمًا)، و(الشبوۃ الصفراء والسوداء وشبوۃ الصحراء الكبيرة وشبوۃ الجبل الصغيرة)، ويقال في التنكير: (هذه شبوۃ ودستُ على شبوۃ ورميتُ شبوۃ) للعرب أيًا كانت⁽¹⁾، وهذا يقودنا إلى المبحث اللاحق المرتبط بهذا المبحث..

المنع من الصرف وعدمه :

المنع من الصرف في الاسم هو عدم الإجراء على وجوه الإعراب الثلاثة بحركاتها الثلاث الأصلية: (الرفع والنصب والجر) وذلك بجره بالفتحة نيابةً عن الجرة، وعدم قبوله التنوين في الحالات الثلاث، ويمتنع الاسم من الصرف لعلل تسع هي: (العلمية والتأنيث والعدل ووزن الفعل وزيادة الألف والنون والتركيب والعجمّة ووزن أفعل فعلاء ووزن صيغة منتهى الجموع)⁽²⁾، وإذا اجتمعت علتان في الاسم كالعلمية والتأنيث منعتاه من الصرف، وفي لفظة (شبوۃ) تلك العلتان: العلمية والتأنيث فهي علمٌ مؤنثٌ ممنوعٌ من الصرف، ولكن إذا سقطت علةٌ واحدةٌ لم تمنع العلة الواحدة الاسم من الصرف، وقد جاءت (شبوۃ) ممنوعةٌ من الصرف لاجتماع العلتين فيها، وجاءت أيضًا مصروفةً لافتقارها لعلّة الصفة العلمية فيها وبقيت علة التأنيث فيها، والعلّة الواحدة لا تمنع من الصرف⁽³⁾، ولذلك جاءت لفظة (شبوۃ) على النحو الآتي:

شبوۃ ممنوعةٌ من الصرف :

لقد جاءت (شبوۃ) علمًا جغرافيًا محددًا، وهي بصيغة المؤنث، وهاتان الصفتان تمنحانها المنع من الصرف، وعليه سوف تأتي اللفظة متسمةً بطبيعة الممنوع من الصرف الممثلة بالآتي:

- عدم دخول التنوين عليها في حالاته الثلاث.

(1) ينظر: أسماء خيل العرب وفرسانها لابن الأعرابي: 1، الإصابة: 1/ 310، 6/ 7 لسان العرب: 8/ 19، شبا، ع/ 1، معجم البلدان: 3/ 323، معجم ما استعجم: 3/ 780، الواي بالوفيات: 12325، تاج العروس: 1/ 8447، الموسوعة اليمنية: 3/ 1691، ع/ 1، شبوۃ عاصمة مملكة حضرموت: 169، 20.

(2) ينظر: الأصول في النحو: 2/ 80، أسرار العربية: 1/ 272.

(3) ينظر: هـ (6)، وقد جاء في شرح ابن عقيل في الموقعين السابقين: أن الاسم ذا العلتين كالعلمية والتأنيث إذا زالت منه علة واحدة كالعلمية صُرِفَ كما هو في قولهم: ربّ سعادٍ وربّ قطامٍ..

- جرّها بالفتحة نيابةً عن الكسرة.

ويظهر هذا الأمر في الأقوال الآتية: (جئْتُ من شَبْوَة، ورأيتُ معالمَ شَبْوَة)، وفي الحالين نجد (شبوۃ) مجرورةً، في الحالة الأولى لأنها مجرورةٌ بحرف الجرّ (من)، وعلامة جرّها الفتحة نيابةً عن الكسرة، وفي الحالة الثانية لأنها مضافةٌ إلى (معالم) مجرورةٌ بالإضافة، وعلامة جرّها الفتحة نيابةً عن الكسرة⁽¹⁾، وهذان الأمران جاريان على جميع الأسماء التي تكون ممنوعةً من الصرف..

شبوۃ مصروفةٌ:

قلنا إنّ العَلَمَ المؤنث إذا نُكِّرَ، أي؛ سقطت عنه الصفة العلمية وبقي محتفظاً بصفة التأنيث، وهي إحدى صفتيه للمنع من الصرف لم تمنعه من الصرف، ولهذا يكون أمره مماثلاً لأيّ اسم منكّرٍ حسب كلّ حالةٍ، وذلك على النحو الآتي:

- تصريفه إعرابياً بالحركات الثلاث رفعاً ونصباً وجرّاً بالكسرة الظاهرة على آخره.
- تصريفه تنويناً بالتنوينات الثلاثة رفعاً ونصباً وجرّاً⁽²⁾.

ويبرز هذا واضحاً في التراكيب الآتية: (شاهدتُ شبوۃَ حضرموت وجئتُ من شبوۃِ حضرموت وهذه شبوۃُ حضرموت) وهي معربةٌ بالحركات الثلاث كما يظهر لأنها مضافةٌ وحضرموت مضافةٌ إليها، وفي حالة التنوين نراها على النحو الآتي: (جئْتُ من شبوۃٍ وشاهدتُ شبوۃً وهذه شبوۃٌ) قابلةٌ للتنوين بحالاته الثلاث لأنها اسمٌ نكرةٌ مؤنثٌ.. ونحن هنا قد جعلنا صرف الممنوع في عنوانين هما: 1 - (التعريف والتنكير)، 2 - (المنع من الصرف وعدمه) مع العلم أنهما يجيئان في كتب النحو في مبحثٍ واحدٍ، ولكننا عمدنا إلى ذلك مراعاةً للإيضاح والبيان لعامة القراء..

(1) ينظر: تهذيب اللغة: 24440، الفصول والغايات: 153، الصحاح: 9074، لسان العرب: 8/ 18، شبا،

ع/ 2، تاج العروس: 1/ 8447.

(2) ينظر: م، ن، و(هـ/ 9) ص: (8).

شبوۃ في الشعر:

لقد كانت شبوۃ في المرحلة الجاهلية من تاريخ العرب قبل الإسلام مزارًا للشعراء الجاهليين مثنين على كرم ملوكها لهم ومسجلين الوقائع التاريخية فيها، وفي هذا دليل على صدق قول الشاعر الجاهليّ (عبيد بن الأبرص) الذي رأى في اليمانيين ملوكًا على الجزيرة العربية قائلاً:

يا عينُ فابكي ما بني	أسدٍ فهم أهلُ الندامه
أهلُ القبابِ الحمرِ والـ	نعمِ المؤبِّلِ والمدامه
وذوي الجيادِ الجردِ والـ	أسلِ المثقفةِ المقامه
جلًّا أبيتِ اللعنِ حـ	لَّا إنَّ فيما قلتَ أمه
في كلِّ وادٍ بينَ يثـ	ربِّ فالقصورِ إلى اليمامه
تطريبُ عانٍ أو صيا	حُ محرقٍ أو صوتُ هامه
ومنعتهم نجدًا فقد	حلّوا على وجلِّ تهامه
برمت بنو أسدٍ كما	برمت ببيضتها الحمامه
جعلت لها عودين من	نشمٍ وآخرَ من ثمامه
أمّا تركتَ تركتَ عفـ	سواً أو قتلتَ فلا ملامه
أنت المليكُ عليهم	وهم العبيدُ إلى القيامه
ذلّوا السوطك مثل ما	ذلّ الأشيقرُ ذو الخزامه ⁽¹⁾

ومن هنا تبرز المكانة المرموقة التي يحتلها اليمن أرضًا وإنسانًا في المخيِّلة الاجتماعية والواقع الملموس في السلوك الجمعيّ العربيّ، ولهذا ظهرت (شبوۃ) في الشعر العربيّ الجاهليّ وطناً للعزة والرخاء كغيرها من المدن اليمنية الأخرى التي كانت تشرَّب إليها أعناقُ أبناء الجزيرة العربية جمعاءً، ومما يؤكد ذلك أقوال الشعراء الذين ذكروا (شبوۃ) في أشعارهم مبينين المكانة المرموقة لهذه المدينة من بين مدن اليمن والجزيرة العربية اللواتي ذكرنَ في القرون السابقة لظهور الإسلام، ومن تلك

(1) ينظر: الموسوعة الشعرية، عبيد بن الأبرص، قصيدته الميمية، من 1 - 12.

الأشعار ما قاله الشاعر علقمة الفحل (ت 20 ق. هـ / 602 م) التميمي الجاهليّ المعداد في الطبقة الأولى من الشعراء والمعاصر للشاعر امرئ القيس بن حجر الكنديّ (ت 80 ق. هـ / 544 م) وله معه مساجلات شعريةٌ معروفةٌ، ومن أقواله ما جاء في (شبوّة) في البيتين الآتين:

مَنْ رَجُلٌ أَحْبَوهُ وَنَاقَتِي يُبَلِّغُ عَنِي الشَّعْرَ إِذْ مَاتَ قَائِلَهُ
نَذِيرًا وَمَا يُغْنِي النَّذِيرُ بـ (شبوّة) لِمَنْ شَاؤُهُ حَوْلَ الْبَدِيِّ وَجَامِلُهُ⁽¹⁾

والشاعرُ يقول في هذين البيتين: أ يوجدُ أحدٌ من الناس أمنحه مالا مع ناقتي ليعلن شعري إذا متّ، مَنْ يوصله إلى نذيرٍ ينذر به الناس ويعظهم، ولكنه يستدرك الأمر فيقول: هل يفيدُ ذلك مَنْ يشتغل عن الشعر بشياحه وجماله حول آباره ومزارعه، وفي هذا بيانٌ يؤكد أن سكنى (شبوّة) أهل ثروة حيوانية وزراعية هم منشغلون بها عن غيرها، ولكن هذا لا يعني أنهم لا يتذوقون الشعر ولا يفهمونه، لأن هذا منفيّ بقول الشاعر الأعشى ميمون بن قيس (ت 7 هـ / 628 م) الذي زار أحد الملوك بـ (شبوّة) فأجزل له العطاء لأنه شاعرٌ ولأنه قد أسمعته أشعاره، قال الأعشى:

هَلْ أَنْتَ يَا مُضَلَّاتُ مُبْ تَكْرِ غَدَاةٍ غَدِ فِرَاحِلُ
أَنَا لَدَى مَلِكٍ بـ (شبوّة) مَا تَغَبَّ لَهُ النَوَافِلُ
مُتَحَلِّبِ الْكَفَّيْنِ مِثْ لِ الْبَدْرِ قَوَالٍ وَفَاعِلُ
الْوَاهِبِ الْمَائَةِ الصَّفَا يَا بَيْنَ تَالِيَةٍ وَحَائِلُ⁽²⁾

وحق هذه الأبيات أن تكون في موقعها، وقد قدّمته لكي أؤكد أن للشعر والشعراء مكانةً عاليةً عند ملوك (شبوّة) وغيرها من مدن اليمن، فالأعشى يقول: إنه قد ارتحل إلى (شبوّة) لمدح أعيانها ومن ثم الحصول على قِراهم، وملك (شبوّة) الذي كان بين يديه الشاعر الأعشى ملكٌ لا تنقطع عطاياه ولا تتوقف هباته؛ فكفاه دائماً الفضل والخير والنعم لمن يقصده، والملكُ هذا يقول ويفعل، ويمنح مجزلاً في المنح بدليل

(1) ينظر: الموسوعة الشعرية، قصيدة علقمة الفحل اللامية، الأبيات: (1 - 2).

(2) = م. ن: قصيدة الأعشى اللامية، الأبيات: (1 - 4).

ما قدّمه للأعشى الشاعر من خيار النوق عددها: (مائة)، وهي النوق منها؛ التوالي التي تتبعها حيرانها وفصلانها، والحوائل اللواتي لم يلقحْنَ، ولك أن تتصوّر هذا الكرم وما يتبعه وسبب منحه.

ويعود الشاعر علقمة الفحل مفتخرًا بقومه قائلًا:

فقلّ لتميم تجعل الرملَ دونها وغير تميم في الهزازِ جاهله
فإن أبا قابوسَ بيني وبينها بأرعنَ ينفي الطيرَ حُمُرُ مناقله
إذا ارتحلوا أصمّ كلّ مؤيِّة وكلّ مُهيبٍ نقره وصواهله
فلا أعرفنُ سبيًّا تمدّ ثديّه إلى مُعرِضٍ عن صهره لا يواصله⁽¹⁾

وهنا نجد علقمة الفحل يعتزّ بقومه التميميين ويرى غيرهم يجهلون فنون الحرب وما يترتب عليها من مفاخر وأهاج، وما سبق للأعشى ينفي ذلك.

وما يرد عند الشاعر بشر بن أبي خازم (ت 22 ق.هـ / 601 م) مبيّنًا فيه ما كان لشبوذة من منزلة راقية في العيش والثروة، قال:

ألا ظعن الخليطُ غداة ريعوا بد (شبوذة) فالمطيّ بنا خضوعُ
أجدّ البينُ فاحتملوا سراعًا فما بالدار إذ ظعنوا كتيعُ
كأنّ حدوجهم لَمّا استقلوا نخيلٌ محلّم فيها ينوعُ
منازلُ منهم بعُريتاتٍ بها الغزلانُ والبقرُ الرتوعُ
كأنّ خوالدًا في الدار سُعفًا بعرصتها حماماتٌ وقوعُ⁽²⁾

وهو يذكر ما لشبوذة من عيشٍ رقيدٍ ممثلًا في رسمه لحدوج النساء فوق الجمال، أي؛ هوادجهنّ، مشبهًا تلك الحدوج بالنخيل الذي اكتسى خضرةً وصفرةً وحمرةً لما في تلك الحدوج من ألوانٍ زاهيةٍ منوّعةٍ تسبي الناظرين، ويظهر ما في مراعيها وسهولها من أنعام تعجّ بها تلك الأماكن كالغزلان والأبقار، ولا توجد تلك الأنعام إلّا إذا كانت الأرض أرض ماءٍ وخضرةٍ وجمالٍ، وما يؤكد هذا هو موقعها في منطقة الغرين أو الطفل

(1) = م. ن: = علقمة الفحل اللامية: (3 - 6).

(2) = م. ن: = بشر بن أبي خازم العينية: الأبيات: (1 - 5).

المُخَصَّب للتربة فزاد فيها الرفاه والترف و غدت حاضرة الملك و دار الحكم⁽¹⁾، و قد ذَكَرَ قَصْرَ غَمْدَانَ و قبيلة بني عامرٍ و نُمَيْرٍ في معركةٍ كانت بينهما و بين قومه بني أسدٍ قائلاً:

و قد جاوزن من غمدان أرضاً لأبوال البغال بها و قيعُ

ثم يقول:

فسائلُ عامراً و بني نُميرٍ إذا ما البيضُ ضيَّعها المضيئُ

إذا ما الحربُ أبدت ناجذيتها غداةَ الروعِ و التقتِ الجموعُ

بنا عند الحفيظة كيف نحمي إذا ما شَفَّها الأمرُ الفظيئُ

عقائلنا و نمنع من يلينا بكلِّ مهنِّدٍ صافٍ منيعُ

و يختمها بقوله:

فطارت عامرٌ شتَّى شلالاً فما صبرتُ و ما حُميَ التبيعُ⁽²⁾

و يبيِّن في الأبيات السابقة أن قومه بني أسدٍ يكسبون الحروب إن امتدت بهم ساحاتها أو طالت بهم أمادها، ذاكرًا أعلامًا كغمدانٍ و عامرٍ و نميرٍ و أنهم يحمون الرياض و الحياض عند اشتجار الأسنه و اشتباك السيوف حامين محارمهم و ذائدين عن جيرانهم..

أما ثالث الشعراء الذين ذكروا (شبوۃ) فهو الأعشى الذي سبق ذكره عندما رددنا على علقمة الفحل لقوله بعدم إيصال المبلغين الشعرَ لملوك شبوۃ و أعيانها، مؤكدين بأبيات الأعشى أن للشعر قبولاً و استيعاباً عند ملوك شبوۃ، و ما الهبات الجمّة التي منحت للأعشى إلا خيرٌ دليل على الاعتداد بالشعر و الشعراء، و لا نرى ضيراً في إعادة تلك الأبيات لكي يترسخ أمرُ الحكم على الشعر لغةً و تذوقاً، قال:

هل أنت يا مِضلاتُ مُبٌ تَكَرُّ عَدَاةَ غَدٍ فراحل

أنا لدى مَلِكٍ بـ (شبـ وة) ما تغبَّ له النوافل

مُتَحَلِّبِ الكفينِ مثـ لـ البدرِ قِوَالٍ و فاعل

(1) ينظر: اليمن قبل الإسلام و القرون الأولى للهجرة: 55، تاريخ اليمن القديم، با فقيه: 45، شبوۃ عاصمة مملكة حضرموت: 25، 46، 168.

(2) ينظر الموسوعة الشعرية: قصيدة بشر بن أبي خازم: الأبيات: (6، 19 - 23، 26).

الواهبِ المائة الصفا يا بين تاليةٍ وحائل⁽¹⁾

ولا يكفي أن يأخذ الشاعر عطاياه، بل نجده قد شرع في احتساء السلافة في موطن مزاره، وحوله شخوصٌ من مختلف الأجناس من الترك والأفغان، قائلًا:

ولقد شربْتُ الخمرَ تر كُضُّ حولنا تركٌ وكابل

كدمِ الذبيحِ غريبةً ممّا يعتقُ أهلُ بابل

باكرتها حولي ذوو الـ آكالٍ من بكرِ بنِ وائل

أهلِ القبابِ الحمرِ والـ نَعَمِ المؤبِّلِ والقنابلِ⁽²⁾

ومما هو مؤكَّد أن الشاعر قد حلَّ على شبوة مسترفدًا وضيَّفًا، وفي ضيافته هو ومن معه من رجالات قبيلة بكر بن وائل قُدمت لهم الأطعمة والأشربة، مستدرِّكًا أنهم أهل نعمةٍ وعزَّةٍ، وأنها قد جاءت بهم الأقدار على بلد الأخيَّار، أما وجود الجنسيات الأخرى في شبوة في ذلك الوقت فقد أكَّده الدارسون⁽³⁾، لذلك علينا ألا نستغرب من ذلك لأن المدينة كانت عاصمةً سياسيةً واقتصاديةً مشهودةً..

أما عمرو بن أحمر الباهلي (ت 75 هـ / 694 م) فقد سعت مواكبه إلى شبوة مستلحقةً مستقسمةً هابطةً أغوارًا يمانيةً وصاعدةً تلالًا يمانيةً متجاوزةً (مران) من بعد ما تجاوزت (شبوة) في سيرها قائلًا:

ألم تَرِمِ الأطلالَ من حولِ جشعمِ مع الظاعنِ المستلحقِ المُتقسِّمِ

إلى أن يقول:

تَهَبُّ من الغورِ اليمانيِّ وتنتهي إلى هُدبِ الحوَّارِ يا بعدَ مَسَعَمِ

ذاكرًا المواقع اليمانية في الأبيات الآتية:

يمانيةٌ مرَّانُ شبوةٌ دونها وشيخٌ شامٌّ هل يمانٍ بمشتمِ

(1) ينظر: (هـ: 4، ص / 10).

(2) ينظر: الموسوعة الشعرية، قصيدة الأعشى اللامية، الأبيات: (5 - 8).

(3) ينظر: حضارة اليمن؛ عصر ما قبل الإسلام: 55، 67 - 68، 121، اليمن؛ ماضيها وحاضرها: 106،

224 - 225، شبوة عاصمة حضر موت: 83، 84، 87، 173.

فلله من يسري ونجرانُ دونه إلى دير حَسْمَى أو إلى دير ضمضم
ثم يقول:

فيا راكبًا إما عرضتَ فبلغنُ قبائلنا بالأخرمينِ وجورمِ
وبلغ أبا الوجناء موعداً قومهِ بحوريتَ تظعنُ راغبًا غيرِ مقحمِ⁽¹⁾

وقد ذكر من المواقع اليمانية الكثير، ومنها (الغور اليمانيّ ومرّان وشبوّة ونجران وضمضم وحوريت) وفي هذا دليلٌ على الحضور اليماني في الشعر الجاهليّ ذلك الحضور الذي يُبين أن للأرض والإنسان صلةً حميمةً بذلك الفن الذي شكّل الذاكرة التاريخية العربية الشاملة للعرب جميعًا ولا يمكن أن يُستثنى منها أحدٌ مهما حاول بعضُ الباحثين استبعادَ اليمنِ من ذلك التراث الذي شارك فيه اليمانيون⁽²⁾..

ويأتي مزاحم العقيليّ (ت 120هـ/ 738 م) ليقول في قصيدةٍ عدد أبياتها (113) بيتًا يذكر فيها (شبوّة) مقرونةً بـ (دُهر) قائلاً:

وبالخیل من أيامهنّ وشبوّةٍ ودهرٍ ومن وقع الصفيح المصقلِ
يقول في مطلعها وما يليه من أبياتٍ مختارةٍ:

خليليّ عوجا بي على الربع نسال متى عهدہ بالظاعن المتحمّل
ولا تعجلاني بانصرافٍ أهجكما على عبرةٍ أو ترقيا عين مَعُولِ

(1) ينظر: الموسوعة الشعرية، عمرو بن أحمر الباهلي، قصيدته الميمية، الأبيات: (1، 8، 12، 13، 27، 28).
(2) ينظر: في الشعر الجاهلي: 67، لمحات من التاريخ والأدب اليمني: 29، في الأدب الجاهلي: 180، 190، النقد التحليلي: 175 - 176، 183، 283 - 284، 287، هذه هي اليمن: 62، الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن: 5، 15، بدايات الشعر العربي: 1، 2 - 3، 5، 26، 40، 45، 52، 55، 57 - 60، 75 - 76، الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور: 9، 10، 11 - 27، 12 - 29، قراءة في أدب اليمن المعاصر: 149، 151، رحلة في الشجر اليمني؛ قديمه وحديثه: 4 - 5 - 17، شعراء العامية في اليمن: 41، 43، 44، 47، ثمرات في شتاء الأدب العربي: 61 - 62، ترنيمة الشمس: 5 - 11، 19 - 45، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام: 87، المستشرقون وآثار اليمن: 606، 979، نقش القصيدة الحميرية، مجلة ريدان: 81 - 99، المعالم اليمانية في الشعر الجاهلي: 212، اليمن؛ مدن الكتابات المسندية: 230، ع/ 1.

ثم يقول:

نطحنُ تميمًا يومَ عرنانَ بعد ما
وأدنين مصفودًا بجيرًا يُقْدنه
وحارثةَ الكنديِّ ذا التاجِ أننا
رُكُنن بسُلْمى والملا كلِّ مركلٍ
جنيبًا متى يستحملِ القومُ يُحمَلِ
متى ما نواقعُ غمرةَ البأسِ نقتلِ

إلى أن يعرِّج على ذكر المواقع اليمانية:

وَنُنْعِمُ وَلَا يُنْعَمُ عَلَيْنَا وَمَنْ يَقْسُ
وبالخيَلِ مِنْ أَيَامِهِنَّ وَشَبْوَةَ
ودهرٍ ومن وقعِ الصفيحِ المصقلِ
ندانا بأندى مَنْ تكلّم نُفضِّلِ

ثم يقول:

فهنَّ يصرفنَ النوى من عالج
إذا عرضتُ مجهولَةً صيهديَّةً
ونجرانَ تصريفَ الأديبِ المذللِ
مخوفٌ رداها من سراپٍ ومغولٍ⁽¹⁾

وقد ذكر من المواقع اليمانية (شبوۃ ودهر ونجران وصيهد المنسوب إليها بقوله: صيهديّة) وقد عرتها أيامُ كَرٍّ وفرٍّ وإقبالٍ وإدبارٍ، وفيها كانت للعقبيلين هاماتٌ تعلو فوق الصهوات وقاماتٌ ترنو نحو الغايات..

وهنالك ذكرٌ لـ (شبوۃ) في بعض الأبيات؛ بيتان منها المقصودُ بها الموقعُ اليمانيُّ، وواحدٌ مقصودٌ به موقعٌ في أطراف العراق، والأبيات هي:

- 1 - بيتٌ لعبد الرحمن بن جهيم الأسديّ (ت؟ هـ) يقول فيه:
عفتُ روضةَ الأجدادِ منها وقد ترى بـ (شبوۃ) ترعى حيثُ أفضتُ لصابها⁽²⁾
- 2 - قال رجلٌ من بني عامر بن عوبثان:
طربتُ وهاجتكُ الحمولُ البواكرُ مقفِيَةً تُحدى بهنَّ الأباعرُ
على كلِّ مهريِّ رباعٍ خميسٍ له مشفرُّ رخوٌ وهادٍ عراعرُ

(1) ينظر: الموسوعة الشعرية، قصيدة مزاحم العقيلي الميمية، الأبيات: (1 - 2، 16 - 17، 22 - 24، 27 - 26، 43، 97).

(2) = : معجم ما استعجم: 3 / 780.

يذكرُ أظعاناً بـ (شبوۃ) بعدما علونَ بروجًا فوقهنّ قناطرٌ⁽¹⁾

3 - ((وقال الأسيديّ شبوۃ في طرف العراق في قول ابن مقبل حيثُ قال:

منعوامابين أعلى (شبوۃ) وقصور الشام بالضرب الخدم))⁽²⁾

ويلاحظ في جميع الأبيات التي وردت فيها (شبوۃ) علمًا جغرافيًا مدنياً حضارياً تؤممه الأقوامُ من شعراء وزعماء قبائل وعشائر وقادة غزوات وساسة حروب وطلاب قرى ونجدة، وهذا كله كافٍ لإبراز هذا المعلم اليمانيّ العربيّ في شعرنا العربيّ الجاهليّ شاهداً على مكانته التاريخية في تاريخ العرب قبل الإسلام..

شبوۃ في التاريخ:

ذُكرت (شبوۃ) في المصادر والمراجع التاريخية الوثقى؛ المصادر المحلية أو العربية أو العالمية، ومما يجدر ذكره أنها قد وردت في مناحٍ ثلاثٍ هي:

- العهد القديم؛ التوراة وفي إنجيلي متي ويوحنا.

- النقوش اليمانية الأصيلة والمخربشات النقشية اليمانية.

- الكتابات اليونانية والرومانية القديمة والكتابات اليمانية والعربية القديمة والوسيطّة والحديثة..

وفي تلك المصادر والمراجع تبرز المكانة المرموقة لـ (شبوۃ) حاضرةً مدنيّةً وعاصمةً لمملكةٍ شهيرةٍ ذكرتها بعض الكتب السماوية كالتوراة وقد ورد اسم المملكة في سفر التكوين (1 / 28) باللغة العبرية بلفظ (هاذارموفيت)، أي؛ (حلقة الموت) ويرى آخرون أنها قد وردت في التوراة بلفظ (حصرموت) بالصاد المهملة أو (حاضرमित)، وتسمى عند استرابون (الشاتراموتيين) أما عاصمتها فقد وردت في التوراة أيضًا على لفظ (سابتاه) ولها أسماء أخرى في المؤلفات الكلاسيكية، وقيل إنّ

(1) ينظر: معجم البلدان: 3 / 323.

(2) معجم البلدان: 3 / 323.

حضر موت سَمِيَتْ باسم بطل لحضور الموت إذا حضر⁽¹⁾، ولعظمة المملكة تأتي أهمية المدينة في المنطقة والجزيرة العربية وفي الآفاق العربية الأخرى وفي الصلات العالمية.. وتُظهِرُها القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية معلماً مهماً في مجريات الأحداث حرباً وتجاراً وفناً ورفاهاً فيما قبل الإسلام، أما ما بعده فقد كانت مثل إحدى المدائن العربية والإسلامية التي غدت أثراً بعد عين..

و يرى بعض الباحثين أن التلال المطلّة على شبوۃ قد سكنت في العصر الباليوليتي (العصر الحجري القديم) إلى (العصر الحجري الحديث) حوالي (4800+400 ق.م)⁽²⁾ وقد أشار الدكتور جواد علي إلى أن تأسيس مدينة (شبوۃ) قد سبق حكم الملك (صدق ذخر بران)⁽³⁾، ويؤرخ لبدء بنائها وتطورها وإبادتها بمراحل ثلاثٍ تبدأ من القرن السابع قبل الميلاد حتّى القرن الرابع بعد الميلاد هي: أ - الازدهار، ب - الانحطاط، ج - الإبادة بعد الحريق الكبير⁽⁴⁾، وقد تخللت تلك المراحل حملاتٌ حربية من مملكة سبأ على مملكة حضر موت وعاصمتها (شبوۃ) في آماذٍ متباينةٍ محددةٍ بالأعوام (115 ق.م، 225 ب.م، 315 ب.م) وقد انتهت تلك الحملات بحريق شبوۃ الكبير في (ق 4 م)، وذلك بقضاء الملك السبئيّ (شمّر يهرعش) على مملكة حضر موت وعاصمتها، وبهذا تعدّ مرحلة أسعد الكامل نهايةً لمرحلة حضارة الجنوب في (ق 4 م)، أي؛ (378 م)، وبدأت مرحلةً أخرى في شبوۃ هي مرحلة (البدونّة)، أي؛ اتخاذ البدو شبوۃ سكناً لهم خلال القرنين (4 - 5 م) ثم جعلوها مستوطنةً بدويةً في (ق 6 م) وأخربوها وبعدها هُجرت⁽⁵⁾، غير أن الإسلام قد اجتذب الكثير من أبناء حضر موت

(1) ينظر: الكتاب المقدس: سفر التكوين: 26 / 10، أخبار الأيام الأول: 20 / 1، معجم البلدان: 2 / 270، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 2 / 129، 130، 157، 372، 373، كنوز مدينة بليقيس: 37، بليقيس امرأة الألعاز: 30، شبوۃ عاصمة حضر موت: 45، 171.

(2) ينظر: شبوۃ عاصمة حضر موت: 26.

(3) ينظر: المفصل، جواد علي: 2 / 152، عن: Hommel, Grundriss, 1, 8, 138.

(4) = : الجديد حول الشرق القديم: 231 - 232.

(5) = : ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل: 59، 61، 65، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:

1 / 489، عن: Scott, p, 195, Philby, tn, Geogr - Journal, 92, PP 127, Anynst, 1933

وقد وفد على الرسول (ص) من الرجال (18) رجلاً، وقد بعث الرسول (ص) كتاباً لأهل حضرموت⁽¹⁾ ((وكتاباً آخر لأقبال شبوثة بما كان لهم فيها من ملك وعمران ومزاهر وعمران وملح ومحجر وما كان لهم من مالٍ بحضرموت أعلاها وأسفلها من الجوار والذمة، الله لهم جار والمؤمنون أنصار؛ إن كنا صادقين))⁽²⁾، وقد قسّم الرسول (ص) اليمن إلى خمسة أقاليم حضرموت واحدٌ منها، وعندما جاء أبو بكر (رض) قسّمها إلى ثلاثة أقاليم حضرموت واحدٌ منها، أما في العهود الإسلامية المتأخرة فقد شكل بعض الولاية دولاً مستقلة كدولة بني زياد وقد ضمت حضرموت⁽³⁾، وشبوثة جزءٌ منه، وظلت مسكونةً بشكل مستمرٍ حتى (ق 18 - 19 م)⁽⁴⁾، وقد رآها هانز هولفريتز مستوطنةً بدويةً في منتصف القرن العشرين⁽⁵⁾.

وقد كانت شبوثة في القرنين الآنفين كغيرها من المدن الأثرية التي هُجرت مدنتها، واستوطنتها بعض القبائل البدوية التي كانت تحتكم إلى الاقتصاد الرعوي القائم على الإنتاج الموسمي المحكوم بعناصر الامتداد الاجتماعي المقيم والمتنقل الذي أصاب المدينة باعتداءاتٍ على مبانيها ومحتوياتها، فضلاً عن حيازتها ومنعها على غيرهم من الوافدين، وقد كان لذلك بعضٌ من المضار وبعضٌ من المنافع.

وفي القرن التاسع عشر اتسع النفوذ البريطاني فتطلع إلى مضيق باب المنذب وميناء عدن فأراد له موطأً قدمٍ، فافتعل قضية السفينة (داريا دولت) وسيطر على عدن

103, Sheba, s, 148 - 149، الجديد حول الشرق القديم: 231 - 232، رحلة أثرية إلى اليمن:

137، شبوثة عاصمة حضرموت: 33 - 34، 101 - 102، 173، المستشرقون وآثار اليمن: 1 / 551.

(1) ينظر: نصب الرؤية: 3 / 450 - 451، الاستيعاب: 2 / 494، 697، الإصابة: 3 / 325، الطبقات الكبرى: 1 / 349.

(2) غريب الحديث للخطابي: 1 / 148، لسان العرب: 8 / 18، (شبا)، ع / 2، تاج العروس: 1 / 8448..

(3) ينظر: الاستيعاب: 3 / 1403، معجم البلدان: 2 / 169، اليمن ماضيها وحاضرها: 196، 196: هـ (1)، 197 - 198.

(4) ينظر: شبوثة عاصمة حضرموت: 26.

(5) ينظر: (هـ / 2)، شبوثة عاصمة حضرموت القديمة: 34.

في (1839 م)⁽¹⁾، وكانت بريطانيا تحرص على تأكيد نفوذها على السواحل وعلى الإمارات والمشايخات في جنوب الجزيرة العربية، وقد عقدت معاهدات مع أمرائها ومشايخها وسلاطينها خلال القرن (19م) وأوائل القرن (20م)؛ كان أولها مع سلطان سقطرى عام (1886 م)، ليكونوا منطقة نفوذ حول عدن لا يسمح لأحدٍ بولوجها⁽²⁾، وقد حاول الأتراك الوصول إلى عدن في 1915 م وردوا ووقعوا اتفاقيةً تسوية، كما هاجم الإمام بعض المناطق بعد جلاء الترك في 1918م، بدءاً من 1920 حتى 1926م، فأجلته بريطانيا عنها، ثم وقعت اتفاقية التسوية في (1934م)⁽³⁾، إلا أن تلك الاتفاقية لم تحلّ الخلافات لذلك أراد الإمام أن يسيطر على (شبوّة) في (1938م) للأسباب الآتية:

1 - شبوّة مدينة قديمة هامة وفيها معابد قديمة وآثار هامة ..

2 - شبوّة منطقة غنية بالبتروول هي وما وراءها من صحاري الربع الخالي ومنطقة نجد مرقدة.

ومن أجل ذلك أرسل الإمام حاميةً أقامت في شبوّة أجلاها البريطانيون وأقاموا فيها مخفرين لعدّها منطقةً تاريخيةً حضريةً، وبعد الحرب العالمية الثانية هادن الإمام خصومه ولم تسفر اتفاقية (1951م) عن حلّ⁽⁴⁾، وبقي الوضع بيد بريطانيا إلى ما قبل استقلال مناطق الجنوب.

شبوّة والعمران المدني:

عرب اليمن أهل تمدنٍ لإنشائهم المدن والقصور والمدارس والهيكل والسدود والصهاريج وسنّهم الشرائع وتأسيسهم الحكومات، وتمدّنهم لا يقلّ عن تمدن

(1) ينظر: الحكم العثماني في اليمن د. أباطة: 331، 337، 342، 347.

(2) = م. ن: 331، تكوين اليمن الحديث، اليمن والإمام يحيى: 60، 284.

(3) ينظر: الحكم العثماني في اليمن: 338، 342، 373، تكوين اليمن الحديث: 294، اليمن ماضيها وحاضرها: 217.

(4) = : اليمن ماضيها وحاضرها: 220، 222 - 223، وقد نصّت المادة (6) على أن ((يكون [الأمر] مفهوماً أنه لا يوجد في الوقت الحاضر في بلدة شبوّة أيّ قوةٍ عسكريةٍ أو هيئاتٍ إداريةٍ)) م. ن: 244.

معاصريهم في آشور وفينيقية ومصر وفارس⁽¹⁾ (3)، وقد كانت المدن تُبنى من الحجارة البازلتية المنحوتة على شكل موشور⁽²⁾ (4)، وفي نحو القرن (8 - 7 ق. م) بدأت مرحلة بناء المدن ذات القواعد الحجرية⁽³⁾، ولأن شبوة تعدّ إحدى المدن الكبيرة والعظيمة ذات المباني الكثيفة فقد أُستعين في بنائها بهياكل تُضاعف القوة والقدرة على الأحمال وليس بما يشاع عن ضخامة أجسام الأقدمين⁽⁴⁾، والموقع الذي بنيت عليه شبوة تبلغ مساحته (60 هكتارًا)، ولا تضاهيها إلا هجر كحلان (تمنع 26 هكتارًا) ومأرب (80 هكتارًا)، أما تمنة والسوداء (نشن) وريبون والبيضاء (نشق) فمساحتهن ما بين (5، 8، 10، 10، 14 هكتارًا)⁽⁵⁾، وقد بنيت شبوة على شكلٍ مربعٍ، وتعدّ إحدى أكبر المدن كثافةً في المباني، ومبانيها تشابه المباني المصرية وهي كثيرة المعابد والقصور، ويفترض بعض الباحثين أنّ عدد المساكن في القرون الميلادية الأولى ما بين (150 - 170) بيتًا داخل الأسوار، في حين يحدّد الأثريون أنّ هناك (83) مبنىً من الحجر الجيري، و(30) مبنىً حجريًا طينيًا، و(50) مبنىً مطليًا، ويحدّدون في المنطقة الغربية (112) قاعدة مبنىً، ووجدوا كذلك ما يقارب (120) ركنَ بناءٍ وأكثر من (100) مبنىً، ويوجد شارعٌ رئيسٌ شماليّ غربيّ جنوبيّ شرقيّ يمتدّ من البوابة الرئيسة إلى المعبد المبنّي على مرتفع العقب، وبعض المباني منعزلةٌ وبعضها متعاقدةٌ مع سور المدينة مشكّلةً شوارع رئيسة للمدينة، وتوجد في المنطقة الشمالية الشرقية مبانٍ يظهر أنها مساكن للحرفيين والعامّة وورش عملٍ وبعضها لم تُعرف هويتها وهي خارج أسوار المدينة، وجاء توزيع المباني على وفق ملكيات الأراضي بما فيها القصر الملكيّ والمعابد، والمباني

(1) ينظر: هذه هي اليمن؛ اليمن عصر ما قبل الإسلام /2 /117.

(2) ينظر: الجديد حول الشرق القديم: 238.

(3) = : الموسوعة اليمنية: 3 /1690، ع /1.

(4) ينظر: مقدمة ابن خلدون: 273 - 274، شبوة عاصمة حضرموت: 169.

(5) ينظر: شبوة عاصمة حضرموت: 169 - 170.

مفصولةً بمساحاتٍ غير منتظمةٍ للمرور، وليس فيها سوقٌ عامٌ⁽¹⁾..

وقد جاءوا بالمرمر من (مَدَاثٍ وَكَلْوَةٍ) على بعد (50) كم من المدينة، واستعملت حجارةٌ مهذبةٌ مصقولةٌ متساوية الأبعاد ملساء منقورة في الوسط، وكذلك استعملت الأخشاب واللبن⁽²⁾.

أما المباني فتقومُ على قواعد حجرية مهذبة متساوية الارتفاع مستطيلة أو مربعة من حجار ضخمة، وارتفاع القواعد يصل إلى ما بين (3 - 5) م، وتتكون من عدّة طوابق ودورها العليا من الطين والخشب، ومبانيها عاليةٌ، والمباني العالية لأناسٍ أقوياء وأغنياء، وطوابقها مشتملةٌ على طابقٍ أرضيٍّ مخصصٍ للتخزين وللأسطبل، وعدّة طوابق للسكن والاستقبال، وهي ذات نوافذ ضيقة، ولها باحات بأعمدة، وأحياناً تتواجد بها صهاريج للمياه، وأغلب مبانيها متعامدةٌ مع سور المدينة مشكلةً شوارع رئيسةً للمدينة، وقد تكون مساحة المبنى الواحد (11) م²، وقد تستعمل ملاجئ، والمباني التي داخل السور لأناسٍ مرفهين، وتلك التي خارج الأسوار لأناسٍ بسطاء الحال⁽³⁾، وفي هذا دليلٌ على المكانة المرموقة للمدينة.

التحصينات الدفاعية :

لتحصين المدن يُختار لبنائها الجزر وقمم الجبال وتُشاد جُدُرٌ في المضيقات والممرات، ومثل هذه التحصينات الطبيعية قد تمتعت بها مدينة شبوة فالهضاب الوعرة المحيطة بشبووة قد شكلت مثلثاً واسعاً يمنح المدينة وسيلة دفاع طبيعية كما تحيط بها التلال التي سُدت ثغراتها بسور المدينة الخارجي، وبين تلك المرتفعات الوعرة يمتد

(1) = : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 5 / 12، 463، عن: آثار معين، د. محمد توفيق: 4، شبوة عاصمة حضرموت: 45 - 46، 49، 52، 58، 124، 128، 170 - 171، الموسوعة اليمنية: 3 / 1691، ع / 2، 1693، ع / 1، 2.

(2) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 5 / 11، عن: H. V. Wissmann. Geogr. Grundlagen, S. 78, Arbien, S. 140، شبوة عاصمة حضرموت: 53 - 54، 55، 56، 171.

(3) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 463، شبوة عاصمة حضرموت: 52، 53 - 54، 55، 61، الموسوعة اليمنية: 3 / 1691، ع / 2، 1692، ع / 2، 1693، ع / 1.

المنخفض المركزيّ ذو المداخل المحصنة المهيأة لاستقبال قوافل الجمال⁽¹⁾، ومع ما لتلك التحصينات الطبيعية من مميزاتٍ حصينةٍ ومنيعَةٍ، ومع كونها من أفضل المدن نظامًا دفاعيًا؛ فإنّ (عم أنس) من قبيلة (صدق ذكر) قد بنى سورها في زمنٍ غير معروفٍ مشكلاً خطأً مزدوجًا من الأسوار على النحو الآتي:

- الأول يحيط بالأراضي المعمرّة.

- الثاني يربط بين المرتفعات عند المنخفضات.⁽²⁾

ولم يقتصر أمر هذا السور على هذه الشاكلة؛ بل سعى مهندسوه إلى مراعاة الوظيفة العملية في تشييده؛ لذلك اهتموا بالوظيفة الدفاعية والجمالية وذلك على النحو الآتي:

- سور المدينة الخارجيّ مبنيّ من الحصى.

- سور المدينة الداخليّ مبنيّ بالحجر الجيريّ المهذب المصقول.⁽³⁾

وإذا احتسبنا الأطوال التي يمتدّ عليها السور لوجدناها (4200) م، يساوي السور الداخليّ منها (1500) م، والسور الخارجيّ منها (2700) م، وهو أطول من الأسوار الأخرى عدا سور مدينة مأرب البالغ (4400) م، والأسوارُ محصنةٌ بالأبراج والأفنية، وقد ذُكرت ثلاثة أبراج وأربعة أفنيةٍ قد رمّمت في الربع الثالث من (ق2م) بأمر الملك (يدع إل بين)، ويشكّل السور خطأً مستقيمًا محيطًا بالمنطقة الغربية وفيه برجان ويوازيه مرتفعات العقب وأطراف وادي المعشار حتى دار الكافر، ثم يسير السور سيرًا جنوبيًا غربيًا وشمالياً شرقياً وينقطع شرقَ القصر الملكيّ عند البوابة، ومن أقصى الشمال يتّجه جنوبًا ليتصل بالطرف الشرقيّ للعقب أسفل قرية المشناة، بعدها يرتبط بالحصن الذي يقع على قمة تلّ هجر، وهناك جُدُرٌ تقع في وادي (أنصاص) جنوب

(1) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 5 / 463، عن: BeItrage. S. 44, 46، الجغرافيا البشرية: 141، شبوة عاصمة حضرموت: 45، 168، 169، الموسوعة اليمنية: 3 / 1690، ع / 1 - 2.

(2) ينظر: شبوة عاصمة حضرموت: 23، 169، 170، الموسوعة اليمنية: 3 / 1690، ع / 2.

(3) ينظر: شبوة عاصمة حضرموت: 58، اليمن؛ مدن الكتابات المسندية: 216، ع / 1.

شبووة⁽¹⁾، وللمدينة ((خمسَةُ أبواب، يقع الباب الرئيس في الجهة الشمالية من المدينة، وتؤدي الأبواب إلى أفنية تكون متجمع الناس، تعلق على جدرانها الأمور الحكومية... كما ينادي الدلالون بما عندهم من خبر أو بضاعة، وتكون الساحات أسواقاً كذلك ومواضع لتنفيذ أحكام القتل أو العقوبات الأخرى))⁽²⁾ وأسوارها وأسواقها تؤكد مكانة المدينة حضارياً.

قصر شقر:

يرد اسم القصر في النقوش اليمينية بالحروف الثلاثة (ش، ق، ر)، وقد اختلف الباحثون في إقرار هذا الاسم على حروفه الثلاثة، أو زيادة حرفٍ من حروف المدّ الثلاثة التي لا تكتب في اللغة العربية الجنوبية ولا تظهر في كتابتها الحركات الثلاث، وهم على اتجاهين فيه:

- اتجاه المستشرقين؛ يستون وجام ومن تبعهم الذين يرونه ملفوظاً بـ (شَقْرَ).
- اتجاه العرب؛ محمد عبد القادر بافقيه ومطهر علي الإيراني يريانه ملفوظاً بـ (شُقَيْر).

ولكلّ اتجاهٍ حُجُجُه المأخوذة من النصوص المدونة نقشاً، أو من القرائن الجغرافية مُهملين الحقائق اللغوية المُشار إليها آنفاً، ولذلك كانت حجج الاتجاه الأول على النحو الآتي:

- 1 - نقوش مأرب والعقلة تؤكد أنه على ثلاثة حروف؛ (شَقْرَ).
- 2 - الكتابة على العملات التي وجدت في حضرموت ووادي جردان وميفعة ودوعن تؤكد ذلك.
- 3 - كلمة (حرب) في العملات القتبانية المسمى بها القصر الملكي في تمنع.

(1) = : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 5 / 463، عن: 48، 44، Beitrage.S، شبوة عاصمة حضرموت: 23، 48، 170.

(2) الموسوعة اليمينية: 3 / 1690، ع / 2. 3 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 5 / 14، شبوة عاصمة حضرموت: 45، 48.

وهم بذلك يرون أن الاسم قد جاء على صيغة الفعل الماضي (شَقَرَ)، ولكن الفعل في اللغة العربية الفصيحة جاء على (شَقِرَ) بكسر عين الفعل، أي؛ القاف، ولا ضمير عليهم لأن العربية الجنوبية خاليةٌ من الحركات ومن المدِّ⁽¹⁾، ولك تقدير ما تراه منها ما لم يمنعك مانعٌ..

أما الاتجاه الثاني القائل بـ (شُقَيْر) اسماً للقصر الملكي فإنهم يحتجون بالأمر الآتية:

1 - أن (شُقَيْر) مأخوذٌ من اسم (جبل شُقَيْر) في أرض قتبان؛ بيحان حالياً.

2 - الاعتماد على الصيغة الاسمية لا الفعلية..

وإذا نظرنا في هذا القول فسوف نجد له نظيراً في العربية الفصيحة مما يُسمّى به ف (شُقَيْر) صَرَبٌ من الحرباوات والجنادب، و(شُقَيْرٌ) اسمٌ أيضاً⁽²⁾، وهو آتٍ على الوزن التصغيري للفظ (شَقِر)، ويُسمّى بهذه الصيغة التصغيرية..

وهذان الاتجاهان كلٌّ منهما يدّعم حكمه بلفظةٍ مُسمّى بها؛ الأول بـ (حرب) والثاني بـ (شُقَيْر)، واللفظان يتطلبان تأكيداً واقعيّاً وتاريخياً لهما، لأن (حرب) يمكن أن يكون (حُرَيْب) أو غيرها، وكذلك (شُقَيْر) يمكن أن يكون (شقر أو شقور) أو غيرهما، والأفضل أن يكون على حروفه الثلاثة (شقر) حتى يأتي دليلٌ يُقرّر أحدَ اللفظين.

أما تاريخ القصر فلا يوجد دليلٌ قاطعٌ يحدّد الزمن الذي بُني فيه ذلك القصر، وقد ((أظهرت الحفريات أن تاريخ قصر شبوة قديمٌ ومعقّدٌ حيث أحدثت فيه الكثير من التغييرات والإضافات... إلّا أنها لم تحدث تغييراً جذريّاً... خلال القرون))⁽³⁾، كما أنه قد شهد كثيراً من أعمال البناء المتكررة⁽⁴⁾، وتلك المباني البرجية قد عُرفت في

(1) ينظر: العين: 233، 2 / 1، تهذيب اللغة: 242، 5 / 1، 4، لسان العرب: 417، 13 / 8، شبوة عاصمة حضرموت: 99 - 101، المستشرقون وآثار اليمن: 551، 988.

(2) ينظر: لسان العرب: 417، 13 / 6، 12، تاج العروس: 475، 20 / 18، 20، المستشرقون وآثار اليمن: 551، 988.

(3) شبوة عاصمة حضرموت: 62.

(4) ينظر: م. ن: 105.

(ق 6 - ق 5 ق. م)، ولكن النقوش اليمنية كنقش (شُعْبِ الليل) يؤكد نقل الحجارة للبناء من (شُعْبِ الليل) في عام (350 ق. م) تقريباً، وأن شبوۃ كانت مقرّاً لملوك حضرموت وأن سكنهم فيها كان منذ القرن (4 ق. م)⁽¹⁾، وأن الملك الحضرمي (يدع إل بن ربّ شمس) أسس القصر الملكي (شقر)، ومن المؤكد أن أسرة (إلغزيط) الملكية قد سكنت القصر وكذلك أسر ملوك حضرموت في القرون الأولى للميلاد، واستمرّ تعاقب السلالات الملكية الحضرمية على سكنى القصر في (ق 3 م) وقد سكنته الملكة (ملك حلك) زوجة الملك (إلغزيط)، ويرجح أن الملكين (يدع إل بين) و(إل ريام يدم) من قبيلة (يُهاَبر) عادا إلى القصر بعد نهبه عند هجوم السبئيين عام (225 م)، وظلّ القصر موجوداً ما بين (ق 5 - 6 م)⁽²⁾.

والمواد التي بُنيَ منها القصر هي الحجار الجيرية المستجلبه من (شُعْبِ الليل) ومن الطبقات العليا المسطحة المحيطة بالوادي، وكذلك البلاط المأخوذ من الحجارة الجيرية على أشكالٍ مستطيلةٍ رُصّت على نمطٍ متوازٍ، والأخشاب يُؤتَى بها من مناطق في حضرموت⁽³⁾، أما الطلاء فقد يكون من المواد الجيرية البيضاء اللينة المأخوذة من الصخور المحيطة بالمدينة.

أما موقع القصر فقد أختير بعنايةٍ محكمةٍ فهو يبعد (20 م) تقريباً عن السور الجنوبي الغربي للمدينة، ويقع عند بوابة المدينة البالغ اتساعها (40,10 م)، وهذه البوابة متحكمةٌ في مدخل الباب الشمالي للمدينة والشارع الرئيس الشمالي الجنوبي⁽⁴⁾، ولهذا الموقع مكانته من الناحية الدفاعية.

وتعدّ العمليات التقنية الخاصة بالقصر من أفضل الأعمال التقنية في الجزيرة العربية فالمبنى قصرٌ برجيّ مركزيّ ضخّمٌ ذو مبنيينٍ ولهما أروقةٌ، وباحةٌ مبلّطةٌ مرتفعةٌ

(1) ينظر: م. ن: 105، 171.

(2) ينظر: م. ن: 29، 100، 105، 171، تاريخ اليمن القديم: 41، 106، 107، 108، الشرق الأدنى القديم: 600، بلفيس امرأة الألغاز: 27، 86، أنبياء مصر وأنبياء السامية: 55.

(3) ينظر: شبوۃ عاصمة حضرموت: 29، 56، 58، 66، 75، 171.

(4) ينظر: م. ن: 99.

عن مستوى الشارع الرئيس للمدينة بمقدار (5 م) محاطةً من جوانبها الثلاثة بمبانٍ واطئةٍ والمبنى المحيط بالباحة يرتفع فوقه طابقٌ وله قاعةٌ مغطاةٌ ذاتُ سقفٍ بصناديقٍ وفرجاتٍ واسعةٍ على الباحة كل واحدةٍ من هذه الفتحات تشتمل على عمودٍ مركزيٍّ مزيّنٍ بزخارفٍ نباتيةٍ يعلوه تاجٌ تزيّنه عنقاء برأس أسدٍ ذي قرنين⁽¹⁾.

المبنى الرئيس :

يتكون من عدّة أدوار قد تكون ثلاثة أو أربعةً فوق الدور الأرضي على وفق وصف الأقدمين وكمية المواد المهدامة منه وسيبقى تحديد الأدوار غير معروفٍ إلى الأبد، وهو الأكثر ارتفاعاً في المدينة وترتفع قاعدته الحجرية (50,6 م) وتوجد في كل جهة من الممرات ستّ حجراتٍ ضيقةٍ وتتصل ببعضها بممراتٍ ضيقةٍ، والدور الأرضي غرفه مخصصةٌ للمخازن، وأدواره العليا أجنحةٌ ملكيةٌ للسكن الملكي والضيافة والاستقبال، ويعدّ هذا المبنى السكن الرئيس للعائلة الملكية، ولم يبق منه إلا الدور الأرضي وهو مبني على طول الجهة الجنوبية للساحة التي يحيط بها المبنى الفرعي على شكل حذوة الحصان من الشرق والغرب والجنوب ويتصل جناح المبنى الفرعي بالمبنى الرئيس ولا يقصّله عنه إلا المدخلان للساحة والقصر..

المبنى الفرعي :

شكله يشبه حذوة الحصان تقابل الواجهة الأمامية للمبنى الرئيس بفتحتها، وهو مبني على طول الجهة الجنوبية للساحة، وقاعدته حجريةٌ وهو عالٍ، ويتكون من طابقين هما الطابق الأرضي له أروقةٌ والطابق العلوي، وجناحه الشرقي والغربي مقسّم على حجراتٍ صغيرةٍ تتصل ببعضها، وله فناءٌ مغطى ببلاطاتٍ مستطيلةٍ من الحجر الجيري، وربما كان للجناح الشمالي التقسيم نفسه عدا وسطه⁽²⁾.

(1) ينظر: م. ن: 105، الموسوعة اليمنية: 3/ 1693، ع/ 2.

(2) ينظر: شبوة عاصمة حضرموت: 62، 62 - 65، 65 - 66، 69، 73، 75، 77، 99، 100، الموسوعة اليمنية:

3/ 1693، ع/ 2.

ملحقات القصر:

للقصر ثلاثة ملاحق اثنان من الملاحق روحيان متصلان بالعبادة هما: معبد في القسم الأول من المسطبة الملحقة بالقصر ومذبح على شكل يوناني روماني في الزاوية الجنوبية الشرقية؛ قائم على أعمدة الزوايا، والملحق الثالث مادي؛ صهريج لحفظ المياه في القسم الثاني من المسطبة التي يقع عليها المعبد⁽¹⁾، ويظهر في الملاحق التعاطي الحضاري بشقيه الثقافي والمدني الممثلين في المعتقد والفن والعمران الراقي..
قصر شعبان:

هنالك قصر ملكي آخر يُدعى (شعبان) في (شعب الليل)، ذُكر في نقش يعود إلى (ق 6 ق. م)، جنوب غرب المدينة، ولا توجد معلومات تُبين حجم القصر وأدواره.⁽²⁾
حصن أنود:

ذلك الحصن مربع في بنائه، ولم يُعثر منه على شيء عدا خربة، ويشرف على وادٍ متصل بتلال شبوة، وأمامه تقام مراسيم تتويج الملوك منهم إلز يلط، واستمر هذا التقليد حتى (ق 2 ب. م).⁽³⁾

الأثر المحلي والخارجي:

يظهر في القصر أثران أحدهما محلي والآخر خارجي، ويظهر الأثر المحلي في الألواح الحجرية المنقورة ذات الحواف الملساء وكذلك النوافذ المزينة، ورؤوس الوعول والزخارف الهندسية مع أشكال نجمية محيطية بالنوافذ وفي المقاعد الحجرية والأعمدة المثمنة الأضلاع في الرواق تعلوها ألواح خشبية بصفين من المسننات وفي أسفل كل عمود مزارب حجري ينتهي برأس ثور، أما الأثر الخارجي فيظهر في الأشكال والرسوم التي تعود إلى الحضارات الفارسية واليونانية والرومانية والتدمرية

(1) ينظر: شبوة عاصمة حضرموت: 66، 67.

(2) ينظر: اليمن؛ مدن الكتابات المسندية: 217، ع/ 1 - 218، ع/ 3.

(3) ينظر: المفصل لجواد علي: 2/ 142 - 145، 147 - 148، 150 - 151، 157 - 158.

والقبطية، وتظهر الآثار الفارسية في القواعد العالية والألواح الحجرية واللوحات المرسومة، والآثر اليوناني والروماني يظهر في زخرفة الأعمدة الجيرية في ستّ واجهات في كلّ منها زخارف لكروم وعناقيد عنبٍ وعلى تاج العمود حيوانٌ خرافيٌّ (أسدٌ مجنحٌ ذو قرنين) ترتفع قائمتاه الأماميتان فوق جرّة، والأعمدة وتيجانها مطليةٌ باللون الأحمر وهناك لوحاتٌ جداريةٌ منها لوحةٌ فيها صورة امرأةٍ بخمارٍ أبيضٍ وتُرى تفاصيلُ ثوبها وحليها، ولوحةٌ أخرى فيها صورة رجلٍ ممسكٍ بلجامٍ حصانٍ ولوحاتٌ صغيرةٌ عليها رسوم حيواناتٍ مائيةٍ ووجوه، وألوانها ما بين الأحمر والأسود والأزرق والأصفر والأخضر والبنّي وتوجد واجهتان متقابلتان فيهما خشبٌ محفورٌ يشبه المشربيات، وتوجد قطعٌ برونزيةٌ ليد امرأةٍ في حجمها الطبيعيّ وقوائم خيلٍ وأجزاء لتمثيلٍ بشريةٍ وحيوانيةٍ وقطعٌ برونزيةٌ مقرّضةٌ على صفائحٍ مقسمةٍ إلى لوحاتٍ مربعةٍ على كلّ لوحةٍ أسدٌ واثبٌ وحيوانٌ مجنحٌ ووعلٌ وحصانٌ ورامي سهام، ومن التماثيل قطعةٌ لشخصٍ يحمل خنجرًا في صراعٍ مع نمرةٍ واثبٍ، وهناك تمثالًا النخلة الحمراء البرونزيان، وهناك قطعٌ عاجيةٌ وزجاجيةٌ عليها رسومٌ مختلفةٌ بألوانٍ متغايرة⁽¹⁾، أما الأثر التدمريّ والسوريّ فيظهر في النحت النافر والتماثيل المواجهة للمتفرج ونحت غصينات الكروم في خطوطٍ مستويةٍ وهناك الصناديق الخشبية المطعمة بالعاج المنحوت، والرسوم النسائية التي يظهر فيها تصنيف الشعر والكوفية والخمار، ويظهر الأثر القبطيّ المصريّ في الزخرفة على العاج والأحجار الجيرية والصناديق الخشبية المطعمة بالعاج وكلّ هذا تظهر عليه الأقواس والعصيات والمسننات والزخرفة النباتية الملتوية الأوراق والزخرفة الهندسية والزخرفة المخرمة والأقواس المحببة والفسيفساء وغيرها من الفنون⁽²⁾، ويظهر أن هذه الآثار الخارجية كانت مُبدعةً بأيدي فنّانين يونانيين ورومانيين ومن شرق البحر الأبيض المتوسط كانوا يقدون على شبوة، وكان ذلك كلّه في زمنٍ مبكرٍ من تاريخ اليمن⁽³⁾.

(1) ينظر: شبوة عاصمة حضرموت: 79 - 87، 92، 94، 97.

(2) ينظر: م. ن: 82 - 87، 90، 92، 96، 97، 98.

(3) = م. ن: 83، 84، 87.

وقد تعايش الأثران المحليّ والخارجيّ في زمنٍ مبكرٍ من تاريخ اليمن، وبعض الفنون معروفةٌ في اليمن القديم، وبعضها يعود إلى مرحلةٍ أكثرَ قدمًا، وهناك مَنْ يُعيدُ بعض الآثار الفنية إلى قرونٍ مختلفةٍ في (ق1م) وأخرى في (ق2م) وغيرها في (ق3م) وسواها في (ق4م) وخلافها في (ق5م)، وبعضهم يراها قد استمرت طيلة المرحلة الحميرية، وقد تمازجا وأخذ الفنّ اليمنيّ من الفنّ القادم شيئًا من اللمسات وأضاف إليها سماتٍ محليةً، وليس أدلّ على ذلك من تمثالي النخلة الحمراء البرونزيين اللذين كان عليهما توقيع (فوكاس الرومانيّ) و(لحيّ اليمنيّ)⁽¹⁾، وفي هذا تأكيدٌ على التلاحح الفنيّ بين الشعوب والأمم.

تدمير القصر وترميمه :

عُرِفَت المباني البرجية المركزية فيما بين (ق6 - 5 ق م)، والقصر منها، وقد شُيّد ببناءٍ متكررٍ خلال العديد من القرون، ولكن تهدمه وتدميره يعود إلى عاملين هما:

1 - عوامل طبيعية:

أ - هزّة أرضيةٌ أثرت في بعض أجزاءه شرقًا وغربًا في (ق3م).

ب - حريقٌ هائلٌ حطّم الأبنية يعود إلى (ق5 - 6م).

ج - الهدم المنظم بعد هجره في (ق5 - 6م).

2 - عوامل سياسية:

هجومُ الملك السبئيّ على شبوة وقصرها في (225م) وقتلُ ابن الملك الحضرميّ (العزبلط) ووزرائه ونوابه وأقيال المدينة ورؤسائها وأسيادها، ونهبوا ما في القصر، ودمروه.

وقد قام الملكان الحضرميان (يدع إل بين وإل ريام يدوم) بإصلاح ما تخرب، وذلك في (ق3 م)، ويشار إلى أن الملكين من (أحرار يُهبئر) وليسا من السلالة

(1) = م. ن: 83، 84، 86، 87، 88، 90، 98، 103، 104.

المالكة، و(أحرار يُهبئ) هم الذين قاموا بثورةٍ ضدَّ الملك (إلغزيط)، وقد بقي القصر بعد حرقه وتهديمه في (ق 5 - 6 م) مهدمًا مهجورًا⁽¹⁾.

سكنى شبوثة:

سُكنت شبوثة منذ تاريخ بعيدٍ قبل الكتابة التذكارية في العصر الحجري القديم، وقد وُجِدَت لقيٌّ أثريةٌ من العصر الحجري الحديث (4800 + 400 ق. م)، وإذا افترضنا أن هناك في القرون الميلادية الأولى (150 - 170) بيتًا داخل الأسوار على أن البيت الواحد يسكنه عشرة أشخاص في المتوسط فإن شبوثة لن يتعدى سكانها أكثر من ألفي نسمة، ويظهر أن الحضارم قد سكنوا شبوثة بعد خراب (بُريرة) واستقروا فيها وخضعت لحكم ملكهم (صدق ذخر يرم) قبائل (مرثد وأذهن وينعم)، وكان سكن الحضارم فيها قبل وصول السبئيين إليها، وكانت شبوثة محلَّ إقامة المَلِك، ولكن بعد احتراب (حمير ومذحج) خرج أهل شبوثة منها وسكنوا في حضرموت وبهم سُميت (شيام)، وعندما وصل السبئيون إلى شبوثة استقر بعضهم فيها، واستمرت الهجرة السبئية نحوها مؤسسين محطةً في بئر (حمد)، ومعبدًا لهم من أجل حماية مدخل وادي حضرموت⁽²⁾.

وبعد ذلك سكن شبوثة الأشباء والأيزون ثم صُداء ورُهاء، ثم سكنها البدو بين مستقرين حينًا ومرتحلين حينًا آخر، ويتضح من الكشوف الأثرية أن المكان ظلَّ مسكونًا حتى (ق 18 - 20 م)، وفي العقد الخامس من (ق 20 م) كانت قبائل (الكرب) تسيطر أفخاذها على المدينة وتهاجم مَنْ يقترب منها، وتملك عائلة (البريقي) [البريكي] قسمًا من المدينة، وتضمُّ العائلة عددًا من الشيوخ الذين اشتغلوا منذ قرونٍ عديدة بسدانة، أي؛ خدمة الأماكن المقدسة، وغدت المدينة مستوطنةً بدويةً مهجورةً⁽³⁾.

- (1) = : تاريخ اليمن القديم: 40، 107، شبوثة عاصمة حضرموت: 32 - 33، 100، 102، 103، 104، دراسات في العلاقات اليمنية الحبشية: 47، المستشرقون وآثار اليمن: 551.
- (2) ينظر: صفة جزيرة العرب: 199، معجم البلدان: 3 / 323، المفصل: 2 / 152، شبوثة عاصمة حضرموت: 20، 27، تاريخ اليمن القيم: 45، الموسوعة اليمنية: 3 / 1689، ع / 2.
- (3) ينظر: صفة جزيرة العرب: 222، معجم البلدان: 5 / 67، كنوز مدينة بلقيس: 45، اليمن من الباب الخلفي: 77، شبوثة عاصمة حضرموت: 26، الموسوعة اليمنية: 3 / 1689، ع / 1.

المقابر:

تعود الثقافة الجنائزية والتذكارية في حواضر جنوب الجزيرة العربية إلى القرن (6 ق. م) وربما قبله⁽¹⁾، ولقدّم ذلك فإن صاحب معجم البلدان يقول: ((والصحيح أن قبره [قبر النبيّ صالح (ع)] باليمن بشبوۃ... والله أعلم))⁽²⁾، والمقابر حُدّدت مواقعها في الأماكن المسماة (قارة الفيّران والبريك) في منحدريهما، وفي التلال الشرقية وأسفل تلّ خليف الفرضة داخل أسوار المدينة مقابل النويدرة، ويوجد في قارة الفيّران أكثر من ثلاثين قبراً حُفرت في الصخور، والمقابر نوعان:

- غرفٌ بأحجام مختلفة.

- كهوفٌ كبيرةٌ.

والقبور تحفر في الجبال الصخرية ويكون مدخلها كهفًا، ومنه يتجه مدخل المقابر الأكثر تعقيدًا وفي المقابر صالاتٌ ومدافن تحت الأرض ورفوفٌ متعاقبة؛ الواحد منها فوق الآخر، وهناك قبورٌ أخرى تتكون من مدخل مبنيّ من الحجارة ومن بهوٍ بُنيّ من الخشب يؤدي إلى غرفتين على مستويين متفاوتين، وأمام مدخله ساقيةٌ وحوضان، وقد تكون مداخل قبورهم ليست كهوفًا، بل تنوءات بارزة في الجبال ومن الأقوال في نحت الصخور: 1 - الصخورُ تلين بعد كل ألف عام وتصير رملاً وبعد ألفٍ أخرى يصير الرمل صخرًا.

2 - إلانة الحجر لهم في كلّ سنةٍ شهرًا واحدًا فقط. 3 - عملٌ من أعمال الجبارين. 4 - نحتٌ عفاريت من الجن. 5 - سيف عمرو بن ودّ العامريّ الغائص في الحجر كالغائص في الجُبْن. 6 - الاستعانة بخشبة أخذت من (فردوس الله شرق عدن)، وهناك قبورٌ في كهوفٍ كبيرة، وقد عُثِرَ في تلك القبور على أشياء خاصة بالمقبور؛ تحليلها التاريخي يرجعها إلى (ق 4 ق. م، وق 1 م)، وقد أفرغت تلك القبور من محتوياتها، ويستخدمها الأهالي اليوم مخازن⁽³⁾.

(1) ينظر: شبوۃ عاصمة حضرموت: 18.

(2) 4/ 403، ويورد أقوالاً أخرى تقول إنه في (قنسرين) أو في (مكة)، م. ن.

(3) = : مقدمة ابن خلدون: 273 - 274، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز: 20، 21، 27 - 28،

المعابد:

لقد ارتبطت المعتقدات في اليمن بالسماء في شمسها ونجومها وأقمارها، ((فقد ترتب على صفاء سمائها في أغلب أحوالها، وتطلع أهلها إلى صيب السماء وأمطارها، واعتماد قوافلهم السارية على هداية القمر والنجوم، أن اتجه تدينهم إلى السماء أكثر من غيرها، وحاولوا أن يتقربوا من القوى المتحكمة فيها، وجعلوا القمر والشمس والشعري على رأس أربابهم العديدين))⁽¹⁾، ويرجع تاريخ بعض المعابد اليمنية إلى القرن (8 أو 7 ق. م) في حين نشأت المعابد في المدن المرتبطة بطرق التجارة منذ (ق 1 ق. م)⁽²⁾، ويرى بعض الباحثين أن الكيان السامي الأول على نهر الفرات في الألف الثالثة قبل الميلاد قد احتضن معبودًا يمينيًا قديمًا هو (عشتار)، ويرى سترابون أن الإله اليوناني (زيوس) والإله الروماني (أورانوس) إلهان ساميان أو عريبان. جنوبيان، وقد ظهرت صورة الربة (أثينا) في عملاتهم⁽³⁾، وقد كانت هناك تأثيرات مسيحية في المناطق القريبة من شبوثة⁽⁴⁾، وشبوثة من المدن الغنية بالمعابد القديمة⁽⁵⁾، وكان الإغريق والرومان يظنونها حافلة بروائع المعابد والقصور⁽⁶⁾، وفيها (60) معبدًا أو هيكلًا، وبعضهم

30، 31، 108، 176، 200 - 201، 240، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة: 56، دراسات

تاريخية في العلاقات اليمنية الحشبية: 64 - 65، 66، 67 - 68، شبوثة عاصمة حضرموت: 24، 51،

52، 129، 138، 141، 157، المستشرقون وآثار اليمن: 983، 991

(1) الشرق الأدنى القديم: 1 / 19، وينظر: اليمن من الباب الخلفي: 75 - 76.

(2) ينظر: اليمن ماضيها وحاضرها: 99، 110.

(3) ينظر: شبوثة عاصمة حضرموت: 162، 163، مهد الساميين 130، 131.

(4) جاء في بعض المصادر والمراجع: أنه قد ثبت للقديسة (هيلينا) أن الحكماء الثلاثة قد وفدوا من (عزان

حضرموت) إلى بيت لحم في زيارتهم التاريخية للسيد المسيح، ثم لمهد السيد المسيح، وقد ورد هذا

في (إنجيل متي)، وفي رواية أخرى أن اليمن هي البلاد التي خرج منها ((ملوك الشرق الثلاثة)) الذين

ذهبوا ليقدموا فروض الولاء للوليد الطفل [عيسى بن مريم] الذي بُعث لإنقاذ العالم، ووجد في

(يشبم في هجر نعب)؛ ربما: [هجر الناب] تصويرات معدنية حميرية للسيد المسيح مصلوبًا، وفي

(هجر امذيبة في ضرا) في أحد القبور وُجدت مغرفة فيها دوائر وسطها (الصليب)، ينظر: اليمن من

الباب الخلفي: 14، رؤيا شمّر: 167، 168، 176، المستشرقون وآثار اليمن: 782، 847.

(5) ينظر: اليمن ماضيها وحاضرها: 222، شبوثة عاصمة حضرموت: 45، المستشرقون وآثار اليمن: 992.

(6) = الموسوعة اليمنية: 3 / 1689، ع / 1.

يوصلها إلى (65) معبدًا أو هيكلًا، وقد نقلت النقوش أسماء المعابد والهيكل، وذكرت أكثر من (100) إله⁽¹⁾، ومن المعابد (هو شعبان، وأليم ومعبد الإله سين في نهاية الشارع الرئيس) وغيرها، ومن الإلهه (سين الإله الأكبر والرئيس لحضرموت والإله علم وعثر وذات حشول وذات حميم) وغيرها من الإلهه⁽²⁾، وكانت عبادة الكواكب تقوم على الثالوث المعروف عندهم بالإله الأب (القمر)، والإلهة الأم (الشمس)، والإله الابن (عطارد)، وهذا الإله هو (إلمقه) و(ذات حميم) وذات بعدان) و(عشتر)، وكانت هناك آلهة أخرى للقبائل والعائلات، وقد كانت للمعابد والهيكل ملحقات من الحقول والحدائق والأرقاء الذين يخدمون المعابد وطائفة من النساء اللواتي يقدمن أنفسهن في بعض الطقوس لزوار المعبد⁽³⁾، وفي هذا التراث الروحي المادي دليل آخر على المكانة السامقة لهذه المدينة العريقة.

التجارة:

تعدّ شبوة المحزن الأول للبخور والمر واللبان والمركز الرئيس لتجميع السلعة المقدسة والتمينة والأكاسيا والعناب وتربية النحل في المنطقة قديمًا، وفيها مناجم للملح، ويرى بعضهم أن المدن اليمينية مغرقة في الثراء، واحتكار تجارة الذهب والأحجار الكريمة والعاج، وقد نهب كثير من التماثيل الذهبية للإله (إلمقه) وغيره أثناء الغزو السبئي للمدينة، ولما للمر والبخور واللبان من أهمية نورد الحقائق الآتية:

1 - جاء في الإنجيل: أن جسد السيد المسيح قد لُفّ بخليط من المرّ والعود في كفنه.

2 - أن الملكة (حتشبسوت) كانت تدلك ساقها بزيت اللبان.

(1) = : هذه هي اليمن؛ اليمن عصر ما قبل الإسلام: 127، 164، كنوز مدينة بلقيس: 180، تاريخ اليمن القديم: 47، شبوة عاصمة حضرموت: 45، 46، 162.

(2) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 2/ 146، 152: عن: H omen , Grundriss. 1. 8. 130، هذه هي اليمن؛ اليمن عصر ما قبل الإسلام: 162 - 163، اليمن ماضيها وحاضرها: 102، رؤيا شمّر: 84، شبوة عاصمة حضرموت: 27، 28، 46، 162، 163، تاريخ اليمن القديم: 48، 49، المستشرقون وآثار اليمن: 844، 847، دراسات تاريخية في العلاقات اليمينية الحبشية: 21.

(3) ينظر: هذه هي اليمن؛ عصر ما قبل الإسلام: 162 - 163، اليمن ماضيها وحاضرها: 102، شبوة عاصمة حضرموت: 162، 163.

- 3 - جاء في التوراة: أن (أستير) بطلة السبي اليهودي عَطِرَت بزيت اللبان والمرّ لمدة ستة أشهر قبل إدخالها عالم الحريم.
- 4 - استعمال البخور واللبان في المجال الطبيّ.
- 5 - استعمال المر والبخور واللبان في المعابد والهيكل عند ممارسة الطقوس الدينية.⁽¹⁾

الطرق التجارية :

تتميز المدينة بطرقٍ ثنائية الغاية، ويكون ممرّها واحداً ومنفذها ثنائياً أو العكس من ذلك، ومن تلك الطرق:

- 1 - طريق وديان وادي حَجْرِ المؤدي إلى: أ - المحيط الهندي. ب - إلى رخية في قلب حضرموت.
- 2 - الطريق البري المؤدي إلى: الشمال الغربي إلى نجران وإلى الجنوب الغربي إلى تمنع.

3 - = البحري = : عدن من ناحيةٍ وسمهرم من أخرى.

4 - = المؤدي إلى حضرموت من ممرّين هما: ممرّ عقيبات وممرّ فتورة.⁽²⁾

وهناك طرقٌ أخرى مفردةٌ من شبوة وإليها؛ منها:

- أ - من شبوة إلى مأرب، ب - من قنا إلى شبوة، ج - من عدن إلى شبوة، د - من المخا إلى شبوة، هـ - من همربان إلى شبوة..

(1) ينظر: التوراة: سفر (أستير) (2 / 12)، إنجيل يوحنا (19 / 39 - 40)، تاريخ هيروديت: 265، صفة جزيرة العرب: 199، معجم البلدان: 3 / 323، الجديد حول الشرق القديم: 236، تاريخ الأباطورية الرومانية: 76، هذه هي اليمن؛ اليمن ما قبل عصر الإسلام: 178، اليمن ماضيها وحاضرها: 97، 112، بلقيس امرأة الألباز: 36 - 37، كنوز مدينة بلقيس: 197 - 198، اليمن من الباب الخلفي: 117 - 118، رحلة أثرية إلى بلاد اليمن: 8، 102، 137، 142، شبوة عاصمة حضرموت: 168، 174، تاريخ اليمن القديم: 45، 104، 105، 107، الموسوعة اليمنية: 3 / 1689، ع / 1 - 2، 1690، ع / 1 - 2، مهد الساميين: 98، المستشرقون وآثار اليمن: 992.

(2) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 2 / 518 - 519، شبوة عاصمة حضرموت: 22، 25، 173، 174، الموسوعة اليمنية: 3 / 1690، ع / 2.

وهناك الطريق التجاري الرئيس الذي ينطلق من شبوة إلى غزّة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ذهاباً، ومنها إلى شبوة إياباً وكلاهما عبر مأرب.⁽¹⁾ ولا شك أن مدينة تتمتع بهذه المميزات ستؤدّي مهاماً جساماً في الأدوار الحضارية المختلفة..

المعاملات التجارية :

تتميز شبوة أيضاً بنظام إداري صارم مفاده أن المدينة قد أظهرت مهارة في التبادل التجاري المتميز في الاستيراد للمنتجات اليونانية والرومانية من منافذها على شواطئ البحر الأبيض المتوسط الممثل في الفخار والمصاييح والجرار والزجاج، وقد أخذت في تقليد ذلك الفن، أما التعاملات الداخلية فهي محكومة بالقوانين الآتية:

- 1 - للجمال المحملة باللبان مدخل واحد مفتوح لها، والدخول من باب غيره جريمة يعاقب الملوک مرتكبيها بالموت.
 - 2 - تجارة السلع المقدسة كالتوابل والبخور لا يجوز أن يتجر فيها كل إنسان، بل هي قاصرة على ثلاثة آلاف عائلة من الأشراف.
 - 3 - تجار السلع المقدسة من الأشراف يدفعون عنها زكاة لمعبد شبوة.
 - 4 - عدم السماح بالبيع لتلك السلع قبل أخذ حق الإله (سين).
 - 5 - أخذ الكهنة حق الإله (سين) على تلك السلع بمقدار العشر منها.
 - 6 - حمل الجمل الواحد ثمنه درهم واحد⁽²⁾..
- وفي هذه المعاملات إثبات للحق الحضاري المتقدم لهذه المدينة..

(1) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 2 / 135: عن: P hilby , Three new Inscription from Hadramaot , In Jurna. Astat. Soc. 1945 , Beitrage , S, 106. 157: عن: Beitrage , S, 108. 5 / 20: عن: Arabien. S. 145. 7 / 212 - 213، هذه هي اليمن؛ اليمن ما قبل عصر الإسلام: 43، رؤيا سمر: 9. تاريخ اليمن القديم: 56، المستشرقون وآثار اليمن: 968، 991.

(2) ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، الموسوعة الشعرية: 2986 / 1699، 21975، هذه هي اليمن؛ اليمن عصر ما قبل الإسلام: 124، شبوة عاصمة حضر موت: 45، 175.

الزراعة:

مارست شبوة الزراعة المروية في قرونٍ متقدمةٍ (ق 2 ق. م) لوقوعها عند مخرج شبكة المياه القادمة من المنحدرات الجبلية الشديدة الانحدار، وقد انتظمت منشآت الريّ التي تتيح استثمار المياه والأراضي الكائنة على التلال السفحية عند حافة الصحراء المحيطة بها مفازةً (صيهده) من الجنوب والغرب، وهذا يمكنهم من إرواء الحقول عند تلك التلال، ويقول جواد علي إنّ في خرائب شبوة بقايا (سدّ) وشبكةً من القنوات والأفنية والمجاري الموصّلة للمياه إلى الأراضي الخصبة، وهناك خمس منشآتٍ للريّ في أعالي الحقول للسيطرة على المياه وهي مطمورةٌ، وهناك منشآتٌ مندثرةٌ في مجرى الوادي وأطرافه، ومن تلك المنشآت مغلاقٌ ضخّمٌ عمِلَ أعلى المناطق المروية في (ق 2 ق. م) ورُمِّمَ في (ق 1 ق. م) وفي مرحلة الاستيطان الثالثة جاء المغلاق الدائريّ، وهناك قناةٌ على طول الجهة الشرقية لشبوّة بناها الملك (العزيلط) بوساطة قبيلة (رضوان) من (شكيم) وتاريخها في (200 م)، كما ظهرت منشآت ريّ صغرى، أي؛ مغلاق لكلّ حقل، وتوجد أعمالٌ ريّ في وادي عمّاقين، ويُذكر أنه قد زُرِعَتْ فيها الأكاسيا والعُنّاب ومزروعاتٌ أخرى، وتتبعُ الزراعة تربيةً الحيوانات المختلفة.⁽¹⁾

متطلبات الحياة المدنية

عملات شبوة المسكوكة:

كانت الجزيرة العربية معاصرةً لعصر بداية المعادن من وجهين:

- 1 - مجاورة بعض أطرافها لشيء جزيرة سينا؛ المورد الرئيس لمعدن النحاس في مصر.
- 2 - الصلة الحضارية بين مصر والعراق وانتفاع أطراف الجزيرة العربية منها.

(1) ينظر: اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة: 55، شبوة عاصمة حضرموت: 23، 35، 38 - 43، الموسوعة اليمنية: 3 / 1690، ع / 1، المستشرقون وآثار اليمن: 968.

والعملات التي وجدت في شبوة عملاتٌ برونزية أو فضية أو ذهبية (ألكتروم) وهي مضروبةٌ أو مصبوبةٌ في قالب، ويغلب على رسومها رأس ثورٍ وكلمة (سين) وفي الوجه الآخر اسم القصر الملكي (شقر) ووجدت منها قطعٌ في (شبوۃ وبُريرة وسمهرم) ويندر وجود العملات اليونانية والرومانية والإكسومية، ولكن وجد بعضها في شبوة تعود إلى (ق 1 ق. م، و: ق 1 ب. م، و: ق 5 ب. م)، وقد كانت الأسواق العربية قبل الإسلام تتداول المسكوكات النقدية، وهي على ثلاثة أنواع، هي: أ - المسكوكات الذهبية، ب - المسكوكات الفضية الساسانية، ج - الدراهم اليمينية⁽¹⁾، ومن المحتم أن شبوة قد كان لها نصيبٌ من هذا التداول النقدي..

الأختام:

للملوك أختامٌ معيَّنةٌ للبتِّ بها في أمور الحكم، وأغلب الأختام قد وجدت في المقابر المحفورة في الجبل، وقد عُثِرَ على (سبعة) في شبوة؛ (ستة) منها تعود إلى ما بين (ق 1 ق. م) و(ق 4 ب، م)، وقد عُثِرَ على ختمٍ ذهبيٍّ بضاوي الشكل يحمل سطرين بارزين للنجمة والقمر هما (ب ك ل م) و(ذ خ ر م)، ويعود تاريخه إلى نهاية (ق 2 م)⁽²⁾، وحتماً أن هناك أختامًا قد فقدت أو هربت أو ما زالت مطمورةً..

اللوحات والرسوم:

وجدت في القصر الملكي لوحاتٌ عاجيةٌ تطعم بعض الصناديق، وهناك رسومٌ جداريةٌ متعددة الألوان لأشخاصٍ وأسماكٍ ونباتاتٍ تزيّنُ جدرانَ الغرف والقاعات، وهناك زخرفة الخطوط النقشية والفسيفساء والأشكال الهندسية⁽³⁾ مما يظهر المقدرة الفنية لدى القائمين على ذلك..

(1) ينظر: الشرق الأدنى القديم: 35، شبوة عاصمة حضرموت: 160 - 161، 163، 164، 166، الثقافة السريانية: 319، 320، 322، 324، المستشرقون وآثار اليمن: 854، 857، 858.

(2) ينظر: شبوة عاصمة حضرموت: 24، 156، 157.

(3) = : ملحمة عن الملك الحميري؛ أسعد الكامل: 58 - 59، الجديد حول الشرق القديم: 231، شبوة عاصمة حضرموت: 24.

الترف:

كان للترف مظاهره المختلفة، وقد ظهرت في بعض المعالم الدالة على الثراء الذي بلغه ملوك شبوة ووجهائها الذي يتضح في ممارسة الاحتفالات ورحلات الصيد وضخامة المنازل واختيار أجود أنواع المواد المختلفة وغيرها، ومن تلك الأشياء:

- 1 - وجود أفنعة زجاجية مختلفة تعود إلى (ق 1 م).
- 2 - بناء المنازل الضخمة والقصور العظيمة في القرون الثلاثة الأولى للميلاد.
- 3 - استيراد البضائع اليونانية والرومانية الفاخرة وتقليدها في (ق 1 - 3 م).
- 4 - قيام الملك (يدع إل بين) بطقوس الصيد في وادي عرماء مصطادين في (20) يوماً: (4 فهود، و: 2 من الذئب، و: 600 وعل)، وهذا يتطلب عدّة من الخيول وكلاب الصيد والنبال وغيرها.

5 - قيام الملك (يدع إل بين) بمراسيم الاحتفال بمناسبة إعادة ترميم شبوة بعد خرابها بتقديم القرابين الممثلة بالأشياء الآتية: (ذبح 35 ثورًا، و82 خروفاً، و25 غزالًا، و8 فهود⁽¹⁾)، وهذه المظاهر ليست كلما حفلت به المدينة من ترفٍ ورخاءٍ وبذخٍ تشرّب إليه طموحات بعض المدن المعاصرة، بل إن هنالك كثيرًا مما لم نعلمه..

شبوۃ والأثريون والمستشرقون:

لقد كان الدافع الأول لتطلع المهتمين بشبوۃ مدينةً وعاصمةً ومركزًا تجاريًا في مطلع القرن العشرين ما جاء في الإنجيل وفي كتب الإغريق والرومان وغيرها من المصادر القديمة دينيةً وتاريخيةً، وذلك بسبب ما ذُكر عنها في هذه المؤلفات من غنى وثروة وبذخٍ، يروونه منعكسًا على معابدها وهياكلها وقصورها ومدافنها ومقابرها، وكان هذا كافيًا لإلهاب مطامعهم في الاطلاع العلمي والاكْتساب المادي، فجاءوها زرافاتٍ ووحداناً.

(1) = : المفصل: 2/ 147، عن: Philby, 84، شبوة عاصمة حضرموت: 25، 104، 175.

تحريم شبوة على غير أهلها :

لقد كان البدو الذين يسكنون شبوة أو قريباً منها يمنعون الأجانب عرباً أو عجمًا مسلمين أو مسيحيين أو يهودًا، يقول (هانز هو لفريتز): ((أهل هذه المنطقة يكرهون الأجانب كراهيةً خاصةً، ولم يكن في وسع رجال قافلتني أن يغامروا بدخولها، وفي رفقتهم نصراني أوروبي))⁽¹⁾، ويقول (ويندل فيليبس) كذلك: شبوة مدينةٌ ممنوعةٌ على الأجانب، لأن القبائل تهاجم من يقرب منها بضعة مئاتٍ من الأميال المربعة⁽²⁾، وكانت هناك مدنٌ أخرى محرمةٌ على الأجانب منها (مأرب وعرماء)⁽³⁾، ويعود السبب في هذا إلى حبِّ السيطرة على ما مع هؤلاء من معداتٍ قتاليةٍ أو أموالٍ أو أطعمةٍ⁽⁴⁾، وقد أشار الرحالة إلى الحالة المعيشية الصعبة لهؤلاء البدو من لبسهم لجلود الحيوانات وتمسحهم بشحومها في شبوة وغيرها⁽⁵⁾، مع أن حضرموت كانت تنسج وتنتج الأقمشة وكان الرسول (ص) يلبس بردًا حضرميًا⁽⁶⁾، في زمنٍ متقدمٍ جدًا على زمن البدو هؤلاء..

الأثريون من العرب والأجانب :

آثار شبوة هامةٌ ولكنها كانت عرضة لنهب القبائل كغيرها من المدن الأثرية، وقد كانت القبائل تحرمها على الأجانب وتعادي عليهم إن لم يكونوا محميين⁽⁷⁾، وعلى الرغم من ذلك كان الرحالة والمستشرقون والأثريون يتوافدون على هذه المدينة للكشف عن آثارها وكنوزها المختلفة، ((وكانت هذه المدينة الهدف السري لكل مكتشفٍ تسلل عبر جنوب شبه الجزيرة العربية تقريبًا، وقد أصبحت هذه المدينة

(1) اليمن من الباب الخلفي: 79، وينظر: 80.

(2) ينظر: كنوز مدينة بلقيس: 45، 179.

(3) = : اليمن من الباب الخلفي: 79، 80، 112.

(4) ينظر: م. ن: 80، 81، كنوز مدينة بلقيس: 45، 179.

(5) ينظر: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز: 52، 54، اليمن ماضيها وحاضرها: 139، اليمن من الباب الخلفي: 79، 80، 82، 86.

(6) ينظر اليمن قبل الإسلام والأولى للهجرة: 291.

(7) ينظر: اليمن ماضيها وحاضرها: 222، هـ (2 - 4).

بحكم تقاليد المعابد المدفونة في الرمال والقبور والكنوز المدفونة من أشهر المدن غير المكتشفة وأكثرها إثارة لمطامع المكتشفين))⁽¹⁾، ولهذا ((كانت أعمال البحث والتنقيب في الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية قد بدأت على تخوم القرنين 18 - 19، فإن العلماء لم يتمكنوا [من] الوصول إلى المناطق الواقعة في الجنوب والجنوب الشرقي منها إلا منذ... [مدّة] قريبة نسبياً))⁽²⁾، ولهذا كان العمل فيها على شكلين هما:

1 - العمل الفردي: يظهر هذا في الجهود التي بذلها المهتمون بالمدينة وكان من أوائلهم (وَلِسْتِدْ) الضابط البحري البريطاني الذي وصل إلى (حصن الغراب) في عام (1834 م)، واكتشف نقشه وكان عاملاً قوياً في التعرف على الحروف المسندية [في الغرب، ومن المكتشفين للمدينة (ليونارد دولي) و(هاملتون) اللذان زاراها في (1938 م)، ونشر الأخير بعض أبحاثه في (1943 م)⁽³⁾، وقد (زار (فلبلي) (شبوثة)، وعثر على آثار معابدها، وقصورها القديمة، كما شاهد بقايا السدود التي كانت في وادي شبوثة لحصار مياه الأمطار والاستفادة منها في إرواء تلك المناطق الواسعة الخصبة))، وممن زار المدينة (فيليب جلمان) عام (1987 م)⁽⁴⁾، وما تزال أعمال هؤلاء مهمةً وتحتاج إلى الترجمة والتمحيص.

2 - العمل الجماعي؛ الفرق البحثية والتنقيبية: لقد ازدادت آفاق المعرفة بالمدينة بعد نتائج البعثات الغربية إلى اليمن، ومنها البعثات إلى شبوثة، وأول من تحدث عنها من الفرق البحثية الفرقة الأمريكية التي رأتها من الجو وهي في طريقها إلى مأرب، وبعدها أرسلت أكاديمية فينا بعثتها للعمل في المنطقة ولكنها لم تصل بسبب خلافٍ حدث بعد منطقة عزان، وبعدها انتقل النمساويون إلى سقطرى، ثم المكلا، وبعدهما

(1) كنوز مدينة بلقيس: 180.

(2) الجديد حول الشرق القديم: 218 - 219.

(3) ينظر: شبوثة عاصمة حضرموت: 19، 21، الموسوعة اليمنية: 3/ 1692، ع/ 2، المستشرقون وآثار اليمن: 968.

(4) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 2/ 157 عن: Sheba's, P. 79، شبوثة عاصمة حضرموت:

جاءت البعثة الفرنسية التي بدأت عملها في (1947 - 1975 م) وكانت برئاسة السيدة (بيرن) التي نشرت أبحاثها عامي (1990، 1991 م)، ثم تولى الرئاسة بعدها (جان فرنسوا بريتون) عالم الآثار الفرنسي، وفي (1971 م) تكونت في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم في (لينينجراد) جماعة بحثٍ بقيادة (جرينينا فتش)، وفي (1983 م) بدأت البعثة السوفيتية أعمالها في شبوة ونشرت بعض أعمالها في (1987 م)⁽¹⁾، ولم تزل بعض أبحاثهم مجهولةً.

مقالات بافقيه :

للدكتور محمد عبد القادر بافقيه أبحاثٌ على قدرٍ وافٍ من الإحاطة والشمول في التاريخ القديم، وقد حظيت شبوة بنصيبٍ من أبحاثه واستخلاصاته للنتائج البحثية، وقد اهتم بشبوۃ منذ زمنٍ، فقد نشر عنها مقالاتٍ عام (1962 م) في مجلةٍ شهريةٍ اسمها (الرسالة التربوية)، ونشر فيها مقالاتٍ عن (العقلة)، وفي (1964 م) زار مناطقٍ مختلفةً في شبوة منها (عرماء والسوط) والتقى بالمقدم (أحمد بن بقصة) الشاعر من (آل قطيان)، وكان هو وجماعته خيرَ دليلٍ له في منطقة العقلة، ومن الأبحاث التي أجراها ولها صلةٌ بشبوۃ الأبحاث الميدانية في (العقلة وشعب اللوق وشعب ينبق)، وكذلك في وكدور، وكلفٍ آخرين بدراساتٍ في (يثوف) بوادي (جردان) لها صلةٌ بالبحث الميداني في (شعب اللوق) في شبوة، وقد كشف أن ما رأته بيرن في هذا الشعب من فجواتٍ على شكل عُلْبٍ فيما يسمى بـ (ديار يوس) إنما هو خلايا نحلٍ صُنِعَت من حجارةٍ وجيرٍ وأعوادٍ خشبيةٍ في كهوفٍ في صفحات الجبال وتجنى بالتدلي من أعلى⁽²⁾، وقد ذكر شبوة في مباحث كتابه (تاريخ اليمن القديم)⁽³⁾، وتراث الأستاذ بافقيه ينتظر مَنْ يجمعه ويخرجه للباحثين.

(1) ينظر: الجديد حول الشرق القديم: 247، كنوز مدينة بلقيس: 180، رحلة أثرية إلى اليمن: 148، هـ (***)، شبوة عاصمة حضرموت: 9، 26، 27، المستشرقون وآثار اليمن: 949، 963، 977.

(2) ينظر: شبوة عاصمة حضرموت: 17، المستشرقون وآثار اليمن: 990، 991، 992.

(3) في الصفحات: 28، 29، 39، 49، 56، 104، 140، والكتاب طبعته: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، في بيروت عام 1985 م.

أعمال المركز الفرنسي للدراسات اليمنية :

قام هذا المركز بباحثيه بعددٍ من الدراسات الأثرية والتاريخية عن شبوة، وقد ظهرت منها مؤلفاتٌ باللغة الفرنسية والعربية منها مؤلف (شبوّة عاصمة حضرموت القديمة)⁽¹⁾، وقد تضمن موقعها والسبر التاريخي للمقاطع الترابية والأثرية للمدينة وقصرها ومبانيها وأسوارها والنحت والرسم والكتابة والعملات وأنظمة الري فيها، ومؤلف (حفريات شبوة 1، 2)⁽²⁾، تضمن الكتابات النقشية في المدينة، وقد ترجمت الدكتورّة أسهمان الجرو الجزء الأول منه وجعلت عنوانه (الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة)، وترجمت الدكتورّة عزة علي عقيل الجزء الثاني، وقام الدكتور أحمد با طايح بنقل مقالةٍ منه إلى العربية⁽³⁾، وقد يكون المطبوع من هذه المؤلفات قليلاً ونادراً في الأسواق، وهنا تأتي مهمة المركز المنتظرة في تعميم المعرفة..

الخاتمة

تُعَدّ الدراسات التاريخية اللغوية من أهم المجالات التي تعطينا معرفةً صحيحةً عن المواقع القديمة التي طُمِسَتْ معالمها بفعل العوامل الطبيعية أو البشرية كالحريق الذي تعرضت له شبوة إثر الغزو السبئي الذي لحق المدينة بسبب الصراعات بين الدول اليمنية، ولذلك تظهر الأهمية العظمى لاكتشاف هذه المدينة وبيان ما كان لها من مكانةٍ تاريخيةٍ جذبت أنظار المؤرخين القدماء فكانت (سابوتا) في الكتب المقدسة والكتب الكلاسيكية، وقد كان اهتمام الرحالة والمستشرقين والدارسين بهذه المدينة لما أُثِرَ عنها من ثراءٍ في التجارة وموقعٍ متميّزٍ في الجغرافيا ومكانةٍ سياسيةٍ في التاريخ اليمني.. وقد جاءت شبوة في اللغة متعددة المعاني وكان أعلاها ما دلّ على العلوّ، وهذا يتطابق مع الموقع الذي أختير لابتناء المدينة وهو يمثل مثلث التلال المرتفعة التي

(1) إعداد: د. عزة علي عقيل - د. جان فرنسوا بريتون، الناشر: المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، التوزيع: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، ط / 1، 1996م.

(2) ينظر: م. ن: 9،

(3) ينظر: م. ن: 9، 10

تقسم وادي عرماة قسمين؛ وادي المعشار ووادي محبذ، أما ورودها في الأشعار العربية الفصيحة فدليلٌ على ما تمثله من مكانة في الذاكرة العربية في الجزيرة العربية.. ويرجع ما يتصل بتاريخها إلى عظمة البناء فيها خاصةً ما يتعلق بالقصر الملكي وضخامته بطواقه المختلفة ومواده المأخوذة من الصخور بأشكالٍ مميزة في أطوالها وصقلها وزواياها وزخارفها، وتظهر العظمة في الأفنية والساحات والأعمدة والممرات والغرف والقاعات والمباخر الملكية للتهيئة للاجتماعات واللقاءات، وتظهر في صهريج المياه والمعبد الملحقين بالقصر، وفي التحصينات المنيعة للدفاع عن القصر، وكذلك في التخطيط للمدينة بيوتها وشوارعها وأسواقها ونظامها التجاري وقوانينه، وفي تحصين المدينة بأسوارها المزدوجة وقلاعها العالية والحصينة، وفي مقابرها المنحوتة في الجبال، وفي نقوشها الميَّنة لتاريخها وتاريخ ملوكها، ولما لحقها من خرابٍ ودمارٍ..

وقد حظيت المدينة بأعمال كشفٍ وتنقيبٍ وبحثٍ حتمًا أنها قد توصلت إلى نتائج متقدمة في كشف آثارها ومعالمها وكنوزها، وقبل هذا فإن المدينة قد تعرضت لنهبٍ من الأهالي على وفق ما كُتب ومن غيرهم، ولذلك نرى أن الأمر يتطلب العمل على الاتجاهات الآتية:

- 1 - البحث عن المكتشفات الأثرية في الخارج في الدول التي انتدبت مبعثين أو قدم منها رحالة أو مستشرقون أو خلافهم بالتنسيق مع منظمة الثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة.
- 2 - البحث عن المنهوبات الأثرية في الداخل أو الخارج التي ذهبت بيعًا أو إهداءً، وبالطرق الممكنة لاسترجاعها وإيداعها لدى جهات حكومية مؤتمنة.
- 3 - تكليف عددٍ من المترجمين بنقل ما كتب عن الآثار القديمة في البلد، ومنها آثار شبوة.
- 4 - دعم اليونسكو في مسعاها لاعتماد طريق البخور ضمن قائمة التراث العالمي. وأعتقد جازمًا أن جميع الكنوز الأثرية الذهبية والبرونزية المختلفة الغايات ستكون وفيرةً ومظهرةً تاريخ حضارة تجسدت بشقيها المدني والثقافي لهذه المدينة..

المصادر والمراجع

أولاً:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس؛ العهد القديم والجديد.
- إنجيل متي.
- إنجيل يوحنا.

ثانياً:

- الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، 1974 م.
- أدب الكتاب للصولي، (410)، الموسوعة الشعرية، قرص ممغنط، (CD)، الإصدار (3)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003 م.
- أدب الكاتب لابن قتيبة، (751)، مو، ش.
- الأدب والثقافة عبر العصور في اليمن، محمد سعيد جرادة، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، 1397 هـ / 1977 م.
- الأزمنة والامكنة للمرزوقي، (1509)، مو. ش.
- أساس البلاغة للزمخشري، (6910)، مو. ش.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، من موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار: (4،31).
- أسرار العربية، عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبدالله بن أبي سعيد الأنباري - تح: فخر الدين قباوة، دار الجيل، بيروت، ط / 1، 1995 م.
- أسماء خيل العرب وفرسانها، لابن الأعرابي، (82)، مو. ش.
- الاشتقاق، عبدالله أمين، مط / لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط / 1، 1376 هـ / 1956 م.
- الإصابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ / 1994 م، مو. ش.

- إصلاح المنطق لابن السكيت، (716)، مو. ش.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / 3، 1988 م، سلسلة العلم النافع (16)، (CD)، مكتبة النحو والصرف، الإسوة للبرمجيات، الرياض.
- الإكليل، أبو محمد الحسن الهمداني، حرره نبيه أمين فارس، دار الدعوة، بيروت، دار الكلمة، صنعاء، بلا: ط، ت
- الأمالي، أبو علي القالي، (1525)، مو. ش.
- الأمكنة والمياه والجبال، الزمخشري، (280)، مو. ش.
- مو. ش: الموسوعة الشعرية، مك. ش: المكتبة الشاملة، ن. ص: مكتبة النحو والصرف.
- أنبياء مصر وأنبياء السامية، أحافير جذور الأديان، علي الألفي، مكتبة جزيرة الورد، ط / 1، 2010 م.
- الأنساب للسمعاني، من موقع يعسوب، مك. ش.
- الإنسان والبيئة؛ الطبيعة، الآلة، الإنسان، إيغرو آر أباشيف، ت: عبد الله حبة، دار مير للطباعة والنشر، موسكو، 1985 م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، دار الفكر، دمشق، بلا: ط. ت، سلسلة ع. ن.
- أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة، (1708 - 1710 م، و 1711 - 1713 م) جان دي لاروك، ت: منير عريش، تقديم: توميسلاف كلاريك، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425 هـ - 2004 م.
- بدايات الشعر العربي؛ بين الكم والكيف، د. محمد عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي بمصر، 1976 م.
- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، أبو البركات الأنباري، (28)، مو. ش.
- بلقيس امرأة الألباغ وشيطانة الجنس، زياد مني، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لندن، ط / 1، 1997 م.
- تاج العروس، الزبيدي، (46686)، مو. ش.

- تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، د. سيد أحمد علي الناصري، مط/ جامعة القاهرة والكتاب الجديد، ط/ 2، 1987م.
- تاريخ هيروديت، ت: عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقاف، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط/ 2، 1428هـ - 2007م.
- تاريخ اليمن لنجم الدين عمارة، ويليه المختصر المنقول من كتاب العبر للقاضي عبد الرحمن بن خلدون ثم أخبار القرامطة باليمن للبهاء الجنيدي، تح: د. حسن سليمان محمود، مكتبة الإرشاد صنعاء، بلا: ط، 1425هـ / 2004م.
- تاريخ اليمن القديم، محمد عبد القادر با فقيه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1985م.
- ترنيمة الشمس؛ نقش القصيدة الحميرية، صورة من الأدب في اليمن القديم، أكتشف النقش ونقله إلى العربية؛ د. يوسف محمد عبد الله، صاغه شعراً سليمان العيسى، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1989م.
- التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي، بيروت، بلا: ط، 1404هـ - 1984م.
- تهذيب اللغة، للأزهري، (24440) مو، ش.
- ثرثرات في شتاء الأدب العربي، د. عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، ط/ 1، 1983م.
- الثقافة السريانية وعلاقتها بالعربية، ندواتا هيئة اللغة السريانية للسنتين 1997 - 1998 م، منشورات المجمع العلمي العراقي، بلا/ ط، 1419هـ / 1999م.
- الجديد حول الشرق القديم، لمجموعة من المؤلفين، ت: د. جابر أبي جابر وخيري الفياض، دار التقدم، موسكو، 1988 م.
- الجغرافيا البشرية، د. يسرى الجوهري، د. ناريمان درويش، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بلا: ط، 1988 م.
- خزانة الأدب ولب لبنان لسان العرب، عبد القادر البغدادي، (10299)، مو. ش.
- دراسات تاريخية في العلاقات اليمنية الحبشية، د. عبد الأحد زيد عيون، مط/ الثقافة، تعز، ط/ 1، 1999 - 2000 م.

- دراسات في تاريخ اليمن القديم، د. عبد الله حسن الشبية، مكتبة الوعي الثوري للطباعة والنشر والتوزيع، الجمهورية اليمنية، تعز، ط / 1، 1999 - 2000 م.
- الرائد؛ معجم لغوي عصري، جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، ط / 3، 1978 م.
- رحلة أثرية إلى اليمن، د. أحمد فخري، ت: د. هنري رياض، د. يوسف محمد عبد الله، مراجعة: عبد الحكيم نور الدين، الجمهورية العربية اليمنية، وزارة الثقافة والإعلام، مشروع الكتاب، 21 / 2، ط / 1، 1409 هـ / 1988 م.
- رحلة في الشعر اليمني؛ قديمه وحديثه، عبد الله البردوني، دار العودة، بيروت، ط / 3، 1978 م.
- رسالة الملائكة، أبو العلاء المعري، (226)، مو. ش.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، ابن عبد المنعم الحميري، (2986)، مو. ش.
- رؤيا شمر يرعش؛ ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات، أنور محمد خالد، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ط / 1، 1412 هـ / 1992 م.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: د. حسن هندراوي، دار العلم، دمشق، ط / 1، 1985 م.
- الشافية في علم التصريف، لابن الحاجب، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ط / 1، 1995 م، سلسلة: ع. ن.
- شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الفرنسية اليمنية، إعداد: د. عزة علي عقيل، د. جان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ط / 1، 1996 م.
- شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، بلا: ط، ت.
- شرح أدب الكاتب، الجواليقي، (755)، مو. ش.
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، (3072)، مو. ش.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ط / 2 / 1985 م، سلسلة: ن، ص.

- الشرق الأدنى القديم، ج/ 1، مصر والعراق، د. عبد العزيز صالح، مكتبة الأنجلو
مصرية، القاهرة، ط/ 4، 1990 م.
- شعراء العامية في اليمن، عبد العزيز المقالح، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، دار
الدعوة، بيروت، 1978 م.
- الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسن أحمد بن فارس، تح:
مصطفى الشويمى، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، بلا: ط، 1383
هـ/ 1964 م.
- الصحاح، الجوهري، (9074)، مو. ش.
- صنفه بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة بتاريخ المستبصر لابن المجاور،
تصحيح: أوسكرلو ففرين، شركة دار النور للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط/ 2،
1407 هـ/ 1986 م.
- صفة جزيرة العرب، الهمداني، (684)، مو. ش.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع؛ أبو عبد الله البصري الزهري، دار صادر،
بيروت، مك. ش.
- ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، طنطاوي؛ محمد دراز، مط/ عابدين، 1986 م.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصاغاني، (5710)، مو. ش.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، (9800)، مو. ش.
- غريب الحديث للخطابي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تح: عبد الكريم
إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة، بلا: ط، 1402 هـ، مك. ش.
- الفصول والغايات، لأبي العلاء المعري، (713)، مو. ش.
- في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف بمصر، 1964 م.
- في الشعر الجاهلي، طه حسين، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1344 هـ/ 1926 م.
- قراءة في الأدب اليمني المعاصر، عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، 1977 م.
- قواعد العربية الجنوبية، ف. ل. بيستون، ت. د. خالد إسماعيل، مط/ المجمع العلمي
العراقي، 1412 هـ/ 1992 م.

- الكافي؛ معجم عربي حديث، محمد الباشا، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، لبنان، بيروت، ط / 1، 1412هـ / 1992 م.
- الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة، بلا: ط، ت.
- كنوز مدينة بلقيس؛ قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن، ويندل فيليبس، ت: عمر الديراوي، دار الكلمة، صنعاء، ط / 2، 1985 م.
- لب اللباب في تحرير الأنساب، السيوطي، من موقع الوراق، مك. ش.
- لسان العرب، ابن منظور، (49969)، مو. ش.
- لمحات من التاريخ والأدب اليمني، عبد الله أحمد الثور، دار الهنأ للطباعة، 1403 هـ / 1953 م.
- اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، دار الكتب الثقافية، الكويت، تح: فائز فارس، بلا: ط، 1972 م.
- محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، أغناطوس غويدي، ت: إبراهيم السامرائي، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط / 1، 1986 م.
- المحيط في اللغة، مو، ش.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بلا: ط، ت.
- مجمع الأمثال للميداني، مو. ش.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح: محمد أحمد عبد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباب الحلبي وشركاه، مصر، بلا: ط، ت.
- المستشرقون وآثار اليمن؛ قصة المستشرق السويدي كار لودي لنديج، من خلال مراسلاته مع اليمينيين؛ 1895 - 1911 م، محمد عبد القادر با فقيه، مركز الدراسات والبحوث اليمينية، صنعاء، بلا: ط، 1408 هـ / 1988 م.
- المستقصى من أمثال العرب، الزمخشري، (1182)، مو. ش.

- محمد يوسف الكافلغوري، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط / 1، 1418 هـ / 1997 م، مك. ش.
- النقد التحليلي لكتاب (في الأدب الجاهلي)، محمد أحمد الغمراوي، منشورات دار الحكمة، 1970 م.
- نقش القصيدة الحميرية أو ترنيمه الشمس؛ صورة من الأدب الديني في اليمن القديم، يوسف محمد عبد الله، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، دار الهمداني، عدن، ع / 5، 1988 م.
- هذه هي اليمن، (3 - 4)، عبد الله بن أحمد الثور، مط / المدني، القاهرة، ط / 2، 1971 م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، (19928)، مو. ش.
- اليمن؛ عصر ما قبل الإسلام، عبد الله أحمد الثور، دار الهنأ للطباعة، 1976 م.
- اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة؛ (ق / 4 - ق / 10 م)، م. ب. بيوتر وفسكي، ت: محمد الشعبي، دار العودة، بيروت، ط / 1، 1987 م.
- اليمن؛ ماضيها وحاضرها، د. أحمد فخري، مراجعة: د. عبد الحلين نور الدين، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، ط / 1، 1987 م.
- اليمن؛ مدن الكتابات المسندية، منير عريش، وأوج فونتين،، الصور: أوج فونتين، الخرائط: إيلين دافيد، النص العربي: منير عريش، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط / 1، 2006 م.
- اليمن من الباب الخلفي، هانز هوكفريتز، ت: خيرى حماد، المكتب التجاري، بيروت، بلا: ط، 1961 م.

شبوۃ في نقش (كرب إل وتر)



أ.د. ناصر صالح يسلم حبتور

تُعدُّ نقوش مكربي سبأ العائدة إلى أواخر القرن الثامن ومطلع القرن السابع قبل الميلاد المصادر الوحيدة التي حملت إلينا معارف عن أوضاع تلك الحقبة الزمنية، ومعرفة الكيانات السياسية التي كانت قائمة آنذاك، بالإضافة إلى أسماء العديد من المناطق والمدن القائمة في تلك المدة، أو معرفة العلاقات فيما بين تلك الكيانات. أما بقية الدول التي عاصرت دولة سبأ فإلى اليوم لم يتم العثور على نقوش تتحدث عن تاريخها الأقدم. ويبدو

أن أوسان كانت الدولة الثانية التي ربما دونت عن أوضاع تلك الحقبة وأحداثها، ولكن سبأ قامت بتدمير كل الوثائق الأوسانية، مدشنة (سبأ) حرباً إعلامية هي الأولى والأقدم. ولهذا لم يبق مما دونته دولة أوسان من كافة وثائقها لتلك الحقبة إلا ما ندر، أو أن شيئاً مما دونته لم يزل مدفوناً ولم يكتشف بعد. وأمام هذا النقص في مصادر تلك الحقبة فإنه لم يعد أمامنا إلا ما دونه السبئيون، وهو في جوهره يمثل وجهة نظر سبأ، ولكن على الرغم من ذلك فإن النقوش السبئية حملت بشكل لا مباشر شيئاً من المؤشرات حول أوضاع تلك الحقبة، أما بقية الدول وتحديداً الدول التي قامت في شبوة فإلى اليوم لم يتم العثور على نقوش تتحدث عن مرحلتها التاريخية الأقدم.

ولإعطاء صورة عن أوضاع مناطق شبوة في المرحلة الزمنية المتقدمة من تاريخ العربية الجنوبية وتحديداً المدة الواقعة بين أواخر القرن الثامن ومطلع القرن السابع (ق. م) فإننا سنعرض ذلك من خلال شرح موجز لأوضاع تلك الدول وفق الآتي:-

1 - دول العربية الجنوبية

2 - العلاقات بين دول ذلك التاريخ

3 - الحروب التي شهدتها تلك الدول

4 - آراء وحقائق

دول العربية الجنوبية ومميزات كل منها :-

قامت في العربية الجنوبية في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد أربع من الدول الكبرى إلى جانب بعض الممالك الصغرى. وتميزت الدول الكبرى بمميزات اقتصادية كبيرة مقارنة بالممالك الصغرى، ومن الدول الكبرى كانت ثلاث منها في ما يعرف اليوم باسم محافظة شبوثة، أما الدولة الرابعة فهي دولة سبأ المجاورة. وللتعرف على أهم المميزات لكل من تلك الدول نوجز الحديث عن كل دولة لتبيان موقعها ومساحتها ومميزاتها الاقتصادية.

أولاً - الدول التي قامت في محافظة شبوثة

1 - دولة أوسان:-

نشأت دولة أوسان في وادي مرخة معاصرة لسبأ وحضرموت وقتبان، ويشكل وادي مرخة الخصب بالإضافة إلى أودية ضراء وعبدان أهم الأودية التي قامت فيها حضارة دولة أوسان، كما كانت تمتد أراضي أوسان في ذلك الزمن إلى هضبة دثينة، ووادي حسان، ومنطقة (نفض) أبين، وتبن في لحج، وضمت بعض من سرو حمير كما يشير إلى ذلك نقش (كرب إل وتر) [RES 3945 / 7]. وبحرب أوسان على قتبان استكملت أوسان توسعها بضم السرو، كما مدت نفوذها غرباً إلى مضيق باب المنذب. وسمى المؤرخون الكلاسيكيون المتأخرون الساحل حول باب المنذب باسم الساحل الأوساني، ومن خلال موقع أوسان في وادي مرخة، فقد أشرفت على الطريق التجاري الذي يمر بصحراء صيهده، كما مكنها امتدادها الجنوبي من استغلال دلتا الأودية الجنوبية الخصيبة (أحور وحسان وأبين وتبن)، والسيطرة على منطقة عدن الصالحة لرسو السفن، ومنطقة السوا التي ربما إن أوسان كانت تستغل موقعها البحري.

لا شك إن ما تقدم يعطي صورة لا مباشرة عن إمكانات أوسان الاقتصادية، هذه الإمكانيات التي ربما كانت من وراء شنها الحرب ضد جارتها: (حضرموت وقتبان)؛ بهدف السيطرة على ما تمتلكه من مميزات اقتصادية في منطقتيها الجنوبية، ولكنها صدمت بمواجهة

التحالف الذي قاده دولة سبأ، فسارت نتيجة الحرب لصالح ذلك التحالف، وهزمت أوسان سياسياً وعسكرياً وحضارياً، ولم تقم لها قائمة تذكر بعد تلك الهزيمة.

2 - دولة قتبان:-

نشأت هذه الدولة في ما يعرف اليوم باسم وادي بيحان من محافظة شبوة، وكانت عاصمتها مدينة تمنع (هجر كحلان)، وبقدر ما اشتهرت أودية قتبان بالخصوبة؛ فإن عاصمتها تقع على الطريق التجاري الرئيس الرابط بين حضرموت وأوسان وصولاً إلى مأرب، كما تمر بها الطريق التجارية التي تنطلق من ميناء قنا في مشرق الأراضي الحضرمية، مروراً بشبووة عاصمة حضرموت، وصولاً إلى تمنع العاصمة القتبانية، فمأرب عاصمة سبأ، وصولاً إلى نجران باتجاه شمال الجزيرة وبلاد الشام.

كما تشتهر المناطق الجنوبية من نفوذ قتبان بإنتاج المرّ، السلعة التجارية آنذاك؛ ونتيجة لكل ذلك فقد كانت التجارة الفرع الاقتصادي المهم لدولة قتبان. ولاهتمامها بالتجارة فقد كانت قتبان الدولة الأولى في إصدار التشريعات التجارية، وكذلك التشريعات المرتبطة بالأرض والري [RES4337، النعيم، 2000: 645 - 701]. ولتميز قتبان بكل تلك المميزات؛ فقد شكل ذلك التميز عاملاً من عوامل أطماع أوسان في السيطرة على الدولة القتبانية.

3 - دولة حضرموت:-

قامت هذه الدولة معاصرة لكل من أوسان وسبأ وكتبان، وامتد نفوذها في مشرق العربية الجنوبية، وكانت أهم مراكزها في كل من شبوة عاصمة الدولة والأودية المحيطة بها، مثل وادي جردان وعرما ووادي المعشار. أما منطقة العقلة فتشكل بحيرة لتجمع المياه عند نزول الأمطار الغزيرة على أودية مرخة وضراء وعبدان، كما كان نفوذ دولة حضرموت يمتد إلى وادي ميفعة ووادي حجر وصولاً إلى البحر، أما مركزها الرئيس بعد شبوة فيتمثل في وادي حضرموت الذي يمثل عمقها الاستراتيجي، بينما منطقة بلاد المهرة وبدرجة أساسية بلاد ظفار فتمثل مركز إنتاج اللبان. وبالنسبة لأهم موانئها فقد كانت ميناء قنا (بير علي)، وميناء سمهرم (موشا) (خور روري اليوم) في ظفار، فمن ظفار تنطلق قوافل التجارة براً إلى شبوة، كما تنطلق القوارب من ساحل ظفار إلى ميناء قنا؛ ليتم بعد

ذلك نقل حمولتها برّاً إلى العاصمة الحضرمية شبوة. وجدير بالإشارة إلى أن منطقة حجر في هضبة السوط، ومنطقة جبل كدور في ميفعة؛ تعدان من مناطق إنتاج اللبان. وكل تلك المميزات الاقتصادية التي تتميز بها مملكة حضرموت كانت من وراء الأطماع الأوسانية والسبئية في بلاد حضرموت.

ثانياً - دولة سبأ :-

دولة سبأ من الدول المجاورة لدول شبوة القديمة، وتميزت بعلاقات تصالح واحتراب مع الكيانات التي قامت في ما يعرف اليوم بمحافظة شبوة، ولهذا فإن ذلك يقتضي منا التعرف على هذه الدولة لاحتكاكها سلباً وإيجاباً مع الدول التي قامت في محافظة شبوة. لقد قامت دولة سبأ في منطقة صرواح، وبالرغم من عدم وجود مملكة سبئية في القرن العاشر قبل الميلاد؛ فإن ذلك لا ينفي وجود السبئيين في الأراضي المجاورة لمأرب [بافقية 55:1985]. وقد ضمت سبأ كل الهضبة الشمالية، كما مدّت نفوذها إلى منطقة مخرج وادي ذنة في مأرب، حيث توجد المساحات الواسعة من الأراضي الخصبة، بالإضافة إلى تدفق مياه السيول من شبكة الأودية التي تنحدر من أغلب مساقط الإمطار في الهضبة. والجدير بالإشارة أن مساقط وادي ذنة تقدّر بمساحة عشرة آلاف كيلو متر مربع، بينما تقدّر مساحة مساقط المياه لوادي مذاب في الجوف بحوالي 2700 كم²، أما مساحة مساقط وادي مور فتقدر بحوالي 7500 كم² [يوسف 1990: 81]، وتقدر بحيرة السد قديماً بحوالي 8 كم²، وسعتها الإجمالية حوالي (55) مليون متر مكعب [يوسف: 1990 - 93]. وقد استغل السبئيون ذلك فأقاموا سد مأرب، ومثلما استغلوا أراضي مأرب وغيرها فقد كانوا أول من قاد قوافل التجارة إلى حوض البحر المتوسط، وتحديداً إلى البلاد السورية وبلاد الرافدين، وكان أول ذكر لذلك يرجع للعهد الآشوري أي لحوالي 715 (ق. م). [الأشبط 2004: 34].

العلاقات بين دول أواخر القرن الثامن ومطلع القرن السابع ق.م:

تتعدد وتنوع العلاقات بين الدول المتجاورة والمعاصرة لبعضها، ولكن على الرغم من صدق ذلك نظرياً فإن المؤشرات وبالتحديد المصادر النقشية لا تسعفنا بمعرفة الكثير عن تلك العلاقات؛ وذلك نتيجة لقلّة النقوش التي تم العثور عليها، ولقلّة البحث الأثري

الذي شهدته عموم المنطقة. وعلى ضوء ما لدينا من مؤشرات مباشرة وغير مباشرة؛ فإنه يمكن لنا أن نصنف تلك العلاقات إلى ما يلي:-

أ - علاقات اجتماعية سلمية:

وهي تلك العلاقات التي نستشفها بشكل لا مباشر من الكثير من المؤشرات النقشية، وبالرغم من تمركز كل دولة في مركز محدد، حيث توجد عاصمتها؛ فإن نفوذها يمتد ليلا مس حدود الدولة المجاورة، ومن هنا يبدأ التأثير والتأثر بين شعبي الدولتين، وعلى الرغم من وجود حدود محددة بأنصاب متفق عليها بين بعض الكيانات المتجاورة؛ فإن ذلك لا يمنع التبادل والتأثر الاجتماعي، بل إن مجرد الاتفاق على نصب مثل تلك النصب الحدودية؛ فإنما يؤكد ذلك على ميل الطرفين لعلاقات سلمية، ومثل هذه الحدود وجدت بين كل من قنبان وردمان عند رؤوس وادي بيحان القصاب. [بافقيه 1994: 13].

ب - علاقة التحالف:-

وردت أقدم إشارة لهذا النوع من العلاقات في نقوش المكربين السبئيين، وردت بالفعل الماضي (أ خ و) [DAI Sirwah2005 / 3]، وأعطاه المعجم السبئي معنى: تحالف، حلف [بيستون وآخرون: 1982: 4]، وقد ورد مصطلح المؤاخاة في أغلب النقوش التي ورد فيها مشيراً إلى التعاون في الجانب العسكري بين الدول، كما هو بين سبأ وحضرموت وقنبان ضد دولة أوسان [RES3945 / 8,11,13]، أو الحلف الذي أقيم مؤخراً أي في عهد علهان نهفان ملك سبأ حوالي عام 200م، حيث تحالف ملك سبأ مع كل من حضرموت والحبشة ضد دولة حمير [CIH308]، كما تشير النقوش إلى وجود أشكال من التحالف تتم بين بعض الدول وبعض المتنفذين الصغار في مناطقهم (ملوك الممالك الصغيرة)، وهو نوع من التعاون الذي ذكر في نقوش قدامى المكربين [DAI Sirwah2005 / 3]، كما ورد في نقش (كرب إل وتر) عندما تعاون معه بعض صغار المتنفذين (الملوك الصغار) في حربه على أوسان [RES3945 / 8,11].

بقدر ما يكون التحالف في زمن الحرب فإن مدة التحالف لا بد أن يزداد فيها التعاون والتقارب الاجتماعي والتأثير والتأثر في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، هذا ما توحى به فترات التعاون والتقارب.

ج - العلاقات التجارية :

اشتهرت بلاد العربية الجنوبية بالتجارة قديماً، وتحدث الكثير عن الطرق التجارية التي تربطها ببلاد الشام وبلاد الرافدين ومصر، وتلك الطرق تبدأ من سواحل وعواصم دولتي أوسان وحضرموت مروراً بعواصم دول العربية الجنوبية الأخرى، ولا شك في أن مجرد مرور القوافل بكل تلك المناطق، إنما يمثل علاقات لا مباشرة بين الدول المصدرة والدول التي تمر بها تلك الطريق، فبقدر ما تتم عملية تبادل للبضائع؛ فإنه يتم دفع ضرائب تستفيد منها دول ذلك التاريخ. وقد أورد بلييني قوله: "وكان اللبان الذي يجمع ينقل على ظهور الجمال إلى شهوة فيفتح له باب واحد وكان أي تهريب أو انحراف عن الطريق يعدّ جريمة كبرى...، وكان الكهنة يطلبون العشر كياً لا وزناً [يوسف 1990: 244]، كما تتم عملية تقديم خدمات لتلك القوافل من قبل من تمر بهم، ولعل أقل تلك الخدمات تتمثل في تقديم الأعلاف لقوافل الإبل.

حروب أواخر القرن الثامن ومطلع القرن السابع (ق. م) :

إلى وقت قريب ونحن لا نعرف عن أوضاع وعلاقات دول ما قبل القرن السابع شيئاً، إلا ما أورده نقش (كرب إل وتر)، لكن معارفنا اتسعت عن تلك الحقبة حيث تم العثور عام 2005 م على نقش يعود تاريخه للقرن الثامن (ق. م)، يحمل صورة عن أوضاع ما قبل القرن السابع (ق. م) وقد دون ذلك النقش المكرب السبئي (يثع أمر وتر). والمطلع على التاريخ القديم للعربية الجنوبية يقف على حقيقة واضحة وهي إن أغلب مكربي وملوك الحقبة التاريخية القديمة قد اهتموا بتدوين النقوش الحربية والنقوش التي تخلد إنجازاتهم الاقتصادية؛ وذلك لتمجيد الذات والقبيلة، وتحقير الطرف المهزوم. ولندرة النقوش التي تتحدث عن الحروب في الحقبة التي نحن بصدد دراستها؛ فإننا سنقف عند نقشين من نقوش تلك الحقبة، وهما النقش الموسوم (DAI Sirwah2005) والنقش (RES3945). وفي النقشين سنتوقف عند ثلاث من الحروب التي أشعلت وهي:-

أولاً - حرب المكرب (يثع أمر وتر).

ثانياً - حرب أوسان على حضرموت وقتبان.

ثالثاً - حرب (كرب إل وتر) على أوسان.

أولاً - حرب المكرب (يثع أمر وتر) :

تحدثت المكرب (يثع أمر) في نقشه عن قيام دولة سبأ بشن عدة حملات حربية وجّهت بشكل رئيس ضد دولة قتيان ومختلف مناطقها، وبواسطة تلك الحملات استولى السبئيون على العاصمة القتبانية (تمنع). وامتدت حروبهم باتجاه الجنوب الغربي من قتيان، وصولاً إلى المضيق (مضيق باب المنذب). ويشير النقش إلى أن عدد القتلى من القتبانيين وردمان كان ثلاثة آلاف قتيل، كما أشار إلى انتقامه من أوسان وملكها، لكنه لم يفصح لنا عن سبب ذلك الانتقام، وعبر عن ذلك بقوله: "ون ق م | أوسان | وم لك ه و"أي وانتقم من أوسان وملكها [DAI sirwah2005 / 3]. فهل شنت أوسان حرباً مما دفع مكرب سبأ إلى أن ينتقم منها؟ لا شك في أن الباحث يرجح قيام أوسان باعتداء على سبأ، أو على الأقل أضرت بمصالحها فحصل الانتقام من سبأ كون الانتقام يتم من قبل من تعرض لاعتداء، كما شن المكرب (يثع أمر وتر) عدة حملات على عدد من مدن الجوف وأهمها نشان، وأما المنطقة الأخرى التي شن عليها حرباً شديدة وقتل منها (6000) فقد كانت (دهس م)، وهي كما يعتقد بلاد يافع في سرو حمير [RES3945 / 7,11]، ولم يشر نقش المكرب (يثع أمر وتر) إلى الجهة التي تتبعها، بعكس نقش (كرب إل وتر) الذي دُوّن في مطلع القرن السابع (ق. م) وحمل إشارة إلى أن يافع (دهسم) تتبع الدولة الأوسانية، وبقدر ما قتل (يثع أمر) من تلك المناطق؛ فقد أشار إلى الكثير من النهب والمصادرات التي طالت الأراضي والأودية والجبال والمراعي وقنوات الري والمياه. [RES3945 / 4,7,11].

لم يشر النقش لأي من أسباب حروب المكرب (يثع أمر)، ولكن قانون حروب ذلك الزمن ربما كان هو الدافع لذلك، وهو في نظرنا الاستقواء على الجار، وغريزة السلب والنهب، والرغبة في مد النفوذ، ولا سيما على المناطق التي تتميز بثرواتها الزراعية والمناطق المهمة كطرق التجارة أو الموانئ.

ثانياً - حرب أوسان على حضرموت وقتبان :-

سبق وأن ذكرنا أن الإشارة إلى أخبار هذه الحرب ربما لم يدونها الأوسانيون، كما لم يحاول (كرب إل وتر) إعطاء أي إشارة عنها؛ على الرغم من أن حدوثها لم يكن بعيداً

عن زمنه، بدليل مشاركته لكل من حضرموت وقتبان لاستعادة أراضيها من تحت النفوذ الأوساني، ولكن جاءت الإشارة إلى تلك الحرب بشكل غير مباشر؛ حيث أورد (كرب إل وتر) في نقشه الذي دونه بعد هزيمة أوسان بأنه قد قام بإعادة أراضي حضرموت وقتبان لهما من تحت النفوذ الأوساني، وكانت العبارة التي أوردتها (كرب إل وتر) في نقشه ومن خلالها أوحى لنا باحتمال بل بترجيح القول بأن أوسان كانت قد شنت حرباً على كل من حضرموت وقتبان؛ كانت وفق الآتي:-

"وهثب / لسي ن / ول / ح ول / ول / ي د ع إل / ول / ح ض ر م و ت / اب ض ع ه م و / ب ن / ت ح ت ي / ذ أوسان" وترجمت تلك الجملة: وأعاد لسين (الإله الحضرمي) ولحول (الإله الحضرمي الثاني) وللملك الحضرمي (يدع إل) ولشعب حضرموت أعاد لهم أراضيهم من تحت النفوذ الأوساني" [RES3945 / 12].

كما أورد جملة مماثلة عن إعادته لقتبان مناطقها من تحت النفوذ الأوساني وكانت الجملة كالآتي:- "وهثب / أب ض ع / ع م / وان بي / وروال / وقت ب ن / ب ن / ت ح ت ي / ذ ا و س ن / [RES3945 / 13] وتعني الجملة وأعاد مناطق عم (الإله القتباني) والإله انبي (الإله القتباني الثاني) والملك (ورو إل) وشعب قتبان أعاد لهم مناطقهم من تحت النفوذ الأوساني.

من الجملتين أعلاه نفق وبيقين على أن أوسان كانت قد شنت حرباً على كل من حضرموت وقتبان، وأن امتداد نفوذها على مساحات من أراضيها، تلك الأراضي التي أعادها لهما (كرب إل)، وهي بالنسبة لحضرموت كل أراضي حوض وادي ميفعة، شاملاً حَبَّان وبلاد الذيببي [RES3945 / 4,5,8] وساحل وادي ميفعة، وكذلك هضبة السوط، ووادي حجر، وميفع في أسفل وادي حجر، وبلاد سيبان الواقعة غربي المكلا [RES3945 / 8,9]، وكذلك وادي جردان وعرما ودهر [RES3945 / 8].

أما أراضي قتبان التي كانت تحت النفوذ الأوساني فهي أودية بيحان، ومنطقة ردمان، وربما الحجرية، ومنطقة السوا [RES3945 / 13]، الشرعي 2004: 21 - 25].

لا شك في أن ذلك التوسع الأوساني قد أوحى لسبباً بأن الضربة الأوسانية القادمة لا بد أن توجه لسبباً في عقر دارها، ولهذا عمدت سبباً على عقد حلف مع كل من حضرموت

وقتيان للوقوف في وجه المد الأوساني، لاسيما إن الحرب التي شنها (كرب إل وتر) على نشان وبقية مناطق الجوف توحى بأنه قد كان هناك تقارب بين أوسان مع تلك الكيانات القائمة في الجوف، مما أوحى لسبأ بأنها واقعة بين فكي كماشة تمثل نشان وأوسان طرفيها، ولتجنب سبأ بلادها من الوقوع في ذلك الفخ فقد سعت إلى تشكيل تحالف مع كل من حضرموت وقتبان لمواجهة أوسان.

يلاحظ القارئ لنقش (كرب إل وتر) مقدار القسوة التي عامل بها (كرب إل وتر) الأوسانيين، وأبرز تلك المعاملة تتمثل في الآتي:

إن كل من مضاعفة العقاب الذي أنزله (كرب إل وتر) على أوسان وقيامه بمسح الكتابات ليوحى ذلك باحتمال أن سبأ قد تعرضت لحرب أو مواجهة ما أضرت بسبأ، وبسبب ذلك يحتمل أن الأوسانيين قد دونوا شيئاً عما ألحقوه بسبأ، ولهذا لجأ السبئيون عند انتصارهم على أوسان إلى إزالة كل الكتابات الأوسانية من القصر الأوساني ومعابد الآلهة.

ثالثاً - حرب (كرب إل وتر) على أوسان:

لا شك في أن مرجعنا الوحيد عن هذه الحرب هو نقش المكرب السبئي (كرب إل وتر) الذي يظهر في النقش بمظهر القائد الوحيد للحرب مما يعني أن النقش يعبر عن وجهة نظر صاحبه أولاً، وسبأ ثانياً. وأما أسباب هذه الحرب فهي وبدرجة أولى تلك الانتصارات الأوسانية على كل من حضرموت وقتبان، وضمها مساحات واسعة من مناطقها إلى نفوذها.

بعد الانتصارات التي حققتها أوسان، ومدّ نفوذها على مساحات واسعة من مناطق حضرموت وقتبان؛ سعت سبأ إلى تشكيل حلفٍ الهدف منه المبادرة إلى مواجهة أوسان قبل أن تستعيد أنفاسها من حروبها، وامتداد نفوذها على ما سلخته من أراضي حضرموت وقتبان، وقد رحبت كل من حضرموت وقتبان بالانضمام لذلك الحلف بهدف الثأر من أوسان واستعادة مناطقها من تحت النفوذ الأوساني. ومما لا شك فيه أن سبأ عندما دعت حضرموت وقتبان لتشكيل تحالف معهما ضد أوسان كانت تدرك أن لكل منهما مكانته وقدرته على الفعل في الحرب، ولو لم تتمتعان بقدرته على عون سبأ عسكرياً لما دعتهما سبأ للتحالف والمواجهة.

إن عدم وجود نقش يوضح دور كل من حضرموت وقتبان في الحرب إلى جانب سبأ لا يعني أن تلك الحرب سبئية دون مشاركة فاعلة من قبل حضرموت وقتبان، على الرغم من عدم ذكر دورهما في نقش (كرب إل وتر)؛ لأن النقش - كما سبق وأشرنا - يمثل وجهة النظر السبئية، ولكنه لا ينفى دورهما، بل إنه في فقرة من فقراته أشار إلى إعادته لكل من حضرموت وقتبان أراضيها من تحت سلطة أوسان، وهو بقدر ما يظهر هنا صادقاً ووفياً مع حلفائه؛ فإنه يشير إلى أن الحلفاء ليسوا مجرد متلقين، وإنما استعادوا مناطقهم نتيجة لدورهم الفاعل إلى جانب (كرب إل)، ولقدرتهم التي لا تقاس بقدره سبأ آنذاك، ولكن الحلف استعاد المناطق التي كانت تحت النفوذ الأوساني، وهي المناطق التي سلبتها من حضرموت وقتبان. ووفقاً لنقش (كرب إل وتر)؛ فقد شن الحلف بقيادة سبأ عدة حملات عسكرية ضد الدولة الأوسانية وبعض من مدن الجوف، وهي وفق الآتي:-

1. الحرب على منطقة المعافر وما جاورها (الحجرية).
2. الحرب على دولة أوسان (مركزها وادي مرخة).
3. الحرب على دهس (يافع) وأبين وتبن.
4. الحرب على (كحد ذسوطم) جنوب حضرموت.
5. الحرب على نشان وما جاورها (من مدن الجوف).
6. الحرب على نشان ونشق ثانية.
7. الحرب على يدهن وجزبت وعريم.
8. الحرب على سبل وهرم وفنز.
9. الحرب على مهامر وأمرم (منطقة نجران).

ومن الحروب أعلاه يهمننا الأربع الحملات الأولى؛ لأنها كانت على مناطق في محافظة شبوة اليوم، أو على مناطق كانت تتبع دول مركزها في محافظة شبوة، مثل هضبة دثينة أو هضبة السوط في حضرموت.

الحملة الأولى:

وجهت الحملة الأولى باتجاه المضيق في الجنوب الغربي، حيث كان يمتد النفوذ القتباني والأوساني في المنطقة المجاورة لمنطقة تعز اليوم، ومن تلك المناطق التي ورد

ذكرها في النقش اسم بلاد المعافر (م ع ر ن)، كما امتدت حربه لتشمل عددًا من المناطق مثل (سادم، وضبر وظلمم، وأروي، وذبحان، وشرحب). ويعتقد بافقيه بأن البدء بتلك المناطق يمثل "قصةً لأجنحة أوسان التي كانت تسيطر على منافذ التجارة البحرية" [بافقيه 1985: 59]. وكانت أهم المنافذ البحرية لمنطقة الحجرية منطقة السوا. [الشرعي 2004: 25 - 35، نقش السوار رقم 1]

الحملة الثانية:

وهي أقسى الحملات التي أشار إليها (كرب إل وتر) من حيث ما أنزله من عقاب بأهلها، وقد وُجِّهت هذه الحملة إلى عمق الديار الأوسانية في وادي مرخة، شاملة السر واللجية ووادي حمان، وامتدت لتشمل وادي عبدان، ووادي يشبم، وبقية حوض وادي ميفعة، أي حبان وبلاد الذيببي، ومناطق نسّم، ورشاي، وجردان [RES3945 / 4,8,9]. ومن الشق الغربي امتدت لتشمل كل هضبة دثينة التي كانت قسمًا من أراضي الدولة الأوسانية، وبواسطة هذه الحملة أحرق (كرب إل وتر) كل مدن أنفم، ومدن حبان، ومدن بلاد الذيببي، ومدن دثينة حتى البحر. ويلاحظ القارئ بأن هذه الحملة هي الأقسى بدليل الآتي:-

1. كان عدد القتلى من أوسان (16000) قتيل [RES3945 / 4]
2. أعداد من سباهم من أوسان (40000) [RES3945 / 4]
3. تعرضت الأراضي الأوسانية لصنوف جمّة من أشكال النهب والسلب والمصادرات وحرق المدن [حبتور 2017: 13 - 61]
4. مسح وتخريب كل الوثائق الأوسانية الموجودة في قصر مكرب أوسان والتي في بيوت الآلهة (المعابد) وعبر (كرب إل) عن ذلك بقوله: "وهأت و / خ ر ش / ب ي ت ه و / م س و ر / و م س ر / ك ل / اس ط ر / ع ت ب / ك ر ب ال / ب ن / ب ي ت ه و / م س و ر / و اس ط ر / اب ي ت / أ ل ال ت ه و / [RES3945 / 6] والجملة تعني: وأزال كل السطور (الكتابات) التي تدم وتتنقص من مكرب سبأ، (أزالها) من القصر الأوساني مسور وكذلك الكتابات التي في معابد الآلهة.
5. قتل كل أعضاء مجلس شيوخ أوسان (أرأس / م س و د / أوس ن) [RES3945 / 5]

6. قام بتسكين عدد من السبئيين في منطقتي ما يعرف اليوم ب (سر هل حمد)، ومنطقة أخرى ذكرت في النقش باسم (ح م د ن) [RES3945 / 7]، حبتور 2013: 91 - 119].

الحملة الثالثة:

وهي الحملة التي وجهت إلى بلاد يافع (دهس م)، ووادي تبين لحج (ت ب ن ي)، وصولاً إلى أبين بجوار يافع (ت ف ي ض / ن س ر / دهس م)، وبلاد العود، وصادر الكثير من الأراضي في هذه المناطق ومنها كل ما كان يملك ملك أوسان (مرتعم) ورجاله في بلاد يافع [11 / RES3945، العمري وآخرون 1990: 15]

الحملة الرابعة:

وهي الحملة التي وجهت إلى منطقة السوط في جنوب حضرموت. ويشكل السوط هضبة واسعة تشرف في شمالها على أودية جردان وحضرموت، وفي جنوبها تشرف على ساحل بحر العرب، ويخترقها وادي حجر الذي وصل إليه شمر يهرعش الحميري حوالي عام 300م، ربما للإشراف على جمع اللبان من تلك المنطقة. وعبر السوط يمر الطريق التجاري الذي ينطلق من بير علي عبر قلت ليهبط في وادي حضرموت أو في وادي جردان ومن ثم شبوة العاصمة الحضرمية [حبتور 1997: 52 - 65]

آراء وحقائق:

ناقش عدد من المؤرخين المحدثين أعمال مكرب سبأ (كرب إل وتر)، وشدتهم بعض محتوياته، فقادتهم إلى قول ما لم يرد في النقش، ربما يرجع ذلك نتيجة لإعجابهم بما دونه (كرب إل وتر) عن صولاته وجولاته الحربية التي شملت مناطق واسعة، وسنورد في هذا القسم بعضاً مما نسبوه إلى (كرب إل وتر)، ومن ثم سنأتي بالرد الذي ينفي تلك الأقوال من خلال ما احتواه ذات النقش وسنركز على أقوالهم الآتية:-

أولاً - القول بأن (كرب إل وتر) وحد اليمن.

ناقش بعض المؤرخين حروب (كرب إل وتر) وحلفائه (حضرموت وقتبان) الذين جمع فيما بينهم هدف مواجهة دولة أوسان بهدف استعادة ما انتزعتها أوسان من أراضي حضرموت وقتبان، ولأن تلك الحروب امتدت إلى مساحات واسعة؛ فقد اعتبر أولئك المؤرخون إن ذلك يشير إلى اتساع سلطة دولة سبأ ونفوذها، وأن (كرب إل وتر) قد وحد

اليمن [نوربرت نيس 1999: 95، الشبية 2001، يوسف 1990: 203، الجرو 1996: 94، حبتور 2003: 15 - 17]⁽¹⁾ وفات هؤلاء المؤرخين تأكيد (كرب إل وتر) في نقشه بأنه أعاد تلك الأراضي لأهلها (حضر موت وقتبان) [RES3945 / 12,13]، كما فاتهم قول (كرب إل وتر) في نقشه بأن كافة السبئيين أحرارًا وعبيدًا قد عادوا لموطنهم (أرض سبأ)، وذلك يعني أنهم غادروا بلاد أوسان ولم يبق فيها من السبئيين إلا ما أشار إليه (كرب إل وتر) من حاميات ربما عسكرية لحماية الممتلكات الخاصة التي استولى عليها كرب إل مثل الأراضي التي صادرها كرب إل من ممتلكات ملك أوسان ورجالة وجعلها ملكا للمقه ولسبأ، وقد أشار (كرب إل وتر) إلى محمية واحدة في أرض أوسان هي ما تعرف اليوم ب(سر هل حمد) بالقرب من نصاب [حبتور: 2013 - 91 - 119]، وأما أراضي أوسان فقد آل أغلبها مع المدى لدولة قتبان، وأما سبأ فقد اختارت مناطق وأراضي جعلتها ملكا

(1) ملاحظة:- لا شك أن من قرأ كتاباتي الأولى سيجد أنني أصنّف ضمن تلك المجموعة من مؤرخي عصرنا؛ لسبب وحيد هو أنني سرت في كتاباتي الأولى على نهج وقولية أساتذتي الكرام، لاسيما فيما يجمّل الأنظمة السياسية القائمة اليوم بالرغم من قبحها، ومع استمرارية البحث يبدأ المؤرخ المبتدئ التعمق في كل ما يقرأه ومن ثم التحرر والاستقلالية، وقد يصل إلى حد الاختلاف مع بعض الآراء، ومن ثم فإنه يرسم الطريق الخاص والتعبير عن الذات لا عن ذات ونهج الأستاذ، ولقد قرأت النقش (RES 3945) في أوقات لاحقة من تخرجي فكانت لي رؤية في حروب مكرب سبأ، حيث عددته بطل اليمن أسوة بأساتذتي، ثم وبعد مدة قرأت النقش فوفقت على حقيقة أن أوسان هي من بدأت التوسع على حساب كل من حضر موت وقتبان، وما حرب (كرب إل وتر) وحليفته (حضر موت وقتبان) إلا ردة فعل على حرب أوسان، ومن ثم إذا عددنا ذلك التوسع توحيدًا فإن أوسان هي الأسبق، لذلك فإن المكرب الأوساني هو الموحد الأول وليس (كرب إل وتر)، وفي ذلك مخالفة لما كنت أراه سابقًا، لكن نظرة بعض المؤرخين إلى كون سبأ تمثل المركز المقدس جعلهم ذلك لا يلتفتون إلى غير سبأ، لكننا قلنا الحقيقة كما هي على الرغم من أن ذلك يعد مخالفة لبعض رؤى أساتذتي وزملائي.

لا شك في أن قراءتي اليوم جعلتني أفق على حقيقة أن قادة القهر لم تتغير سلوكهم إلا ما ندر وبمختلف مسمياتهم وألقابهم من مكربين وملوك وأمراء وأئمة ورؤساء... وأن طبيعة العلاقة بين الشمال والجنوب هي ذاتها من أيام (كرب إل وتر) حتى اليوم، فهي علاقة قاعدتها العريضة الحرب والعداء المستحكم واستثنائها النادر الوئام والتعايش. وقد بحثت عن الوحدة لمن أسموا (كرب إل) بالموحد الأول في نقشه فلم أجدها، بل وجدت أننا محكومين بالقاعدة المذكورة آنفًا، وأن اليمن لم يشهد وحدة في أي حقبة من زمنه الماضي، وإنما شهد احتلالات متبادلة. فالوحدة لا يصنعها غير الشعب الذي يرى فيها وسيلة لا غاية، ولا يحمي الوحدة إلا العدل، وهذا ما افتقدناه في كل تاريخنا.

للمقه ولسبأ مما يعني أن سبأ اقتصرت على إتاوات وعائدات لبعض الأراضي الخصبة المصادرة من بلاد أوسان.

ثانياً - القول بأن (كرب إل وتر) يعتبر الموحد الأول لليمن:-

أشرنا أعلاه إلى أن (كرب إل وتر) لم يوحد الأرض التي قاد عملية تحريرها من النفوذ الأوساني بالتالي كيف يمكن قبول القول القائل بأنه الموحد الأول؟، ولكن لو ذهبنا مع ذلك القول وقبلنا به جدلاً فإن التساؤل يظل قائماً، فكيف فات أولئك المؤرخين أن حروب (كرب إل وتر) لم تكن إلا ردة فعل للحرب التي شنها مكرب أوسان، ووصل بها إلى مشرق حضرموت ومغرب المعافر؟. ومن ثم فإن أول من شن حروباً في إطار ذات الحدود كان مكرب أوسان وليس مكرب سبأ، وفي حالة قبلنا جدلاً بأن عمل كل منهما توحيداً فإن الحقيقة تؤكد بأولوية مكرب أوسان بلقب الموحد الأول [حبتور 2003: 3 - 28] لكن لماذا تجاوزه أولئك المؤرخون فأخروا المتقدم وقدموا المتأخر فذلك أمر هم من يمتلك سر معرفته.

ثالثاً - قيام (كرب إل وتر) ببناء دولة مركزية لعموم اليمن:-

أشار أحد المؤرخين المحدثين إلى قيام (كرب إل وتر) بعد هزيمة أوسان وتوحيده لليمن قام ببناء دولة مركزية وجاء قوله وفق الآتي: "نظراً لأنه عمل فرض سيطرته على اليمن في محاولة منه لإعادة توحيد السلطة، وإقامة دولة مركزية واحدة" [الناشري: 2010: 361 - 375]؛ لكننا إذا عدنا إلى نقش (كرب إل وتر) فإننا لا نجد ما يشير إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد، ولو حتى إثارة مجرد احتمال، بل نجد جملة من المؤشرات الواضحة التي أوردها (كرب إل وتر) النافية لذلك القول، والتي تنفي في ذات الوقت قول ذلك المؤرخ بأن (كرب إل) قد شاد دولة مركزية لعموم اليمن، حيث تؤكد تلك المؤشرات على استقلالية الدول التي قامت بعد هزيمة أوسان ممثلة بدولة سبأ وحضرموت وقبتان.

رابعاً - هل حقاً وحد (كرب إل وتر) الديانة في اليمن؟

أورد أحد الزملاء لدي حديثه عن أعمال (كرب إل وتر) قوله الآتي: "... ويلي الأعمال الحربية نظم الشعوب في وحدة واحدة تحت سلطة إله واحد وحاكم واحد دونها بعقد ولاء" [الناشري - 2010 - 365: 375]، واستشهد بما أورده (كرب إل وتر) في مطلع

نقشه (في الثلاثة سطور الأولى) التي دَوّن فيها (كرب إل وتر) جملة من التوجيهات والتعليمات الموجهة لشعب سبأ دون غيرهم، وكرر بعض العبارات المشابهة في عدد من نقوشه الأخرى، وجميع تلك الإشارات والتوجيهات مقصورة على الشعب السبئي، ولم نجد ما يشير إلى أن المقصود شعوب الدول الأخرى المجاورة لسبأ في عموم العربية الجنوبية، ومما ينفي القول بإرساء وحدة دينية للعربية الجنوبية في عهد (كرب إل وتر) ما يأتي:-

1. كرب إل ذاته أشار في نقشه إلى أكثر من إله سبئي مثل المقه، عثر، هوبس [RES3945 / 1]، وما لم يفعله من إصلاح ديني لسبأ لن يفعله لغيرها.
2. أشار إلى اثنين من آلهة حضرموت وهما الإله سين والإله حول [RES3945 / 12]، ووضعهما قبل اسم ملك حضرموت بل قبل اسم الشعب الحضرمي.
3. وبنفس الترتيب أشار إلى الإلهين من آلهة قتيان هما الإله عم والإله انبي [RES3945 / 13].
4. الدولة في اليمن لاسيما في مرحلتها الأولى عاشت متعددة الآلهة، فكل دولة لها مجمع من الآلهة، ولا يوجد إله وحيد ولكن هناك شي من التراتبية والتخصص للآلهة.
5. رغم تعدد الآلهة فإننا لم نعثر حتى اليوم على حروب دينية أو صراع ديني، فالحروب مقصورة على التوسع والسلب والنهب.
6. لم نعثر حتى اليوم على ما يشير إلى حروب دينية إلا في المرحلة المتأخرة وتحديدًا بين أتباع الديانة اليهودية الذين تقف خلفهم فارس، وبين أتباع النصرانية وتقف خلفهم الحبشة في القرن السادس الميلادي وما تلاه، أما قبل ذلك فرغم تعدد الآلهة فلم نقف على نقوش تتحدث عن صراع ديني.

المصادر والمراجع

المصادر النقشية :

RES3945 -

RES4337 -

DAI Sirwah 2005 / 50 / 24 -

- نقش مدينة السوار رقم 1

المصادر العربية :

- الأشبط، علي عبدالرحمن: الأعراب في تاريخ اليمن القديم 2004 صنعاء.

- بافقيه، محمد عبد القادر: تاريخ اليمن القديم 1985 بيروت.

- بافقيه، محمد عبد القادر: نقوش ودلالات - حولية ريدان - العدد السادس 1994.

- بيستون وآخرون: المعجم السبئي 1982.

- حبتور، ناصر صالح ومرعي بن فارس: (كرب إل وتر) السبئي معمراً أم مدمراً - مجلة

كليبات التربية - جامعة عدن - المجلد 15 العدد الأول يونيو 2017.

- حبتور، ناصر صالح: نقوش جديدة من جباة مجلة السياحة الآثار 2 - جامعة الملك

سعود - المجلد 25 - 2013.

- حبتور، ناصر صالح: وادي ميفعة - رسالة ماجستير - جامعة عدن 1997

غير منشورة.

- حبتور، ناصر صالح: توحيد اليمن قديماً بين ذكر إل وكرب إل - مجلة سبأ - جامعة

عدن - العدد 12 لعام 2003.

- الجرو، أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية

1996.

- الشرعبي، عبد الغني علي سعيد: مدينة السوا - 2004، صنعاء.

- الشيبة، عبدالله حسن: (كرب إل وتر) الكبير أول موجد لليمن - ندوة جامعة عدن

فبراير 2001.



- عبدالله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره 1990، بيروت.
- العمري، حسين عبدالله وآخرون: في صفة بلاد اليمن عبر العصور، 1990، بيروت
- الناشري، علي محمد: اليمن موحدًا تحت راية سبأ - مجلة كلية الآداب جامعة الحديدة - العدد الأول لعام 2010.
- النعيم. نورة بنت عبدالله: التشريعات في جنوب الجزيرة العربية المجلد 25 - جامعة الملك سعود، 2000م، الرياض
- نيبس، نوربرت: كرب إل وتر أول موحد لليمن - اليمن في بلاد ملكة سبأ، 1999.

العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت من خلال نقوش العقلة

مدخل:



أ.د/ محمد بن هاوي باوزير
أستاذ تاريخ اليمن والجزيرة العربية
القديم-جامعة عدن

تتميز مملكة حضرموت عن جاراتها في العربية الجنوبية (اليمن القديم) بأمرين مهمين كان لهما أثر كبير في ازدهار تجارتها محلياً ودولياً، الأمر الأول يتمثل في موقعها الجغرافي الاستراتيجي على طرق التجارة العالمية، لاسيما البرية، وكذا وقوعها على ساحل بحر العرب، الذي أقامت عليه موانئها ومراكزها التجارية الرئيسة كميناء قنا، وظفار ومينائها سمهرم، وجزيرة سقطرى... (انظر الخريطة)، أما الأمر الثاني فيمكن في مواردها الاقتصادية المتمثلة

في استحوادها على محاصيل كان الطلب عليها كبير (البخور ومشتقاته) كاللبان والمُر والصبر... بل كان الأول أكثرها جذباً للانتباه؛ نظراً لاستخداماته المتعددة في معابد العالم القديم، بل وحتى يومنا هذا. والمعروف أن هذه السلع كانت تشكل العمود الفقري لتجارة مملكة حضرموت، بالإضافة إلى ما كان يصلها من بضائع آسيوية وأفريقية، (كالتوابل والمنسوجات والأخشاب والعاج وغيرها)، وهي مستوردة من الهند وسيلان والصين، ومن أفريقيا لاسيما من شرقها، وهذه أيضاً لها رواج عند شعوب العالم القديم.

أما بالنسبة لاسمها فقد تعددت الآراء التي قيلت في اسم حضرموت، واختلفت التفسيرات والتعليقات في تخريجات التسمية ومعناها⁽¹⁾، علماً بأن هذا الاسم ورد في

(1) لمعرفة المزيد عن ذلك انظر: محمد بن هاوي باوزير: كراسات في تاريخ حضرموت، ص 17 - 34.

التوراة⁽¹⁾ وفي العديد من نقوش المسند⁽²⁾، وفي كتابات الكلاسيكيين (اليونان والرومان)، وكذا في الشعر الجاهلي⁽³⁾، بل ظلت حضرموت منذ العصور الغابرة تعرف بهذا الاسم دون انقطاع، بل الاسم ظل متداولاً على الرغم من زوال مملكة حضرموت، كما حدث لجاراتها من الممالك العربية الجنوبية (معين وسبأ وقتبان وحمير)، وبهذا الصدد يقول المؤرخ جواد علي: "ما زال اسم حضرموت حياً يطلق على مساحة واسعة من الأرض، فلها أن تفتخر بهذا على الدول العربية التي عاشت قبل الميلاد، ثم ماتت أسماؤها أو قلّ ذكرها قلة واضحة. وقد قطع اسمها مئات الأميال قبل الميلاد فبلغ مسامع اليونان والرومان، وسجّلهم في كتبهم لأول مرة في القارة الأوربية، وكُتب لذلك التسجيل الخلود حتى اليوم"⁽⁴⁾. وصفوة القول: "أن لفظة حضرموت العربية تحمل طياتها معنى الحضر والحاضرة، بمعنى "منطقة التمدن وأرض العمران"، على عكس البادية التي هي منطقة الصحاري والمراعي"⁽⁵⁾.

كل ما تقدم هو من الأمور التي تميزت بها مملكة حضرموت، ولعلها هي التي أدّت دوراً كبيراً في شهرتها وسعة صيتها، فعُرفت عند الجغرافيين والمؤرخين الكلاسيكيين (اليونان والرومان) بأنها بلد التوابل والبخور، وأرض الطيوب، بل تحدثوا عنها كمنطقة تنتج أجود أنواع البخور، وتحدثوا عن تجار هذه السلع الثمينة (سِلَع مقدسة ونقدية)، وزيادة الطلب عليها في حضارات العالم القديم. ولا شك أن هذه الظروف الجغرافية

(1) التوراة، سفر التكوين، إصحاح 15، فقرات 24 - 26، ص 13؛ وأخبار الأيام الأول، الإصحاح الأول، فقرات 18 - 22، ص 534.

(2) تعد حضرموت من أكثر الممالك وروداً في نقوش المسند بعد سبأ، إذ ورد ذكرها أكثر من ثمانين مرة في النقوش.

(3) ورد ذكر اليمن القديم وحضرموت - خاصة - في مواضع عديدة من الشعر الجاهلي. انظر: محمد بن هاوي باوزير: اليمن القديم في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، (أطروحة دكتوراه غير منشورة الفصل السابع من الأطروحة).

(4) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 2، ص 129.

(5) ليو هرش، وهو من الأوربيون الذين زاروا حضرموت عام 1893م، استغرقت رحلته ستة أشهر، زار فيها المناطق الساحلية، ثم توجه إلى داخل حضرموت، شبام وسيئون وتريم وغيرها من المناطق.

انظر، هانز هو لفرتر، الجنوب العربي المنسي، ص 71 - 74.

والاقتصادية قد عكست نفسها في المدى التاريخي على الصلات والعلاقات التجارية والحضارية بين مملكة حضرموت والحضارات القديمة لاسيما المجاورة لها، والكثير من الشواهد الأثرية والنقشية تؤكد ذلك. وعلى هذا الأساس سيكون بحثنا في تاريخ العلاقات الدبلوماسية القديمة لمملكة حضرموت، وسيكون مدخل تاريخي جغرافي، وثلاثة محاور: الأول، الكشف الأثري في العقلة تاريخه ونتائجه، والمحور الثاني، نقوش قدماء الحضارة التي عثر عليها في العقلة، وأهمية موقع العقلة من خلال النقوش، أما الثالث فهو عبارة عن نماذج من نقوش العقلة، وهي نقوش العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت، وينتهي البحث بخلاصة وملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.

أولاً: الكشف الأثري في العقلة - تاريخه ونتائجه:

سيتطرق هذا المحور إلى عدة مسائل تتعلق بالعقلة، وأهمها الكشف الأثري فيه، والآراء التي طرحت حول ذلك، وهو الأمر الذي سيفضي بنا في نهاية المطاف إلى عدد من المسائل لعل أهمها اسم العقلة وأهمية الموقع.

العقلة جبل يحتل موقعاً ممتازاً من السهل الواقع غرب مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت القديمة، وتعود شهرة هذا الجبل إلى اكتشاف بعض الآثار والنقوش حوله خلال رحلة قام بها الرحالة المستكشف البريطاني هاري سانت جون بريدجر فليبي، الذي اخترق فيها أطراف الربع الخالي قادمًا من المملكة العربية السعودية إلى حضرموت عام 1963م⁽¹⁾، وتستحق رحلته هذه الثناء؛ لأنه استطاع بالفعل بجديته أن يكتشف ويحدد ويصف شبوة (عاصمة حضرموت القديمة)، بل شكلت دراسته لشبوة معلومات أساسية استفادت منها العاملة الفرنسية (جاكلين بيرن) وغيرها من المهتمين بالشأن العربي الجنوبي⁽²⁾.

وفي المراحل الأخيرة من رحلته إلى تلك البقاع، وبينما كان يجتاز السهل الرملي بالقرب من شبوة مرّ بجبل صغير، وبينما كان يعد العدة لمسح الأرض حوله؛ أهاب به أحد مرافقيه بأن يأتي ليشاهد نصوصاً أو نقوشاً رآها على صخرة كانوا قد شاهدوا فوقها

(1) محمد عبدالقادر بافتيه: آثار ونقوش العقلة، ص9؛ مسعود عمشوش: المكتشف هاري سانت جون فليبي ورحلته إلى حضرموت، ص39.

(2) بافتيه: آثار ونقوش العقلة، ص9 - 10. فان در ميولين: رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ص128.

بقايا بناء صغير، وقد اتجه فيليبي إلى الصخرة ووجدها مغطاة بالنقوش، ومن ثم قام بتدوين تلك النقوش، ولعله كان أول من اهتدى إلى نقوش العقلة. ولأن فيليبي لم يكن متخصصاً في الآثار والنقوش قام بتسليم كل ما نسخه من النقوش لعالم النقوش أ.ف.ل. بيستون، الذي قام بوصفها وترجمتها في ملحق من خمسين صفحة يكوّن الجزء الأخير من كتاب فيليبي (بنات سبأ)⁽¹⁾، وذلك منذ طبعته الأولى سنة 1938م. وقد ورد في أحد نقوش فيليبي (203 philiby) التي عُثر عليها في غرب حضرموت اسم آخر مكربي حضرموت، ودون ذلك النقش بمناسبة إنشاء طريق بهدف تسهيل وصول القوافل إلى شبوثة عاصمة حضرموت القديمة، وكذلك لتسهيل وصول الجيش إلى مقر الملك للدفاع عنه⁽²⁾.

أيضاً قام الدكتور ألبرت جام (A.Jamme) عام 1963م بزيارة العقلة ونقل نقوشها، بل خلصت دراسته لها باسم (نصوص العقلة) (the Al.Uglah Texts). استلم الأستاذ محمد عبدالقادر بافقيه نسخة منها عام 1964م، مرسله له عن طريق الدكتور فان بيك - Van Beek (ترأس بعثة معهد أسمشونيان الأمريكية التي أجرت مسحاً أثرياً سطحياً لوداي حضرموت في عام 1961 - 1962م، وقد كان من بين أعضاء هذه البعثة ألبرت جام)⁽³⁾، وفي هذا الصدد يقول ألبرت جام عن نصوص العقلة في خاتمة القسم الأول من دراسته (ص31): "مع أن مجموعة نصوص العقلة قليلة العدد نسبياً فإننا نستطيع أن نعدّها جوهرة ثمينة تنطوي على صفحة جذابة من تاريخ حضرموت وقضاياها اللغوية linguistics. ومجموعة نصوص العقلة كهذه جديرة حقاً بطبعة خاصة وإصدار جديد. ورجائي أن تساعد هذه الصفحات على إعطاء نصوص العقلة مكانها اللائق بها في علوم جنوب الجزيرة العربية". ويقول في مكان آخر من دراسته (ص7): "إن مجموعة نصوص العقلة صغيرة في عددها نسبياً ولكنها تقدم لنا معلومات على جانب كبير من الأهمية عن حقبة من التاريخ الحضرمي تشمل حكم أربعة من الملوك". والملوك الأربعة وهم الذين

(1) عمشوش: المرجع السابق، ص 39 - 40؛ أسمهان الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، ص 69.

(2) بافقيه: آثار ونقوش العقلة: ص 10. وعمشوش: مرجع سابق، ص 83.

(3) وانظر: عمشوش: مرجع سابق، ص 83 - 845 - Phliby, Three New Inscriptions From - 845 - 83 Hadramout, PP. 124 - 133.

تركوا مع أتباعهم وضيوفهم نقوشًا في العقلة، وقد حكموا المنطقة - على رأي جام - فيما بين سنتي 270 و 300 ميلادية تقريبًا، وكانت فترات حكمهم تقديريًا.⁽¹⁾ وتجدر الإشارة إلى أن جام أغفل ذكر أول الملوك الحضارمة الذين زاروا موقع العقلة، وهو النقش الذي اكتشفه بافقيه، بل هو النقش الوحيد الذي يذكر اسم هذا الملك بل أقدمها، وقد وُجد النقش في موقع جديد من العقلة على صخرة كبيرة أسفل الجبل من ناحيته الغربية، وهذه الصخرة لا ترى من الموقع الذي اكتشفه جون فيلبي والذي اقتصر عليه ألبرت جام، ويبدو أن هذا النقش لملك لم يُعرف من قبل⁽²⁾؛ لذا سيكون ترتيب هذا الملك الأول في قائمة ألبرت جام، والنقوش التي وجدت في الموقع قد حددت الفترة الزمنية لزيارة الملوك الحضارمة لموقع العقلة (أنودم) بين نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي⁽³⁾، وهم:

- الملك يدع إل بين بن راب إل (بين نهاية القرن 2 وبداية 3م)، وهو أول الملوك الذي زاروا موقع العقلة إلى صخرة (مرواح)، إذًا فهو النقش الوحيد الذي يذكر الصخرة مرواح (ج ن د ل ن / م ر و ح / ه س ل ق ب)، بينما بقية النقوش تذكر الصخرة (أنودم)، إذًا فهو أقدم ملك ترك نقوشًا في العقلة، بل هو أول من استنَّ عادة الذهاب إلى العقلة في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث الميلادي⁽⁴⁾.

- الملك إل عزيلط بن عم ذخر (270 - 278)، ثاني ملوك حضرموت الذين زاروا موقع العقلة، وقد ترك في الموقع عدة نقوش توضح زيارته.

- الملك يدع إل بين بن راب شمس (278 - 290)، ترك عدة نقوش في الموقع ومن أهمها النقش (Ja 949) الذي يوثق فيه قيامه بإعادة بناء مدينة شبوة والقصر الملكي شقير، كما ذكر فيه قيامه بطقس الصيد⁽⁵⁾.

(1) بافقيه: المرجع السابق، ص 10 - 11.

(2) النقش (بافقيه - العقلة)، قارن مع بافقيه وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص 338 - 339. وجمال الحسني: الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، ص 138 - 139.

(3) بافقيه: في العربية السعيدة (دراسات قصيرة)، ص 95 - 96. جمال الحسني: مرجع سابق، ص 139 - 143. ومنير عربش: معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة، ص 7.

(4) السطر الثالث من النقش (بافقيه - العقلة).

(5) بافقيه: في العربية السعيدة (2)، ص 109.

- الملك ريام يدم بن يدع إل بين بن رب شمس (292 - 295)، حكم بعد أبيه يدع إل، وترك في الموقع عدة نقوش.

- الملك يدع أب غيلان بن يدع إل بين بن رب شمس (296 - 300)، هو آخر الملوك الحضارمة الذين زاروا الموقع أنودم، وترك عدة نقوش⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى وجود نقش قديم للملك الحضرمي (يدع إل بين)، المؤرخة مدة حكمة بين نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد. ويُعد أقدم النقوش التي وجدت في موقع العقلة، إلا أن النقش لم يذكر الموقع، وربما يعود السبب إلى أن الزيارة وتدوين النقش لم يكن للمناسبة نفسها التي ذهب إليها الملوك المذكورين أعلاه⁽²⁾.

وبالعودة إلى المجهود أو العمل الذي أنجزه ألبرت جام نجده يمتاز بأنه قدّم تحقيقاً رائعاً للنصوص صحح فيه الأخطاء التي اعترت مجموعة فيليبي، وأكمل النقص الذي كانت تعاني منه، كما وزع النقوش على مختلف مراحل الحكم بطريقة مقنعة، وحاول أن يعطي كل مرحلة من تلك المراحل تاريخاً على ضوء ما جاء في نصوص العقلة ونصوص أخرى من حقائق تاريخية. أيضاً للأستاذ بافقيه جهوداً لا تنسى في هذا السياق، فقد زار كلاً من العقلة وشبوثة في يوليو عام 1964م شاهد ورصد، وكتب مقالاً بعنوان: "أهمية كتابات العقلة... وشبوثة"، وقال فيه: "ومهما تكن الأسباب التي من أجلها اختيرت العقلة وقلعتها القديمة (أنودم) لتخليد ذكرى أولئك الملوك؛ فإنه لا شك في أن جبل العقلة كان ولا يزال موقعاً استراتيجياً مهماً يسيطر تماماً على طرق المواصلات⁽³⁾. ومن خلال كل ما تقدم تبرز لنا بعض الأسئلة، أو لعلها تفرض نفسها وهي: ماذا تعني لفظة العقلة؟ وهل وردت اللفظة في النقوش؟ وممّ يتكون موقع العقلة، وما هي أهميته؟.

(1) بافقيه: العقلة، ص 11، 46 - 51.

(2) نقش (عربش - بافقيه 1)

(3) بافقيه: الرسالة التربوية: مجلة تصدرها إدارة المعارف بالمكلا، العدد الأول نوفمبر 1964م، وقد زار بافقيه العقلة وشبوثة مرتين في أوائل عام 1966م بعد أن أصبحت صيانة الآثار من مهام إدارة المعارف بحضرموت، وبعد أن شرعت حكومة المكلا (السلطنة القعيطية) في الإعداد لإنشاء متحف المكلا للآثار والفنون الشعبية، وبالفعل افتتح المتحف في أغسطس 1966م، ولمعرفة المزيد عن نتائج تلك الجهود، انظر بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص 12 - 14.

أولاً: - العقلة - الاسم والموقع والأهمية:

ألبرت جام وبافقيه لهما آراء حول لفظة العقلة، فمثلاً جام يرى بأن اللفظة لها علاقة بالقيد والسجن، وعلى هذا الأساس رفض جام الرأي القائل بأن لفظ العقلة له علاقة بوجود الماء، لأنه يعتقد أنه لا وجود لأية آبار هناك، وأن كلمة عقلة في العربية تعني القيد والسجن، وعلى ضوء ذلك كان يبرر أو يحاول أن يجد تعليلاً للمبنى الصغير (الحظيرة enclosure) الذي يستند إلى أحد جوانب الصخرة الرئيسة. وقرر: "أن معنى عقلة في العربية يوحي بأن ذلك البناء ربما كان بقايا سجن قديم". أما بافقيه فيقول: ومع أنه قد يصحح أو ربما لا يصح ما ذهب إليه جام من "أنه ليس من السهل أن نتصور الجمال وهي تشرب عبر الجدار العالي للحظيرة"؛ فإن لفظ العقلة - إذا كان لا بد من تفسيره - فهو ذو صلة وثيقة بالماء، إذ إن البدو يسمون رؤوس الأدوية التي تنحدر منها المياه بعد هطول الأمطار (عُقَل)، جمع عقلة، وفي بروم (على الساحل غرب المكلا) موقع يسمى (العقلة)، وهو رأس الوادي الذي بشمال البلدة، وبه نباتات وآثار مرور مياه السيول⁽¹⁾. وفي الضالع مكان يطلق عليه العقلة (بالقرب من سناح المنطقة الحدودية مع شمال اليمن، وهي ذات صلة وثيقة بالمياه، بل وبحسب ما يرويه أهل الضالع أنها منطقة وافرة بالماء، ومنها مشروع مياه الضالع.

إذا فاسم العقلة له صلة بالماء، بدليل وجود أراضي زراعية بين العقلة وشبوة، بل عثر على بقايا لقنوات مياه قديمة، وكذا على ثلاثة آبار قديمة وخزانات للمياه (برك)⁽²⁾ وحتى يوم الناس هذا في محافظة شبوة، بأن موقع العقلة له صلة بالماء، غني بالمياه في باطن أرضه، أي يحتوي على خزان مياه جوفي هائل.

أما موقع العقلة وأهميته: فالعقلة اسم لجبل يقع في سهل صحراوي فسيح، على مسافة 15 كلم غرب مدينة شبوة عاصمة حضرموت القديمة، والمعروف أن العقلة لدى سكان المنطقة اسم للجبل وحده، بل الجبال في ذلك السهل الفسيح تحمل جميعها أسماء تميزها

(1) لمزيد من التفصيل حول العقلة وتعليلها وآراء الباحثين حول ذلك، انظر بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص 20 - 23.

(2) نفس المرجع، ص 21 - 22. وانظر: Doe, B: Southern Arabia, P.234.

بعضها عن بعض، فهناك إلى الشرق من العقلة مجموعة جبال لنمر (أي الأنمر جمع نمر) وإلى الشرق من هذه المجموعة جبل خروة، وإلى جنوب شبوثة جبال آل غالب، وإلى الشمال عند رملة السبعين⁽¹⁾ مجموعة من جبال لنسر، جمع نسر⁽²⁾ (انظر الخريطة).

ويتكون موقع العقلة من أربع صخرات: الصخرة الرئيسة وهي باتجاه شمال الغرب وجنوب الشرق، وتبلغ أبعادها 15×24م، وارتفاعها 15م، ووجد في فتحها بقايا بناء يكاد يغطيها تمامًا، وفي الجزء الجنوبي من وجهتها الشرقية وجد حوض للمياه مستطيل الشكل، وأرضيته مجصصة ومستوية⁽³⁾. والصخرة الثانية هي الملتصقة بالصخرة الرئيسة من الطرف الغربي للواجهة الجنوبية، ويقوم على سطحها بقايا بناء مهدم، وتوجد درجات (سلم) تؤدي إلى المبنى المقام على الصخرة الرئيسة، وإلى الجنوب الغربي منها تقع الصخرة الثالثة وهي أكبر منها بكثير، أما الصخرة الرابعة فتقع إلى الجنوب الغربي من الصخرة الثالثة وهي أكبر حجمًا من سابقتها⁽⁴⁾.

وتغطي النقوش كل الجهات للصخرة الرئيسة، كما وجدت ثلاثة نقوش على الصخرتين الثالثة والرابعة (انظر اللوحات في الملاحق)، وقد أطلقت تسمية (ج ن دل / أن و دم) على الصخور الشرقية الأربعة التي اكتشفها فيلبي⁽⁵⁾، وفوق الصخرة الرئيسة مبنى ديني لعله معبد الإله سين (إله القمر - الإله الرئيس لمملكة حضرموت)، ويبدو أن كافة المنطقة الصخرية المحيطة بالمعبد كانت تعد مقدسة⁽⁶⁾، والنقوش على الصخرة الغربية اسم (ج ن دل ن / م روح)⁽⁷⁾.

(1) رملة السبعين تعرف قديمًا باسم رملة (صيهده) شمال غربي وادي حضرموت، كانت المناطق الواقعة غربي رملة صيهده وجنوبها وشرقها تشكل خلال العصور القديمة الإطار السياسي والحضاري الرئيس في جنوب الجزيرة العربية، وفيها كانت حواضر ممالك أوسان ومعين وقتبان وسبأ وحضرموت.

(2) بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص 24.

(3) Doe, B: Southern Arabia, P.234. قارن مع بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص 17.

(4) بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص 17 - 18.

(5) المرجع نفسه، ص 25.

(6) كريستيان دارل: المعابد، ص 133. وانظر Sedove, Temples of Ancient Hadramawt, P.83.

(7) السطر الثالث من النقش (بافقيه - العقلة)، وقارن مع بافقيه: مختارات من النقوش، ص 338 - 339.

أما عن أهمية موقع العقلة، فإن هذا الموقع كجبل يحتل مركزاً استراتيجياً في السهل الصحراوي الفسيح الذي كان يربط بين عدد من مناطق حضرموت، فالعقلة بذلك تعد أفضل موقع للسيطرة على القوافل التي تستخدم ذلك الطريق لاسيما بين الجنوب والشمال⁽¹⁾، بل يمكن أن تكون أيضاً مركزاً خارجياً لشبوة العاصمة يصد عنها هجمات مباغته قد تكون قادمة من أية جهة في الغرب أو الجنوب (سبأ أو قتيبان مثلاً). أما البناية الغربية، إن كانت حصناً أو مجرد برج، فلعلها أقيمت لأغراض الحراسة، كحراسة الزراعة، ومراقبة أية تحركات في السهل الفسيح الممتد غرباً نحو مشارف الممالك القديمة المجاورة لاسيما سبأ و قتيبان، وذلك إما لصد أي عدوان مباغت أو للسيطرة على طرق القوافل من أجل فرض الرسوم الجمركية، كما أن وجود الآبار وآثار الزراعة حول العقلة وفي المساحة التي بينها وبين شبوة العاصمة يجعلها مكاناً صالحاً للترفيه كالقنص، والسباق والاستعراضات وغير ذلك⁽²⁾.

ثانياً: نقوش قدماء الحضارمة في العقلة:

1 - مجموعة النقوش التي عُثر عليها في العقلة:

بالرغم من العثور على العدد الكبير من النقوش القيّمة في موقع العقلة، غير أنها لم تذكر اسم العقلة، ورغم ذلك فإن أبرز ما يشتهر به هذا الموقع هو مجموعة النقوش التي عُثر عليها فيليب أو غيره، بل هي في غاية من الأهمية؛ إذ تقدم معلومات قيّمة عن بعض الحقب من التاريخ الحضرمي القديم. وقد تم تقسيمها على النحو الآتي:

أ - نقوش العقلة الشرقية (أنودم):

وهي النقوش التي قام ألبرت جام بدراساتها وتحقيقها، ومن ثم نشرها كاملة في كتابه (نصوص العقلة)، وبحسب أرقام جام المتسلسلة فهي تبدأ برقم (Ja 910) وتنتهي بـ (Ja 1006)⁽³⁾.

(1) بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص 17 - 18. وانظر، Doe، op - cit، P. 234.

(2) لمعرفة المزيد عن مكونات موقع العقلة وأهميته، انظر بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص 26 - 30.

(3) انظر مدونه جام - Ja، وبافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص 19، 59 - 76.

ب - النقوش الجديدة:

وهي نصوص العقلة الغربية والشمالية، ويبدو أنها تعطي معلومات عن تاريخ حضرموت وعلاقتها بجيرانها قبل أن يتم ضم المنطقة تحت لواء حمير أي ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت، والنقوش الجديدة موزعة على ثلاثة مواضع في الصخرة الغربية (مروح)، وفي البناء الغربي وحوله بأعلى العقلة، وفي بعض الصخور المنتشرة خلف الجبل⁽¹⁾.

وفي سياق بحثنا هذا لا نستطيع أن نتناول جميع النقوش التي وُجِدَت في العقلة، علمًا بأن المهتمين والباحثين لاسيما المستكشف البريطاني فيلبي وألبرت جام وبافقيه قد قاموا بتوثيقها ودراستها وتحقيقها، وقد أعطوا الموضوع حقه، وبالرغم من ذلك يظل المجال البحثي لهذه المنطقة مفتوحًا لمزيد من البحث الأثري والحصول على معلومات أوفر⁽²⁾.

2 - أهمية موقع العقلة من خلال النقوش:

- النقش (Ja 921 أنموذجًا) ونصّه:

1. إل ع ذ / ي ل ط / م ل ك / ح
2. ض ر م ت / ب ن / ع م ذ خ ر / س ي
3. ر / أ د / ج ن د ل ن / أن و دم / هـ
4. س ل ق ب

- الطابع العام للنقش وأهمية موقع العقلة من خلاله:

جام 921 من النقوش المحفورة في الجهة الشرقية لجبل العقلة (أن و دم قديمًا)، ويبدو أن الطابع العام للنقش هو الطابع الاحتفالي لمناسبة ما، كالتتويج أو لتوزيع الألقاب أو المكافآت، أما ما خلص إليه ألبرت جام من استنتاجات في كتابه (نصوص العقلة - ص 16 - 18) فهي:

(1) المرجع نفسه، ص 77 - 81.

(2) منذ عامين من الزمان يقوم أحد طلاب الدراسات العليا (دكتوراه) بكلية الآداب - جامعة عدن، (محمد أحمد السدلة) بالبحث والتقصي في تاريخ هذه المنطقة وآثارها، وقد كان لي شرف الإشراف العلمي على أطروحة الدكتوراه لهذا الطالب، ونرجوا أن تزخر هذه الأطروحة بمعلومات إضافية جديدة. وقد انتهى الطالب من إعداد أطروحته وهو على وشك المناقشة في الثلث الأول من عام 2020م.

"أن الملك الحضرمي العذيلط (إ ل ع ذ / ي ل ط)⁽¹⁾، اكتشف الإمكانات العظيمة التي يقدمها كل من الموقع والصخرة الكبيرة لإقامة الحفلات العامة في الهواء الطلق، ولهذا صمم على أن يتوج الصخرة الرئيسة ببناء يستطيع أن يقوم أمامه بأعمال علنية، فيراه جميع الأشخاص - أيًا كان عددهم - الذين يجلسون أو يقفون في السهل الواسع المكشوف الذي يمتد إلى الشرق من الصخرة". ويستمر الحديث لجام: "في النقش الوحيد الذي أمر بحفره (Ja 921) يصف الملك نفسه جزأي الحفل: موكب الخيالة cavalcade وتوزيع الألقاب أو المكافآت، وأنه من المأمون أن نفترض أن النقش قد حفر بعد أول احتفال مباشرة".

كما يرى جام أن مرافقي الملك في الموكب أو الاستعراض نوعان: الأول يتكون من حاشية الملك العادية، والنوع الآخر يتكون من ضيوف الشرف، وأن الفرق بين النوعين يلتمس في أن ضيوف الشرف هم الذين شايعوا أو رافقوا "Accopanned" الملك في حفل ورّع خلاله سيدهم ألقابًا ومكافآت (ه ل ق ب = س ل ق ب). وأنه من الطبيعي أن أولئك المرافقين المميزين للملك هم الذين تلقوا منه الألقاب، وأنه ليس هناك ما يمنعنا من الافتراض بأن الملك أقام النوع نفسه من الاحتفال في مناسبات أخرى، وأن النقوش نفسها توحى بأن الحفل قد أقيم ثلاث مرات على الأقل. أما بافقيه فيرى أن ألبرت جام قد بنى جميع استنتاجاته على موقع واحد فقط في العقلة هو الجانب الشرقي المعروف بـ (أنودم)، فلم يكن الجانب الغربي (مروح) قد اكتشف حين ذاك، كما أنه لم يلتفت إلى استعمال لفظتي (جندلن) و(محفدن) كوصف (لأنودم) في نقوش العقلة الشرقية، وغيرها من الأمور التي تحتاج إلى دراسة وقراءة جديدة لنقوش العقلة⁽²⁾.

وهكذا نجد أن الحكام الحضارمة قد أقاموا احتفالاتهم حول العقلة، وفي المساحة التي بينها وبين العاصمة شبوة، ويبدو أن هذه المساحة وفي مواسم معينة تتحول إلى

(1) إل ع ذ... حلت الذال محل الزاي (إ ل ع ز)، وهذا عادة ما يحدث في النقوش الحضرمية، أما عن هذا الملك الحضرمي (إ ل ع ذ / ي ل ط / ..) فهو من ملوك بداية القرن 3م، ويبدو أن المصالح السياسية قد دفعته لمصاهرة الملك (ش ع ر م / أ و ت ر) بن الملك (علهان نهفان ملك سبأ وذو ريدان، فتزوج من أخت شعرم أوتر (م ل ك ح ل ك). انظر النقش (أرياني13) في نقوش مسندية لمطهر الأرياني، من 122 - 159.

(2) قارن مع بافقيه: آثار ونقوش العقلة، 33 - 35.

مروج خضراء وفيها يقيم الحضارمة مراسيم التتويج وتولية الحكم أو الملك، ومن ثم بقية فقرات حفل التتويج وذلك عند مجموعة من الصخور التي تقع أسفل جبل العقلة (أ ن و د م) والتي تطل على تلك المساحة الواسعة الخضراء التي يتجمع فيها المشاهدون وغيرهم من الحضور، والتي تقام بها احتفالاتهم وكذا سباقاتهم وصيدهم وقنصهم كجزء من مراسيم حفل التتويج، وفيها أيضًا توزيع الألقاب والمكافآت⁽¹⁾.

ثالثًا - نقوش العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت القديمة :

حرص ملوك حضرموت على زيادة الروابط الطيبة مع كل من يتعاملون معهم داخل الجزيرة العربية وخارجها، وقد جاءت الوفود إلى مملكة حضرموت (موقع العقلة) للمشاركة في مراسيم احتفال تولية الحكم أو مراسيم أخرى، وذلك بحسب ما جاء في بعض النقوش. ويبدو من خلال قراءة محتوى تلك النقوش، أنها من نقوش العلاقات التجارية والدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت. وسناقش في السياق الآتي ثلاثة نماذج من نقوش العلاقات الدبلوماسية: الأول في الإطار المحلي (اليمن القديم)، والثاني في الإطار القطري في الجزيرة العربية، أما الثالث ففي الإطار الدولي. وهي كالاتي:

1 - النقش (Ja 923) :

حُفر هذا النقش في الجهة الشرقية لجبل العقلة (أ ن و د م قديمًا) أما نص النقش فهو:

(1) يمكننا أن نتصور أن ذلك يشبه - إلى حد ما - ما يقوم به اليونانيون من مهرجانات في حضان جبل (الأولمب) الذي كان يسكنه (زيوس) رب الأرباب، حيث تقع مدينة (أولمبياد) التي كانت تتمتع بمركز ديني مرموق، وهناك تقام مهرجاناتهم كل أربع سنوات (منذ عام 776 ق.م) تكريمًا للإله زيوس، وقد عثرت بعثات التنقيب على بقايا النذور القديمة التي كانت تقدم للآلهة في معابد تلك المنطقة. ويبدو أن الألعاب الأولمبية بدأت كمهرجانات دينية، ولاحقًا أخذت صبغتها الرياضية. ولعل في ذلك ما يجعلنا نعتقد أن هناك تشابه - إلى حد ما - بين مهرجان اليونانيين وكذا الرومان القدماء واحتفالات الحضارمة في العقلة حيث أقامتها في حضان جبل العقلة بالقرب من المدينة شبوته العاصمة، وحيث يتم التقرب للإله سين في نفس الموقع وتقديم القرابين والنذور له، وحيث طقس العيد الملكي (القنص أو القنص)، وربما في تلك الأنحاء في فترة احتفالات التتويج تقام أيضًا سباقات الهجن والخيول وغيرها، ولعل تلك الطقوس أو المهرجانات الحضرمية أشبه ما تكون بطقوس ومهرجانات اليونان والرومان المقامة على مسارحهم المفتوحة للهواء الطلق. انظر، إبراهيم سعد وآخرون: العمارة الرومانية، ص 125 - 135؛ والموسوعة العربية الميسرة، مجلد 2، ص 169؛ وحلمي سالم: الأولمبياد، كتاب الهلال، القاهرة، 1984م، ص 168 - 174.

1. ي دم / بن / ر ط ب م / وم ر ث دم / بن / ش ع بن
2. ي و / ح م ي ر ي ه ن / ش و ع و / م رأس م ي ن / إل / ع ذ / ي ل
3. ط / م ل ك / ح ض ر م ت / بن / ع م ذ خ ر / م ت / س ي ر / أ د / ج
4. ن د ل ه ن / أن و دم / ه م ت ل ل / و ه ل ق ب / م ت / س
5. ل ح س م ي ن / م رأس م ي ن / ث أ ر ن / ي ع ب / ي ه ن ع م /
6. م ل ك / س ب أ / و ذ ر ي د ن / ت ن ب ل م / ه ش ي ع / أ
7. خ س

محتوى النقش وطابعه:

يبدو أن الملك (تأران يعب يهنعم) ملك سبأ وذي ريدان حريصًا على علاقات الود والتعاون مع مملكة حضرموت، بدليل قيامه بإرسال وفدٍ حميريٍّ للمشاركة في مراسم تتويج الملك الحضرمي إل عذيلط، وقد رافقوه في موكب واستعراض احتفالي مهيب. ويتبين من قراءة النقش أنه ذو طابع دبلوماسي، مثلًا اللفظتان (ت ن ب ل م) و(ه ش ي ع)، فالأولى (ت ن ب ل م) هكذا وردت في التصوير وليس (ت ق ب ل م) كما وردت في نسخة جام (A.Jamme: the al - Uqlah Texts) إذن اللفظة (ت ن ب ل م) (ت ن ب ل ت) تعني: وفد، رُسل، بعثة دبلوماسية، والثانية (ش ي ع) (ه ش ي ع) وتعني في المعجم السبئي تابع، نصير، شيعه، أنصار⁽¹⁾، ولعل اللفظتين (ت ن ب ل م / ه ش ي ع) تعني أن أصحاب النقش جاءوا من أجل مشايعة (مرافقة) الملك في الحفل، أي شاركوا في تلك المراسيم بوفدٍ دبلوماسي.

2 - النقش (Ja 919):

1. ر ب ب أ ث ت / ن ض ر ت / ص د ق
2. ت / أ خ ت م / د ل ي ت / ح ي ت ن
3. ن ع م / ش ع ر / س و د ت / أ ب و د د
4. ت ف ص ي / م ل ح م ت / أ ب ص د ق / ح
5. ص ي ن ع م / ق ر ش ه ت ن / ش ي ع ن / م

(1) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص 136، 90.

6. رأس ن / أ ل ع ذ / ي ل ط / م ل ك / ح ض

7. ر م ت / ب ن / ع م ذ خ ر

محتوى النقش وطابعه:

رباب أنه أو أثيه ونضرة وصدقة واختم أو اختام ودلية وحيتين أو حيتان ونعام وشعر وسودة وأب ودد ونفصي وملحمة وأب ص د ق وحصين عم القريشيات (شيعن) أي رافقن (مرأسن) سيدهم العذيلط ملك حضرموت بن عم ذخر. كل هذه أسماء معطوفة بعضها إلى بعض لثلاث عشرة أو أربع عشرة من النساء قد رافقن سيدهن ملك حضرموت، ونحن نفهم من نقوش أخرى خاصة نقوش العقلة أن بعض ملوك حضرموت كانوا يقيمون مراسم توليهم الحكم أو المُلْك عند مجموعة من الصخور التي تقع أسفل جبل العقلة من الناحية الشرقية (أن ودم قديمًا)، وفي معيتهم نبلاء حضرموت ووفود من جهات شتى في شبه الجزيرة العربية ومن خارجها⁽¹⁾.

وعلى ضوء تلك القراءة النقشية ربما يتبادر إلى الذهن أن هؤلاء النسوة من قريش (القبيلة المعروفة) لولا عدم ياء النسبة، مما يجعل ذلك التفسير غامضًا (بالإضافة إلى مشكلة التاريخ)، وإذا كان النقش قد قصد من ذلك قريش المعروفة صاحبة مكة نكون بذلك قد وقفنا لأول مرة على اسمها في وثيقة مدونة⁽²⁾، وأيًا كان الأمر وسواءً كانت النسوة من قريش المعروفة أم من منطقة قريبة من مملكة حضرموت على زيادة الروابط الطيبة (التواصل الحضاري) مع جيرانهم داخل الجزيرة العربية وخارجها، وربما هذا يجعلنا نعتقد أنه من قبيل العلاقات الدبلوماسية.

3 - النقش (Ja 931) :

إذا كان النقشان السابقان يتحدثان عن وفود من أراضي اليمن القديم، ومن الجزيرة العربية للمشاركة في احتفالات الملوك الحضارمة؛ فإن هذا النقش يتحدث عن وفود

(1) بافقيه وآخرون: مختارات من النقوش، ص 325 - 326؛ وإبراهيم ناصر البريهي: الخط المسند وثيقة للصلات الحضارية في تاريخ الجزيرة العربية القديم (في كتاب الوحدة الحضارية للوطن العربي)، ص 656 - 657.

(2) بافقيه وآخرون: مختارات، ص 326؛ وجواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 2، ص 145.

دولية من خارج الجزيرة العربية، جاءت للمشاركة في مراسيم تتويج الملك الحضرمي (إل عذيلط) في العقلة، وهو من أبرز النقوش التي تتحدث عن العلاقات الدبلوماسية والتواصل الحضاري وجاء فيه:

1. خ ي ر ي / وع ذ ذ م / ت ذ م ر
2. ي ه ن / ذ م ت ر ن / و ف ل ق ت
3. ك ش د ي ي ه ن / د ه ر د ه / و م
4. ن د ه / ه ن د ي ي ه ن / ش و ع و
5. م ر أ س م / إل ع ذ / ي ل ط / م
6. ل ك / ح ض ر م ت

محتوى النقش وطابعه:

من خلال القراءة النقشية لـ (جام 931) يبدو أن الطابع العام للنقش، هو طابع العلاقات الدبلوماسية بين حضرموت القديمة والحضارات المعاصرة لها، ومن المعروف أن مملكة حضرموت كانت تحتل مركز الصدارة في إنتاج وتجارة البخور، ومن أشهر أنواعه اللبان والمر والصبر، وكان الأول أكثر جذبًا للانتباه نظرًا لاستخداماته المتعددة حتى يوم الناس هذا، وحتى نفهم أهمية هذه التجارة (تجارة حضرموت للبخور) مع أقطار العالم القديم جدير بنا أن ننظر إلى الدور الذي تؤديه مختلف أصناف البخور الحضرمي في الحياة اليومية لأعظم الحضارات منذ القدم⁽¹⁾.

وليس من السهل تقدير كمية الإنتاج والتبادل التجاري لمملكة حضرموت لاسيما مركزها التجاري المتمثل في عاصمتها شبوة؛ وذلك لعدم وجود أرشيف أو نصوص تذكر وجود تجار أجانب⁽²⁾، ولكن هناك نقشًا واحدًا (جام 931) يذكر وجود أشخاص من تدمر ومن العراق القديم (كلدان)، ومن الهند عند تنصيب الملك الحضرمي العذيلط

(1) رونالد ليوكوك: وادي حضرموت ومدينة شبام المسورة، ص 11 - 15؛ عميدة شعلان: دراسة لنقش سبئي على مبخرة، ص 22. والتر مولر: الموسوعة اليمنية، مجلد 2، ص 793 - 795. أيضًا أهمية البخور في الحياة اليومية وردت في الكتاب المقدس في التوراة: أسفار حزقيال 27 / 22 - 23، ونشيد الإنشاد سفر 3 / فقرة 6 وسفر 4 / فقرة 6 وفقرة 13. وفي إنجيل متى فقرة 11.

(2) عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون: شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص 173 - 174.

أو العزىلظ في بداية القرن الثالث المىلادى تقريباً، أو ربما وجودهم كان لمناسبة أخرى، غير أن من المرجح أن هؤلاء الأشخاص كانوا سفراء وليسوا بتجار، وقد ذكر النقش عدة أشخاص أجانب هم:

(خىرى وعذذ) من تدمر في بادية الشام، و(ذمترن) أو ذمتران و(فلقة) من الكشديين، وهو (كشدى) الشكل الأصلى لاسم القوم الذين ندعوهم الآن بالكلدیین، والذين كانوا يسكنون جنوب العراق في العصور القديمة، و(دهردة) و(مندة) الهنديين أو من الهند كما يدل عليه شكل الاسمين، ويذكر أن سفيراً هندياً يدعى (دهردة) كان قد وفد إلى قيصر الروم خلال السنوات (222 - 218 م)، فيظهر أنه مكث مدة في حضرموت إبان رحلته من الهند إلى بلاد الروم عند عودته من هناك⁽¹⁾.

ويذكر النقش أن هؤلاء جميعاً قد رافقوا (العزىلظ) (إل عزىلظ) ملك حضرموت، إلا أن النقش لم يوضح لنا ما هي المناسبة التي من أجلها رافق هؤلاء الملك الحضرمي، ولكن من خلال دراسة نقوش العقلة التي تتحدث عن مملكة حضرموت، ويظهر أنها تتحدث عن بعض ملوك حضرموت، وأنهم اعتادوا إجراء مراسيم الملك وتوزيع الألقاب بأسفل جبل العقلة من الناحية الشرقية (Ja 921). ومن الملاحظ هنا أن كل دولة يمثلها شخصان، مما يدل على أنها دعوة رسمية واحتفالات منظمة، فضلاً عن مدى العلاقات الطيبة التي تربط مملكة حضرموت وهذه الدول، بالإضافة إلى ما تتمتع به حضرموت من مكانة قوية بين الدول المعاصرة لها آنذاك بفضل تجارتها وتحكمها في بعض المواد العطرية إلى غير ذلك من الأسباب، كما يدلنا هذا النقش على أن الدول في العالم القديم كانت تتبادل السفراء والمندوبين مثل ما تقوم به الدول في عصرنا الراهن وذلك لتسهيل العلاقات بينهما⁽²⁾.

ومن الجدير بالذكر أن عادة الذهاب إلى موقع العقلة التي استنها الملك يدع إل بين بن راب إل، والشاهد على ذلك نقشه الذي عثر عليه بافقيه في أسفل الجبل من ناحيته الغربية (م ر وح)، وقد عُرف النقش باسم (بافقيه - العقلة)، ويؤرخ حكم هذا الملك بـ (أواخر القرن 2 - أوائل القرن 3 م)، وقد توقفت هذه العادة بسقوط شبوة عاصمة حضرموت،

(1) بافقيه وآخرون: مختارات، ص 329 - 330؛ والبريهي: مرجع سابق، ص 660.

(2) بافقيه وآخرون: مختارات، ص 329 - 330؛ وعزة عقيل وبريتون: مرجع سابق، ص 173.

أي أن سقوط شبوة في أوائل القرن الرابع الميلادي وضع حدًا لتلك العادة التي استنها يدع إل بن راب، ويبدو أن هذا التوقيت (القرن 4م) كان بمثابة إعلان ميلاد التبابعة الحميريين التي ضمت أغلب مناطق اليمن القديم تحت رآيتها⁽¹⁾.

وهكذا تبين من القراءات النقشية السابقة أن الحضارمة كانوا حريصين على زيادة الروابط الطيبة مع كل من يتعاملون معهم داخل الممالك العربية الجنوبية أو الجزيرة العربية أو خارجها، وعلى هذا الأساس سنعطي لمحة موجزة عن الاتصال الدبلوماسي الحضاري عامة بين مملكة حضرموت القديمة وبعض بلدان العالم القديم بحسب ما ورد في النقوش سابقه الذكر، على النحو الآتي:

لا شك أن هناك علاقات وطيدة (في الإطار الجغرافي لليمن القديم) بين مملكة حضرموت والممالك العربية الجنوبية، علاقات سياسية وتجارية ودبلوماسية، وذلك بحكم الجوار والمصالح المتبادلة لاسيما التجارية، وبحكم تقارب مناطق نفوذها وتداخلها؛ كانت في حالة مدّ وجزر، تتحالف تارة، وتتنازع تارة، والكثير من الشواهد النقشية تؤكد ذلك. والحديث حول هذا طويل وليس محله هنا، وهذا ينطبق أيضًا على شكل العلاقات على مستوى الجزيرة العربية، وقد تناولنا ذلك وبالذات فيما يخص العلاقات التجارية والدبلوماسية (انظر النقشين 923 و 919 Ja).

أما فيما يتعلق بالإطار الدولي حول العلاقات الدبلوماسية والحضارية بشكل عام فقد أشرنا إلى ذلك من خلال النقش (Ja 931).

العلاقات مع الهند:

للممالك العربية الجنوبية ومنها مملكة حضرموت، مع الهند علاقات تجارية لا نعرف على وجه الدقة بدايتها، وقد كانت الهند تشتهر بمنتجات ومصنوعات عديدة مثل (الكافور والمسك والتوابل والأنسجة وغيرها من السلع الهندية)⁽²⁾ التي تحتاج لها

(1) بافقيه: في العربية السعيدة، ج 2، ص 98 - 119.

(2) ظلت التجارة الهندية والعربية الجنوبية لاسيما حضرموت القديمة مستمرة منذ القدم وحتى ظهور الإسلام وما بعده، وقد كانت الكثير من السلع الهندية تصدر إلى بلاد العرب، والتجار الحضارمة كانوا يستوردونها لغرض تصديرها إلى بلدان العالم القديم. لمعرفة المزيد عن ذلك انظر: محمد إسماعيل الندوي: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص 17 - 33؛ ونورة النعيم: الوضع الاقتصادي

شعوب العالم القديم، ولعل موقع حضرموت بالنسبة للهند جعل منها مركزاً لاستلام المنتجات الهندية وتوزيعها بواسطة التجار الحضارم أو غيرهم من تجار الممالك العربية الجنوبية، وقد عكس ذلك التواصل التجاري نفسه في المدى التاريخي على العلاقات الحضارية بين مملكة حضرموت والهند، علماً بأن تلك العلاقات لم تقتصر على الجانب التجاري، وإنما تمخض عنها اتصال وتفاعل حضاري وثقافي فاعل ونشيط⁽¹⁾.

ومن الشواهد الأثرية التي تؤكد لنا عمق العلاقات الحضارية مع الهند ما عثر عليه في أثناء الحفريات في منطقة ظفار العُمانية (كانت تابعة لمملكة حضرموت القديمة) من بقايا عظام بشرية تقول الدراسات إنها تحمل أثر وتقسيمات الإنسان الهندي، ومن المحتمل أن تكون بقايا آثار لجماعات قدمت من الهند واستوطنت السواحل التابعة لحضرموت أو القريبة منها، وما زالت العلاقات مع الهند قائمة، إذ تحمل لنا بين الحين والآخر موجات مهاجرين هنود إلى سواحل غرب الجزيرة العربية والخليج العربي⁽²⁾.

بالإضافة إلى معثورات (البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان) وجدت في ميناء سمهرم (خور روري حالياً) وهو من أهم موانئ مملكة حضرموت وبناه الحضارم القدماء، ووجدت فيه قطع حجرية وقطع برونزية كتب عليها بالخط العربي الجنوبي (المسند)، تصف تأسيس الحضارم للمدينة كمركز لتجميع (البخور) وتصديره إلى الخارج. وظهر من خلال هذه الكتابة اسم إله حضرموت (سين ذا اليم)، كما تم الكشف عن آثار للقلعة التي تحمي المدينة، وآثار معبد قديم شيد وسط الجانب الشمالي للمدينة، وهو المعبد الذي يُعبد فيه الإله (سين) إله القمر، أيضاً عثر على أحد أبواب مدينة سمهرم منقوشاً عليه اسم ملك حضرموت (إل عزيلط) واسم عاصمته شبوة⁽³⁾.

في الجزيرة العربية (ق3م - 3م)، ص 263 - 266. كما ورد ذكر بعض هذه السلع الهندية في كتاب الطواف، 45 - 27، P. 14, 17, 32, 41, 56, the PeriPlus,;

(1) لمعرفة المزيد عن العلاقات الحضرمية الهندية عبر العصور - انظر: الصلات التجارية بين حضرموت والهند، مجلة كليات التربية، عدد يوليو 2016م، ص 327 - 365.

(2) ثريا منقوش: قضايا تاريخية وفكرية من اليمن، ص 74.

(3) وزارة الإعلام في عمان: عمان في التاريخ، ص 74 - 75.

ومن المعثورات الأثرية التي تؤكد على وجود علاقات حضارية بين حضرموت والهند التمثال الذي عثرت عليه البعثة الأمريكية في الموقع نفسه، وهو تمثال برونزي لفتاة هندية - لعلها راقصة - تعزف على الناي، وقد أُرخ إلى القرن الثاني للميلاد⁽¹⁾. كذلك حملت لنا النقوش المسندية التي عثر عليها في موقع (العقلة) بالقرب من العاصمة الحضرمية شبوة أخبار زيارات واستقبالات رسمية لوفود هندية قدمت حضرموت للمشاركة في احتفالات تتويج الملك الحضرمي (إل عزيلط) على عرش مملكة حضرموت⁽²⁾.

ومن شواهد تلك العلاقة الحضرمية أيضًا أن جزيرة سقطرى التابعة لمملكة حضرموت والتي تتمتع بموقع استراتيجي مهم في المحيط الهندي، تشتهر بإنتاج السلع المرغوبة آنذاك كاللبان والمر والصبر، ودم الأخوين (شجرة نادرة لا توجد إلا في جزيرة سقطرى) وغيرها من النباتات الغريبة، وكانت حلقة وصل بين الهند ومملكة حضرموت، وكذا شرق أفريقيا، فهي بمثابة محطة استراحة تتوقف عندها السفن قبل أن تنطلق إلى الهند، لذلك اهتم الهنود القدماء بسقطرى وأسموها "الجزيرة السعيدة"، بل يقال: إن الاسم سقطرى راجع للاسم السنسكريتي الهندي "دفيبا سخدرا" Dvipasakhadra، بينما المصادر الكلاسيكية تراها كمركز تجاري مهم يتبع مملكة حضرموت، وأطلق عليها "أجارثاخيدس Agathachides" اسم جزيرة السعادة، أما كتاب الطواف فقد أطلق عليها اسم "ديزكوريدا Discorida"⁽³⁾.

وجدير بالذكر أن الصلات والعلاقات الحضرمية الهندية ظلت مستمرة منذ العصور التاريخية القديمة فالوسطية والحديثة، وقد تمخض عنها اتصال وتلاقح وتفاعل حضاري وثقافي بين الجانبين، إضافة إلى أنها أصبحت أساسًا ورافدًا للهجرات المتبادلة بين الطرفين⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 98.

(2) نقش جام: (4 - 3 / Ja 931).

(3) كتاب الطواف، Schoff، w: the periplus، ch 30، P. 33 - 34. وانظر: محمد علي البار: سقطرى الجزيرة السحرية، ص 13 - 74.

(4) لمعرفة المزيد عن هذه الصلات والعلاقات. انظر: محمد بن هاوي باوزير: الصلات التجارية بين حضرموت والهند - تاريخها وأثرها في رفاة الهجرة المتبادلة، مجلة كليات التربية، العدد الثاني، مجلد (14) يوليو 2016 من ص 327 - 374.

العلاقات مع العراق القديم والشام:

بالنسبة للعلاقات مع العراق القديم هناك إشارات كتابية سومرية تعود إلى عام (3200 ق.م) تشير إلى وجود صلات قديمة وعلاقات تجارية بين عرب الجنوب والعراق القديم، حيث يوجد تعبير (البخور المستخرج من أشجار اللبان) وهناك تعابير أخرى معناها أن البخور مطلوب إلى الحكام ورجال الدين.⁽¹⁾

ويبدو أن الاتصال بين عرب الجنوب والعراق القديم كان في الألف الثالث قبل الميلاد عن طريق ظفار، لأن ثمة كتابة آشورية تعود إلى نحو (1800 ق.م) تشير إلى لفظة اللبان والصمغ وازدياد الطلب عليه في العراق، والمعروف أن اللبان والصمغ كانا يزرعان في (إقليم حضرموت) ويصدران براً إلى الجرهاء وموانئ البحرين الأخرى وعن طريقها يصلان إلى موانئ العراق الجنوبية بحرًا⁽²⁾، وهذا يعني أن أولى العلاقات التجارية بين حضرموت والدول الأخرى كانت مع العراق القديم (بلاد الرافدين). ولعل أبرز الشواهد النقشية على العلاقات بين حضرموت والعراق القديم ما أشارت إليه نقوش العقلة، عن قدوم وفدٍ كلدانيٍّ للمشاركة في احتفالات تنويج ملك حضرموت (3 - 2 / Ja 931).

أما بالنسبة لأقدم إشارة للصلات والعلاقات التجارية بين عرب الجنوب والشام، فيبدو أنها تلك الإشارة عن الاتصال مع شمال الجزيرة العربية، وهي تلك التي جاءت في الكتب السماوية⁽³⁾ التي تصف زيارة ملكة سبأ إلى النبي سليمان، وذلك في حدود القرن العاشر ق.م، ولكن يبدو أن اتصالها ببلاد الشام ربما كان قبل ذلك بمدة طويلة، فمن المحتمل أن يكون عرب الجنوب قد انفتحوا على بلاد الشام منذ عهود موغلة في القدم، كما حدث مع بلاد الرافدين. وأكدت الدراسات الأثرية وجود هذه العلاقات التجارية، حيث عثرت التنقيبات الأثرية في الشام لاسيما في فلسطين على عدد من القطع الفخارية

(1) أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها، ص 107 - 108؛ هاري ساكر: عظمة بابل، ص 310 - 312؛ جواد مطر: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص 473.

(2) بوريس زار ينز: البحث التاريخي والأثري في محافظة ظفار، ص 158.

(3) التوراة، سفر الملوك الأول، إصحاح 10 / فقرة 1 - 13. والإنجيل، إنجيل متى إصحاح 12 / 42. وانظر:

القرآن الكريم، سورة النمل، الآيات 20 - 44.

تحمل كتابات عربية جنوبية تعود للقرنين السابع والسادس ق.م، وكذلك عشر على ختم عربي جنوبي يعود تاريخه للقرن التاسع ق.م⁽¹⁾.

وقد كانت القوافل التجارية الوسيلة الأساسية لذلك التواصل مع شمال شبه الجزيرة العربية منذ عهود قديمة، مارة بسلسلة من الواحات في الحجاز، حتى منطقة دادان (العلا) ومنها إلى بلاد الشام. وعلى طول تلك الطريق أسس عرب الجنوب لهم مراكز تجارية - جاليات - أكدت النقوش، لاسيما نقوش المستوطنات المعينية التي أقامها التجار المعينيون في دادان (العلا)، التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، واستمر حتى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وقد تم العثور على عدد من النقوش المعينية والحضرية التي تتحدث عن تلك العلاقات. نختار منها ما ورد في أحد نقوش العقلة عن مشاركة وفدٍ تدمريٍّ من بادية الشام في احتفالات تتويج ملك حضرموت (2 - 1 / Ja 931)، كما تم اكتشاف نقشٍ تدمريٍّ لغةً وخطاً (في عام 2002م) في أحد كهوف جزيرة سقطرى التابعة لمملكة حضرموت⁽²⁾.

وصفوة القول تؤكد المعطيات النقشية السابقة (نقوش العقلة) لاسيما معطيات النقش (جام 931)؛ مدى العلاقات الطيبة التي تربط مملكة حضرموت بمحيطها الجغرافي، بل وصلت علاقاتها لأبعد من ذلك، وهذا يؤكد على أن مملكة حضرموت تتمتع بأهمية ومكانة قوية بين دول العالم القديم؛ وذلك بفضل تجارتها وإنتاجها وتحكمها في بعض المواد العطرية إلى غير ذلك من الأسباب، وقد دلنا هذا النقش (جام 931) على أن الدول في العالم القديم كانت تتبادل السفراء والمندوبين مثل ما تقوم دول العالم في عصرنا هذا؛ وذلك لتسهيل العلاقات بينهما. بل هذا يجعلنا نستنتج أن العقلة ربما كانت مركزاً دينياً بالقرب من العاصمة شبوة، وأما ما ورد في نقوشها لاسيما النقش (جام 931) من وجود عدد من أسماء الأجانب والعرب هناك (من الهند وأكد وتدمر وقريش)، ففيه دلالة على عالمية حضرموت القديمة وعاصمتها شبوة كمركز تجاري عالمي آنذاك.

(1) نورة النعيم: مرجع سابق، ص 205 - 206.

(2) أسهمان الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، ص 85؛ ومحمد بن هاوي باوزير:

كراسات في تاريخ حضرموت، ص 110 - 111.

المصادر والمراجع

1 - الكتب السماوية ومدونات النقوش:

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، 1983م.
- مدونات نقوش اليمن القديم، مدونة ألبرت جام - Ja، ونقوش (بافقيه - العقلة) و(عربش - بافقيه)

2 - البار، محمد علي:

- سقطرى الجزيرة السحرية، ط 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.

3 - بافقيه، محمد عبدالقادر:

- آثار ونقوش العقلة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1967م.
- في العربية السعيدة (دراسات قصيرة 2) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1993م.
- الرسالة التربوية، تصدر عن إدارة المعارف بالمكلا، العدد الأول، نوفمبر 1964م.

4 - بافقيه، محمد عبدالقادر وآخرون:

- مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.

5 - باوزير، محمد بن هاوي:

- دراسات في تاريخ حضرموت وتراثها (دراسات وبحوث ومقالات)، ط 1، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 2014م.
- الفصل السابع من أطروحة الدكتوراه (غير منشورة) المعنونة ب: اليمن القديم في القرآن الكريم والشعر الجاهلي وكتب المؤرخين والجغرافيين العرب القدامى، جامعة تونس، 2004م.
- الصلات التجارية القديمة بين حضرموت والهند - تاريخها وأثرها في رقد الهجرة المتبادلة، منذ العصور التاريخية حتى عصر السيادة الإسلامية، مجلة كليات التربية،

مجلد (14) العدد (2)، يوليو 2016م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر 2016م.

6 - البريهي، إبراهيم بن ناصر:

- الخط المسند وثيقة للصلات الحضارية في تاريخ الجزيرة العربية القديم، في كتاب الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2001م.

7 - بيستون، وآخرون:

- المعجم السبئي، (إنجليزي، فرنسي، عربي) منشورات جامعة صنعاء، دار نتريان بيترز، لوفان الجديدة، دار مكتبة لبنان، بيروت، 1983م.

8 - الجرو، أسمهان سعيد:

- موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، ط1، دار جامعة عدن، 2002م.

9 - الحسيني، جمال محمد:

- الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، ط1، دار جامعة عدن، 2014م.

10 - دارل، كريستيان:

- المعابد، كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، 1999م.

11 - زارينز، يوريس:

- البحث التاريخي والأثري في محافظة ظفار (1992 - 1994م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد 52، بغداد، 1995م.

12 - ساكز، هاري:

- عظمة بابل "موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة" ترجمة وتعليق عامر سليمان، ط2، لندن (1966م) والترجمة العربية (1979م).

13 - سعد، إبراهيم، مصطفى زايد وممدوح المصري.

- العمارة الرومانية، مصر، ذ.ت.

- 14 - شعلان، عميدة:
- دراسة تحليلية لنقش سبئي على مبخرة، من وقائع ملتقى اليرموك السنوي الثاني لدراسات النقوش، جامعة اليرموك، أربد، الأردن، 2005م.
- 15 - شيمان، كلاوس:
- تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة فاروق إسماعيل، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، 2002م.
- 16 - عريش، منير:
- معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (القرن 7 ق.م - 3 م)، حوليات يمانية (2)، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003م.
- 17 - عقيل، عزة علي وجان فرانسوا بريتون:
- شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الفرنسية اليمنية، ط1، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ودار بيسان، بيروت، 1996م.
- 18 - علي، جواد:
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1969م.
- 19 - عمشوش، مسعود سعيد:
- المكتشف هاري سانت جون فليبي ورحلته إلى حضرموت، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2012م.
- 20 - فخري، احمد:
- اليمن ماضيها وحاضرها، مراجعة وتعليق عبدالحليم نور الدين، ط2، بيروت، 1988م.
- 21 - ليوكوك، رونالد:
- وادي حضرموت ومدينة شبام المسورة، ترجمة وزارة التربية والتعليم، عدن، أبريل، 1983م.
- 22 - مطر، جواد:
- الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، جامعة عدن، دار الثقافة، الشارقة، ط1، 2002م.

23 - الموسوعة العربية الميسرة، لمجموعة مؤلفين، المجلد الثاني، دار احياء التراث العربي، القاهرة، صور طبق الأصل من مطبعة 1965م.

24 - مولر، والتر:

- الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، 1992م.

25 - منقوش، ثريا:

- قضايا تاريخية وفكرية من اليمن، دار العودة، بيروت، لا تاريخ.

26 - ميولين، فان در:

- رحلة في جنوب شبة الجزيرة العربية، ترجمة وتعليق وتقديم محمد سعيد القدال، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 1999م.

27 - الندوي، محمد إسماعيل:

- تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لا تاريخ.

28 - النعيم، نورا العبد الله:

- الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، في الفترة من (3ق.م - 3م)، ط1، دار الشواف للنشر والتوزيع، العربية السعودية، 1992م.

29 - هولفرتز، هانز:

- الجنوب العربي المنسي - الوديان والحضر والبدو، ترجمة محمود أبو سريع، مراجعة د.عاصم عطية علي، د. محمد بن هاوي باوزير، ط1، مركز عدن للدراسات والبحوث والنشر، عدن، 2018م.

30 - وزارة الإعلام:

- عمان في التاريخ، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، دار أميل للنشر المحدودة، لندن، 1995م.

31 - Doe, B: Southern Arabia, Thames and Hudoss, London, 1971.

32 - Sedov, A.v: Temples of Ancienct Hadramawt, Arabia Antica 3, Archaeological Studies, Edizioni plus, Pisa University, Press, Pisa. 2005.

33 - **Wilfred H.Schoff:** The Periplus of the Erythraen Sea, New York, 1912.

34 - **A.Jamme:** the al - Uqlah Texts (Documenation 31 Sud - Arabe, 111), Washington (the Catholic University of America Pres), 1963.

وادي مرخه في عهد الملك الأوساني "مرتع" (دراسة من خلال المعطيات النقشية والتاريخية)



د. أسوان محمد حسين عبدالله
أستاذة التاريخ القديم المشارك
بكلية الآداب - جامعة عدن

كلمات مفتاحية: وادي مرخه، مرتع، توسع

سياسي، تراجع واندثار.

ملخص البحث:

شهدت جغرافية جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ميلاد كيان سياسي، وحضارة مستقرة وصلت إلى مستوى عالٍ من الرقي والتقدم وهي (مملكة أوسان)، خلال الألف الأول ق.م. حتى منتصف الألف الأول الميلادي، وقد كان عبقها

الحضاري ومركزها ونقطة انطلاقها التوسعية (وادي مرخه)، وفي هذا الوادي تشكلت مملكة لها حضور تاريخي وطدته في تجارتها وبسط نفودها على سائر الممالك اليمنية القديمة وقد نجحت في مدد مختلفة من تاريخها السياسي (حوالي نهاية القرن 8 ق.م حتى الثاني الميلادي تقريباً) في اتساع رقعتها الجغرافية على حساب الكثير من مناطق جنوب الجزيرة العربية في عهد ملكها (مرتع)، بالإضافة إلى تقدمها وازدهارها الاقتصادي بسبب ما كان لها من نشاطات تجارية، فكانت أوسان بتوسعها واحتكارها التجاري هذا قد غدت تشكل خطراً كبيراً ليس على جارتها دولتي (حضر موت وقتبان) فقط، وإنما على دولة سبأ التي أغضبها ذلك التوسع السياسي الأوساني، وانتهى الأمر بتحالف سبئي حضر مي قتباني إذ شنت هذه الممالك العديد من الحملات العسكرية عليها كما ورد في نقش صرواح (RES 3945)، وماترتب عليها من نتائج أو هزائم واندثار كما سنراه في

سياق البحث. وهذا البحث يسلط الضوء على جغرافية أوسان في ظل عهدها بالملكارية، وكيف استطاع (مرتع) حاكمها أن يصير ملكاً، ويعرض الأحوال السياسية التي مرّت بها في عهد ملك أوسان (مرتع)، وكيف صارت أوسان قوة استطاعت أن تضعف مملكة سبأ. ويعرض البحث التوسع الأوساني في عهد الملك (مرتع) على جنوب الجزيرة العربية والسيطرة على حضرموت وقتبان ودهس وتبني والعود، ودثينة، والمعافر. وتناول البحث نتائج التوسع الأوساني في عهد الملك (مرتع) في الأمور الآتية: إضعاف مملكة (سبأ)، وتغيير لقب الحاكم من (مكرب) إلى (ملك)، وفي المجال الاقتصادي، وعلى الصعيد الاجتماعي، ويتناول ضعف (الملك) (مرتع) وماتلاه في مواجهة سبأ للتوسع الأوساني في عهد ملكها (مرتع)، وماتنج عنه من سقوط القصر الملكي والأسرى الأوسانيين، ومصير المدن الأوسانية. وانتهى البحث بخاتمة تتلوها قائمة المصادر والمراجع.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا يخفى في أنّ وادي (مرخه) يمثل الوجود الجغرافي الحقيقي لمملكة أوسان وملكها (مرتع) وكان وادي مرخه مركز انطلاق التوسع الأوساني ولنا أنّ نشير أنّ هزيمة أوسان على يد مملكة سبأ في عهد الملك (مرتع) قد أدت إلى فقدان القصر الملكي، وغياب مصير الأسرى الأوسانيين، وفقدان المدن التي كانت تخضع لملك أوسان (مرتع).

وتكمن أهمية البحث في أنه سلط الضوء على مملكة أوسان وهي إحدى الممالك القديمة التي لم تنل الاهتمام المنشود في تاريخ اليمن القديم. وفي ضوء هذه الأهمية اعتمد البحث على أساس تاريخي مصدره النقوش والوثائق قديماً وحديثاً. وقد حدد البحث مشكلته في إزالة الغموض عن مملكة (أوسان)، وملكها (مرتع) وجاءت الخاتمة خلاصة للدور التاريخي لمملكة أوسان إنساناً وعمراناً.

ويعد جمع المادة العلمية لهذا الموضوع استطعتُ بناء منهج البحث ولقد اعتمدتُ لتوضيح أفكار الموضوع على النهج الآتي: إذ كتبتُ مقدمة شملت أهمية البحث، وفيها عرضتُ لمحاوَر البحث، على النحو الآتي كتبتُ تمهيداً شمل أولاً: النطاق الجغرافي لمملكة أوسان (وادي مرخه): وثانياً: تسمية أوسان، ونسبها وثالثاً: عهد المكاربة في (أوسان) وأربعاً: موقع مملكة أوسان، ثم تناولت: المحور الأول الذي كان بعنوان: الأحوال السياسية، لمملكة أوسان ويليه المحور الثاني الذي كان بعنوان: ظهور أوسان كقوة لكبح الهيمنة السبئية على جغرافية تجارة اليمن القديم، وكان المحور الثالث بعنوان: التوسع الأوساني في عهد الملك (مرتع) في جنوب الجزيرة، العربية وتمثلت بالتوسع إلى حضرموت وكان هذا في عهد الملك (مرتع) وسيطرته على قُتبان. وسيطرة أوسان بقيادة ملكها (مرتع) على دهس وتبني والعود)، وشارحاً توسعها صوب دثينة التي صارت أهم مناطق مملكة أوسان.

وكان المحور الرابع: بعنوان نتائج التوسع الأوساني في عهد الملك (مرتع) في جنوب الجزيرة العربية. وتمثلت تلك النتائج بالآتي: إضعاف سبأ وتطويقها سياسياً وأقتصادياً، وتغيير لقب الحاكم من مكرب إلى ملك. ومنها نتائج التوسع في المجال الاقتصادي. أما المحور الخامس فكان بعنوان: سبأ في مواجهة التوسع الأوساني في عهد ملكها (مرتع)، واستطاعت سبأ أن تسيطر على ممتلكات أوسان، ومنها: السيطرة على القصر الملكي الأوساني، ومصير الأسرى الأوسانيين، ومصير المدن التي كانت تابعة لملك أوسان: وختمتُ البحث بنتائج هي ثمرة مسار البحث قد توصلت إليها الباحثة، وملاحق ثم قائمة المصادر والمرجع العربية والأجنبية.

التمهيد:

أولاً: النطاق الجغرافي لمملكة أوسان (وادي مرخه):

إن تحديد النطاق الجغرافي للأراضي الأوسانية لا يزال مستعصياً على العلماء، وكل ما قيل حتى الآن لا يخرج عن حدود الاستنتاج والفرضيات القائمة على إشارات متناثرة في بعض النقوش السبئية مثل ماورد في النقش (RES3945) إذ ذكرت بعض المواقع

الأوسانية، ولكن لم يُعثر بعد على أي من تلك المواقع بصورة مؤكدة مصحوبًا بنقش يدل عليها. ومع ذلك فهناك شبه إجماع على أنها تقع في أنحاء وادي مرخة والأودية المجاورة المنحرفة باتجاه رملة السبعين انظر (خريطه 1). وهي أراضي (ولد عم)، ورؤوس أوديتها تمتد إلى مرتفعا تهم ولاسيما في منطقة مضحي، الأمر الذي يفسر التقاء الأوسانيين بولد عم في مراحل مختلفة من التاريخ⁽¹⁾؛ حيث تشهد مجموعة من الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في تلك الأراضي إلى وجود مملكة كانت تقع إلى الجنوب من قتبان⁽²⁾، تتمركز جنوب شرق وادي بيحان، وتشمل منطقة وادي (مرخة) والوسر ونصاب ومسور⁽³⁾.

ونجد البحث عن جغرافية مملكة أوسان وتاريخها مرتين بمستقبل الأبحاث والدراسات الأثرية عن هذه المملكة؛ فقد أمكن التعرف نوعًا ما على أراضيها ورسم خارطتها الجغرافية والتاريخية من بين ممالك اليمن القديم، وذلك من خلال المصادر النقشية واللقى الأثرية الفنية وبعض أعمال المسح الأثري وإن كانت جميعها قليلة جدًا⁽⁴⁾؛ حيث يمكن القول: إن المناطق التي امتدت إليها معارك قوى الحلف الثلاثي (السبئي - القتباني - الحضرمي) ضد أوسان إذ كانت هي المناطق ذاتها التي ساد فيها النفوذ الأوساني قبل تلك الحرب باستثناء مناطق معين ونجران⁽⁵⁾.

(1) بافقيه، محمد عبدالقادر، توحيد اليمن القديم: الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، ترجمة علي محمد زيد، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء 2007م، ص 152.

(2) Kitchen, K. A., Documentation for Ancient Arabia Part 2, Chronological Framework and Historical Sources, Liverpool University Press, Liverpool, 2000, p79.

(3) Doe, B., Monuments of South Arabia, Falcon – Oleander press, London, 1983, pp.92 – 3.

(4) باسلامة: محمد عبدالله، تماثيل ملوك أوسان: "دراسة أثرية فنية مقارنة"، الندوة العلمية "عدن بوابة اليمن الحضارية" 18 – 19. يناير 2011م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2011م، ص 187.

(5) حبتور، ناصر صالح يسلم، "توحيد اليمن قديمًا بين ذكر إل وكرب إل"، مجلة سبأ 12 (2003م)، ص 22.

تولى أوائل مكاربة أوسان السلطة في مناطقهم في أودية (مرخة) الذي انطلق منه الأوسانيون ليسيظوا نفوذهم على امتداد إقليم زراعي شديد الخصوبة وغني بالغيول والأودية ووادي نصاب (همام) التي تميزت بخصوبة التربة ووفرة المياه⁽¹⁾، وقاموا بتوحيد شعوب أوسان تحت حكمهم ثم شكلوا الاتحاد الأوساني بضم بقية شعوب المناطق القريبة من أوسان ومن ثمَّ فأوسان لا تختلف عن غيرها من ممالك اليمن القديم في الظهور منذ القرن 9 ق.م، رغم عدم المعرفة بأوائل مكاربتها قبل أسرة (عم كرب) كما عاصرت مكاربتها مكاربة سبأ وقتبان، في نهاية القرن 8 ق.م، وبداية القرن 7 ق.م.

وعلينا في عرضنا للنطاق الجغرافي في أوسان أن نفرق بين أرض أوسان الأصلية، وأرض الاتحاد الأوساني التي تضم أرض شعوب (قبائل) أوسان؛ فأرض أوسان الأصلية، تشمل أودية مرخه ونصاب⁽²⁾، وأطلق عليها في النقوش اسم (الوسر) كماورد في النقش (RES 3945 / 4, 5)⁽³⁾ وهو اسم يشمل كل المناطق الممتدة بين الواديين⁽⁴⁾، ومركز منطقة الوسر وادي نصاب⁽⁵⁾، حيث توجد أشجار المر المسمى بالمر (الأوساني) نسبة إلى هذه المنطقة بين وادي نصاب باتجاه وادي (خورة) أحد

(1) مقبل، سيف علي، دراسات في تاريخ اليمن القديم، عدن اليمن، دار الهمداني للطباعة والنشر، ط1، 1988م، ص 230، والجرو، اسمهان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، إربد الأردن، مؤسسة حماد، 1996م، ص 157.

(2) بافقيه، (1985م)، مرجع سابق، ص، 22، وحتبور، ناصر، صالح، اليزينيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، عدن اليمن، دارجامعة عدن للطباعة والنشر، الشارقة الامارات العربية المتحدة، دارالثقافة العربية، ط1، 2002م، ص63.

(3) الجرو، اسمهان سعيد، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، اليمن، 2003م، ص 35.

Wissman, H. Von , and M, Hofner, Betrage zur historischen. Geographie (4) des, Voris Lamishen Sudgrabie, Wiesbadn, 1953, p.55.

Beston, Alfred. F.L: Pliny's Gebbantae dans Proseeding of The Seminar For (5) Arabian Studies, 2, London, 1972, p.7.

فروع وادي (مرخه)⁽¹⁾ وادي ميفعه.

أما أرض الاتحاد الأوساني فقد شملت (وادي حجر) و(دثينه) و(تفض) و(أحور) الواقعة إلى الشرق من (تفض) وكذلك المنطقة الساحلية الممتدة من جنوب (تفض) غرباً إلى مصب وادي مجد بالقرب من ميناء (قنا) شرقاً، وأودية (نسم) و(رشاي) و(جردان) و(عرمه)⁽²⁾.

ثانياً: تسمية أوسان ونسبها:

لقد عرف الباحثون الأثريون من الكتابات القبطانية اسم شعب يقال له أوسان⁽³⁾ وذهب المؤرخون المحققون أن هذه التسمية وردت في النقوش اليمنية القديمة (النقوش المسندية) تحت لفظة أوس⁽⁴⁾. ويمكن أن تقاس بصغتين: الأولى: صيغة أفعال (أوسون)؛ فالأسون قبيلة من حمير، والأخرى (أوسان)⁽⁵⁾.

من المعلوم أن اسم أوسان لا يعد أن يكون اسماً للشعب المؤسس لهذه الدولة، التي سميت الدولة نسبة إليه. أما النسب فقد حظيت أوسان بإشارة بسيطة عند الهمداني، في ذكره نسب أحد شيوخه وهو، (محمد بن أحمد الأوساني)؛ إذ ذكر نسب أوسان بالقول: إنه (ذو أوسان بن وائل بن معاوية بن يعفر بن مره بن حزموت بن سبأ

(1) الجرو، (1996م)، مرجع سابق، ص 172.

(2) عطبوش، عبدالله علي الفيش، الصراع بين الممالك اليمنية القديمة أسبابه ونتائجه (القرن 7 - 2 ق.م)، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2008م، ص 53.

(3) السيد، محمود عبدالباسط عطية، مملكة أوسان - دراسة في التاريخ السياسي والحضاري رسالة ماجستير غير منشورة، في الأثار الشرقية من قسم الأثار المصرية، كلية الأثار، جامعة القاهرة، 2012م، ص 58، وللمزيد أنظر الحداد، محمد يحيى، تاريخ اليمن السياسي، تاريخ اليمن قبل الإسلام، ط2، دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، 1/ 61.

(4) السيد، (2012م)، مرجع سابق، ص 58.

(5) مكياش، عبدالله أحمد، أسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الأثار والانثروبولوجيا، جامعة اليرموك، 1993م، ص 23.

الأصغر⁽¹⁾. وتابعه في ذكر هذا النسب نشوان ة وابن سعيد الحميري في قصيدته:
أم أين ذو أوسان أو ذو مآذن أم أين ذو التيجان والإبراج⁽²⁾

بأنه (ذو أوسان بن وائل) ومن ثم أرجع نسب أوسان إلى حضرموت إذ اعتقد بعض الباحثين أن الأوسانيين من حضرموت؛ إذ انتقلوا منها إلى وادي (مرخه) وأسسوا لهم مملكة⁽³⁾.

ثالثاً: عهد المكاربة في (أوسان):

لندرة النقوش التي تتحدث عن التاريخ السياسي لدولة أوسان عدا نقش صروح (RES 3945)⁽⁴⁾، الذي ذكر ملك أوسان (مرتع)، ظن بعض الباحثين أن دولة أوسان لم تمر بمرحلة المكاربة بل إن هذه الدولة كانت من حيث تطور شكل السلطة السياسية بها قد سبقت الدول المجاورة، إذ كانت تمر به حينها سبأ وحضرموت وقتبان⁽⁵⁾، وقد ثبت من خلال نقش اكتشف حديثاً، أن أوسان عرفت نظام المكاربة، كبقية الممالك اليمنية القديمة إذ عثر على أول نقش يذكر مكرب أوساني⁽⁶⁾، وقد غير هذا النقش بما عُرف سابقاً أن حكام أوسان قد اتخذوا لقب ملك فقط، في نظام دولتهم⁽⁷⁾. وقد ذكر النقش أول أسرة حاكمة في أوسان وأول مكرب تتم معرفته هو: (ذكر آل لحين بن عم كرب)

(1) الهمداني، ابي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت 360هـ / 970م)، الإكليل، تحقيق محمد علي

الاكوع الحوالي، القاهرة مصر، طبعة السنة المحمدية، 2/ 369 - 370.

(2) قصيدة نشوان بن سعيد الحميري وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك

التابعة، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت، ط2،

1978م، ص182، 183.

(3) الحوالي، محمد بن علي الاكوع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، مطبعة السعادة، 1971م، ص 391.

(4) بافقيه، (1985م)، مرجع سابق، ص، 22، العتيبي، محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في

سبأ "من خلال النصوص منذ القرن السادس ق.م القرن السادس الميلادي"، المملكة العربية السعودية،

وزارة التربية والتعليم وكالة الوزارة للآثار والمتاحف، ط1، 2007م، ص27.

(5) مقبل، (1988م)، مرجع سابق، ص32.

(6) السقاف، أول نقش يذكر مكرب أوسان، مجلة ريدان، عدد (6)، 1994م، ص114، 115. نقش السقاف

(1) سطر 3.

(7) المرجع نفسه، ص114.

مكرب أوسان أبو (مرتعم) (مرتع) الابن الأول و(أب يثع)⁽¹⁾، الابن الثاني للمكرب (ذكر آل)⁽²⁾. وما يهمننا في هذا البحث الملك (مرتع) الذي سنتكلم عنه بالتفصيل.

رابعاً: مرتع (ملك أوسان):

هو ابن (ذكر آل لحين بن عم كرب) وتولى الحكم بعده، لاسيما وأنه يذكر في النقش قبل أخيه (أب يثع)⁽³⁾، ويرى روبان⁽⁴⁾، أنه حكم في بداية القرن 7 ق.م.، بينما يضعه فليبي معاصراً (لكرب آل وتر) في نهاية هذا القرن بين عامي 620 - 600 ق.م.⁽⁵⁾، وآخرون يجعلون حكمه في النصف الأول من القرن 5 ق.م. أو بعد ذلك بقليل⁽⁶⁾.

ونرى أن هذا الرأي الأول أقرب إلى الصواب فهذا الحاكم كان معاصراً لمكرب سبأ (كرب آل وترى) الذي بدأ حكمه في بداية القرن 7 ق.م.، كما ورد في النقش (6 / RES3945). وأياً كان الأمر فإن (مرتع) كان ثالث مكرب أوساني، وهو أشهر حكام أوسان في هذه المدة لخوضه صراعات مع ممالك اليمن الأخرى وسعت من نفوذ أوسان في اليمن القديم كما سيأتي بيانه عند ذكر الصراع. ويرى نفرٌ من الباحثين أن التوسع ربما تمَّ أو على الأقل بدأ في عهد (ذكر آل)؛ لأنه الوحيد من دولة أوسان الذي حمل لقب مكرب، أي أن (مرتع) هو الذي قام بالتوسع الأوساني في دهنس وغيرها من المناطق وليس والده.. والاحتمال أن الأزمة الاقتصادية والسياسية بين سبأ وأوسان بلغت أوجها، ولايستبعد أن سبأ زادت من إحكام سيطرتها على اقتصاد اليمن وتجارها مما دفع (مرتع) للقضاء على النفود السبئي الاقتصادي والسياسي في اليمن بالقوة واستعادة أوسان لنفوذها الاقتصادي السابق الذي فقدته بسبب توسع دولة سبأ

(1) المرجع نفسه، ص 114، 115. نقش السقاف، الملتقى (1) سطر 1 - 5.

(2) المرجع نفسه، ص 115.

(3) المرجع نفسه، ص 114، 115. نقش السقاف، الملتقى (1) سطر 4 - 5.

(4) روبان، أوسان، الموسوعة اليمنية، مج 1، ص 428.

(5) Phipy, H. St J. B The Background of Islam, being Asketch of Arabian history in pre - Islamic times , Alexandria, 1947, p.144.

(6) .Wissman, and Hofner, Betrage, 1953, p.8

العسكري في أجزاء كبيرة من مناطق اليمن القديم⁽¹⁾.

ولا يخفى أن (مرتع) قام باستشارة (مسودة) مجلس الكبار حول حرب سبأ وبما أن أعضاء ذلك المجلس من شيوخ القبائل والتجار ممن تضررت مصالحهم من حصار سبأ الاقتصادي على أوسان هؤلاء ويسعون للحصول على المزيد من الثروات ومناطق النفوذ التي تدر عليهم أرباحًا طائلة فإنهم أيدوا مسعاه في الحرب ومدوه بالمقاتلين من أفراد قبائلهم وجندهم الخاص وبذلك قام (مرتع) بقيادة جيشه ومحاربين من قبائل - شعوب - الاتحاد الأوساني لتحقيق أهدافها.. على حساب سبأ ومناطق نفوذها، والممالك اليمنية الأخرى غير الخاضعة لسبأ⁽²⁾.

المحور الأول: الأحوال السياسية لمملكة أوسان:

لقد تميز النظام السياسي لدولة أوسان بوجود مجلس الكبار (مسود) الذي ضم زعماء القبائل المتحدة مع أوسان، والشخصيات المهمة في الدولة، الذي يعود إليه المكرب أو الملك عند اتخاذ القرارات المهمة الخاصة بالدولة كلها أو بعض مناطقها⁽³⁾. أما عاصمة هذه المملكة فما زالت عبارة عن آراء مختلفة بشأنها، فيرى بريتون أنها (هجر يهر) وتسمى حاليًا هجر (أبي زيد) وتقع في نهاية وادي مرخه، باتجاه صحراء الربع الخالي. بينما ترى (بيرن) أن عاصمتها هي (مسورة) الكائنة في وادي مرخه، ويرى آخرون أن عاصمتها ربما تكون في مكان الخرائب الواسعة التي تعرف بـ (هجر الناب) في وادي مرخه⁽⁴⁾.

ومما لا شك فيه أن أوسان لم تنل حظها أيضًا من الدراسة والبحث بما فيه الكفاية للكشف عن مدنها ومواطنها التي وجدت فيها ولاسيما في نطاق وادي مرخه وما جاوره فيما بين بيحان وشبوة. وكما سبق الإشارة أن هذه المملكة دُمِرَتْ إثر حملة الملك

(1) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 172.

(2) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص 59.

(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

السبئي (كرب إيل وتر) قبل منتصف الألف الأول قبل الميلاد وطمست مدنها ومعابدها ومآثرها، ورغم ذلك بقي منها آثار مهمة عشر عليها بالصدفة وكانت تماثيل ملوك أوسان والنقوش الكتابية الأكثر أهمية من بين تلك الآثار التي حفظت بعضها في متحف عدن الوطني بعد مداولة الاتجار بها داخل الوطن وخارجه. ومن خلال هذه الدراسة سيتم التركيز على مصير مملكة أوسان وملكها (مرتع) في أثناء تصديه للتحالف السبئي الحضرمي القتباني، بزعامة الملك المكرب السبئي (كرب إيل وتر في القرن 7 ق.م).

لقد نشأت في جنوب غرب الجزيرة العربية عدة كيانات سياسية (ممالك اليمن القديم) في مدد متداخلة ومتعاقبة هي: سبأ ومعين وأوسان وقتبان وحضرموت، وبحكم تقارب مناطق نفوذها وتداخلها أحياناً، وبحكم تداخل مصالحها، كانت تتحالف تارة، وتتنازع تارة أخرى وكل مملكة منها تتوسع على حساب غيرها وتتفرد باستقلالها أحياناً. وهكذا كانت الأحوال السياسية في جنوب الجزيرة العربية في معظم حقبة الزمنية ما قبل الميلاد وبعده، إذ اتسمت بكثرة الحروب والصراعات السياسية والثورات وحركات التمرد والعصيان بين الممالك العربية بعضها البعض ومحاولة بعض الممالك التوسع على حساب أراضي مملكة أخرى وهو الأمر الذي قامت به مملكة أوسان ولاسيما في عهد ملكها (مرتع) واتساع رقعتها الجغرافية مما أثار حفيظة حضرموت وقتبان وسبأ، فكانت الحرب السبئية عليهم بقيادة ملكها (كرب إيل وتر).

المحور الثاني: ظهور أوسان كقوة لكبح الهيمنة السبئية على جغرافية تجارة اليمن القديم:

لقد كان التوسع السبئي في جنوب غرب الجزيرة العربية أهم أسباب الصراع بين ممالك اليمن القديم، وذلك التوسع بدأ محدوداً ببعض مدن الجوف، ثم بدأت تتغير السياسة السبئية في التوسع لفرض الهيمنة على طريق التجارة البري المار باليمن والمؤذي إلى بلاد الشام لوضع يدهم عليه وجعله تحت نفوذهم وحكمهم،⁽¹⁾ منذ

(1) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1970م، ج2، ص242.

القرن 8 ق.م، عن طريق السيطرة على محطاته الشمالية والوسطى حتى لا تدفع أتوات المرور المفروضة على قوافلها في تلك المحطات، وتحتكر التجارة بها، وتستغل أرضها الزراعية لصالحها.

وشكّل التوسع السبئي في الربع الأخير من القرن 8 ق.م، بداية لاندلاع الصراع بين ممالك اليمن القديم، إذ كان من أبرز نتائجه هيمنة سبأ على ممالك (مهامر وأمير) و(معين) في الشمال، و(المعافر) و(دهس) و(قتبان)⁽¹⁾ في الجنوب، وحولت هذه المناطق إلى ملكية للدولة السبئية وألقتها (المقه)، وأصبحت مواردها من السلع المنتجة محلياً، أو المستوردة من الخارج تجبى بشكل أتوات لصالح سبأ ومعبدتها، كما أن هذه السيطرة أدت إلى تحكم سبأ بتجارة اليمن القديم ومنتجات حضرموت وأوسان، لهيمنتها على الطريق التجاري المار عبر جنوب الجزيرة العربية باتجاه بلاد الشام والخليج العربي.

وقد تضررت من الهيمنة السبئية على تجارة اليمن القديم دولة أوسان بشكل كبير، التي لم تعد تتحكم ببداية الطريق التجاري، بعد تحول جزء كبير من طرقه الفرعية لا سيما القادمة من عدن والمخا صوب المرتفعات باتجاه سبأ من جهة، وسيطرة سبأ على معظم الطريق البري - طريق البخور - من جهة أخرى، مما جعلها تتحكم بسلع أوسان وتجارها مع بقية مناطق وممالك اليمن القديم، فأدى ذلك إلى تنافس أوسان وسبأ على هذا الطريق⁽²⁾. بل أدى ذلك إلى خسارة أوسان وحرمانها من عائدات ورسوم مرور القوافل التجارية بأرضها من (المعافر) و(دهس) والمتاجرة بسلع هذه المناطق، وفرض الرسوم والأتوات على سلعها المحلية، كل ذلك أدى إلى خنق اقتصادها وقلة مواردها المالية بسبب تلك الهيمنة السبئية السياسية والاقتصادية في اليمن القديم، إن تلك الأسباب جعلت أوسان أكبر معارض للتوسع السبئي، لاسيما

(1) انظر الخريطة 3 واللوحه 1 وانظر نقش صرواح الكبير RES3945 في الملاحق.

(2) نيبس، نوبرت، كرب آل وتر موحد اليمن، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، باريس فرنسا، معهد العالم العربي، دمشق سوريا، دار الأهلبي، 1999م، ص 96، 97.

وأنها أكثر المتضررين اقتصاديًا من هيمنة سبأ على تجارة مناطق جنوب غرب اليمن، التي من المحتمل أن أوسان تعدها مناطق نفوذ اقتصادي لها بسبب تجميع سلع ومحاصيل هذه المناطق كافة في أرض أوسان ومنها تصدر إلى سبأ وبقية ممالك اليمن القديم الأخرى، لذلك نجدها تعمل على مناهضة سبأ لاسترداد نفوذها الاقتصادية في جنوب غرب الجزيرة العربية، وتسعى كذلك لمد سيطرتها على مناطق إنتاج الطيوب لاسيما حضرموت والسيطرة على طريق التجارة.

ومن المحتمل في الوقت نفسه أن (سبأ) عملت على جعل حضرموت هي المورد الأساسي لها من (اليمن القديم) للمواد الثمينة المتمثلة بالمر والبخور - سواء لمعابدها، أو للمتاجرة بها مع شرق البحر المتوسط والخليج العربي، وأصبح تجار سبأ المحتكرين الأساسيين لتجارة هذه السلع، ويعملون على جلبها من أرض حضرموت بغرض المتاجرة بها داخليًا وخارجيًا، مما أصاب الكساد تجارة أوسان بهذه السلع، زد على ذلك فرض الرسوم على سلع أوسان في المناطق الخاضعة لسبأ، أو أرض سبأ نفسها، كل تلك الأعمال الاقتصادية السبئية دفعت أوسان لمناوئة سبأ، والاصطدام بها عسكريًا، مما أدى إلى اندلاع الصراع في اليمن؛ لأنَّ سبأ لم تكن دولة منتجة للبان والمر⁽¹⁾، بل كانت تستحوذ عليها بالقوة العسكرية وتقوم بتصريفها وتصديرها إلى العالم الخارجي بقوة السلاح وكانت أهداف أوسان في صراعها مع سبأ تتلخص في الآتي:

- سعي أوسان لاستعادة مكانتها السابقة، بجعل أرضها بداية لانطلاق الطريق التجاري صوب الشمال⁽²⁾. للقضاء على الحصار الاقتصادي الذي فرضته سبأ عليها، ورغبتها في السيطرة الكاملة على السلع التجارية البحرية الواصلة إلى موانئ اليمن من شرق إفريقيا والهند واحتكار تجارتها.

(1) محمد، عبدالحكيم شائف، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية مجلة علمية محكمة العدد الرابع، 2008م، ص 119 - 125.

(2) نيبس، (1999م)، مرجع سابق، ص 96، 97.

- احتكار تجارة سلع اليمن الثمينة (المر والبخور)، لا سيما أن أوسان من المنتجين لها باحتلال أراضي الممالك الأخرى التي توجد بأراضيها هذه السلع، وسعيها لإضعاف سبأ بالسيطرة على مناطق نفوذها، وحرمانها من تجارة سلع (اليمن القديم) المهمة والسلع المستوردة، أملاً في إسقاط نظامها واحتلال أراضيها، ومن ثم فرض الهيمنة الأوسانية على ممالك اليمن القديم اقتصادياً وسياسياً⁽¹⁾.

- ومن أهداف أوسان أيضاً السعي لتماسك الجبهة الداخلية الأوسانية والاتحاد الأوساني، وعدم تفكك شعوبه. وإبعاد الخطر السبئي عن الشعوب (القبائل) الأوسانية.

- استعادة القيادة السياسية وشيوخ القبائل وتجار أوسان لمواردهم المالية، التي فقدوها بسبب الحصار الاقتصادي السبئي عليهم والسعي لزيادة أملاكهم من أراضي الشعوب الأخرى وثرواتها.

ولتنفيذ هذه الأهداف نهجت أوسان أسلوب التوسع، المعتمد على القوة العسكرية لتحقيق مطامعها على حساب الممالك الأخرى، وقد ساعدها على إنجاز هذه المهمة الأسباب الآتية:

1 - إضعاف سبأ للممالك اليمنية ومناطقها التي سيطروا عليها بالقوة، (المعافر)، و(دهس)، و(قتبان)، و(مدن الجوف)، بسبب سياسة النهب التي مارستها قيادة سبأ تجاه هذه المناطق، بتحويل بعضها إلى ملكية خاصة لسبأ، كما ورد في النقش (2) RES 3943، أي للدولة السبئية ومعابدها، وتحويل إيراداتها لخدمة التنمية لأرض سبأ ولاسيما العاصمة مأرب، مما حرمها من إمكانية الصمود أمام أوسان.

2 - حروب الملك (يثع أمر بين) ضد قتيان، مما ألحق بها خسائر بشرية فادحة كما ورد في النقش ((1) / RES 3943، فأستنزفها ذلك الأمر، بل أضعفت قواها العسكرية أمام الزحف الأوساني.

(1) مقبل، سيف علي، وحدة اليمن تاريخياً، دار الحقائق للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1987م، ص 23.

(2) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 37.

3 - احتكار السبئيين لتجارة السلع الحضرمية (البخور والمر) وغيرها والتحكم في أسعارها، مما قلل من إيرادات حضرموت من تلك السلع وهذا أضعفها اقتصادياً، وربما انعكس ذلك على الجانب العسكري، إذ لم يستطع الحضارمة إعداد جيشهم بشكل جيد مما قلل من إمكانية صمودهم أمام أوسان.

4 - حروب الأشوريين في عهد (سرجون الثاني) في شرق البحر المتوسط، وفرضه الإتاوات على تجارة سبأ، وحاكمها⁽¹⁾، مما قلل من إيرادات سبأ المالية، وانعكس ذلك على الجانب العسكري لسبأ إلى إضعاف سياسة الإعداد والتسليح للجيش السبئي حتى أصبح غير قادر على حماية مناطق نفوذه.

5 - قرب أراضي أوسان من مناطق نفوذ سبأ الجنوبية، ولعل ذلك ساعد في السيطرة عليها.

6 - استعمال أوسان أسلوب الحرب الخاطفة ضد مناطق النفوذ السبئي، مما فتح جبهات عدة لسبأ عجز جيشها غير المستعد حينها لقلّة عدده وموارده، عن الصمود أمام أوسان بسبب تخصيص الجزء الأكبر من إيرادات سبأ للأعمال المعمارية والدينية⁽²⁾، كما ورد في النقش (6, 5, 4 / RES 3943).

7 - عدم وجود نفوذ عسكري وسياسي سبئي حقيقي في مناطق نفوذها (قتبان)، و(دهس)، إذ لم تكن السيطرة السبئية على هذه المناطق فعلية، بقدر ما كانت سيطرتها تهدف للحصول على مكاسب مالية من هذه المناطق، مع بقاء حكامها في مناصبهم لضمان حصول سبأ على إيرادات مالية منها، مما سهل على الأوسانيين احتلالها.

8 - انصراف السبئيين لتنمية منطقة مأرب، وتحويل كل الموارد المالية السبئية

(1) بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط2، 1985م، ص55، وروبان، كرستيان جوليان، تأسيس إمبراطورية السيطرة السبئية على ممالك اليمن الأولى القرن 8-6 ق.م، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، باريس فرنسا، معهد العالم العربي، دمشق سوريا، دار الأهلي، 1999م، ص89. Luckenbill, Ancient records, vol 1, p.279.

(2) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص20.

المحلية أو المأخوذة بوصفها إتاوات من مناطق نفوذها في نجران والمعافر وقتبان، لإعادة إعمار هذه المنطقة، كما ورد في النقش (4, 3 / RES 3943)⁽¹⁾.

9 - بذخ حكام سبأ في إقامة المعابد وتبذيرها في أمور أخرى، كما ورد في النقش (6, 5, 4 / RES 3943)⁽²⁾، بعد انتصارهم على ممالك قتبان ودهس ونجران، مما استنزف كثيراً من مواردهم المالية وأضعف مقدرتهم العسكرية لعدم تخصيص جزء من هذه الموارد للجانب العسكري، فعجزوا عن رد الخطر الأوساني في حينه.

10 - قوة أوسان الاقتصادية، التي وظيفتها لتحقيق مصالحها السياسية التوسعية في اليمن بكفاءة. من أجل استعادة مكانتها بوصفها دولة مهمة في تجارة اليمن القديم⁽³⁾.

ومهما يكن من أمر، فبعد انتهاء حكم (يثع أمر بين) في السنوات الأخيرة من القرن 8 ق.م، تولى السلطة في سبأ (ذمر علي ينف بين يكر ب ملك)، وهو مكرب أقل كفاءة من (يثع أمر بين) إذ لا يوجد له أية أعمال عسكرية عدا قيامه ببناء وتشقير مأخذ (بيحن) (بيحن) في الجوف، كما ورد في نقش (3 - 1 / FA: 70).

أما في أوسان فيرى بعض الباحثين أن (ذكر آل لحيان بن عم كرب) قد حكم في نهاية القرن 8 ق.م وبداية القرن 7 ق.م⁽⁴⁾، وبحسب هذا الرأي فإنه عاصر حكم (يثع أمر بين) و(ذمر علي ينف) وكذلك (كرب آل وتر) الذي حكم في بداية القرن 7 ق.م⁽⁵⁾.

لكن الاحتمال أن (ذكر آل) قد عاصر (يثع أمر بين) و(ذمر علي ينف) ولكنه لم يمتد به العمر حتى بداية القرن 7 ق.م⁽⁶⁾، بل تولى الحكم بعده ابنه (مرتع) الذي عاصر

(1) العتيبي، (2007م)، المرجع نفسه، ص 20.

(2) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(3) الجرو، (1996م)، مرجع سابق، ص 20، وحبثور، (2003م)، مرجع سابق، ص 20.

(4) السقاف، (1994م)، مرجع اسابق، ص 112، وحبثور، (2003م)، مرجع سابق، ص 24.

(5) الجرو، (1996م)، مرجع سابق، ص 92، والعمري، وآخرون، في صفة بلاد اليمن عبر العصور من

القرن 7 ق.م الى القرن 19م، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ط 1، 1990م، ص 12، وبريتون،

جان فرانسوا، نشان، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، باريس فرنسا، معهد العالم

العربي، دمشق سوريا، دار الأهلي، 1999م، ص 137.

(6) السقاف، (1994م)، مرجع سابق، ص 115.

(كرب آل وتر) بداية القرن 7 ق.م⁽¹⁾، كما ورد في النقش (RES 3943 / 11))، وبتوليه حكم أوسان مع اشتداد وطأة نفوذ سبأ الاقتصادي على أوسان، بدأ يشرع في تنفيذ مشروع أوسان التوسعي المناهض لسبأ في اليمن القديم.

المحور الثالث: التوسع الأوساني في عهد الملك (مرتع) في جنوب الجزيرة العربية⁽²⁾؛

لقد نجح الأوسانيون في إقامة مملكة قوية متماسكة تمتعت باستقرار سياسي ورخاء اقتصادي نسبياً، وقد ساعدهم على ذلك وحدتهم الاجتماعية والدينية، ووجود سلطة مركزية قوية، علاوة على توفير المنتجات الزراعية والتجارية التي كان الطلب عليها كبيراً، بالإضافة إلى مرور طرق التجارة عبر أراضيهم.⁽³⁾

ويرى بعض الباحثين أن التوسع الأوساني ربما تم، أو على الأقل بدأ في عهد (ذكر آل)؛ لأنه الوحيد من دولة أوسان الذي حمل لقب مكرب⁽⁴⁾، وتعتقد الباحثة أن التوسع الأوساني لم يبدأ في عهد (ذكر آل)، الذي لا نجد لأوسان ذكراً في نقش معاصره (يثع أمر بين) وكذلك لا نجد له ذكراً في نقش (كرب آل وتر) بل كان ذلك التوسع في عهد ابنه (مرتع) الذي حكم في بداية القرن 7 ق.م وكان معاصراً لـ (كرب آل وتر) وهو أشد خصومه، ويستدل على ذلك من عبارة (وكل ما ملك مرتع ورجاله - جنوده - في دهس وتبني (تبني) كما ورد في النقش (RES 3945 / 11)⁽⁵⁾. أي أن (مرتع) هو الذي قام بالتوسع الأوساني في دهس وغيرها من المناطق وليس والده.

(1) عطبوش، 2008م، مرجع سابق، ص 172.

(2) انظر الخرطة رقم 2 في الملاحق.

(3) السيد، محمود عبدالباسط عطية، مملكة أوسان - دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، في الآثار الشرقية من قسم الآثار المصرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2012م، ص 227.

(4) حبتور، (2003م)، مرجع سابق، ص 25.

(5) بافتيه، (1985م)، مرجع سابق، ص 64، والعمرى، وآخرون، (1990م)، مرجع سابق، ص 15.

ومنذ نهاية عهد (ذمر علي ينف) وبداية عهد (كرب آل وتر) الذي خلف الأول على حكم سبأ، يحتمل أن الأزمة الاقتصادية والسياسية بين سبأ وأوسان بلغت أوجها، ولا يستبعد أن سبأ زادت من إحكام سيطرتها على اقتصاد اليمن وتجارتها، مما دفع (مرتع) للسعي للقضاء على النفوذ السبئي الاقتصادي والسياسي في اليمن بالقوة واستعادة أوسان لنفوذها الاقتصادي السالف الذي فقدته بسبب توسع دولة سبأ العسكري في أجزاء كبيرة من مناطق اليمن القديم⁽¹⁾.

ولا يخفى أن (مرتع) قام باستشارة (مسودة) مجلس الكبار حول حرب سبأ وبما أن أعضاء ذلك المجلس من شيوخ القبائل والتجار ممن تضررت مصالحهم من حصار سبأ الاقتصادي على أوسان ويسعون للحصول على المزيد من الثروات ومناطق النفوذ التي تدر عليهم أرباحاً طائلة، فإنهم أيدوا مسعاه في الحرب ومدوه بالمقاتلين من أفراد قبائلهم وجندهم الخاص وبذلك قام (مرتع) بقيادة جيشه ومحاربي قبائل - شعوب - الاتحاد الأوساني، لتحقيق أهدافها المذكورة سلفاً على حساب سبأ ومناطق نفوذها، والممالك اليمنية الأخرى غير الخاضعة لسبأ⁽²⁾.

وفي ضوء ذلك نعرض توسعات مملكة (أوسان) بقيادة ملكها (مرتع)، على النحو الآتي:

1 - سيطرة الملك (مرتع) على حضرموت؛

ومما لا شك فيه أن حضرموت كانت أول هدف لـ (مرتع) إذ سير إليها جيشه، وأخضعها لقرىها من أوسان إضافة إلى ضعف حضرموت بسبب احتكار سبأ للسلع الحضرمية والتحكم في أسعارها.

ويختلف الباحثون في مقدار الرقعة الجغرافية لأرض حضرموت التي احتلتها مملكة أوسان، فيرى بعضهم أن أوسان انطلقت من مركزها في وادي مرخه، وتوسعت

(1) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص172.

(2) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

على حساب حضرموت واقتطعت جزءاً من أراضيها،⁽¹⁾ ويعتقد آخرون أنها اقتطعت مساحات واسعة⁽²⁾. أما البعض الآخر فيحدد المناطق التي سيطرت عليها أوسان من حضرموت بالقول: إن أراضي حضرموت قبل التوسع الأوساني، كانت تشمل وادي حضرموت ومناطق ظفار والمهرة ووادي ميفعه ومنطقة وادي حجر، والسوط، ومنطقة انتشار شعب (قبيلة) سييان، كما تشرف على مفازة صيهده من خلال أودية (دهر) و(عرمة) و(جردان)⁽³⁾، وإن ما احتله (مرتع) من أراضيها شمل أودية (ميفعة) و(حجر) ومنطقة قبيلة (سييان) - غرب مدينة (المكلا) الحالية - و(السوط) و(ميفع) و(جردان) و(عزمه)، وأنه لم يتبق بيد حضرموت بعد التوسع الأوساني سوى واديها الشهير - وادي حضرموت - والمناطق الشرقية المهرة و(ظفار)⁽⁴⁾.

وعلى العموم لم يحدد الرأي الأول الجزء الذي سقط من أراضي حضرموت بيد أوسان، أما الرأي الثاني فإنه لم يحدد مقدار تلك المساحات الواسعة من الأراضي الحضرمية. وأما الرأي الثالث فإنه يجعل أراضي الاتحاد الأوساني لاسيما وادي (ميفعة) ووادي (حجر) و(السوط) ومنطقة قبيلة سييان، ووادي (جردان) و(عرمة) تابعة لحضرموت، إلا أن هذه المناطق لم تكن خاضعة لحضرموت أو ضمن سيادتها، ويخلط هذا الرأي بين المناطق الأوسانية والمناطق المقتطعة من حضرموت، بالقول: إن المناطق التي امتدت إليها معارك الحلف الثلاثي (سبأ وقتبان وحضرموت) ضد أوسان كانت هي المناطق ذاتها التي ساد فيها النفوذ الأوساني قبل الحرب. أما المناطق المقتطعة من حضرموت وقتبان، فيبدو أنها أصبحت جزءاً من الدولة الأوسانية، وأن استعمال عبارة (من تحت ذي أوسان) في نقش (RES 3945 / 13)، تؤكد ضم

(1) بافقيه، (1985م)، مرجع سابق، ص 22، والجرو، (1996)، مرجع سابق، ص 159.

(2) مقبل، (1987م) مرجع سابق، ص 23.

(3) الجرو، (1996)، مرجع سابق، ص 159، وحبثور، (2003م)، مرجع سابق، ص 21.

(4) حبثور، (2003م)، مرجع سابق، ص 21، وحبثور، ناصر صالح يسلم، وادي ميفعة دراسة تاريخية لآحد المراكز الحضارية في اليمن القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ومقدمة إلى قسم التاريخ، كلية

الاداب جامعة عدن، 1997م، ص 52، 65.

الأوسانيين لتلك المناطق⁽¹⁾، ونرى أن سيادة النفوذ الأوساني في مناطق وادي (ميفعة) ووادي (حجر) و(السوط) ومنطقة قبيلة سيبان، ووادي (جردان) و(عرمة) يدل بأنها مناطق نفوذ أوسانية، ولم تكن مناطق نفوذ حضرمية.

أما المناطق المقتطعة من حضرموت فلم يبينها هذا الرأي؟ وقد خلط بينها وبين مناطق الاتحاد الأوساني، فهذه المناطق لو كانت احتلتها أوسان بالقوة فسوف تكون مناوئة لها في أثناء الصراع بين حضرموت وسبأ وأوسان ومتحالفة مع حضرموت، لكن نجد العكس، مما يرجح بأنها أوسانية حقًا، ولم تضم لأوسان، ولو كانت حضرمية لأعيدت لحضرموت كما ورد في النقش (RES 3945 / 13 - 14)⁽²⁾، ولما تعرضت له هذه المناطق الأوسانية التي سبق ذكرها للحرب والتدمير ولما تملكها (كرب آل وتر) كما ورد في النقش (RES 3945 / 8 - 9)⁽³⁾، الذي فرّق بين أراضي أوسان وبين أراضي حضرموت التي سيطر عليها الأوسانيون وتم إعادتها للحضارمة، وليس صحيحًا ما ذهب إليه حبتور⁽⁴⁾، أنها أرض حضرمية أصبحت جزءًا من أوسان، رغم أن نقش (RES 3945) يشير على أنها أرض أوسانية لذلك سيطر عليها (كرب آل وتر) لنفسه، ولم يعطها لحضرموت.

وهذا الرأي يقلب الحقائق فالأرض الأوسانية جعلها تابعة لحضرموت ومن ثم سيطرت عليها أوسان، في حين أن الأرض الحضرمية التي سيطرت عليها أوسان جعل ما تبقى تحت حكم حضرموت.

ومهما كان الأمر، فإن أوسان بقيادة ملكها (مرتع) قد استطاع الانطلاق بجيشه من وادي (مرخة) باتجاه وادي ميفعة، ثم وادي عرمة وجردان، لقرب هذه المناطق من شبوة على وادي المعشار، وباغت حاكم حضرموت (يدع آل) واستطاع هزيمته بالقوة⁽⁵⁾.

(1) حبتور، (1997م) مرجع سابق، ص 22.

(2) بافقيه، (1985م)، مرجع سابق، ص 64، والعمري، وآخرون، (1990م)، مرجع سابق، ص 15 - 16.

(3) بافقيه، (1985م)، ص 64، والعمري، وآخرون، (1990م)، مرجع سابق، ص 15.

(4) حبتور، (2003م)، مرجع سابق، ص 22.

(5) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 174.

فأين وقعت المعركة الأساسية بين الطرفين؟ يحتمل أن المعارك امتدت من شبوة إلى وادي حضرموت، إذ هزم حاكم حضرموت وقبائله، وأجبر على الخضوع لأوسان وأصبحت أراضي وادي حضرموت والمهرة وظفار، أي كل أراضي مملكة حضرموت، خاضعة للملك (مرتع)، واستقطعت هذه الأراضي لحساب أوسان⁽¹⁾، والمحتمل أنها أصبحت ملك للدولة الأوسانية ومعبدها، وألزم ملك حضرموت بدفع الإتاوة دليلاً على خضوعه لأوسان⁽²⁾.

وكانت أهداف أوسان من السيطرة على حضرموت أولاً منع حضرموت من تقديم أية مساعدة لسبأ حين الصدام، وبين أوسان في أرض قتبان، وحماية الأراضي الأوسانية من الجهة الشمالية الشرقية عند تفرغها للسيطرة على بقية مناطق النفوذ السبئي، والاستفادة من ثروات حضرموت الاقتصادية والسيطرة على تجارتها وحرمان سبأ منها، وإحكام الحصار على سبأ بتحويل طريق التجارة عبر أراضي حضرموت إلى نجران مباشرة بواسطة منطقة (العبر)، لهذه الأسباب المحتملة بدا (مرتع) توسعته من حضرموت⁽³⁾.

أما موقف سبأ من سيطرة أوسان على حضرموت فيحتمل أن الهجوم الأوساني على حضرموت قد باغت سبأ، ولم يفسح المجال لحاكم حضرموت بالاستعانة بها من جهة، ومن جهة أخرى لم تكن سبأ مستعدة لخوض حرب مع أوسان لقلّة إمكانياتها المادية التي خصصت لبناء المعابد وقنوات الري وإعمار مدينة مأرب كما ورد في النقوش (FA.45. CIH629. 4, 5, 6 / Res 3643)⁽⁴⁾، كما أن سبأ تغاضت عن ذلك الاحتلال لاعتقاد مكرها خطأً أن كل تجارة حضرموت وأوسان، ستخضع في النهاية لسبأ، المتحكمة في الطريق التجاري صوب شرق البحر المتوسط لتبعية نجران

(1) الجرو، (2000م)،، مرجع سابق، ص 159.

(2) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 174.

(3) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 175.

(4) بافتيه، (1985م)، مرجع سابق، ص 22.

مخرج طريق التجارة لسبأ، ومن ثمّ لن تخسر سبأ شيئاً من احتلال أوسان لحضرموت، لسيطرتها على تجارة اليمن القديم⁽¹⁾.

2 - السيطرة الأوسانية بقيادة الملك (مرتع) على قتبان :

بعد تحقيق (مرتع) نصره السريع على حضرموت وعدم تدخل سبأ، شجع ذلك الأوسانيين على مهاجمة مناطق النفوذ السبئي في قتبان ولاسيما أن قتبان كانت ضعيفة آنذاك، فقاد (مرتع) جنوده صوب أرضها لإحكام الطوق على سبأ اقتصادياً ولأهمية موقع قتبان الاستراتيجي لسبأ، فعبرها تمر القوافل من شبوة ووادي مرخه إلى أرضها ومنها إلى مأرب، وباغت حاكمها (وروال)، وبعد معركة خاطفة مع القتبانيين في أرضهم أحرز الأوسانيون النصر على قتبان⁽²⁾.

ويرى بعض الباحثين أن أوسان سيطرت على بعض أراضي قتبان⁽³⁾، عدا وادي (حريب)⁽⁴⁾ والبعض الآخر يرى أنها مساحات واسعة من أرض قتبان⁽⁵⁾، دون تحديد هذه المساحات المقتطعة، ومن المحتمل أن كل أراضي قتبان ولد (عم) خضعت لأوسان كما ورد في النقش (RES 3945 / 12 - 13)⁽⁶⁾، بعد هزيمة (وروال) حاكم قتبان ومحدودية شعوبه

ومساحتها بما فيها (حريب) كانت تحت الخضوع الأوساني. ويؤكد ذلك الصدام بين أوسان وسبأ الذي يستحيل أن يتم إلا بسيطرة أوسان على كل أرض قتبان لوقوعها بين الدولتين سبأ في الشمال وأوسان في الجنوب.

طريق الحملة الأوسانية ضد قتبان هو الطريق نفسه الذي تستعمله قوافل التجار

(1) ينظر النقش RES 3643 / 4, 5, 6

(2) بافقيه، (1985م)، مرجع سابق، ص 22.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) حبتور، (2003م)، مرجع سابق، ص 21.

(5) مقبل، (1987م)، مرجع سابق، ص 23.

(6) ينظر بافقيه، (1985م)، مرجع سابق، ص 64، والعمرى، وآخرون، (1990م)، مرجع سابق، ص 16.

الممتدة من وادي مرخه و(هجر يهر) عاصمة أوسان وبهذا النصر أصبح الأوسانيون وجهًا لوجه أمام سبأ⁽¹⁾.

وكان هدف (مرتع) ملك أوسان من احتلال أرض قتبان السيطرة على موقعها المهم على طريق التجارة باتجاه مأرب، وحرمان سبأ من التحكم به، إضافة إلى إضعاف سبأ اقتصاديًا وإحكام الطوق عليها وحرمانها من الإتاوة المفروضة على قتبان لتبعية أرضها لسبأ ومعبدها منذ عهد مكرب سبأ (يثع أمر بين)، ومنع السبئيين من الوصول إلى حضرموت وبيعها إلا عن طريق أوسان وبإشرافها، وتحويل أرض قتبان لملكية الدولة الأوسانية، بعد أن كانت أراضيها ملكية لسبأ ولمعبدها كما ورد في النقش (RES 3945 / 1)⁽²⁾، وتحويلها إلى مركز متقدم يحول دون وصول أي تقدم عسكري سبئي تجاه أرض أوسان، وأرض حضرموت الخاضعة لأوسان، عند انشغال الأوسانيين باستكمال مشروعهم التوسعي، ضد مناطق النفوذ السبئي الأخرى في جنوب غرب اليمن، وكذلك تحويلها إلى نقطة للانطلاق للسيطرة على أرض سبأ نفسها، وهكذا باحتلال أوسان لأرض قتبان بدأ المشروع التوسعي السبئي الذي تم في الرابع الأخير من القرن 8 ق. م بالاحتضار.

وبهزيمة قتبان وسيطرة أوسان على أرضها استشعر (كرب آل وتر) الخطر الأوساني المحدق بسبأ اقتصاديًا وسياسيًا الذي لن ينتهي إلا بسيطرة أوسان على أرض سبأ وإخضاعها كما خضعت حضرموت وقتبان، ولا يستبعد أنه أعلن التعبئة وطلب المقاتلين من شيوخ قبائل سبأ مع تزويدهم بالعتاد وبعد وصولهم قاد جيشه وجموع قبائله من المتطوعين القادرين على حمل السلاح لإبعاد الخطر الأوساني عن الأرض السبئية واستعادة الأرض القتبانية، وسلك به الطريق التجارية المارة من مأرب باتجاه وادي حريب صوب بيحان، واصطدامه بالأوسانيين في معارك ضاربة في وادي حريب، لم يستطع فيها هزيمة الأوسانيين بقدر ما حقق ملك أوسان (مرتع) بعض النجاحات

(1) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 176.

(2) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 27، وعطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 175.

على السبئين وألحق بهم العديد من الهزائم⁽¹⁾، التي لم تكن ساحقة لإجبار (كرب آل وتر) على الاستسلام، وسيطر بنتيجتها على أجزاء واسعة من أراضي سبأ⁽²⁾، وربما في جنوب مأرب ووادي الجوبة.

وأياً كان الأمر، فقد تعددت المعارك بين الطرفين دون أن تحقق إحداهما نصراً على الأخرى، وأصبحت معارك كر وفر، أسر فيها الأوسانيون أعداداً كثيرة من السبئين⁽³⁾، ومن المحتمل أن (كرب آل وتر) نجح في عدم فقدان سبأ لأراض جديدة، وتثبيت جبهة القتال في المنطقة الواقعة شمال قتيبان وجنوب سبأ، وفي الوقت نفسه أجل (مرتع) مكرب أوسان حسم الصراع مع سبأ حتى حين، فظلت قواته تناوش السبئين في هذه المنطقة، وانصرف لتحقيق المشروع التوسعي لأوسان بالسيطرة على ما تبقى من مناطق نفوذ سبأ، لحرمان سبأ من الأتاوات التي تدفعها لها وإضعافها عن طريق فرض الحصار الاقتصادي عليها، أملاً في الإجهاد عليها عسكرياً بعد ذلك، وبالمقابل لجأ (كرب آل وتر) لوسائل أخرى لإبعاد الخطر الأوساني عن أرض سبأ قبل أن تلحق به الهزيمة الشاملة في حروب (مرتع) المحتملة ضده بعد أن يكمل مشروعه التوسعي ضد مناطق نفوذ سبأ، التي لم تعد سبأ تستطيع الدفاع عنها لوجود التهديد الأوساني المحدق بها في أرض قتيبان، ولكي يحقق نصراً شاملاً على أوسان بعد أن تبين له أهداف التوسع الأوساني وأبعاده السياسية والاقتصادية، ولذلك أجلت ساعة حسم الصراع بين سبأ وأوسان لمرحلة لاحقة، واكتفت أوسان بالاستيلاء على بعض أراضي سبأ الجنوبية⁽⁴⁾.

3 - سيطرة أوسان على (دهس وتبني والعود) :

بعد صد أوسان لكل المحاولات السبئية لاستعادة أرض قتيبان، وإلحاق الهزائم بها، توجه (مرتع) على رأس جنوده إلى مملكة (دهس وتبني) وهاجم أرضها واحتل (تبني)

(1) يحتمل أن (مرتع) سجل انتصاره على سبأ في حربه معها، مما جعل (كرب آل وتر) يقوم باتلاف كل

الكتابات الأوسانية. التي نالت منه، أنظر / 6 RES 3945

(2) مقبل، (1987م)، مرجع سابق، ص 23.

(3) الجرو، (1996م)، مرجع سابق، ص 159.

(4) لوندن، ا.ج، (1984م)، مرجع سابق، ص 22.

و(عدن) عبر (تفض - أبين)، ثم توجه إلى أرض (دهس) الجبلية فجمع ملكها جنوده لحرب أوسان، فألحق (مرتع) الهزيمة بهم، ولم يستطع السبئيون نجدة (دهس، وتبني) لخوفهم من تقدم قوات أوسان من أرض قتبان تجاه سبأ إضافة إلى ضعف السبئيين عسكرياً بعد معاركهم مع أوسان، فتركوها لمصيرها، ومن المحتمل أن (مرتع) حولها إلى مستعمرة وجعلها على وقف الدولة الأوسانية، وتملك (مرتع) وجنوده أراضي في (دهس) و(تبني) وحقولها كما ورد في النقش (RES 3945 / 11)⁽¹⁾.

وقد شكّل احتلال الأوسانيين لـ (دهس وتبني) ضربة كبيرة لاقتصاد سبأ، إذ حرّمها من عائدات (دهس) بوصفها ملكاً للدولة السبئية والمقه⁽²⁾، كما حرّمها من السلع الخارجية التي كانت تصل إلى ميناء عدن الذي أصبح تحت السيطرة الأوسانية.

أما طريق الحملة الأوسانية صوب مملكة (دهس) فيحتمل أنه الطريق التجاري الممتد من وادي مرخه إلى شمال دثينة، ومنها إلى شمال (تفض) (يرامس) و(باتيس) حالياً إلى جبل (لحبوش) في شمال غرب (تفض) (أبين) ثم اتجهت صوب (تبني) (لحج) حالياً إذ تم إخضاعها وهزيمة من بها من أهل (دهس)، لسهولة أرضها وعدم وجود موانع جبلية بها، وبسقوط (تبني) سقطت (عدن) لقربها من (تبني) التي بيد أوسان بعد أن انقطع عن أهلها عون أهل (تبني ودهس).

ثم اتجه الأوسانيون إلى أرض دهس (يافع) عن طريق شمال منطقة (تبني) (لحج) لإخضاعها، ولا يعرف مكان المعركة التي دارت بين الطرفين، ومن المحتمل أن ملك (دهس) قاد جنوده والمتطوعين من قبائله من جبال (دهس) (يافع) لاستعادة (تبني) فالتقى الجمعان في منطقة أقل وعورة ويحتمل أنها بلاد (ردفان) حالياً الواقعة بين (دهس) و(تبني) وفيها هزم ملك دهس وأرتد إلى منطقتة الجبلية للتحصن بها، ولاستحالة السيطرة على هضبة دهس الجبلية من شمال تبني قاد (مرتع) جيشه وعاد إلى أرض أوسان ثم انطلق بحركة سريعة إلى أراضي (ردمان) القتبانية في سرو مذحج

(1) بافقيه، (1985م)، مرجع سابق، ص 64، والعمرى، وآخرون، (1990م)، مرجع سابق، ص 15.

(2) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 178.

ومنها إلى منطقة (عله) عاصمة (دهس) - يافع - وبها حدثت المعركة الفاصلة بين الطرفين التي حسمت لصالح أوسان وأعلن ملك (دهس) طاعته لأوسان⁽¹⁾.

وبعد سيطرة أوسان على (دهس) و(تبني) أراد (مرتع) إحكام سيطرته على الطريق التجاري الممتد من عدن والمعافر صوب (دهس) إلى منطقة (العود) ومنها إلى ذمار ثم إلى صرواح، فأصبحت أراضي (دهس) نقطة انطلاق صوب أرض (العود) في جنوب الهضبة الجبلية، التي تتحكم بهذا الطريق قبل وصوله إلى ذمار، ولعدم استطاعة أهلها صد الهجوم الأوساني وقعت تحت سيطرة (مرتع) وجنوده، وتم تحويل أراضيها إلى ملكية للدولة الأوسانية، وقد حظي أهل العود في عهد السيطرة الأوسانية بمكانة اقتصادية كبيرة إذ سمح لهم بالاشتغال بالتجارة بين منطقتهم والمناطق القريبة منهم مثل ذمار وأرض أوسان، وبسبب ذلك صار لهم مقتنيات وأموال كثيرة؛ كما ورد في النقش (RES 3945 / 1)⁽²⁾، وهذه المكانة يحتمل أن العود اكتسبتها من موقع هذه المنطقة بين المعافر ودهس وذمار، وكل ذلك أطمع أوسان بهذه المنطقة. وكانت أهم نتيجة لسيطرة أوسان على منطقة ولد (عودم) (العود)، إحكام أوسان حصارها الاقتصادي على سبأ، وحرمانها من وصول السلع المستوردة من شرق إفريقيا والهند إلى اليمن، إلا عبر أوسان⁽³⁾.

4 - دثينة أهم مناطق مملكة أوسان :

يشير لنا نقش صرواح الكبير، (RES 3945)، عن دثينة، بعد مهاجمتها نتج عنه عدد من القتلى، والأسرى، وإخضاع ساداتها، ورعيته، ما يدل على أنها كانت مصدر قوة وتقدم لمملكة أوسان، بل القوة الضاربة في جيش المملكة. وعلى الرغم من المبالغات التي وردت في النقش من كثرة القتلى، وأخذ أبناء دثينة جزءاً من نظامها السياسي، بل

(1) هذه الطريق استخدمها ملك سبأ (بهاقم بن ذمر علي ذرح) للقضاء على ثورة الحميريين في مرتفعات (يافع)، ينظر:

Robin, et. Bron. F: Deyx inscriptions Haut - Yafi, dans semitica, 24, 1979, pp 132 - 145.

(2) بافقيه، (1985م)، مرجع سابق، ص 64، والعمرى، وآخرون، (1990م)، مرجع سابق، ص 15.

(3) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 179.

سندها الرئيس، كان من نصيبها الهزيمة والضعف. وسواءً أكان بهذا القدر أم ذلك، وهو حال الحروب على مدى التاريخ الإنساني، لابد أن يكون فيها غالب ومغلوب، وإذا ما صح الافتراض بأن عاصمة مملكة أوسان (أمعادية)⁽¹⁾، فستكون هذه الضربة الشديدة مبررة لـ (كرب إل وتر) بحسب ما أُشير في نقش صرواح الكبير بأنها ضربة انتقامية، ولعلها تعني أنه تعرض لهزيمة سابقة "من قبل مملكة أوسان، فكان، هذا الانتقام الرهيب" لتحالف دثينة مع أوسان.

وتم تقسيم أراضي مملكة أوسان بين الحلفاء، إذ أصبحت منطقة دثينة من نصيب مملكة قتبان، وتابعة لها سياسياً ضمن المناطق "التي سيطرت عليها مملكة قتبان"،⁽²⁾ وعلى الرغم من ذلك فدثينة بوصفها قبيلة كانت شبه مستقلة عن قتبان، ماعدا دفع الضريبة (الجزية) طبقاً للأوامر الملكية السارية في قتبان حيث تجمع تلك الأموال تحت إشراف كهنة معبد (عم) الإله القتباني (ذو لباخ) وتعني بيت الإله عم إله القتبانيين في منطقة لباخ⁽³⁾.

5 - السيطرة الأوسانية على المعافر:

على الرغم أن نقش (RES 3945) لم يذكر بأن المعافر كانت تحت السيطرة الأوسانية لكن يستتج أنها وقعت تحت سيطرة أوسان، لقرب هذه المنطقة من (دهس) و(تبنّي) ويحتمل أن السيطرة الأوسانية عليها لم تكن بالقتال، فعندما هزمت سباً أمام أوسان استقلت شعوبها بحكمها ونبذوا السيطرة السبئية عليها، ومع اقتراب القوات الأوسانية من أرضهم، ولعدم قدرتهم على صد هذه القوات أو إلحاق الهزيمة بها، قدم أهلها فروض الطاعة لملك أوسان (مرتع)، وهكذا تمت سيطرة أوسان على المعافر، وكان هذا النصر الأوساني ضربة قاضية للنفوذ السبئي في جنوب غرب اليمن،

(1) علي، ناجي محمد سعيد، دثينة بين الأثر والخبر، أبحاث مجلة علمية محكمة، نصف سنوية، تصدر عن كلية التربية بالحديدة، العدد الثاني، يونيو، 2014م، ص 259، 260.

(2) العمري، وآخرون، (1990م)، مرجع سابق، ص 17.

(3) وندين، ا.ج، باوزير، (1984م)، مرجع سابق، ص 35.

وبه تم حرمان سبأ من أي انتفاع من أتاوات المناطق التابعة لها وكذلك من تجارة السواحل الجنوبية من اليمن⁽¹⁾. وبعد ذلك دُون (مرتع) أخبار انتصاراته تلك، وما أبلى الأوسانيون به وما حققوه من مآثر حربية على سبأ وغيرها على جدران معابده كما ورد في النقش (RES 3945 / 6)⁽²⁾، وأصبحت أوسان العدو الرئيس لسبأ، وشكلت بتوسعاتها تلك أشد خطرًا عليها⁽³⁾.

المحور الرابع: نتائج التوسع الأوساني في عهد الملك (مرتع) في جنوب الجزيرة العربية:

لقد شهدت أوسان في عهد ملكها (مرتع)، أقوى معاركها العسكرية توسعية في تاريخ الممالك اليمينية القديمة وفي هذا التوسع الأوساني على سبأ يكون الملك (مرتع) قد استطاع أن يخضع مملكة سبأ تحت نفوذ حكمه، ولنا أن نعرض نتائج التوسع لأوساني في عهد الملك ((مرتع))، على النحو الآتي.

أ - إضعاف سبأ وتطويرها سياسياً واقتصادياً:

لم يكتف (مرتع) بالانتصارات التي حققها على سبأ، بل أراد حرمانها تمامًا من تجارة اليمن القديم لإضعافها اقتصادياً وعسكرياً حتى يسهل عليه في النهاية إخضاعها سياسياً والسيطرة على أراضيها وفرض الجزية عليها، ولتحقيق ذلك لا يستبعد أنه تعمد تحويل طريق التجارة الذي يمر عبر أراضي سبأ - مأرب - ومدن الجوف إلى تمنع ثم شبوة ومنها إلى منطقة العبر ثم إلى نجران مباشرة، التي يحتمل أنها استغلت قصة هزيمة سبأ أمام أوسان ومنطقة العبر ثم إلى نجران مباشرة، التي يحتمل أنها استغلت فرصة هزيمة سبأ أمام أوسان وضعفها فاستقلت بها قبائل (مهامر وأمير وعوهب) عن

(1) الجرو، (1996م)، مرجع سابق، ص 159.

(2) بافقيه، محمد عبدالقادر، (1985م)، ص 61، والعمرى، وآخرون، (1990م)، ص 14، والجرو، (2002م)، مرجع سابق، ص 159، وروبان، (1999م)، مرجع سابق، ص 90.

(3) نيس، نوبرت، (1999م)، مرجع سابق، ص 95، وروبان، كرستيان جوليان، (1999م)، مرجع سابق،

النفوذ السبئي وبدأت شعوبها مضايقة سبأ من الشمال⁽¹⁾، وإظهار العداوة لها بامتناعها عن دفع الإتاوة مستغلة ضعف سبأ السياسي والاقتصادي في اليمن القديم.

ب - تغيير لقب الحاكم من (مكرب) إلى ملك :

من المعلوم أنّ لقب رأس المملكة يُعدُّ مهمًّا لهذه المملكة أو تلك. والذي يبدو لي أن (مرتع) هو الذي غيّر هذا اللقب من مكرب إلى (ملك)، ويبدو أيضًا أن سعة المساحة التي سيطر عليها كانت سببًا في تغيير لقب مكرب إلى ملك.

واللافت للنظر أن أبرزها تغيير اللقب السياسي للحاكم الأوساني ويختلف الباحثون حول أمر (مرتع) بعد صراعاته مع سبأ وغيرها من ممالك اليمن هل أصبح ملك أو بقى مكرب؟ يرى السقاف⁽²⁾، أنه أول من حمل لقب ملك أوسان، بينما يرى حبتور⁽³⁾، أنه كان يحمل لقب مكرب تواصلًا لذلك اللقب الذي كان يحمله والده (ذكر آل) وأن وصف (كرب آل وتر) له بلقب ملك هو وصف لا يعترف فيه (كرب آل وتر) لـ (مرتع) بأكثر من رئاسته لشعب واحد هو شعب أوسان، وهذا انتقاص منه لخصمه (مرتع) بعدم إعطائه لقب مكرب التي تعني موحد الشعوب.

وعلى العموم عندما كان (مرتع) مكربًا وبعد أن صار ملكًا كان يحكم أكثر من شعب كما ورد في النقش (8، 7، 6 / RES 3945)⁽⁴⁾، لذلك فالرأي الأول أقرب إلى الصواب، حيث نجد أن انتصارات حاكم أوسان (مرتع) في اليمن القديم قد أدت إلى تغييره لقبه من مكرب إلى ملك، وهو بهذا أول من تلقب بلقب ملك في أوسان، ونبذ لقبه (مكرب)، وقد اعترف له خصمه (كرب آل وتر) بهذا اللقب إذ ذكر في نقشه (أوسان/ ومرتع/ ملكهو) كما ورد في النقش (5 / RES 3945)⁽⁵⁾، أي (أوسان وملكها مرتع)، وهو بذلك يؤكد أن مرتع غيّر لقبه إلى ملك بدلًا من مكرب وليس في

(1) لوندن، ا.ج، باوزير، (1984م)، مرجع سابق، ص 22.

(2) السقاف، حمود، (1994م)، مرجع سابق، ص 115.

(3) حبتور ناصر صالح، وحده اليمن قديمًا، مرجع سابق، ص 25.

(4) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 180.

(5) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 180.

ذلك انتقاص منه لخصمه بل اعترافاً بحقيقة تلقب (مرتع) بهذا اللقب، وهذا من باب المباهاة بأنه قهر هذا الملك الكبير وليس للتقليل من شأنه.

أما الأسباب التي تجعل المكرب يغير لقبه إلى ملك، فهناك عدة آراء حول ذلك، فالأول يرى أن ذلك حدث مع تحول عميق في المجتمع اليمني القديم، فالدولة التي كانت في السابق قائمة على ممارسة عبادة مشتركة، قامت بمبايعة الملك ويضرب على سبيل المثال بالممالك المحاربة⁽¹⁾

ومما سبق نجد أن عملية تغيير الحاكم لقبه من مكرب إلى ملك، يبدو أنها لا تتم في دول اليمن القديم إلا بالقيام بعمل عسكري كبير ضد الخصوم، وتحقيق انتصارات عظيمة للآلهة وللشعب الذي يحكمه المكرب فهذا الإنجاز يعطيه الحق في توسيع صلاحياته السياسية، حيث يصبح الحاكم (الملك) مهتمًا بأمور السياسة ويترك أمور إدارة المعبد للكهنة، ويرجع سبب ذلك إلى ما حققه من انتصارات للآلهة وللشعب وتفانيه في إعلاء شأنهما وزيادة أملاكهما، مما يعطيه الحق بزيادة نفوذه السياسي؛ لأن الإلهة أيدته، واختصته بتحقيق هذه الإنجازات وبعد أدائه لهذه المهمة على أحسن وجه، أعطى لنفسه الحق في امتلاك صلاحيات سياسية واسعة⁽²⁾، لخدمة الإلهة وشعبه، إذ أصبحت أملاك دولته ومعبدها الذي حاز على مقتنيات من الكثرة حتى أنها لتستحوذ على كل وقته للحفاظ عليها، فلم يعد لديه وقت كاف للإشراف على المعبد وأملاكه، فيترك ذلك للكهنة لجسامة مهامه السياسية المتمثلة بوجود عدد كبير من الأشخاص في الجهاز الإداري للدولة، مثل رجال المجالس التشريعية (المزاود)، وزعماء القبائل، وكبار موظفي الدولة العسكريين والإداريين، الذي أصبح يشرف عليهم، كما أن التوسع والنصر العسكري وزيادة أراضي الدولة يحتاج إلى رجال يعملون للمحافظة عليها ويساعدون الملك في إدارة شؤون الدولة تحت إشرافه، ومعرفة احتياجات القبائل ورجالها المنضوين تحت لوائها، كل ذلك زاد من مهام المكرب مما جعله

(1) رويان، كرستيان جوليان، (1999م)، مرجع سابق، ص 90.

(2) مقبل، سيف علي، (1987م)، مرجع سابق، ص 24.

يغير لقبه إلى ملك واهتم أكثر بأمور الدولة ومناطق نفوذها السياسية والاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁾.

إلا أن النصر العسكري لم يكن العامل الوحيد لهذا التغيير في لقب الحاكم، فهناك عامل آخر إذا ما حدث مع النصر العسكري يتم تغيير المكرب للقبه إلى ملك في مرحلة صراع بداية 7 ق. م، وهو قيامه بتحويل جزء كبير مما غنمه في توسعته، من أراضي السكان وأملاكهم في الممالك الأخرى لصالحه الشخصي، وهذا العامل لم يحدث في عهد المكاربة السالفين لعهد (مرتج) الذين يحولون ما يسيطرون عليه من أراضي الممالك الأخرى إلى ملكية عامة لآلهة دولتهم وشعبها كما ورد في النقش (RES 3943 / 1 - 7)⁽²⁾. أما (مرتج) فقد امتلك مساحات من الأراضي في (دهس وتبني) كما ورد في النقش (RES 3945 / 11)⁽³⁾، ويحتمل أنه امتلك أراضي أخرى في حضرموت وقتبان لم يشر إليها (كرب آل وتر) في نقشه ولم يملكها بعد صراعه مع أوسان وأعيدت للحضارة والقتبانين للحلف الذي جمعهم مع سبأ، فكان ذلك من أسباب تغييره للقبه حتى يتفرغ بشكل كامل للمحافظة على نفوذ مملكته في أراضي الممالك التي احتلها، وإدارة شؤون ضياعه وأملاكه من الأراضي الزراعية وغيرها.

ومهما يكن الأمر فإن أسباب تغيير المكرب لقبه إلى ملك تكمن في تحقيقه لنصر عسكري وسَّع به أملاك دولته على حساب دول أخرى، وكذلك تملكه لمساحات واسعة من الأراضي الزراعية والأودية، والجبال، والمراعي، وسكانها (RES 3945 / 8 - 11)⁽⁴⁾، وما لم يحدث ذلك يظل الحاكم مكرباً، وهذا يفسر لنا تفاوت ممالك اليمن القديم في تغيير لقب حكامها من مكرب إلى ملك من مملكة وأخرى⁽⁵⁾، حيث نجد المكرب الذي يحقق انتصارات على الخصوم يعطي لنفسه لقب ملك في الممالك الكبرى.

(1) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 183.

(2) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 20، وعطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 183.

(3) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 28، وعطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 183.

(4) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 28.

(5) مقبل، (1987م)، مرجع سابق، ص 24.

أما الذي لا يحقق ذلك يبقى مكرَّبًا حتى يحقق أحد مكاربه لتلك الدولة نصرًا كبيرًا لها عندئذ يحق له التلقب بالملك، وهو ما يُعتقد أنه حدث في عهد المكرب الأوساني (مرتع) الذي تلقب بلقب الملك، لإنجازاته العسكرية بوصفه إلهًا وأغدق على شعب أوسان وتملكه للأراضي الزراعية والعقارات الأخرى من الخصوم بعد السيطرة عليها. ومما تقدم من صراع بين أوسان وبعض ممالك اليمن القديم وما تحقق من توسع أوساني وانتصارات وإنجازات ظهرت النتائج السياسية الأتية:

1 - تحول أوسان إلى مملكة مترامية الأطراف⁽¹⁾، يمتد نفوذها من حضرموت شرقًا إلى المعافر غربًا، ومن سواحل خليج عدن وبحر العرب، جنوبًا إلى المناطق الجنوبية والوسطى من هضبة اليمن شمالًا⁽²⁾. وبذلك سيطر الأوسانيون وملكهم (مرتع) على أكثر من نصف الأرض اليمنية المعروفة حاليًا وأخضعوها لسلطانهم⁽³⁾.

2 - ضعف الجبهة الداخلية في مملكة (سبأ) إذ بدأ الاتحاد السبئي يعاني من حالة تفكك نتيجة الهزائم التي لحقت به من أوسان، ويدل على ذلك قيام (كرب آل وتر) بإعادة توحيد شعوب سبأ في عهده كما ورد في النقش (RES 3945 / 1 - 2)⁽⁴⁾.

3 - ظهور روح العدا، وكرهية الخضوع لأوسان من قبل حكام حضرموت وقتبان وشعوبهما ونستدل على ذلك من تحالفهما مع سبأ للخلاص من سيطرة أوسان كما ورد في النقش (RES 3945 / 12 - 13)⁽⁵⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 23.

(2) انظر خارطة رقم (2) في الملاحق.

(3) اعتمدنا هذه الفرضية لأن مساحة المناطق التي سيطرت عليها أوسان ولاسيما ما كان يسمى ج. ي. د. ش تقدر مساحتها بـ 360 ألف كم²، إضافة إلى المعافر (الحجرية) والعود وبعض أراضي سبأ الجنوبية، بينما مساحة ج. ي. حاليًا 560 ألف كيلو متر مربع، انظر بافقيه، محمد عبدالقادر، جغرافية الجمهورية اليمنية، عدن اليمن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط1، 1992م، ص 8.

(4) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص. 28، وعطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص. 183.

(5) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص. 28، وعطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص. 183.

ج - نتائج التوسع الأوساني في المجال الاقتصادي:

عند إنعام النظر في المصادر القديمة والنقوش التي بين أيدينا اتضح أن التوسع الأوساني في المجال الاقتصادي، يتمثل بالآتي:

- 1 - سيطرة أوسان على الطريق التجاري الذي يمر عبر اليمن، وقد شاركتها فيه قبائل (مهامر وأمير) في نجران، ومن المحتمل أنه تم تحويل مسار هذه الطريق من وادي مرخه إلى شبوة ومنها مباشرة إلى نجران عبر منطقة (العبر)⁽¹⁾.
- 2 - لا نستبعد زيادة موارد أوسان المالية، بسبب استغلالها لخيرات وثروات الممالك الأخرى الواقعة تحت سيطرتها بواسطة فرض الجزية عليها.
- 3 - سيطرة أوسان على تجارة اليمن البحرية مع شرق إفريقيا والهند، واحتكارها بعد فرض نفوذها على موانئ اليمن القديم كافة.
- 4 - تضرر سبأ وممالك منطقة الجوف اقتصادياً مع تحويل طريق التجارة إلى نجران من قبل أوسان، وعدم مرور القوافل بأرض سبأ والجوف مما دفع بها للتحالف مع سبأ ضد أوسان.
- 5 - تملك حاكم أوسان وجنوده للأرضي الزراعية في المناطق التي امتد نفوذهم إليها مما أدى إلى عداة أهلها وحكامها لأوسان، وتحالف بعضهم مع سبأ ضدها، والبعض الآخر امتنع عن تأييد أوسان ودعمها مما أفقدها حلفاء عند حسم الصراع، كما أدى هذا الاستحواذ إلى ظهور التملك الاقطاعي في اليمن القديم لأول مرة.

د - نتائج التوسع الأوساني في الصعيد الاجتماعي:

من المعلوم أن التجار الأوسانيين سعوا للتوسع وهذا أدى إلى بروز نتائج اجتماعية، تتضح في الآتي:

- أ - احتمال قيام الأوسانيين بنقل ممتلكات السكان في حضرموت وقتبان ودھس

(1) الهمداني، ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (ت 360 هـ / 970م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي، صنعاء مكتبة الارشاد، 1990م، ص 165.

وتبني، إلى ملكية للدولة الأوسانية للآلهة والملك وجنوده، كما ورد في النقش (RES 3945 / 11)⁽¹⁾.

ب - لا يستبعد تحويل الأسرى من حضرموت وقتبان وسبأ ودهس وتبني إلى عبيد لدى الأوسانيين.

ج - تدمير ممتلكات السكان الحيوية مثل المنازل والمزارع في حضرموت وقتبان ودهس على أثر صراعها مع أوسان، ودفع ذلك بحكام هذه الممالك لمعاداة أوسان ولاسيما حضرموت وقتبان، وعدم الوقوف في صفها ضد سبأ (دهس)، إذ قتل أعداد كثيرة من سكان الممالك المهزومة أمام أوسان، مما دفع بها إلى التحالف ضد أوسان وأدى ذلك إلى ظهور الأتحلاف بين أطراف سياسية عدة لأول مرة في اليمن القديم، ومن لم يدخل في حلف فقد أصبح ضعيفاً، مما عرضه للهيمنة السبئية بعد الصراع، كما خسرت أوسان أعداداً كثيرة من جندها في هذا الصراع وأثر ذلك في استعدادها العسكري عند حسم هذا الصراع.

وهنا يجب أن نلفت الانتباه إلى أنه بالإمكان أن نستشف من خلال هذا النقش الفريد لا يوجد ما يشابهه (RES 3884bis) - أن ممتلكات الملوك في جنوب شبه الجزيرة العربية لم تسلم بعد وفاتهم، على الرغم ما وصلوا إليه من المكانة والقداسة بلغت عند أحدهم درجة التأليه وتقديم القرابين والندور له، من صور الاعتداء عليها بالتخريب أو الإزالة من قبل أفراد مجتمعهم ذاته ممثلة في خلفائهم⁽²⁾.

ومن المعلوم أن مصير ممتلكات الملك الأوساني (يصدق فرعهم شرح عث) في أثناء الحروب، اتضحت في إشارات النقوش في العربية الجنوبية (اليمن القديم) بالرغم من قلتها إلا أنها تؤكد على أن الملوك على الرغم ما وصلوا إليه من القداسة إلا أنهم

(1) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص. 28، وعطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص. 183.

(2) السيد، محمود عبدالباسط عطية، مصير الأسرة الملكية في أثناء الصراعات الحربية "دراسة في ضوء بعض النقوش العربية الجنوبية القديمة"، مجلة علمية محكمة تعني بالآثار والتراث والحضارة في الجزيرة العربية، العدد الثامن، جامعة الملك سعود، ربيع الثاني 1439 هـ، ديسمبر 2017م، ص. 136.



- 4- ي حر/ ب ذن/ ب رث ن/ ذ
 5- ت/ بد/ وم ل أت/ وأل
 6- سن/ سوح سس/ بن/ بر
 7- ثس/ ل مع م رم/ بى م ظأ
 8- عل وو/ بن/ أم لك/ أو
 9- سن/ حج/ وقه/ أبس
 10- [و] (دم/ ب م س آل س)

- 4- 𐎠 𐎡𐎢𐎣 𐎤𐎥𐎦 𐎧𐎨𐎩
 5- 𐎪𐎫𐎬 𐎭𐎮𐎯𐎰 𐎱𐎲𐎳
 6- 𐎴𐎵 𐎶𐎷 𐎸𐎹𐎺𐎻 𐎼𐎽𐎾
 7- 𐎿𐏀𐏁𐏂𐏃𐏄 𐏅𐏆𐏇𐏈𐏉𐏊
 8- 𐏋𐏌 𐏍𐏎𐏏𐏐𐏑 𐏒𐏓𐏔𐏕
 9- 𐏖𐏗𐏘 𐏙𐏚𐏛𐏜𐏝𐏞
 10- (𐏟) [𐏠 𐏡𐏢𐏣𐏤𐏥𐏦𐏧𐏨𐏩]

القراءة:

- 1- معمر/ يصدق إل/ ف
 2- رعم/ شرح عت/ بن/ و
 3- دم/ ملك أو سن/ ول
 4- يحر/ بذن/ برثن/ ذ
 5- ت/ بد/ وملاآت/ وأل
 6- سن/ سو حس س/ بن/ بر
 7- تس/ لمعمرم/ بيظأ
 8- علسوو/ بن/ أملك/ أو
 9- سن/ حج/ وقه/ أبس
 10- [و] (دم/ بمسألَس)⁽¹⁾
 1- نصب يصدق إل
 2- فرعم شرح عت بن
 3- ودم ملك أوَسَان
 4- ليبقي هذا النصب في هذه الأرض
 الخصبة (هذا المكان)
 5- إلى الأبد وفي كل الأزمان ولا.
 6- يحق شرعاً إزלתه من مكان
 7- ليحل محله نصب آخر
 8- من قبل ملوك وَسَان
 9- استناداً لأمر أبيه
 10- ودله في وحيه (بوحى من كاهنه).

وهكذا نجد ملوك جنوبي شبه الجزيرة العربية وعائلاتهم لم يسلموا من التعرض للاعتداءات، سواء بالقتل أو وقوعهم في الأسر أو الرهن أو غيرها من الأساليب.

(1) <http://csai.humnet.unipi.it>.

المحور الخامس : سبأ في مواجهة التوسع الاوساني في عهد ملكها (مرتع) :

من الأمور التي ساعدت سبأ في الانقراض على مملكة أوسان البعد الجغرافي فالناظر على خارطة الأرض اليمنية يجد أن أرض أوسان قريبة من سبأ، بينما يلاحظ بعد المعافر عن أرض مأرب وصرواح مما يجعل الهجوم على المعافر بحسب رواية (كرب أل وتر) لحسم الصراع يترتب عليه فتح مجال لأوسان للتقدم بجيشها عن طريق أرض مستعمراتها قتبان صوب منطقة مأرب وصرواح وهي عقر دار السبئيين، مما يهدد فعلاً بإسقاط أرض سبأ بأيدي أوسان، ومن ثم يخسر (كرب أل وتر) حربه مع أوسان قبل أن يبدأها، ويخسر أرضه أيضاً، ويفتح المجال لأوسان لتسيطر على مدن الجوف وسمعي، وهو هدف سعى إليه (مرتع) ملك أوسان لتحقيقه عبر حصاره الاقتصادي لسبأ⁽¹⁾.

لقد شكلت مملكة أوسان أخطر عدو نافس سبأ في بداية القرن 7 ق.م على السيادة في اليمن القديم وبعد تحقيق مشروعهم التوسعي ركن الأوسانيون إلى الهدوء وبدأوا يستفيدون من نتائج توسعاتهم عن طريق استلام الإثاوات من المناطق التي سيطروا عليها، ومن المحتمل انصراف كبار رجال الدولة وملك أوسان وجنوده لإدارة أملاكهم.

ولا يخفى من خلال هذه الهزائم أن أوسان لم تكن مستعدة للحرب في أثناء هجوم سبأ وحلفائها على أرضها.. كما أن معظم جيش أوسان كان من المتطوعين، الذين عادوا إلى أرضهم وأعمالهم وتركوا السلاح، ويحتمل أن الهجوم السبئي وحلفاءه كان وقت حصاد المحاصيل في أراضي أوسان وانشغال سكانها بذلك وهذا يفسر اعتماد مكرب سبأ في حربه على أوسان على الجيش الرسمي وعدده قليل، وقد زج به ملك أوسان للقضاء على تمرد القتبانيين والحضارمة، وعند إخفاقه في ذلك مع تطور التمرد إلى نصر، يقدم سبأ وحلفائها الداعم الكبير لقتبان كان بسيطاً ولم يكونوا مطلعين على ما يدور في مناطق نفوذهم من أمور تحاك ضد أوسان، ولم يدر بخلداهم أن وراء ذلك اتفاق وتحالف،

(1) عطبوش، (2008م)، مرجع سابق، ص 200.

فاستهانوا بالوضع مما سهّل على (كرب إل وتر) القيام بالحرب السريعة والمباغثة على المناطق الشرقية والوسطى والغربية للاتحاد الأوساني ومن المحتمل أن الملك (مرتع) بعد انتصاراته المتكررة أصابه غرور ولم يعمل حساباً لما بيته (كرب إل) له، مما أدى إلى تخبط ملك أوسان وقادته و(مسودة) ومجلس الكبار الأوساني لهول المفاجأة، ولكن لا يستبعد أنهم حاولوا صد هجمات القوات المتحالفة المهاجمة لشرق أوسان، إلا أن تلك القوات كانت سريعة ومهمتها تخريبية أكثر مما هي مواجهة عسكرية واسعة، مما أخفق محاولات الأوسانيين لصد الهجوم السبئي وحلفائه⁽¹⁾.

ولا يخفى أن الملك (مرتع) لم يجد مواجهة عسكرية من الممالك القديمة، ولكن الأمر لم يستمر على هذه السيطرة التامة إذ واجه الملك (مرتع) مواجهة جاءت من مملكة سبأ التي عملت على مواجهة التوسع الأوساني، ويُعدُّ نقش صرواح (RES 3945) من أهم النقوش حيث يقدم لنا من خلاله سرد للأحداث العسكرية التي نفذها المكرب (كرب إل وتر) على خارطة سياسية لممالك اليمن القديم في الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد⁽²⁾، الذي ذكر فيه أيضاً المكرب السبئي وقيامه بهزيمة عدة شعوب وقتل ملوكهم كما ورد في نقش (RSE3945 / 2) قتل (نوعم) ملك تمنع وعم رتع ملك يهنجو وعم كرب ملك ردمان وحمسم، ملك يحير، وكبرهم "و" أب يفع "ملك ذو وسر"، "ويقم" ملك دهس، وملوك شعوب عين).

إذ كانت الإشارة الثانية كما يرى كيتشن (Kitchen)⁽³⁾، ممثلة في قتل الملك الأوساني "مرتع"⁽⁴⁾، على يد كرب إل وتر وهذا ما لا يمكن عدّه أمراً قطعياً - وإن لم يكن مستبعداً تماماً - في ظل غياب اللفظة المباشرة الدالة على قتل ملك

(1) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(2) انظر (لوحة 1) في الملاحق.

(3) Kitchen, K. A., Documentation for Ancient Arabia, par 1, Chronological Framework & Historical Sources, Liverpool University .press, Liverpool, 1994, p.241

(4) للمزيد ينظر: عبد الباسط، محمود، مملكة أوسان دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص 45، وغيرها.

أوسان (قتل / هرج) في جميع النقوش في عهد ذلك المكرب السبئي بصفة عامة، وفي النقش الموسوم بنقش صرواح (RSE3945) بصفة خاصة؛ كونه النقش الذي يروي تفصيل قصة الصراع وسير المعارك والأحداث بين سبأ وأوسان بل ورد إخضاع أوسان وملكها (مرتج) وممتلكاته دون ذكر قتله.⁽¹⁾

ويمكن أن نستنتج أن الملوك ربما كان يطلق سراهم بشرط اعترافهم بسلطة من وقعوا في أسرهم، وحينما يعودون إلى أوطانهم حكامًا، فإنما يحكمون باسم الدولة المنتصرة عليهم أو بمعنى آخر بوصفهم تابعين أو موالين أيضا من كبار الشخصيات كانوا لا بد وأن يساقوا إلى عاصمة الخصم حيث إنها مقر السلطة التنفيذية الحاكمة، كما يحدث في عصرنا هذا.

لقد اختلفت النتائج السياسية لذلك الصراع من مملكة إلى أخرى لموقف هذه الممالك من بعضها البعض في أثناء الصراع، إما بالتحالف مع غيرها، أو الوقوف منفردة في مواجهة ذلك التحالف، أو محايدة لم توالِ أيًا من أطراف الصراع. أما نتائج الصراع على أوسان التي حققت نتائج سياسية وعسكرية كبيرة في أثناء الصراع، ووسعت نفوذها كثيرًا في المنطقة اليمنية، وجاءت النتائج السياسية لها مع نهاية الصراع مدمرة، بعد أن تمّ القضاء عليها، سياسيًا من قبل سبأ وحلفائها بعنف لأمثيل له؛ إذ وجهت لها ضربة قاضية لم تقم لها بعدها قائمة، واختفت من المشهد السياسي اليمني القديم لعدة قرون.⁽²⁾

ولنا أن نشير أن هزيمة أوسان على يد مملكة سبأ في عهد الملك (مرتج) قد أدى إلى فقدان: القصر الملكي ومصير الأسرى الأوسانيين، وفقدان المدن التي كانت تخضع لملك أوسان (مرتج).

ومن نتائج سقوط أوسان وملكها ((مرتج)) أنه تمّ تدمير القصر الملكي لأوسان وأسر أعضاء مجلسها القبلي - المسود - وتمت التضحية بهم للآلهة من قبل (كرب

(1) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 27.

(2) عطبوش، مرجع سابق، (2008م)، ص 217.

أل وتر)، وقتل ستة عشر ألفاً وأسّر أربعين ألفاً من شعوب أوسان تمّ استعبادهم. من قبل (كرب أل وتر)، وفرضت السيطرة السبئية التامة على أراضي أوسان واتحادها السياسي.⁽¹⁾

وعلى وفق ذلك نتناول مصير القصر الملكي الأوساني، ومصير الأسرى الأوسانيين، ومصير المدن التي كانت تابعة لملك أوسان، على النحو الآتي:

1 - مصير القصر الملكي الأوساني:

ورد أقدم ذكر لمعرفة الاعتداء على القصور الملكية حتى الآن في نقش صرواح (6 / RSE3945) المذكور آنفاً؛ إذ وردت في السطر السادس عبارة " واستولى على محتويات قصره مسور، وأزال كل الكتابة التي تنال أو من شخصية كرب إل وتر من قصر مسور وكتابات معابد آلهته.. قصره مسور"، وهذه إشارة واضحة وصريحة إلى ما قام به المكرب السبئي "كرب إل وتر" من سلب ونهب لمحتويات القصر الملكي الأوساني، وكذلك قيامه بتدمير وتحطيم جدران القصر وما تحمله من كتابات، واستيلائه على ممتلكات هذا الملك (مرتع) وممتلكات الشعوب الخاضعة له⁽²⁾، وقد جاء ذلك في السطر السادس من النقش صرواح (6 / RSE3945) على النحو الآتي:

- وهأتو/ خرش/ بيتهو/ مسور/ وم ئر/ كل/ أسطر/ عتب/ [كرب] أل/ بن/ بيتهو/ مسور/ وأسطر/ أبيت/ ألألتهو/ ون (ش) [.....] [ل...] [....] / بيتهو/ مسور.

- أما أهل أوسان فحكم عليهم بالقتل والسبي، واستولوا على محتويات قصره مسور، وأزال كل الكتابات التي تنال من كرب إل وتر من قصره مسور وكتابات معابد آلهته.. وقصره مسور، وعاد بولد المقه والقبائل (الحلفاء) حريهم وعبدهم من أراضي أوسان ومدنها، وأعطى لإلمقه ولسبأ سرم ومناطقها وحمدان ومناطقها، وسور.

(1) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(2) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 27.

2 - مصير الأسرى الأوسانيين:

أما المسند فلم يذكر شيئاً عن تقييد الأسرى (أخ ذ م / أخ ذ م) بسلاسل أو بحبال، ولا عن كيفية اقتيادهم إلى المناطق التي ينتمي إليها المنتصرون، هل كان يتم ذلك بشكل جماعي إلا أنه وردت إشارات في بعض النصوص تتحدث عن السبايا من الأولاد والبنات أنهم أخذوهم مكبلين،⁽¹⁾ وبناءً على ذلك يمكن القول: إنه كان يتم التكييل أو تقييد الأسرى. كما أنه توجد بعض الثماتيل التي أمكن من خلالها التعرف على أنه كان يتم تقييد الأسرى المعتقلين ففي المتحف الوطني بصنعاء توجد مجموعة من الثماتيل الصغيرة تضم تسعة عشر تمثالاً من البرونز يبدو أنها نماذج لأسرى، (انظر لوحه 3 - 4) حيث يتم تقديم مثل هذه الثماتيل للمعبد بوصفه نوعاً من الشكر للمعبود صاحب المعبد الذي كان له فضل النصر والحصول على الغنائم والأسرى والسبايا وهذه المجموعة تؤرخ بحوالي نهاية الألف قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي.⁽²⁾

وكان مصير ملك أوسان وشعبه في حملته الثانية التي قام بها (الكرب آل وتر) على مملكة أوسان ربما كانت انتقاماً فيما يبدو لهزيمة سابقة. وكان هدف الحملة الانتقام وربما محاولة الاستيلاء على أوسان من امكانياتها الاقتصادية. وكان من نتائج الحملة إخضاع مرتع ملك أوسان، والنصر للقوات السبئية عليه ونذر المسود الأوساني للإلهة سمهة، وقتل عشر ألف وأسر أربعين ألفاً.⁽³⁾

والسؤال الذي يتوارد على الذهن لماذا يتم إحصاء عدد الأسرى أو سبايا الحرب؟ من المعلوم أن الأسرى والسبايا نتيجة من نتائج الهزيمة والنصر في ممالك اليمن القديم وعند إنعام النظر في النقوش والمصادر التاريخية حيث تستعرض الكثير من

(1) بغدادي، (1424هـ)، مرجع سابق، ص 469.

(2) Schiettecatte, J., Une Collection de Statuettes de prisonniers au Musée national de Sanaa, Arabian Archaeology and Epigraphy 17, Singapore, 2006, 177, 187.

(3) العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 30.

النقوش التي ورد بها ذكر للأسرى يلاحظ أن كثيرًا منها أورد تفصيلًا للأعداد التي وقعت في الأسر سواء كانت أعدادًا قليلة أو كثيرة مما يحتمل معه أنه كان يوجد هيئة أو أفراد مختصين بعملية إحصاء الأسرى⁽¹⁾، وتدوينهم ربما يكون هناك دقة في عملية توزيعهم على كل من له نصيب فيهم، إذ سجل النقش المناطق التي استجلب منها الأسرى ولاسيما سبايا أوسان وهي ما تخصص دراستنا وسنوردها، كما ورد في نقش صرواح (RSE3945 / 4,5,6,7) وكما تمّ تسجيل المناطق التي تم الأسر والسبي منها، ويمكن القول: إن كل ما يختص بعملية إحصاء السبايا أو الأسرى وتسجيلهم وكان يتم الاحتفاظ به في أرشيف خاص يقوم عليه موظفون رسميون يمكن اللجوء إليهم لمعرفة أي بيانات خاصة بهؤلاء السبايا.

ويمكن تصور أن الحرص الواضح من النقوش على تسجيل أعداد الأسرى في كثير من الأحيان ونسبتهم إلى المناطق التي يتمون إليها ووجود هيئة مختصة بذلك على أغلب الظن كان يعمل على تسهيل ما يمكن أن يسمى بالمساومة بهم⁽²⁾، أو ما يسمى في المجال العسكري بتبادل الأسرى، وعددهم كما ورد في النقش صرواح (RSE3945 / 4,7) الأتي:

- عدد القتلى والأسرى في الحملة الثانية على مملكة أوسان قتل ستة عشر ألفًا وأسر أربعين ألفًا.

- عدد القتلى والأسرى في الحملة الثالثة في المناطق التابعة لأوسان وهي (دهس وتبني ودثينة) إذ بلغ عدد القتلى ألفين وأسر خمسة آلاف.

3 - مصير المدن التي كانت تابعة لملك أوسان :

لا يخفى أن سقوط المدن نتيجة من نتائج الحرب فالمدن التي كانت بأيدي المهزومين تكون في أيدي المنتصرين. وهذه المدن إما أن تكون مدناً خربها المنتصرون ونجد أن الحملة الثانية كانت باتجاه أوسان بمناطقها وقد دوّن ذلك في النقش (RSE3945 / 5)

(1) السروري، (2004م)، مرجع سابق، ص 60.

(2) Beeston , 1976: op. cit , p.14

ويذكر العدد الضخم من القتلى والسبي وكذلك المدن التي دمرها وأحرقها من لجأة حتى حمان، والمدن التي أحرقها مثل أنف، وحبان، وذياب والأودية التي خربها مثل نسيم ووادي رشأي، وجردان، كما أنقض على دتينه.

وقام بإحراق مدنها كما أحرق مدنًا تفيض، وخربها وأحرق مدنها حتى البحر، كما انقض على وسر، حتى أخضع ملك أوسان.

ومن خلال هذا نرى في هذه الحملة حرص (كرب آل وتر) على الإشراف في أثناء القتل والإيغال في حرق المدن، ولعله بهذا يريد طمس الهوية الأوسانية في هذه المدن وجعلها أرضًا بورًا يسهل فيما بعد ابتلاعها ابتلاعًا تامًا⁽¹⁾.

وبعد اجتياحه الكاسح لأوسان لا يصر على إذلال الملك (مرتع) فحسب بل كل قادة أوسان ورجالهم الذين جعلهم عبيدًا للآلهة سمهية⁽²⁾.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه خصص هؤلاء لخدمة الآلهة سمهية ولم يشرفهم بخدمة الإله المقه أو الإله عثر وهدم القصر الملكي مسور وأزال كل النصوص التي ذكرت وانتقصت من (كرب آل وتر) ولعل هذا يعني أنه قد تعرض لهزيمة سابقة من قبل أوسان، ثم يذكر عودته بشعوب سبئية أحرارًا وعبيدًا ولعل من المستغرب أن يفخر الملك في هذا السجل لأعماله الحربية بأنه عاد بقومه الذين هم جزء من الجيش السبئي ولكن المنطقي في فخره هذا بأنه عاد بهؤلاء القوم الذين هم أسرى سابقين لدى الأوسانيين أو على أحسن الأحوال هم جالية سبئية خشي عليها الملك من ردة الفعل بعد انصرافه من مناطق أوسان المغلوبة على أمره ثم أعاد منطقة سرو، ومنطقة حمدان إلى المقه وسبأ وهذا يعني بأنها كانت من ضمن المناطق السبئية التي احتلتها

(1) المرجع نفسه، ص 40.

(2) الآلهة سمهية: يرجح أنها آلهة سبئية قديمة متخصصة في شؤون الحرب اندثرت عبادتها فيما بعد، وهذا يتناسب مع جيروت الذي يظهر من شخصية كرب إل وتر في هذه الحملات، ويفهم أيضًا من الحملة التي تليها أنه حكم على شعب أوسان بالموت أو الأسر، للمزيد ينظر: العتيبي، (2007م)، مرجع سابق، ص 30.

أوسان، وسور مدينة سرو وأصلح أرضها وأسكنها السبئيين من جديد وهذا الأسلوب في الإحلال عمد إليه (كرب آل وتر) في ذلك الزمن الغابر.

ثم يتجه إلى منطقة يافع، لاسيما الجزء الشمالي مثل دهسم، وتبني، ودتينه، ويذكر عدد القتلى والأسرى واستمراره في إحراق المدن الواقعة في هذه المنطقة، وبعد هذا ينقطع النص ثم يتلوه تقسيم لهذه المناطق التي تم الاستيلاء عليها بين الإله المقه وسبأ من جهة وبين آخرين منهم ملك دهس الذي منحه كرب آل وتر منطقة عود⁽¹⁾، ويتم التقسيم فيحفظ هو لنفسه بمنطقة أنف ومدنها ومراعيها وواديانها وحصونها، ونسم⁽²⁾، ورشأي⁽³⁾، وجردان⁽⁴⁾، إلى فخذ ألو⁽⁵⁾ وعرماء ذات كحد⁽⁶⁾، وسيبان، ومنطقتها ومدنه أشخ وميفع ورثخ، وكل منطقة عبدان، بمدنها وحصونها ومراعيها وأوديتها ورجالها أحراراً وعبيداً كل هذه ملك خاص به، ثم ينقض متجهاً هذه المرة إلى كحد ذسوطم، انتقاماً منهم لتمردهم عليه ولقتلهم أعاوناً لهم وهجومهم على من أمنهم فقتلهم مقتلة عظيمة وسبى من أولادهم وقتل من اتباعهم وغنم أموالهم ومواشيهم. وهدفه من ذلك إفقار هذه القبيلة - الشعب - كي لا تستفيد من ثرواتها الاقتصادية لتجديد الثورة ضد سبأ مرة أخرى. وبهذا النصر على (كحد ذسوطم) ثبت (كرب آل وتر) نفوذ سبأ في أرضها وأعاد سيطرته عليها، واعطي درساً لبقية الشعوب الخاضعة لسبأ بإمكانية التنكيل بها إذا ما قتلت أحد السبئيين في أرضها.

(1) عود، ربما المنطقة المحيطة بجبل العود في قطبه الجزء الجنوبي الشرقي من اليمن، Müller, op, p.654

(2) لم تعثر الباحثة على ذكر لها.

(3) رشأي، وادي رشأي، ربما في وادي ميفعة في الجزء الجنوبي لمحافظة شبوة حالياً، Müller, op, p.653

(4) جردان: وادي يتفرع من المرتفعات الحضرمية إلى الجهات الشمالية الغربية باتجاه صحراء صهيد، وقيل وديان محافظة شبوة، والعمرى حسين، (1990م)، مرجع سابق، ص 14.

(5) فخذ ألو: ثبتها مولر فخذ وألو وقال حصن يقع في غرب الامتداد للمرتفعات الحضرمية، Müller, op, p.654

(6) عرماء ذات، تقع شرقي دثينة، Ibid.655

الخاتمة:

بعد رحلة البحث اتضح أن مملكة أوسان وملكها (مرتع) قد كانت معلمًا بارزًا في التاريخ البشري. وهي جزء من تاريخ جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، أما النتائج فكانت على النحو الآتي:

- اتضح أن مملكة (أوسان) على المستوى الجغرافي كانت في وادي مرخة، وهي جزء لما يعرف اليوم بمحافظة شبوة.

- كما أن أوسان لا علاقة لها باسم الشعب الذي عاش في كنف هذه المملكة. أما نسبتها فقد اتضح في قول الهمداني في المسمى أحد شيوخه (محمد بن أحمد الأوساني).

- من المعلوم أن لقب الحاكم في أوسان المكرب إلى أن تغير في عهد (مرتع) إلى ملك.

- لقد بنى الملك (مرتع) نظامه السياسي على الآتي: (مجلس الكبار مسود) الذي ضم زعماء القبائل المتحدة مع أوسان والشخصيات المهمة في الدولة.

- لقد استطاع الملك (مرتع) الأوساني أن يوقف سيطرة مملكة سبأ التي امتد نفوذها على حضرموت وذيينة وغيرها.

- لم تتمكن مملكة أوسان من التوسع وبسط نفوذها في تاريخ اليمن القديم إلا في عهد ملكها (مرتع)؛ إذ تمّت السيطرة على حضرموت، وعلى قتبان، وعلى (دهس، وتبني والعود)، وذيينة، وعلى المعافر.

- لقد اتضح نتائج التوسع الأوساني في عهد الملك (مرتع) في تاريخ اليمن القديم، نعرضها على النحو الآتي:

1 - إضعاف مملكة سبأ ومحاصرتها اقتصاديًا وسياسيًا.

2 - تغير لقب الحاكم من مكرب إلى الملك.

- لقد اتضحت نتائج التوسع الأوساني في المجال الاقتصادي، في الآتي: سيطرة أوسان على الطريق التجاري، زيادة موارد أوسان المالية، وسيطرة أوسان على تجارة اليمن البحرية مع شرق إفريقيا والهند، وتضرر سبأ وممالك منطقة الجوف اقتصادياً؛ وبتملك حاكم أوسان وجنوده للأراضي الزراعية.

- من المعلوم أن نتائج التوسع الأوساني على الصعيد الاجتماعي، احتمال قيام الأوسانيين بنقل ممتلكات السكان في حضرموت وقتبان ودهس وتبني، وتحويل الأسرى إلى عبيد، وتدمير ممتلكات السكان مثل المنازل والمزارع في حضرموت وقتبان ودهس على أثر صراعهما مع أوسان.

- إن ضعف مملكة أوسان، في ظل تنامي مملكة سبأ وحسم المواجهة بينهما لصالح مملكة سبأ قد أدى إلى فقدان أوسان للأمور الآتية: سقوط القصر الملكي الأوساني، ومصير الملك الأوساني والأسرى الأوسانيين وسقوط المدن التي كانت تابعة لملك أوسان.

قائمة الاختصارات:

ت: توفي

ج: جزء

ص: صفحہ

ط: طبعة

ق.م: قبل الميلاد

م: ميلادي

هـ: هجرية

- CIH: Corpus Inscriptionum, Semiticarum, pars Quarta: Inscriptiones himyariticas et Sabaeas Continens. 3 Vols. Paris, 1889 - 1932.

مدونة النصوص السامية كوربوس

- Fa: Inscriptions discovered by A.Fakhry , published by G. Ryckmans
(مجموعة نقوش أحمد فخري، نشرها جونزاك ريكمانز)
- P: صفحہ
- RES: Repertoire d` éphigraphie Sémitique.
مدونة النصوص السامية بالفرنسية
- IbIb: المرجع نفسه
- OP.Cit: مرجع سابق

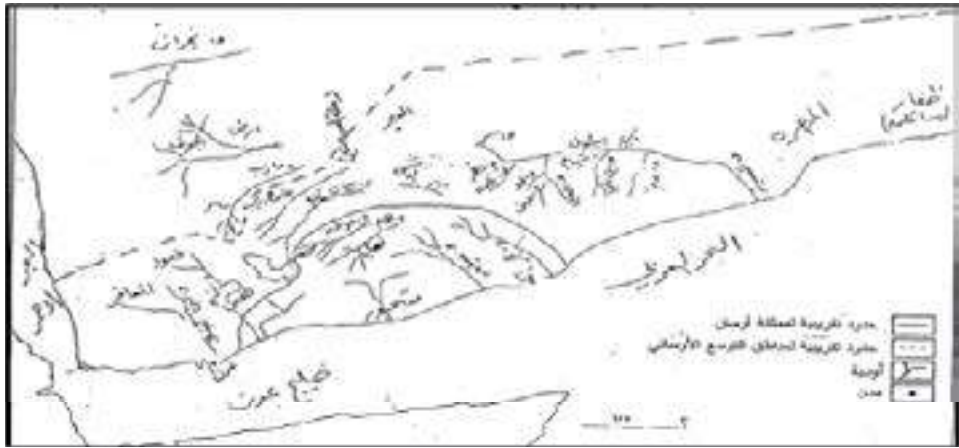
الملاحق:

أ - الخرائط:

خريطة رقم (1) توضح: وادي مرخة قلب ممكلة أوسان، والأوية المجاورة



المرجع: بافتية، محمد عبد القادر، توحيد اليمن، صنعاء، 2007م، ص 142.
خريطة (2) توضح: السيطرة الأوسانية على معظم الأراضي اليمنية في بداية القرن السابع قبل الميلاد، بحسب معطيات النقش 7, 8, 11, 12 RES3945/



المراجع: عطوش، عبدالله علي الفيش، الصراع بين الممالك اليمنية، (8002م)، ص 993.

ب - النقوش:

النقش صرواح الكبير بالمسند RES3945

|∞∑∑1∏∏ |∑∑∑ |∏∏∑∑ |∑∑∑ |∑∑∑ |∑∑∑ |∑∑∑ |∑∑∑ |∑∑∑ |∑∑∑ [1]
 |∑∑∑∑ ∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑ ∑∑∑ |∑∑∑∑ |∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ [2]
 ∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 ∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ [3]
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑
 |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑ |∑∑∑∑∑∑

|ግሥጋገሃክ |ፀፊፀፀ |ጠገጋጊፀ |ጋጋጊፀ ስ |ካሞጠ |ፀሂጋፀ |ግሥሃክ1ሰ [4]
|ክጠሰ1ፀ |ሃፊጋ1ክ 1 |ጋፃክ |ግሥሃክፃሃሃጋፀ |ጸጋሰፀ |ግሥጋፀ |ፀሂጋጸሰፀ
|ግሥሃፃጠሰፀ |ጋፊ1ክ |ጋጊፀ |ጸጋጋጋ |ግሥሃ1ጸፊፀ |ካሰፀክ |ፀሂጋ |ጋግፃፀ
|ጋገሃክ |1ጠ |ፀፊፀፀ |ካጋሞ |ጋፀ |ጋጸክገ1 |ካ1 |ጋሰፀ |ጠጠፀ |ጋፊ1ክ |ፃፀጠጋክ
|ጠፃጠፀ |ካጠሞ |ጋገሃክ |1ጠ |ፀፊፀፀ |ጋፊካክ

|1ጠ |ፀፊፀፀ |ጸካጸጋጠ |ግሃፀሂጋፀ |ካጋጋፀ |ፃክጊጊ |ጠሃጠ |ጋሃካ |ጠጠፀ [5]
|ጋፀ |ግሃፀሂጋፀ |ሃጠሃጠክ |ጠጠፀ |ሃፀፊፀፀ |ሃጋጠጋፀ |ፀፊጸ |ፀሂጋፀ |ሃጋገሃክ
|ጋሰጠፀ |ግሃፀሂጋፀ |ጋጋሞጠ |ፃፊፀ |ጸ1ክ |ግሃጋገሃክ |1ጠ |ፀፊፀፀ |ጋጋሞጠ |ክጠጋ
|ካሰፀክ |ጋግጠጋ |ጠክጋክ |ግሃጠጸፀፀ |ግሃጠጋጋ |ጋፀጸጋፀ |ካሰፀክ |ሞሰሰሃ |ጋፀ
ጋጋሃ |ግሃጠጸፀፀ |ጸሃጋሰ1

|ጠጸፀ |ጋፀሰክ |ጋሰጋፀ |ጋግጠጋ |ግሃጸፃጠ |ጊጋሂ |ግጸክሃፀ |ጋፃጠሰፀ [6]
|ሃ |ጠጊጋፀ |ግሃጸ1ክ1ክ |ጸፃጠክ |ጋሰግጋ |ግሃጸፃጠ |ካጠ |1ክ ጠጋጠ
|ካጠ |ግሃጋጠፀፀ |ግሃጋሞ |ጋግፀፀ |ሃፊጋ1ክ |ጋ1ፀ |ግጸክሃፀ |ጋግጠጋ |ግሃጸፃጠ
|ሃፀፀጠክፀ |ጋጋሰ |ክጠሰ1ፀ |ሃፊጋ1ክ1 |ጠጋሃፀ |ግሃጋገሃክፀ |ካሰፀክ ስ |ፀፀጠክ
ክካጋፀ |ግሃፀፀጠክፀ |ካጋጋሞፀ

|ፀሂጋ |ጋግፃፀ |ክጠሰ |ግሃ1ጠጠሃፀ |ግሃጠሃጠክ |ጋፃፃፀ |ጋጋሰ |ጋገሃክ [7]
|ጋፊ1ክ |ጸሰጋሂ |ግሃፃፃጠሰፀ |ጋፊ1ክ |ፃፃጋጋ |ግሃፃጋጋሃፀ |ፃፃሃጸፀ |ጋሰሃጋጋ
|ፃፃሃጸፀ |ጋሰሃጋጋ |ጠጋሃፀ |ካፀፀ |ጋጋሞሃፀ |ጋሰሃጋጋ |ግሃጋገሃክ |ፀፊፀፀ
ጠጸፀፀ |ጋሰሃጋጋ |ጠጋጋጋ |ጋጋግፀፀ |ጠጋሃፀ |ክጠሰ1ፀ |ሃፊጋ1ክ1 |ጸካጸጋፀ

|ክጠሰፀ |ሃፊጋ1ክ |ግሃክ ስ |ካሰፀክ |ካጠ |ግሃፃፃፃፀ |ጋጋግፀፀ |ጋ1ፀ [8]
|ግሃጋገሃክፀ |ጋፊካክፀ |ሃፀፀጠ |1ጠ |...1ክ |ሂጋጸ |ጋጋክ ፀጋፃፃ |ጸ11ሞ |ጠጋሃፀ
|ጋሰሃፀ |ጋ1ግፀፀ |ግሃጸፃፀፀፀ |ግሃጋጋጋክፀ |ግሃጋፀፀፀ |ግሃጠሃጠክፀ
ጋሞጠ |ጸጠ |ግሃፀፀፀፀ |ግሃ1ክ |ጠሂፃፀ |ጋፀ |ካጋጋፀ |ፃክጊጊፀ

|1ጠፀ |ጋሞጋጋፀ |ፀፊፃጋፀ |ሂጋጋጋ |ግሃጋገሃክፀ |ግሃፀፀጠፀ |ካጠፃፀፀ [9]
|ጋሰክፀ |ግሃጸፃፀፀፀ |ግሃፀፀፀፀ |ግሃጋጋጋክፀ |ግሃጋገሃክፀ |ካጋጠፀ |ፀፀጠፀ
|ጸካጸጋፀ |ጋጋሰፃጋፀ |ግሃፊ1ሞክ |ጸካጸጋ .. |ጋ1ግፀፀ |ግሃጋጠፀፀ |ግሃጋሞ |ካጋጠፀ
ፃጋሃጋጋጋክፀ |ፃጋሃጋገሃክ |1ጠፀ |ግሃፀፀፀፀ |ጋጋጠጋጋ |ጸጠ
|ጋ1ግፀፀ |ፃጋሃጸፃፀፀፀ |ፃጋሃጋፀፀፀፀ |ፃጋሃጠሃጠክፀ |ፃጋሃፀፀጠክፀ [10]
... |ጋጋሞጠ |ጋፀ |ግሃፃፃፃፀፀ |ግሃፃፃፃ1ፀፀፀ |ጋጋጠጋ ስ |ጋጋክ |ፀሰፊፀ |1ጠፀ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

|ጊክሱ |ካሪ |ጋሃብ |ጠጠ |ካሪ |ጫጋሃክ |ጋሃወ |ጠፊፊ |ጫሃባጠ
|ካሊክሱ |ካሪ |ጫሃሃፊ |ክፀፀ |ክ |ካሪ |ካጠ |ጠሃፀፀ |ክሊፊክ
|ካሪ |ካጋሃጠ |ክጠ |ጋጫፍ |ክ |ካሪ |ፀፍ ሃጊክ |ጠሃፀፀ |ጫጋሃፍፀ
|ካሪ |ካጋሃ |ጠላጠ |ሃፍጊክ |ክ |ካሪ |ፀፍ ሃጊክ |ካጠ |ካጠፀ
ካጠ |ካፀፍ ክ |ካፀፂ |ጠሃጊክፀ

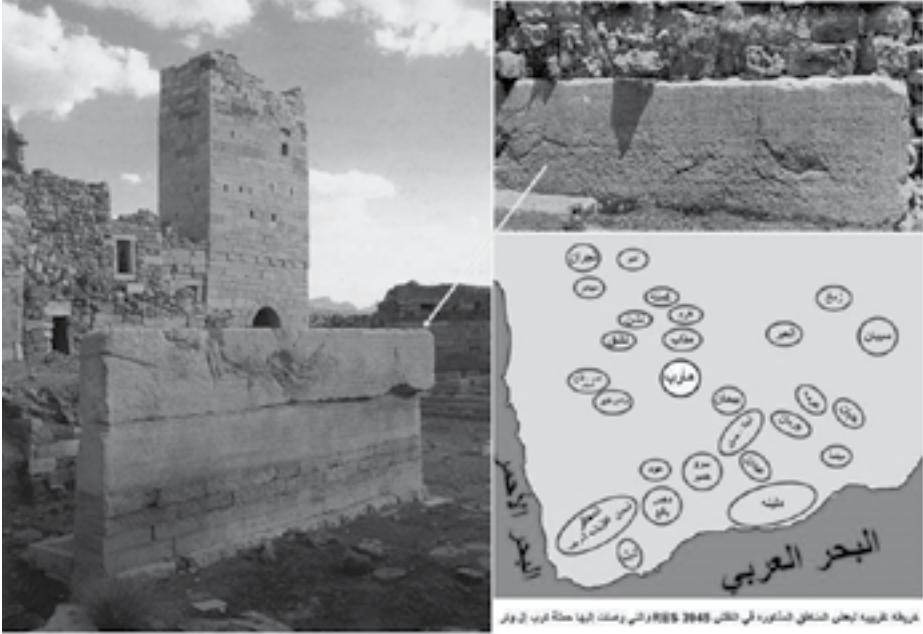
|ጠሃጊክፀ |ጋሃሃ |ሊጊ |ሊጊ ጋሃክፍ |ጠሃጊሃፍፀ |ካሪ |ፀፍ ሃጊክ [17]
|ካፀፀ ጠጠ |ጠሃጊሃፍፀ |ሃፍፀ |ሊጊ |ክ |ካሃጋሃ |ካሪ |ፀፍ ሃጊክ |ካጠ
|ካፀፀ |ካፀፀክ |ካፀፀ |ሊጊ |ክ |ካሃጋሃ |ካጠ |ጠሃጊክፀ |ጠሃጊክፀ |ሊጊ
|ጠሃጊ |ጠፍፀ |ክጠ |ሃፍጊክ 1 |ክጠ |ሃሊጠሃፍፀ |ጋሃሃ |ካጠ |ክጠፀ
ክጠ |ሃፍጊክ 1 |ጊክሱ |ጫሃፍፀፀ |ጠጠፀ |ጫጠፀ |ክጠፀ |ካሃፍፀ

|ጫሃሃፍፀ |ክጠ |ጠፍፀ |ካሃፍፀ |ጠፍፀ |ጠጠ |ጠሃጊ |ጠፍፀ [18]
|ክጠጋ |ጫሃጋሃፍፀ |ካሃፍፀ |ጋሃክፀ |ጠፍፀ |ጋሃክፀ |ጠጠ |ጋሃክፀ |ጠፍፀፀ
|ጫሃፍፀፀ |ጠፍፀ |ጋሃክፀ |ክጠፍፀ |ጫሃፍፀፀ |ጠፍፀ |ጠፍፀፀ |ጋሃፍፀ
|ክጠፀ |ሃፍጊክ 1 |ጊክሱ |ጫሃፍፀፀ |ጠጠፀ |ጋሃክፀ |ክጠፀ |ካሃፍፀ
ክጠፀ |ክጠፀ |ካሃፍፀ ክ |ጠፍፀ |ክጠፀ |ጠፍፀፀ |ጋሃፍፀፀ

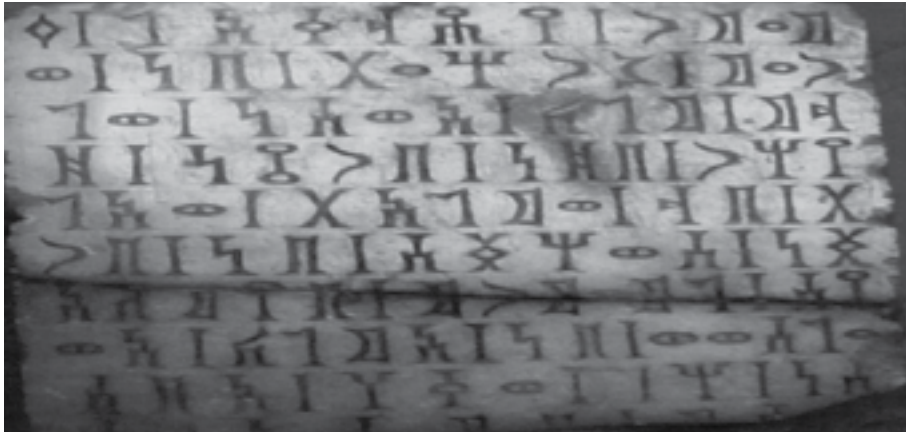
|ጠፍፀፀ |ጠፍፀፀ |ክፀፀ |ጠፍፀፀ |ጠፍፀ ካሃፍፀ |ጠፍፀፀ |ጫፍፀፀ [19]
|ጠፍፀፀ |ካፍፀ |ጫሃፍፀፀ |ካፍፀፀ |ጋሃክፀ |ክጠፍፀፀ |ጫሃጋሃፍፀ |ጠፍፀፀፀ
|ጠፍፀፀ |ካፍፀፀ |ጠፍፀፀ |ጠፍፀፀ |ጠፍፀፀ |ጠፍፀፀፀ |ጠፍፀፀ |ጠፍፀፀፀ
|ጠፍፀፀፀ |ጫሃፍፀፀ |ጠፍፀፀፀ |ጠፍፀፀፀ |ጠፍፀፀፀ |ጠፍፀፀፀ |ጠፍፀፀፀ
ካጠ |ክጠፀ

|ሃፍጊክ 1 |ጊክሱ |ጠፍፀፀፀ |ካፍፀፀፀ |ጠፍፀፀፀ |ካፍፀፀፀ |ጠፍፀፀፀ |ጠፍፀፀፀ [20]
..ክጠፀፀ

ج - لوحات:



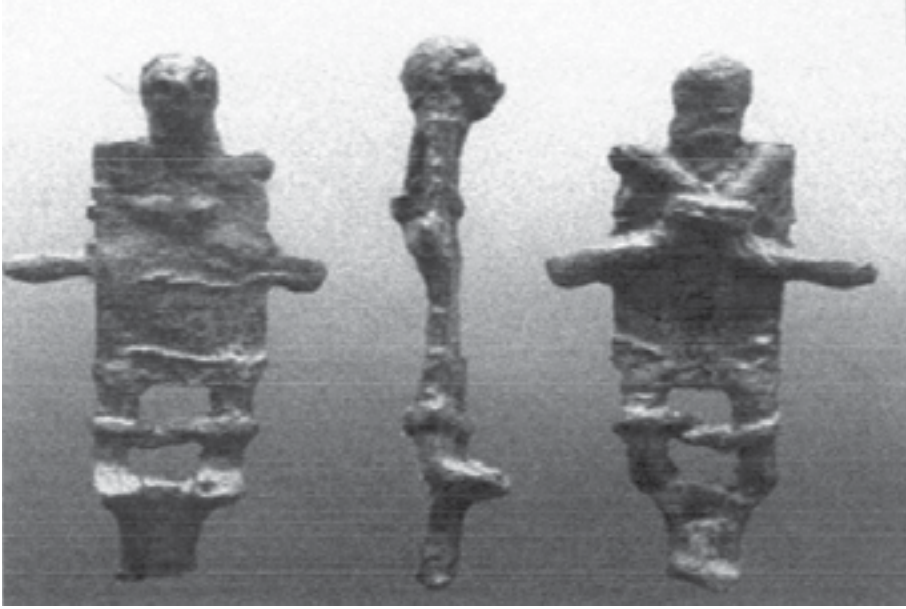
خريطة (3) تقريبية لبعض المناطق المذكوره لوحه (1): توضيح نقش صرواح الكبير
RES3945 في النقش (RES3945) التي وصلت اليها حملة كرب إل وتر



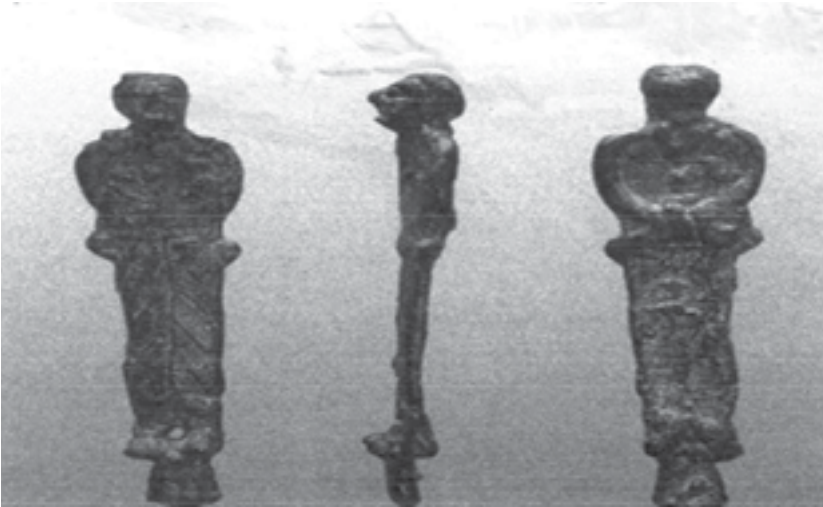
لوحه (2) شاهد قبر (نصب تذكاري) للملك الأوساني (يصدق إل فرعم)

K.M60.1283= NAM601=Q83=RES3884bis

<http://csai.humnet.unipi.it>



لوحة (3) تقييد اليد من عند الرسغين خلف الظهر
.Schiettatte, J., Une Collection de Statuettes, P. 178



لوحة (4) تقييد اليد من عند الكوعين خلف الظهر
.Schiettatte, J., Une Collection de Statuettes, P. 179

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية:

1. أبو الغيث، عبدالله، الأوضاع السياسية في دولة سبأ خلال القرن الثالث الميلادي، الإكليل، العددان 29 - 30، وزارة الثقافة، صنعاء، 2006م.
2. باسلامه، محمد عبد الله، تماثيل ملوك أوسان (دراسة أثرية فنيه مقارنه)، ندوة عدن بوابة الحضارة 18 - 19 يناير 2011م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2011م.
3. بافقيه، محمد عبد القادر، وروبان، أهمية نقوش جبل المعسال، ريدان3، عدن، 1980م.
4. —، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2، بيروت لبنان، 1985م.
5. —، مختارات من النقوش اليمنية، دار الثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.
6. —، باطايح، احمد، نقش مسجد الحصن بالديوان (5)، مجلة ريدان، عدد5، 1988م.
7. —، توحيد اليمن القديم، الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت، للآثار والعلوم الاجتماعية، ترجمة علي محمد زيد، مراجعة: محمد صالح بلعفير، صنعاء، 2007م.
8. بريتون، جان فرانسوا، نشان، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عروكي، معهد العالم العربي، باريس فرنسا، دار الأهلي، دمشق سوريا، 1999م.
9. بغدادي، رشاد، العلاقات بين مملكة سبأ وذي ريدان ومملكة أكسوم في القرن الثالث الميلادي من خلال النصوص السبئية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مج 16، 1424 هـ.
10. الجرو، اسمهان سعيد، مؤجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات، الأردن، إربد، 1996م.
11. —، المبدأ الأخلاقي لحقوق الإنسان في الديانة اليمنية القديمة، سبأ العدد 9، جامعة عدن، 2000م.
12. —، كيف تطورت الصيغة التوحيدية بين القبائل، الندوة العلمية، اليمن الأرض والانسان 12 - 14 فبراير 2001م، عدن اليمن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2001م.

13. —، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، اليمن، 2003 م.
14. حبتور، ناصر صالح يسلم، وادي ميفعة دراسة تاريخية لاحد المراكز الحضارية في اليمن القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ومقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الاداب جامعة عدن، 1997 م.
15. —، توحد اليمن قديماً بين (ذكر ال) و(كرب ال)، مجلة سبأ، عدد 12، 2003 م.
16. الحداد، فتحي عبد العزيز، "أوضاع الملوك في دول جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب 5، القاهرة، 2004 م.
17. الحداد، محمد يحيى، تاريخ اليمن السياسي، تاريخ اليمن قبل الإسلام، ط2، دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة، 1968 م.
18. الحمد، جواد مطر، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن خلال الألف الأول قبل الميلاد حتى عشية الغزو الحبشي لليمن 525 م، جامعة عدن، ط1، 2000 م.
19. الحميري، نشوان بن سعيد، وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت، ط2، 1978 م.
20. الحوالي، محمد بن علي الاكوع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، مطبعة السعادة، 1971 م.
21. روبان، كرستيان جوليان، تأسيس إمبراطورية السيطرة السبئية على ممالك الأولى القرن 8 - 6 ق. م، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، باريس فرنسا، معهد العالم العربي، دمشق سوريا، دار الأهلبي، 1999 م.
22. سالم، هالة يوسف، "الأسرى في النقوش اليمنية (دراسة تحليلية)"، مجلة جامعة الملك سعود، السياحة والآثار (1)، الرياض، 2013 م.
23. السروري، نبيل، الحياة العسكرية في دولة سبأ، دراسة من خلال نقوش محرم بلفيس، جامعة صنعاء، 2004 م.
24. السقاف، حمود، أول نقش يذكر مكرب أوسان مجلة ريدان، عدد6، 1994 م.

25. ، قراءة جديدة لنقش بالخط المسند، هل تحدثت النقوش السبئية عن شق أخذود نجران، سبأ، العدد، 12، جامعة عدن، 2003م.
26. السيد، محمود عبدالباسط عطية، مملكة أوسان - دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، في الآثار الشرقية من قسم الآثار المصرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2012م.
27. ، الحياة الدينية في مملكة أوسان في ضوء النقوش الجنوبية القديمة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 26، السياحة والآثار 2، 1435هـ / 2014م.
28. -، مصير الأسرة الملكية أثناء الصراعات الحربية " دراسة في ضوء بعض النقوش العربية الجنوبية القديمة"، مجلة علمية محكمة تعني بالآثار والتراث والحضارة في الجزيرة العربية، العدد الثامن، جامعة الملك سعود، ربيع الثاني 1439هـ، ديسمبر 2017م.
29. الشيبه، عبدالله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم، تعز اليمن، مكتبة الوعي الثوري للطباعة والنشر تعز، ط1، (1999 - 2000م).
30. طيران، سالم، أهمية النقوش الكتابية القديمة كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام، أبحاث اليرموك، مج20، العدد2، جامعة اليرموك، 2004م.
31. عبدالله، أسوان محمد حسين، "تمنع - هجر كحلان (دراسة تاريخية أثرية)" رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لكلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة عدن، 2006م.
32. عبد الله، يوسف محمد، وآخرون، صفة بلاد اليمن عبر العصور، دار الفكر المعاصر ط1، 1990.
33. العتيبي، محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ "من خلال النصوص منذ القرن السادس ق.م القرن السادس الميلادي"، المملكة العربية السعودية، وزارة التربية والتعليم وكالة الوزارة للآثار والمتاحف، ط1، 2007م.
34. عطبوش، عبد الله علي الفيش، الصراع بين الممالك اليمنية القديمة أسبابه ونتائجه (القرن 7 - 2 ق.م)، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2008م.

35. العززي، نعمان احمد سعيد، التشريعات القتبانية والحضرية، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة بغداد، 2001م.
36. العزي، عبدالعزيز بن سعود، مملكة كندة في وسط شبه الجزيرة العربية، دراسة تاريخية أثرية، الرياض، 1426هـ .
37. عقاب، فتحية بنت حسين، الرهائن في نقوش جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام من القرن 3 - 6م، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، مج10، ع3 و2، 2016م.
38. علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، ج2، 1970م.
39. علي، ناجي محمد سعيد، دثينة بين الأثر والخبر، أبحاث مجلة علمية محكمة، نصف سنوية، تصدر عن كلية التربية بالحديدة، العدد الثاني، يونيو، 2014م.
40. العمري، حسين عبدالله، وآخرون، في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن 7ق.م إلى القرن 19م، بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر، ط1، 1990م.
41. غروم، ناجل، "طيوب اليمن" اليمن في بلاد ملكة سبأ" ترجمة بدر الدين عردوكي، معهد العالم العربي باريس فرنسا، دمشق، دار الأهالي، 1999م.
42. الفتلاوي، سهيل، تاريخ قانون اليمن القديم قبل الإسلام، منشورات جامعة صنعاء، ط1، 1993م.
43. فخري، أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة هنري رياض، صنعاء اليمن، وزارة الاعلام والثقافة، 1988م.
44. القبلي، محمد، اليمن في عصر ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، 2009م.
45. الكثيري، ناجي جعفر، نظام الحكم في اليمن القديم قبل الاسلام، عدن اليمن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط1، 2001م.
46. لوندين، ا.ج، باوزير، تاريخ اليمن القديم، جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، ترجمة أسامة أحمد، عدن اليمن، دار الهمداني للطباعة والنشر، ط1، 1984م.
47. محمد، عبدالحكيم شائف، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية مجلة علمية محكمة العدد الرابع، 2008م.

48. محمد، هالة يوسف، الأسرى في النقوش اليمنية (دراسة تحليلية)، مجلة جامعة الملك سعود، السياحة والآثار، السعودية، 2013م.
49. مقبل، سيف علي، وحدة اليمن تاريخياً، بيروت لبنان، دار الحقائق للطباعة والنشر، ط1، 1987م.
50. مكياش، عبدالله أحمد، أسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الآثار والاثربولوجيا، جامعة اليرموك، 1993م.
51. النعيم، نورة، التشريعات في غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.
52. نيبس، نوبرت، (كرب آل وتر) موحد اليمن، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، معهد العالم العربي، باريس فرنسا، دمشق سوريا، دار الأهلي، 1999م.
53. الهمداني، أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 360 هـ / 970م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي، مكتبة الارشاد، صنعاء، 1990م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Albright, W, The Chronology of Ancient South Arabian in The light of The First Campaign of Excavation in Qataban, BASOR 119, 1950.
2. Beeston, A, Warfare in Ancient South Arabia, Qahtan Studies in Old South Arabian Epigraphy, London, 1976.
3. Biella, J., Dictionary of old South Arabic Sabaeen Dialect, Harvard , 1982.
4. Framework & Historical Sources, Liverpool University press, Liverpool, 1994.
5. Kitchen, K.A., Documentation for Ancient Arabia, par 1, Chronological Framework & Historical Sources, Liverpool University press, Liverpool, 1994.
7. Doe, B., Monuments of South Arabia, Falcon - Oleander press, London, 1983.
8. Luckenbill , Ancient records, vol 1, p.279.

-
9. Schiettecatte, J., Une Collection de Statuettes de prisonniers au Musée national de Sanaa, Arabian Archaeology and Epigraphy 17, Singapore,2006.
10. <http://csai.humnet.unipi.it>

التأثيرات الحضارية الأجنبية في مملكة حضرموت على ضوء الشواهد الأثرية (شبهة وقنا أنموذجاً)



فوزي سالم أحمد باعباد
المدرس في قسم التاريخ، كلية الآداب،
جامعة عدن

المقدمة:

تميزت اليمن القديم بموقع استراتيجي مهم جعل منها محطة ترانزيت وحلقة وصل بين حضارات المشرق والمغرب، حيث كانت اليمن تمثل نقطة ملتقى للطرق العالمية (البحرية والبرية)، فبعض أراضيها يمر طريقان رئيسيان من طرق التجارة العالمية آنذاك، فضلاً عما كانت تنتجه ممالك اليمن القديم من سلع تجارية مهمة كاللبان والمر الذي كان الطلب عليهما كبيراً، وذلك لأهميتهما الدينية والدينيوية في الحضارات القديمة، وهذا أدى بالضرورة إلى نشوء عدد من الموانئ في السواحل اليمنية سواء على البحر العربي أو البحر الأحمر لأغراض تصدير هذه المنتجات المحلية، وكذلك من أجل استيراد ما كان يحتاج إليه اليمنيون من السلع والمنتجات الأجنبية.

كما كانت العديد من هذه الموانئ محطات ترانزيت، تعيد تصدير ما تستورده من بضائع إلى مناطق أخرى من العالم، هذا بالإضافة إلى نشوء عدد من المدن التي كانت تقع في قلب الصحراء كمراكز تجارية، وذلك لوقوعها على خطوط التجارة البرية، كما كانت عبارة عن محطات ترانزيت لتصدير البضائع إلى الموانئ لتصديرها إلى الخارج، أو تقوم بدور الوساطة التجارية بين الموانئ والمناطق الداخلية، وذلك من خلال توزيع البضائع المستورة.

ولما كانت مناطق مملكة حضرموت هي المناطق الرئيسة لإنتاج اللبان والمر، فقد عمل الحضارم على إنشاء بعض المدن والموانئ من أجل تجميع هذه السلع وتوزيعها وتصديرها، وخدمة مصالحهم التجارية الأخرى. ومع ازدياد النشاط التجاري للحضارم تحولت تلك المدن والموانئ إلى مراكز تجارية كبيرة، ذاع صيتها في كل أنحاء العالم القديم. وكان من أشهر المراكز التجارية في مملكة حضرموت القديمة شبوة وقنا؛ فقد كانت شبوة من أشهر المراكز التجارية الواقعة على خطوط التجارة البرية، كما أصبح ميناء قنا ميناء اللبان الأول، وميناء اليمن الرئيس في تجارة الترانزيت لمدة طويلة من الزمن.

إن هذه المكانة التي تتمتع بها كلٌّ من شبوة وقنا في عالم التجارة القديمة، سمح لهما الاحتكاك بالحضارات الأخرى، وذلك عن طريق الاحتكاك التجاري المباشر، وهذا الأمر هو الذي أدى إلى وجود العديد من التأثيرات الأجنبية في الكثير من الجوانب الحضارية في شبوة وقنا.

من هذا المنطلق جاء هذا البحث ليلسط الضوء على بعض الجوانب الحضارية من تاريخ مملكة حضرموت، والذي أسميناه ب: "التأثيرات الأجنبية في مملكة حضرموت على ضوء الشواهد الأثرية (شبوة وقنا أنموذجاً)".

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يمثل دراسة لمرحلة تاريخية ازدهرت فيها جوانب الحضارة المختلفة لمملكة حضرموت، وذلك نتيجة ما تمتعت به مملكة حضرموت في تلك الحقبة من نشاط اقتصادي غير مسبوق، نتيجة للاستقرار السياسي والأمني، والتنظيم الإداري المحكم، بالإضافة إلى اهتمام حكام مملكة حضرموت بالمجالات المختلفة للنشاط الاقتصادي، وتشجيعهم للتجار والتجارة.

ويرجع سبب اختيار شبوة وقنا - مجالاً للبحث - دون غيرهما من مراكز الحضارة في مملكة حضرموت؛ إلى سببين، هما:

الأول: أن شبوة وقنا كانا من أبرز المراكز الحضارية التي ظهرت فيهما التأثيرات الأجنبية في العديد من الجوانب الحضارية.

الثاني: أن شبوة وقنا يدخلان في الإطار العام للحدود الزمانية والمكانية لهذا المؤتمر (شبوة تاريخ وحضارة).

ويهدف هذا البحث إلى تقديم صورة واضحة عن بعض التأثيرات الأجنبية التي مست العديد من الجوانب الحضارية في شبوة وقنا، لا سيما تلك التأثيرات التي مست الصناعة والعملية والجوانب المعمارية.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف اتبع الباحث آليات المنهج الوصفي والتحليلي في التعامل مع المعلومات الأثرية، كما تم اتباع القواعد الصحيحة للمنهج العلمي، من خلال جمع المادة العلمية، ثم تصنيفها إلى موضوعات متناسقة ومتجانسة، ثم صياغتها بأسلوب علمي دقيق، مراعيًا الترابط بين معلوماتها، والتسلسل في أحداثها، والوضوح في حقائقها، بغية الوصول إلى النتائج الصحيحة التي يهدف إليها البحث.

ومن أجل تقديم دراسة مستفيضة حول التأثيرات الحضارية الأجنبية في شبوة وقنا تم تقسيم البحث إلى مبحثين، هما:

المبحث الأول - التأثيرات الحضارية الأجنبية في الجوانب الحضارية لشبوة:

في هذا المبحث تم توضيح العوامل التي أدت إلى ازدهار شبوة كمركز تجاري، وتوضيح دورها في التبادلات الداخلية والخارجية للسلع التجارية، وعلاقتها الخارجية، وهو الأمر الذي سمح لظهور الكثير من التأثيرات الخارجية في العديد من الجوانب الحضارية لشبوة، منها التأثيرات الحضارية في الفنون الزخرفية والبناء الذي يدل على اختلاط الفنون المحلية بالفنون اليونانية الرومانية، والتي فيها امتزجت الفنون المحلية بلمسات الفنون العالمية كالفن الروماني والهلنسي، هذا بالإضافة إلى التأثيرات الحضارية لحضارات البحر الأبيض المتوسط على هذه الجوانب.

كما تم تناول التأثيرات الصناعية على الصناعة المحلية سواءً تلك التأثيرات القادمة من بلاد الرافدين أو حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط، أو حضارات الشرق القديم، هذا بالإضافة إلى إبراز التأثيرات الأجنبية في عملة شبوة.

المبحث الثاني - التأثيرات الحضارية الأجنبية في الجوانب الحضارية لقنا:

في هذا المبحث تم عرض الموقع الجغرافي لميناء قنا وخلفيته الجغرافية، ومن ثم توضيح أهمية قنا في النشاط التجاري العالمي، ومن ثم عرض نماذج من العلاقات التجارية التي كانت بين قنا والمراكز الحضارية العالمية في تلك الحقبة.

كما تم توضيح كيف سمحت العلاقات التجارية بالتمازج الحضاري بين قنا وتلك الشعوب، مما أدى إلى ظهور العديد من التأثيرات الحضارية على العديد من الجوانب الحضارية في قنا.

كما تم إبراز التأثيرات الأجنبية على الصناعة المحلية في قنا التي كانت من أهم الجوانب الحضارية التي ظهرت فيها التأثيرات الأجنبية، سواءً التأثير في فن زخرفة المصنوعات، أو الأسلوب الهندسي للأشكال، وكذلك أنواع الصناعات، هذا بالإضافة إلى إبراز أهم الحضارات التي تركت تأثيراتها في هذا الجانب منها: التأثيرات الفارسية، والتأثيرات الإغريقية والرومانية، وكذلك تأثيرات بلاد الرافدين وشرق إفريقيا.

كما تم توضيح التأثيرات الأجنبية في قنا على القطع والأختام التي تحمل اللمسات الفارسية، وبيان انعكاسات التأثيرات القادمة من شرق أفريقيا على العملة النقدية، التي ظهرت جلياً في الاعتماد على البرونز الأكسومي.

وقد اختتمنا البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج والاستخلاصات، ثم ألحقناها بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول - التأثيرات الحضارية الأجنبية في الجوانب الحضارية لشبوثة:

تقع مدينة شبوثة في الطرف الشرقي من حوض السبعتين، على وادي المعشار الذي يمثل امتداداً لوادي (العطف) و(عرمة)، وعلى الرغم من هذا الموقع الصحراوي إلا أنها ازدهرت بفضل⁽¹⁾ تحكم هذا الموقع الاستراتيجي في طريق القوافل الذي كان يمتد من ميناء قنا نحو الشمال الغربي حتى يصل إلى واحة نجران، أضف إلى ذلك استعمال أهالي مدينة شبوثة للري في الزراعة⁽²⁾. وحقيقة الأمر جعل من موقعها الجغرافي مركزاً حيويًا - لا غنى عنه البتة - عند مدخل وادي حضرموت⁽³⁾.

(1) الجرو: أسمهان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، (اليمن القديم)، الأردن، أربد، 1995 ص 117.

(2) سليم: أحمد وبركات أبو العيون، جوانب من تاريخ وضارة العرب في العصور القديمة، الإسكندرية، 2002م، ص 297.

(3) الجرو: موجز التاريخ السياسي، ص 118.

وتبرز أهمية مدينة شبوة (عاصمة حضرموت) بوضوح من خلال ذكرها في المصادر الكلاسيكية. التي أسهبت في الحديث عن ثرائها ومعابدها، فقد ذكر اراتوسثينيس شبوة عاصمة للحضارة في القرن الثالث قبل الميلاد (سباتا)⁽¹⁾. وذكرها بلييني الأكبر في كتابه التاريخ الطبيعي بقوله: "إنه بعد جمع اللبان كان ينقل بالجمال إلى سابوتا (شبوة) وتفتح لذلك إحدى بوابات المدينة. وكان الجنوح عن هذا الطريق يُعد جريمة كبرى في عرف الملوك. وفي شبوة كان الكهنة يأخذون عشوراً، ولا يسمح بعرض البخور في السوق قبل أداء هذه الضريبة"⁽²⁾.

أما صاحب كتاب الطواف فقد وصف شبوة بقوله: "وفيما وراءها (يقصد قنا) تقع العاصمة ساوباثا (شبوة) في الداخل (أي بعيد عن الساحل) والتي كانت مقر إقامة الملك وكل ما ينتج في المنطقة من اللبان الذي يؤتى به إليها" أي شبوة إذ كانت بمثابة مستودع⁽³⁾. وكان أول من اكتشف هذه العاصمة الحضرمية، سان جون فيلبي الذي تعرف على الموقع في عام 1936م، والماجور هاميلتون الذي حاول بعد سنتين من ذلك أن يستخرج إحدى هذه المباني، ودشنت جاكين بيرين البعثة الفرنسية عام 1975م⁽⁴⁾.

وقد جاء اسم شبوة في النقوش (ش ب و ت) في النقش الذي وجد في معبد الإله المقه بمأرب، والذي يتحدث عن تمثالين فضيين غنمهما أحد قواد الملك السبئي شاعر أوتر خلال غزواته إلى شبوة ثم قدمهما قربانين للإله المقه، كما ورد اسم شبوة في نقش يعود إلى عهد الملك شمر يهرعش⁽⁵⁾.

(1) موللر: شبوة وحضرموت، في كتاب أوراق في تاريخ اليمن وآثاره - بحوث ومقالات، تحرير: يوسف عبد الله، ط2، سوريا، 1990م، ص 244.

(2) عبد الغني: محمد السيد، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، الإسكندرية، 1999، ص 156؛ بریتون، جان فرانسوا، شبوة الموقع والمدينة في شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد: عزة على عقيل وجان فرانسوا برتيون، المركز الفرنسي بصنعاء، 1996، ص 45.

(3) عبد الغني: شبه الجزيرة العربية، ص 157؛

(4) Huntingford: The Perplus of the Erythrean Sea, London, 1980, p35

(5) بروتون: شبوة عاصمة حضرموت، في اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص 113.

(6) موللر: شبوة وحضرموت، ص 245.

وبدأ تاريخ مدينة شبوذة عند عتبة التواء الصخري الجنوبي للمدينة بمعزل عن السيول. وقد ارتبط المستوطن الذي تطور في بداية الألف الثاني ق.م بزراعة مروية ولا شك. ولكن آثارها المعجزة لا تسمح بتقدير أهميتها. ثم إن طوراً من الانحطاط ساد من القرن الخامس عشر - القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع قبل الميلاد تبعه في بدايات تاريخ جنوب الجزيرة العربية، نحو القرن الثامن - القرن السابع قبل الميلاد، مرحلة من البناء. فإلى جانب المباني من الطوب بنيت على وجه الاحتمال، كما هو الأمر في ريبون، أولى البيوت ذات القاعدة الحجرية. وتلك هي التي استرعت انتباه المستكشفين⁽¹⁾.

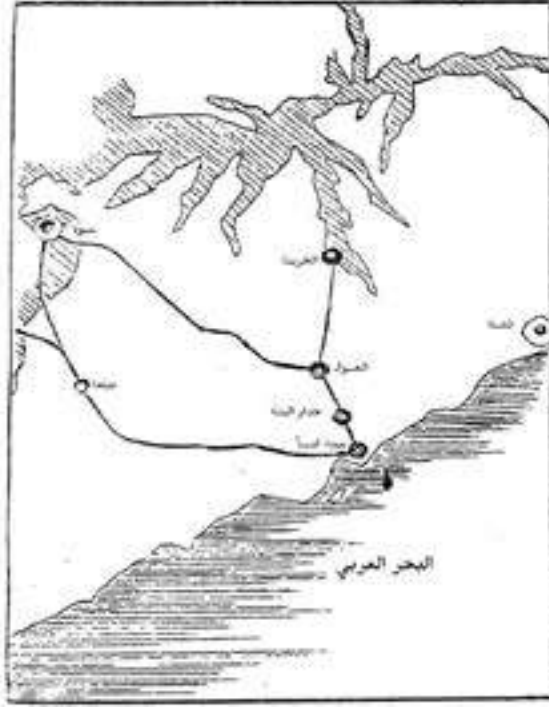
وقد نشأت مدينة شبوذة على منحدرات جبلية وعدد من التلال على شكل مثلث (سفوح العقب وتلال الهجر)، وتشكل سفوح العقب مربعاً منحرفاً يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول 250 م تقريباً وبارتفاع 240 م (من حصن الماء حتى دار الكافر) ويبلغ امتداد المربع من الشرق إلى الغرب 500 م تقريباً، أي بمساحة تقارب 15 هكتاراً⁽²⁾.

ازدهرت شبوذة كمركز تجاري بفضل عاملين رئيسيين هما: تحكمها بوسائل الري، أي بمساقط المياه من الأودية، واستفادتها من الموقع الاستراتيجي المهم على طريق القوافل الواصلة إليها من ميناء فنا، باتجاه مدخل وادي حضرموت، ثم تتصل مباشرة بـ"تمنع"، وترتبط بمأرب ونجران وغيرها من المحطات التجارية الممتدة على طريق القوافل المتجه نحو الشمال إلى غزة، على البحر المتوسط، ولذلك أصبحت شبوذة إحدى كبريات المدن الواقعة على أطراف صحراء الربع الخالي، من حيث مساحتها وكثافة مبانيها، وتعد المدينة الأكثر شهرة من بين مدن اليمن⁽³⁾.

(1) بروتون: شبوذة: عاصمة حضرموت، في اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص 112 - 113.

(2) بريتون: شبوذة الموقع والمدينة، ص 49.

(3) بطرس، قريازنفتش، وبيترفوسكي، ميخائيل، التجارة والطرق التجارية في حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1987م، ج 1، ص 91 - 96؛ العلي، نورة عبد الله، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض، الطبعة الأولى، 1992م، ص 204 - 225؛ بيرن، جاكين، "الشواهد الكتابية لمنطقة شبوذة وتاريخها - عصر ما قبل الكتابة التذكارية في المرتفعات (الثموديون)"، بحث منشور ضمن كتاب شبوذة عاصمة حضرموت



لوحة رقم (1): الطرق التجارية البرية بين ميناء قنا وشبوّة والمناطق الداخلية لحضرموت⁽¹⁾ لذلك يمكن القول إنه مثلما كان لقنا دور كبير في حركة التجارة العالمية عبر البحر، فإن شبوة كانت مركزاً مهماً للتجارة الداخلية في مملكة حضرموت والممالك اليمنية الأخرى، فعبر شبوة كانت تتم التبادلات الداخلية والخارجية للسلع التجارية، فقد كانت البضائع والسلع الحضرمية تصدر إلى الأسواق الخارجية. ومما يدل على ما كانت عليه شبوة من العلاقة التجارية بالخارج؛ ما عثر عليه من قطع أثرية مستوردة في المناطق

القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرنسوا بریتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م، ص 28 - 29؛ الجرو، أسمهان سعيد، "طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، المجلد الثاني، العدد 3، 1999م، ص 23 - 47؛ أكوبيان، وآخرون، التنقيبات الأثرية في ميناء قنا القديم، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1987م، ج 1، ص 26.

(1) قريازنفتش: التجارة والطرق التجارية في حضرموت القديمة، ص 85.

الواقعة على الطريق بين قنا وشبوّة، ففي مستوطنة ميفعة (نقب الهجر) عثر على قطع فخارية لأقفورات وأواني مستوردة يعود تاريخها إلى الفترة من القرن الأول حتى السادس الميلادي⁽¹⁾، وعثر في وادي خراش على نقش إغريقي يعود إلى القرن الخامس - السادس الميلادي، وهذا يدل على أن التجار البيزنطيين أصحاب النقص، لم يقتصر وجودهم في ميناء قنا فحسب، وإنما وصلوا إلى المناطق الداخلية⁽²⁾.

كما تم العثور البعثة الفرنسية في مدينة شبوّة في مواسم 1975 - 1981 م على عدد من القطع الأثرية الفخارية والزجاجية المستوردة من مناطق البحر الأبيض المتوسط، منها قطع من الفخار لأقفورات إيطالية جاءت من وسط وجنوب إيطاليا، وأربع قطع لأشكال الأواني الفخارية الإيطالية، ويعود تاريخها إلى بداية الميلاد⁽³⁾.

وقد أظهرت الحفريات الأثرية في بعض المباني وفي القصر الملكي والمقابر، المكانة المتميزة لشبوّة في التبادل التجاري، حيث عثر على بعض الفخار الروماني ومصايح وجرار وزجاج مستورد، تعود إلى القرن الأول الميلادي، ويلاحظ التقليد لما هو مستورد في المراحل اللاحقة، ويدل ظهور التأثيرات الأجنبية في الزخرفة على اختلاط الفنون المحلية بالفنون اليونانية الرومانية، ويبدو التقارب الفني واضحًا في شبوّة كغيرها من المدن في ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة.

هذا التقارب سمح لظهور الكثير من التأثيرات الخارجية على العديد من الجوانب الحضارية لشبوّة، فمن تأثيرات حوض البحر الأبيض المتوسط على شبوّة ما تم اكتشافه من أجزاء من تماثيل من البرونز لأشخاص وحيوانات (أحصنة وأسود وفهود..)، كذلك عثر على يد من العاج وقطع صغيرة من العاج، وفيها امتزجت الفنون المحلية بلمسات الفنون العالمية كالفن الروماني والهلنسي. وفي شبوّة أيضًا تُظهر الحفريات الأثرية لبعض المباني لاسيما القصر الملكي والمقابر، المكانة المتميزة لشبوّة في التبادل التجاري وذلك

(1) أكوبيان، وآخرون: التنقيبات الأثرية في ميناء قنا القديم، ج1، ص 55 - 56.

(2) قرياز نفتش: التجارة، الطرق التجارية في حضرموت القديمة، ص 94.

(3) الشعبي: خالد صالح قاسم صالح، ميناء قنا من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي (دراسة تاريخية أثرية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن، 1428هـ/

في بداية القرن الأول للميلاد، حيث عُثر على بعض الفخار الروماني (المختوم)، ومصايح وجرار، وزجاج مستورد، وقد كان تقليد الفن اليوناني - الروماني واضحًا في صناعاتهم المحلية، وأحيانًا يكون التقليد بشكل متقن⁽¹⁾.

هذا وقد كان للتأثيرات الأجنبية في عملة شبوة حضورها القوي، فقد وجدت التأثيرات الأجنبية على العملة البرونزية، وذلك من خلال تقليد للنوع الأثيني القديم، حيث عثر على الكثير من هذه العملة في شبوة وبربرة⁽²⁾.



لوحة رقم (2): العملة البرونزية

وعلاوة على ذلك فقد وجدت التأثيرات على العملة، وذلك من خلال التقليد للعملة الفضية الأثينية القديمة، وكذلك التقليد للعملة الذهبية الأثينية الحديثة، وغير ذلك من العملات التي وجدت في متاحف محلية وخارجية⁽³⁾.

(1) بریتون، جان فرانسوا، "شبوة والحواضر اليمنية القديمة من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلاد"، بحث منشور ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرانسوا بریتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م، ص 175.

(2) هاي، إستيورات منرو، "عملات بشوة وعملات متحف عدن الوطني"، بحث منشور ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرانسوا بریتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م، ص 162 - 163.

(3) ينظر: هاي، إستيورات منرو، "عملات بشوة وعملات متحف عدن الوطني"، ص 163 - 166.

وتُعدُّ التأثيرات الخارجية على شبوة في مجال العمارة ملفتة للغاية، بل إن هذا المجال يُعدُّ أبرز المجالات التي تأثرت بالتأثيرات الخارجية، فقد برزت لمسة تأثيرات إغريقية في تاريخ متأخر في أغصان الكروم التي تزخرف أجزاء من العمارة المختلفة ذات أسلوب مسطح ومستقيم شديد القرب مما نلقاه في التاريخ ذاته في سورية الرومانية، ذلك تفسير خطي شرقي لنموذج يوناني أكثر طبيعية، وتقدم مثلاً جيداً على ذلك الأعمدة المضلعة لطابق بوابة القصر الملكي في شبوة وتيجانها المزخرفة بالعنقاوات المجنحة ذات القرون، والمستعارة من بلد الأصل⁽¹⁾.

وهناك أمثلة كثيرة لهذه التأثيرات منها قصر شبوة الملكي، المعروف باسم (شقير) الذي أعطى وأبرز فن النحت والزخرفة المعمارية والرسوم الجدارية، التي كشفت عنها البعثة الفرنسية اليمنية. فللقصر الملكي (شقير) أعمده جيرية تسعة شغلت الزخارف منها ست واجهات، بينما تخلو واجهتان متقابلتان من الزخارف، في كل منهما شق جانبي يثبت به خشب محفور يشبه ما يطلق عليه مشربية، فيها الكثير من الزخارف الهلنستية كصفوف الكروم وعناقيد العنب، كما تحمل تيجان هذه الأعمدة حيواناً خرافياً واضعاً إحدى قدميه الأماميتين فوق جرة، وهو أسلوب ظهر في الفترة الهلنستية في سوريا⁽²⁾.

(1) ويل، أرنست، "الفنون في مدرسة اليونان وروما"، بحث منشور ضمن كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي / دار الأهالي، دمشق، 1999م، ص 198.

(2) ويل، أرنست، "الفنون في مدرسة اليونان وروما"، ص 198.



لوحة رقم (3): توضح صورة لحيوان خرافي نحنت على تيجان الأعمدة
في قصر شبوة والمماثلة للنحت النافر في تدمر⁽¹⁾.

كما أن هناك صورتين إحداهما تبرز صورته امرأة بخمار أبيض، ويظهر تفاصيل ثوبها وحليها، وصورته أخرى لرجل بلباس يوناني، يمسك بلباس حصان، وهي إحدى بقايا الرسومات الجدارية التي وجدت في الأروقة الداخلية للقصر، وتم ترميمها بعد أن كانت تعرضت للتلف والتدمير، ومن خلال هذين الرسمين يتضح إنه عثر لهما على نظائر من خلال تشابه الرسوم التي تم العثور عليها في سورية وبلاد الرافدين⁽²⁾.

لذلك تشابه رسوم النساء في شبوة بلباسهن الشرقي وحليهن، وتصنيف الشعر والخمار التماثيل التدمرية، كما أن لباس الرجل مع الحصان لبس يوناني، حيث يظهر فيه

(1) بروتون، جان فرانسوا، "شبوة عاصمة حضرموت"، بحث منشور ضمن كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عروذكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي / دار الأهالي، دمشق، 1999م، ص 114.

(2) ناشر: هشام عبد العزيز، التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة عدن، كلية الآداب، ص 189.

النحت النافر الجنازتي الهلنستي والروماني، ويصور ديوسكور بصيغة غير مباشرة⁽¹⁾، كما أن موضوع الرسم ومواجهته للمشاهد والمواضيع المصورة معروفة ودارجة، وربما كان الرسام الذي رسمها من أصل شرقي، من منطقة البحر الأبيض المتوسط⁽²⁾.



لوحة رقم (4): لوحة جدارية في قصر شبوثة يظهر فيها رجل يكبح يده اليسرى لجام حصان، ويظهر فيها بلباس يوناني⁽³⁾.

ومما وجب الإشارة إليه أن أصول الفن الهلنستي، ومنه الفن الفاثري (الباثري) الذي تتميز به زخرفة قصر شبوثة يعود بأصوله إلى الفنون اليونانية الرومانية، وقد وصل إلى شقرة من جنوب سوريا، وأحياناً كان يأتي فنانون ونحاتون للعمل في فنون وقصور الجزيرة العربية، ومنها قصر ومدينة شبوثة⁽⁴⁾.

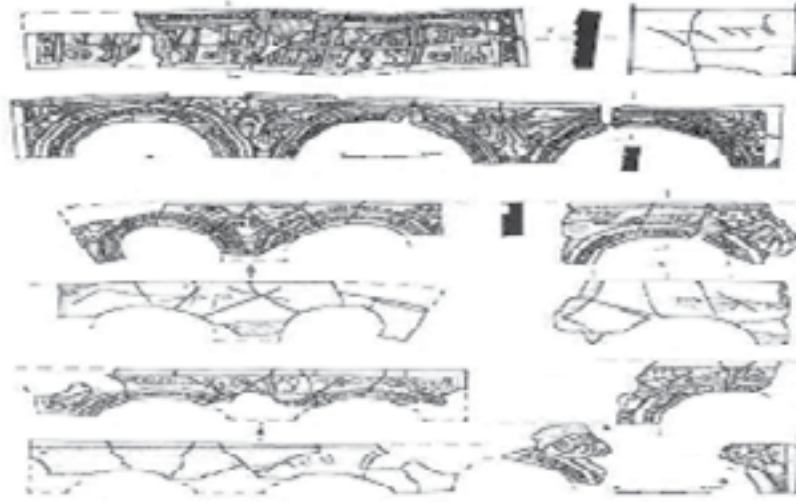
(1) فيل، ارنت، "ملاحظات وإضافات عن زخارف القصر الملكي"، بحث منشور ضمن كتاب شبوثة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرنسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م، ص 86 - 87.

(2) ادوان، ريمي، "النحت والرسوم في قصر شبوثة الملكي بشبوثة"، بحث منشور ضمن كتاب شبوثة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرنسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م، ص 84.

(3) ادوان، "النحت والرسوم في قصر شبوثة الملكي بشبوثة"، ص 81 - 84.

(4) بيال، جان كلود، "الصندوق العاجي من قصر شبوثة"، بحث منشور ضمن كتاب شبوثة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرنسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م، ص 90.

وعلاوة على ذلك وجدت في قصر شبوة العديد من الأقواس المزخرفة، سواءً تلك الأقواس المزينة التي تحيط بها الحبيبات، والتي يوجد بها كأس زهرة أو عنقايد أو أوراق وأشكال ملتوية والحلزونية، وهي معروفة في القطع العاجية القبطية التي تعود إلى القرن الخامس الميلادي، والذي يوجد مشابه لها في شمال إيطاليا في الفترة نفسها، كما أن استخدام الأقواس في اللوحات كانت معروفة في مصر وفلسطين⁽¹⁾.



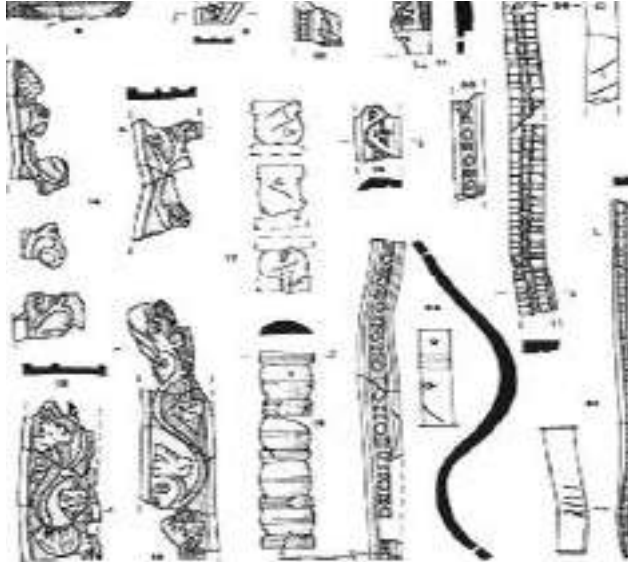
لوحة رقم (5): الأقواس المزينة التي تحيط بها الحبيبات، والتي يوجد بها كأس زهرة أو عنقايد أو أوراق وأشكال ملتوية وحلزونية⁽²⁾

كما وجد في قصر شبوة الأقواس الصغيرة ذات الزخارف النباتية التي تتصف أطرافها بالزخارف النباتية المعقدة، هذا بالإضافة إلى الزخارف الدائرية، وهذا النوع من الفن هو النوع الواسع الانتشار على العاج اليوناني والروماني كما في اللوحة رقم (6)⁽³⁾.

(1) بيال، "الصندوق العاجي من قصر شبوة"، ص 90.

(2) بيال، "الصندوق العاجي من قصر شبوة"، ص 89.

(3) بيال، "الصندوق العاجي من قصر شبوة"، ص 90 - 91.



لوحة رقم (6)

هذا ويعد قصر شبوة أنموذجاً في الفن المعماري الفريد من نوعه، ففيه تلاحت واندمجت الحضارات المختلفة، حيث يظهر فيه تأثير حضارة ما بين النهرين، والحضارة الإيرانية بجلاء في بعض أجزاء البناء، وفي القواعد العالية على وجه الخصوص، ورغم هذا التأثير إلا أن المنازل العالية ذات الهياكل الخشبية والمستخدمة كعنصر زينة، مقسماً الواجهة بتواتر بانتظام، والمساحات المحصورة بين الأخشاب ألواح حجرية، أو لوحات مرسومة، لا يوجد لها مثل حقيقي لا في البحر الأبيض المتوسط، أو حضارات الشرق القديم. ويبدو أن هذا البناء كان موجوداً في حضرموت منذ القرن الخامس قبل الميلاد في حضرموت⁽¹⁾.

المبحث الثاني - التأثيرات الحضارية الأجنبية في الجوانب الحضارية لقنا:

يقع ميناء قنا على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية بين عدن غرباً وظفار شرقاً، ويقع بين خليجين صغيرين، حيث ينتهي بمجموعة صخرية تسمى بحصن الغراب على مسافة 3 كم جنوب غرب بئر علي، ويتكون الموقع من أقسام عدة، وتشمل المدينة، والقلعة،

(1) سنية، جاك، "القصر الملكي بشبوته: الهندسة المعمارية وتقنية البناء وتصوير شكل المبنى"، بحث منشور ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرنسو بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م، ص 77.

والمقبرة. ولأن الجزء الجنوبي الشرقي مكان مناسب لمرسى السفن ذات الحمولة⁽¹⁾؛ أصبح ميناء مهمًا وأدى دورًا بارزًا في تجارة اليمن القديم. ويمتد شرق ميناء قنا خليج المجدحة الذي يحميه من جهة الشرق⁽²⁾.

وخلفية ميناء قنا تتكون من مناطق حيوية زراعية ومنتجة، على الرغم من أن موقع قنا يبعث على الدهشة، حيث إن المنطقة الساحلية المحيطة بالموقع عبارة عن رمل موحش وصخور سوداء وماء غير صالح حتى في الآبار إضافة إلى ندرة النباتات، وتوجد إلى الشرق من ميناء قنا مرافئ أكثر ملائمة للسفن ومناطق أفضل للإقامة، إلا أن قنا هو ميناء حضرموت والمنفذ الرئيس للدولة الحضرمية⁽³⁾، واستمد أهميته من النشاط التجاري الواسع، وارتباط الميناء بالداخل من خلال طرق جيدة للقوافل التي تربطه بشبوة عاصمة المملكة وميفعة والمشرق المدن الرئيسة في المنطقة التي كانت تسمى حضرموت الجنوبية⁽⁴⁾.

ويتضح أن موقع قنا كان يمتاز بقربه من عاصمة حضرموت (شبوة) ويتصل بها بطريق آمن⁽⁵⁾، وهو قريب في الوقت نفسه من مرتفعات إنتاج اللبان، كما أن خليج قنا كان يوفر الأمان للسفن الراسية فيه، ويحافظ عليها من شدة العواصف⁽⁶⁾.

وتسمية ميناء قنا ماتزال ماثار جدل عند الباحثين؛ فكلمة قنا تعني سماء أو سمادية، ويظن أن هذه التسمية لها علاقة بالمستنقعات التي توجد في جزيرة الحلانية المقابلة لقنا من جهة الغرب⁽⁷⁾.

(1) Sedov, Alexandre V, Qani', port antique du Hadramaout, Yemen, 2001, p33 - 34

(2) قرياز نفتش، التجارة والطرق التجارية في حضرموت القديمة، ص 26.

(3) Pliny, Natural History, translated by, H. Rackham, M. A. William Heinemann

.Ltd, Vol. , II, B, VI, Vol. IV, B, XII, London, 1969, B K6, p417

(4) Sedov, Aleksandr V, Robin, Christian et Ballet, Paseale, Qani, Port de L'en-

.cens, dans Saba, 3 - 4, (hadramat, la vallee inspire) Bruxelles, 1997, p 368

(5) شهاب: حسن صالح، فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، دار العودة، بيروت، 1982م، 250.

(6) باوزير: أحمد عوض، حولية حضرموت، تعريفات تاريخية لمدن الساحل المكلا والشحر والغيل، 1984، ص 30.

(7) بطرس، قرياز نفيس، الدراسات التاريخية والاثنوغرافية في حضرموت، المركز اليمني للأبحاث، ترجمة عبدالعزيز بن عقيل، 1985، ص 21.

أما تسميته بحصن الغراب فيعتقد أنه جاء نسبة إلى قبيلة حميرية سكنت الموقع، ولسبب ما هاجرت من موقعها حصن الغراب (قنا) إلى منطقة شرق الشحر، ودخلت ضمن الاتحاد العشائري الحمومي، وتعرف هذه القبيلة إلى اليوم بـ(بيت غراب)⁽¹⁾.

ورد ذكر ميناء قنا في عدد من المصادر التاريخية، وعلى الرغم من الدور الكبير الذي أدّاه هذا الميناء في ازدهار مملكة حضرموت خاصة، وتعزيز مكانة اليمن القديم عامة بين الحضارات؛ فإن تلك المصادر لم تتحدث عنه بشكل مفصل، سواء عن طبيعته وموقعه، أو عن أهميته التجارية، باستثناء القليل منها. وفي هذا البحث سنحاول نذكر مصدرين من تلك المصادر التي تتبعت ما ذكرته من معلومات عن ميناء قنا، وهي كالآتي:

- المصادر الدينية - المصادر النقشية

- المصادر الكلاسيكية - المصادر العربية

- المصادر الدينية :

كان أقدم ذكر مكتوب لقنا على ما يعتقد هو ما ورد في كتاب التوراة (العهد القديم) تحت اسم (كنّه)، ويرجع ذلك إلى الربع الأول من القرن السادس قبل الميلاد⁽²⁾.

وجاء ذكره كسوق اقترن بتجارة الطيب والحجر الكريم، حيث جاء في سفر حزقيال: "تجار شبا ورعمة هم تجارك. بأفخر كل أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك. حرّان وكنّه (قنا) وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك"⁽³⁾.

- المصادر النقشية :

ورد ذكر ميناء ومدينة قنا في عدد من النقوش اليمنية القديمة السبئية واليزنية، وقد تمكن الباحث من رصد ثمانية نقوش تضمنت معلومات عن قنا إما موجزة أو مفصلة، وسنذكرها حسب سياقها التاريخي على النحو الآتي:

(1) باوزير، حولية حضرموت، ص 32.

(2) Doe, B. Southern Arabia, (new aspects of antiquity), London, 191, P. 182

قرياز نفتش، دراسة ميناء قنا القديم، ص 22.

(3) الكتاب المقدس، سفر حزقيال، الإصحاح السابع والعشرون، فقرات 22 - 23.

1 - النقش (Ir 13):

عثر على هذا النقش في معبد الإله المقه أوام (محرم بلقيس) في مأرب، ويتحدث عن الحرب التي وجهها الملك السبئي (شعر أوتر) ضد الملك الحضرمي (العزيط)، وصاحب النقش هو القيل (فارح أحسن الاقياني) قيل الشعب بكيل ربع شبام، ويذكر النقش في السطر الثالث عشر أن (فارح أحسن) قد انتصر في غارتين في أرض حضرموت عاد على إثرها بالغنائم المجزية من مدينة شبوة وميناء قنأ، كما أشار إلى أنه قام بتدمير الميناء والسفن الراسية فيه، ونصه:

13 - و ح م د م / ب ذ ت / و ز أ / ا ل م ق ه / خ م ر / ع ب د ه و / ف ر ع م / س ب أ / و م ط و / ع د ي / أ ر ض / ح ض ر م و ت / ث ت ي / س ب أ ت ن / و و ز أ / خ ت ر ش ن / ذ ه ب م / و غ ن م م / ب ن / ه ج ر ن / ش ب و ت / و ق ن أ / و ع د و و / و د ه ر / ع س م / س ف ن م / ب ح ي ق ن / ق ن أ / م ك د ح / م ل ك / ح ض ر م و ت / و أ ت و / ج ي ش ه م و / ب و ف ي م / و ا ح ل ل م / و س ب ي م / و غ ن م / ذ ع س م / (1).

2 - النقش (Ry 533):

عثر على هذا النقش في منطقة ريذة في عمران ويتحدث عن الحرب التي شنها الملك السبئي (شعر أوتر) على حضرموت - وهي الحرب نفسها التي ذكرها النقش السابق (Ir 13) - وصاحبها النقش هما: (ربيم أخطر بن ساران) و(أسدم أسعد بن هعن أظلم) البكيليان من الربع ريذة، ويذكر النقش في السطرين الثامن والتاسع أن (ربيم) و(أسدم) قادا جيش ملك سبأ وحضرموت ضد ميناء قنأ وأحرقا (47) سفينة كانت راسية فيه، ونصه:

8 - ... / ر ي د ن / ع د ي / ه ج ر ن / ق ن أ / ل م خ ر ه م و / و ي م ض ا و / ع د 9 - ي / ح ر م ت م / و س ب ع / و أ ر ب ع ي / أ س د ق م / و ا ف ل ك م / (2).

(1) الإيراني، مطهر علي، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط2، 1990م، ص114.

(2) Ryckmans، G، Inscriptions Sud - Arabes، 12 Serie، Inscriptions Relevees ā Rayda (Yemen)، Par Le Professeur F. Geukens، Le Museon، 68، 1955، P. 298.

3 - النقش (Ja 632):

عشر على هذا النقش في معبد الإله المقه أوام (محرم بلقيس) في مأرب، ويتحدث النقش في الأسطر الثلاثة الأولى عن تقديم صاحبه (جمعت أرشل) نذرًا للإله السبئي المقه حمدًا له على ما حصل عليه من غنائم من مدينة شبوثة ومدينة قنا، وهذا النذر عبارة عن أربعة أصنام وثور من الذهب، ونصه:

1 - ح م ع ث ت / أر ش ل / رأ ب م / ب ن / وز ع ن / م ق ت و ي ي / أس دم / أس ع د ب

2 - ن / س أ ر ن / و م ح ي ل م / ه ق ت ي ي / إ ل م ق ه / ث ه و ن / ب ع ل أ و م / أ ر ب ع ت / أ ص ل م م

3 - و ث و ر م / ذ ذ ه ب م / ب ن / غ ن م ه م و / ب ن / ش ب و ت / و ب ن / ه ج ر ن / ق ن أ / ح م دم / ب⁽¹⁾.

4 - نقش (Sh 17):

عشر على هذا النقش في معبد الإله المقه أوام (محرم بلقيس) في مأرب، ويتحدث في السطر السادس والسابع عن تقديم صاحبي النقش نذرًا للإله السبئي المقه حمدًا لسلامة العودة، كما أشار إلى أن تلك التقدمة (النذر) كانت من الغنائم التي غنموها من مدينة شبوثة. ويشير النقش (الأسطر 11 - 12) إلى ميناء قنا، عند حديثه عن الضلعة التي وصفها بأنها الطريق إلى قنا، ونصه:

9 - ... م

10 - ل ك / س ب أ / و ل ذ ت / ه و ف ي / ب ن ه و / ر

11 - ب ب م / ع ي در م / ب ن / ض ل ع ت م / م س ب

12 - أ / ق ن أ / و ل س ع د ه م و / أ ل م ق ه / ...⁽²⁾.

Jamme, A. W. F., Sabaeen Inscriptions From Mahram Bilqis, (Marib), John Hopkins, (1) Press, 1964, P. 143.

Robin, Ch. Documents, De L'Arabie Antique, Raydan, Vol, 6, 1994, P. 74 (2)

أحمد حسين، تاريخ اليمن الثقافي، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء رقم (2)، 2004م، ص 333 - 334.

ويرى الدكتور ناصر حبتور أن الضلعة هي اسم عقبة وموقع يقع على بعد يقدر بحوالي 6 كيلو متر إلى الشمال من مدينة حبان باتجاه عتق في محافظة شبوة، وتمثل موقعاً استراتيجياً لحماية الطريق التجاري الذي يربط ميناء قنا بالعاصمة الحضرمية شبوة وبعواصم دويلات المفازة، وأن رباب عيدر صاحب النقش كان ضمن القوة السبئية التي رابطت في عقبة الضلعة بهدف حماية القوة السبئية التي توغلت في وادي ميفعة باتجاه ميناء قنا⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه النقوش تعود إلى عهد الملك السبئي شعر أوتر، وتتعلق بحملاته العسكرية على حضرموت (شبوة وقنا) وتشير بطريقة لا مباشرة إلى الازدهار التجاري في حضرموت، وتحديدًا في ميناء قنا حيث يدل على ذلك كثرة السفن التجارية فيه التي أشار إليها النقش (9 / 533 Ry)، إذ بلغ تعداد السفن التي أحرقت 47 سفينة، وصفها النقش وسماها باسمين للدلالة على تمايز أحجامها وحمولتها وهي (أ س د ق م / وأ ف ل ك م)، وتعني قوارب وسفن⁽²⁾.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد زمن حدوث الحرب التي شنها الملك السبئي شعر أوتر على حضرموت، حيث يرى يوسف عبدالله أن أحداث هذه الحرب قد وقعت في أواخر القرن الثاني الميلادي⁽³⁾. ويرى آخرون أنها تعود إلى عام 225م⁽⁴⁾. ورأي ثالث

(1) حبتور: ناصر صالح، موقع الضلعة الأثري في محافظة شبوة، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 7، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2001م، ص 105 - 107؛ حبتور، ناصر صالح، موقع الضلعة الأثري، مجلة سبأ، العدد 13، إصدار أقسام التاريخ جامعة عدن، 2004م، ص 43 - 48.

(2) بيستون، الفريد. وريكانز، جاك. والغول، محمود. وموللر، والتر، المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، دار نشر بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م، ص 137.

(3) عبدالله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره (بحوث ومقالات)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1990م، ص 245.

(4) ريكمانز، جاك، حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة د.علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، العدد 28، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1988م، ص 130؛ بريتون، جان فرانسوا، ملاحظات تاريخية حول القصر الملكي، في: شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد: د. عزة علي عقيل، د. جان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ص 102.

يرى أنها تعود إلى عام 230م⁽¹⁾. وتواريخ الثلث الأول من القرن الثالث الميلادي هي الأقرب للحقيقة، بدليل العثور على نقوش في منطقة ردمان (ذي معاهر وخولان) تعود إلى عهد الملك الحضرمي (العزيط)، ومنها نقش (YMN 10) الذي يعود تاريخه إلى سنة 144 حسب التقويم الردماني⁽²⁾، ويعرف أن قبيلة ردمان تحسب السنين اعتبارًا من سنة 74 ميلادية، ومن ثم يمكن أن يؤرخ النقش إلى سنة 2018م⁽³⁾.

5 - نقش عبدان الكبير:

اكتشف هذا النقش في وادي عبدان في منطقة نصاب بمحافظة شبوة، ودونه (ملشان اريم) وأبناؤه وأحفاده اليزنيون، وهو عبارة عن سجل لإنجازات الأسرة اليزنية خلال حقبة معينة من تاريخها، أي أن أحداث النقش كانت سابقة لتاريخ تدوينه⁽⁴⁾. وفي السطر السابع والثلاثين من هذا النقش أشار اليزنيون إلى ميناء قنا إشارة عابرة لدى مرورهم في رحلة صيد إلى جبال حجر والسوط وجردان وأرض ضيفتن، حيث قاموا بشراء خمس

(1) عريش، منير، معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (القرن السابع ق.م - القرن الثالث الميلادي)، حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003م، ص 13؛ قريازنفتش، قنا، الموسوعة اليمنية، ص 2419؛ روبان، كريستيان جوليان، الممالك المحاربة، في: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدرالدين عرودكي، مراجعة د. يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، 1999م، ص 186؛ الجرو، أسمهان سعيد، كيف تطورت الصيغة الاتحادية بين القبائل إلى وحدة شاملة في اليمن القديم، الندوة العلمية حول اليمن وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2001م، ص 46.

(2) عبدالله، يوسف محمد، مدونة النقوش اليمنية القديمة، مجلة دراسات يمنية، العدد 3، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1979م، ص 36.

(3) روبان، كريستيان جوليان، التسلسل التاريخي ومشكلاته، في: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدرالدين عرودكي، مراجعة د. يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، 1999م، ص 60؛ بافقيه، محمد عبدالقادر، روبان، كريستيان جوليان، أهمية نقوش جبل المعسال، ريدان، العدد 3، إصدار المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، لوفان، بلجيكا، 1980م، ص 13 - 14.

(4) بافقيه، محمد عبدالقادر، هوامش على نقش عبدان الكبير، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 4، مركز الأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، 1981م، ص 29؛ بافقيه، محمد عبدالقادر، عودة إلى نقش عبدان الكبير، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 5، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، 1988م، ص 57.

سفن من ميناء قنا، ونصه:

37 - ... / و ض ي ف ت ن / أ ح د ي / و أ ر ب ع ي / م ض ل ع م / و أ ش ص ن
م / و ش أ م و / ب ن / [.....] ح و / ب ح ي ق ن / ق ن أ / خ م س / أ س د ق م / ب
ر ج ن ت⁽¹⁾.

ويعود تاريخ النقش إلى (470) من التقويم الحميري⁽²⁾ الموافق لعام (355م). ويتضح من إشارة اليزنيين لميناء قنا وشرايتهم السفن منه أنه لا يزال يمارس نشاطه التجاري وأن نفوذ اليزنيين يمتد إلى ذلك الميناء⁽³⁾

6 - نقش ينبق 47: (BR - Yanbuq 47):

اكتشف هذا النقش في شعب ينبق أحد روافد وادي عماقين، على بعد حوالي 3 كيلو متر من مدينة الحوطة في مديرية ميفعة محافظة شبوة، وهو أهم نقش من مجموعة النقوش التي دونها اليزنيون وبلغ عددها (49) نقشًا في شعب ينبق⁽⁴⁾.

ودون نقش ينبق (47) أربعة من اليزنيين وردت أسماؤهم فيه وهم: "سميفع أشوع، ومعد كرب يمجد، ولحييت يرخم، وشرحبئل يكمل". ويتحدث عن قدوم هؤلاء اليزنيين - الذين دونوه - من (أس ع ي ن) (مدينة الشحر حاليًا)⁽⁵⁾، وقيامهم برحلة صيد. وجاء ذكر قنا في السطر السادس من هذا النقش ضمن قائمة القبائل والشعوب التابعة لليزنيين، ونصه:

6 - ف ت ن / و ق ب ض / و ك ب و ر / ش ع ب ه م و / س ي ب ن / و ح ض ر

(1) Robin, Ch, J, Iwona, G, L'Inscription Du Wadi Abadan, radan, vol. 6, 1994, P. 116

(2) نقش عبدان الكبير، السطر 3.

(3) بافقيه، محمد عبدالقادر، عودة إلى نقش عبدان الكبير (2)، ريدان، العدد 7، 2001م، ص 39؛ حبتور، ناصر صالح، اليزنيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، دار الثقافة العربية، الشارقة، جامعة عدن، 2002م، ص 208.

(4) بافقيه، محمد عبدالقادر، روبان، كريستيان، نقوش جديدة من ينبق، ريدان، العدد 2، 1979م، ص 65؛ بافقيه، محمد عبدالقادر، في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة، ج 1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1987م، ص 92؛ حبتور، اليزنيون موطنهم ودورهم، ص 98.

(5) بافقيه، محمد عبدالقادر، في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة، ج 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1993م، ص 160.

موت / و ق ن أ /⁽¹⁾.

ويرجع تاريخ النقش إلى عام (625) من التقويم الحميري الموافق لعام (510 م)⁽²⁾.
7 - نقش (CIH 728):

دون هذا النقش في قمة حصن الغراب (عرواوية) المطل على ميناء ومدينة قنا، وذلك على مسافة 15 متراً تقريباً من المدخل إلى القلعة عند النهاية العلوية للطريق الصاعدة إلى قمة حصن الغراب، وهو نقش بحروف غائرة على صخرة كبيرة هي قسم ناتئ من الجبل ذاته⁽³⁾. ويتكون من سطرين.

وجاء فيه لأول مرة ذكر قلعة (قنا) على مرتفع (عرواوية) المشرف على ميناء ومدينة قنا، وقد دونه (صيدم ابرد بن ملشان)، وأشار إلى أنه كان يشغل منصب مصداً (م ص د أ)، أي خازن مال لميناء قنا⁽⁴⁾. كما كان يشغل في الوقت نفسه منصب عاقب (ع ق ب)، أي قائد، والي، لميناء قنا⁽⁵⁾، ونصه:

1 - ص ي دم / أ ب رد / ب ن / م ل ش ن / م ص د أ / ذ ب دش / ع

2 - ق ب / ق ن أ / س ت ط ر / ب ع ر ن / م و ي ت⁽⁶⁾.

ويعود تاريخ النقش إلى القرن الخامس - بداية القرن السادس الميلادي⁽⁷⁾.
ويتضح أن (صيدم ابرد) ينتمي لليزنيين، وأن قنا كانت ميناء يزينه في مرحلة ازدهار

(1) Bafaqih. M. and Robin. Ch, Inscriptions Inedites De Yonbuq, Raydan, Vol. 2, (1) ;1979, P. 49

بافقيه، روبان، نقوش جديدة من ينبق، ص 26.

(2) BR - Yanbuq 47 / 10 - 11.

(3) شيرنسكي، سيرجي، اليمن مركز هام من مراكز الحضارة الإنسانية، الثقافة الجديدة، العدد 10، السنة 1974م، ص 77؛

Wellsted, Travels in Arabia, vol. 11, iatraduction by fred school 3, akademische, .bruck, 11. verlagsasntot, Gra 3 - Austria, 1978, P. 424

(4) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، ص 141.

(5) المرجع نفسه، ص 17.

(6) Wellsted, Travels in Arabia, P. 424; جتور، ناصر صالح، وادي ميفعة دراسة تاريخية لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب، جامعة عدن، 1997م، ص 134.

(7) قرياز نفتش، دراسة ميناء قنا القديم، ص 23.

الأدوائية الزينية، وأن نشاطها التجاري ظل مزدهراً، وهذان المنصبان اللذان يحتلها صيدم ابرد إنما يؤكدان مقدار الازدهار التجاري في ميناء قنا في العهد الزيني.

8 - نقش (CIH 621):

دون هذا النقش الزيني في قمة حصن الغراب (عرماوية) ولا يبعد عن النقش السابق بأكثر من ثلاثة أمتار، ويقع في مستوى ارتفاع الأول نفسه، ويتكون من عشرة أسطر، يتحدث في السطور الستة الأولى عن أسماء أصحاب النقش وهم: (سميفع أشوع وبنيه شرحبئل يكمل ومعد كرب يعفر بنو لحيعة يرخم)، ثم تأتي قائمة طويلة بأسماء المناطق والقبائل الموالية، ثم ذكر اسم الموقع الذي دوّن فيه وسماه (ع ر ن / م و ي ت) أي الجبل مويت وهو المعروف حالياً باسم حصن الغراب.

وفي هذا النقش جاء للمرة الثانية ذكر قلعة قنا على مرتفع (عرماوية). وفي السطر السابع يتحدث عن قيام أصحابه بترميم سور مياه قلعة عرماوية وأبوابها وخزاناتها، وكذلك الطريق الصاعدة إلى قمة القلعة. ونصه:

5- ... س ط ر و / ذ ن / م س ن د ن / ب ع

6- ر ن / م و ي ت / ك ث و ب ه و / ج ن أ ت ه و / و خ ل ف ه و / و م أ ج ل ت ه و / و م ن ق ل ت ه و⁽¹⁾.

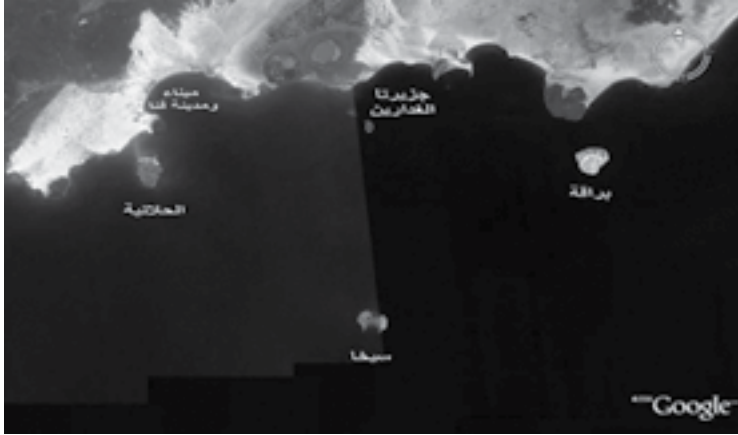
ويعود تاريخ النقش إلى عام (640) من التقويم الحميري الموافق لعام (525 م)⁽²⁾. وكان ميناء قنا مركزاً تجارياً مهماً لتصدير اللبان (المحصول الأساسي)، الذي كان يزرع في مرتفعات حضرموت، وكان ينقل إلى الميناء على ظهور الجمال أو الأرمات الجلدية أو في القوارب حيث سوق اللبان قرب الميناء⁽³⁾. وتشير بعض الدراسات الأثرية

(1) بافقيه، محمد عبدالقادر. وبستون، الفريد. وروبان، كريستيان. والغول، محمد، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م، ص 157؛ Wellsted, Travels in Arabia, P. 424; Sedov, A, V, Robin, Ch, et Ballet, P, Qani, Port ;de L'Encens, dans: SABA, 3 - 4, (Hadramawt, La vallée inspirée), 1997, P.31 حبتور، وادي ميفعة، ص 133 - 134.

(2) CIH 621 / 10

(3) حوراني، جورج فضلو، العرب في المصادر اليونانية والرومانية (900ق.م - 100 م)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 2، المجلد 50، 1999م، ص 82.

إلى أن الميناء تعرض للخراب في القرن الثالث الميلادي على يد الملك الحميري (شعر أوتر) الذي هاجم ملك حضرموت وسيطر على شبوه وحطمها وأسر ملكها، ثم شن هجوماً عسكرياً على الميناء وحطمه وأحرق المرافق التابعة له بما في ذلك المعابد ومستودعات اللبان⁽¹⁾، غير أن الميناء عاود نشاطه فيما بعد، واستمر حتى القرن السادس الميلادي، وقد تم تشييد أماكن وبنيات على انقاض المباني التي تحطمت، وتشير بعض النقوش التي تم العثور عليها من تلك المنطقة إلى أحداث القرن الخامس والسادس الميلادي أي فترة احتلال الأحباش لليمن، ويشير النص أيضاً إلى بناء القلعة بعد أن دمرها الأحباش⁽²⁾، وقد عاصر الميناء في مرحلة وجوده الملك (شمر يهرعش) في الدور المعروف (بدور سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات)⁽³⁾.



لوحة رقم (7): صورة جوية توضح ميناء قنا والجزر المجاورة (جزر القنا)⁽⁴⁾

- (1) آرام اكوبيان، التنقيبات الأثرية في ميناء قنا القديم من كتاب حضرموت، 1987م، ص 41 بطرس، قرياز نفيش، حضرموت القديمة والمعاصرة، ميناء قنا الأبحاث الميدانية، أكاديمية العلوم السوفيتية (البعثة اليمنية المشتركة للأثار، ترجمة عبدالعزيز بن عقيل، المركز اليمني)، ج1، ص 23 - 29.
- (2) بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 1985م، ص 49.
- (3) كاناكيس، رودو، الحياة العامة للدول العربية الجنوبية، الفصل الثالث في كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسين علي، القاهرة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م، ص 117.
- (4) الشعبي، ميناء قنا، الملاحق.

وقد نشطت تجارة قنا مع مصر في العهد الروماني من خلال صادراتها من اللبان، كما تاجرت بكثرة مع الموانئ الواقعة على الساحل الأفريقي و"مع بلدان باروحازا وسكرتيا وعمان في الطرف الآخر للأراضي، وكذلك مع شواطئ آسيا المجاورة من أقاليم أرض فارس المجاورة⁽¹⁾. كما تدل بعض القطع الأثرية من قطع الأواني الفخارية والزجاجية أن قنا كان على صلات تجارية مع الهند، وبلاد ما بين النهرين، ومنطقة البحر الأبيض المتوسط وغرب أوروبا⁽²⁾ وشرق أفريقيا⁽³⁾، كما عثر فيها على جرار تخزين كانت تسمى بالآنية الفخارية الملساء والخضراء، والتي يرجع أصلها إلى بلاد بابل، مما يدل على صلات تجارية مع الموانئ الواقعة أعلى الخليج العربي في بلاد بابل⁽⁴⁾، واستوردت حضرموت عبر قنا من مصر والهند ودول الخليج العربي أنواعاً مختلفة من الواردات.

وقد أوليت الملاحة البحرية بين مصر والهند أهمية خاصة لميناء قنا، بدليل أنها أصبحت منتظمة في نهاية القرن الأول الميلادي، وبذلك أصبح قنا مركز تموين للماء والغذاء، كما أنه خلال القرن الأول حتى القرن الثاني الميلادي أصبحت مخزناً جمركياً

(1) ينظر: Sedov، Sea – trade، p371

(2) لقد بلغت نسبة القطع الفخارية 80٪ من القطع المكتشفة، معظم هذه الفخاريات مستوردة من مناطق البحر الأبيض المتوسط كمصر وفلسطين والبراء، اليونان وإيطاليا وجنوب فرنسا، وجنوب إسبانيا وصقلية وآسيا الصغرى، وهي بقايا لأمفورات متنوعة الأشكال والأحجام ومنها: الأمفورات التي تعرف بنوع (koan) وهو نوع معروف في العالم اليوناني والروماني، لاسيما في المناطق الغربية (إيطاليا، إسباني، جنوب ووسط فرنسا، وبريطانيا) ويعود تاريخها إلى المدة من القرن الأول الميلادي إلى منتصف القرن الثاني الميلادي، هذا فضلاً عن أمفورات ذات رقبة طويلة تنتشر صنعها في أوستيا - على الساحل الغربي لإيطاليا على مدخل نهر التيبر - وشمال أفريقيا، وخارج منطقة البحر الأبيض المتوسط الشرقية، ويعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي إلى القرن الرابع الميلادي. وهذه الأنواع من الأمفورات كانت تستخدم في التجارة البحرية من البحر الأبيض المتوسط وإلى البحر الأحمر والمحيط الهندي لنقل أصناف مختلفة من السلع كالحبوب والخمر والزيت... وغير ذلك. ينظر: الشعبي، ميناء قنا، ص 114 - 115.

(3) أكوبيان، أرام. وباطايح، أحمد. وقينو قرادوف، يوري. وسيدوف، الكسندر، الأبحاث في أطلال مدينة قنا لعام 1988م، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، ج1، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1988م، ص 41 - 50.

(4) Sedov، Sea – trade، pp371 - 372

للبان، والميناء الوحيد لتصديره، أي أنها استكملت وظيفتها التجارية، وأصبحت بيئة تجارية كاملة مستقرة ومؤمنة ولهذا بدأت تظهر فيها جاليات تجارية⁽¹⁾، وأصبحت قنا في نهاية القرن الثاني للميلاد وبداية القرن الثالث الميلادي واحداً من أكبر موانئ ممالك جنوب الجزيرة، وكان في تلك الحقبة واحداً من المداخل الرئيسية ومن الأبواب البحرية للبضائع الواردة من المناطق المطلة على البحر المتوسط والدول المطلة على الخليج العربي ومن أفريقيا، ومن شبه الجزيرة الهندية⁽²⁾.

كما تعدّ المرحلة الممتدة بين نهاية القرن الثاني والقرن الخامس للميلاد - دون شك - مرحلة أوج ازدهار قنا، وخلالها عثر على أواني فخارية من صنع إيجيه، وفخار أسوان المصري وغيره، وعثر أيضاً على كسرات قوارير روديسية (قوارير الخمور المستوردة)، وكسرات من أواني نبطية شديدة الأناقة، ومن معثورات قنا أيضاً كسرات الأواني الفخارية ذات الأذنين والتي تعود في أصولها إلى شمال إفريقيا⁽³⁾.

وهكذا كانت العلاقات التجارية لقنا القديمة تغطي منطقة واسعة تبدأ من شمال غرب المتوسط (إسبانيا، صقلية، إيطاليا) وحتى شرق المتوسط (مصر، الشام)، وربما امتدت تلك العلاقات إلى جنوب غرب المتوسط (المغرب العربي)، بدليل أن الاسم القديم لمدينة سوسة القرطاجية كان يعرف بحضرموت⁽⁴⁾، فربما أن الفينيقيين مؤسسي قرطاج هم من أطلق على هذا المكان اسم حضرموت تيمناً بموطن البخور حضرموت، بل مازال هذا الاسم (حتى اليوم) يطلق على أشهر فنادق سوسة (نزل حضرموت)⁽⁵⁾.

(1) أكوبيان، الأبحاث في أطلال مدينة قنا، ص 74.

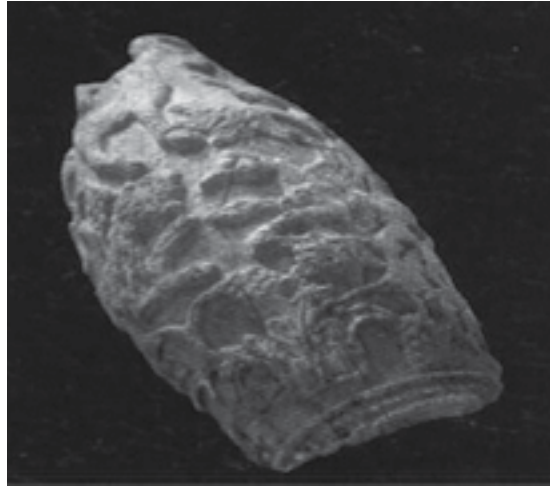
(2) Sedov, Qani, Yemen, p35.

(3) سيدوف، الكسندر، "قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط"، بحث منشور ضمن كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عروودي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي / دار الأهالي، دمشق، 1999م، ص 195.

(4) الشاذلي بورنية و محمد طاهر، قرطاج البونية - تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م، ص 64؛ جوليان، شارل اندري، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ج 1، ص 92؛ محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م، ص 94.

(5) سيدوف، "قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط"، ص 195.

إن هذا التواصل التجاري الواسع الذي حدث بين قنا وبلدان البحر المتوسط، وبلاد الرافدين، وشرق إفريقيا، وكذلك الخليج العربي وبلاد فارس والهند والشرق الآسيوي سمح من التمازج الحضاري بين قنا وتلك الشعوب، وهو الأمر الذي ظهر بوضوح في العديد من التأثيرات الحضارية التي ظهرت في بعض المجالات الحضارية في قنا. وتعدُّ المصنوعات المحلية في قنا من أهم الجوانب الحضارية التي ظهرت فيها التأثيرات الأجنبية، فمن الشواهد التاريخية التي تؤكد ذلك هو العثور في مجمع المعبد في قنا على جزء من إناء دائري، صنع من الحجر الجيري، ومعرضة في متحف عتق، وتتميز هذه القطعة بوجود زخرفة بارزة لأشكال حيوانية (أسود وحيوانات أسطورية) وعناقيد العنب، وتظهر عليها التأثيرات الزخرفية الخارجية، فأشكال الحيوانات تم تفسيرها على أنها كدليل على التأثير الفارسي، أما عناقيد العنب فتشير إلى التأثيرات الإغريقية والرومانية، والأسلوب الهندسي للأشكال فيشير إلى الصناعة المحلية، ويعود تاريخها إلى نهاية القرن الثاني - الرابع الميلادي⁽¹⁾.



لوحة رقم (7): قطعة من الحجر الجيري عليها زخارف محفورة لأشكال حيوانية وعناقيد عنب عثر عليها في مبنى المعبد⁽²⁾

Breton, J.F, Architecture in Queen of sheba, treasures from anient emen, british (1) museum, press, London, 2002, P152.

.Breton, J, Architecture, P152 (2)

أما عن وظيفة هذه القطعة واستخداماتها فيرى الباحثون أنها جزء من إناء مزخرف، أو جزء من حلية معمارية⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن هذه القطعة الأثرية صنعت محلياً، فإنها تحمل تأثيرات فنية يونانية رومانية وفارسية، وهذا يؤكد حقيقة التواصل بين الحضارة اليمنية وحضارات العالم القديم⁽²⁾.

وفضلاً عن ذلك فقد كان لاستقرار بعض الجاليات في قنا أثر كبير في نقل التأثيرات الحضارية إلى قنا، حيث يحتمل أن يكون قنا شهد استقرار جالية من الأكسوم، ومما يؤكد ذلك اكتشاف كمية من الخزف المصنوعة باليد مما يدل على أشغال حرفية راقية جداً في المدينة، وكذلك الأشياء التي تبرزها الخطوط الضيقة المشابهة للخطوط الإثيوبية، فمن المفترض أن يوجد هناك اندفاع قوي من السكان الإثيوبيين⁽³⁾ نحو الاستقرار في قنا، لذلك فقد كان لهم بصمات في نقل الكثير من التأثيرات الصناعية إلى قنا.

كذلك كان للتأثير الفارسي وبلاد الرافدين حضور في حضرموت، فقد عثرت البعثات الأثرية في (وادي عمد وحريضة) على بعض القطع والأختام التي تحمل اللمسات الفارسية في القرنين السادس والرابع ق.م، كما عُثر أيضاً في المكان نفسه على الفخار ذات الطلاء الأخضر والذي يعود في أصله إلى بلاد الرافدين⁽⁴⁾.

كما انعكست التأثيرات القادمة من شرق أفريقيا على العملة النقدية، ويبدو ذلك جلياً في الاعتماد على البرونز الأكسومي، وتدل القطع النقدية الموجودة في الطبقات العديدة على هذا الأمر، فالطبقات القديمة جداً لا تحتوي إلا على العملات الحضرية التي كانت قنا تابعة لها، حتى القرن الثالث الميلادي، أما بعد ذلك فتوجد القطع النقدية البرونزية كعملات للمملكة الحميرية⁽⁵⁾.

(1) Breton, J, Architecture, P152

(2) الشعبي، ميناء قنا، ص 165.

(3) Sedov, Qani, Yemen, p35

(4) سيدوف "قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط"، ص 195.

(5) Sedov, et Ballet, Qani, p 23

إن التأثيرات الأجنبية التي ظهرت على الجوانب الحضارية في شبوة وقنا كثيرة، فلا يتسع المقام هنا للحديث عن التأثيرات الأجنبية بشكل مفصل بل سنكتفي بما ذكرنا، وهي كنماذج وشواهد أثرية للتأثيرات بين شبوة وقنا وحضارات العالم القديم (التأثير والتأثر).

الخاتمة

بعد هذا العرض المتواضع عن التأثيرات الحضارية الأجنبية في مملكة حضرموت على ضوء الشواهد الأثرية (شبوة وقنا أنموذجًا)، برزت أمام الباحث العديد من الاستنتاجات، نوجز أهمها بالآتي:

1 - أن البقايا الأثرية التي تم العثور عليها في شبوة وقنا تؤكد وجود تأثيرات خارجية مختلفة على العديد من الجوانب الحضارية في شبوة وقنا.

2 - أظهرت بعض المعطيات الأثرية التي عثر عليها في شبوة وقنا تقاربًا فنيًا واضحًا في العديد من الجوانب الحضارية لشبوة وقنا والحضارات في حوض البحر المتوسط وغرب أوروبا، وشرق إفريقيا، وبلاد الرافدين، وفارس والهند، والخليج العربي، وغير ذلك من الحضارات.

3 - كان التقارب الفني واضحًا في شبوة وقنا كغيرهما من المدن في ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة، هذا التقارب كان تقاربًا مع حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط وغرب أوروبا.

4 - تُعدُّ المصنوعات المحلية في شبوة وقنا من أهم الجوانب الحضارية التي ظهرت فيها التأثيرات الأجنبية، حيث ظهر على المصنوعات المحلية تأثيرات بلدان حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط، وبلاد الرافدين، وشرق إفريقيا، وكذلك الخليج العربي وبلاد فارس والهند والشرق الآسيوي، مما سمح من التمازج الحضاري بين شبوة وقنا وتلك الشعوب.

5 - ظهرت التأثيرات الحضارية على العملة في شبوة وقنا بوضوح، وكان مصدر هذه التأثيرات هي اليونان وشرق إفريقيا.

المصادر والمراجع

- التوراة

1 - المراجع العربية :

♦ أحمد حسين شرف الدين:

- تاريخ اليمن الثقافي، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء رقم (2)، 2004م.

♦ أسمهان سعيد الجرو:

- موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبة الجزيرة العربية (اليمن القديم)، الأردن، أربد، 1995م.

- "طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، المجلد الثاني، العدد 3، 1999م.

- كيف تطورت الصيغة الاتحادية بين القبائل إلى وحدة شاملة في اليمن القديم، الندوة العلمية حول اليمن ووحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2001م.

♦ احمد عوض باوزير:

- حولية حضرموت، تعريفات تاريخية لمدين الساحل المكلا والشحر والغيل، 1984

♦ أرنست فيل:

- "ملاحظات وإضافات عن زخارف القصر الملكي"، بحث منشور ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرنسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م.

♦ أرنست ويل:

- "الفنون في مدرسة اليونان وروما"، بحث منشور ضمن كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عروودكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي / دار الأهالي، دمشق، 1999م.

♦ إستيورات منرو هاي:

- "عملات شبوة وعملات متحف عدن الوطني"، بحث منشور ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة

علي عقيل وجان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م.

◆ الفريد. بيستون، وريكمانز، جاك. والغول، محمود. ومولر، والتر:

- المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، دار نشر بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م.

◆ أكوبيان، وآخرون:

- التنقيبات الأثرية في ميناء قنا القديم، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1987م.

◆ أكوبيان، وآخرون،

- الأبحاث في أطلال مدينة قنا لعام 1988م، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، ج1، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1988م.

◆ اكوبيان آرام:

- التنقيبات الأثرية في ميناء قنا القديم من كتاب حضرموت، 1987م.

◆ جاكلين بيرن:

- "الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة وتاريخها - عصر ما قبل الكتابة التذكارية في المرتفعات (الثموديون)"، بحث منشور ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م.

◆ جان فرانسوا بريتون:

- "شبوة والحوضر اليمنية القديمة من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلادي"، بحث منشور ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م.

- شبوة الموقع والمدينة في شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي بصنعاء، 1996م.

- "شبوّة عاصمة حضرموت"، بحث منشور ضمن كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عرو دكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي/ دار الأهالي، دمشق، 1999م.

- ملاحظات تاريخية حول القصر الملكي، في: شبوّة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد: د. عزة علي عقيل، د. جان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.

◆ جاك سنيية:

- "القصر الملكي بشبوّة: الهندسة المعمارية وتقنية البناء وتصوير شكل المبنى"، بحث منشور ضمن كتاب شبوّة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م.

◆ جان كلود بيال:

- "الصندوق العاجي من قصر شبوّة"، بحث منشور ضمن كتاب شبوّة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م.

◆ جاك، ريكانز:

- حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة د. علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، العدد 28، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1988م.

◆ جوليان، شارل اندري:

- تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م.

◆ جورج فضلو حوراني:

- العرب في المصادر اليونانية والرومانية (900ق.م - 100 م)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 2، المجلد 50، 1999م.

◆ حسن صالح شهاب:

- فن الملاحاة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، دار العودة، بيروت، 1982م.

◆ خالد صالح قاسم صالح الشعبي:

- ميناء قنا من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي (دراسة تاريخية أثرية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن، 1428هـ / 2007م.

◆ رودو كاناكيس:

- الحياة العامة للدول العربية الجنوبية، الفصل الثالث في كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسين علي، القاهرة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م.

◆ ريمي ادوان:

- "النحت والرسوم في قصر شبوة الملكي بشبوة"، بحث منشور ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، إعداد: عزة علي عقيل وجان فرنسو بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، 1996م.

◆ سيرجي شيرنسكي:

- اليمن مركز هام من مراكز الحضارة الإنسانية، الثقافة الجديدة، العدد 10، السنة 3، 1974م.

◆ الشاذلي بورنية و محمد طاهر:

- قرطاج البونية - تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م.

◆ قرياز نفيش بطرس:

- الدراسات التاريخية والاثنوجرافية في حضرموت، المركز اليمني للأبحاث، ترجمة عبدالعزيز بن عقيل، 1985.

◆ قرياز نفيتش، بطرس، وبيتروفسكي، ميخائيل:

- التجارة والطرق التجارية في حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيؤون، 1987م.

◆ كريستيان جوليان روبان:

- الممالك المحاربة، في: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدرالدين عرودكي، مراجعة د. يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، 1999م.

- التسلسل التاريخي ومشكلاته، في: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدرالدين عرودكي،

مراجعة د. يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، 1999م.

◆ مطهر علي الإيراني:

- نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط2، 1990م.

◆ الكسندر سيدوف:

- "قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط"، بحث منشور ضمن كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عرو دكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي / دار الأهالي، دمشق، 1999م.

◆ محمد عبدالقادر بافقيه:

- تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 1985م.
- عودة إلى نقش عبدان الكبير (2)، ريدان، العدد 7، 2001م.
- هوامش على نقش عبدان الكبير، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 4، مركز الأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، 1981م.
- عودة إلى نقش عبدان الكبير، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 5، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، 1988م.
- في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة، ج1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1987م.
- في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة، ج2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1993م.

◆ محمد عبدالقادر بافقيه، و كريستيان جوليان روبان:

- أهمية نقوش جبل المعسال، ريدان، العدد 3، إصدار المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، لوفان، بلجيكا، 1980م.

◆ بافقيه، محمد عبدالقادر، روبان، كريستيان:

- نقوش جديدة من ينبق، ريدان، العدد 2، 1979م.

◆ بافقيه، محمد عبدالقادر. وبستون، الفريد. وروبان، كريستيان. والغول، محمد:

- مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.

◆ منير، عريش،
- معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (القرن السابع ق.م - القرن الثالث الميلادي)، حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003م.

◆ محمد الصغير:
- التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م.

◆ نورة عبد الله العلي:
- الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض، الطبعة الأولى، 1992م.

◆ ناصر صالح سعيد حبتور،
- موقع الضلعة الأثري في محافظة شبوة، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 7، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2001م.
- موقع الضلعة الأثري، مجلة سبأ، العدد 13، إصدار أقسام التاريخ جامعة عدن، 2004م.

- الزينون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، دار الثقافة العربية، الشارقة، جامعة عدن، 2002م.

- وادي ميفعة دراسة تاريخية لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم، (رسالة ماجستير ير منشورة) كلية الآداب، جامعة عدن، 1997م.

◆ ويل، أرنست:
- "الفنون في مدرسة اليونان وروما" في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عردوكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي / ودار الأهالي، دمشق، 1999م.

◆ هشام عبد العزيز ناشر:
- التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة عدن، كلية الآداب.

♦ يوسف محمد، عبدالله:

- أوراق في تاريخ اليمن وآثاره (بحوث ومقالات)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1990م.
- مدونة النقوش اليمنية القديمة، مجلة دراسات يمنية، العدد3، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1979م.

2- المراجع الأجنبية :

- Bafaqih. M. and Robin. Ch. Inscriptions Inedites De Yonbuq Raydan, Vol. 2, 1979.
- Breton, J.F, Architecture in Queen of sheba, treasures from anient emen, british museum, press, London, 2002.
- Doe, B, Southern Arabia,(new aspects of antiquity), London, 1971.
- Huntingford: The Perplus of the Erythrean Sea, London, 1980.
- Jamme, A, W, F, Sabaeen Inscriptions From Mahram Bilqis (Marib), John Hopkins,Press,1964.
- Pliny, Natural History, translated by, H, Rackham, M. A. William Heinemann Ltd, Vol. II, B, VI, Vol. IV, B, XII, London, 1969.
- Robin, Ch, Documents, De L'Arabie Antique, Raydan, Vol, 6, 1994.
- Robin, Ch, J, Iwona, G, L'Inscription Du Wadi Abadan,radan, vol. 6,1994,
- Ryckmans, G, Inscriptions Sud - Arabes, 12 Serie, Inscriptions Relevees Rayda (Yemen), Par Le Professeur F. Geukens, Le Museon, 68, 1955.
- Sedov, Aleksandr V, Robin, Christian et Ballet, Paseale, Qani, Port de L'encens, Saba, Bruxelles, 1997.
- Sedov, Alexandre V, Qani',port antique du Hadramaout, Yemen,2001.
- Sedov,A,V, Robin, Ch, et Ballet, P, Qani, Port de L'Encens, dans: SABA, 3 - 4, (Hadramawt, La vallēe inspirēe), 1997.
- Wellsted,Travels in Arabia,vol.11,iatraduction by fred school 3, akademische,bruck, 11.verlagsasntot, Gra 3 - Austria,1978.

تمنع عاصمة الدولة القتبانية

مقدمة

أقدم هذا البحث المتواضع بمناسبة انعقاد المؤتمر العلمي الثالث بعنوان: شبوة تاريخ وحضارة المنعقد. الذي ينظمه مركز عدن للدراسات والبحوث، في الفترة 2020م.



د. نبيل عبد الوهاب
أستاذة مساعد قسم التاريخ
بكلية الآداب

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهمية مدينة تمنع عاصمة القتبانيين كعاصمة سياسية واقتصادية تتركز فيها مقرات الحكومة وفيها تعقد اجتماعات الهيئات الشرعية وتصدر منها القوانين والمراسيم الملكية، ويتطرق البحث الى دورها الاقتصادي المتمثل في النشاطات الاقتصادية

المختلفة التي كانت تجري في سوق المدينة (سوق شمر) ومردودها المالي على الدولة من خلال أنواع الضرائب التي كانت تستقطع لتنظيم تلك الاعمال، وفقا للقوانين النافذة في ذلك الوقت واشهرها القانون التجاري القتباني الذي وضع أنواع الضرائب ومتى تستقطع ومحاسبة المخالفين.

وقد تميزت قتبان بنقوشها التي يغلب عليها طابع النصوص التشريعية لهدف تنظيم حركة أعضاء المجتمع. كما جرى بصورة مختصرة وصف للمدينة وما خلفه حريق تمنع، ثم اظهرنا معالم التمدن في تمنع بعد تقديم توطئة للنظريات التي تحدثت عن التمدن. كما تحدثت البحث عن حدث مازال غامضاً سببه زهو حريق تمنع تحت عنوان مسالة حريق تمنع لإجراء نقاش حول هذا الحريق الذي أتى على المدينة لوجود معلومات أراها تدل على الفاعل وزمن الحريق، وتُبعد سبباً وحضرموت عن الاتهام، كما يتردد في المراجع

متأرجحا بينهما. وقد اعتمدت بصورة مباشرة على نتائج البعثات الاثرية التي نقبت في المدينة وأولها البعثة الامريكية لدراسة الانسان عام 1950م بقيادة ويندل فيليبس الذي ألف كتاب كنوز مدينة بلقيس وضمنه بعض نتائج البعثة بصورة مختصرة، وقد اعتمدت على هذا الكتاب بصورة مباشرة، وكذلك النتائج التي قدمتها البعثة الإيطالية الفرنسية المشتركة في المرحلة من 1999 - 2005م بالتعاون مع فريق الباحثين الفرنسيين التي نقبت في الموقع ونشرت في بعض البحوث وقد اعتمدت على هذه الدراسات بصورة مباشرة أيضا.

وكان منهج البحث يعتمد على المنهج الوصفي التدقيق في المعلومات، والمنهج التحليلي وفي بعض الحالات المنهج النقدي عند الضرورة.

وهنا أسجل شكري للأستاذ الفاضل أ.د. محمد بن هاوي باوزير لتوجيهي وتشجيعي للكتابة في هذه الموضوع، وكذلك للأستاذة نسرین محمد صالح التي قدمت الي بعض المراجع الأساسية لإنجاز هذه البحث، وللولد وجيه نبيل الذي ساعدني في تنسيق صور البحث وطباعة بعض صفحاته وترجمة بعض المقتبسات من بعض المراجع الأجنبية. أرجو ان أكون قد وفقت في عرض نقاط هذه الموضوع وان يكون مفيدا والله الموفق.

تمهيد

كان الاقتصاد والمواصلات هما عماد الحضارة اليمنية القديمة المتمثلة في دولها التي نشأت حول مفازة صيهده (اليوم: رملة السبعين) وهي: حضرموت وعاصمتها (شبوّة)، وأوسان وعاصمتها هجر يهر، وقتبان عاصمتها تمّتع، وسبأ عاصمتها مارب، ومعين عاصمتها قرناو.

وقد ساهمت كل مملكة من هذه الممالك في نسج ملامح هذه الحضارة التي اشتهرت في العالم القديم، ولعل من معالمها التي تتردد دائما نذكر سد مارب العظيم، والتشريعات التجارية القتبانية التي أظهرت نضجا في الفكر القانوني الذي تعدت حدود التجارة الداخلية إلى التجارة الخارجية.

لقد توافرت في الأراضي اليمنية عدد من العوامل الطبيعية: مثل أرض خصبة صالحة للزراعة وأمطار موسمية، وموقع شكل حلقة وصل مركزية بين الشرق والغرب وبين الجنوب والشمال.

وكان الانسان اليمني القديم هو العامل الحاسم في استغلال هذه الموارد الطبيعية والذي بجهوده في العمل وتحسين أدواته؛ مثل اصلاح الأراضي وصنع المدرجات الزراعية، واكتشافه أنظمة الري الصناعي في الألف الثاني قبل الميلاد، أدى ذلك الى تحقيق تطور في الإنتاج الزراعي وظهور فائض في المنتجات الزراعية على مختلف أنواعها يمكنه من الدخول في التبادل وتطوير التجارة، ومن المعروف ان أشهر المنتجات الزراعية التي كان يحتاجها العالم القديم هي: اللبان والمر الذي كان مصدره جنوب الجزيرة العربية فقد أُحيط [هذا الجنوب] بهالة من القداسة وذلك لأنه يزود العالم القديم بأكثر منتوجاته قُدسية الا وهو البخور⁽¹⁾. وهنا أثبت الإنسان اليمني جدارته عندما احتك بالعالم الخارجي.

لقد شيدت في البلدان التي تستورد هذه المنتجات مخازن لخبزها ووضعوا لها حراسة، مثل: مصر، والقدس، وبلاد فارس التي كانت تتلقى ألف وزنة من البخور كل عام أو ما يزيد عن ثلاثين طنًا كل عام، وكذلك بلاد بابل وغيرها⁽²⁾.

لقد حدد الموقع الجغرافي للجزيرة العربية الطريق البحري من الهند الى افريقيا ومصر وبلاد البحر الأبيض المتوسط دورها - كوسيط مهم في عملية التبادل البضائعي بين الحضارات القديمة لجنوب آسيا والشرق الأدنى وحوض المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، وقد أصبحت موانئ حضرموت (قنا) وقتبان (في البداية المدن وفيما بعد أوكليس وموزع) تلعب دورًا مهمًا كمراكز أولية لتصدير اللبان ولتجميع البضائع من كل تلك البلدان حيث يتم ترحيلها من هناك وبالقوافل شمالاً إلى مصر

(1) فليس، وندل: كنوز مدينة بلقيس قصة اكتشاف مدينة سبأ، تعريب عمر الديراوي، دار نوبار، تاريخ الإيداع، 1985م، ص7.

(2) المرجع نفسه، ص 7.

وسوريا، وأرض ما بين النهرين⁽¹⁾. وعلى الرغم من أن قتبان لم تملك إلا القليل من المزارع إلا أنها وفي القرن الرابع قبل الميلاد تمكنت من التحكم التام في تجارة البخور واللبن البري الذي يجلب من بلاد الصومال للموانئ القتبانية⁽²⁾.

وعندما تحول طريق التجارة من البر إلى البحر حافظ جنوب الجزيرة العربية على احتكاره لتجارة الترانزيت. لقد أدت الصلات البحرية المنتظمة التي استندت إلى مرشد بحري إلى استقلال حضرموت ثم قتبان عن الاعتماد على سبأ ومعين في التجارة، فقد أصبحتا في وضع مكنهما من التعامل المباشر مع السفن التجارية الإغريقية - المصرية التي تصل إلى موانئهما مباشرة فكانت النتائج مدمرة على اقتصاد معين⁽³⁾.

لكن تعقدت الأوضاع في منطقة الجزيرة العربية بعد الهيمنة الرومانية وسيطرتها على الطريق التجاري البحري إلى المحيط الهندي، وفرضها الضرائب على التجارة... مما أضعف التجارة الداخلية للجزيرة العربية... ودخول دولها في حروب فيما بينها من أجل السيطرة على النفوذ.

دولة قتبان وعاصمتها تمنع

قِتبان اسم قبيلة واسم دولة أما القبيلة فكانت مضاربا بين هجر كحلان وبيحان القصب، وحيث تقع اليوم هجر بن حميد، ولفظ قِتبان لا يدل على الدولة فحسب بل على مجموعة من القبائل تكون فيما بينها مع القبيلة الزعيمة اتحاداً قوياً أكثر تضامناً من الاتحاد السبئي، لذلك كان يطلق على الاتحاد القتباني أيضاً (أولاد عم)، (وعم) هو الإله الرسمي للدولة القتبانية، بينما (أبناء) المقه هم زعماء قبيلة سبأ فقط⁽⁴⁾. ودولة قتبان هي إحدى دول جنوب الجزيرة العربية. وقد كان لها حضور فاعل في التاريخ

(1) باويرج. م، أ. لوندن: تاريخ اليمن القديم جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، ترجمة أسامة أحمد دار الهمداني، عدن، ص 41.

(2) المرجع نفس، ص 41.

(3) المرجع نفسه، ص 44.

(4) كاناكيس، رودو، وآخرون: التاريخ العربي القديم، الحياة العامة للدولة العربية الجنوبية، ترجمة فؤاد حسنين علي، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1958م، ص 132.

الحضاري والسياسي لليمن القديم، وكان القتبانيون يسكنون في جنوب و جنوب غرب دولة سبأ، وفي الجهة الشمالية الغربية من عدن، على بعد 300 كم تقريباً⁽¹⁾، وإلى الشرق منها تقع دولة، حضرموت، ومن الشمال رملة السبعتين، وإذا أردنا أن نحدد موقعها الفلكي فهي تمتد بين خطي طول (0, 47 - 5, 43) شرق خط جريبتش، أي أنها امتدت على (5, 3) خط من خطوط الطول وما بين دائرة العرض (5, 12 - 15) شمال خط الاستواء، أي على (5, 2) دائرة من دوائر العرض⁽²⁾.

ووادي بيحان من صميم أرض قِتبان⁽³⁾، ووادية أخرى أيضاً مثل وادي حريب⁽⁴⁾ الذي يقع إلى الغرب من وادي بيحان، ووادي (مبلقة) ووادي (آخر) حالياً (خر)، ومن مناطقها (هجر تمنع)، (وهجر بن حميد)، (وحيد بن عقيل)، و(الفارة) - تبعد عن تمنع (3 أميال) تقريباً في اتجاه الشمال لوادي بيحان، وفيها عُثر على نقوش تعود إلى القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد⁽⁵⁾ - و(بيحان القصب)، ومناطق أخرى. وقد اتخذت دولة قِتبان (مدينة تمنع) عاصمة لها، وواجهتها السياسية، والاقتصادية ففيها قيادة البلاد ومقرات الحكومة.

وقد بدأ نظام الحكم فيها بنظام المكربين مثل غيرها من دول العربية الجنوبية، إلا أن هنا تسمية تفردت بها قِتبان "فقد أطلق على المكربين لقب (الأوائل). وحسب العادات والتقاليد القديمة يعتبر "الأول" هو الطفل الأول الذي يولد في البلاد بعد اعتلاء حاكم جديد للعرش وقد كانت تلك امتداداً لعادات عشائرية قديمة تمنح الحق

(1) الجرو، أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، أربد - الأردن، 1996م، ص 137.

(2) أسوان محمد سعيد عبد الله: تمنع - هجر كحلان (دراسة تاريخية أثرية) رسالة ماجستير - كلية الآداب، جامعة عدن، 2006م ص 19. (لم تنشر).

(3) جواد علي: المصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، ص 137.

(4) الهمداني، أبو الحسن محمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي بن حسين الأكو، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ص 204.

(5) فيلبس، وندل: كنوز مدينة بلقيس، ص 118.

لأي عضو من أعضاء العشيرة للاشتراك في إدارة الدولة⁽¹⁾. ثم ظهر لقب ملك ويرى (رودوكاناكيس) إن ظهور هذا اللقب الدنيوي [لقب ملك] متأخرًا في سبأ عنه في قتبان. وربما مثل هذه العادات التي سمحت لأعضاء العشيرة المشاركة في الحكم هي التي أدت إلى تميز النقوش القتبانية عن سواها من الدول في العربية الجنوبية في أن تتضمن نقوشها "نصوص رسمية تتعلق بالضرائب أو القوانين أو التجارة، بالقياس إلى ما ورد من مثله في الكتابات الأخرى..."⁽²⁾.

وفي القرن الثالث قبل الميلاد أو منتصف الرابع ق.م - فيما يبدو - أصبحت قتبان تسيطر على الشريط الساحلي الممتد من باب المندب حتى ما وراء⁽³⁾ عدن إلى الشرق، وكان ذلك على حساب أراضي دولة أوسان، وامتد نفوذها شمالاً حتى بلغ، (واحة الجوبة) على بعد مسيرة يوم واحد من مارب عاصمة الدولة السبئية⁽⁴⁾، وبعد هذا المد الواسع جاء الانحسار، فقد خرجت بعض المناطق التي تقع في جنوبها من سيطرتها، مما كان له أثر بالغ على كيان الدولة، ومهد لهجمات دولة حضرموت من الشرق واقتطعت من أراضيها. ثم نقرأ عن حريق هائل أتى على عاصمة الدولة.

العاصمة تمنع (حاليًا: هجر كحلان) وأهميتها:

قبل الحديث عن أهمية مدينة تمنع نقدم تعريفًا بالمدينة:

تقع مدينة تمنع عاصمة القتبانيين في الضفة اليسرى من وادي بيحان الشهير حيث يقترب الوادي من نفاذه إلى السهل الصحراوي⁽⁵⁾، ويبلغ طول الوادي 65 كم وباتساع

(1) باوير. لوندن: تاريخ اليمن: مرجع سابق، ص 25.

(2) جواد علي: مرجع سابق، ص 174.

(3) بافقيه، محمد عبد القدر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، 1985م، ص 34.

(4) يوسف محمد عبد الله: أوراق في تاريخ اليمن القديم، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1990م، ص 238.

(5) يوسف: مرجع نفسه، ص 236

يتراوح ما بين مئة ومئتين متر عرضاً، وكانت الأمطار الموسمية تملأ مجراه في ذلك الزمن⁽¹⁾، وكانت هذه المنطقة معروفة يخصبها وكثرة مراعيها ووفرة مياهها، فهي تعد "من أقدم مناطق السكنى في اليمن تعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد"⁽²⁾. وتبلغ مساحة تمنع 60 فدان = 252000 متر مربع. قال عنها بيليني أن للقتبانيين مدن كثيرة أكبرها تمنع وأنه كان فيها 65 معبداً⁽³⁾. ويرجع تاريخ المدينة حسب تقديرات وندل فيليبس إلى القرن الرابع قبل الميلاد. وكان للدولة وعاصمتها ذكر عند المؤرخين الكلاسيكيين، وعند الرحالة أيضاً، فمن المؤرخين مثل (استرابو)، و(بيلينيوس) و(ثيوفراستوس)، وغيرهم. ومن الرحالة (جلازر)، وكان أول من زار مدينة تمنع من الرحالة George W. Bury في عام 1899م، وقد ألف كتاب بعنوان (بلاد العز)⁽⁴⁾.

(1) الشبية: دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، تعز، الجمهورية اليمنية، 1999م، ص، 40م.

(2) يوسف: أوراق مرجع سابق، ص 237. أسمهان: موجز التاريخ السياسي: مرجع سابق، ص 139. عبده عثمان غالب: نظريات الفجوة الثقافية والاستيطان الحضري في اليمن "دراسة تحليلية نقدية" مجلة التاريخ والآثار، العددان الثاني / الثالث أكتوبر 1993 - 1994م صنعاء، ص 7.

(3) الشبية: دراسات، المرجع السابق، ص 43 - يوسف: أوراق مرجع سابق، ص 237. أسمهان: موجز التاريخ السياسي: مرجع سابق، ص 139. عبده عثمان غالب: نظريات الفجوة الثقافية والاستيطان الحضري في اليمن "دراسة تحليلية نقدية" مجلة التاريخ والآثار، العددان الثاني / الثالث أكتوبر 1993 - 1994م صنعاء، ص 7.

(4) يوسف: أوراق، المرجع السابق، 236.



خريطة رقم (1): موقع مدينة تمنع، مع توضيح طرق التجارة العالمية القديمة،
نقلا عن (طعيمان، تخطيط وعمارة سوق شمر)

كانت تمنع واقعة على حافة طريق اللبان وعلى مقربة من الصحراء مثل بقية العواصم اليمنية القديمة: شبوة، ومارب. (خريطة رقم 1) وأشار (بيليني) إلى أن طريق اللبان لا بد أن يمر عبر أراضي القتبانيين، ولا بد أن ندفع للقتبانيين أتوات جمركية لحكامها وكان ما يأخذه ملوك قتبان من المر والأصماغ العطرية يساوي الربع، وقال أيضًا أن قياس المسافة بين تمنع عاصمة القتبانيين ومدينة غزة على ساحل فلسطين مجمع كل البضائع التي تأتي من اليمن تقدر بـ(4,436) ميلاً تقطع هذه المسافة بخمسة وستين يومًا على الإبل⁽¹⁾، وليس "يمر بـ (65) محطة"⁽²⁾ وكانت تمنع مثل شبوة مركز تجميع اللبان والمر (Myrrh)... وفي دراسة تشير إلى أن سعر الرطل من المر يساوي ضعف

O' LEARY, D. D: ARBIA BEFORE MUHAMMAD, LONDON KEGAN (1)
PAUL TRENC H, TRUBNER & - LO., LTD. NEW YORK: E. P. DUTTON &
COO. 1927. P 97.

(2) أنظر يوسف: أوراق، ص 239.

سعر رطل من اللبان⁽¹⁾، ربما لأهميته التجارية والدوائية العديدة لجسم الإنسان، والمر منتج أوساني في الأصل.

أهمية العاصمة تمنع:

أما أهمية العاصمة تمنع والدور الذي كانت تقوم به في حياة الدولة والمجتمع في ذلك الوقت حتى نالت شهرة عالمية إذ بلغت شهرتها اليونان والرومان⁽²⁾، فيمكن أن نراه بوضوح في الجوانب السياسية والاقتصادية والتشريعية، ففي الجانب السياسي فهي تضم مقرات سلطة لدولة، وفيها تعقد الهيئات التشريعية التي تنظر في شؤون البلاد والعباد، وفيها أيضا قصر الملك واسمه (قصر حريب) الذي نقش اسمه في العملة القتبانية، ويعود تاريخ القصر إلى القرن السادس قبل الميلاد⁽³⁾ - وقد كشفت عنه مؤخرا البعثة الأثرية الإيطالية الفرنسية المشتركة برئاسة عالم الآثار الإيطالي (اليساندروديمجريت) التي شهدت عدة مواسم ابتداءً من العام 1999 وحتى 2005م بالتعاون مع فريق الباحثين الفرنسيين المتخصصين في مجال النقوش برئاسة كرستيان روبان - وكانت هذه الهيئات تعقد اجتماعاتها في العاصمة تمنع مرتين في السنة وذلك بمرسوم يصدره الملك.

ودلالة سياسية أخرى تأتي من حيث ترتيب القبائل / الشعوب في الدولة فكانت قِبتان هي الأولى، ويعني هنا ترتيب القبائل حسب إقامة القبيلة / الشعب الذي بيده الزعامة من العاصمة (تمنع)⁽⁴⁾. ويظهر أن تابعي ملك قِبتان كانوا يقومون بأعمالهم الإدارية في

(1) شيمان، كلاوس: تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة، فاروق اسماعيل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 2002م، ص 120.

(2) جواد علي: المفصل، مرجع سابق، ص 223.

(3) الجرو، موجز التاريخ، مرجع سابق، ص 150. (تاريخ بناء القصر على حسب تقديرات البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان).

(4) دتلف نلسن، رودوكانانيس: مرجع سابق، ص 133.

(العصمة)⁽¹⁾. وفي تمنع مقر حاكم السوق (ع ه ر) في النقوش، الذي يعتمد عليه الملك في كافة أمور السوق (سوق شمر) وفي أمر جباية الضرائب، وفك النزاعات، وتأجير المحلات، وفي بعض الأمور يشترك الملك مع حاكم السوق.

كما تتركز في تمنع إدارة المعبد، ومن هنا استطاعت هذه الإدارة أن تترك أثرًا بعيدًا في استغلال أراضي الدولة، كما استطاعت أن تنجح في الحصول على جزء من دخل الأراضي هناك⁽²⁾. لقد لعب المعبد دورًا واضحًا في جمع الضرائب والفوائد التجارية فقد كانت ألقاب (المكرينين جامعوا ضرائب الإله) و(وكاهن عم) وملك⁽³⁾.

أما في الجانب الاقتصادي فإن أبرز ما يمكن الحديث عنه عن أهمية مدينة تمنع في هذا المجال هو الحديث عن سوق المدينة والذي عرف (بسوق شمر) وأهميتها هنا حسب اعتقادي هو رفق خزينة الدولة بالضرائب، سواء نقدًا أم عينًا. ومع الحديث عن الضرائب وأنواعها سيجري الحديث عن التشريع وعن الجانب الاجتماعي.

لقد وردت في القانون التجاري القتباني الشهير أنواع الضرائب، فمنها ضريبة سوق تمنع، وهي ضريبة تفرض على كل من أراد أن يتاجر في سوق تمنع وتسمى بـ(ضريبة السوق) ليكون له دكان في شمر يمارس فيه عمله التجاري، وهو ما يعرف حاليًا في أيامنا هذه بـ(رخصة مزاولة المهنة). وإذا أجر مواطن قتباني [أو مقيم] في تمنع منزله لتاجر أصبح ملزمًا بأداء ضريبة السوق في تمنع للملك من تجارة (المستأجر) وماتغله، فإن لم تكف دفعها مما يملكه [أو] من كسبه الخاص⁽⁴⁾. ويدفع ضريبة السوق كل من أراد البيع والشراء في سلعة الحبوب من غير القتبانيين، [ربما هناك حبوب تدخل السوق من خارج أراضي القتبانيين وحتى لا يتضرر القتبانيون فرضت الضريبة على غيرهم].

(1) دتلف، رودوكاناكيس: المرجع نفسه، ص 143 - 144.

(2) دتلف: المرجع السابق، ص 145.

(3) ج.م. باوير، لوندن: تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص 25.

(4) الشبية: دراسات، مرجع سابق، ص 38.

ضريبة الغش: يغرم حاكم السوق أي تاجر يمارس غش الآخرين، وقدرها خمسين قطع ذهبية، كما يغرم المبلع نفسه كل أجنبي يحاول أن يتجر في بلاد قتبان، [ربما يعني للقبائل التي هي خارج السوق].

وفي القانون مراعاة للمواطن القتباني حيث يعفى من دفع ضريبة بيع وشراء الحبوب. وفي سطر آخر من القانون التجاري القتباني 8 - 5 / 186 B / Q⁽¹⁾ يشير إلى أن حاكم السوق عمل على تخفيض مقدار الضريبة من القطع الذهبية على أهل قتبان. وأيضاً فرض القانون على بائع الجملة أن يعهد إلى بائع التجزئة عند تسويق بضاعته في أرض قتبان⁽²⁾. وهناك نقش Q 79 / 4 فيه قانون ملكي بفرض ضريبة على كل من ولد في تمنع وضواحيها⁽³⁾. ونقش آخر يعرفنا إلى أي مدى كان القتبانيون مهتمون بجباية الضرائب وهذا النقش هو Q 173 / 3 يقول وفقاً للمعجم القتباني "نرجو أن تكون الضرائب وفيرة [التي] تم جمعها"⁽⁴⁾

وعلى مداخل تمنع كانت تنقش المراسيم والقوانين الملكية، ومن أهم ما تضمنته نقوش البوابة الجنوبية للعاصمة تمنع تشريع أصدره الملك (يدع أب ذبيان بن شهر) في بداية القرن الثاني قبل الميلاد لتثبيت الأمن والاستقرار في قتبان، وهذا ما يثبت لنا نقش (RES 3878) وفيه عقوبة القتل، مضمونها أن القاتل يحرم من كل الحقوق المدنية، والدينية، لخروجه عن القانون بارتكابه جريمة القتل، فإن تجاهل هذا الحكم، وأصر على البقاء في قتبان اباح الملك دمه، دون أن يترتب على قاتله أي عقوبة أو ملامة⁽⁵⁾.

ومما لاشك فيه إن قيام السوق يعطي ميزة حضارية "مدنية" خاصة وأنه يحتكم إلى قوانين وضوابط تنظم حركة التجار والتجارة، وبوجود حاكم يراقب تنفيذ

(1) نقش قتباني.

(2) يوسف محمد عبدالله: أوراق، ص 241.

(3) النعيم، نور بنت عبدالله بن علي: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1420هـ / 2000م، ص 189.

(4) STEPHEN D. RICKS: LEXICON OF INSCRIPTIONAL QATABANIAN, (4) EDITRICE PONTIFICIO ISTITUTO BIBLICO, ROMA 1989.P54.

(5) الشيبية: دراسات، مرجع سابق، ص 37. الجرو: موجز التاريخ، مرجع سابق، ص 143

نصوص القانون، وقد أعطى القانون صلاحيات لحاكم السوق ضد كل من لا يلتزم بالتعليمات. فأغلب ما تذكره النقوش القتبانية تظهر اهتمام الدولة بهيئاتها الملكية، التشريعية في إصدار التشريعات والمراسيم، والقوانين الجزائية التي من شأنها تنظيم المجتمع وتنظيم الأعمال التجارية، والأعمال الزراعية المختلفة، وحفظ الحقوق وإظهار الواجبات مما يبرز دور الدولة فيما يخص مبدأ الثواب والعقاب، وحفظ الأمن، فأمن الناس على أرواحهم وعلى أموالهم وعلى تجارتهم وهذا له أثر كبير على سلوك القتبانيين وغير القتبانيين في تعاملهم فيما بينهم وفي تعاملهم مع الدولة.

والسوق أيضًا عامل جذب للناس على مختلف توجهاتهم وحرهم التي يبادلون بها كسلعة أيضًا لخدمة المجتمع. كما ان السوق عامل جذب للحركة العمرانية، وإحياء المنطقة الواسعة التي توجد فيها السوق، كما أنها تعمل على تقارب وتعارف بين الناس، وتعد موقع للقائهم، لوعود قطعوها بينهم لحل قضاياهم، وهذا بحد ذاته مظهر حضاري تمتاز به العصمة. وهناك نقوش آخر تتحدث عن الضرائب ولكن هذا خارج نطاق البحث.

وفيما يأتي نقل للقانون التجاري القتباني من لغة المسند باللهجة القتبانية استنادًا إلى قراءة كلا من "ماريا هوفنر والفرد بستون"، عن كتاب يوسف محمد عبدالله أوراق تاريخ اليمن القديم.

هكذا قضاء وشرع "شهر هلال بن يدع أب" ملك قتبان وأهل قتبان بتمنع وبرم وواديي حوكم وولد عم وحاكم تمنع وحاكم ولد عم - إن من يشتغل بالتجارة في تمنع وبرم، ومهما كانت بضاعته يجب أن يدفع ضريبة السوق في تمنع، وإن يكون مالكا لدكان في سوق شمر. وإن من يأتي الى قتبان ببضاعة.. يجب أن يمتلك دكانا حتى يحق له أن يزاول البيع والشراء في "سوق" شمر أيًا كانت قبيلته. ان من يفتح دكانا يكون من حقه أن يشترك في التجارة مع غيره من أصحاب الدكاكين، ولا يجوز لعاقل السوق أن يتدخل في ذلك. وعندما يعلن عاقل سوق شمر عن حاجته الى باعة قتبانيين متجولين بين القبائل، نظرا لانشغاله ببيع بضاعته في دكانه بسوق شمر فانه يجوز حينئذٍ لاهل قتبان أن يتاجروا على حسابهم الخاص بين القبائل.. يغرم عاقل السوق في حالة تبليغه

كل تاجر يمارس غش الاخرين خمسين قطعه ذهبية، كما يغرم المبلغ نفسه كل أجنبي يحاول أن يتجر في بلاد قتبان.

لا تسري ضريبة بيع الحبوب في عمليات البيع والشراء بين أهل قتبان، على ان أداء هذه الضريبة واجب على غيرهم، وتدفع هذه الضريبة بالعملة القتبانية بالإضافة إلى الضريبة الأساسية دفعة واحدة. يجب على كل قتباني أو معيني أو أي مقيم آخر في تمنع يؤجر بيته أو حجرة الى صاحب دكان، ان يدفع ضريبة السوق إلى ملك قتبان من بضاعة التاجر عينها.. وفي حالة كون بضاعة التاجر لا تفي بقيمة الضريبة المقررة، يجب على صاحب البيت أن يستوفي الضريبة من ماله الخاص، تحضر التجارة أياً كان نوعها من قبل دافعي الضرائب في السوق بقصد التعامل مع غير قتباني أو سفلي (من ذي سفل) حرصاً على حقوق أهل قتبان العادلة وطبقاً لما شرعه ملك قتبان. يجب على كل من يتاجر بالجملة في تمنع أن يعهد الى باعه تجزئة عند تسويق بضاعته في أرض قتبان.. تحظر التجارة "في السوق" ليلاً حتى الصباح. لملك قتبان حق الإشراف على كل بضاعة تمر في أرضه. فليدعم كل ملك هذا القانون.

وصف مدينة تمنع:

في وصف المدينة سيتم الاعتماد بصورة مباشرة على كتاب كنوز مدينة بلقيس الذي ألفه "وندل فيليبس" رئيس البعثة الأمريكية لدراسية الإنسان وهي أول بعثة علمية نقتب في الموقع عام 1950م. وكذلك على ما توفر من نتائج أعمال البعثة الإيطالية الفرنسية بالاشتراك مع فريق المتخصصين بالنقوش برئاسة كرستيان رويان في الفترة من 1999 - 2005م، في دراسة للباحث (مبارك صالح طعيمان):

على بعد عدة أقدام من البوابة الجنوبية كانت هناك بين رواسب حريق هائل كثير من الآثار، منها القدور الكبيرة، والخرز، وقطع من الأحجار المنقوشة، وأقراص من البرنز والحديد، وقطع من المرمر مع صفوف جميلة من رؤوس العنز المحفورة على المرمر، الأمر الذي يدل قطعاً على أن تمنع تعرضت إلى كارثة مدمرة لعب الحريق

فيها دورًا كبيراً⁽¹⁾ وعند جدار البوابة عثر على العديد من النقوش. وقد كان معظم هذه النقوش فرمانات سامية تذكر أسماء مختلف ملوك قتبان، ومن بينهم الملك (شاهر يجل يهرحب) يعود حكمه إلى سنة 75 قبل الميلاد⁽²⁾.

وكانت الأعمدة الكبيرة المصنوعة من الجيرانيت للبوابة قد نخرت، وعلى عمودين من الجيرانيت نقشت خمسة وعشرين سطرًا من النقوش، وعند البوابة يوجد حائط يبلغ طوله 75 قدمًا وكان الحائط مدمرًا بشكل مربع، وكان تحت الحائط يقع بئر لحفظ المياه ويمتد إلى خارج الجدار وكانت البئر مغطاة بطبقة من الجير أو المونة. وكانت البوابة متوجة ببرجين كبيرين من الحجارة غير المشذبة، حجم بعضها 2×8 قدمًا. وكان بناء البرجين من النوع الجيد، ولكنه لم يكن فنيًا على الإطلاق، الأمر الذي يوضح أن البوابة قد بُنيت قبل ازدهار الحضارة القتبانية، حيث تمت آنذاك أعمال أكثر اتقانًا من الوجه الفنية، ومن المؤكد أن البوابة لم تبنى في فترة قبل القرن الخامس قبل الميلاد ويوجد الكثير من النقوش على الحجارة التي شيد بها البرجان. كما ويوجد اخدودين رأسيين على جانبي البوابة وسقفها المعترض خصوصًا وأن بعض القطع الخشبية كانت لاتزال ظاهرة في أجزاء من دينك الأخدودين. [ربما كان هناك عمودين من الخشب يملآن الأخدودين عبارة عن دعامين للبوابة]. وعلى عمق عشرة أقدام إلى الداخل بعد البوابة الجنوبية توجد أرض مبلطة ببلاط ناعم كان مازال في مكانة في حالة جيدة تمامًا. بعد هذا الممر ساحة عامة تقع داخل بوابة المدينة، على جانبي هذه الساحة توجد مقاعد مبنية من الحجر] وهذا في رأيي مظهر من مظاهر التمدن لمدينة تمنع]. وفي الجهة الشمالية بعد الممر يوجد (بيت يفعم) هذه التسمية مكتوبة في نقشين سجلا اسم البناء واسم الملك الذي بني من أجله، وإلى الشمال من بيت يفعم يوجد بيت تبين من النقوش التي خلعت عليه اسم (بيت يفش). وفي هذا البيت عثر على الأسود المصنوعة من البرونز، وهما عبارة عن نسخة من أصل هيليني، ويرى

(1) فيليبس: كنوز، مرجع سابق، ص 105.

(2) فيليبس: المرجع نفس، ص 106.

(البرايت) أنه لا يمكن أن تكون قد نسخت قبل سنة 150 قبل الميلاد كما أوضح (البرايت)، لأن اليونانيين لم يكونوا قد صنعوا هذه التماثيل قبل ذلك التاريخ، وقد زين الملك (شهر يجل يهرجب)، البيت بهذه التماثيل.

وعبر الساحة⁽¹⁾ مقابل بيت يفش كان يوجد البيت الثاني المعروف بيت (يافاعام) (يفعم) أما سوق المدينة - والذي نقتب فيه - [ويعرف بسوق شمر] فكان يقع في وسطها إلى الجهة الغربية من المعبد والمباني الإدارية أو السكنية (الشكل: 1)، ويبدو أن اختيار موقع بناء سوق شمر كان يسهل حركة استقبال القوافل التجارية ومغادرتها، ولاشك أن المهندس قد قدر حجم القوافل التي لا بد أنها كانت كبيرة، كما جعل للسوق ثلاث بوابات: البوابة الشمالية الشرقية، والبوابة الجنوبية الغربية، والبوابة الشمالية الغربية. ثم جعل في الجنوب محلات وربما منازل أيضاً، ومثلهما في الجهة الشرقية.



الشكل رقم (1): مدينة تمنع ويظهر فيها البوابات والسور وتوسطها السوق وساحتها، ومخطط لعدد من المحلات التجارية في السوق. نقلا عن (طعيمان، تخطيط وعمارة سوق شمر)

(1) ورد في كتاب وندل فلبس عبر الساحل والصحيح عبر الساحة.

"وباتباع تخطيط سوق شمر من بداية الواصل إلى المدينة نجد أنه قد فتح عن طريق عبر البوابة الجنوبية الغربية يكتنفها برجان إلى يمين الداخل وشماله. وبعد المرور من البوابة الجنوبية يوجد طريق مبلط مرصوص يقود القادم إلى الساحة، وعند مدخل السوق عُثر على مقاعد حجرية يجلس عليها [ربما] وجها المدينة والحراس المختصين بالسوق"⁽¹⁾، [وهذا ما كشفت عنه البعثة الأمريكية أيضا] وهناك في وسط السوق تنتصب مسلة سوق شمر (اللوحة 1) التي كتب على جوانبها اسم سوق المدينة وبعض مواد القانون التجاري القتباني الشهير، والذي فصلنا بنوده سابقاً، وأهمها ضريبة سوق شمر، والتي تسمح للتاجر في الحصول على متجر أو محل، مما يدل في رأيي على أن ملكية السوق ترجع للدولة وليس للتاجر⁽²⁾.



اللوحة رقم (1): مسلة قانون سوق شمر التجاري، مع توضيح أساسات المنشآت التجارية الجنوبية وتظهر بالوسط ساحة السوق. نقلا عن (طعيمان، تخطيط وعمارة سوق شمر)

(1) طعيمان، على بن مبارك صالح: تخطيط وعمارة سوق شمر في مدينة تمنع وسوق الفاو ودورهما الاقتصادي (دراسة مقارنة)، مجلة أدوماتو، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، العدد 38 - ذو القعدة 1439هـ - يوليو 2018م ص 31.

(2) ذكر في بحث تخطيط وعمارة سوق شمر في ص 31 أن ملكية السوق كانت للتاجر.

أما التخطيط الداخلي للسوق، كما بينته البعثة الأثرية الإيطالية - الفرنسية، فقد تم الكشف عن التخطيط العام للسوق على شكل سلسلتين: الأولى تحتل الجهة الجنوبية، والثانية في الجهة الشرقية وقد أعطى مركز السوق رمزية الحرف (B) من واقع التنقيب في المدينة، وأعطى لكل منشأة تجارية (دكاكين) أحرف كالأتي: الجنوبية: (BA - BB - BC - BD - BE) أما المنطقة الشرقية فقد عرفت بالسلسلة الشرقية وتحمل الأحرف (BF - BG - BH - BI - BJ - BK)، وقد وصل عدد المنشآت الجنوبية خمس منشآت، وفي الجهة الشرقية ست منشآت تجارية، تلتقي جميع هذه المنازل مكونه زاويه مستقيمه في الموقع الجنوبي الشرقي من ساحة السوق العامة. ويفصل بين هذه المنشآت التجارية أزقه (ممرات) تمنع المرور منها واليها بالتجاه الساحة؛ ومن هنا لا يمكن الدخول الى السوق إلا عبر مدخل البوابة الشمالية الغربية، وهو مدخل واسع يتكئ على جوانب المنشآت التجارية القريبة منه،... ويؤدي الشارع العام للدخل إلى المبنى الخاص بالمعبد⁽¹⁾.

بعد هذا الوصف للتخطيط الذي كان عليه السوق، يمكن القول ان السوق كان - من قبل ظهور بناية المحلات التجارية - كان عبارة عن مساحة واسعة تستقبل القوافل، ثم بعد أن تطورت التجارة؛ وربما عندما تطورت تجارة اللبان والمر أستدعى ذلك التخطيط والتقسيم، وبناء القصور، فقد أكدت البعثة الأثرية الإيطالية - الفرنسية ما وتوصلت إليه البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان المذكورة سابقاً في الكشف عن بيت يفسح والبيوت الأخرى وأنها كانت تحيط بالسوق، ولكنها نعتهم بالقصور، وهنا نجد تبرير لاهتمام الملوك بهذه البيوت في البناء والتزيين⁽²⁾. كما أسفرت أعمال البعثة الإيطالية - الفرنسية عن قصر شعبان، وقصر وثعان، والواقعان إلى الجهة الشرقية من

(1) طعيان، على مبارك صالح: تخطيط وعمارة سوق شمر، مرجع سابق، ص 31 - 32. عن ديمجريت، روبان.

(2) راجع كتاب وندل فيلبس، ص 263 و264.

النصب الكبير (معبد أثيرت) وأن اسمه كما أوضحت النقوش يعرف بيت (يشهل) وكان مخصصًا لعبادة الآلهة أثيرت⁽¹⁾..



اللوحة رقم (2): أساسات المحلات التجارية الجنوبية من سوق شمر، وبالوسط مسلة سوق شمر تتوسط الساحة، نقلا عن (طعيمان، تخطيط وعمارة سوق شمر) وقد أسفرت أعمال البعثة الإيطالية - عن أساسات المحلات أو الدكاكين في سوق شمر والتي تميزت بالارتفاع والمتانة (اللوحة 2)، مما توحي بأنها كانت مخصصة لحمل أكثر من دور، وكان الوصول للدور الأول بواسطة سلم، وكان بين الدكاكين ممرات، على أن الدخول كان عبر البوابة الرئيسية للسوق فقط وذلك بغرض التأمين (اللوحة 3)⁽²⁾.

(1) الحاج، خلد: التنقيبات الأثرية في مدينة تمنع. هجر كحلان عاصمة مملكة قبان المكتبة العامرية

للتوثيق، موقع على الشبكة العنكبوتية.

(2) طعيمان: تخطيط عمارة، مرجع سابق، ص32.



اللوحة رقم (3): عمارة المنشآت التجارية في سوق شمر (السلسلة الجنوبية)، مع توضيح الأزقة (الممرات) بين الدكاكين. نقلا عن (طعيمان، تخطيط وعمارة سوق شمر) وفي مقبرة تمنع فإن أشهر ما عثر عليه هو رأس جميل لامرأة شابة منحوتة من رخام معرق شفاف، وكان لها خصلات من الشعر المجعد تتدلى على الطريقة المصرية وراء رأسها، ولم يفوت على الفنان أن يحلي وجهها بوضع غمازة على ذقنها، وقد أطلقوا اسم مريم على ذلك الرأس الجميل، وكان لون بشرتها اللطيف الأبيض مائلا إلى لون الكريم⁽¹⁾...

مظاهر التمدن في مدينة تمنع:

كانت مسألة التمدن محل نقاش في ثلاثينيات القرن العشرين فبرز عدد من المفكرين الغربيين الذين تحدثوا عن هذه المسألة التي تقوم على أساس الفرق بين القرية والمدينة، وعلى اختلاف آراؤهم⁽²⁾، فإن القاسم المشترك الظاهر هو تقسيم العمل. ففي القرية يسود العمل الزراعي وما يتبعه من أعمال تستلزمها الزراعة مثل طحن الحبوب ومعاملة المنتجات الزراعية المختلفة وما يتعلق بها من رعي وتجارة

(1) فيلبس، وندل: كنوز، مرجع سابق، ص 130.

(2) الشبية: دراسات، مرجع سابق، ص 190 وما بعدها.

المواشي. أما في المدينة تتنوع أوجه النشاط الاقتصادي مثل: البناء والحرف الأخرى تعدين، تجارة، نجارة، وصناعات خزفية، كتابة ونحت، وأعمال جلدية وما يسبقها من أعمال الدباغة.... إلخ. وغالبا ما يكون ذلك على أرض لها مميزات جغرافية، على خطوط المواصلات، أو على طريق تجاري، مما يؤدي إلى اجتذاب أصحاب الحرف، والمتفعين، ولهذا تكون المدن جاذبة للسكان، فتميز بالكثافة السكانية. ويرى العالم (الألماني ماكس ووبر) ان ما وصلت إليه المدينة من نمو وتنظيم إداري وسياسي واقتصاد، ما هو إلى تطور طبيعي للنشاط التجاري فيها باعتبارها السوق المركزي الذي يتوافد إليه المزارعون من القرى المجاورة.

[وهذا يعني] للمدينة حكومة أو نظام إداري للحكم فيها، هذه الصفة شرط من شروط المدينة، ولا تخلو منها أي مدينة يكون النظام الإداري فيها يعتمد على أجهزة حكم، على عكس القرى والبلدات الصغيرة التي يعتمد الحكم فيها على أنظمة اجتماعية مثل النظام العشائري أو الاتفاق بين سكان القرية⁽¹⁾.

وكانت الوركاء في العراق من أوائل الأمثلة على ذلك، ما إن تطور نظام الحكم وظهر ملك فيها حتى أصبحت مدينة كاملة عام 5200 ق.م.

وقد ميز اليمنيين القدماء في نقوشهم بين القرية والمدينة في لفظة (هجر) فقالوا هجر مارب (مدينة مارب) وهجر تمنع (مدينة تمنع)، وهكذا فعلوا في وصف بقية المدن اليمنية الأخرى... وهجر والهجرة تعني الانتقال من مكان إلى آخر، هكذا تعني، ولكن ليس مجرد انتقال وإنما الانتقال إلى مكان أمان ورقي وعمران، ومعروف الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب حيث يأمن المؤمنون على دينهم⁽²⁾. وفي اللغة: أن يخرج البدوي من باديته إلى المدينة، وهكذا فالهجر تعني تمدن الشعب دخل في مرحله الرقي الحضاري والعمران. والمدينة هي السعة في العمران، فالمدينة إذًا هي الأساس المادي للحضارة. فإلى أي مدى ينطبق على الهجر في اليمن القديم.

(1) جاين جاكوبز: موت وحيات مدن أمريكية كبرى، موقع ويكيبيديا - جوجل.

(2) الشبية: دراسات، المرجع السابق، 200.

في دراسة منشورة بعنوان (علم آثار بلا نقاش) يتحدث كاتبه عن كتاب بعنوان في (أرض مملكة سبأ)، وتحت عنوان جانبي (مجتمع بلا مدن) أشار الكاتب غياب موضوع المدن في هذا الكتاب من ضمن مواضيع غائبة أخرى.... وأشار الى أن "ر.أ. ب هاملتون" منذ العام 1938 وصف مدينة شبوة بالمقبرة أو مدينة الاموات" على أساس تفسير خاطئ لطبيعة الاساسات الحجرية المرتفعة داخل المدينة، وفي عام 1971م وعلى أثر تحليل نصي وميداني مقتضب حرم "بيستون" عدد لا يستهان به من المنشآت، مثل نقب الهجر، وتمنع وشبوة من وضعية المدن، زاعما ان هذه لم تكن سوى ملاجئ مؤقتة في حالات الهجوم⁽¹⁾.

إن كل من يكتب عن موضوع التمدن في اليمن القديم أو في أي مجتمع لا بد أن يعتمد على نتائج البعثات الأثرية، ومن حسن الحظ، توفرت الان مثل هذه النتائج فيما يخص الموضوع الذي نكتب فيه وهو التمدن في مدينة تمنع، وسوف نعتمد على النظريات المذكورة سابقا التي حددت مقومات المدينة القديمة.

فقد أسفرت أعمال البعثات الأثرية عن وجود أنظمة ري في وادي بيحان تمتد إلى مئات الأمتار مما يدل على وجود نظام إداري قادر على القيام بتنظيم مثل هذه الأعمال الاجتماعية وغيرها في عهد المكربين، وفي عصر الملوك يشير نقش جلازر 1606 إلى معلومات خاصة بالتشريع والإدارة، فقد أفرد رودوكاناكيس عنوان في كتاب تاريخ العرب القديم وهو (الدستور، التشريع، الإدارة) [في قتبان]، وأشار إلى أن تلك البلاد عرفت نظام يتكون من مجالس تمثل الشعب نيابيا. فقد كان يوجد مجلس قبلي إلى جانب العرش كما كانت تمثل القبائل المختلفة في الهيئات التشريعية المتعددة وكانت البلاد بيدها وكانت تعقد اجتماعها في العاصمة⁽²⁾.

(1) جان - فرنسوا بروتون: علم آثار بلا نقاش، حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 2003م، ص 26.

(2) دتلف، رودوكاناكيس: تاريخ العرب، مرجع سابق، ص 132 - 133.

وقد كانت نتائج البحث الأثاري تحكي عن وجود حرفيين مهرة وأن هناك حرف متعددة وأول ما يمكن الحديث عنه هو أن المدينة التي كانت محاطة بسور وله ثلاثة ابواب أشهرها البوابة الجنوبية، وتتميز بتخطيط تتوزع فيه المساكن والشوارع والمحلات التجارية والقصور والمباني التي تحيط بساحة السوق وبينها أزقة (ممرات) من الجهة الجنوبية وتلتقي مع السلسلة الشرقية على شكل زاوية مستقيمة⁽¹⁾، وإلى الشمال من هذا ينتصب بناء المعبد والذي قيل عنه أنه أكبر بناية في تمنع⁽²⁾. وكانت المباني تتكون من عدة طوابق وقد دل على ذلك ارتفاع الأساسات ومтанتها. وتضم عدة غرف، ففي بيت (يفش) الذي تملكه وفقاً لوثيقة كانت موجودة في البيت شخص اسمه (هوف عم بن ثوبيم) ذكر فيها أنه أجرى (تغييرات) كثيرة في القسم الخاص منه باستقبال الضيوف (مزودهمو) أي المجلس الذي يجلس فيه الزائرون فيتسامرون فهو نادي ذلك البيت، وكذلك في القسم المسقوف منه أي القسم الخاص بالمسكن إلى أعلى البناء⁽³⁾، وقد وجدت في البيت ثلاث غرف ممتدة إلى الجهة الشرقية للبيت. وقد وجدت في إحدى الغرف مَرايا صنعت من البرنز وصناديق محفورة منقوشة وعليها صور ورسوم⁽⁴⁾، وفي هذا البيت وجدت اسود تمنع المذكورة سابقاً وهي تحاكي في نحتها الأصل اليوناني ولكن بأيدي نحاتي تمنع.

والظاهر أن النشاط الاقتصادي المتنوع الذي كان يجري في السوق ما بين جملة وتجزئة وحرف والذي كانت تعتمد عليه المدينة قد أدى إلى ارتفاع في الكثافة السكانية بدليل وجود من غير القتبانيين، مثلاً قبائل أمير ومعينيين وآراميين ومن قبائل أخرى مر ذكرهم.

وهذه الكثافة ربما أدت إلى وجود تحديات أمام الحكومة مما حدا بها إلى إصدار ضوابط قانونية ومراسيم تضبط حركات وتعاملات الناس في المدينة ولاسيما في السوق

(1) طعيمان: تخطيط،، مرجع سابق، ص 32.

(2) فيليبس: كنوز: مرجع سابق، ص 205.

(3) جواد على: المفصل ج 2، مرجع سابق، ص 204.

(4) جواد على: المرجع نفسه، ص 226.

الذي يتوافد إليه الناس لعرض سلعهم. صحيح أنه من الصعب استخدام مصطلح كثافة سكانية في ظل غياب تعداد سكاني إلا أن كافة المؤشرات التاريخية التي ذكرناها مثل: الوافدين وموقع العاصمة، والسوق والنشاط التجاري، والقوانين وعرضها للناس في أماكن حيوية مثل مداخل المدينة والمعبد، تشفع للباحث في استخدامه.

لقد ضمت مدينة تمنع معظم مقومات المدينة: وجود تخطيط معماري للمدينة، وحكومة لها قوانينها، وسوق مركزي، ومعبد ونشاط اقتصادي متنوع، ولهذا وصفها القتبانيون في نقوشهم بهجر تمنع. فهجر الناس قراهم وهاجروا للعيش فيها لمزاياها الحياتية العديدة.

مسألة حريق هجر تمنع:

فضلت استعمال كلمة مسألة وذلك لفتح نقاش حول حريق العاصمة تمنع لوجود معلومات في كتاب كنوز مدينة بلقيس، ربما لم تسترعي انتباه المهتمين ممن قرأ هذا الكتاب، واود طرحها هنا لتأكيدا أو نفيها. فقد اختلف المهتمون بالتاريخ اليمني على مختلف درجاتهم العلمية حتى الآن حول زمن الحريق والمسبب والسبب أيضا. فمنهم من أشار إلى دولة سبأ، ومنهم من قال إن دولة حضرموت هي التي أحرقت العاصمة تمنع.

ولكن إذا تتبعنا نتائج أعمال البعثة الأمريكية في الكتاب المشار إليه سابقاً لوجدنا الآتي: أولاً إن المهاجم أحرق المدينة ولم يصن حرمة معابدها فطال الحريق الساحة الرئيسية للمعبد، مما يدل على أن المهاجم أجنبي وليس من اليمنيين لأنه ليس من عادة اليمنيين حرق المعابد في الحروب، ولم تقم هناك حرب دينية في تاريخ اليمن القديم أصلاً.

ثانياً لفت نظري وصف رئيس البعثة؛ أثناء التنقيب في معبد المدينة الذي أطلقوا عليه اسم معبد عشتار، عندما قال إن حرارة النار أذابت الصخور، وهنا أقتبس هذه الفقرة من الكتاب "وكان ما يدعو للعجب والدهشة حقا هو ان وجدت إشارات تدل على وقوع مأساة وأعمال عنف وتخريب أدت إلى خراب هذه المدينة الأثرية. ولوحظ أن

حرارة النار قد أذابت كميات ضخمة من الصخور فاختلطت ببقايا الأنقاض مكونة كتلاً متشابكة غريبة قوية حتى أنها كسرت رافعاتنا التي نستعملها في رفع الأنقاض"⁽¹⁾. فما هي هذه النار التي أذابت الصخور وكونت كتل غريبة وهل في استطاعة اليمينيين القدماء تحضير مثل هذه النار؟ فبحثت عن استخدام النار في الحروب، وعند الرومان فوجدت موضوع لأستاذ الكيمياء الفيزيائية في الجامعة الأمريكية (مازن الغول) على صفحة النت مفاده: أن القائد الروماني (آينيس) ألف كتابا في "فن الحصار" بين عامي (356 و350 ق.م)... واحتوى الكتاب فصلا عن كيفية تحضير نار عظيمة يصعب اخمادها عبر هذه الوصفة "أخلط زفت، وكبريت، وكتان، وصمغ أو لبان البخور ونشارة خشب الصنوبر ثم اشعلهم على الأهداف المعادية التي تود حرقها" وقد استخدم الرومان هذه النار في حروبهم كما بين في موضوعه.

ثالثا أشار "بيليني" إلى أن أبعد مدينة وصلها القائد (جالوس) هي مدينة كريتيا أي (حريب)⁽²⁾. وقد تبين من نتائج البعثة الفرنسية الإيطالية المشتركة (1999 - 2005م) بالتعاون مع فريق من الباحثين الفرنسيين المتخصصين في مجال النقوش برئاسة كرستيان روبان "المذكورة سابقا" التي نقبت في تمنع إن حريب هو اسم القصر الملكي في العاصمة تمنع.

رابعا قدر البروفسور [البرايت] تاريخ خراب تمنع في بادئ الأمر بحوالي السنة الخمسين قبل الميلاد. ولكنه بعد اكتشافه التمثال [تمثال السيدة برأت في بيت حدث - أحد المنازل التي كشفت عنها البعثة الأمريكية - وبجانبه قطعتين من الأواني الفخارية] عدل هذا التاريخ وجعله أقرب إلى الحقيقة... والجدير بالذكر أن الأواني الفخارية

(1) فيليبس: مرجع سابق، ص 205.

(2) PLINY'S NATURAL HISTORY. A TRANSLATION OF DR. PHILMON (2)

HOLLAND ED. 1601. VOL. II. P 152. - عطبوش، عبدالله الفيش: دور القبتانيين والسبئيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران في فشل حملة اليوس جالوس الرومانية على العربية السعيدة عام 24 قبل الميلاد، مجله دراسات تاريخية، مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية، عدن الشيخ عثمان شمسان مول، العدد الأول، 2048م، ص33.

التي وجدت إلى جانب السيدة برأت، من النوع المعروف باسم "تيرا سيجلاتا" أي (الأرض المختومة). وهو في الأصل روماني المنشأ، ثم أُدخل إلى الشرق خلال حكم اوغسطس أي في الفترة الواقعة ما بين سنة 31 قبل الميلاد وسنة 14 بعد الميلاد⁽¹⁾.
هذه المعطيات في اعتقادي فيها شيء من المنطق جعلتني أكون فكرة مؤداها أن الحريق الذي شب في مدينة تمنع ولم يقتصر على البوابة الجنوبية فقط، كان من قبل الحملة الرومانية على اليمن في العام 24 قبل الميلاد. وكانت النار هي الوسيلة الرئيسة التي اعتمدها عليها قائد الحملة في هذه الهجومات الذي أنهى المدينة الأثرية (أرض العز) وهو عنوان كتاب ألفه W.Bury أول زائر لها عام 1900م. وهي التي ذاع صيتها عند اليونان والرومان.

(1) ويندل: مرجع سابق، ص 193.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

- أسوان محمد سعيد عبد الله: تمنع - هجر كحلان (دراسة تاريخية أثرية) رسالة ماجستير - كلية الآداب، جامعة عدن، 2006م. (لم تنشر).
- باوير ج. م، أ. لوندن: تاريخ اليمن القديم جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، ترجمة أسامة أحمد دار الهمداني، عدن.
- الجرو، أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، أربد - الأردن، 1996م.
- جان - فرنسوا بروتون: علم آثار بلا نقاش، حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 2003م.
- جاين جاكوبز: موت وحيات مدن أمريكية كبرى، موقع ويكيبيديا - جوجل.
- جواد علي: المصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت.
- الحاج، خلد: التنقيبات الأثرية في مدينة تمنع هجر كحلان عاصمة مملكة قتبان المكتبة العامرية للتوثيق. موقع على الشبكة العنكبوتية
- طعيمان، على بن مبارك صالح: تخطيط وعمارة سوق شمر في مدينة تمنع وسوق الفاو ودورهما الاقتصادي (دراسة مقارنة)، مجلة أدوماتو، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، العدد 38 - ذو القعدة 1439هـ - يوليو 2018م.
- الشبية: دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، تعز، الجمهورية اليمنية، 1999م.
- عطبوش، عبدالله الفيش: دور القتبانيين والسبئيين وأتباعهم من سكان مدن الجوف ونجران في فشل حملته اليوس جالوس الرومانية على العربية السعيدة عام 24 قبل الميلاد، مجله دراسات تاريخية، مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية، عدن الشيخ عثمان شمسان مول، العدد الأول، 2048م.
- كاناكيس، رودو، وآخرون: التاريخ العربي القديم، الحياة العامة للدولة العربية الجنوبية، ترجمة فؤاد حسنين علي، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1958م.
- النعيم، نور بنت عبدالله بن علي: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية

- دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1420هـ / 2000م
- الهمداني، ابو الحسن محمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي بن حسين الأكوغ، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الجمهورية اليمنية.
 - يوسف محمد عبد الله: أوراق في تاريخ اليمن القديم، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1990م.

المراجع الأجنبية :

- O, LEARY,D.D: ARBIA BEFORE MUHMMAD, LONDON KEGAN PAULTRENCH,TRUBNER & - LO.,LTD.NEWYORK: E.P.DUTTON &COO. 1927
- PLINY'S NATURAL HISTORY. A TRANSLATION OF DR. PHILMON HOLLAND ED. 1601. VOL. II.
- STEPHEN D. RICKS: LEXICON OF INSCRIPTIONAL QATABANIAN, EDITRICE PONTIFICIO ISTITUTO BIBLICO, ROMA 1989.

الأهمية الاستراتيجية لوادي يشبم

مقدمة :



. فيصل حسين البعسي

أستاذ التاريخ والآثار القديمة المساعد
كلية التربية شبوة - جامعة عدن

عنوان البحث هو الأهمية الاستراتيجية لوادي يشبم، وسنحاول من خلاله التعرف على جوانب مهمة من تاريخ هذا الوادي العريق وآثاره، وخصائصه الجغرافية والطبيعية، وذلك بغرض تبيان الأهمية الأثرية والتاريخية لهذا الوادي، وما كان له من أدوار حيوية زراعية وتجارية وصناعية، وما كان يشكله من أهمية استراتيجية في سياسة الممالك العربية الجنوبية القديمة التي حكمت المنطقة قبل الإسلام.

وعليه يتحدد النطاق الزمني للبحث بالمدة الزمنية التي نشأت وتطورت فيها هذه الممالك والممتدة من مطلع الألف الأول قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي.

أما النطاق الجغرافي فيشمل كل الامتداد الطبيعي لوادي يشبم وروافده، وهو يمثل تقريباً ثلث المساحة الإدارية لمديرية الصعيد في محافظة شبوة، إذ يعد وادي يشبم من أهم وأكبر مديرية الصعيد، بل ومن أودية محافظة شبوة المهمة والكبيرة، ويقدر امتداد مجراه بأكثر من 22 كم، بدءاً من مدينة الصعيد جنوب شرق مدينة عتق بحوالي 40 كم، حيث تلتقي هناك أولى روافده وهي شعاب مربون وعيمنة وأربضين وضومرين ويارومة، ليمتد إلى الجنوب وإلى الجنوب الشرقي إلى أن يصب في وادي حبان عند مدينة حبان، حيث يلتقي هناك بعدد من الروافد الصغيرة ليشكل معها انطلاق وادي حبان، والذي يشكل

بدوره أهم روافد وادي ميفعة، الذي يصب في البحر العربي⁽¹⁾.

وكان وادي يشبم مع امتداده الطبيعي هذا المتمثل في وادي حبان وميفعة وهدى، إضافة إلى أودية كور العوالق الأخرى ومرخة، كانت هذه الأودية تشكل أهم ممرات القوافل التجارية المارة عبر طريق التجارة العالمي الشهير (طريق اللبان)، والذي كان يمتد من السواحل الجنوبية، ميناء قنا (بير علي حاليًا)، وميناء أحور إلى غزة في فلسطين، ومنها إلى أنحاء العالم القديم، وكانت الممالك العربية الجنوبية تعتمد في اقتصادها على ما تجنيه من ضرائب (عشور) كانت تفرضها على القوافل التجارية المارة بعواصمها ومدنها الرئيسة عبر هذا الطريق، ولذلك فقد سعى كل منها للسيطرة على هذه المنطقة، لما كانت تشكله من أهمية استراتيجية، ولما كان لها من أدوار حيوية على مختلف الجوانب الاقتصادية الزراعية والتجارية والصناعية.

وتتمحور الإشكالية الرئيسة للبحث في السؤال التالي: ما هي الأهمية الاستراتيجية لوادي يشبم والمكانة التي كان يحتلها في سياسة الممالك العربية الجنوبية التي حكمت المنطقة خلال المدة الزمنية منذ مطلع الألف الأول ق.م إلى القرن السادس الميلادي؟ وما هي الأدوار الحيوية التي اضطلع بها هذا الوادي خلال تلك المدة؟

وفي محاولتنا للإجابة على هذا السؤال فقد عمدنا إلى تقسيم الأسئلة الفرعية للبحث وفرضياته على أربعة محاور رئيسة، متبعين في كل منها مناهج البحث العلمي المناسبة وذلك كالآتي:

المحور الأول: وخصصناه لبيان الخصائص الجغرافية والطبيعية لوادي يشبم، وأثرها على الجانب التجاري والزراعي، وذلك بالاعتماد على الخرائط الجغرافية والطبوغرافية وعلى وصف تضاريس الوادي.

(1) يرى حبتور أن مسمى يشبم القديم، ربما كان يشمل كل هذا المجرى المائي، من جبال الكور إلى البحر، ويشمل ما يعرف الآن بأودية (يشبم وحبان وميفعة). حبتور، ناصر صالح يسلم: اليزينيون - موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، ط1 جامعة عدن، دار الثقافة العربية، الشارقة، 2002، ص 50، 51. وحبتور، ناصر صالح يسلم: وادي ميفعة دراسة تاريخية لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم - رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة عدن 1997 (لم تنشر) ص 80 - 71. ومواضع أخرى.

المحور الثاني: وخصصناه لبيان الأهمية الأثرية والتاريخية لوادي يشبم من خلال الآثار والنقوش والمصادر التاريخية.

المحور الثالث: وخصصناه لبيان الأهمية الاقتصادية لوادي يشبم وما كان له من أدوار حيوية في الجانب التجاري والزراعي والصناعي، بالاعتماد على تحليل ومقارنة المعلومات في المحورين السابقين.

المحور الرابع: وخصصناه لبيان الأهمية الاستراتيجية لوادي يشبم في سياسة الممالك العربية الجنوبية، بالاعتماد على تحليل ومقارنة المعلومات في المحاور السابقة. ثم اختتمنا البحث بخلاصة لأهم النتائج.

أولاً: الخصائص الجغرافية والطبيعية لوادي يشبم:

توافرت لوادي يشبم عدد من الخصائص الجغرافية والطبيعية؛ الأمر الذي ميزة داخل نطاقه الجغرافي وامتداده الطبيعي، ولعل أهم ما أكسبه أهميته الخاصة على طريق التجارة هو موقعه الجغرافي الذي جعله يتوسط أودية كور العوالق من جهة، وأودية الساحل (ميفعة وأحور وروافدهما) من جهة أخرى. إضافة إلى طبيعة تواجهه أسفل هضبة كور العوالق الوعرة، حيث يشكل امتداد مجراه في القسم الأعلى من الصعيد إلى يشبم مع امتداد وادي الشعبة الحد الشرقي لهضبة الكور، ومن هذا الحد ومن الحد الجنوبي الذي يشكله امتداد وادي رفض تنحدر الروافد الأولى لجميع الأودية المنحدرة إلى الساحل، ومن ثم كانت جميع الطرق القادمة من الساحل عبر وادي ميفعة وأحور وعبر روافدهما تنتهي عند هذين الحدين. وإلى جانب ذلك يتميز وادي يشبم بعمقه الشديد وضيق مجراه ومحدودية منافذه، إذ تحيط به الجبال العالية التي يتراوح ارتفاعها من 200 م إلى أكثر من 500 م عن سطح الوادي، ولا يزيد أقصى اتساع لمجراه عن 1 كم، وهو الأمر الذي سهل من عملية حماية ومراقبة القوافل التجارية وضمان سيرها بمجرى الوادي وعدم تهربها من الضرائب عبر طرق فرعية.

وإذا نظرنا على الخريطة الطبوغرافية سنلاحظ الموقع الاستراتيجي المهم لمدينة يشبم على طريق التجارة القديم، وهو موقع لا يختلف كثيراً عن موقع مدينة شبوة أو تمنع أو مأرب أو صرواح أو نصاب، فهي كانت تقف عند التقاء طريقين أحدهما قادم من أودية شرق الوادي مروراً بمنطقة الخنق (النقبة) صعوداً بمجرى الوادي، والآخر قادم من رفض

في الجنوب مروراً بعقبة عومر وعقبة ثبت ونزولاً بوادي الشعبة. ومن عند مدينة يشبم التي نرجح أنه كان يوجد بها مركز ضريبي⁽¹⁾ كان يتفرع هذان الطريقان إلى طريقيين آخرين: أحدهما يتجه شمالاً صعوداً بمجرى الوادي مروراً بالصعيد ووادي مقبله والمصينعة والحنك إلى نصاب، والآخر يتجه غرباً صعوداً بوادي خواو وعظمة إلى حطيب عبر عدد من الأنجد⁽²⁾. وهكذا فإن هذه الخصائص الجغرافية والطبيعية مجتمعة مكنت يشبم الوادي والمدينة من أن يقفا كبوابة رئيسة متحكممة بكل طرق القوافل القادمة إليهما من السواحل والمتفرعة منهما إلى الشمال والغرب، وهو ما جعل الممالك العربية الجنوبية تتنافس من أجل السيطرة على هذه البوابة، وجعل ملوكها يولونها اهتمامهم الخاص، كما هو واضح من خلال نقش متحف بيحان رقم "م.ب 659"⁽³⁾، وكما هو واضح أيضاً من خلال بقايا أبراج مراقبة وحماية الطرق على قمم الجبال المطلة على الوادي والروافد، ومن خلال بعض بقايا الطرق في نجد عظمة ونجد الأثمة.

ومع تميز وادي يشبم بضيق مجراه، وشدة انحداره إذ يزيد عن 2 م لكل 100 م، فإن إجمالي المساحات الزراعية على جانبيه وفي الروافد تزيد عن (300 فدان)، وهي وإن كانت مساحات صغيرة أيضاً مقارنة بأودية نصاب وميفعة؛ فإن استغلالها في ممارسة النشاط الزراعي كان أكثر كثافة وتنوعاً، وذلك بفضل المميزات المناخية التي توافرت لوادي يشبم بسبب ارتفاعه، إذ يعد أكثر أودية كور العوالق ارتفاعاً، وتنحدر القطرات الأولى لمياهه من قمم جبال حمارة 2150 م والمنارة 1970 م والحالة 1966 م عن سطح البحر⁽⁴⁾،

(1) البعسي: فيصل حسين ناصر، مستوطنات أودية كور العوالق محافظة شبوة اليمن دراسة تاريخية وأثرية، مذكرة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى المجلس العلمي لمعهد الآثار جامعة الجزائر في 19 - 5 - 2009 م، ص 196.

(2) تدل على هذه الطرق بقايا قليلة منها في الأنجد. انظر: البعسي، مستوطنات أودية كور العوالق، ص 186 - 196.

(3) لصاحبه "هوفيعم بن مقنعم بن ثجر" والذي يشير فيه إلى توليه الإشراف على بوابة يشبم "خ ل ف ن / ي ش ب م". معيراً عن شكره لملك قتيان لمنحه هذه الثقة، انظر نص النقش وترجمته في: بافقيه: محمد عبدالقادر، نقوش ودلالات، حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد السادس، عدن 1994، ص 9 - 6.

(4) انظر: خارطة المساحة العسكرية، 58 - 38 - 57 + D - 38 - Sheet D.

وهذا ما جعله يتميز بمناخ معتدل مقارنة بتطرف المناخ في الساحل والصحراء، لذلك نجد نسبة الأمطار فيه أكثر، ودرجات الحرارة أقل، ومعدلات الرطوبة النسبية تتوسط مثيلاتها في الساحل والصحراء، وهو ما كان له تأثيره الإيجابي على الجذب السكاني، وبالتالي على زيادة النشاط الزراعي وتنوعه، وعلى تناسب مواعيد زراعة المحاصيل فيه مع مواعيدها في الساحل ومواعيدها في الصحراء⁽¹⁾.

ثانياً: الأهمية التاريخية والأثرية لوادي يشبم:

تتضح الأهمية التاريخية والأثرية لوادي يشبم وأصالته الضاربة في عمق التاريخ من خلال ذكره في النقوش والكتب والمصادر التاريخية، ومن خلال البقايا الأثرية المنتشرة على جانبيه وفي الروافد.

النقوش:

ورد اسم يشبم في عدد من النقوش عشر على أربعة منها حتى الآن وهي:

1 - "إرياني 76"⁽²⁾ ويرجع إلى أواخر عصر ما قبل الميلاد.⁽³⁾ ويورد فيه لفظ يشبم هكذا "ي ش ب م ت ن"⁽⁴⁾ أي الإشابمة أو أهل يشبم، ويتحدث أساساً عن تحالف الإشابمة مع قبائل أو شعوب كل من "خولان الجديد الأحنوب والأعبوس"⁽⁵⁾ ومن الأهم من شعبي "الأبقور والشبارقة"⁽⁶⁾ واستعدادهم للتحصن ضد الأحباش الذين غزوا أرضهم.⁽⁷⁾

(1) لمزيد من المعلومات عن هذه المعدلات وأثرها على النشاط الزراعي انظر: ثابت، محمد صالح وآخرون: الدليل الزراعي محافظة شبوة، كتيب صادر عن مكتب وزارة الزراعة والري م / شبوة، بالتعاون مع قطاع التدريب والإرشاد بالهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية - عدن 55 لعام 2003، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003، ص 19 ومواقع أخرى.

(2) انظر نص النقش وترجمته وتعليقات الإرياني عليه في: الإرياني مطهر علي، في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات، ط 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990، ص 486 - 505.

(3) الإرياني مطهر، في تاريخ اليمن، ص 493.

(4) إرياني 76 السطر 2 و 3.

(5) إرياني 76 سطر 1، 2.

(6) إرياني 76 سطر 4.

(7) إرياني 76 سطر 5 و 6.

- 2- كما ورد لفظ أهل يشبم أو أبناء يشبم هكذا (ب ن و / ي ش ب م)⁽¹⁾ في نقش عثر عليه حديثاً في ثلاء عمران، يعود للقرن الثاني قبل الميلاد، ويتحدث فيه أصحابه وهم (أبي كرب، وربم، ويشبم، بنو يشبم)⁽²⁾ أنهم قد أنجزوا جميع الأعمال المتعلقة بمقبرتهم الصخرية⁽³⁾.
- 3- وورد اسم يشبم في النقش المعيني الموسوم (R 2976)⁽⁴⁾ للملك يثع أيل صدق، ويعود إلى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد تقريباً، أو القرن السادس قبل الميلاد حسب تقويم آخر⁽⁵⁾، ويشير فيه هذا الملك إلى قيامه ببناء برج أسماه يشبم هكذا: "و ب ن ي / م ح ف د ن / ي ش ب م" ويعني وبني البرج يشبم أو الحصن يشبم.
- 4- أما نقش متحف بيحان رقم "م.ب.659"⁽⁶⁾ فإن إشارته ليشبم هذه لا تقبل التأويل، حيث يشير فيه صاحب النقش "هوفيعم بن مقنعم بن ثجر"⁽⁷⁾ إلى توليه الإشراف على بوابة يشبم "خ ل ف ن / ي ش ب م"⁽⁸⁾.
- ومع أنها إشارات نقشية صغيرة فإنه يمكن الاستدلال منها على بعض الأشياء المهمة من تاريخ يشبم الوادي والمدينة خلال تلك المدة ومنها مثلاً:

(1) النقش، سطر 1 و 2.

(2) النقش، سطر 1 و 2.

(3) النقش، سطر 2 و 3 و 4.

(4) R 2976 / 4

(5) هناك خلاف حول بدء التاريخ اليمني القديم، فالإخباريون والنسابة العرب يذكرون أن حضارة اليمن موغلة في القدم، وإن اختلفوا حول مدى ذلك الإيغال. أما العلماء المحثون فتتراوح آراؤهم ما بين القرن الخامس عشر ق.م مثل (البرت جام Jamme, Albert)، والقرن الثامن والسابع ق.م مثل (هرمن فون فيسمن Wissmann, Hermann Von). بل ومنهم من يرجع أقدم النقوش المكتشفة إلى الآن إلى القرن الخامس ق.م مثل (الفرد بيستون Beeston, Alfred f.i). ويرجح يوسف عبد الله أن حضارة سبأ قد نشأت قبل الألف الأول ق.م. انظر: عبد الله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، ط2، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية - 1411هـ = 1990م، ص 202 - 200. ومواضع أخرى.

(6) بافقيه محمد عبدالقادر، نقوش ودلالات، حولية ريدان، ص 9 - 6.

(7) م.ب.659 سطر 1 و 2.

(8) م.ب.659 سطر 5 و 10.

أ - مع أن الإيراني يستبعد أن تكون يشبم هذه هي المقصودة في النقش نتيجة لبعدها عن منطقة النقش كما يقول، إلا أنه يستطرد بالقول: "ولا نعرف من المصادر والنقوش إلا يشبم التي يتحدث عنها الهمداني".⁽¹⁾ وواضح أن الإيراني قد استبعد يشبم هذه لخطأ وقع فيه عند ترجمته للنقش، حيث جعل الشابمة فرعاً من خولان الجدد مثلهم مثل الأحنوب والأعبوس، وراح يبحث عنهم بهذا الوضع. إلا أننا إذا نظرنا بتمعن للنقش نجده يورد الشابمة في وضع مختلف عن فروع خولان الأحنوب والأعبوس، وهو وضع يمكن أن يفهم منه أن الشابمة كانوا حلفاء لخولان الجدد أحنوبهم وأعبوسهم. ومن ثم ليس بالضرورة أن يكونوا في نواحي صعدة وخولان الشام حيث عثر على النقش.⁽²⁾

ب - من خلال إشارات نقشي الإيراني وثلاء نستدل على أن الشابمة أو بنو يشبم كانوا يشكلون أسرة حاكمة لكيان سياسي ربما ارتبط وجوده بوادي يشبم، فنقش ثلاء يشير إلى أنهم قد اتخذوا لهم مقبرة أسرية خاصة من نوع المقابر التي تتخذها الأسر الملكية أو الأسر الحاكمة. ونقش الإيراني يؤكد أن هذا الكيان كان يتمتع بنوع من الاستقلالية مما مكنه من عقد هذه المعاهدة دون الرجوع أو حتى الإشارة للملك أو المملكة التي يدين لها بالولاء. كما نستدل من خلال نقش الإيراني أيضاً أن هذا الكيان كان له علاقات شملت منطقة واسعة من جنوب الجزيرة العربية، وأنه كان يمتلك من أسباب القوة الاقتصادية والعسكرية ما جعل حلفاً قليلاً كبيراً مثل (خولان الجديدة) يطلب وده ويتعاهد معه ويثق في قدرته على التصدي للغزو الحبشي.

ج - يؤكد نقش الإيراني على الأهمية الاستراتيجية لوادي يشبم عسكرياً بوصفه كان يشكل خط دفاع متقدم ضد الغزو الحبشي، وحيوياً بوصفه إحدى المناطق المهمة التي استهدفها الغزو الحبشي.

د - من إشارة نقش متحف بيحان تتضح المكانة التاريخية ليشبم الوادي والمدينة، ودورهما الحضاري القديم. حيث يفهم من هذه الإشارة أن وادي يشبم كان يشكل شرياناً

(1) الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوغ - الطبعة الثالثة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1983، ص 188؛ والهمداني، الحسن بن أحمد: الإكليل ج 2 - تحقيق محمد بن علي الأكوغ، منشورات المدينة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1986م، ص 263.

(2) الإيراني مطهر، في تاريخ اليمن، ص 501.

مهمًا في شبكة الطرق التجارية القديمة،⁽¹⁾ وأن مدينة يشبم كانت بمثابة منطقة تحكم رئيسة في هذا الطريق. فالمرجح أن المقصود من "بوابة يشبم" في النقش هو الإشارة إلى "مركز ضريبي أو نقطة ضريبية" كانت تقع في مكان ما من موقع مدينة يشبم الحالية⁽²⁾.

أما الأسئلة التي لا زالت تضعها هذه النقوش مثلًا: متى ظهر اليشابمة؟ وكيف كانت نهايتهم؟ هل كانوا أقيال يدينون بالولاء لقتبان؟ أم هم أحد الأحلاف التي مهدت لظهور حمير؟ أو الحلف المشرقي؟ أو اليزينيون؟ هل تسمية البرج المعيني تيمناً بيشبم الوادي والمدينة هذه، أم أنها مجرد مصادفة؟، وإذا صح أنه تيمناً بيشبم؟ فهل يعني أن لذلك علاقة بأصل المعينيين ونسبهم إلى يشبم كموطن أول قبل انتقالهم إلى الجوف؟

المصادر الكتابية :

لم يقتصر ذكر وادي يشبم على النقوش لوحدها، بل ورد أيضًا في كتب بعض المؤرخين الإسلاميين كقول الهمداني: "يشبم واد عظيم للأيزون من حمير".⁽³⁾ وفي موضع آخر يشير إلى يشبم بأنه للأيدوع ويعده من حضر موت.⁽⁴⁾ كما ورد ذكر يشبم المدينة والوادي في مخطوطة الشبلي،⁽⁵⁾ ومخطوطة بونجمة،⁽⁶⁾ وغيرها من المخطوطات، كما ورد في الطرف الأجور للمشهور⁽⁷⁾.

(1) يشير حمزة لقمان إلى عراقه وادي يشبم الضاربة في عمق التاريخ الحضاري اليمني القديم بالقول: "وكان هناك شبكة من الطرق التجارية تخترق أرض العوالق مارة بوادي يشبم ووادي مرخة المليئين بالبقايا الأثرية الدالة على ما كانت تتمتع به هذه المنطقة من حضارة ورخاء". لقمان حمزة علي، تاريخ القبائل اليمنية، دار الكلمة صنعاء، 1985م، ص 273.

(2) البعسي: فيصل حسين، شبكة الطرق القديمة في أودية كور العوالق في اليمن محافظة شبوة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلة دورية أكاديمية محكمة، تصدر عن مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد 27 السداسي الأول، 2014، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 206.

(3) الهمداني، الصفة، ص 188.

(4) الهمداني، الإكليل، ج 2، ص 263.

(5) الشبلي، علي بن محمد حسن: مخطوطة الشبلي، مخطوطة غير محققة مصورة محفوظة في المكتبة الوطنية عدن برقم إيداع (603)، ص 7 و 8 و 14 ومواضع أخرى.

(6) بونجمة، أحمد بن محمد بانافع: مخطوطة بونجمة، مخطوطة غير محققة مصورة محفوظة في المكتبة الوطنية عدن برقم إيداع (604)، ص 15 و 20 ومواضع عديدة أخرى.

(7) المشهور، أبو بكر بن علي بن أبي بكر، الطرف الأحرور في تاريخ مخلاف أحرور، الطبعة الأولى، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، 1428 هـ، 2007 م، ص 25 و 83 و 90 ومواضع عديدة أخرى.

الأثار:

تؤكد الأهمية الأثرية والتاريخية لوادي يشبم أيضًا من خلال بقايا المواقع الأثرية التي تنتشر في مجرى الوادي وعلى جانبيه وفي روافده، والتي أحصينا منها خلال دراسات سابقة للمنطقة أكثر من 30 موقعاً⁽¹⁾، وهي وإن كانت قليلة مقارنة بأودية أخرى كضراء وعبدان مثلاً؛ فإن لكل منها أهميته الخاصة، بوصفها الشواهد المادية الدالة على عراقة هذا الوادي وأصالة إنسانه، وما كان له من مكانة وأدوار حضارية قديمة، فهي تؤكد على الاستيطان البشري المبكر للوادي، وتواصل الإنتاج الحضاري لسكانه على مر العصور، بدءًا من العصور الحجرية المبكرة التي تدل عليها بعض الكهوف والرسوم الصخرية وبقايا المستوطنات والقبور المنتشرة في كثير من مناطق الوادي، كما تدل عليها المواقد واللقى الأثرية التي يعثر عليها الأهالي على أعماق بعيدة إثر قيامهم بأعمال عمرانية أو زراعية يستحدثونها في مناطقهم، لاسيما في الشعبة وشعب معدو وحسحسة وقولة وغيرها*، ويمكن إرجاع كثير منها مبدئيًا إلى ما قبل الألف الرابع قبل الميلاد. أما في العصر البرونزي وعصر ما قبل الدويلات فتتمثل في عشرات المخربشات المنتشرة على الواجهات الصخرية في الشعاب، كما تتمثل في المواقع الأثرية المعروفة باسم (المصانع)، ومنها (حديدة البانيان أو البنيان) في شعب ساقه أعلى شعب معدو⁽²⁾. أما عصر الدويلات والممالك العربية الجنوبية فإن أفضل

(1) انظر: مخلص الجداول في: البعسي فيصل حسين ناصر، مستوطنات أودية كور العوالت، ص 119. وفي: البعسي فيصل حسين ناصر، منشآت الري في منطقة أودية كور العوالت في اليمن محافظة شبوة دراسة أثرية وتاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى المجلس العلمي لمعهد الآثار جامعة الجزائر 2 في 18 / 6 / 2014، في الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 227 و228.

(*) عرض علي كثير من اللقى وصور لعدد من المواقع التي عثر عليها على أعماق بعيدة.
(2) وهو موقع لمدينة من نوع مدن القمم الجبلية والتي تمثل مرحلة ما قبل الممالك أو ما قبل الدويلات، وترجع حسب كثير من الباحثين إلى ما قبل الألف الأول قبل الميلاد، انظر: إدريس، جمال الدين محمد: قراءة في عصور ما قبل التاريخ حول نشأة المدينة في مرتفعات اليمن الوسطى، مجلة حولية الآداب، مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب. جامعة عدن، العدد الرابع يونيو 2007م ص 281 - 294؛ ودي مغرية، اليساندرو: عصور البرونز في المرتفعات، من كتاب اليمن: في بلاد ملكة سبأ، ص 39 - 34؛ وغالب، عبده عثمان: تقرير مبدئي عن المسح والتنقيب في منطقة بدبدة، - الموسم الأول 1992م، مجلة التاريخ والآثار العدد الأول 1993م، ص 14.

المواقع الأثرية الممثلة له تتمثل في بقايا منشآت الري وبقايا الطرق والأبراج المتعلقة بالطرق التجارية، والتي تنتشر بقاياتها على قمم جبلية على جانبي الوادي وفي الشعاب، وتدل ضخامة بعض هذه المنشآت على المكانة الخاصة التي كان يتمتع بها وادي يشبم في استراتيجية تلك الدول، وربما دل كثير منها على أنها قد نفذت برعاية واهتمام من ملوك تلك الدول والممالك التي تعاقب حكمها على يشبم، لاسيما بقايا منشآت (سد المحضرة، ونقب الواسطة، وبرج القاهرة في يشبم).

ثالثاً: الأهمية الاقتصادية لوادي يشبم:

1 - الأهمية الزراعية:

وادي يشبم وادي خصب كان يجود بأفضل أنواع المحاصيل الزراعية كالقمح، والشعير، والدخن، والطهف، والذرة بأنواعها المختلفة فضلاً عن المحاصيل البستانية كالباي، والليمون، والبرتقال، والجوافة، والحمضيات بأنواعها، إلى جانب الخضروات المختلفة كالبطاطم والطماطم والبصل والباذنجان والبامية، وعلى الرغم من انخفاض نسبة إنتاج الوادي من هذه المحاصيل في الفترة الأخيرة نتيجة شح المياه وتدني منسوب الأمطار، وهو الأمر الذي عم المنطقة عموماً خلال العقود الأربعة الماضية، فإنه لا يزال من الأودية التي يعتد بها في الجانب الزراعي على مستوى محافظة شبوة، حيث لا زال يزود السوق المحلية للمحافظة ببعض المنتجات الزراعية لاسيما البصل والطماطم، إلى جانب العسل حيث يعد وادي يشبم من أهم المراعي التي يعتمد عليها النحالين في موسم العلب (السد). كما ارتبط اسم الوادي إلى وقت قريب بنوع من أجود أنواع القمح وهو (بر يشبم)، والذي قال فيه أحد الشعار:

ألا يا بن العود النجر ما هم بعينة واحد من بر يشبم وواحد حيمر دثينة

وإلى جانب ذلك كان وادي يشبم قديماً ينتج عدداً من المحاصيل التجارية كاللبان، والمر، والصبر، وغيرها من المنتجات الصمغية التي كانت تنتج في المدرجات الزراعية على ضفاف الوادي وفي الروافد، كما كان يتم جنيها من الأشجار التي كانت منتشرة بكثافة في مرتفعات الكور، وكانت تعد البضائع الأكثر رواجاً في أسواق العالم القديم، وكانت تدر على عرب الجنوب المال الوفير حين كانوا يحتكرون زراعتها وتجارها، وقد

اشتهرت منطقة أودية كور العوالق تحديداً بإنتاج أشهر أنواع اللبان والمر وهما (اللبان الأوساني والمر الأوساريتي)، ولا زالت أشجار المر تنتشر في جبال الكور اليوم وإن كانت بأعداد قليلة.

وما كان لوادي يشبم أن ينتج تلك المنتجات ويكتسب تلك الأهمية الزراعية قديماً لولا أنه كان يتمتع بالعديد من المشاريع الزراعية والإروائية، وهي مشاريع يمكن الاستدلال على بعض منها من خلال بقاياها المنتشرة اليوم على طول امتداد الوادي وفي الروافد، حيث أحصينا منها في دراسة سابقة أكثر من 7 موقع⁽¹⁾ وهي: (نقب الواسطة، وقيد الصوفي، وقيد الخبة، وقيد الحجل، وسد المحضرة، وسدود شعب، وقيد عظمة)، وهي بقايا تدل على أنها كانت تمثل أجزاء من مشاريع ري ضخمة ومتينة ومتقنة، والمرجح أنها قد نفذت بإمكانيات دولة، وربما حظيت برعاية خاصة من ملوك تلك الدول لاسيما سد المحضرة والذي نرجح أنه يعود إلى العهد القتباني أي إلى الفترة ما بين القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي.

كما تتأكد الأهمية الزراعية لوادي يشبم قديماً أيضاً من خلال المساحات الزراعية المنتشرة على ضفتيه وفي الروافد، وهي في الغالب من نوع المساحات المحمية بجدران والتي تتخذ شكل المدرجات في مناطق محمية طبيعياً على ضفتي الوادي، والمرجح أن المساحات المستغلة إلى اليوم هي المساحات القديمة نفسها، وأن منشآت الري التابعة لها هي المنشآت القديمة نفسها مع بعض التعديلات التي حدثت لها على مر السنين، ومن خلال الإرساب الطيني فإنه يمكن إرجاع كثير منها إلى فترة سابقة لعصر الممالك العربية الجنوبية. وعلى العموم فقد ثبت لدينا في دراسة سابقة أن وادي يشبم ومنطقة أودية كور العوالق عموماً قد عرفت النشاط الزراعي على الأقل منذ مطلع الألف الرابع قبل الميلاد حين بدأت المنطقة تشهد انحسار تدريجي للهطل في أواخر الألف الخامس قبل الميلاد⁽²⁾.

ومع أن نسبة قليلة من تلك المساحات الزراعية تعتمد في ريها اليوم على الآبار والري المكيني لاسيما في زراعة بعض المحاصيل البستانية، ونسبة ضئيلة منها كانت قديماً تعتمد على الري الغيلي عبر العيون والينابيع والتي جفت حالياً، فإن أغلبها اليوم يعتمد

(1) للمزيد من التفاصيل عن هذه المنشآت انظر: البعسي، منشآت الري، ص 232 - 242.

(2) البعسي، فيصل حسين، منشآت الري، ص 265.

على الري السيلي، حيث تصب في مجرى وادي يشبم عدد من الشعاب الفرعية، والتي يصنفها الأهالي منذ القدم وحتى اليوم إلى قسمين رئيسيين حسب مصادر مياهها وهي:

شعاب الكور: أي الشعاب المنحدرة من جبال الكور وهي من الأعلى إلى الأسفل: (مربون و عيمنة والسيح وعظمة وخواو والشعبة)، وهي شعاب تتميز بعمقها وشدة انحدارها وطول امتدادها، كما تتميز باتجاهها المعاكس لامتداد وادي يشبم من الصعيد إلى يشبم، حيث تنحدر باتجاه الشمال إلى أن تصب في مجرى الوادي الذي يتجه جنوبًا.

شعاب القاع: ويقصد بها الشعاب المنحدرة من جبال الرزمة وجبال حنط، وهي أقل انحدارًا وأقل عمقًا من شعاب الكور وأهمها: (ضومرين وأربضين وثمدة وحسحسة ويرخة وحباب وسقام وروي وشعب معدو)، وجميعها تنحدر من جبال الرزمة، ثم ضبعة، ويمرأة، وقللاوة، ودبي، وتنحدر من جبال حنط.

وتتميز شعاب القاع لاسيما شعاب أسفل الوادي مثل شعب معدو وقللاوة ودبي بتعقيد نسبي في تراكيبيها الصخرية، فإلى جانب صخور القاعدة وصخور الجرانيت باللون الأحمر والأسود وهي الصخور التي تميز جبال المنطقة عموماً؛ فإننا نجد في هذه الشعاب بعض التكوينات الكلسية وذلك باعتبار أن هذه الشعاب تمثل منطقة فصل بين جبال الضلعة الكلسية وجبال الكور.

2 - الأهمية التجارية :

تؤكد الأهمية التجارية لوادي يشبم قديماً من خلال النقوش والآثار، ومن أهم النقوش في هذا الجانب النقش القتباني المحفوظ في متحف بيجان تحت رقم "م.ب 659"⁽¹⁾ ويشير فيه صاحبه "هوفيعم بن مقنعم بن ثجر"⁽²⁾ إلى توليه الإشراف على بوابة يشبم "خ ل ف ن / ي ش ب م".⁽³⁾ ورغم أنها إشارة نقشية صغيرة، إلا أنها مهمة في توضيح المكانة التاريخية ليشبم الوادي والمدينة، ودورهما الحضاري القديم. حيث يفهم من هذه الإشارة أن وادي يشبم كان يشكل شريان مهم في شبكة الطرق التجارية القديمة،⁽⁴⁾ وأن مدينة يشبم

(1) انظر: بافقيه، نقوش ودلالات، حولية ريدان، ص 9 - 6.

(2) م.ب 659 سطر 1 و 2.

(3) م.ب 659 سطر 5 و 10.

(4) يشير حمزة لقمان إلى عراقة وادي يشبم الضاربة في عمق التاريخ الحضاري اليمني القديم بالقول: "وكان هناك شبكة من الطرق التجارية تخترق أرض العوالق مارة بوادي يشبم ووادي مرخة المليئين

كانت بمثابة منطقة تحكم رئيسة في هذا الطريق، والمرجح أن المقصود من "بوابة يشبم" في النقش هو الإشارة إلى "مركز ضريبي أو نقطة ضريبية" كانت تقع في مكان ما من موقع مدينة يشبم الحالية⁽¹⁾.

وتؤكد الأهمية التجارية أيضًا من خلال الأبراج الخاصة بمراقبة وحماية الطرق التجارية المنتشرة بقاياها اليوم على قمم جبلية مطلة على مجرى الوادي وفي الروافد، ومنها "برج الضلعة في رأس عرقوب الضلعة، ونعتقد أنه كان يتولى حماية ومراقبة القوافل التجارية القادمة من وادي حبان والوجاء وشعاب حبان الأخرى، وضمان مرورها عبر مجرى الوادي وعدم تهربها عبر طرق فرعية، ومنها برج (يمراة) والمرجح أنه من نوع أبراج المراقبة لضمان عدم تسرب القوافل عبر طرق فرعية إذ يقع على قمة جبلية في وسط شعب يمراة يمين مدينة السفال بحوالي 2 كيلومتر، ومثله برج (صنعة) في شعب دبي، ومنها برج (الخيال) التي لازالت بقاياها على القمة الجبلية عند منفذ شعب السيح، وكذا برج (نقمان) عند منفذ وادي الشعبة، وبرج (القاهرة) وهو أكبرها وتقع بقاياها فوق مدينة يشبم الحالية، وبرج (قرن معبر) والذي كانت بقاياها قائمة إلى فترة قريبة هناك لاسيما جوابي المياه، وبرج (ثويران) في شعب خواو عند مطرح أهل مقيدة اليوم، والمرجح أن الأبراج الأربعة الأخيرة هي نفسها الأبراج الأربعة التي يشير إليها نقش متحف بيحان "أربع ن / ك س وت ن / ذ ت ي / ش أم / وي م ن"⁽²⁾، أي الأبراج الأربعة ذات الشمال وذات اليمين، والتي يبدو أنها كانت تتولى مراقبة وحماية الطريق التجارية المارة بالوادي⁽³⁾.

وكان سوق مدينة يشبم إلى وقت قريب - مطلع سبعينيات القرن الماضي - يعد من أهم أسواق المنطقة، وكان ولازال السوق الأسبوعي في يشبم يقام يومي الخميس والجمعة، حيث يتوافد رواد السوق من مختلف المناطق لعرض بضائعهم ولشراء متطلباتهم، ويزداد أعداد رواد السوق في شهر رمضان وفي الأسواق الموسمية مثل سوق عرفة (جلبة عرفة)

بالبقايا الأثرية الدالة على ما كانت تتمتع به هذه المنطقة من حضارة ورخاء". لقمان حمزة علي، تاريخ القبائل اليمنية، ص 273.

(1) البعسي فيصل حسين، شبكة الطرق القديمة، ص 206 وص 301.

(2) م.ب 659 سطر 7 و 8 و 9.

(3) البعسي فيصل حسين، شبكة الطرق القديمة، ص 206. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الأبراج. انظر:

البعسي فيصل حسين، مستوطنات أودية كور العواتق، ص 187 - 197.

ومثل (مولد الشيخ عبيد)، حيث كان يحضر التجار والباعة والمشترون من مناطق بعيدة مثل أحور ونصاب وحطيب وجردان ومختلف مناطق المديرية الجنوبية، بل ومن مناطق أبعد في كثير من الأحيان. وذلك قبل شق الطريق الإسفلتي (معين - المكلا) في عام 1973م والذي حول الطريق الرابط بين حضرموت وعدن عن وادي يشبم مما جعله يفقد جزءاً كبيراً من أهميته وحيويته.

3 - الأهمية الصناعية :

خلال دراسة سابقة للوادي عثرنا على كوم أحجار يظهر عليها بقايا قليلة من خبث الحديد، وذلك في موقع (المخزابة) إلى الشرق من مدينة يشبم بحوالي 1 كم، وفي زيارة حديثة للموقع لاحظنا وجود بقايا لعدد من المباني التي يرجح أنها بقايا أفران تعدين، كما يحدثني الأهالي عن عدد من المواقع الأخرى التي يوجد بها بقايا خبث الحديد في الشعبة والصعيد وغيرها من المناطق، مما يدل على ممارسة صناعة التعدين في وادي يشبم قديماً على نطاق واسع، وهي مواقع يمكن إرجاعها إجمالاً إلى الفترة الزمنية على الأقل القرن الرابع الميلادي، نظراً لما عرف عن الزينيين من نشاط في هذا المجال. وإلى فترة قريبة كانت مدينة يشبم مركزاً لكثير من الصناعات والحرف التقليدية من الحياكة والصياغة والحدادة والنجارة والبناء.

رابعاً: الأهمية الاستراتيجية لوادي يشبم:

ورد اسم يشبم في عدد من النقوش (ي ش ب م) وهو اسم مشتق من الجذر (ش ب م)، والذي من اشتقاقاته أيضاً شبام بكسر أوله: وهي خشبة أو عود يعرض في فم الجدي لثلاث يرضع أمه، حيث يقال: شبم الراعي الجدي: أي جعل الشبام في فمه لكيلا يرضع من أمه. والمرجح أن لمسمى يشبم بهذا المعنى علاقة بالطرق التجارية القديمة بما يعني يشبم الطرق التجارية أي حاكمها وبوابتها الرئيسة، وهو مسمى يتناسب مع طبيعة تواجد كل من الوادي والمدينة بغض النظر عن أيهما حمل الاسم أولاً وأيهما ينسب إلى الآخر⁽¹⁾،

(1) الخلاف حول نسب أحدهما للآخر سيقى جدلي ومن الصعب حسمه، وهذا لا يقتصر على وادي يشبم فقط بل معظم الأودية، ورغم ذلك يرى المشهور أن الوادي سمي بالمدينة التي يقول عنها أيضاً: وهي أقدم وأشهر مدن بلاد العواتق، كانت عاصمة بلاد العواتق، وكانت تسمى (كحيل) وكان يطلق على وادي يشبم (وادي كحيل). المشهور، الطرف الأحور، هامش، ص 91.

فإذا نظرنا إلى موقع الوادي نجده في الأسفل يقف كبوابة تلتقي عنده معظم الطرق القادمة من السواحل الجنوبية عبر وادي حبان وهدى وكل الطرق القادمة من بير علي إلى أحور، وفي الأعلى عند مدينة يشبم الحالية تتفرع الطرق المتجهة إلى الشمال، وكان وادي يشبم بمثابة البوابة المتحكممة في هذه الطرق. أما يشبم المدينة فقد كانت أيضًا تقع بين مفترق طريقين، مثلها مثل شبوة وشبام حضرموت وشبام الغراس وشبام كوكبان... إلخ، وكانت تتحكم في هذين الطريقين الذين كانا يصلان إليها من الموانئ الجنوبية أحدهما عبر مجرى الوادي نفسه والآخر عبر وادي الشعبة. وربما يؤكد هذه الحقيقة نقش متحف بيحان المسجل برقم "م.ب 659"⁽¹⁾ والذي يتحدث فيه صاحبه "هوفيعم بن مقنعم بن ثجر"⁽²⁾ إلى توليه الإشراف على بوابة يشبم "خ ل ف ن / ي ش ب م".⁽³⁾ ويرجح ما ذهبنا إليه من تفسير للفظ يشبم؛ أن يشبم الوادي والمدينة كانا يشكلان بوابة متحكممة في شبكة الطرق التجارية القديمة⁽⁴⁾.

لا نعرف بالتحديد متى حمل وادي يشبم هذا الاسم، فأقدم النقوش التي جاء فيها ذكر يشبم هو نقش R 2976 للملك المعيني أيل صدق حوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، أو منتصف القرن السادس حسب تقويم آخر⁽⁵⁾، ومع ذلك فمن المؤكد أن وادي يشبم كان منذ قبل القرن السابع قبل الميلاد ضمن أراضي مملكة أوسان التي امتد نفوذها في تلك الفترة من ميناء قنا (بئر علي حاليًا) في الشرق إلى الحجرية غربًا، ومن سواحل البحر العربي وخليج عدن جنوبًا إلى حدود مملكة قتيان (وادي بيحان) شمالًا، وكان وادي يشبم أحد الأودية المهمة التي اعتمد عليها الأوسانيون في سبيل تحقيق نهضتهم الزراعية والتجارية. ورغم أن الملك السبئي (كرب إيل وتر) لم يذكر وادي يشبم صراحة

(1) انظر: نص النقش وترجمته في: بافقيه، نقوش ودلالات، حولية ريدان، ص 9 - 6.

(2) م.ب 659 سطر 1 و 2.

(3) م.ب 659 سطر 5 و 10.

(4) يشير حمزة لقمان إلى عراقة وادي يشبم الضاربة في عمق التاريخ الحضاري اليمني القديم بالقول: "وكان هناك شبكة من الطرق التجارية تخترق أرض العوالق مارة بوادي يشبم ووادي مرخة المليئين بالبقايا الأثرية الدالة على ما كانت تتمتع به هذه المنطقة من حضارة ورخاء". لقمان حمزة علي، تاريخ القبائل اليمنية، ص 273.

(5) البعسي فيصل حسين، شبكة الطرق القديمة، ص 206

في نقش صرواح الكبير الموسوم بـ (RES 3945) و "GL 1000"،⁽¹⁾ والذي يرجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، ويتحدث أساسًا عن غزوات هذا الملك على أراضي أوسان، بعد أن تحالف مع كل من قتبان وحضرموت، فإنه قد ذكر أودية أخرى محيطة يشبم وقريبة منه مثل غبدان وحبان وجردان⁽²⁾، وغيرها من المناطق التي جاء ذكرها في نقش صرواح الكبير كمناطق أوسانية غزاها هذا الملك السبئي. كما أن الثابت في حملات كرب إل وتر على أوسان أنها استهدفت وادي يشبم وامتداده الطبيعي المتمثل في أودية كور العوالق الأخرى وحبان وميفعة وهدى ومرخة باعتبار هذه الأودية كانت تشكل أهم ممرات الطرق التجارية، وكان هدف السيطرة عليها من أهم أهداف الحملة، ومن أهم أسباب ذلك الصراع. ويبدو أن الصراع في الأساس قد جاء على إثر محاولة أوسان حرمان مراكز هذه الدول الثلاث من طريق التجارة، وبعدها عملت على تحويله إلى الهضبة مرورًا بهذه الأودية، وهو المشروع الذي نجحت فيه حمير لاحقًا في حوالي 115 ق.م.

ويفهم من سياق الحديث في نقش صرواح الكبير أن وادي يشبم والمنطقة عمومًا كانت ضمن أراضي قتبان قبل أن يمتد إليها النفوذ الأوساني، حيث يتحدث عن استعادة أراضي حضرموت وقتبان التي سيطرت عليها أوسان⁽³⁾.

ولا نعرف بالتحديد كم استمر النفوذ السبئي على يشبم والمنطقة عمومًا بعد حملة كرب أيل وتر في القرن السابع ق.م، وقبل أن يتم إعادته إلى قتبان التي امتد نفوذها بعد ذلك ليشمل معظم الأراضي الجنوبية من بير علي شرقًا إلى باب المنذب غربًا، ومن حريب شمالًا إلى الحجرية في الجنوب الغربي، وقد كان وادي يشبم من أهم المناطق التي اعتمد عليها القتبانيون في سبيل نهضتهم الاقتصادية الزراعية والتجارية، وهذا ما يتأكد من خلال

(1) RES 3945 / 9.

(2) بریتون جان فرانسوا وبافقيه محمد عبدالقادر وآخرون: كنوز وادي ضراء، حفرة إنقاذ مشتركة في موقع هجرام ذبيبية، من الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف، فرع عدن، المركز اليمني سابقًا والبعثة الأثرية الفرنسية في اليمن، المكتبة الشرقية بول غوثنر، باريس، 1993م. ص 5.

(3) نقش صرواح الكبير- سطر 9، وراجع النقش وترجمته في: العمري حسين عبد الله، ومطهر الإيراني، ويوسف محمد عبد الله، في صفة بلاد اليمن عبر العصور، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط 1، صنعاء، 1992، ص 17 - 11.

نقش متحف بيحان م.ب.659"، ومن خلال بقايا الأبراج على جانبي الوادي وفي الروافد، كما يتأكد من خلال بقايا منشآت الري الضخمة لاسيما القيود الأرضية وسد المحضرة والذين يبرز عليهما الطابع القتباني⁽¹⁾. وقد استمر النفوذ القتباني على وادي يشبم والمنطقة عمومًا إلى القرن الثاني قبل الميلاد، حينها شهدت قتبان مرحلة ضعف مجهولة الأسباب إلى الآن، أدى إلى فقدانها كثير من المناطق في الجنوب. وخلال المرحلة القتبانية لا شك أن وادي يشبم بحكم قربه من حدود مملكة حضرموت قد شهد ما شهدته أراضي قتبان الأخرى من غزوات ملوك حضرموت بدءًا من الحملة التي شنتها حضرموت على أراضي قتبان في عهد مكرب قتبان يدع أب ذبيان يهنعم بن شهر ملك قتبان وولد عم وأوسان ودهسم وتبنو.⁽²⁾ حوالي القرن الرابع ق.م،⁽³⁾ ومرورًا بالقرن الأول الميلادي الذي استطاعت فيه دولة حضرموت أن تغزو قتبان وتهدم عاصمتها تمنع، وتدمر قصرها المسمى (حريب) أو (حرب)، وانتهاءً بالعام 175م الذي أصبحت فيه قتبان جزءًا من دولة حضرموت، كما شهدت المنطقة نفوذًا حضرميًا آخر في حوالي عام 230م⁽⁴⁾.

ويبدو أيضًا أنه خلال الفترة القتبانية هذه ظهر (اليشابمة) أو (بنو يشبم) والذي يشير إليهم النقشيين (الإرياني 76 وثلثاء)، وهي إشارتين توحى بوجود أسرة حاكمة لكيان سياسي ارتبط وجوده بوادي يشبم، وربما كان مركزه في وادي يشبم، والمرجح أن اليشابمة كانوا حكام محليين يدينون بالولاء للملك القتباني، ولعلهم في فترة ضعف قتبان في القرن الثاني قبل الميلاد استطاعوا أن يستقلوا بحكم يشبم. وفي عصر اليشابمة الذين لا زلنا نجهل حتى الآن إلى متى استمر حكمهم تعرض وادي يشبم للغزو الحبشي في أواخر القرن الأول قبل الميلاد مما اضطرهم إلى التحالف مع خولان الجديدة حسبما يشير

(1) البعسي، فيصل، منشآت الري، ص 239.

(2) نقش ضراء 1، سطر 1, 2, 3، Pirenne.J: Deux Prospections Au Sud Yémen.Pp, 227,228

(3) بريتون وآخرون، كنوز وادي ضراء، ص 9.

(4) بيرين جاكين، استطلاع تاريخي في منطقة مملكة أوسان، حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد الثالث، عدن، 1980م، ص 78.

- Robin. Chr. J : Suppement, P11.38

وبريتون وآخرون، كنوز وادي ضراء، ص 7.

نقش (إرياني 76)، وربما تؤكد هذا الغزو أيضاً المخربشات الصخرية المنتشرة في الوادي وروافده والتي ستكون موضوع أحد بحوثنا القادمة - إن شاء الله - وهي مخربشات يحتوي كثير منها على حروف وعبارات باللغة الحبشية. وفي القرن الرابع الميلادي انضوى وادي يشبم تحت لواء الإمارة الزينية التي أسسها ملشان أريم الزيني وبنيه في وادي عبدان واتخذوا من مدينة عبدان عاصمة لهم وأسسوا فيها قصرهم يزأن على قمة (جبل حنة حالياً)، وذلك في حوالي 355م⁽¹⁾ وقد امتد نفوذ الزينيين بعد ذلك ليشمل معظم أراضي الجنوب، وكان وادي يشبم من أهم المناطق التي اعتمد عليها الزينيون في سبيل النهوض بدولتهم واقتصادهم، وهو ما تؤكدُه البقايا الأثرية التي يمكن نسبتها بوضوح إلى هذه الفترة لاسيما منشآت الري، بل ومن المرجح أن وادي يشبم كان أحد معاقل الزينيين المهمة، واحد مراكز الثقل السياسي في هذه الدولة، يرجح ذلك الذاكرة الجمعية لسكان الوادي اليوم والذين يتفاخرون بنسبهم للملوك الزينيين، وهو ما تؤكدُه إشارات كل من بو نجمة⁽²⁾ والشبلي⁽³⁾ والذين يشيران في مواضع عديدة من المخطوطتين إلى نسب قبائل أهل علي بن أحمد التي تسكن الوادي اليوم إلى الملوك الزينيين، وهو ما أشار إليه المشهور أيضاً في الطرف الأحر⁽⁴⁾، كما يمكن أن نستدل على ذلك ضمناً من إشارات الهمداني حيث يقول عند ذكر وادي يشبم في الصفة: "يشبم واد عظيم للأيزون من حمير"⁽⁵⁾. وفي الإكليل الجزء 2: يشير إلى يشبم بأنه للأيدوع ويعده من حضرموت⁽⁶⁾. كل ذلك يؤكد المكانة المهمة التي كان يحتلها وادي يشبم في استراتيجية الدولة الزينية، وذلك قبل أن تخضع المنطقة برمتها لمملكة حمير في عهد ملوكها العظام (التبابعة) ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم طودا وتهامة، وهو العهد الذي دشنته الملك شمر يهرعش بن ياسر يهنعم في القرن الرابع الميلادي، ليشمل حكمهم بعد ذلك كل

(1) حبتور، الزينيون، ص 158.

(2) بو نجمة. المخطوطة، ص 15 و 20 ومواضع عديدة أخرى.

(3) الشبلي، المخطوطة، ص 7 و 8 و 14 ومواضع أخرى.

(4) المشهور، الطرف الأحر، ص

(5) الهمداني، الصفة، ص 188.

(6) الهمداني، الإكليل، ج 2، ص 263.

اليمن ومناطق واسعة من الجزيرة العربية، ويستمر إلى دخول المنطقة في الدين الإسلامي الحنيف في القرن السادس الميلادي. ورغم هذا التوسع الحميري فقد بقي وادي يشبم وامتداده الطبيعي والمتمثل في أودية كور العوالق الأخرى ووادي ميفعة وحبان وهدى محتفظاً بأهميته الاستراتيجية في سياسة مملكة حمير، يتضح ذلك من خلال ما وصلنا من أخبار الثورة الشعبية التي قادها أمراء حمير الأحرار ضد الوجود الحبشي إثر مقتل الملك الحميري ذي نواس على يد الجيش الحبشي في سواحل تهامة في القرن السادس الميلادي، حين اتخذ الحميريون هذه المنطقة مركزاً لثورتهم، واتخذوا من جبالها الوعرة حصوناً انطلقوا منها لتحرير كامل اليمن.

وختاماً بقي الإشارة إلى علاقة لا زالت مبهمة حتى الآن بين وادي يشبم ومملكة معين، ومع أن الإشارات الدالة عليها قليلة حتى الآن؛ فإن وضعها مع مقاربات أخرى قد ترجح ما يذهب إليه البعض من تحديد وادي يشبم بوصفه الموطن الأول للمعنيين، وهذا ما سيكون موضوع أحد بحوثنا القادمة - إن شاء الله - وما نتمنى أن ينال اهتمام الباحثين في إطار اهتمامهم بكشف العلاقة المبهمة أيضاً بين حضرموت ومعين.

الخلاصة

تتضح الأهمية الاستراتيجية لوادي يشبم من خلال ذكره في النقوش والمصادر التاريخية، ومن خلال البقايا الأثرية على جانبيه وفي الروافد، فهي الشواهد المادية الدالة على عراقة هذا الوادي الضاربة في عمق التاريخ، وما كان له من أدوار حيوية، ومكانة خاصة في سياسة الدول العربية الجنوبية التي حكمت المنطقة قبل الإسلام.

وقد اكتسب وادي يشبم أهميته على طريق التجارة من خلال موقعه المتوسط بين أودية كور العوالق من جهة، وأودية الساحل (ميفعة وأحور) وروافدهما من جهة أخرى، إلى جانب طبيعة تواجده أسفل هضبة كور العوالق الوعرة، وضيق مجراه ومحدودية منافذه، مما مكنه من أن يقف كبوابة متحركة في شبكة الطرق التجارية التي كانت تخترق المنطقة، ووفرت له خاصية الارتفاع مميزات مناخية كان لها الأثر الأكبر على كثافة وتنوع النشاط الزراعي فيه. وباجتماع الأهمية التجارية مع الأهمية الزراعية كان وادي يشبم محط أطماع الدول والكيانات السياسية والعسكرية التي تصارعت

من أجل السيطرة عليه وعلى امتداده الطبيعي لما لهذه المنطقة من أهمية استراتيجية وأدوار حيوية، ولذلك تعاقب نفوذها على وادي يشبم، حيث كان إحدى مناطق أوسان المهمة قبل القرن السابع ق.م، ثم أصبح تحت النفوذ القتبانى منذ القرن السابع إلى الثانى ق.م، ثم النفوذ اليزنى فى القرن الرابع الميلادى، فالحميرى إلى القرن السادس الميلادى. وخلال تلك الفترة كلها شهدت المنطقة النزاع السبئى - الأوسانى فى القرن السابع ق.م، وكانت من أهم مناطق ذلك النزاع، ثم الصراع الحضرمى - القتبانى فى القرنين الخامس ق.م، والثالث الميلادى، ثم الصراع الحميرى - الحضرمى فى القرن الرابع م، وكانت أيضاً من المناطق التى استهدفها الغزو الحبشى قبيل الميلاد، ومن المناطق التى تحصّن بها الثوار الحميريون فى القرن السادس الميلادى، والتى انطلقوا منها لخوض حروب التحرير ضد الأحباش.

المراجع

- 1 - إدريس: جمال الدين محمد، قراءة في عصور ما قبل التاريخ حول نشأة المدينة في مرتفعات اليمن الوسطى، مجلة حولية الآداب، مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب. جامعة عدن، العدد الرابع يونيو 2007 م.
- 2 - الإرياني: مطهر علي، في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات، ط 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990.
- 3 - بافقيه: محمد عبدالقادر، نقوش ودلالات، حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد السادس، عدن 1994.
- 4 - بريتون جان فرانسوا وبافقيه محمد عبدالقادر وآخرون: كنوز وادي ضراء، حفريات إنقاذ مشتركة في موقع هجر ام ذيبية، من الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف، فرع عدن، المركز اليمني سابقاً والبعثة الأثرية الفرنسية في اليمن، المكتبة الشرقية بول غوثر، باريس، 1993 م.
- 5 - البعسي: فيصل حسين، شبكة الطرق القديمة في أودية كور العوالق في اليمن محافظة شبوة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلة دورية أكاديمية محكمة، تصدر عن مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد 27 السداسي الأول، 2014، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
- 6 - البعسي: فيصل حسين ناصر، مستوطنات أودية كور العوالق محافظة شبوة اليمن دراسة تاريخية وأثرية، مذكرة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى المجلس العلمي لمعهد الآثار جامعة الجزائر في 19 / 5 / 2014 م.
- 7 - البعسي: فيصل حسين ناصر، منشآت الري في منطقة أودية كور العوالق في اليمن محافظة شبوة دراسة أثرية وتاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى المجلس العلمي لمعهد الآثار جامعة الجزائر 2 في 18 / 6 / 2014، في الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
- 8 - بونجمة: أحمد بن محمد بانافع، مخطوطة بونجمة، مخطوطة غير محققة مصورة محفوظة في المكتبة الوطنية عدن برقم إيداع (604).

- 9 - بيرين جاكلين: استطلاع تاريخي في منطقة مملكة أوسان، حولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد الثالث، عدن، 1980 م.
- 10 - ثابت: محمد صالح وآخرون، الدليل الزراعي محافظة شبوة، كتيب صادر عن مكتب وزارة الزراعة والري م/ شبوة، بالتعاون مع قطاع التدريب والإرشاد بالهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية - عدن 55 لعام 2003، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003.
- 11 - حبتور: ناصر صالح يسلم، وادي ميفعه دارسه تاريخيه لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم - رسالة ماجستير مقدمه إلى مجلس كلية الآداب جامعة عدن 1997 (لم تنشر).
- 12 - حبتور، ناصر صالح يسلم: اليزنيون - موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، ط 1، جامعة عدن + دار الثقافة العربية، الشارقة، 2002.
- 13 - خارطة المساحة العسكرية، 58 - 38 - D - 38 - 57 + D - 38 - Sheet D.
- 14 - دي مغرية: اليساندرو، عصور البرونز في المرتفعات، من كتاب اليمن: في بلاد ملكة سبأ.
- 15 - الشبلي: علي بن محمد حسن، مخطوطة الشبلي، مخطوطة غير محققة مصورة محفوظة في المكتبة الوطنية عدن برقم إيداع (603).
- 16 - عبد الله: يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات - ط 2 - دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية - 1411 هـ = 1990 م.
- 17 - العمري: حسين عبد الله، ومظهر الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، في صفة بلاد اليمن عبر العصور، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط 1، صنعاء، 1992.
- 18 - غالب: عبده عثمان، تقرير مبدئي عن المسح والتنقيب في منطقة بدبدة، الموسم الأول 1992 م، مجلة التاريخ والآثار العدد الأول 1993 م.
- 19 - لقمان: حمزة علي، تاريخ القبائل اليمنية، دار الكلمة صنعاء، 1985 م.
- 20 - المشهور: أبوبكر بن علي بن أبي بكر، الطرف الأحرور في تاريخ مخلاف أحرور، الطبعة الأولى، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، 1428 هـ 2007 م.

21 - الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب - تحقيق محمد بن علي الأكوغ - الطبعة الثالثة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1983.

22 - الهمداني: الحسن بن أحمد: الإكليل ج2 - تحقيق محمد بن علي الأكوغ - منشورات المدينة - دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت 1986 م.

Pirenne.J: Deux Prospections Au Sud Yémen - 23

,Robin. Chr. J : Suppement - 24

25 - نقش إرياني 76.

26 - نقش ثلاء.

27 - نقش صرواح الكبير.

28 - نقش ضراء 1.

29 - نقش م.ب 659.

30 - نقش R 2976

31 - نقش RES 3945

التشريعات القتبانية صورة للتطور الحضاري في تاريخ جنوب الجزيرة العربية القديم (قانون تمنع التجاري أنموذجاً)

ملخص:



عوض عبدالرب عبدالولي الشعبي
أستاذ مساعد دكتور في تاريخ القديم
- كلية التربية - يافع

لقد عرفت الممالك والمدن في جنوب الجزيرة العربية القديم القوانين والتشريعات التجارية منذ وقت مبكر، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى النضج التشريعي والوعي الاجتماعي والثقافي لسكان هذه الممالك، ويبدو أن هذا الواقع التشريعي قد هياً لوجود التفاعل المتبادل في العلاقات التجارية القائمة فيما بينهم، كما كان من نتائج هذا التفاعل أنه قد أدى إلى ظهور قوة سياسية لهذه الممالك، ولهذا فإن مملكة قتبان كغيرها من ممالك جنوب الجزيرة العربية قد أسهمت في العملية التجارية، وسنت

القوانين والتشريعات المنظمة للحركة التجارية، وجذب الاستثمارات فيها، فتمنع (هجر كحلان) العاصمة القتبانية الواقعة على وادي بيحان، كانت الرائدة في التشريعي التجاري، أما قانونها (قانون تمنع التجاري) فيعدّ من أهم النصوص التشريعية الخاصة بتنظيم الأعمال والأسواق التجارية في العالم القديم، وهذا يُظهر مدى التطور الفكري والحضاري لدى سكان (الممالك - المدن) اليمن القديم، كما أنه من القوانين النادرة المتكاملة التي تتناول تنظيم التجارة داخل الأراضي التي شرع لحكمها، وفضلاً عن ذلك فإن هذا القانون هو بمثابة برهان تاريخي على معرفة سكان المنطقة بالنظم القانونية، حيث يشكل أنموذجاً لتشريعات أخرى أصدرتها السلطات الحاكمة في نواحي الحياة كافة.

ويعدُّ هذا القانون التجاري القتبانى من أقدم القوانين في تاريخ العالم القديم، والقانون عبارة عن تشريع أصدره الملك القتبانى (شهر هلل) أو (شهر هلال)، قبل أكثر من ألفي عام؛ لتنظيم التجارة وبيان واجبات التاجر والضرائب التي كان واجباً عليه أن يدفعها إلى الحكومة. وسيكون البحث موزعاً على ثلاثة محاور، وهي على النحو التالي:

المحور الأول: أثر موقع أو مكانة مملكة قتبان وعاصمتها تمنع في النشاط التجاري.

المحور الثاني: اكتشاف القانون وأهميته ومضمونه.

المحور الثالث: نص القانون (المكان تمنع.... شمر... إلخ)

المحور الأول: أثر موقع أو مكانة مملكة قتبان وعاصمتها تمنع في

النشاط التجاري

- أهمية موقع مملكة قتبان:

يشير النشاط التجاري عادة إلى حالة من التقدم والازدهار الحضاري، فهو يستند إلى مقومات طبيعية تتمثل بمقومات البيئة الجغرافية التي تسند هذا النشاط، وإلى مقومات بشرية تتمثل في الإمكانيات الحضارية، ومن بينها التشريعات والقوانين والأنظمة المالية، وإذا ما كانت الزراعة الحرفة الرئيسة لسكان المملكة؛ فإن التجارة هي حرفة سكان المدن، وفي طبيعتها العاصمة تمنع⁽¹⁾.

أما بصدد المقومات الطبيعية للتجارة فتشير إلى دور الموقع الجغرافي لهذه المملكة، فهي مثل غيرها من الممالك اليمنية القديمة كان لموقعها دوره الفعّال في تنشيط العمل التجاري مع العالم الخارجي، وهو عمل يراه الباحثون أساس الاقتصاد اليمني حينذاك⁽²⁾، فقتبان بموقعها الجغرافي أمست على خطوط التجارة البرية والبحرية التي تمرّ بجنوب الجزيرة العربية، فهي كما تبدو على الخارطة تقع عند التقاء البحر العربي بالبحر الأحمر حيث يفتح البحر العربي على المحيط الهندي، وإذا ما حصل أن نشطت

(1) عبدالله، أسوان محمد حسين: تمنع هجر كحلان دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ القديم، كلية الآداب جامعة عدن، 2006م، ص 52.

(2) سباتينو، موسكاتي: الحضارات السامية، تر: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت - لبنان، 1986م، ص 197.

التجارة على خطوطها البرية على حساب خطوطها البحرية، أو حصل العكس فقتبان لا تتأثر بذلك حيث تبقى منتفعة من جميع الحالات.

ومن جانب آخر أدت المقومات الطبيعية دوراً مهماً عندما وفرت الظروف المناسبة لزراعة الكثير من المنتجات الزراعية حتى شكلت الطيوب وكذا التوابل أحد مصادر التجارة الرئيسية، فيها التي تجد طريقها براً وبحراً إلى سورية ومصر وعبر البحر المتوسط إلى بلاد اليونان والرومان، وبفعل هذه المنتجات لم تكن قتبان منطقة ترانزيت (مرور تجاري) فحسب، بل هي منطقة إنتاج لبعض من الصادرات الزراعية، حيث تنتج حصرموت البخور ومشتقاته (اللبان والمر والصبغ)⁽¹⁾ وتنتج قتبان المر⁽²⁾. أما بصدد المقومات البشرية فهي كثيرة لعل في مقدمتها وجود عدد كبير من البحارة المهرة الذين تجمعت لديهم الخبرة بأسرار البحر وتمكنوا من الوصول إلى مسافات بعيدة داخله، على الرغم من عدم وجود أسطول بحري كبير لا عند قتبان ولا عند غيرها من الممالك، ويبدو أن السبب في ذلك هو عدم توافر الأخشاب المناسبة لبناء السفن⁽³⁾.

ومن بين مقومات ازدهار التجارة في قتبان التوسع في النفوذ السياسي (انظر الخريطة 1)، فقد امتدت أراضي هذه المملكة على طول الشريط الساحلي للبحر العربي الذي تتداخل مياهه مع مياه المحيط الهندي⁽⁴⁾.

ولعل من بين أهم مقومات هذا النشاط وجود التشريعات والقوانين التي نظمت التجارة وحددت طبيعة العلاقات التجارية، وفي المسند يطلق لفظ "مشيط" كما ورد في النقش (RES 4337 / A) على مفردة التجارة، وهو لفظ قتباني ورد في عدد من النقوش في أوامر أصدرها ملوك قتبان لتنظيم التجارة ولتنظيم الجباية، وكذلك في كيفية جباية الضرائب "المكوس" على البضائع التي تباع في الأسواق، إضافة إلى ذلك تحديد

(1) الجرو، أسمهان سعيد: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة - مصر، 2003، ص 33.

(2) الجرو، أسمهان سعيد: المرجع نفسه، ص 35.

(3) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1977م، ص 249 - 250.

(4) بافقيه، محمد عبدالقادر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، 1973م، ص 42.

العقوبات التي تفرض على المخالفين والمتهربين من دفع الضرائب، ومنها ضرائب السوق، كما حددت التشريعات، القواعد التي يسمح بموجبها للغرباء، من غير أهالي قتبان، في المتاجرة بأسواق المملكة، وأخيرًا في الكيفية التي يتاجر بها القتبانيون في الأسواق الخارجية⁽¹⁾.

وهذه هي المقومات الطبيعية والبشرية التي استند إليها النشاط التجاري في قتبان واليمن بشكل عام. وقد انتظم النشاط التجاري في هذه المملكة بقواعد هي بمثابة قانون قتبان التجاري (RES 4337,ABC) حيث يشير هذا القانون إلى تنظيم التجارة وتحديد حقوق الحكومة من ضرائب البيع والشراء، وتحديد الأماكن التي يحصل فيها العمل التجاري، وقد تضمن القانون مصطلحات تجارية تشير إلى التقدم الذي بلغه القتبانيون في حقل التشريع التجاري في تلك العهود⁽²⁾.

وردت كلمة تجارة في النقوش المسند بلفظة (ش ت ي ط) شتيط وتعني التجارة⁽³⁾، كما ورد في النقش (RES4337 / 7,A) لفظة مشيط يطلق على مفردة التجارة⁽⁴⁾، وهذه اللفظة وردت في العديد من النقوش القتبانية التي أصدرها ملوك قتبان لتنظيم التجارة، وكذلك نجد لفظة (ي ش ط) يشط تعني يتاجر⁽⁵⁾، وتاجر في اللغة المسند وحسب التشريع القتباني يشار إليه بلفظة (ش ي ط م).

كانت الحركة التجارية في سوق شمر نشطة؛ لأن موقعه يشكل محطة تجارية مهمة يلتقي فيها الطريق التجاري الذي يربط جنوب الجزيرة بشمالها (انظر الخريطة 2)، والنظام السائد في سوق شمر آنذاك كان يفرق بين التجار القتبانيين وغير القتبانيين، فالتنظيمات في هذا السوق أوضحت للتجار القتبانيين مالهم من حقوق وامتيازات وما عليهم من واجبات، فلهم حق المتاجرة في تمنع والريف القتباني بكل حرية وبأي

(1) النعيم، نورة عبدالله: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية، 2000م، ص 649.

(2) علي، جواد: مرجع سابق، ج 2، ص 31، النعيم، نورة عبدالله: مرجع سابق، ص 182.

(3) شتيط: لفظة تعني التجارة في بعض النقوش القتبانية وهي مكتوبة بالخط المسند (علي، جواد: تاريخ العرب المفصل)، ج 7، ص 231.

(4) النعيم، نورة عبدالله: مرجع سابق، ص 645.

(5) النعيم، نورة عبدالله: المرجع نفسه، ص 645.

شكل من أشكال التجارة، وهم معفون من دفع أي ضريبة على تجارة الحبوب، ولهم الأولوية في عقد الصفقات التجارية، بناءً على أعراف بلادهم التي عملت على تشجيع تجار التجزئة القتبانيين بإلزام تجار الجملة بيعهم ما يحتاجون من بضائع⁽¹⁾، وإلى جانب التجار القتبانيين يوجد تجار غير قتبانيين يزاولون التجارة في سوق شمر، ولهم الحق في امتلاك دكاكين، بل هم ملزمون بامتلاكها، بغض النظر عن القبائل أو المناطق التي ينتمون إليها، ومنع التجار الأجانب من البيع والشراء والتجوال في الريف القتباني، وإن فعلوا ذلك أصبحو عرضة للمساءلة وربما للعقوبة⁽²⁾. ومن التجار الأجانب المعينين الذين كانوا يشكلون همزة الوصل بين عرب الشمال وعرب الجنوب كون دولتهم معين تقع شمال الممالك اليمنية. ولا غرابة في أهمية الجالية المعينية في قتبان؛ لأن جاليتهم التجارية نشطة، ولم يقتصر نشاطها التجاري على شبه الجزيرة العربية، بل تعدتها إلى مصر وبلاد الشام واليونان⁽³⁾.

- موقع تمنع: (هجر كحلان):

تقع على الضفة اليسرى من أسفل وادي بيحان، ومحلها اليوم بلدة هجر كحلان، وهي حالياً الوريث التاريخي للعاصمة القتبانية تمنع، وهي اليوم تبدو على شكل تل مسطح بيضاوي يبلغ اتساعها (27 هكتار)⁽⁴⁾ ويصل ارتفاع التل إلى (10 أمتار)⁽⁵⁾، ويمتد باتجاه الجنوب الغربي - الشمال الشرقي، ولأجل تحديد موقعها نذكر أنها تقع شمال قرية (عسيلان) وبالتحديد تقع عند درجة العرض 15 شمال خط الاستواء وخط الطول 5. 45 شرق جرينتش.

وكان أول من حدّد موقع تمنع عاصمة قتبان في وادي بيحان، العالم النمساوي "جلازر - Glasar" في كتابه (الأحباش في جزيرة العرب وإفريقيا) الذي صدر بالألمانية في ميونخ

(1) سعيد، نعمان أحمد: القوانين العربية القديمة في مملكتي قتبان والحضر (دراسة تاريخية مقارنة)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية - مصر، 2004م، ص 167.

(2) سعيد، نعمان أحمد: المرجع نفسه، ص 167.

(3) سعيد، نعمان أحمد: المرجع نفسه، ص 166.

(4) Breton, Jean Francois, Une Vallée aride du Yemen antique le Wadi Bayhân Editions; Recherche sur Les Civilisations, Paris.، p. 1

(5) عبدالله، المقحفي: الموسوعة اليمنية، مج 1، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، (2003م)، ص 1\738.

في العام 1895م، وكانت تمنع تقع على طريق اللبان مثل شبوة عاصمة مملكة حضرموت، ومأرب عاصمة مملكة سبأ.

نَفَذَت البعثة الإيطالية والفرنسية مؤخرًا، منذ عام (1999م) خمس مواسم تنقيبية، وكانت إحدى نتائج أعمال البعثة التي تَمَّت في تمنع اكتشافًا كبيرًا تمثل بـ"موقع السوق" الشهير الذي تَمَّ تحديده من قبل البعثة الأمريكية، والفضل في هذا يعود إلى وجود مسلة كبيرة في مركز الموقع. وقد تَمَّ الكشف عن الجزء الشرقي من السوق، على شكل نصف دائرة من الساحة الرئيسة التي تقع بالقرب من المسلة المذكورة⁽¹⁾.

إضافة إلى مباني مجاورة يفصلها عن المكان شوارع ضيقة، وتحيط بها جدران مرتفعة المدخل الوحيد "الموقع السوق" الذي من خلاله كانت عملية تنظيم النشاطات التجارية تتم في تمنع. ويظهر بأن له شارعًا أكبر من الجانب الشرقي⁽²⁾.

- سوق شمر ودوره في النشاط التجاري :

عرف هذا السوق من خلال النقش (RES4337) المكتوب على نصب الحجري الذي وجد قائمًا في ساحة داخل العاصمة القتبانية (تمنع)، ويعد هذا السوق من أهم مراكز التجارة ليس في قتبان وحسب، بل في اليمن القديم بأسره⁽³⁾، ونجد أن القتبانيين أطلقوا على المكان المخصص للبيع والشراء في وسط عاصمتهم اسم (شمر) شمر، حيث نجد أن لفظة (شمر) تكررت كثيرًا في هذه المسلة المكتوب عليها القانون، التجاري، فالتجارة في شمر والدكاكين والمشرف (مشرف شمر)، وشمر هو سوق مدينة تمنع، وقد وردت مفردة (شمر) في النقوش العربية الجنوبية القديمة بمعنى (السلطة أو القوة)⁽⁴⁾، وكان موقع السوق وسط المدينة، وهو واسع ويقام أمام المعبد الرئيس مثلما هو في تمنع⁽⁵⁾.

(1) ديمغريت: (1999م) تقرير عن حفريات تمنع، مقدم من البعثة الإيطالية والفرنسية، الموسم الأول ص 1.

(2) ديمغريت: المرجع نفسه.

(3) سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 166.

(4) الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج 6 دار الرشيد، بغداد - العراق، 1982م، ص 261.

(5) النعيم، نورة عبدالله: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية (من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي)، دار الشواد الرياض، 1992م، ص 167.

كان سوق شمر يحتوي على مجموعة كبيرة من الدكاكين؛ لأن التشريع يوجب على كل تاجر يرغب في التجارة فيه امتلاك دكان واحد، سواء كان هذا التاجر من أهل قتبان أم من غيرها، فكان سوقاً تجارياً حرّاً يستقبل التجار والتجارة من كل جانب و صوب⁽¹⁾، ومساحة فسيحة من الأرض، وبما أنه كان داخل المدينة فالأرجح أن الحوانيت فيه كانت مبنية من الأحجار والطين، لوجود أحجار تدل على بقايا بناء في المنطقة المجاورة للمساحة التي فيها مسلة القانون.

ولاريب أن سوق شمر يختلف عن الأسواق العربية الموسمية التي تقوم في البادية والتي تبنى خيامها من الشعر في أثناء المواسم مثل سوق (دومة الجندل)⁽²⁾ وأسواق البحرين والحجاز، وربما يشابه أسواق العرب قبل الإسلام التي قامت في المدن مثل سوق عدن⁽³⁾، وصنعاء⁽⁴⁾، بالرغم أن شمر هو سوق العاصمة السياسية والتجارية لقتبان، ومحطة مرور مهمة لطرق البخور الذي يخترق الجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها⁽⁵⁾، وكما ورد في النقوش "أن هذا السوق يقع في قلب العاصمة تمنع التي تقع على طريق اللبان"⁽⁶⁾.

وسوق شمر من الأسواق العربية التي يرجع تاريخها إلى ما قبل التاريخ الميلادي، ومن مميزاته أن تشريعه كان منتصباً ومعلنًا في ساحته حتى يكون على مرأى من كل التجار الذين يرتادونه، أما ملكية السوق فلم يحدد التشريع من هو المالك الحقيقي للسوق ومبانيه، ويبدو أن السوق بما فيه من مباني ودكاكين كان ملكاً للدولة؛ لأن تركيز التشريع على امتلاك كل تاجر دكاناً فيه يعني تنظيمًا عامًا⁽⁷⁾.

(1) سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 166.

(2) ابن حبيب، أبو جعفر محمد: المحبر، تصحيح: ايلزه ليختن، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، 1942م، ص 263.

(3) الهمداني، الحسين بن أحمد: صفة جزيرة العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، 1989، ص 92.

(4) الهمداني، الحسن بن احمد: المصدر نفسه، ص 102، 103.

(5) انظر الخريطة (2) الطرق التجارية.

(6) عبدالله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وأثاره، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، 1990م، ص 240.

(7) سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 166.

- مشرف السوق:

سوق شمر شأنه شأن بعض أسواق العرب القديمة فيه مشرف ويراقب عمليات البيع والشراء، وقد يستوفي الضرائب المفروضة على التجار الذين يمارسون عملهم في هذا السوق⁽¹⁾. وكان منصب مشرف السوق من المناصب المهمة والكبيرة في العاصمة القتبانية تمتع، وقد تكررت عبارة اسم المشرف في قانون سوق شمر، وأظهره القانون بأنه المشرف الرئيس على السوق، وممثل الملك والسلطة المركزية في البلاد، ويعمل على تنظيم حركة السوق التجارية، وقد خوّله القانون صلاحيات كثيرة منها إلزام التجار الراغبين بالتجارة في السوق بامتلاك الدكاكين، ومنع أي تاجر لا يملك دكاناً من ممارسة التجارة في سوق شمر، ومن واجباته جمع ضريبة السوق، وإنزال عقوبة الغرامة على المخالفين، وله الحق في اختيار الموزعين والباعة المتجولين القتبانيين للتجارة بين القبائل القتبانية (الريف القتباني)، أي أنه كان مسؤولاً عن التجارة العامة في قتبان⁽²⁾، وكان مشرف السوق يعين من قبل الدولة بحكم خضوع الأسواق لإشرافها، ويعد هو المشرف على التجارة العامة في قتبان، والتشريع القتباني يسمي هذا المنصب (عهر)⁽³⁾.

وكان مشرف السوق شمر يمارس الرقابة وهو بذلك يشبه المحتسب في الدولة الإسلامية، الذي يجب أن يكون من ذوي الاجتهاد العرفي لا الفقهي⁽⁴⁾، ويمتلك دكاناً في سوق شمر، وبإمكانه عقد الصفقات التجارية، لكنه في الوقت نفسه لا يجوز له التدخل في الصفقات التجارية بين التجار الذين يمتلكون دكاكين في السوق⁽⁵⁾.

إن دراسة قانون سوق شمر تكشف عن رقي النظم التجارية عند العرب في تاريخهم القديم، وتوضح التواصل الحضاري للعرب في نهلم من تراثهم الذي كان سائداً قبل الإسلام.

- التجار:

حيث أشار التشريع إلى التاجر بلفظة (شيطم) (ش ي ط م)، وللتجارة بلفظة (مشيط)

- (1) المرزوقي، أحمد بن محمد: الأزمنة والأمكنة، ج2، حيدر أباد (1332هـ)، ص 162 - 163.
- (2) سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 167.
- (3) الحاج، محمد فاروق علي: حضارة اليمن القديمة (دراسة في عوامل التكوين والنشأة)، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، بغداد - العراق، 2005م، ص 147.
- (4) الماوري، عي بن محمد: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة الوطن، مصر، 1298 هـ، ص 241.
- (5) سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 167.

(م ش ي ط). وبما أن التشريع يهدف إلى تنظيم التجارة الداخلية والخارجية؛ فقد أشار إلى فئتين من التجار، وحدد مالهما من حقوق، وما عليهما من واجبات:

- التجار المحليين (القتبانيين):

نصت المادة الأولى على أن لهم حق المتاجرة في تمنع وبرم بأي شكل من أشكال التجارة، وألزمهم بضرورة دفع الضريبة، وأن يكون لهم دكان في سوق شمر، وخصتهم المادة الرابعة من غيرهم من تجار الأجنب بأن لهم الحق في المتاجرة والتجول في الريف القتباني (بين القبائل القتبانية)، عندما يعلن عاقل سوق شمر عن حاجته لذلك؛ لأنهم أهل البلاد ويعرفون أعرافها وعاداتها وتقاليدها، فهم أدرى بأهلهم من غيرهم، ولا يتعارض وجودهم مع ذلك، ومن هذا البند يلاحظ الحرص على الريف القتباني وحمايته من الأجنب، وأعفاهم التشريع في المادة السادسة من دفع أي ضريبة على تجارة الحبوب، ومنعت المادة الثامنة كل من يدفع ضريبة السوق من المتاجرة مع أي قبيلة بدلاً من قتبان أو من (ذي سفل) للحفاظ على حقوق القتبانيين، ويظهرهم هذا بأن لهم الأولوية في عقد الصفقات التجارية بناء على تشريعات بلادهم وأعرافها، وقد حرصت المادة التاسعة على تشجيع التجار الصغار من القتبانيين (تجار التجزئة) بأن ألزمت كل التجار في سوق شمر ببيعهم بضاعة من بضائعهم.

- التجار الأجنب (غير القتبانيين):

حدد التشريع المكان الذي يمارس فيه التجار الأجنب التجارة، فقد ألزمت المادة الثانية التجار الأجنب بضرورة امتلاك كل منهم دكاناً في سوق شمر؛ لغرض ممارسة التجارة، بغض النظر عن قبيلته وبدونه لا يحق له ذلك، وربما كان المقصود أن يكون لكل تاجر وكيل لبيع تجارته. وقد منع التجار الأجنب من التجول في الريف القتباني لغرض التجارة، وجاءت عقوبة هذا المنع في المادة الخامسة، إذ نصت على تغريم كل أجنبي يحاول المتاجرة في الريف القتباني بمبلغ خمسين قطعة ذهبية.

حيث فرضت المادة السادسة ضريبة الحبوب على التجار الأجنب بعد أن أعفت التجار القتبانيين منها، ويبدو أن الحبوب كانت سلعة أساسية للغذاء عملت الدولة القتبانية على إلغاء الضريبة المقررة عليها، وكان إلزام الأجنب بدفعها خوفاً من أخذها معهم خارج قتبان، وربما يقصد منه الحيلولة دون سيطرة الأجنب على أقوات القتبانيين.

كما أشار التشريع إلى أن هناك تجارًا غير قتبانيين يقيمون في العاصمة تمنع من خلال ما ورد في المادة السابعة، إلا أنه لم يسم قبائلهم ودولهم، ولكنه خصّ المعينين بالذكر⁽¹⁾، لأنهم يجلبون الثراء لقتبان⁽²⁾، وفي هذا دلالة على أهمية الجالية المعينية في تمنع من حيث الكثرة والنشاط، أو أنها تحظى بمكانة خاصة، فالمعينيون كانوا همزة الوصل الحقيقية بين عرب الجنوب وعرب الشمال، حيث ساعدتهم موقعهم الجغرافي المتميز على تأدية دور الوسيط التجاري الناجح، إذ من المعروف أن مملكتهم (معين) تقع شمال ممالك اليمن القديم، وهي تقع في بداية الطريق التجاري الشهير (بطريق البخور). ولا غرابة في وجود جاليات معينية في الممالك اليمنية؛ لأن جاليتهم التجارية لم تكنف بالتجارة بالجزيرة العربية فقط بل وجدت خارجها في مصر واليونان، ووصول المعينين إلى تمنع والإقامة فيها دليل على وحدة الحركة التجارية في العربية الجنوبية، وأما استقبالهم للبضائع في تمنع فيعكس أهمية مدينة تمنع كونها مركزًا تجاريًا مهما في العربية الجنوبية، وتشريعاتها كانت أكثر انفتاحًا ورفقًا⁽³⁾.

أ - السلع التجارية المباعة في سوق شمر:

السلع التي كانت تدخل في النشاط التجاري كثيرة ومتنوعة، وسنشير إلى أهمها كما ورد في بعض المواد التشريعية الخاصة بالتجارة بشكل عام، حيث لم يعدد السلع التجارية المباعة في السوق وأصنافها وأوزانها، ولم يذكر من السلع إلا مادة الجبوب (ن ع م ت / ب ز و ر ت م) (ن ع م ت / ب ز و ر ت م)⁽⁴⁾، وكان سوق شمر رائجًا بكثير من السلع المحلية والمستوردة؛ لكون تمنع حلقة مهمة في سلسلة الطريق التجاري. ولا شك في أن اللبان (البخور) كان من أهم السلع التجارية المتداولة في سوق شمر؛ لأنه على رأس صادرات اليمن القديم بأسرها، أما طريقة البيع في السوق كما أشارت المادة التاسعة في التشريع إلى بيع الجملة وبيع التجزئة، وقد ألزم كل تاجر بذلك بغية تنشيط الحركة

(1) سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 168.

(2) بريتون، جان فرنسوا: شبوة والحواضر اليمنية القديمة (من القرن الأول إلى القرن الرابع للميلاد) ضمن كتاب (شبوّة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ط1، 1996م، ص 173.

(3) سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 168.

(4) عبدالله، أسوان محمد حسين: مرجع سابق، ص 55.

التجارية داخل المدينة ويتيح الفرصة أمام القتبانيين لشراء ما يحتاجون إليه من بضائع⁽¹⁾.

ب - سلع الصادرات:

تشير المصادر التاريخية إلى وجود نشاط تصديري في هذه المملكة، إذ كان تجار قتبان يصدرون الكثير من السلع التي يتم إنتاجها فيها إلى خارج حدود المملكة، ويحصل أحياناً أن يتم تصدير بعض السلع الأجنبية المستوردة مثل القرفة التي كانت حكرًا على ملوك قتبان⁽²⁾، حيث يعاد تصديرها إلى الخارج بشكل أو بآخر كاملة أو ناقصة. وستناول السلع المصدرة والمنتجة محلياً، وهي عادة ما يقسمها الباحثون إلى السلع المقدسة، والسلع الاعتيادية غير المقدسة⁽³⁾، والسلع المقدسة هي البخور (اللبان والمر والصبر) وتصدر إلى الخارج، وهذه المواد تنتج في قتبان وحضرموت ومعين⁽⁴⁾.

- الضرائب:

إن الهدف الحقيقي لفتح الأسواق التجارية المستقلة والمصدرة للبضائع، ما هي إلا غاية المشروع التجاري القتباني للتشريع، وهي الدخل الذي تعتمد عليه الدولة لتوفير ما تحتاج إليه من مصروفات، وقد أكد هذا قانون سوق شمر؛ فالزم جميع التجار بضرورة دفعها بغض النظر عن قبائلهم وبضائعهم، وأشار التشريع إلى الضريبة بألفاظ مختلفة وهي (يعرب) و (ورقم) و (بذل) (ي ع ر ب) و (ورق م) و (ب ذل)، وقد اتخذ التشريع التدابير اللازمة لجبايتها، وضمن عدم التلاعب فيها، ومنها ما يأتي:-

أ - ممارسة التجارة في سوق شمر وإلزام التجار بامتلاك الدكاكين فيه⁽⁵⁾، وبه يجري التحكم والسيطرة على ضرائب كل البضائع التي تدخل إليه عبر أبواب المدينة تمنع، فضلاً عن ضرائب وإيجارات كل دكان.

(1) ينظر: المادة التاسعة من القانون التجاري (ملحق النقوش محتوى النقش رقم 3).

(2) آقازيني: النفوذ القتباني، في اليمن في بلاد ملكة سبأ، تر: بدر الدين عردوكي، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، الطبعة العربية، 1999م، ص 99.

(3) شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط2، دار العودة، بيروت، 1981م، ص 131.

(4) غروم، نايجل: طيوب اليمن (اليمن في بلاد ملكة سبأ) تر: بدر الدين عردوكي، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، الطبعة العربية، 1999م، ص 70.

(5) كما ورد في المادة الأولى والثانية من التشريع.

ب - بمنع التشريع كل سكان تمنع (قتبانيين، ومعينيين، والمقيمين الآخرين)⁽¹⁾، من تأجير منازلهم مخازن لبضائع التجار، وألزم كل مخالف بدفع ضريبة السوق في تمنع إلى ملك قتبان، إذ تدفع الضريبة من بضاعة التاجر، أو من ممتلكات صاحب المنزل إن لم تف بضاعة التاجر بذلك، وهذا يعني أن ضرائب السوق كانت كبيرة بالنسبة للمخالفات، وهناك أيضًا ضريبة إضافية على الأجانب إذا تاجروا بالحبوب⁽²⁾.

ويبدو أن الضريبة التي تؤخذ كانت نقدية⁽³⁾، أو عينية⁽⁴⁾. أما قيمة هذه الضريبة فالغالب أنها كانت تساوي العشر، أو أن منها ما ليس رسمي بل يقوم على رأس المال.

العملات القتبانية (انظر الصورة 2):

ورد في التشريع القتباني أن الضرائب منها ما يدفع بالعملة القتبانية⁽⁵⁾، أما الغرامة المقررة على المخالفين فتدفع بالقطع الذهبية⁽⁶⁾.

المحور الثاني: اكتشاف قانون تمنع وأهميته ومضمونه

اكتشاف القانون:

تم العثور على هذا القانون منقوشًا على عمود حجري في سوق (تمنع) عاصمة قتبان (بيحان القديمة) التي قامت وازدهرت قبل أكثر من ألفي عام، وقد تم اكتشاف هذا القانون من قبل البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان، وقد ترجمه وعلق عليه لغويًا وطبوغرافيا البروفيسور (بيستون) جامعة إكسفورد - بريطانيا ونقل محتواه إلى اللغة العربية الدكتور جواد علي، كذلك المؤرخ المرحوم سلطان ناجي.

أهمية القانون التجاري Res 4337.A.B.C:

يعد (قانون تمنع التجاري) من أهم النصوص التشريعية الخاصة بتنظيم الأعمال والأسواق التجارية في العالم القديم، إذ يظهر مدى التطور الفكري والحضاري لدى

(1) كما ورد في المادة السابعة.

(2) كما ورد في المادة السادسة.

(3) كما ورد في المادة السادسة.

(4) كما ورد في المادة السابعة.

(5) سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 169.

(6) كما ورد في المادة الخامسة.

سكان (الدويلات - المدن) اليمن القديم، كما أنه من القوانين النادرة المتكاملة والتي تتناول تنظيم التجارة داخل الأراضي التي شرع لحكمها، وفضلاً عن ذلك فإن هذا القانون هو بمثابة برهان تاريخي على معرفة سكان المنطقة بالنظم القانونية، حيث يشكل نموذجاً لتشريعات أخرى أصدرتها السلطات الحاكمة في نواحي الحياة كافة.

و(قانون تمنع التجاري) هو مجموعة من القواعد التي تهدف إلى⁽¹⁾:

- 1 - تنظيم التجارة داخل العاصمة (تمنع) وأراضي قتبان قاطبة.
- 2 - حماية حقوق (الشعب القتباني) التجارية من منافسة التجار الغرباء.
- 3 - ضمان حقوق (الدويلة - المدينة) في الحصول على الضرائب.

المسلة :

النقوش على المسلة الموجودة في مركز الموقع⁽²⁾، وهي مسلة الملك (شهر هلال)، الذي برز جزء منها من بين رمال تمنع لعدة سنوات، الذي قد تمّ تنظيفها من قبل حملة المؤسسة الأمريكية، والنقش الملاحظ على هذا الحجر الضخم يحتوي على قوانين المدينة المرتبطة بتجارة السلع المتداولة وقتذاك وتسويقها⁽³⁾، وتقع هذه المسلة وسط تمنع تقريباً (انظر صورة 1) وهي مضلعة من الحجر يبلغ ارتفاعها (20, 2)م، كما يستطيع المشاهد أن يقيسها وأبعادها (30 X 52 سم)، وتبدو جوانبها بنقوش كتابية من الأعلى إلى الأسفل ماعدا جهتها الجنوبية حيث تنتهي النقوش فيها عند نقطة ترتفع عن مستوى الأرض المحيطة بها نحو (10, 1)م⁽⁴⁾.

وتقع المسلة في منطقة السوق، بل وتتوسطه، وتعرف هذه المنطقة بسوق "شمر" وهو اليوم كما يراها الزائر ساحة تتوسطها المسلة، وهذه المسلة هي بمثابة وثيقة القانون التجاري للمملكة⁽⁵⁾، وللأسف أن هذه المسلة قد تعرضت لبعض أجزائها للتلف، سواء

(1) الجرو، أسهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، ط1، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، أربد، الأردن، 1992، ص 144.

(2) ديمغريت، اليساندرو: (تقرير عن حفريات تمنع مقدم من البعثة الإيطالية والفرنسية الموسم الأول)، 1999م، ص 1.

(3) Doe, Brian: Monuments of South Arabia, The Oleander Press, (1983) p. 130

(4) OP. Cit. p. 130

(5) غلانزمان، وليام: تمنع عاصمة قتبان (اليمن في بلاد ملكة سبأ) تر: بدر الدين عردوكي، معهد العالم

منها الأسباب الطبيعية أو الأسباب البشرية، فمهما تعددت الأسباب لا بد من الاهتمام بها وحفظها وصيانتها في موقعها وهو الأفضل، إذ إنها من أهم الوثائق القانونية في جنوب الجزيرة العربية وفي العالم. (الملحق، صورة رقم 1).

مضمون القانون:

وقد جاء في القانون المذكور أن على من يريد الاشتغال بالتجارة في منطقة (شمر) أن يقدم (عرباً) (عرب)، أي (عربوناً) وضمناً، وأن يقيم في هذه المنطقة وأن يقتصر نشاطه على التعامل بالتجارة وحدها، وبالأسعار السائدة فيها، كما أكد القانون أنه للقتبانيين العاملين في التجارة في هذه المنطقة حق الشراء من الخارج أيضاً، وتطرق النص النقشي إلى الفروق التي قد تحدث في الأسعار وإلى الخسائر التي قد تلحق بالخرينة العامة من جراء انخفاض الضرائب التي تنشأ من الفروق بين الأسعار وبسبب المضاربات، فأوجب على سيد (شمر)، أي على القائم بأمر المنطقة التجارية (عامل السوق) أي المسؤول الإداري عليه، بأن يدفع تعويضاً عن الأضرار الناجمة بسبب ذلك، كما نص القانون على (العربون) أي الضمان الذي يقدمه التاجر مقابل إعطائه حق اشتغاله بالتجارة في السوق، ولضمان عدم تلاعبه أو تحايله في البيع والشراء⁽¹⁾.

المخالفات العقوبات الواردة في التشريع:

وتضمن القانون المذكور بعض العقوبات المالية، ومنها مصادرة الأموال المنقولة وبيوت التجار، وذلك في حالة ما إذا كان ضمانهم غير كاف أو أقل من المطلوب، كذلك صمّن المشرع اليميني القديم (قانون التجارة القتباني) الظروف والحالات التي يمكن تتجاوز فيها العقوبات المفروضة على التاجر مقدار الضمان المقدم منه.

وقد تطرقت نصوص القانون المطبق في عاصمة الدولة القتبانية (تمنع) والتي كانت أشبه ما تكون بـ (المدينة - الدويلة) داخل الكيان السياسي القتباني الكبير في اليمن القديم، إلى التاجر الذي يضع (عربوناً)، في (تمنع)، ثم يقوم بالاتجار مع تجار غرباء غير قتبانيين أو مع الأشخاص الساكنين في المناطق الأخرى، وورد في القانون أن للقتبانيين المتضررين من هذا الاتجار ولسلطات الحي التجاري (شمر)، أي المنطقة المخصصة

العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، الطبعة العربية، 1999م، ص 11.

(1) سعيد، أحمد نعمان: مرجع سابق، ص 167 - 168.

للتجارة والمختصة بها من مدينة (تمنع) حق مقاضاة هؤلاء التجار وفقاً للقانون أمام (قاضي السوق)، ثم تطرق القانون إلى وجوب العناية بهذه المنطقة التجارية من (تمنع) ولزوم المحافظة عليها ومراقبة تجارتها، ومنع ممارسة التجارة فيها بعد حلول الظلام وإيقاف كل بيع وشراء في أثناء الليل، بل وجوب مغادرتها عندما يرخي سدوله.

1 - الغش التجاري:

حيث عالج التشريع هذه الظاهرة فكل تاجر يحاول غش الآخرين يغرم خمسين قطعة ذهبية⁽¹⁾، وكذلك حدد التشريع وقت النهار للبيع والشراء في السوق بمنعه التجارة في الليل⁽²⁾، ويدخل هذا ضمن الحرص على المشتريين سواء كانوا تجاراً عامة، ويقطع دابر الصفقات التجارية المشبوهة التي تفضل لليل على النهار، فضلاً عن ضمان تحصيل الضريبة في الوقت الرسمي للبيع والشراء.

2 - التهريب التجاري:

نص التشريع أن يكون لكل تاجر دكان في السوق شمر⁽³⁾، وحرمة التجارة مع أي جزء من قبان من دون إذن (ترخيص) من عاقل سوق شمر⁽⁴⁾، ومن يفعل ذلك يغرم خمسين قطعة ذهبية، ولملك قبان الحق الكامل في الإشراف على كل بضاعة تمر في أراضيه⁽⁵⁾.

3 - الاحتكار:

نص التشريع بمنع السكان من تأجير منازلهم مخازن للتجار، وكل من يقوم بذلك يدفع ضريبة السوق من البضاعة المخزونة أو من أمواله الخاصة⁽⁶⁾، ومنع كل تاجر دافع للضريبة من المتاجرة مع غير القتبانيين وأهل (ذي سفل)⁽⁷⁾، وذلك حفظاً لحقوق أهل قبان التي أقرها لهم ملوكهم، وأعفى التشريع القتبانيين من الضريبة على الحبوب⁽⁸⁾،

(1) كما ورد في المادة الخامسة.

(2) كما ورد في المادة العاشرة.

(3) كما ورد في المادتين الأولى والثانية.

(4) كما ورد في المادة الخامسة.

(5) كما ورد في المادة الحادية عشر.

(6) كما ورد في المادة السابعة.

(7) كما ورد في المادة الثامنة.

(8) كما ورد في المادة السادسة.

لإعطائها حرية الرواج وسهولة الوصول إلى المستهلكين، وعمل التشريع على أن تصل كل البضائع المتوافرة في السوق إلى الريف القتباني عندما أُلزم تجار الجملة بتخصيص جزء من بضائعهم لتجار التجزئة القتبانيين.

دور الملك وغاية المشرع:

يتضح من دراسة هذا النقش الذي لا مثيل له في العالم القديم أن حق تنظيم شؤون التجارة في المدينة كان محصورًا بالملك، الذي كان وحده هو المخول بتحديد أنواع التجارة وأوقاتها.

والواضح من خلال الاطلاع على القانون المذكور أن غاية المشرع في دويلات بعض ممالك اليمن القديم من وضعه، كانت في ضبط الأسعار، وحماية السوق من التلاعب، وضمان حقوق سكان المدينة في التجارة، وتنظيم الجباية الضريبية، وحماية مصالح الحكومة فيها.

وتكونت الهيئة التشريعية في قتبان التي يقع سوق شمر فيها من الملك وممثليه من الشعب القتباني في العاصمة تمنع وبقية مدن قتبان، فالملك (شهر هلال بن يدع أب هلال) هو الذي أمر وقضى بإصدار القانون؛ لأنه يأتي على رأس السلطة التشريعية القتبانية بصفته الحافظ لحقوق القتبانيين، وهو صاحب السيادة والإشراف على كل البضائع التي تدخل أراضيه⁽¹⁾. وأما الذين شاركوا الملك في إصدار القانون فهم ممثلو الشعب القتباني في العاصمة تمنع وبقية أتباع الإله القتباني⁽²⁾.

المحور الثالث: نصوص القانون التجاري

يعد قانون تمنع التجاري من أهم النصوص التي تمّ الكشف عنها حتى الآن، وهذا القانون يظهر مدى التطور الفكري والحضاري لدى سكان تمنع ومعرفتهم بالنظم القانونية، وهذا القانون يحمي حقوق الشعب القتباني في التجارة من منافسة التجار الغرباء، وأيضًا حقوق الدولة في الضرائب التجارية⁽³⁾.

(1) سعيد، أحمد نعمان: مرجع سابق، ص 165 - 166.

(2) سعيد، أحمد نعمان: المرجع نفسه، ص 166.

(3) عبدالله، أسوان محمد حسين: مرجع سابق، ص 147.

نورد فيما يلي نصوص (قانون قتبان التجاري) بحروف الخط المسند، ثم ترجمة لها مع التعليق الأكاديمي على كل مادة من مواد القانون المذكور.
النقش: (RES 4337 A,B,C):

المكان: تمنع

التاريخ: يعود هذا القانون إلى عهد الملك "شهر هلال بن يدع أب" في القرن الثاني ق.م، والذي أصدر هذا القانون.

النص الكامل للنقش القتباني المتضمن نص القانون التجاري بحروف المسند، حيث يقابل كل سطر من الكلمات المنقوشة بخط المسند الترجمة العربية له حسب تسلسل الأرقام:

الجزء الأول:

النقش (1) = الذي وجد في المسلة (RES 4337) A, B, C⁽¹⁾ (القانون التجاري):
المكان: وجد في تمنع.

التاريخ: القرن الثاني قبل الميلاد.

النقش: بخط المسند

A

- 1 - 𐤆 𐤑 𐤇 𐤓 | 𐤊 𐤅 𐤑 | 𐤅 𐤑 - 1
- 2 - 𐤒 | 𐤏 𐤑 | 𐤆 𐤑 𐤑 | 𐤏 𐤆 𐤑 𐤇 𐤓 - 2
- 3 - 𐤓 𐤓 | 𐤇 𐤒 𐤑 𐤓 | 𐤇 𐤏 𐤑 | 𐤒 𐤇 𐤓 𐤓 𐤑 𐤑 | 𐤇 - 3
- 4 - 𐤏 𐤓 | 𐤏 𐤆 𐤒 𐤓 | 𐤓 𐤇 𐤑 𐤑 𐤒 | 𐤇 𐤒 𐤑 - 4
- 5 - 𐤏 𐤓 | 𐤑 𐤏 𐤓 𐤓 | 𐤏 𐤇 𐤓 𐤑 | 𐤓 𐤒 𐤑 𐤏 - 5⁽²⁾
- 6 - 𐤑 𐤏 𐤓 | 𐤆 𐤒 𐤓 𐤓 | 𐤓 𐤇 𐤑 𐤑 | 𐤆 𐤒 𐤓 𐤓 - 6
- 7 - 𐤓 𐤇 𐤑 𐤑 | 𐤓 𐤑 𐤑 𐤑 | 𐤇 𐤑 | 𐤏 𐤑 𐤇 | 𐤏 - 7
- 8 - 𐤒 𐤆 𐤓 𐤑 | 𐤏 𐤓 | 𐤏 𐤑 𐤑 𐤑 | 𐤏 𐤆 𐤒 𐤓 - 8

(1) النعيم، نورة: التشريعات... المرجع السابق، ص 645.

(2) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 649.



- 4 - 10 | 3 3 3 | 1 0 0
 5 - 10 | 4 0 0 | 3 3 3 | 4 0 0
 6 - 10 | 3 3 3 | 4 0 0 | 1 0 0
 7 - 3 3 3 | 4 0 0 | 3 3 3 | 3 3 3
 8 - 3 3 3 | 3 3 3 | 4 0 0 | 3 3 3
 9 - 10 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 10 - 4 0 0 | 4 0 0 | 3 3 3 | 4 0 0
 11 - 4 0 0 | 3 3 3 | 4 0 0 | 4 0 0
 12 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 3 3 3
 13 - 4 0 0 | 3 3 3 | 4 0 0 | 4 0 0
 14 - 3 3 3 | 4 0 0 | 4 0 0 | 3 3 3
 15 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 16 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 17 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 18 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 19 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 20 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 21 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 22 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 23 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 24 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 25 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 26 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0
 27 - 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0 | 4 0 0

(1) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 650.

(2) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 651.

- 28 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 29 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4 ...
 30 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4 ...
 31 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 32 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4 (1)

C

- 1 - 4 | 4 | 4
 2 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 3 - 4 | 4 | 4 | 4
 4 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 5 - 4 | 4 | 4 | 4 (2)
 6 - 4 | 4 | 4 | 4
 7 - 4 | 4 | 4 | 4
 8 - 4 | 4 | 4 | 4
 9 - 4 | 4 | 4 | 4
 10 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 11 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 12 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 13 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 14 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 15 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 16 - 4 | 4 | 4 | 4 | 4
 17 - 4 | 4 | 4 (3)

(1) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 651.
 (2) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 651.
 (3) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 651 - 652.

النقش (1) = الذي وجد في المسلة (RES 4337) A, B, C (1) (القانون التجاري)
المكان: وجد في تمنع.
التاريخ: القرن الثاني قبل الميلاد.
النقش: بالحروب العربية.

A

- 1- ح ج / ح ج د / و س ح د /
- 2- و س ح ر م / ش ه ر / هل ل / ب
- 3- ن / ي د ع إ ب / م ل ك / ق ت ب ن / و ق
- 4- ت ب ن / ب ت م ن ع / و ب ر م / و ذ
- 5- ذهب و / ح و ك م / و و ل د / ع م⁽²⁾
- 6- و ص ب ر ا ت م ن ع / و ض ب ر ا و ل د
- 7- ع م / ك ذ م / م ن / م ش ي ط / ت م ن ع
- 8- و ب ر م / ش ي ط م / و ل / ي ع ر ب /
- 9- ع د ا ت م ن ع / و خ د ر ا ب ش م ر ا
- 10- و أ ث ر م / ق ت ب ن / ب م ش ط م / و أ
- 11- ر م م / و ق ن ي م / ب ي خ د ر ا و أ
- 12- ر م / و س ش أ م / ب ش م ر ا ب ن / ك ل
- 13- أ ش ع ب م / و م ت ي / ي خ د ر ا خ د
- 14- ر م / و أ ذ و ا ب ي ش ت ي ط / أ و ا ف
- 15- ت خ ر ا ب ع م / ك ل / خ د ر م / و م ش ط
- 16- م / ب ل ت ي / ع ه ر ا ش م ر ا و م ت ي
- 17- ك ي ك س آ ع ه ر ا ش م ر ا ك ذ م / ب ي س

(1) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 645.

(2) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 649.

- 18 - ت ض ف / ق ت ب ن / ب ع م / أش ع ب م / ب
 19 - ي س ط / ت م ن ع / و خ در / م ش ط س / ب
 20 - ش م ر / و ل ي ش ت ي ط و ن / ق ت ب ن /
 21 - ب ن ع م / ش ع ب م / و م ن / ل ي ك س أ
 22 - و ن / ع ه ر / ش م ر / ك ذ م / س ت ز ر /
 23 - ب ن / ق ت ب ن / ب م ش ط م / ع ل ي / ق ت (1)
 24 - ب ن / ب ن / ن ك ر / ش ع ب م / أ و / و ز
 25 - ع / أن س م / ع ل ي / أخ س / ب خ ت ف ر
 26 - م / و ل / ي ظ ل ع / خ م س ي / و ر ق م /
 27 - و أع ه ر / ش م ر / ي س م ظ أ و ن / و س ظ ي ه ا ... [2].

B

- 1 - م ل ك / ق ت ب ن / و ع ه
 2 - ر / ش م ر / أ ل / ب ي ع د و
 3 - ن / ن ع م ت / ب ز و ر ت م
 4 - ب ع ل و / م ش ط م / ب ي ش ت ي
 5 - ط و ن / و ش ت ا م / ق ت ب ن / و
 6 - أ و ل و / ه م د / ع ه ر / ش م
 7 - ر / ش ت ي ط م / ن / و / ق ت د م
 8 - م / ق ت ب ن / ب م ش ط / ش م ر
 9 - ن ك و ن / و ق ت ب ن / و م ن ذ (3)
 10 - ي س ع ر ب / ب ن / ق ت ب ن /

(1) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 649.

(2) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 649.

(3) النعيم، نورة: لمرجع نفسه، ص 650.

- 11- وب ن / م ع ن م / وب ن / ح
- 12- و ر / ت م ن ع / ب ي ت س / و
- 13- م خ ت ن س / خ در م / ب ي ع
- 14- ر ب / ت م ن ع / وب ذ [أل / ري]
- 15- دن / ق ن ي س / و م ر ث د س /
- 16- ل م ل ك / ق ت ب ن / و ذ م
- 17- ب ي ع د / م ر ث دن / ب ذ ل
- 18- ن ف س س / و آل / وب ي ش ت ي ط /
- 19- ك ل / ش ي ط م / ك ل / ذ م / ب ي
- 20- ع ر ب / ت م ن ع / ل ش ت ي ط /
- 21- ب ن / ع م / ن ك ر / ش ع ب م / ن ب
- 22- ب ع م / ق ت ب ن / وب / ع م س ف⁽¹⁾
- 23- ل ن / ل ي ص ت د ق و ن / ق ت ب
- 24- ن / ب ح ج / م ح ر م / س ح ر م س م /
- 25- أ م ل ك / ق ت ب ن / و ل / ي ك ن /
- 26- ش ي ط م / ب ي ش ت ي ط و
- 27- ن / ق ت ب ن / ش م ر / ب
- 28- ن / خ در / ب ع هر / ق
- 29- ... أن ب ي / ذ ت / س و
- 30- م / و ق ه / ق ت ب ن /
- 31- و ذ م / ب ي ت س ع / أ و
- 32- ع د و / م ط / ق ت ب ن /⁽²⁾

(1) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 651.

(2) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 651.

C

- 1- و ك ل / ذ و / ب ي
- 2- [ب ي] ج ز ف / م ش ط م / ب
- 3- ي ش ط / ب ش م ر / ن
- 4- ل ك / ي ش ت ي ط س / ب
- 5- ق ت ب ن / أن س م⁽¹⁾
- 6- ب ن / أس س / و ك ل
- 7- ذ و / ب ي ش ط / ك ل
- 8- م ش ط م / ب ش م ر /
- 9- ب ل ي ل / ي ب ن و
- 10- ن / ل ي ص ب ح / و
- 11- م ل ك م / ق ت ب ن /
- 12- أ ث ر م / ب ك ل / ش
- 13- ي ط م / و ق ن ي م / ب
- 14- ت م ظ أ / ب ض ع س / و
- 15- ن ل / ب ي م ت ع / ذ
- 16- ن ل / ب ي م ت ع / م
- 17- ل ك م⁽²⁾

[A]

- القراءة العامة للنص:
الجزء الأول بالترجمة العربية الحرفية:
- 1 - هكذا أمر وحرر
 - 2 - وشرع (شهر هلال)

(1) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 651.

(2) النعيم، نورة: المرجع نفسه، ص 652 - 651.



- 3 - بن يدع أب ملك (قتبان) و
- 4 - (شعب) قتبان في (تمنع) أو (بروم) و
- 5 - الواديين حوكم) وأولاد (عم)
- 6 - وملاك تمنع وملاك (أولاد)
- 7 - عم بأن على تاجر تمنع
- 8 - وبرم يتاجر (فيهما) بدفع ضريبة
- 9 - إلى تمنع (وليكن لديه) متجرًا في (شمر)
- 10 - وأي قادم لقتبان بتجارة
- 11 - وسلع وممتلكات لا بد أن يملك متجرًا أو
- 12 - ليمارس التجارة (البيع) في شمر مع كل
- 13 - الشعوب، ومتى امتلك متجرًا
- 14 - يأذن له بممارسة التجارة أو
- 15 - فليدخل كشريك مع صاحب متجر
- 16 - (عندها) يتاجر بدون تدخل مشرف (مأمور) (عامل) السوق (شمر) ومتى
- 17 - أعلن مشرف السوق شمر بأنه.
- 18 - يأذن للتجار القتبانيين بالتعامل مع الشعوب (القبائل).
- 19 - بينما هو يتاجر في تمنع وله متجر.
- 20 - في شمر وليتاجر القتبانيون.
- 21 - مع الشعوب ومن يخبر.

محتوى النص:

هكذا أمر وحرر وشرع (شهر هلال) بن يدع أب ملك قتبان وشعب قتبان في تمنع وبرم

المادة الأولى:

على كل من يتاجر في تمنع وبرم بأي نوع من البضاعة عليه أن يدفع ضريبة السوق داخل تمنع وأن يكون له دكان في شمر.

المادة الثانية:

من يأتي إلى قتبان مع بضائع وسلع عليه أن يكون له دكان، ويقوم بالبيع والشراء في شمر بغض النظر إلى أية قبيلة ينتسب.

المادة الثالثة:

على من يفتح دكاناً يكون من حقه أن يشترك في التجارة مع غيره من التجار من أصحاب الدكاكين، ولا يجوز لعامل السوق أن يتدخل في ذلك.

المادة الرابعة:

عندما يعلن عامل سوق (شمر) عن حاجته إلى باعة متجولين بين القبائل؛ نظراً لانشغاله ببيع بضاعته في دكان بسوق (شمر) يجوز حينئذ لأهل قتبان أن يتاجروا لحسابهم الخاص بين القبائل.

المادة الخامسة:

يُغَرِّمُ عامل السوق، في حالة عدم تبليغه عن أي تاجر يمارس غش الآخرين خمسين قطعة ذهبية، كما يُغَرِّمُ كل أجنبي يحاول أن يتاجر في بلاد قتبان ما لم يكن لديه دكان، وتدفع كل الغرامات للملك.

المادة السادسة:

لا تسري ضريبة بيع الحبوب في عملية البيع والشراء بين أهل قتبان، إلا أن أداء هذه الضريبة واجبة على غيرهم، وتدفع هذه الضريبة بالعملة القتبانية إضافة إلى الضريبة الأساسية دفعة واحدة.

المادة السابعة:

يجب على كل قتباني أو معيني أو مقيم آخر في تمنع إذا أجر بيته أو محل إقامته بوصفه دكاناً للمتاجرة أن يدفع ضريبة السوق إلى الملك من البضاعة التي بحوزة التاجر، وفي حالة كون بضاعة التاجر لا تفي بقيمة الضريبة المقررة، يجب على صاحب البيت أن يستوفي الضريبة من ماله الخاص.

المادة الثامنة:

يمنع كل من يدفع ضريبة السوق من المتاجرة مع أي قبيلة بدلاً من قتبان وسلطن (ذي سفن) للحفاظ على حقوق أهل قتبان وفقاً لما شرعه ملك قتبان.

المادة التاسعة:

يجب على كل من يتاجر بالجملة في تمنع أن يعهد إلى بائع تجزئة عند تسويق بضاعة في أرض قتبان.

المادة العاشرة:

تحضر التجارة في السوق ليلاً حتى الصباح، ومن عمل ذلك فليمتنع الناس عن الشراء حتى مطلع الفجر.

المادة الحادية عشرة:

لملك قتبان حق الإشراف على كل بضاعة تمر في أرضه.

المادة الثانية عشرة:

فليدعم كل ملك قادم هذا القانون⁽¹⁾.

التعليق:

ومن الواضح أن الهدف من وضع هذا القانون كان تنظيمًا للمسائل المتعلقة بالتجارة الداخلية والخارجية، وتحديد الوضع القانوني للسكان المحليين والأجانب عند ممارستهم النشاط التجاري، ويلاحظ أن هذا القانون يركز على ثلاث قواعد:

أ - ضمان أمن الدولة، وتمكين أجهزتها من مراقبة تحرك التجار الأجانب، كما ورد في المادتين الثانية والخامسة.

ب - حماية السوق الوطنية والتجار الوطنيين من منافسة التجار الأجانب، وتحديد أسواق معينة للسماح للتجار الأجانب بممارسة النشاط التجاري، كما تشير إلى ذلك غالبية المواد.

ج - تحديد منطقة للنشاط التجاري تتمركز في سوق شمر، كما هي واردة في المادتين الأولى والثانية حيث تشمل الأولى أهالي قتبان، بينما تشمل المادة الثانية القادمين من خارج قتبان.

(1) الجرو، أسمهان سعيد: مرجع سابق، ص 95 - 94.

إن على التجار من غير القتبانين الالتزام بالمادة الثانية، فعليهم المرور عبر إحدى بوابات تمنع وبذلك لن يستطيعوا تجنب دفع ضريبة السوق المفروضة، وبذلك تكون هي الحال للمقيمين في تمنع، ولذلك ذكر دفع الضريبة في المادة الأولى، وكان إهمال ذكرها في المادة الثانية⁽¹⁾، حيث يلاحظ من المادة الأولى من هذا القانون أن شمر لم تكن وحدها سوق تمنع، بل شاركتها برم أيضاً، وبرم هي جزء من وادي بيحان من بعد (سد بادي) للأعلى وأسفل (وادي بيحان)⁽²⁾، بمعنى أن مدينة بيحان الأعلى توجد بها سوق يسمى برم نسبةً إلى هذا الوادي، والذي نستنتجه من المادة الأولى من هذا القانون التجاري⁽³⁾.

ويطرح بعض من الباحثين سؤالاً: لماذا كانت قتان المملكة الأولى التي سنت هذا القانون؟

إن الجواب المباشر هو ضبط العملية التجارية، فهذا القانون يشير إلى مستوى الثقافة والثقافة القانونية، بشكل خاص، الذي وصل إليه أهالي قتان، و مما يلاحظ على القانون هو ما فرضته الدولة على التجار القتبانين والأجانب من ضريبة تجارية تقدر بحوالي (عُشر) من الدخل التجاري، وهو المقدار نفسه الذي فرضته الشريعة الإسلامية فيما بعد⁽⁴⁾.

لقد شجع هذا القانون على جذب الكثير من رجال الأعمال الأجانب للعمل في المدن اليمنية ولاسيما في تمنع، بفضل حسن التعامل معهم، حتى أصبح البعض منهم من رعايا المملكة القتبانية.

وهكذا يرى بعض الباحثين أن هذه التشريعات كانت سابقة لما جاء بعدها، زمانياً، من تشريعات يونانية ورومانية متأخرة⁽⁵⁾، لقد كان وصول المجتمع القتباني إلى هذا المستوى الرفيع من الثقافة، حيث التشريعات الدقيقة والعادلة، يعد من نتائج تطور التجارة، وبشكل

(1) علي، محمد أحمد: من تاريخ التشريعات في اليمن، دراسات يمنية، العدد العشرون، إبريل - مايو - يونيو - مجلة فصلية يصدرها مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1985م، ص 231.

(2) بافقيه، محمد عبدالقادر: مرجع سابق، ص 20.

(3) النعيم، نورة عبدالله: التشريعات.. مرجع سابق، ص 183.

(4) علي، جواد: مرجع سابق، ص 232.

(5) علي، جواد: المرجع نفسه، ص 233.

خاص التجارة الخارجية التي أسهمت كثيرًا في تعميق العلاقات بين قتبان والأمم الأخر، وكان لوجود البخور واللبان - وهي سلع مميزة تضاهي سلعة البترول في الوقت الراهن ودورها التجاري العالمي - دور فعّال في هذه التجارة وهذا التفاعل والاحتكاك.

لقد حاز النشاط التجاري على اهتمام حكام قتبان، إذ تمّ تشكيل الهيئة التشريعية للتشريع التي أرست القوانين التي تنظم النشاط التجاري بين التجار المحليين والأجانب، وكذا وضع التشريعات التي تشمل السوق⁽¹⁾، وعافل السوق⁽²⁾، والتجار والضرائب، العملة، والسلع التجارية، والمخالفات والعقوبات الواردة في القانون⁽³⁾.

الخلاصة:

- لقد عرفت (الممالك - المدن) في جنوب الجزيرة العربية القديم القوانين والتشريعات التجارية منذ وقت مبكر، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى تطور النضج التشريعي والوعي الاجتماعي والثقافي لسكان هذه الممالك. ويبدو أن هذا الواقع قد هيا لوجود التفاعل المتبادل في العلاقات القائمة بينهم، وقد أدى هذا إلى ظهور قوة سياسية لهذه الممالك، ولهذا فإن مملكة قتبان كغيرها من ممالك جنوب الجزيرة العربية قد أسهمت في العملية التجارية وسنت القوانين والتشريعات المنظمة للحركة التجارية.

- إن (قانون تمنع التجاري) من أهم النصوص التشريعية الخاصة بتنظيم الأعمال والأسواق التجارية في العالم القديم، إذ يظهر مدى التطور الفكري والحضاري لدى سكان (الممالك - المدن) اليمن القديم، كما أنه من القوانين النادرة المتكاملة والتي تتناول تنظيم التجارة داخل الأراضي التي شرع لحكمها، وفضلاً عن ذلك فإن هذا القانون هو بمثابة برهان تاريخي على معرفة سكان المنطقة بالنظم القانونية، حيث يشكل نموذجاً لتشريعات أخرى أصدرتها السلطات الحاكمة في نواحي الحياة كافة.

(1) للمزيد من التفاصيل حول التشريعات الخاصة بالنشاط التجاري ينظر، سعيد، نعمان أحمد: مرجع سابق، ص 166 - 165.

(2) سعيد، نعمان أحمد: المرجع نفسه، ص 168.

(3) سعيد، نعمان أحمد: المرجع نفسه، ص 170 - 169.

- ويعدُّ هذا القانون التجاري القتبانى من أقدم القوانين فى تاريخ العالم القديم، والقانون عبارة عن تشريع أصدره الملك القتبانى (شهر هلال) أو (شهر هلال)، قبل أكثر من ألفى عام، لتنظيم التجارة وبيان واجبات التاجر والضرائب التى كان متوجَّباً عليه أن يدفعها إلى الحكومة.

- ظهرت فى الجزيرة العربية كثير من الأسواق العربية المتنوعة، فهناك أسواق موانئ، وأسواق مدن، وأسواق بادية. وسوق شمر يمثل أنموذجاً من أسواق المدن العربية القديمة.

- هدف المسؤولون فى سوق شمر إلى تنظيم الحركة التجارية فى (قتبان)، وعكس الرقى الفكرى والحضارى لأنظمة اليمن القديم التجارية عموماً وقتبان بشكل خاص.

- سوق شمر ميز التعامل بين التاجر القتبانى وغير القتبانى، وحدد حقوق وواجبات كلِّ منهما، وألزم كل التاجر بامتلاك الدكاكين فى سوق شمر. وفُرضت الضرائب على التاجر القتبانين وغيرهم ماعدا ضريبة الحبوب التى أعفى منها القتبانيون، وأقرت على غيرهم.

قائمة الاختصارات:

ت	توفى
ج	جزء
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادى
ق.م	قبل الميلاد
تر	ترجمة
تح	تحقيق
كيلومتر	كم
مج	مجلد
هـ	هجريه

RES: Repertoire d` Epigraphie Semitique publie par la Commission
du Corpus Inscriptionum Semiticarum,Tome 1,11,V,V1
V11,V111, paris.

:P
صفحة

:OP.Cit
مرجع سابق

الملاحق:



خريطة رقم (1) توضح موقع مملكة قتبان

المرجع: عبدالله، أسوان محمد حسين: تمتع هجر كحلان دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ القديم، كلية الآداب جامعة عدن، 2006م، ص 195.



خريطة رقم (2) توضح الطرق التجارية الرئيسية

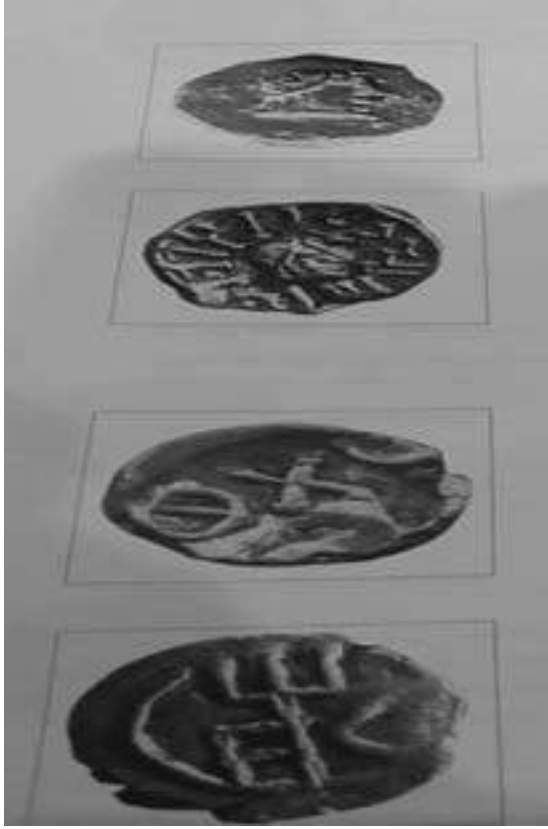
المرجع: نورة النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، في المدة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، 1992م، ص 324.



صورة (1) مسلة القانون التجاري (سوق شمر)

المرجع: عبدالله، أسوان محمد حسين: تمنع حجر كحلان دراسة تاريخية أثرية،

رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ القديم، كلية الآداب - جامعة عدن، 2006م، ص 119.



صورة (2) للعملة القتابانية: درهم، من الفضة الوزن: 1 و1 جم القطر: 11 مم

وجه العملة: رأس الملك متجه لليسار بعممة منحنية للخلف وشعر مسحوب الرقبة ويغطي الأذن، وملامح الوجه واضحة.

خلف العملة: رأس الملك صغير الحجم يستقر وسط الظهر وحوله كتابة بخط المسند، وفي الأسفل حروف (ح، ر، ب) (حريب) واسم الملك (شهر هلال).

المرجع: النقود في اليمن عبر العصور، البنك المركزي اليمني الطبعة الأولى، صنعاء، 2004م، ص 46.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت 225هـ): المحبر، تصحيح: ايلزه ليختن، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1942م.
- آقازيني، اليساندرو: النفوذ القتباني في اليمن في بلاد ملكة سبأ، تر: بدر الدين مردوكي، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، الطبعة العربية، 1999م.
- بافقيه، محمد عبدالقادر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973م.
- بريتون، جان فرنسوا: شبوة والحواضر اليمنية القديمة، (من القرن الأول إلى القرن الرابع للميلاد) ضمن كتاب (شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ط1، 1996م.
- الجرو، أسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، ط1، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، أربد، الأردن، 1996م.
- الجرو، أسمهان سعيد: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2003م.
- الحاج، محمد فاروق علي: حضارة اليمن القديمة (دراسة في عوامل التكوين والنشأة)، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، بغداد - العراق، 2005م.
- ديمغريت، اليساندرو: تقرير عن حفريات تمنع مقدم من البعثة الإيطالية والفرنسية الموسم الأول، 1999م.
- سعيد، نعمان أحمد: القوانين العربية القديمة في مملكتي قتبان والحضر (دراسة تاريخية مقارنة)، المكتب الجامعي الحديث، إسكندرية - مصر، 2004م.
- سباتينو، موسكاتي: الحضارات السامية، تر: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986م.
- شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط2، دار العودة، بيروت - لبنان، 1981م.
- عبدالله، أسوان محمد حسين: تمنع هجر كحلان دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ القديم، كلية الآداب - جامعة عدن، 2006م.

- عبدالله، المقحفي: الموسوعة اليمنية، مج 1، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، 2003م.
- عبدالله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989 م.
- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.
- علي، محمد أحمد: (من تاريخ التشريعات في اليمن، دراسات يمنية، العدد20، إبريل - مايو - يونيو، مجلة فصلية يصدرها مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1985م.
- غروم، نايجل: طيوب اليمن (اليمن في بلاد ملكة سبأ) تر: بدر الدين مردوكي، معهد العالم العربي، باريس - فرنسا، دار الأهالي، دمشق - سوريا، الطبعة العربية، 1999 م.
- غلانزمان، وليام: تمنع عاصمة قتيان (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، تر: بدر الدين مردوكي، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، الطبعة العربية، 1999م.
- الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت 175 هـ): كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي: دار الرشيد، ج6، بغداد - العراق، 1982م.
- المرزوقي، أحمد بن محمد (ت 421هـ): الأزمنة والأمكنة، حيدر آباد، ج2 (1332هـ).
- الماوري، عي بن محمد (ت 450هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة الوطن، مصر، 1298 هـ.
- النعيم، نورة عبدالله: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية (من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي) دار الشواد الرياض، 1992م.
- النعيم، نورة عبدالله: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.
- الهمداني، الحسين بن أحمد (ت 344هـ): صفة جزيرة العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، 1989.

قائمة المراجع الأجنبية :

- Doe, Brian: Monuments of South Arabia, The Oleander Press, 1983.
- Breton, Jean Francois, Une Vallée aride du Yemen antique le Wadi Bayhân, Editions; Recherche sur Les Civilisations, Paris.

العلاقات بين الممالك العربية الجنوبية في شبوة في الألف الأول قبل الميلاد (أوسان، قتبان، حضرموت)

ملخص البحث:



د. علي صالح الكهالي

أستاذ التاريخ القديم المساعد،
في قسم التاريخ كلية الآداب جامعة عدن

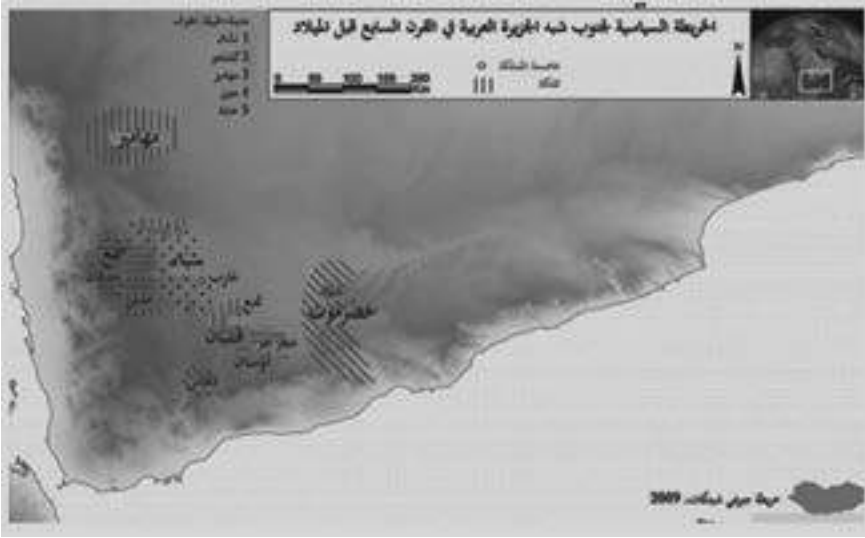
يتناول البحث الممالك العربية الجنوبية التي مثلت (محافظة شبوة الحالية) حاضرةً ومركزاً حيويًا مهمًا لها، وكان لهذه الممالك دور كبير في تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية، فعلى أرض محافظة شبوة؛ نشأت وقامت أبرز الممالك العربية الجنوبية وأكثرها أهمية في التاريخ القديم منذ الألف الأول قبل الميلاد، هذه الممالك هي؛ مملكة أوسان ومملكة قتبان ومملكة حضرموت ثم مملكة حمير في أواخر القرن الثاني الميلادي، هذه الممالك ظهرت متعاصرة ومتصارعة ومتنافسة فيما بينها. حيث إننا قد نرى هذه الممالك تشكل فيما بينها علاقات متينة من التكامل والتحالف، وفي أحيان أخرى نرى بينها حربًا ضروسًا وصراعًا عسكريًا، ينتهي بسيطرة إحدى هذه الممالك على قسم من أراضي بقية الممالك، وسنرى تفاصيل ذلك لاحقًا. وسيقتصر البحث على تناول أحد جوانب العلاقات السياسية بين هذه الممالك، وهو ما تم إثباته وتوثيقه في النقوش اليمنية القديمة.

الكلمات المفتاحية: الممالك. أوسان. قتبان. حضرموت. سبأ

نبذة عن نشوء الممالك العربية الجنوبية:

نشأت في اليمن عدد من الممالك العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية، فقد تميّزت اليمن بموقعها المتميز عند ملتقى ومفترق الطرق التجارية العالمية البرية والبحرية،

بالإضافة إلى التربة الزراعية الخصبة والأمطار الموسمية الغزيرة؛ مما ساعد على الزراعة المروية، فزاد الإنتاج، وتكون فائض للتصدير، كما نمت الحرفة وانفصلت عن الزراعة؛ مما ساعد على تطور القوى المنتجة بصورة أسرع نسبياً عن بعض مناطق الجزيرة العربية؛ مما أدى إلى تفكك الروابط القبلية، وظهور الملكية، وبروز التمايز الاجتماعي بين السكان. وقد بلغ التطور الاجتماعي درجة من النضج سمح عندها بتكون الدولة⁽¹⁾، (انظر شكل رقم 1 الخريطة السياسية لجنوب شبه الجزيرة العربية في الألف الأول قبل الميلاد).



(شكل رقم 1 الممالك العربية الجنوبية في الألف الأول قبل الميلاد)

لقد كانت الصيغة الاتحادية بين القبائل هي أساس التكوين السياسي للممالك اليمنية القديمة، تلك الصيغة أملت نظام حكم متميز وفريد، فتنوع القبائل فرض وجود نظام نيابي يكون فيه تمثيل للقبائل في مجلس القبيلة أو مجلس المدينة (مسود)⁽²⁾، الذي يضم سادة القوم وذوي الرأي من رجال الدولة، يتمتع هذا المجلس بصلاحيات واسعة، فهو المرجع الأول والأخير في الدولة، حيث لم يكن للملوك مطلق الصلاحيات والسلطات وسن

(1) برهان الدين دلو: (جزيرة العرب قبل الإسلام) جزئين، دار الفارابي - بيروت، ط 1 - 1989م، 1/307.

(2) أسمهان سعيد الجرو: (دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم) دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2003م، ص 246.

القوانين، وإنما كان يتخذ القرارات بالتشاور مع هذا المجلس (GL: 1150)؛ بالرغم من أن التشريعات تسن باسم الملك، لكنها توقع من قبل شهود المجلس النيابي نفسه⁽¹⁾.

فمنذ القرن الثامن قبل الميلاد تقريباً تحول هذا الاتحاد إلى دولة بعد أن توافرت جملة من المقومات، لعل أهمها ظهور الملكية الخاصة وتعدد أشكالها، وبناء المدن والمعابد والمنشآت العامة، وتطور الكتابة، فظهر على رأس هذه الدولة المكربون، وهو لقب ملكي يجمع السلطة الدينية والزمنية كما هو معروف. كانت هذه أولى مراحل الحكم وأقدمها في اليمن القديم، وقد ساعد على ذلك اللامركزية، كونها سمة من سمات الحكم أملتها طبيعة الأرض، وكذا النزوع إلى التوحد الذي كان السمة الثانية التي أملتها الطبيعة أيضاً⁽²⁾.

لقد كان قيام الدولة خطوة متقدمة بالنسبة لنظام القبيلة؛ ففي ظلها توافرت إمكانات مالية وبشرية وإدارية وفنية كبيرة لتنشيط التجارة، وتنمية الزراعة، وتنفيذ بعض المشاريع الإنتاجية والخدمية، واستعملت الكتابة، وسنت القوانين لتنظيم الإدارة والجيش، وشؤون العبادة والاقتصاد والأموال؛ لهذا فقد كان قيام الدولة ضرورة ملحة لحماية النظام وتعزيزه. وكانت مهمة الملك تنحصر في أخذ زمام المبادرة لإقامة الأعمال العامة الكبرى؛ كبناء المدن وتسويرها، وتشيد منشآت الري، وبناء المعابد، والتأكد من تنفيذ قوانين المجلس التشريعي، كما كان يقوم بوظيفة المسجل والناشر لقوانين المجلس؛ فضلاً عن أنه كان هو القائد الأعلى في أوقات الحرب⁽³⁾.

كما تغيرت البنية الداخلية للقبائل (الشعوب) فتحوّلت إلى قبائل إقليمية، تربط بين أفرادها علاقة المكان والمصالح الاقتصادية أكثر من رابطة الدم، فنجد القيل على رأس القبيلة، والياً محلياً قد ينصبهما الملك نفسه، كما نجد ألقاباً أخرى مثل: كبير، كبير أقيان، كبير خليل. وهكذا نجد أن اليمن القديم كان يتكون من تجمعات قبلية رئيسة مستقلة (شعوب)، تحتل كل منها مساحات محددة من الأرض، ومن اتحادات قبلية تضم عدداً من القبائل والعشائر، أو اتحادات دول ذات سيادة. وكان اسم الشعب هو اسم

(1) الجرو: (دراسات في التاريخ الحضاري) المرجع نفسه، ص 247.

(2) محمد عبد القادر بافقيه: (في العربية السعيدة دراسات تاريخية قصيرة) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ج1، 1987م، ص45.

(3) محمد عبد القادر بافقيه (في العربية السعيدة...) المرجع نفسه، ص40.

القبيلة الزعيمة (أوسان، قتيان، سبأ، حضرموت، حمير... إلخ) التي تربط بين أفرادها الروابط الاقتصادية وروابط العمل، وأصبحت العلاقة بين القبيلة الزعيمة والقبائل المنضوية تحت لوائها أقرب في حياتها إلى نظام الدولة كأمة⁽¹⁾.

أصبحت أقوى هذه القبائل (الشعوب) هي المحور الذي تدور حوله القبائل الأخرى، والمركز الذي تتركز فيه القوى الإدارية والسياسية. وهذه الاتحادات القبلية التي كانت تتوحد طوعاً أو كرهاً عن طريق الحرب أو الضم أو الغزو؛ كانت تتأثر بطبيعة العلاقة بين القبائل والعشائر التي يتكون منها الاتحاد، الذي يعتمد في بقائه وقوته على متانة العلاقة، والوحدة والمنفعة، أو المصلحة المشتركة لكل الوحدات القبلية التي يتكون منها الاتحاد⁽²⁾.

المدة من القرن الثامن حتى السابع قبل الميلاد شهدت قيام الممالك أو الكيانات السياسية، وهذا ما أظهره النقش الكبير الذي اكتشفته البعثة الألمانية خلال حفريات صرواح، والذي أكد بأن ظهور الممالك العربية الجنوبية تم في القرن الثامن قبل الميلاد، وهذا ما تؤكد الاكتشافات الأخيرة في الجوف في موقع السوداء (صورة النقش). حيث تظهر هذه الاكتشافات وبشكل واضح أنه كان يوجد إلى جانب الممالك الكبرى (سبأ، قتيان، حضرموت، أوسان) مدن أو قبائل يحكمها ملوك كما في الجوف أو المناطق المحيطة بمأرب - أربعين، أو بصنعاء مأذن، أو المناطق الواقعة جنوب غربي مملكة قتيان؛ رعانان ودهس. وقد تم التحول من مدن ممالك إلى ممالك كبرى تسيطر على أراض واسعة في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد وبداية القرن السابع قبل الميلاد⁽³⁾.

وكان على رأس (الشعب) حاكم محلي يحمل لقب ملك، فالملكية هنا ملكية قبلية، وهناك إله يلتف حوله الشعب بمختلف قبائله؛ مع وجود آلهة محلية لكل قبيلة، فعندما يبرز (الشعب) لأسباب سياسية واقتصادية أو لقوة عسكرية، ويحزرز هيمنة على مجموعة من القبائل (الشعوب) المجاورة؛ يؤدي ذلك إلى نشوء تجمع اجتماعي

(1) الجرو (دراسات في التاريخ الحضاري...) مرجع سابق، ص 247.

(2) فضل أبو غانم: القبيلة والدولة في اليمن، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1 - 1990م، ص 70.

(3) منير عربش: رؤية جديدة لكتابة تاريخ مملكة قتيان من خلال النقوش والآثار، حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء 2006، (ص 61 - 73)، ص 64.

سياسي جديد، فتأتي عندها الحاجة إلى التمييز بين لقب الملك الأعلى (ملك الملوك) وألقاب الملوك التابعين⁽¹⁾.

وتم ذلك من خلال تطور أدى إلى قيام نظام القبالة وانتشاره، فاختفى مع مرور الوقت لقب الملك في الشعوب التابعة، ليحل محله لقب (قبيل)⁽²⁾، لكن في مراحل لاحقة لاسيما في أوقات الضعف؛ ظهر من هؤلاء الأقبال من أطلق على نفسه لقب (ملك) سعيًا - على ما يبدو - للوصول إلى حكم الدولة الأم.

ظلت هذه الأوضاع حتى مراحل متأخرة شهدت ضعف سلطة الملوك في مقابل ازدياد قوة القبائل والزعامات (فترة الصراعات الداخلية لتوحيد اليمن من القرن الأول إلى الثالث للميلاد)، وقد عزز من قوة القبائل ومشايخها استعانة الملوك بهم من أجل توسيع ممالكهم، وهذا دفع الملوك إلى إرضائهم، مما زاد من نفوذهم، وبالتالي أضعف من مركز الدولة. وكانت النتيجة ضعف السلطة المركزية، وحصول بعض القبائل على نوع من الاستقلال؛ دفعت بعض المشايخ أو الأقبال إلى حمل لقب (ملك) من جديد.

وقد استمر هذا الإطار في الحكم حتى دب النزاع بين أكبر القبائل طموحًا للسلطة والهيمنة بحلول القرون الثلاثة الأولى للميلاد، حيث شهدت اليمن صراعات وحروبًا متعددة في مرحلة تاريخية اتسمت بالصراعات السياسية الدامية، مما أدى إلى شيوع حالة من الضعف والاضطراب، ضعفت عندها سلطة الملوك، واحتدمت الصراعات الداخلية بين الأقبال للوصول إلى العرش في الدولة السبئية، فشهدت المنطقة حروبًا متشعبة، شملت كل الكيانات السياسية على الساحة، ودخل فيها الأحباش أيضًا، الذين تمكنوا من احتلال بعض المناطق الساحلية اليمنية المطلية على البحر الأحمر⁽³⁾.

وقد حسم الأمر لصالح حمير في نهاية المطاف في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الميلاديين، نتج عنه مرحلة من مراحل تطور نظام الحكم، بسبب الإجراءات الحميرية لتنظيم شؤون الحكم والإدارة، في محاولة للجمع بين المركزية في الحكم والإدارة

(1) الجرو (دراسات في التاريخ الحضاري) مرجع سابق، ص 246.

(2) محمد عبد القادر بافقيه (في العربية السعيدة..). مرجع سابق، ص 77.

(3) أسمهان الجرو (دراسات في التاريخ الحضاري..). مرجع سابق، ص 247.

الإقليمية للأقاليم المستقلة أو شبه المستقلة، بما يضمن استمرار ولاء زعماء الأقاليم لسلطتها العليا، من خلال ممثلهم المحليين⁽¹⁾.



(شكل رقم 2 - العربية الجنوبية تحت سيطرة حمير في مطلع القرن الرابع الميلادي)
(الخريطة؛ نقلا عن كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ص 188)

الممالك العربية الجنوبية (التي قامت في محافظة شبوة) في الألف

الأول قبل الميلاد

تتميز محافظة شبوة بموقعها الجغرافي؛ أنها شهدت في تاريخها القديم قيام ثلاث من الممالك العربية الجنوبية القديمة، وكانت الحاضنة لعواصمها، فالقسم الشرقي لمحافظة شبوة كان يشكل مركز الثقل السياسي والاقتصادي لمملكة حضرموت القديمة، حيث عاصمة المملكة (شبوة)، وفيه أيضاً الميناء الرئيس لمملكة حضرموت وهو ميناء فنا (بئر علي حالياً). أما القسم الشمالي من المحافظة فقد شهد قيام مملكة قتيبان وعاصمتها (تمنع). أما المملكة الثالثة؛ فهي مملكة أوسان التي كانت عاصمتها (مسور) أو ما يعرف اليوم باسم هجر الناب على وادي مرخة. ثم آخر الممالك مملكة حمير، وفيما يلي خارطة تبين موقع كل مملكة من تلك الممالك (شكل 3).

(1) د. ناجي جعفر بن مرعي الكثيري: (القبيلة والأذوائية وعلاقتها بالنظام الملكي المركزي في اليمن) ندوة اليمن.. وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر: عدن، 2001م، ص 56.



(شكل رقم 3 - خريطة ممالك جنوب الجزيرة العربية في الألف الأول قبل الميلاد)

وفيما يلي سيتم بصورة موجزة؛ استعراض تلك الممالك العربية الجنوبية الثلاث (أوسان، حضرموت، قتبان) التي قامت في المحافظة منذ الألف الأول قبل الميلاد؛ وهي:

مملكة أوسان:

نشأت مملكة أوسان في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وكان وادي مرخة مركز نشوئها، واتخذت من مسور عاصمة لها، وقد امتد نفوذها إلى دثينة وأبين وأحور ووادي تبن ويافع، وكانت عدن - كما يعتقد - ميناءها، وقد ضمت إليها بلاد المعافر وقسم من بلاد البيضاء. وفي مطلع القرن السابع قبل الميلاد توسعت على حساب كل من حضرموت وكتبان فاقطعت من حضرموت وادي ميفعة، ووادي حجر، والسوط، ووادي جردان، وعرما حتى العبر، ووصلت إلى أودية بيحان في توسعها مع قتبان، كما سيطرت على الموانئ الرئيسة (عدن، قنا)، وبذلك سيطرت على المنافذ التجارية البحرية، فتضررت كل من مملكة حضرموت ومملكة قتبان ومملكة سبأ. ويبدو أن قوة تلك الدولة قد امتدت من خلال سيطرتها على طرق التجارة القديمة إلى عدن وباب المنذب الأقرب إلى أفريقيا، أو عبر ميناء قنا، ولهذا فقد أدت سيطرت أوسان التجارية إلى ازدياد قوتها

وضعف المجاورين⁽¹⁾. (انظر شكل - 1 موقع مملكة أوسان)⁽²⁾.



(شكل رقم 4 موقع مملكة أوسان)

وكجزء من إشكالية التسلسل التاريخي للدويلات اليمنية القديمة، فإن الباحثين لم يتمكنوا من معرفة المراحل الأولى لتكوين دولة أوسان سياسياً، وبالذات إذا علمنا أن ما توافر لدينا من النقوش الأوسانية هو شحيح للغاية، وليس فيه أي شيء من تفاصيل أو توضيحات ذات جدوى عن (أوسان)، إلا ما أبرزته لنا بعض النقوش النذرية⁽³⁾.

ويبدو أن موقع مملكة أوسان الاستراتيجي المهم، على طرق التجارة القديمة القادمة من الموانئ الجنوبية، قد أعطى مملكة أوسان دوراً سياسياً مهماً، وساعد في اتساع رقعة ما تسيطر عليه من أراضي، حيث توسعت شرقاً في مناطق حضرموت وغرباً في مناطق قتبان كما أسلفنا، فقد بسطت نفوذها في الأراضي المعروفة تاريخياً بأنها جزء من مملكة

(1) حبتور، ناصر صالح، توحيد اليمن القديم بين ذكر إل وكرب إل، مجلة سبأ، العدد 12، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، يوليو، 2003م، ص 20.

(2) الخارطة نقلاً عن: محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم، ترجمة علي محمد زيد، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 2007م، ص 142.

(3) الجرو، أسهمان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية القديم، مؤسسة حماد، أربد، الأردن، 1996م، ط 1، ص 157.

حضر موت⁽¹⁾، مثل ميفعة وحجر وسيان غرب المكلا والسوط وميفع وجردان، أي لم يتبقَّ مع حضر موت غير واديها الشهير (وادي حضر موت). وكذا المنافذ الشرقية ممثلة بالمهرة وظفار، كما توسعت مملكة أوسان غرباً باتجاه أودية قتبان الرئيسة، حيث ضمت إليها أودية عبدان وأبين ودثينة التي يرى البعض أنها كانت جزءاً من الأراضي القتبانية وخولان إلى وادي بيحان، أي أن وادي قتبان أصبحت محصورة فيه ولا تسيطر إلا على مساحة قليلة ربما تمثل بوادي حريب⁽²⁾.

أما عن أقدم المصادر التي تحدثت عن مملكة "أوسان"، فأبرزها ما يأتي:

1 - النقوش القتبانية: وفيها جاء أول ذكر لاسم (أوسان)، حيث وردت عبارة "شعب أوسن" (RES 454)، ولهذا ذهب الباحثون يرجحون أن مملكة أوسان كانت واحدة من المناطق الرئيسة التي كانت خاضعة لدولة قتبان. وعندما سنحت الفرصة، ووجد الأوسانيون في أنفسهم القوة والتفوذ والمنعة، راحوا ينفصلون عن (قتبان) في ظل ظروف غامضة وملابسات غير معروفة، فكُونوا لأنفسهم كياناً سياسياً مستقلاً كاملاً على ما يبدو.

2 - النقش الموسوم (السقاف) من أقدم النقوش الأوسانية المكتشفة، ويؤرخ بأواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد، بالرغم من ضياع جزء كبير من هذا النقش؛ إلا أنه يدل أن دولة أوسان عرفت ما يطلق عليه مرحلة المكربين، وهم الحكام الذي يحملون الصفحة الدينية والدينيوية - بمعنى أن الحاكم هو الكاهن الأعلى وهو الملك - وأن أوسان قد مدت نفوذها إلى مناطق واسعة، وقبائل كثيرة في جنوب الجزيرة العربية، بل وهددت الممالك المجاورة لها، مما دفع تلك الممالك للتحالف معاً للقضاء عليها. وقد ورد في هذا النقش إشارة إلى أول مكربيهما "ذكر إل لحيان بن عم كرب" وذكر ابنه "مرتعم - مرتع" (وهو مكرب وملك أوسان المعاصر للمكرب السبئي كرب إل وتر) و"أب يثع" (لا يعرف مصيره)، كما ذكر أقدم معبودات أوسان (عثر وبلو)⁽³⁾. ويبدو أن

(1) عطية، محمد عبدالباسط، مملكة أوسان دراسة في التاريخ السياسي الحضاري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2012م، غير منشورة، ص 84.

(2) حبتور، (توحيد اليمن القديم بين ذكر إل وكرب إل) مرجع سابق، ص 21 - 22.

(3) مزيد من التفاصيل عن النقش المذكور؛ ينظر حمود محمد جعفر السقاف (أول نقش يذكر مكرب أوسان)، ص 111 - 121، المنشور في مجلة ريدان العدد السادس، مؤسسة ريدان للدراسات الأثرية والنقشية، 1994م.

ذكر إل لحيان مكرب أوسان استطاع أن يتوسع وسيطر على مناطق مختلفة في جنوب الجزيرة العربية كانت تتبع (قتبان و حضرموت وسبأ) مما جعل كرب إل وتر مكرب سبأ يتحالف مع مملكتي حضرموت و قتبان؛ لشن الحرب ضد مملكة أوسان، وهو ما أشار إليه النقش السبئي الموسوم (RES 3945) والتي أدت إلى تدمير و حرق المدن الأوسانية، والقصر الملكي، ومعابدها، وإتلاف نقوشها⁽¹⁾، ونهاية المملكة سياسياً.

3 - النقش السبئي المعروف بالنقش (50 - Sirwah 2005 - DAL /3)، الذي يعود تاريخه إلى 715 ق.م؛ حيث يسرد هذا النقش الحملات العسكرية التي نفذها المكرب السبئي يتبع أمر وتر على الممالك العربية الجنوبية ومنها مملكة أوسان، مما يؤكد على وجود الكيان الأوساني في تلك الفترة، أي الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، وهو النقش الذي يذكر (بلو) إله مملكة أوسان، ويعد من أقدم النقوش السبئية حيث يعود لمكرب سبأ (يثع أمر وتر بن يكرب ملك سبأ) الذي يؤرخ حكمه إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد⁽²⁾.

4 - نقش النصر: (Glaser 1000 = RES 3945) هو مصدرنا الثاني الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، وقد سبق أن أشرنا إليه. وعلى أية حال فإنّ هذا النقش هو أهمّ ما توافر لدينا من مصادر عن دولة الأوسانيين، إذ بفضلها استطعنا أن نكوّن صورة واضحة عن هذه الدولة؛ كونه: -

أولاً: وثّق لنا حدودها السياسيّة، ومدى اتّساع رقعتها الجغرافيّة من حيث المساحة.
ثانياً: ذكر لنا جملة من القبائل التي خضعت لسلطتها، أو تحالفت معها.
ثالثاً: وصف لنا عاصمتها وبيّن لنا اسم ملكها آنذاك، وحدثنا عن منشآتها، ونشاطها ومراكزها الدينيّة، وما كان لها من جولات حربيّة، وصولات عسكريّة... إلخ⁽³⁾.

(1) جمال محمد الحسني، "بلو ذ جيم في نقش أوساني جديد"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 3، العدد 2، سبتمبر 2020م، ص 29 49، ص 34.

(2) منير عريش (عالم الآلهة في مملكة قتبان القديمة قبل الإسلام (القرن الثامن قبل الميلاد - القرن الثاني الميلادي) حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء العدد الأول، 2002، ص 17 - 22، ص 20.

(3) الجرو (المرجع السابق) ص 158.

لقد كان لطبيعة أوسان الجغرافية شأن عظيم في انتعاشها الاقتصادي، وازدهارها الحضاري، وذلك بسبب ما هيأتها لها هذه الظروف الطبيعية من أرض خصبة، وموقع استراتيجي حساس، جعلها تسيطر على جملة من الطرق التجارية في المنطقة براً وبحراً. فكان لا بد لها أن تنشط في شؤون الاقتصاد، وعالم التجارة القديم، فامتد نشاطها التجاري بعيداً عنها حتى وصل إلى سواحل إفريقيا. وقد أشار إلى ذلك صاحب كتاب (الطواف حول البحر الإرتيري)*. فحيثما يتحدث في كتابه هذا عن الساحل الأفريقي، نجده يطلق عليه اسم "الساحل الأوساني"⁽¹⁾، وهذا يدل على عمق الروابط وأواصر الصلات، وقوة التأثير المتبادل بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا.

إن ازدهار أوسان لم يكن منحصرًا في مجال التجارة، وإنما كان ازدهارها في الزراعة أيضًا، وهذا يعد أمرًا بديهيًا في مكان طبيعي محظوظ كموقعها، فقد كانت رقعتها الجغرافية تضم مساحات زراعية شاسعة؛ ممتدة المسافات، وذات تربة خصبة، وأودية غنية بالمياه.

علاقة أوسان مع الممالك المجاورة:

بالنسبة لعلاقة مملكة أوسان مع جيرانها؛ فقد كانت متقلبة ومتناقضة بين علاقات الود والصداقة أو العداة والحرب. وهذا أمر متوقع كونها - كما أسلفنا - لم تكتمف باستيلائها على المناطق المهمة في كل من حضرموت وقربان، بل إنها في عهد آخر ملوكها وهو (الملك مرتع) دخلت في نزاع عسكري وحرب مع مملكة سبأ، وتمكنت من الاستيلاء

(*) (كتاب الطواف حول البحر الأرتيري) هو كتاب مؤلفه مجهول، يتكون الكتاب من قسمين: القسم الأول يتألف من 18 فقرة، تتضمن الحديث عن بدء الرحلة من ميناء ميوس هورموس المصري على البحر الأحمر بمحاذاة الساحل الإفريقي حتى رابتا. بينما يتكون القسم الثاني من 48 فقرة، تتناول وصف الرحلة والطريق من الميناء المصري ميوس هورموس إلى ميناء لويكي كومي ومنها بمحاذاة الساحل الجزيرة العربية حتى خليج عمان والسواحل الهندية. (انظر ترجمة كتاب: عن البحر الإرتيري لأجاثار خيديس الكندي، ترجمة الحسين أحمد عبدالله، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط 1، 2011م، ص 18). عنوان الكتاب:

The Periplus of The Erythraean Sea. Translated and Annotated by Wilfre H. (1) Schoff, Distributed by Munshiram Manoharlaal Publishers Pvt. Ltd, Second Edition, New Delhi, 1974. sec 15.

انظر: ترجمة الكتاب ضمن إصدارات جامعة عدن بعنوان؛ الطواف في البحر الأحمر ودور اليمن البحري، ترجمة وتعليق: حسين علي الحبشي ونجيب عبدالرحمن شميري، دار جامعة عدن، 2004م، ص 23.

على أجزاء من الأراضي السبئية⁽¹⁾. وبهذا أصبحت مملكة أوسان تشكل أكبر توسع لدولة يمنية قديمة قبل الحرب عليها⁽²⁾. فقد توسعت مملكة أوسان ومدت نفوذها غربًا حتى المعافر (الحجرية) اليوم⁽³⁾، وبلغت المملكة شأنًا عظيمًا من الرقي الازدهار بسبب ما تهيأ لها من موقع جغرافي مهم، وأسباب ومقومات أخرى استغلتها أيما استغلال في سبيل نهوضها اقتصاديا وتجاريًا وزراعيًا.

من خلال نقش الملك كرب إيل وتر (Glaser 1000 = RES 3945) يظهر لنا أنّ دولة أوسان كانت قد بلغت شأنًا رفيعًا من الازدهار، بسبب ما كانت تقوم به من نشاطات تجارية، وأيضًا بسبب ما هيأتها لها طبيعة موقعها الجغرافي؛ من موانئ بحرية على امتداد سواحلها الجنوبيّة، وقد تمكّنت من الاستفادة منها واستغلالها بصورة مثلى، حتى قويت شوكتها، واتّسعت حدودها في عهد ملكها (مرتع)، لتمتدّ من المعافر غربًا - أي (الحجرية) - إلى وادي (حبّان) و (ميفعة) شرقًا، وضمتّ إليها كل المناطق الحساسة المترامية أطرافها ومن أشهر وأبرز تلك المناطق: (تبنو) - أي "تبين" - و (دهس) - أي "يافع" و (دثينة)، وسلسلة جبال (الكور) وإقليم (الوسر) وواديا: (يشبم) و (جردان)⁽⁴⁾.

فكانت أوسان بتوسعها هذا قد غدت تشكّل خطرًا داهمًا ومباشرًا ليس فقط على جارتها: (حضر موت) و (قتبان)؛ وإنّما على دولة (سبأ) التي هي الأخرى تأثرت من ذلك التوسع، ذلك أنّ دولتي (حضر موت) و (قتبان) - تحديدًا من تضرّرتا ضررًا كبيرًا من ذلك التوسع الأوساني، لأنّه جرى على حسابهما، حيث تمّ استقطاع أراضيها فتحالفتا مع مملكة سبأ⁽⁵⁾، التي أحكم عليها الخناق بحرمانها من أيّ انتفاع بالسواحل الجنوبيّة، فضاقت بذلك ذرعًا، ولم يكن أمامها من خيار آنذاك إلاّ أن تتصدّى لمواجهة

- (1) باوير (ج. م) ولوندن (أ) تاريخ اليمن القديم (جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور) ترجمة أسامة أحمد، (ط1) آفاق المعرفة، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن 1984م، ص 22.
- (2) حبتور، (توحيد اليمن القديم بين ذكر إل وكرب إل) مرجع سابق، ص 22.
- (3) البعسي، فيصل حسين، مستوطنات كور العوالق، رسالة ماجستير، الجزائر، ص 50.
- (4) الجرو، (موجز التاريخ السياسي ..) مرجع سابق، ص 158.
- (5) محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم، مرجع سابق، ص 23.

أطماع الأوسانيين، ووقف طموحهم وتوسعاتهم على حساب جيرانهم، فتبادل الطرفان المناوشات كراً وفرّاً، وكانت الحرب بينهما سجّالاً، فتارة يحالف النصر أوسان وتارة أخرى يحالف النصر سبأ⁽¹⁾.

مملكة حضرموت:

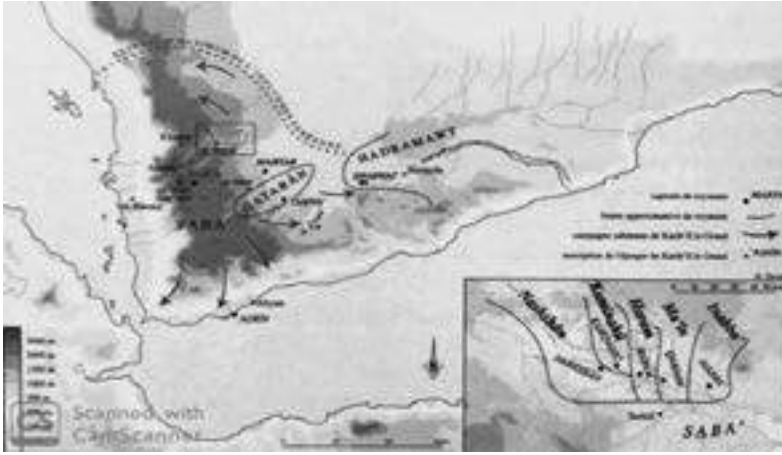
قامت مملكة حضرموت منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، ويعتقد أن نشوؤها كان في وادي حضرموت، وهناك من يعتقد أنها نشأت في وادي ميفعة بدليل أن مدينة ميفعة كانت هي العاصمة الأولى وشبوة العاصمة الثانية، ثم توسعت هذه المملكة شرقاً ضامة مساحات واسعة شرق إقليم ظفار، في سلطنة عمان، وكان يشكل قسمًا مهمًا من مملكة حضرموت⁽²⁾.

كما اتسعت حدود مملكة حضرموت غرباً فضمت أودية شبوة والسوط وعرما وجردان، واتخذت من مدينة شبوة عاصمة لها عندما ازدهر طريق التجارة الذي يمر برملة السبعين، وتمثل الفترة من القرن الرابع ق.م وحتى القرن الأول الميلادي بلوغ حضرموت أوجّ ازدهارها السياسي والحضاري؛ لسيطرتها على جانب مهم من الطرق التجارية، والموانئ المهمة مثل قنا وسمهرم، وعلى أهم مناطق إنتاج اللبان في إقليم ظفار⁽³⁾. (شكل 5 - مملكة حضرموت).

(1) راجع ترجمة نقش النصر (Glaser 1000 = RES 3945) في كتاب: حسن عبدالله العمري، مطهر علي الإرياني، ويوسف محمد عبدالله: "في صفة بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل.

الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي"، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990، ص 11 - 17
(2) محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985 م، ص 73.

(3) يوسف محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الثانية، 1990 م، ص 242.



(شكل رقم 5 موقع مملكة حضرموت)

أسهمت عدة عوامل في قيام مملكة حضرموت، من بينها العامل الطبيعي المتمثل في موقع حضرموت الاستراتيجي، فموقعها سمح لها بأن تشمل منطقة واسعة امتدت شرقاً لتشمل ظفار أرض اللبان، وجنوباً شملت نطاق الجول الجبلي الكبير حتى ساحل المحيط، وشمالاً اتجاه الربع الخالي الصحراء الرملية الكبرى، وغرباً مساقط الأودية التي تؤدي إلى وادي حضرموت. وفي موقع استراتيجي من أقصى الغرب كانت تقع "شبوته" عاصمة المملكة الحضرمية⁽¹⁾.

شغلت مملكة حضرموت مساحة جغرافية واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربية، فحدودها - كما أسلفنا - كانت تمتد من حدود (قتبان) غرباً، وحتى عُمان شرقاً ومن البحر العربي جنوباً؛ وحتى (العبر) وصحراء الربع الخالي شمالاً. وقد ورد اسم حضرموت في النقوش (ح ض ر م وت) أو (ح ض ر م ت). أما اسم الوادي فكان يسمى (س ر ر ن). وجاء في التوراة (حاضر ميث) كأحد أبناء يقظان بن عامر بن شامخ⁽²⁾، جاء ذكر حضرموت عند الكتاب الكلاسيكيين فقد قال عنها (بليني) في كتابه (التاريخ الطبيعي): " (حضر ميثا) ومركزها (سبوتا) مدينة تحتوي على ستين معبداً⁽³⁾. والمقصود ب (سبوتا) "شبوته"

(1) حسين الشيخ: العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993 م، ص 69.

(2) التوراة، العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح الأول، آية رقم (20).

(3) Pliny: " Natural History ", translated by. H. Rackham. London and Cambridge, 1969, BK 6, sec 32.

عاصمة الدولة. أمّا الحسن الهمدانيّ - من علماء القرن العاشر الميلاديّ - فيقول: "نسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر..."⁽¹⁾. وقد ظلّت حضرموت تحتفظ باسمها لقرون طويلة، ولم يخف الاسم بزوال المملكة القديمة، كما حدث لغيرها من الممالك، بل ظلّ حتّى يومنا هذا، لكنّ الحدود الجغرافيّة لهذا الإقليم اختلفت عمّا كانت عليه.

ويكتنف الغموض أجزاءً من تاريخ حضرموت السياسيّ، لاسيما في مطلع الألف الأول قبل الميلاد. فالمعلومات المتوافرة شحيحة للغاية، وهذا النقص شجع كثيراً من الباحثين على وضع فرضيّات مختلفة حول بداية التكوّن السياسيّ لتلك الدّولة. وعلى الرّغم من شح المعلومات؛ إلاّ أننا نستطيع أن نؤكد بأنّ حضرموت طيلة النصف الثاني من الألف الأول ق.م، ظلّ ثقلها المؤثر والعظيم في مجرى التّطوّر العام للحضارة العربية الجنوبية، حتى أشارت إلى ازدهار تجارتها، وعلو مكانتها الكتب الكلاسيكية، فذكرت أن تجارة البخور كانت مزدهرة، وأن مدينة شبوة كانت مركزاً رئيساً لتجميع تلك السلعة الثمينة وتوزيعها⁽²⁾.

وقد حظيت حضرموت بأهميّة كبيرة؛ بوصفها منطقة تنتج أجود أنواع البخور وأثمنها، فقد تحدّثت الكتب الكلاسيكيّة عن تجارة هذه السلعة الثمينة، وأن "شبوة" (العاصمة الحضرميّة) كانت مركزاً رئيساً لتجميعها. وراح الكلاسيكيّون يتناقلون اسم شبوة وأهميّتها السياسيّة والدينيّة والتجاريّة، حيث أشار (بليني) وغيره من الكتّاب الكلاسيكيّين أيضاً إلى أشجار المر واللبان، وطريقة جمعهما، وما يصاحب هذا الجمع دائماً من طقوس متّبعة في ذلك⁽³⁾.

كانت علاقة حضرموت بكل الممالك المعاصرة لها، علاقة تحكمها المصالح والمواقف، ولذلك كانت هذه العلاقة تتأرجح بين مشاعر الودّ والمنفعة الاقتصاديّة حيناً، ومشاعر العداء والحروب المدمّرة حيناً آخر. ويرى الباحثون أنّ هناك علاقة اتحادية قديمة كانت قد نشأت بين مملكتي سبأ وحضرموت منذ عهد المكاربة، فقد عثر على

(1) الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوغ، القاهرة،

1974م، ص 167

(2) محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، مرجع سابق، ص 41.

(3) Pliny: op. - cit. Bk. 6 Sec (32)

أسماء لمكاربة سبئين وملوك من حضرموت، وذلك في عهد الكتابة الأكثر قدمًا، كما عثر - في الوقت ذاته - على آثار السبئين في حضرموت سواء أكان ذلك على صعيد اللهجة أم الدين أم الفن⁽¹⁾.

في مطلع القرن السابع قبل الميلاد، نجد أن مملكة حضرموت ومعها مملكة قتبان تدخلان في حلف مع مملكة سبأ ضد مملكة أوسان؛ التي وسعت أراضيها، وضمت أجزاء كبيرة من أراضي الممالك المجاورة، وكانت مملكتنا (حضرموت) و (قتبان) قد تضررتا ضررًا كبيرًا من ذلك التوسع الأوساني؛ لأنه جرى على حسابهما، حيث تمّ استقطاع أراضيها فتحالفتا مع مملكة سبأ⁽²⁾، التي أحكم عليها الخناق بحرمانها من أيّ انتفاع بالسواحل الجنوبية، فضاقت بذلك ذرعًا، ولم يكن أمامها من خيار آنذاك إلا أن تتصدى لأطماع الأوسانيين، فشنت عدة حملات ضد مملكة أوسان للانتقام منها كما جاء في نقش الملك السبئي كرب إل وتر (RES 3945).

وتمثّل المدة الزمنية من القرن الرابع ق.م وحتى القرن الأول الميلادي بلوغ حضرموت أوج ازدهارها السياسي والحضاري، وبدأت حدود مملكة حضرموت تتغير قليلًا مع بداية الميلاد؛ فقد أخذت قتبان في الضعف تحت ضربات الحميريين والسبئين، حيث آلت أراضي مملكة معين إلى مملكة سبأ بعد السقوط، وبذلك أصبحت حضرموت في هذه الفترة تقسم النفوذ مع سبأ وحمير، حيث امتدت سيطرتها إلى وادي بيحان في الغرب، وتمكنت في مطلع القرن الثالث الميلادي من السيطرة على معظم بلاد ولد عم، لاسيما قتبان وردمان وخولان، فأصبحت بذلك في صدام مباشر مع سبأ وحمير⁽³⁾.

لقد دخلت مملكة حضرموت في حروب مع أوسان ثم مع قتبان ومع سبأ في مرحلة ما قبل الميلاد، وكانت لها علاقات حسنة مع دويلات الجوف منذ الألف الأول قبل الميلاد، ثم في مطلع القرن الثالث الميلادي تمكنت من الاستيلاء على أهم الأودية القتبانية، وهي أودية بيحان وخولان وردمان في البيضاء، كما استولت على أودية نصاب ودثينة.

(1) J. Pirenne : " Les temoines ecrit de la region de Shabwa et l'histoire "، (fouilles de (1) Shabwa) tome 1، Paris (1990)، p 130.

(2) محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم، مرجع سابق، ص 23.

(3) محمد علي حزام القبلي، مملكة سبأ في عيد الأسرة الهمدانية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة صنعاء - اليمن، 2115 م، ص 15.

في حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي تمكنت الدولة الحميرية من إخضاعها واحتلالها فترة المد الحميري الذي تهاوت قوته مع نهاية القرن الخامس الميلادي لتصبح في قبضة الزينيين، ومثلت مدينة قنا ميناء حضر موت الرئيس.

مملكة قتيان:

قامت مملكة قتيان إلى الجنوب الشرقي من دولة سبأ، وتحديداً على وادي (بيحان) الواقع شمال شرق عدن، على بعد 300 كم تقريباً، وضمّت إليها كلاً من وادي (حريب) غرباً، ووادي (مبلقة) ووادي (آخر) يسمّى حالياً وادي (خر)، ومن ثم أخذت هذه الدولة - في فترات زمنيّة لاحقة - تمتد وتتسع رقعتها الجغرافية. ومن أول وهلة لقيامها اتخذ القتيانيون من (تمنع) - المعروفة اليوم بـ (هجر كحلان) - عاصمة لهم، ومركزاً لنشاطاتهم⁽¹⁾.

وبالنسبة لبداية ظهور مملكة قتيان فهي كغيرها من الممالك العربية الجنوبية القديمة، فقد اختلفت الآراء في تحديد البداية الأولى لانطلاق القتيانيين في تأسيس كيانهم السياسي، فمنهم من يرى أنّ تلك البداية كانت في منتصف القرن التاسع ق.م، ومنهم من يرى أنّها تعود إلى القرن السابع ق.م.

إن آثار القتيانيين ووجودهم الاجتماعيّ، ونشاطهم الاقتصاديّ، ترجح أن نشوء الكيان السياسي لمملكة قتيان؛ إلى تاريخ أسبق، أبعد بكثير من ذينك التاريخين المذكورين آنفاً، ذلك أنّ البعثة الأثرية الأمريكية تمكّنت من إزاحة الستار عن هذا الأمر، فقدّمت لنا نتائج إيجابية بصدده، حينما عثرت - في (هجر بن حميد) - على نصوص قتيانية من مخربشات نقشيّة (أي نصوص غير متقنة في رسمها النقشي)، تتّجه كتابة سطورها من اليسار إلى اليمين، مما يعني أنها قديمة العهد⁽²⁾. (الشكل 6 - موقع مملكة قتيان).

(1) الجرو، موجز التاريخ السياسي...، مرجع سابق، ص 137.

(2) الجرو، (موجز التاريخ السياسي..)، مرجع سابق، ص 138.



(الشكل 6 - موقع مملكة قتبان)

وقد أكد عالما النقوش الأمريكيين (جام Jamme) و (البرايت Albright) وهما من أعضاء البعثة الأمريكية ذاتها، على بدائية وقدم هذه المخربشات، سواء في أشكال حروفها أم في رسمها الذي لم يلتزم في سيره اتجاهاً ثابتاً، حيث نرى من هذه المخربشات أو الكتابات ما يميل يميناً، ومنها ما يميل يساراً، وبعضها مقلوب، وبعضها الآخر قد رسم على جانبه، ويرجع علماء النقوش هذا المنحني من أسلوب الكتابة إلى القرن العاشر أو الثاني عشر قبل الميلاد تقريباً⁽¹⁾.

يبين لنا نقش النصر (Glaser 1000) = (RES 3945) أقدم ذكر لقتبان باسم (ولدعم)، إذ نجدها مذكورة فيه مع مملكة (أوسان)، التي كانت هدفاً رئيساً للحملات الحربية، التي شنها المكرب السبئي (كرب إل وتر) عليها في القرن السابع ق.م. وكان من نتائج تلك الحروب: أن تمكنت قتبان من الاستيلاء على عدد من الأراضي والمناطق التابعة لـ (أولاد عم)، وهي أوسان، ودثينة، ودهس (يافع)، وتبنو (تبن). وهذا يعني أنها بسطت نفوذها على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة، التي كانت تروبوها

(1) Albright, W. F: The Chronology... p p. 5 – 15

العديد من الأودية الغزيرة، ولا ريب أن تلك الأراضي كانت مصدرًا لتصدير المرّ، وموطنًا لأشجاره. ولم تكتف قتبان بالاستيلاء على كل تلك المناطق، بل راحت تسيطر تمامًا على كافة الشريط الساحلي الممتد بمحاذاة المحيط الهندي⁽¹⁾.

أمّا عن طبيعة نظام الحكم في قتبان، فإنّه كان يقوم على النظام الوراثي، كما هو الحال في بقية الممالك القديمة المجاورة. ما كان سائدًا في الدولة السبئية تمامًا. وإبان الملكية تكوّن - في قتبان - مجلس للأعيان من شيوخ القبائل، ورجالات الدولة، وكبار موظفيها، أطلق عليه اسم (م س د) أو (مسود) وحينها جرت العادة على أن يجتمع هذا المجلس - بدعوة من الملك - مرتين كلّ عام، على الأغلب، في العاصمة (تمنع)⁽²⁾.

بدأ الحكم في الدولة القتبانية بالنهج نفسه الذي سارت عليه، وبدأت قديمًا سائر الممالك اليمنية الأخرى، إذ تلقب حكامهم الأوائل بلقب (مكرب). إلا أن هذا النهج أخذ يتغيّر بعض التغيّر في سلّم التطور، منذ بداية القرن الرابع ق.م. فيما يرى (البرايت Albright) فمن حينها انطلقوا يتلقّبون بلقب ملوك⁽³⁾، ومع هذا فإنّ هناك من ملوكهم من بقي متمسكًا بلقب (مكرب) إلى جانب لقب (ملك)⁽⁴⁾.

شهدت العلاقة بين قتبان وجيرانها أطوارًا مختلفة، وانعطافات متباينة من المدّ والجزر، من الهدوء والاحترام المتبادل تارة، والصراع والحروب تارة أخرى كغيرها من الممالك. فكانت، تتأرجح بين صداقة حينًا، وعداء حينًا آخر، وأحيانًا تكون وسطًا لا هذا ولا ذاك، واقفة عند حدّ الحياء، أو الحياد وكان هذا التّأرجح يخضع لتأثيرات الأحداث على سيادتها، أو الموقف من مصالحها، وبما ينسجم مع ما يستجدّ من ظروف سياسيّة ومواتية أو متقلّبة، وهذا أمر طبيعيّ في العلاقات بين الدّول.

وقد وقفت قتبان موقفًا تضامنيًا مع (سبأ) إبان حربها مع (أوسان) في عهد الملك السبئي (كرب إل وتر) في القرن السابع ق.م، وكافأها كرب إيل وتر على ذلك الموقف كما جاء في نقش النصر (RES 3945). ومع هذا فإنّ تلك العلاقة التّضامنيّة بين الدّولتين

(1) Wendell Phillips: Qataban and shba., p. 221

(2) أسمهان سعيد الجرو، (موجز التاريخ السياسي..)، المرجع السابق، ص 142.

(3) Albright: The Chronology... p. 5 - 15

(4) الجرو، موجز التاريخ السياسي، مرجع سابق، ص 140.

- سبأ و قتبان - لم تدم طويلاً، وإنما نشبت الصراعات السياسية والعسكرية بينهما فيما بعد، وراحت تتصاعد تدريجياً، وتشتد بين الفينة والأخرى، إلى أن تأزم الموقف تماماً، وتدهورت العلاقة نهائياً. وكان هذا أمراً طبيعياً بحكم حساسية موقعهما وجوارهما، فحينما نشأ التنافس بينهما؛ انتهى بهما إلى حتمية الصدام المسلح، وفي نهاية المطاف تمكنت قتبان من حسم الصراع لصالحها، ومدت نفوذها إلى مساحات شاسعة من الأراضي السبئية.

العلاقات السياسية بين الممالك في أثناء الحرب بين أوسان وسبأ :

شكلت الحرب بين مملكتي أوسان وسبأ؛ منعطفًا تاريخيًا غير خارطة العلاقات السياسية بين هذه الممالك، وأفرز واقعًا مغايرًا لما كانت عليه المنطقة قبل تلك الحرب، فكما هو الحال في مثل هذه الأحداث لا توجد علاقات ثابتة وإنما مصالح مشتركة، فمتى ما كانت هناك مصالح مشتركة فقط تتغير تحالفات تلك الدول فيما بينها، وتتباين مواقفها، ووفقًا لما تمليه الضرورة، ولحماية مصالحها الخاصة. فقد سبق أن شهدنا في أواخر عهد مملكة أوسان؛ توسعها وضمها لأراضي ومساحات من جارتها مملكتي حضرموت و قتبان.

فمن خلال نقش الملك السبئي كرب إيل وتر الموسوم (RES - Glaser 1000) 3945 يظهر لنا أن دولة أوسان كانت قد بلغت شأنًا من القوة والتوسع والازدهار؛ بسبب ما كان لها من نشاطات تجارية، وما هيأته لها طبيعتها الجغرافية من موانئ بحرية على امتداد سواحلها الجنوبية، تمكنت من الاستفادة منها واستغلالها، حتى قويت مكانتها، واتسعت حدودها في عهد ملكها (مرتع)، لتمتد من المعافر غربًا إلى وادي (حبان) و (ميفعة) شرقًا، ضامة إليها كل المناطق الحساسة المترامية أطرافها، ومن أشهر وأبرز تلك المناطق: (تبنو) "تبين" و (دهس) "يافع" و (دثينة)، وسلسلة جبال (الكور) وإقليم (الوسر) ووادي: (يشبم) و (جردان)⁽¹⁾، كما سبق أن ذكرنا ذلك، (الشكل رقم 7 - نقش الملك كرب إل وتر).

(1) الجرو، (موجز التاريخ السياسي...) مرجع سابق، ص 158.



(الشكل رقم 7 نقش الملك كرب إل وتر)

بتوسعها هذا شكّلت مملكة أوسان خطراً داهماً ومباشراً ليس فقط على جارتها: (حضر موت) و (قتبان)، وإنّما على دولة (سبأ) التي هي الأخرى أبدت انزعاجاً وغضباً من ذلك التّوسع، بالرغم من أن مملكتي (حضر موت) و (قتبان) هما اللتان تضرّرتا من ذلك التّوسع الأوسانيّ، لأنّه تم على حساب أراضيها ومساحتها التي تمّ استقطاعها والاستيلاء عليها. أمّا دولة سبأ فقد أحكم عليها الخناق بحرمانها من أيّ انتفاع بالسواحل الجنوبية، فضاقت بذلك ذرعاً، ولم يكن أمامها من خيار آنذاك إلا أن تتصدّى لمملكة أوسان، وأن توقف أطماعها، فاندلعت الحرب بين الطرفين (أوسان وسبأ) حرباً ضرورياً وكانت الحرب بينهما سجّالاً، حتى تمكن الملك كرب إل وتر من عقد تحالفات، وتكوين الجيوش، وأرسال الحملات العسكرية القوية، والتي يمكن استعراضها من خلال نقش الملك السبئي كرب إل وتر، ويمكن إيجازها في الآتي⁽¹⁾:

(أ) الحملة الأولى: شنت على بعض المدن في منطقة "المعافر" (الحجريّة حالياً)، الواقعة جنوب غرب اليمن، فكانت حصيلة القتلى: (3000)، أمّا الأسرى فبلغوا (8000).
 (ب) الحملة الثانية: شنت على دولة أوسان في عقر مركزها: وادي (مرخة)، فكان عدد القتلى: (16000)، والأسرى: (40,000).

(1) الحملات ونتائجها منقولة عن: الجرو، (موجز التاريخ السياسي.. مرجع سابق، ص 161).

(ج) الحملة الثالثة: شنت على كل من: دهس (يافع) وتبنو (تبن) الواقعتين باتجاه الشمال والشمال الشرقي من عدن، فكانت حصيلة القتلى (3000) والأسرى: (5000).
(د) الحملة الرابعة: شنت على قبائل أخرى في ذات الإقليم المذكور أعلاه، وكان عدد الضحايا: خمسمائة (500) قتيل والوف (1000) أسير.

(هـ) الحملتان الخامسة والسادسة: شنتا على مدينة (نشن) "السوداء" في الجوف.
(و) الحملة السابعة: لم يتضح لنا بدقة إلى أين كان توجهها، وفي أغلب الظن أنها توجهت نحو تهامة، أو إلى منطقة أخرى واقعة على ساحل البحر الأحمر.

(ز) الحملة الثامنة: شنت على مناطق وقبائل مجهولة، لم تتبين لنا معرفتها من النقش، إلا أن النقش ذاته، يذكر لنا أن السبئيين تمكّنوا من القضاء على ملوك تلك المناطق والقبائل، فقتلوا (3000) إنسان، وأسروا (5000) آخرين، واستولوا على (150,000) رأس من البهائم، ثم توجهوا بعد ذلك إلى ضرب قبائل (مهامر) في نجران وقبائل (أمير) الواقعة أرضهم بين نجران والجوف، فأمعنوا في التنكيل بهم جميعاً، حتى قتلوا (5000) إنسان، وأسروا (12,000) آخرين منهم. أمّا ما غنموه من المواشي فكان (20,000) رأس.

ويظهر لنا من إحصاء القتلى والأسرى في عددهم الإجماليّ الناجم عن كل هذه الحملات: أنّ هناك نوعاً من المبالغة في وضع هذه الأرقام، كما نزعّم ولهذا لا بدّ من الاحتراس عند التأمّل فيها، إذ ينبغي لنا أن نتعامل معها بشيء من الترويّ والحذر. ولم يكتف مدوّن النقش بإبراز أعداد القتلى والأسرى من البشر، وإنّما مضى يشرح لنا: -

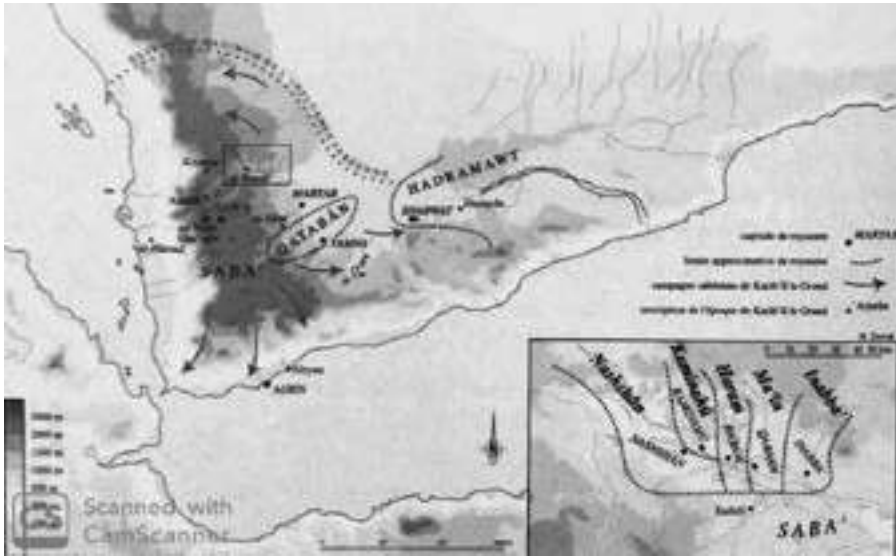
1 - كيف أمعن السبئيون في تهديم الأسوار، وإحراق المدن والعواصم وكيف راح مكربهم (كرب إل وتر) يقضي على خصومه من ملوك الدول الأخرى المتحالفة ضدّه، وزعماء القبائل المناوئة له. فقد ذكر في النقش دولة أوسان، وعاصمتها (مسور)، وملكها (مرتع)، والمدن الخاضعة لها، والقبائل الحليفة لها⁽¹⁾.

(1) بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م،

2 - كيف عامل (كرب إل) أسرى الحرب معاملة مهينة وقاسية إذ جعلهم عبيداً للسبئيين، ناهيك أنه صيرّ مدناً بكاملها لصالحه الخاص، حينما استولى عليها استيلاءً كاملاً، على سبيل المثال كما حصل ذلك مع (كحد) وأهلها، وذلك هو ما أخبرنا به النقش نصّاً في عبارته التالية:

"أنه اقتنى كل قسط كحد أحراراً، وعبيداً، وأولادهم وأموالهم، ورجالهم ملكاً خاصاً للإله المقه ولسبأاً...".

وقد اتضح لنا من النقش أن حضرموت وقتبان كانتا قد تحالفتا مع سبأ في هذه الحروب الطاحنة المدمّرة، حيث دارت حروب طاحنة ضد مملكة أوسان في المناطق التابع لمملكة حضرموت، التي سيطرت عليها أوسان، وهي ميفعة، وحجر، وسيبان، غرب المكلا، والسوط، وميقع، وجردان، وعرما⁽¹⁾. (شكل 8 - ممالك العربية الجنوبية بعد حروب كرب إل).



(شكل 8 - ممالك العربية الجنوبية بعد حروب كرب إل وتر)

(1) محمد أحمد سعيد السدلة الخلفي، العقلة - دراسة تاريخية من خلال الشواهد الأثرية والنقشية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، غير منشورة، كلية الآداب قسم التاريخ جامعة عدن، غير منشورة، 2020، ص 44.

هكذا نجد في نهاية المطاف أنه؛ بعد أن تحقق لسبأ ولملكها (كرب إل وتر) هذا النصر على مملكة أوسان، كافأ المكرب السبئي (كرب إل وتر) دولتي: حضرموت وقتبان على تحالفهما معه، بأن أعاد إلى كلٍّ منهما أراضيها التي كانت أوسان قد سلبتها منها. وهذا هو ما وثقه النّش حيث ينص قائلاً: "...وأعاد للإله (سين)" - إله حضرموت الأكبر" - و (حول) - وهو معبود حضرمي أيضًا - و (يدع إل) "ملك حضرموت" - وحضرموت ومناطقها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيين، وأعاد مناطق (عم) و (أنباي) - آلهة قتبان - و (ورو إل) - "ملك قتبان" - وقتبان؛ أراضيها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيين، لأن (أهل) حضرموت وقتبان آخوا (يعني: تحالفوا مع) المقه، كرب إل وسبأ...⁽¹⁾.

العلاقات الاقتصادية بين الممالك بعد حروب كرب إل وتر؛

تعدُّ التجارة والزراعة من أهم العوامل الاقتصادية التي قامت عليها الممالك العربية القديمة سواء في جنوبي الجزيرة العربية أم في وسطها أم شماليها، ويعود ذلك إلى الموقع الاستراتيجي المهم الذي تمتعت تلك الممالك العربية الجنوبية، لأنها مثلت حلقة وصل بن حضارات العالم القديم، وكان يتم نقلها وتبادلها مع مختلف الحضارات القديمة، ونتيجة لذلك أقيمت لها أسواق مركزية، كانت تتم فيها عملية البيع والشراء والتخزين وأمكنة لتجمع التجار القادمين من الشمال كونهم غرباء على المنطقة، أو التجار المحليين الذين يسافرون بسلعهم من الجنوب إلى الشمال⁽²⁾.

بالنسبة لتطورات الأوضاع السياسية بعد حملات كرب إل وتر وتأثيرها على العلاقات بين الممالك القديمة، لاسيما العلاقات الاقتصادية؛ فمن خلال نقش كرب إل وتر الموسوم (RES 3945) يذكر كرب أن ملك قتبان ورو إل، تحالف مع سبأ، وكافأه بأن أعاد له الأراضي التي استولت عليها مملكة أوسان من مملكة قتبان، واستولت عليها سبأ بعد هزيمة أوسان، كما يذكر النّش المذكور بأن مجمع الآلهة الرسمي لمملكة قتبان مكون من المعبودين (أنبي وعم)⁽³⁾. وقد تمكّنت قتبان من الاستيلاء على عدد من الأراضي

(1) نقش النصر [RES 3945].

(2) علي مبارك صالح طعيمان: تخطيط وعمارة سوق شمر في مدينة تمنع وسوق قرية الفاو ودورهما الاقتصادي - دراسة مقارنة، مجلة أدماتو، العدد الثامن والثلاثون، 2018م، (ص 25 - 42)، ص 25.

(3) منير عريش: (عالم الآلهة في مملكة قتبان القديمة قبل الإسلام) القرن الثامن قبل الميلاد - القرن الثاني

والمناطق التابعة لـ (أولاد عمّ)، وهي أوسان، ودثينة، ودهس (يافع)، وتبنو (تبن). وهذا يعني أنها بسطت نفوذها على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة، التي كانت ترويه العديد من الأودية الغزيرة، ولا ريب أنّ تلك الأراضي كانت مصدرًا لتصدير المرّ، وموطنًا لأشجاره. ولم تكتفِ قُتبان بالاستيلاء على كل تلك المناطق، بل راحت تسيطر تمامًا على كافة الشريط الساحلي الممتد بمحاذاة المحيط الهندي⁽¹⁾.

ويظهر من النقش السبئي (RES 3943) بأن الحلف بين حضرموت وسبأ وقُتبان قد انتهى، وتحول إلى صراع للسيطرة على الأراضي الأوسانية التي أصبحت تحت سيطرة السبئيين، حيث اندلعت حرب بين سبأ وقُتبان، ففي هذا النقش رغم عدم اكتماله؛ يذكر قيام مملكة سبأ بحرب ضد سمهو وتر وهو أول من حمل لقب مكرب قُتبان وأول من حمل الصفة الملكية "يهنعم" (النقوش 3668 - 3675، إلخ)⁽²⁾.

أخذت مملكة قُتبان تتحرّر نهائيًا من التحالف مع السبئيين، وفي الفترات اللاحقة، أصبح ملوك قُتبان يلقَّبون بـ (أولاد الإله عمّ) [RES 3675]، وفي أحيان أخرى كانوا يلقَّبون بـ (ملوك قُتبان، وكل أولاد عمّ، وأوسان، وكحد، ودهسم "ويافع" وتبنو "تبن")، ويبدو من طول هذا اللقب أنّ قُتبان قد آلت إليها أراضي أوسان برمتها، فكانت منذ ذلك التاريخ هي أول من ورث الأقاليم الأوسانية بعد القضاء على مملكة أوسان⁽³⁾.

ففي المدة من القرن السادس إلى الخامس قبل الميلاد؛ شهدت ممالك سبأ وقُتبان وحضرموت مدة من الرخاء والازدهار، حيث توسعت سبأ وسيطرت على قسم كبير من أراضي مملكة أوسان، كما استعادت مملكتي حضرموت وقُتبان أراضيهم التي استولت عليها مملكة أوسان.

في المدة من القرن الرابع حتى الثاني شهدت مملكة قُتبان عصرها الذهبي، فبفضل الاكتشافات الأثرية الأخيرة التي قامت بها البعثات الأثرية الإيطالية - الفرنسية في بقايا

الميلادي) حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء العدد الأول، 2002، ص 17 - 22.

(1) الجرو، (موجز التاريخ السياسي ..) مرجع سابق، ص 140.

(2) منير عربش: رؤية جديدة لكتابة تاريخ مملكة قُتبان من خلال النقوش والآثار، حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء 2006، (ص 61 - 73)، ص 65.

(3) الجرو، (موجز التاريخ السياسي ..) مرجع سابق، ص 161.

مدينة تمنع يمكننا معرفة تاريخ المنشآت الرسمية والمعمارية في المدينة والتي تعود إلى هذه المدة الزمنية، كما تمّ تشييد مسلة السوق والأبنية المحيطة بها، والبابين الشمالي والجنوبي، وتم توسيع معبد أثرت، وتشييد معابد أنبي وعم وبنات إل في وسط المدينة، والقصر الملكي (حرب)⁽¹⁾.

وبين أيدينا نص تجاري قتباني؛ ينضم الحياة الاقتصادية بين الممالك العربية الجنوبية في سوق شمر في العاصمة القتبانية تمنع. بالرغم من أن هذا القانون هو قانون قتباني؛ غير أن ما يحتويه من بنود، تعدّ نموذجاً منظماً لعمليات التبادل التجاري التي كانت تتم بين الممالك العربية الجنوبية منذ الألف الأول قبل الميلاد. ولا تقتصر أهمية هذا النص القانوني فيما يحتويه من تشريعات ونصوص ملزمة؛ فقد احتوى أيضاً على رصد وتسجيل لمجمل العمليات التجارية التي تتم بالسوق وأنواع السلع التي يتم بيعها أو تداولها، ومقدار الضرائب التي يتم تحصيلها، وكذا تحديد الشخص المسؤول عن السوق، والمحلات التجارية التي يسمح لها بالتجارة، والوقت المسموح به لممارسة التجارة، كما نصّ القانون العلاقة بين التجار الأجانب (من غير سكان مدينة تمنع أو مملكة قتبان). وكذا الحقوق التي ينبغي المحافظة عليها لمواطني وسكان تمنع في أن يكون لهم نصيب من تلك السلع التي يتم تبادلها في السوق. وفيما يلي سيتم استعراض هذا القانون والبنود التي يحتويها.

يعد سوق شمر من أهم الأسواق القديمة المشهورة جنوب الجزيرة العربية، التي ظلت حقبة طويلة من الزمن مجهولة لم يتم الكشف عنها، بعد زوال مملكة قتبان، ولم يُرح الستار عنها إلا بعد الاكتشافات الأثرية الأخيرة من النصف الثاني من القرن الماضي، إلا إن أهل تلك الآثار قد تركوا لنا نقوشاً كتابية تؤكد نوعية تلك المنشآت وماهيتها، وإلى أي درجة وصلوا من الدقة في تنظيم التشريعات وحمايتها، وتوفير فائض من السلع التجارية التي يتم تبادلها لسكان المملكة المحليين. ولعل أهم تلك النقوش هو المسلة الحجرية التي تم العثور عليها في سوق شمر في العاصمة القتبانية تمنع، فقد وجدت هذه التعاليم على عمود حجري يقع وسط باحة سوق شمر في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان، مكتوب

(1) منير عربش، رؤية جديدة لتاريخ مملكة قتبان..، مرجع سابق، ص 66.

بخط المسند الجنوبي بلغة قتبانية⁽¹⁾، وهو النقش الموسوم بـ (RES4337)، (شكل 9 - سوق شمر والمسلة في وسط الساحة).



(شكل 9 - سوق شمر والمسلة في وسط الساحة)

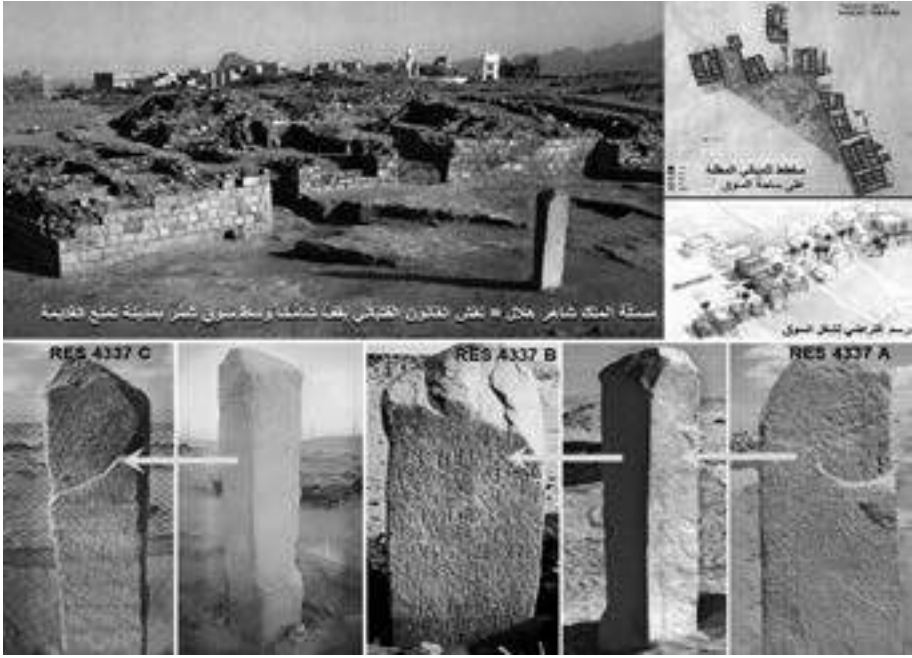
هذه مسلة منتصبة في وسط السوق القديم بتمنع عاصمة قتبان (هجر كحلان الآن)، وقد نقش على ثلاثة جوانب منها بالخط المسند وباللغة القتبانية؛ تعاليم خاصة بسوق المدينة (سوق شمر) ويوضح هذا النقش بصورة إجمالية الرسوم المفروضة، وفئات التجار، والسلع التي يتم تداولها في السوق. ونظرًا لأهمية هذا القانون وما يحتويه من تعليمات تنظم التجارية في إحدى الممالك العربية الجنوبية؛ سيتم فيما يلي نقل محتوى هذا النقش كما أورده يوسف محمد عبدالله⁽²⁾، استنادًا إلى قراءة كل من (ماريا هوفنر) و(الفرد بستون): -

"هكذا قضاء وشرع "شهر هلال بن يدع أب" ملك قتبان وأهل قتبان بتمنع وبرم وواديي حوكم وولد عم وحاكم تمنع وحاكم ولد عم - أن من يشتغل بالتجارة في تمنع وبرم، ومهما كانت بضاعته يجب أن يدفع ضريبة السوق في تمنع، وأن يكون مالكا لدكان في

(1) علي مبارك صالح طعيمان، تخطيط وعمارة سوق شمر...، مرجع سابق، ص 29.

(2) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، مرجع سابق، ص 140 - 141.

سوق شمر، وأن من يأتي إلى قتبان ببضاعة؛ يجب أن يمتلك دكانًا حتى يحق له أن يمارس البيع والشراء في "سوق" شمر أيًا كانت قبيلته. إن من يفتح دكانًا يكون من حقه أن يشترك في التجارة مع غيره من أصحاب الدكاكين، ولا يجوز لعاقل السوق أن يتدخل في ذلك. وعندما يعلن عاقل سوق شمر عن حاجته إلى باعة قتبانيين متجولين بين القبائل، نظرًا لانشغاله ببيع بضاعته في دكانه بسوق شمر؛ فإنه يجوز حينئذٍ لأهل قتبان أن يتاجروا على حسابهم الخاص بين القبائل. يغرم عاقل السوق في حالة تبليغه كل تاجر يمارس غش الآخرين خمسين قطعة ذهبية، كما يغرم المبلغ نفسه كل أجنبي يحاول أن يتجر في بلاد قتبان. لا تسري ضريبة بيع الحبوب في عمليات البيع والشراء بين أهل قتبان، على أن أداء هذه الضريبة واجب على غيرهم، وتدفع هذه الضريبة بالعملة القتبانية، بالإضافة إلى الضريبة الأساسية دفعة واحدة. يجب على كل قتباني أو معيني أو أي مقيم آخر في تمنع يؤجر بيته أو حجرة إلى صاحب دكان، أن يدفع ضريبة السوق إلى ملك قتبان من بضاعة التاجر عينها. وفي حالة كون بضاعة التاجر لا تفي بقيمة الضريبة المقررة، يجب على صاحب البيت أن يستوفي الضريبة من ماله الخاص. تحضر التجارة أيًا كان نوعها من قبل دافعي الضرائب في السوق بقصد التعامل مع غير قتباني أو سفلي (من ذي سفلي)؛ حرصًا على حقوق أهل قتبان العادلة، وطبقًا لما شرعه ملك قتبان. يجب على كل من يتاجر بالجملة في تمنع أن يعهد إلى باعة تجزئة عند تسويق بضاعته في أرض قتبان. تحظر التجارة في السوق ليلاً حتى الصباح. لملك قتبان حق الإشراف على كل بضاعة تمر في أرضه. فليدعم كل ملك هذا القانون"، (شكل 10 - صورة لموقع السوق والمسلة والنقوش المكتوبة عليها).



(شكل 10 - صورة لموقع السوق والمسلة والنقوش المكتوبة عليها)

قائمة المصادر والمراجع:

- ◆ بافقيه، محمد عبد القادر:
 - تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م.
 - في العربية السعيدة - دراسات تاريخية قصيرة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ج 1 - 1987م، ج 2 - 1993م.
- ◆ توحيد اليمن القديم، ترجمة علي محمد زيد، من إصدارات المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 2007م.
- ◆ البعسي، فيصل حسين: مستوطنات كور العوالت، رسالة ماجستير، الجزائر، غير منشورة.
- ◆ باوور (ج. م) ولوندين (أ): تاريخ اليمن القديم (جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور) ترجمة أسامة أحمد، (ط1) آفاق المعرفة، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن 1984م.
- ◆ التوراة، العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح الأول، آية رقم (20).
- ◆ الجرو، أسمهان سعيد:
 - موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب الجزيرة العربية اليمن القديم، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، أربد - الأردن، 1996م.
 - دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم) دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2003م.
- ◆ حبتور، ناصر صالح، توحيد اليمن القديم بين ذكر إل وكرب إل، مجلة سبأ، العدد 112، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، يوليو، 2003م، ص 2.
- ◆ دلو، برهان الدين (جزيرة العرب قبل الإسلام) جزئين، دار الفارابي - بيروت، ط1 - 1989م.
- ◆ الحسني، جمال محمد الحسني، "بلو ذ حيم في نقش أوساني جديد"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 3، العدد 2، سبتمبر 2020م.
- ◆ حسين علي الحبشي ونجيب عبدالرحمن شميري، ترجمة وتعليق لكتاب الطواف حول البحر الإرتيري، نشر بعنوان؛ الطواف في البحر الأحمر ودور اليمن البحري، ضمن إصدارات جامعة عدن، دار جامعة عدن، 2004م، ص 23.

◆ الخلفي، محمد أحمد سعيد السدلة، العقلة - دراسة تاريخية من خلال الشواهد الأثرية والنقشية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، غير منشورة، كلية الآداب قسم التاريخ جامعة عدن، غير منشورة، 2020.

◆ الشيخ، حسين، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993 م.

◆ طعيمان، علي مبارك صالح طعيمان، تخطيط وعمارة سوق شمر في مدينة تمنع وسوق قرية الفاو ودورهما الاقتصادي - دراسة مقارنة، مجلة أدماتو، العدد الثامن والثلاثون، 2018م.

◆ منير عربش:

- (عالم الآلهة في مملكة قتبان القديمة قبل الإسلام - القرن الثامن قبل الميلاد - القرن الثاني الميلادي) حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء العدد الأول، 2002.

- (رؤية جديدة لكتابة تاريخ مملكة قتبان من خلال النقوش والآثار)، حوليات يمانية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2006.

◆ عطية، محمد عبدالباسط، مملكة أوسان دراسة في التاريخ السياسي الحضاري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2012م، غير منشورة.

◆ العمري، حسن عبدالله، ومطهر علي الإرياني، ويوسف محمد عبدالله: "في صفة بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي"، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990.

◆ أبو غانم، فضل، القبيلة والدولة في اليمن، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 - 1990م.

◆ القيلي، محمد علي حزام، مملكة سبأ في عهد الأسرة الهمدانية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة صنعاء - اليمن، 2115 م

◆ الكثيري، ناجي جعفر بن مرعي (القبيلة والأدوائية وعلاقتها بالنظام الملكي المركزي في اليمن) ندوة اليمن.. وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر: عدن، 2001م.

- ◆ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب،، تحقيق محمد بن علي الأكوغ، القاهرة، 1974م.
- ◆ يوسف محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، درا الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الثانية، 1990م.

- ◆ **Albright, W. F:** The Chronology, first campaign of Excaption in Qataban, Ancient South Arabia in the Light of dans, BASOR 119, 1950.
- ◆ **The Periplus of The Erythraean Sea**, Translated and Annotated by Wilfre H. Schoff, Distribated by Munshiram Manoharlaal Publishers Pvt. Ltd, Second Edition, New Delhi,1974.
- ◆ **Pirenne. J.:** "es temoine escrit de la region de Shabwa et l'histoir", (fouilles de Shabwa) tome 1, Paris (1990).
- ◆ **Pliny:** "Natural History", translated by. H. Rackham, London and Cambridge, 1969, BK 6, sec 32.
- ◆ The Periplus of The Erythraean Sea, Translated and Annotated by Wilfre H. Schoff, Distribated by Munshiram Manoharlaal Publishers Pvt. Ltd, Second Edition, New Delhi,1974.
- ◆ **Schoff, Wilfed. H. "The Periplus of the Erythraean Sea"**, (trans and commentary) Longman, Green, New York, (1912).

شبوّة في كتابات الرحالة الأوربيين بنات سبأ أنموذجاً

المقدمة :



علي سالم علي باهادي
نائب مدير مركز الرناد للتراث والآثار
والعمارة تريم - حضرموت

تقاطر على الجزيرة العربية العديد من الرحالة الأوربيين بعد القرون التي تلت النهضة الأوربية، تدفعهم في ذلك مؤسسات الاستشراق والمراكز البحثية وأجهزة الاستخبارات، وكان البعض منهم قد أتى مغامراً أو مستكشفاً لتلك العوالم والمجتمعات المجهولة بالنسبة للأوربيين.

ويعد الرحالة والمستشرق البريطاني هاري سانت جون فيلبي (عبدالله فيلبي) من أشهر أولئك الأوربيين الذي قدموا إلى الجزيرة العربية، بل من أعظم مستكشفيها، وقد مكنته علاقته بالملك عبدالعزيز بن سعود من إشباع رغبته في الترحال في الجزيرة العربية.

يعد كتاب (بنات سبأ رحلة في جنوب الجزيرة العربية) من أشهر كتب فيلبي الذي حوى العديد من المعلومات التاريخية والجغرافية والأثرية ومشاهداته للمجتمعات في المناطق التي مر بها، مقدماً عنها وصفاً أنثروبولوجياً جيداً، وما يميز ذلك الكتاب والعديد من كتب فيلبي أنها احتوت على عدد من الصور الفوتوغرافية للأعلام والمدن والمعالم والحياة الطبيعية.

البحث يتتبع الإشارات والمواقف والأحداث التي ضمها الكتاب عن شبوة التي هي إحدى المحطات البارزة في خطة ترحال فيلبي، ويتناولها بالتحليل والدراسة.

البحث يأتي في إطار دراسة أدب الرحلات التي قام بها الغربيون إلى بلدان جنوب الجزيرة، وقد سبق للباحث أن عمل على دراسات عن الرحالة ورحلاتهم إلى حضرموت. استقامت الدراسة في مبحثين تلتهما خاتمة وملحق وقائمة بمصادر الدراسة وتقدمت الجميع مقدمة.

المبحث الأول: فيليبي، نشأته ورحلاته في الجزيرة العربية:

هاري سانت جون فيليبي⁽¹⁾ هو رحالة ومستكشف رائد وسياسي ورجل استخبارات بارع، وتاجر ماهر، لقب بـ (الحاج عبد الله) بعد أن أعلن إسلامه.

ولد هاري جون فيليبي في الثالث من أبريل عام 1885م في جزيرة سيلان التي كانت إحدى مستعمرات بريطانيا في الشرق.

عانى فيليبي خلال طفولته هناك من شظف العيش، لهذا عاد مع أمه إلى بريطانيا عام 1891م، وتفوق في دراسته حتى حصل على منحة حكومية للالتحاق بكلية تريتي بجامعة كمبريدج، وهناك ركز على دراسة التاريخ والحضارات الشرقية والقانون الهندي واللغة الألمانية والفارسية والفرنسية، وبدأت تظهر موهبته، أكمل تأهيله العلمي بتفوق في مطلع أكتوبر 1908م.

التحق بعد التخرج بالعمل لدى الحكومة البريطانية في الهند، وتزوج هناك من إحدى النساء البريطانيات وأنجبت له ابنة (كيم)، وفي الهند سجلت لفيلبي العديد من المواقف الإيجابية لاسيما في الجوانب الاجتماعية، وكان يفضل التعامل مع السكان المحليين أكثر من التواصل مع زملائه البريطانيين.

فيلبي والبلاد العربية:

في العام 1914م أرسلت حكومة بريطانيا الاستعمارية قوات من الهند إلى العراق، واحتلت بها البصرة لأهمية موقعها من جهة، وليكونوا في مواجهة أعدائهم الأتراك من جهة أخرى، وقد أرسلت بريطانيا وفد إدارياً إلى البصرة للإشراف على التنظيم الإداري، وكان فيليبي مؤهلاً للانضمام إلى ذلك الفريق؛ لأنه قد بدأ في تعلم اللغة العربية في الهند،

(1) مصادر الترجمة: الزركلي، الأعلام، ج 8، ص 63 - 64. عمشوش، المستكشف هاري سانت جون فيليبي ورحلته إلى حضرموت، دار جامعة عدن، 2012م. حسن ساتي، قصة عبدالله فيليبي من وثائق المخابرات البريطانية.

فوصل في العام 1915م إلى البصرة ومنها كانت انطلاقة إلى البلاد العربية. وقد مكنته ذلك العمل من لقاء الأمير عبدالعزيز بن سعود في ذات العام، وفي العام 1917م احتلت بريطانيا بغداد فعين فيلبي مساعداً ثانياً للحاكم هناك.

وقد أشارت بعض الوثائق البريطانية إلى أن فيلبي قد اختفى عدة مرات من مقرات عمله ولفترات مختلفة، وتشير تلك الوثائق إلى أنه قد عمل جاسوساً هبئة شحاذ عربي في أسواق بغداد، وكان لمهارته اللغوية وذكائه المعروف سبباً لتكليفه بتلك المهمة الخطرة. في العام 1917م أرسلت بريطانيا فيلبي إلى الكويت للتفاوض مع الأمير عبدالعزيز بن سعود في شؤون الحرب الدائرة حينها، وقد أعجب فيلبي بشخصية الأمير السعودي، ورأى فيه الشخص الذي يمكن أن يساعده في تحقيق طموحاته الاستكشافية في الجزيرة العربية.

اقترح فيلبي على السلطات البريطانية تعيين ممثل دائم لها في الرياض، فعيته السلطات ممثلاً لها لدى ابن سعود.

بدأ فيلبي في تنفيذ خطته في اختراق الجزيرة العربية بعد تلك المرحلة، وقد لقي دعماً من ابن سعود حيث زوده بالجمال والحرس، وكان متحمساً بدرجة كبيرة، ولم تكن رحلاته سهلة، ولم يكن حراسه متحمسين للسفر والترحال مع ذلك الكافر.

حاول فيلبي اختراق صحراء الربع الخالي عام 1924م، فتقدم بطلب للسلطات البريطانية في عدن للحصول على ترخيص، فقبل بالرفض.

أنشأ فيلبي شركة للاستيراد في جدة، ربح من خلالها الكثير من الأموال، حيث تولى مهمة استيراد سيارات الحكومة السعودية وبعض السلع الأخرى.

بعد فشله في اختراق الربع الخالي والحصول على ترخيص من سلطات عدن البريطانية؛ اتجه إلى ابن سعود فطلب منه ذلك، فقبله بالرفض كذلك، ازدادت معاناة فيلبي بعد سماعه أخبار عدد من الرحالة الأوربيين الذين تمكنوا من اختراق الربع الخالي، فأعلن إسلامه في العام 1930م، لعل ذلك يمكنه من تحقيق حلمه في اختراق صحراء العرب واستكشافها.

في العام 1931م تمكن من الحصول على رخصة السفر للربع الخالي من ابن سعود، فجهز قافلته في منطقة الهفوف والتي تكونت من 14 بدويًا و32 جملاً، وقد طاف في تلك

الرحلة على ظهور الجمال معظم الربع الخالي، ودون رحلته في كتاب (الربع الخالي)، بعد أن حقق حلمه ذلك بدأ يقل حماسه في الترحال، واهتم أكثر بأمور التجارة والبتروك⁽¹⁾.

فيلبي والأراضي اليمينية :

في العام 1934م استطاع الملك عبدالعزيز بن سعود أن يصل إلى اتفاقية مع جاره الإمام يحيى بن حميد الدين حول المناطق الحدودية المتنازع عليها، وفي الحفل الذي نظم للتوقيع على الاتفاقية كلف الملك صديقه فيلبي بإلقاء كلمة نيابة عنه، بعد التوقيع أتت الحاجة لتوثيق تلك العلامات على الخرائط، ولإنجاز تلك المهمة كلف الملك صديقه فيلبي ليقوم بها، مع تزويده بكل ما يحتاجه من مال ورجال ومعدات وخطابات إلى المسؤولين والحكام المحليين الذين تقع مدنهم في طرق رحلته؛ لتكون رحلة بصفة رسمية⁽²⁾.

تعدُّ هذه الرحلة أطول رحلات فيلبي في الجزيرة العربية من حيث المسافة والزمن، فانطلق في 21 مايو 1936م، وكان هدفه تحقيق إنجاز قطع الجزيرة العربية من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي برًّا، الذي لم يحققه أحد بعد.

اجتاز فيلبي الصحارى حتى وصل إلى بيشة وعسير وأبها، ثم وصل إلى نجران ومكث بها شهرًا للتزود بوقود السيارات الذي تم جلبه من مكة، بعد نجران اتجهت أنظار فيلبي نحو شبوثة.

المبحث الثاني: فيلبي وشبوثة :

1 - محاولات وصول الرحالة الأوروبيين إلى شبوثة :

كانت شبوثة محط أنظار الرحالة والمستكشفين الذين يصلون إلى الجزيرة العربية، وواحدة من أبرز المحطات التي يحرصون على النزول بها. وقد طارت شهرت شبوثة وأخبارها ومعابدها الستين، وكونها عاصمة المملكة الحضرمية القديمة، ووصلت تلك الأخبار إلى أروقة الجامعات العلمية والمراكز البحثية عبر كتابات المؤرخين الأوروبيين الأوائل، فأسالت لعاب الباحثين والرحالة. فقد حاولت فريا ستارك الوصول إليها، وحاول الهولندي فان در ميولن اختراقها. وكذلك ريكاردس وبوكسين، ونورمان بيرن،

(1) عمشوش، المستكشف فيلبي، ص 32

(2) فيلبي، هاري سانت جون: بنات سبأ رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة يوسف مختار الأمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 2001م، ص 29.

لكنها باءت بالفشل . واستطاع الألماني هلفريتز من الوصول إلى شبوة، وهو أول أوروبي يصلها، لكنه طرد منها بسرعة، ولم يتسم الحظ إلا للمستكشف البريطاني فيلبي .

في العام 1936م وصل فيلبي إلى نجران، والتقى بأمرها إبراهيم النشمي، ومكث بها شهراً، وبعد أن اطمأن لمضيفه أطلعه على رغبته في القيام بجولة سريعة في شبوة، ولم يبد الأمير النشمي أي تحفظ، بل إنه قدّم عددًا من الجمال وطباخ وسائق وحراسة صغيرة من 8 جنود نجديين من القوات السعودية، ورتب له أيضًا مرشدين من البدو عند الآبار التي سيمر بها⁽¹⁾.

2 - خط رحلة فيلبي والوصول إلى شبوة :

قدم فيلبي وقافلته من نجران إلى شبوة من اتجاه العبر، حيث يصف بداية رحلته بالصعبة فيقول: كانت التسعة الأميال الأولى من رحلتنا تجاه شبوة تقع في العبر، وقد كانت منحوسة، حيث غرزت السيارة في الرمال على بعد ميل من الآبار⁽²⁾.

وصل فيلبي إلى شبوة في مطلع شهر أغسطس من العام 1936م، يرافقه عدد من الجنود السعوديين، وقد استقبله سكانها بفرح؛ إذ اعتقدوا أنه جاء ليضمهم إلى المملكة العربية السعودية، وقد أعجب بطريقة الاستقبال في شبوة، وخصّص لها مساحة واسعة في الكتاب للتحدث عنها.

3 - ردود الفعل تجاه رحلة فيلبي إلى شبوة :

1/3 ردة فعل السكان المحليين:

لقد استبشر السكان المحليون في شبوة بمقدم فيلبي الذي وصلت أخبار مقدمه إلى شبوة قبل وصوله إليها بمدة، وكان السكان يعتقدون أنه مبعوث الملك عبدالعزيز بن سعود؛ ليتفاوض معهم بشأن ضمهم لمملكته الجديدة، وكانوا يتحدثون عن ابن سعود بإعجاب ومودة غير زائفة.

لم يثر قدوم فيلبي إلى شبوة مخاوف السكان المحليين، ولم يكن خوفهم إلا أن ينحاز فيلبي إلى قبيلة دون أخرى، لاسيما إذا علمنا حجم الصراعات الداخلية بينهم.

(1) عمشوش، المستكشف فيلبي، ص 31

(2) فيلبي بنات سبأ، ص 104.

يتضح أن أعيان شبوة قد تدارسوا أمرهم قبل وصول فيليبي وتحديد موقفهم من الملك عبدالعزيز، فقد طلب السكان من فيليبي خطابات من الملك عبدالعزيز تضمن أمنهم من أي هجوم⁽¹⁾ قد تُشنه قواته عليهم، وقد كان ذلك موقف معظم القبائل في شبوة ومحيطها؛ لأنهم يريدون أن ينعموا بالهدوء والسلام. كما اقترحت بعض الجماعات المحلية في شبوة على فيليبي أنه يجب إحالة نزاعات شبوة الداخلية إلى ابن سعود ليصدر حكماً فيها⁽²⁾.

2/3 ردة فعل فيليبي وموقفه:

يعترف فيليبي للسكان بأنه لم يكن يمتلك صلاحيات أو سلطان لكي يلزم الملك ابن سعود بأي سياسة أو إجراء تجاه هذه المناطق.

ولكن ولكي يظهر لسكان شبوة حسن نيته، اقترح عليهم أن يختاروا مندوبين عنهم لإرسالهم لمناقشة الأمور مع الملك، ويستطيع هؤلاء الممثلون أن يسافروا معه في أثناء رحلة العودة إلى أرض ابن سعود⁽³⁾.

كذلك لم يتردد فيليبي من إعطاء الوعود لقبائل شبوة، فخلال زيارته لقبيلة همام في شبوة تعهد للناس أنه سيقنع الملك عبدالعزيز من إعفائهم من الرسوم وكافة الإجراءات المفروضة على الحجاج، ومن الواضح أن وعود فيليبي تلك كانت مجرد وسيلة لجذب الناس إليه وتحفيزهم على تسهيل مروره في مناطقهم وإعطائه المعلومات التي يحتاجها⁽⁴⁾.

3/3 ردود فعل السلطات الحاكمة في حضرموت وسلطات عدن البريطانية وإمام اليمن:

لقد أثار دخول أحد الرعايا البريطانيين (فيلبي) إلى أراضي شبوة وحضرموت وهو متخف في ثياب عربية ومصحوب بقوات سعودية، أثار قلقاً لدى السلطات البريطانية في عدن، لاسيما أنه كان يقطع بعض الوعود للسكان المحليين ويروج لابن سعود، ومع ذلك فإن بريطانيا تعاملت معه بشكل إيجابي مع طلبه بتوفير قطع غيار لازمة لسيارته، إذ إنه لم يكن من السهل عليها أن تتخذ إجراءات رادعة ضد أحد رعاياها؛ خشية أن يؤثر ذلك في طريقة تعامل الأهالي مع الزوار البريطانيين الآخرين للمنطقة⁽⁵⁾.

(1) فيليبي، بنات سبأ، ص 120.

(2) فيليبي، بنات سبأ، ص 135.

(3) فيليبي، بنات سبأ، ص 121.

(4) عمشوش، المستكشف فيليبي، ص 43.

(5) عمشوش، المستكشف فيليبي، ص 51.

يتضح أن السلطات البريطانية قد كثفت استخباراتها على فيليبي بعد دخوله بتلك القوات، وقد أرسلت له مرة أن على تلك القوات مغادرة المناطق التي تخضع للحماية البريطانية، ويسجل فيليبي متهمًا وساخرًا على اعتبار أن مرافقيه هم قوات سعودية، ونفى أن يكون واحدًا منهم على ارتباط بالجيش السعودي، ويسخر ويقول: إن جريمتنا كانت اكتشاف شبة، وأنا كنا الرواد في تمهيد طريق السيارات على طول الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب⁽¹⁾.

ويبرر فيليبي عدم طلبه تصريح بالدخول من السلطات البريطانية، بأنه لا جدوى من ذلك، وأن طلبه السابق قد رفض، ويسخر ويقول بأن الذين تمكنوا من الحصول على تراخيص من سلطات عدن البريطانية قد باؤوا بالفشل مثل ريكادرس وبوسكين وفريا ستارك، وأن أول محاولتين ناجحتين لاستكشاف شبة قد نفذتا من دون تصريح أو دعم من عدن، ويقصد بها رحلته ورحلة الألماني هانس هيلفريتس⁽²⁾.

وكانت السلطات المحلية في حضرموت قد ساورتها الشكوك من فيليبي، وربما كان ذلك من المستشارين البريطانيين، فعندما وصل فيليبي إلى القطن حاول الأمير علي بن صلاح القعيطي معرفة أسباب مقدم فيليبي وجماعته برًا من مكة، لكنه لم يحصل على إجابة، وكتب إلى أحد رجال الدولة الكثيرة في سيئون يخبره بمقدم فيليبي ورجاله المسلحين، وقد أثار بعض أسئلة فيليبي الشكوك لدى المسؤولين الحضارم، مثل هل شبة تدخل في حدود القعيطي؟ وسؤاله عن عدد كبير من قبائل حضرموت⁽³⁾.

وفي شبة وبعد عودته من حضرموت التقى فيليبي بأحمد ناصر القردعي⁽⁴⁾ وأحد زملائه (صالح بن حزيق) ومكنهما من الذهاب إلى السعودية، رغم أنهما كانا هارين ومطلوبين من قبل الإمام يحيى، وقد أثار ذلك غضب الإمام، ورغم أن فيليبي قد أصطحب الرجلين معه إلى نجران، وأبرق إلى الملك ابن سعود بشأنهما؛ لكن الملك رفض إعطاءهم الحماية، تنفيذًا لبنود اتفاقية الطائف بين ابن سعود والإمام يحيى⁽⁵⁾.

(1) فيليبي بنات سبأ، ص 296.

(2) المرجع نفسه، ص 293.

(3) عمشوش، المستكشف فيليبي، ص 34.

(4) أحمد ناصر القردعي: شقيق علي ناصر القردعي الثائر ضد أئمة صنعاء.

(5) فيليبي، بنات سبأ، ص 283.

وقد خشي الإمام من تحركات فيليبي في أن تكون تمهيداً لضم شبوثة وحضرموت إلى السعودية، فلم يتردد الإمام في الاحتجاج إلى الحكومة البريطانية، والملك ابن سعود الذي أخبره بأن فيليبي قد زار المنطقة كمسافر محض وأن الـ25 سعودياً الذين صحبوه كانوا مرافقين، ويقال إن ذلك الرد قد هدأ إمام اليمن إلى حد ما، وقام في ما بعد باعتقال أحد رعاياه من قبيلة نهم، وطلب من القبيلة إعطاءه نفسيراً لسلوكهم الحسن والكريم مع فيليبي⁽¹⁾.

4 - الأبعاد العلمية في رحلة فيليبي إلى شبوثة :

1/ 4 الأبعاد الجغرافية:

أتت رحلة فيليبي إلى شبوثة بعد أن قام بالعديد من الرحلات في أنحاء من الجزيرة العربية، الأمر الذي مكنه من اكتساب مهارات وخبرات كبيرة في رصد المعالم الجغرافية التي يزورها، وكان بعكس مرشديه ومرافقيه - وربما عادة الكثير من المسافرين - في السير في المساء، يصير دائماً على السفر في ضوء النهار؛ حتى يتسنى له مشاهدة طبيعة المنطقة، وحالما يصل إلى منطقة جديدة يسارع إلى تحديد موقعها والسمات العامة لتضاريسها وأشجارها وحيواناتها⁽²⁾ وطيورها، ويرسم كذلك تخطيطاً للمعالم الأرضية، ويقيس درجات الحرارة والضغط الجوي والارتفاع عن سطح البحر، مستخدماً في ذلك الأجهزة التي أحضرها معه، ومهاراته في معرفة مواقع النجوم.

كانت لرحلة فيليبي أبعاد علمية مهمة، فقد رسم خارطة لشبوثة والجزء الشمالي والشرقي لحضرموت، وأوضح فيها طرق المواصلات البرية، وأهم الأودية وفروعها⁽³⁾، وقدم وصفاً للعواصف التي تكثر في شبوثة والمناطق الصحراوية وشدت رياحها التي غالباً ما تعرقل مسيرهم، حتى إنه ذات يوم وهو في شبوثة هبَّت عواصف شديدة خلال يوم واحد، واقتلعت عددًا من خيامهم، وأربكت أوضاعهم، فوصف هذه الأرض بأنها أرض الشيطان⁽⁴⁾.

سجلت أجهزة فيليبي مقياس الحرارة 88 درجة، وكانت السماء ملبدة بالغيوم، وكان الحد الأدنى لدرجة الحرارة في الليل يرتفع إلى ما يصل إلى 84 درجة، وقد بلغ الحد

(1) عمشوش، المستكشف فيليبي، ص 62.

(2) كالثعابين التي تم جلب له اثنين منها من نوع (الثعبان الأقرن) ص 150.

(3) باحاج، الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص 43.

(4) فيليبي، بنات سبأ، ص 149.

الأقصى ءلال إقامتنا المؤقفة لمدة أربعة أيام فف شبوذة مئة ودرءفن، ففصل الارتفاع هنا إلى ءوالف 3000 قدم فوق سطح البحر أو أكثر من ذلك بقلل⁽¹⁾.

فذكر ففلفف ءءءاً من الأوؤفة وفروعها والءبال وشءابها، ففقدم وصفاً عن الأشءار والنباءات المنشرة بها، فمن الأوؤفة والمعالم الطبففة التي ذكرها وقدم وصفاً لها (واؤف المعشار، واؤف القصعة، للال القوؤء، ءربة النسر الزرافة، المءباض، العطف)، ومن النباءات (السنط، نءفل الءوم). ومن الءفواناء التي ءمها إلى مءموعفه ءءء من الشءابفن السامة (الشءبان الأقرن)، وأشار إلى أن الطفور لم تكن كئفرة بشبوذة ءفر طائر الأبلق الؤف لم فكن ناءراً فف هذه المنطفة⁽²⁾.

كما قدم ففلفف معلوماء عن مساءة شبوذة القؤففة وفق الأطوال والمسافاء التي ءءءها بنفسه بأنها سءكون ءوالف (27 فءان)⁽³⁾.

كما ءءء مناءم وءبال الملح فف شبوذة التي ءءء مصءراً اقءصاءياً مهمماً للمنطفة، وءءءهما بأنها منءمان ففءان إلى الشمال من المؤففة القؤففة، ومنءم آءر ءوقف العمل ففه ففء إلى الغرب⁽⁴⁾. وفف سفاق آءر فذكر بأن ءشفرة آل قطفان هم ملاك مناءم الملح، بالفإضافة إلى بعض الآبار فف المؤففة⁽⁵⁾.

2/4 التركفة الاءتماعفة والعاءاء والءقالفء:

ءلال ءقء الءلالئفنااء من القرن الماضف كان الطابع القبلف لا فزال مهممناً فف معظم المناطق التي زارها ءءالله ففلفف فف شبة الءزفرة العربفة، وءءءلى تلك الصورة فف شبوذة بشكل أوضح.

وكان لعمل ففلفف السابق فف مءال الاسءءباراء وإءقانه اللغة العربفة ولهءاءها قءمكنه من رصد عاءاء وءقالفء وأنساب معظم الءءمعااء السكانية فف شبة الءزفرة العربفة⁽⁶⁾.

(1) ففلفف، بنااء سبأ، ص 121 - 122.

(2) ففلفف، بنااء سبأ، ص 150.

(3) ففلفف، بنااء سبأ، ص 131.

(4) ففلفف، بنااء سبأ، ص 131.

(5) ففلفف، بنااء سبأ، ص 147.

(6) ءمشوش، المسءكشف ففلفف، ص 72.

قدم فيلبي تعداداً تقريبياً لسكان شبوة في ثلاثينيات القرن العشرين، فيقول إن السكان قد خرجوا عن بكرة أبيهم ليكونوا في شرف استقبالنا⁽¹⁾، وهم يلوحون ببنادقهم، وربما كان عددهم 200 - 300 فرد. ويتضح أن أعداد السكان كانت قليلة، وربما يكون للاضطرابات القبلية دور في نزوح جماعات من المدينة، أو إن جماعات قد اتجهت إلى الرعي في أطراف المدينة والمراعي المجاورة.

أما عن الصراع القبلي في شبوة فقد رصد فيلبي عدداً منها، التي عدها أحد مرافقيه حوادث عادية ولا يمكن أن تثير أي قلق، ويتضح لنا الدور الجيد الذي تقوم به بعض الأسر في عمليات الصلح ونشر السلام في المناطق والمجتمعات المتنازعة مثل أسرة البريكي⁽²⁾. وقد أدت تلك النزاعات المسلحة إلى انعدام الأمن داخل المدينة والقرى المجاورة، وكان السكان قد ذكروا له ذلك في سياق أحاديثهم معه، وأنهم يتمنون أن يحل عليهم زمان يتفرغون لزراعة حقولهم ورعي قطعان مواشيهم في سلام.

فقبيل مقدم فيلبي إلى شبوة وصلت إليه الأخبار عن إطلاق نار مكثف حول شبوة، وعلم فيما بعد أنه كان هناك قتال بين فصيلين: آل زيد وآل عويرة من قبيلة الكرب، وأن توسط جماعة البريكي في القرية قد أدى إلى التوصل إلى هدنة وضمان انسحاب المهاجمين من آل زيد⁽³⁾.

رصد فيلبي عدداً من العادات والتقاليد في مجتمع شبوة، منها التبشير بقدوم المسافر أو الضيوف، فعندما اقترب من شبوة اتجه دليلاً مباركاً وتخطى القافلة، ليزف بشرى وصول الموكب إلى أهل القرية⁽⁴⁾.

طريقة الاستقبال التي استقبل بها أهل شبوة ضيوفهم أثارت إعجاب فيلبي فوصفها وصفاً دقيقاً، حيث وقف وجماعته بجانب السيارتين اللتين أقلتهما، واصطف السكان في صف طويل ثم مر جميع المستقبلين وصافحوا ضيوفهم بطريقة تقبيل الهواء الواقع بين الشخصين، وقد حدثت كل تلك المراسيم في صمت مهيب، وقد شبه ذلك بفكرة حرس

(1) فيلبي، بنات سبأ، ص 117.

(2) الذين ينتمون إلى عبدالقادر بن محمد بريك، ويتضح أنهم أسرة علم وصالح.

(3) فيلبي، بنات سبأ، ص 116.

(4) فيلبي، بنات سبأ، ص 117.

الشرف، مع اختلاف إن الضيوف يبقون في أماكنهم ليحييهم أهل البلد، وقد كان الجميع شاهرين سلاحهم، وقد طلب فيلبي من المبشر الذي سبقهم عدم إطلاق النار، وقد قبل طلبه ولم تطلق رصاصة واحدة⁽¹⁾.

كما رصد فيلبي عادة الكرم في استقبال الضيوف في مجتمع شبوة، ففور وصوله في المساء، تم جلب اثنين من الخراف ليتم بهما تجهيز العشاء، المكون من لحم الضأن والعصيدة، كما كانت عادة شرب القهوة منتشرة بشكل واسع، وأطلق عليها فيلبي المشروب الترحيبي المنشط⁽²⁾.

لقد حاول فيلبي ذات مرة إرسال مبلغ كقيمة للخراف التي تم ذبحها على شرفه إلى مستقبله، فلم يقبل منه ذلك. ويرصد فيلبي سعر الخراف في ذلك الزمن في شبوة فقال إنها بحوالي 4,5 ريال⁽³⁾.

يذكر فيلبي أن يومي الخميس والجمعة هي أيام محددة لزيارة أضرحة البريكي والقباب البيضاء، حيث يقدم الطعام للزوار مدة بقائهم، هبة ولا يباع، ويقوم الزوار بتقديم القليل من الهدايا كقيمة لتلك الخدمة⁽⁴⁾.

3/4 الأبعاد التاريخية والأثرية:

على الرغم من أن فيلبي لم يكن مختصاً في التاريخ أو عالماً في النقوش والآثار، إلا أنه لم يهمل البحث عنها ويرصد الشواهد التاريخية في رحلته، وقام بجمع أو نسخ عدد من النقوش، التي قدمها لعالم النقوش بيستون الذي قام بوصفها وترجمتها في ملحق يشكل الجزء الأخير من بنات سبأ (50صفحة)⁽⁵⁾، وكان نصيب شبوة من تلك النقوش 17 نقشا، كان جزء منها مكسر بصورة شديدة⁽⁶⁾.

(1) فيلبي، بنات سبأ، ص 118.

(2) فيلبي، بنات سبأ، ص 121.

(3) فيلبي، بنات سبأ، ص 135.

(4) فيلبي، بنات سبأ، ص 135.

(5) عمشوش، رحلة فيلبي، ص 83.

(6) فيلبي، بنات سبأ، ص 141.

قدم فيلبي وصفًا مباشرًا للآثار وخرائب شبوثة، ويتضح أنه أول أوربي يقوم بذلك عيانًا بنفسه بعد أن وصفها المؤرخون الأوروبيون الأوائل أمثال بيلني ومؤلف كتاب الطواف حول البحر الإرتيري، وقد قام فيلبي بتصحيح عدد من المعلومات التي كان قد أوردها أولئك المؤرخون الأوائل عن شبوثة التي لم يزورها⁽¹⁾، كما شكك فيلبي في معابد شبوثة الستين، وقدم تحليلًا آخر عن ذلك، وقال: إذا استعرضنا شبوثة وضواحيها فإن ثلاثة معابد تعد مسألة مختلفة فضلًا عن ستين، وقال: إنه لا يمكن أن يكون هناك ستين معبدًا، ولا حتى ستة داخل هذه المنطقة المسورة، وقال: إنه يمكن أن يكون ذلك في كامل المنطقة السبئية⁽²⁾.

كما قدّم تحليلًا لاسم شبوثة (سبوتا)، فقال: إنها أي الكلمة مشتقة من الكلمة العربية (شب) التي تعني الملح، وشبوثة محاطة بمناجم الملح.

كما قدم فيلبي وصفًا لعدد من المعالم في شبوثة كضريح محمد بن بريك، وهو مبنى طيني له أبراج من كل زاوية وقبة بيضاء ذات طفاية شموع وسط السقف، والقبة وبعض أبراجها مزينة بقرون الوعل، والقبة بها أربعة قبور لرجلين وامرأتان.⁽³⁾ وقدّم وصفًا كذلك لبعض المساجد الأثرية في المدينة.

4/4 الرسومات والصور التاريخية:

وظّف فيلبي الصور الفوتوغرافية والرسوم ليقدم لقارئه الغربي المخلوقات والمناظر التي شاهدها، ولكي يتمكن فيلبي من جذب أكبر عدد ممكن من القراء وإقناعهم بصحة ما ينقله من معلومات ومشاهد فقد ضمن كتابه (بنات سبأ) سبعة وستين رسمًا، وستًا وأربعين صورة، كان نصيب شبوثة منها 15 صورة.

تنوعت الصور التاريخية لكنها بالإجمال تحاول إظهار للقاري صورة عامة عن الحياة في شبوثة وآثارها، ويمكن تصنيفها حسب الجدول التالي⁽⁴⁾:

(1) فيلبي، بنات سبأ، ص 141.

(2) فيلبي، بنات سبأ، ص 143.

(3) فيلبي، بنات سبأ، ص 162.

(4) من إعداد الباحث.

أثار وخرائب	أبار وقنوات مائية	مساجد وأضرحة تاريخية
معبد عشتار	بئر ديبان وادي معشر	مسجد هجر
سور قصر قديم	اثار لبقايا قنوات الري	مسجد مثنة
بقايا السور الغربي لشبووة		ضريح محمد بن بريك
مناظر مختلفة للآثار في شبوة		
منجم مغيرة للملح		

(جدول لتصنيف الصور التاريخية عن شبوة في كتاب بنات سبأ)

الخاتمة :

تعد الكتابات التي دونها الرحالة الغربيون أرشيفاً تاريخياً واجتماعياً ومناخياً واقتصادياً للمجتمعات التي مروا بها، والتي لم تعرف الكثير منها التدوين في تلك الأزمان، فكان لهم الفضل في حفظ تلك المعلومات، التي تزداد قيمتها مع مرور الزمن.

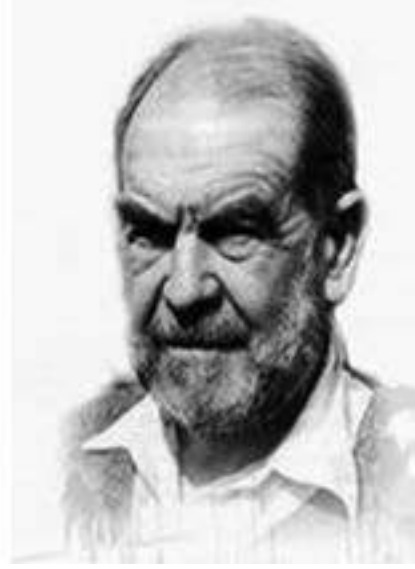
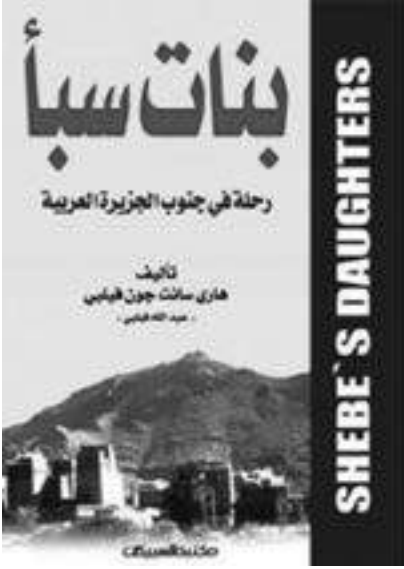
أثارت رحلة فيليبي (1936م) إلى شبوة وحضرموت قلق جميع أطراف الحكم في اليمن وعدن وحضرموت، فما عدا السكان المحليين، لم يكن جون فيليبي مرغوباً من أحد.

دون فيليبي رحلته إلى شبوة وبعض بلدان جنوب الجزيرة العربية في كتابه (بنات سبأ)، وتعد تلك المعلومات التي دونها عن شبوة بالغة الأهمية؛ لأنها أتت في زمن غاب فيه التدوين المحلي، ويمكن توزيعها في عدة أبعاد جغرافية وتاريخية وأثرية واجتماعية.

إن الصور والرسومات التي ضمنها فيليبي كتابه تعطي صورة لمجتمع شبوة في ثلاثينيات القرن العشرين، وتتجلى البساطة التي كان يعيشها السكان المحليون، كما وثقت عددًا من المعالم التاريخية والخرائب الأثرية.

أرجو أن تكون هذه الدراسة فاتحة لدراسات مشابهة، فكتابات الأجانب أرشيف يحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة.

الملحق:



المستكشف هاري سانت جون فيلي

المراجع:

- 1 - باحاج، أحمد سعيد، الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، 1980م
- 2 - الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين.
- 3 - عمشوش، مسعود سعيد، المستكشف سانت جون فيلبي ورحلته إلى حضرموت، دار جامعة عدن، عدن، ط1، 2012 م.
- 4 - فيلبي هاري سانت جون، بنات سبأ رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة يوسف مختار الأمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 2001م.
- 5 - ساتي حسن، قصة فيلبي من وثائق المخابرات البريطانية، جداول للنشر، بيروت الطبعة الأولى 2014م.



شبوذة في كتب المؤرخين الجغرافيين

المقدمة:



أ.د. طه حسين هُديل
أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته
جامعة عدن

حظيت الجغرافية الطبيعية والبشرية للعديد من المناطق اليمنية باهتمام الكثير من المؤرخين الجغرافيين عبر التاريخ، لاسيما ممن كتبوا في التاريخ القديم والإسلامي، وقد كانت شبوذة من بين المناطق اليمنية التي كان لها نصيب في مؤلفات هؤلاء الذين دونوا لها في مصنفاتهم عن المناطق اليمنية الأخرى، وإن كنا لم نجد مصادر تاريخية أو جغرافية خصصت لشبوذة بمساحتها الجغرافية، مثل بعض المناطق والمدن اليمنية التي أُلِّفَ حولها الكتب عبر التاريخ، مثل: عدن، وصنعاء، وزبيد، والشحر، ووصاب، وغيرها.

ومن الملاحظ من خلال المادة التاريخية التي تركها لنا هؤلاء أن مساحة شبوذة المعروفة اليوم اختلفت عن المساحة التي عُرفت بها في العصور السابقة، فضلاً عن اختلاف الجماعات القبلية والبشرية التي سكنت المنطقة منذ القدم عن الجماعات التي تسكنها اليوم لاختلاف أسمائها وتقسيماتها الجديدة، وهو ما يؤكد أن الرقعة الجغرافية التي ضمتها شبوذة قديماً زاد من اتساعها التقسيمات الإدارية المستحدثة التي أضافت إلى شبوذة بلاداً متعددة وجديدة وسعت من مساحتها التي عُرفت بها منذ القدم، وبموجب ذلك سوف نركز في بحثنا هذا على المساحة التي احتوتها شبوذة في وقتنا الحالي، وما كتب عنها في المصادر الجغرافية والتاريخية التي دونت في التاريخ القديم والتاريخ الإسلامي، مشيرين إلى أهم مدنها وقبائلها؛ ومحاولين التعريف بكل مدينة وقبيلة على حدة.

إن من الأمور التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع رغبتني في التعريف بجغرافية منطقة شبوة التاريخية الطبيعية والبشرية والمساحة التي شملتها منذ القدم، والمساحة التي ضمتها اليوم، معتمداً على ما كتبه المؤرخون الجغرافيون الكلاسيكيون الأجانب واليمنيون والعرب المسلمون ممن زاروا اليمن أو سمعوا عنها من أهلها أو من غيرهم ممن زاروها، وما دونوه عن مناطقها، ومدنها، وأوديتها، وزراعتها، وثرواتها، وجبالها، وسواحلها، وموانئها، وتجمعاتها السكانية القبلية، وحدودها. ولذلك قسمت موضوعي هذا إلى سبعة محاور رئيسية: تناولت في المحور الأول موقع شبوة ومساحتها، وفي المحور الثاني تسمية شبوة، وفي المحور الثالث أسباب اهتمام المؤرخين الجغرافيين بشبوة، وتطرقت في المحور الرابع إلى بعض ما ذكره الكتاب الكلاسيكيون الأوروبيون عن شبوة، وفي المحور الخامس ما دونه الجغرافيون العرب والمسلمون عن شبوة، ودرست في المحور السادس مصادر الثروة في شبوة في كتب الجغرافيين، وحاولت في المحور السابع رسم خارطة بشرية لسكان شبوة وقبائلها، وما كتب عنهم، بموجب ما جاء في كتب الجغرافيين، وأنهيت موضوعي هذا بأهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها في ورقتي البحثية هذه، وعدد من التوصيات المقدمة إلى الجهات المسؤولة في محافظة شبوة.

1 - موقع شبوة ومساحتها :

يجهل الكثير من الناس ممن ينتمون إلى شبوة أو إلى اليمن أن شبوة المحافظة بمساحتها الكبيرة هي اسم لمدينة تاريخية كانت فيما سبق حاضرة حضرموت القديمة⁽¹⁾، وتقع هذه المدينة التاريخية مثلما تؤكد الشواهد الأثرية في الطرف الغربي لهضبة وادي حضرموت مقابل رملة السبعين⁽²⁾، وتحديداً في منطقة القرين في نهاية مجرى وادي عطف⁽³⁾ الذي

(1) الأكوخ، إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ / 1988م، ص 162.

(2) رَمْلَةُ السَّبْعَيْنِ: أرض صحراوية تقع بين عساكر وشبوة، وتسكنها قبائل آل ذيب من حمير وفروعها آل نعمان وبلعيد. المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1422هـ / 2002م، ص 704.

(3) عطف: وادٍ مأتاه من وادي عرما، ويمر في أرض بيحان وينتهي قرب مرخة. المقحفي، المرجع نفسه، ج 2، ص 1083.

يتكون من التقاء عدة أودية أشهرها وادي عرّما⁽¹⁾ التابع اليوم لمحافظة شبوة⁽²⁾. وتعد هذه المحافظة من أهم محافظات الجمهورية اليمنية لموقعها المهم، ولما تمتلكه من ثروات متنوعة، وما قامت عليها من حضارات دلت على أهميتها الاستراتيجية عبر التاريخ، إذ تمتد هذه المحافظة المتسعة والمترامية الأطراف من الصحراء شمالاً، وحتى البحر جنوباً، وتحيط بها عدد من المحافظات اليمنية، لموقعها في وسط الجزء الجنوبي من اليمن؛ إذ تتصل من الشمال بمحافظتي حضرموت ومأرب، ومن الشرق بحضرموت أيضاً، ومن الجنوب ببحر العرب وجزء من محافظة أبين، ومن الغرب بمحافظات أبين والبيضاء ومأرب. وتبلغ مساحتها 73908 كم مربع، أي ما يقارب 14٪ من أرض اليمن، وتطل أراضيها على خليج عدن، ويبلغ طول ساحلها نحو 150 كم مربع، ويمتاز بوجود مصائد غنية بالثروات والأحياء البحرية التي تنوع وتكاثر وفقاً لمواسم متعاقبة، وتنتشر على امتداد ساحلها عدد من القرى التي يعمل معظم أهلها في الصيد، وقليل منهم في الزراعة⁽³⁾.
 إلا أن أكثر ما ميز هذه المحافظة عن غيرها؛ موقعها في القلب الجغرافي لليمن، وما تمتلئ به صحاريها، وسهولها، ووديانها، وجبالها وبحارها من ثروات طبيعية متنوعة، تمثل اليوم أهم مصادر الدخل الذي يقوم عليه اقتصاد اليمن⁽⁴⁾.

(1) وادي عرّما: وادٍ مشهور في الشرق الجنوبي من مدينة شبوة ينتهي في مغارب وادي حضرموت، ويضم العديد من المناطق الأثرية والتاريخية وأشهرها آثار المدينة القديمة المعروف باسم (هَجْر)، وآثار معبد وثني جاهلي مبني بالحجارة المنجورة المستوية المستطيلة، ويسكن هذا الوادي جماعة من آل باكثير، آل بامطرف، وبعض قبائل آل بلعيد منهم آل بادُخُن، وآل عمر، وآل باحميد العبيدي، وآل بُرَيْك، وآل سَنَكْر، وجماعة من آل سنديان في حصن سنديان، وآل عبد الصمد. المقحفي، المرجع نفسه، ج2، ص1050 - 1051.

(2) بريتون، جان فرانسوا، شبوة والحواضر اليمنية القديمة (من القرن الأول إلى القرن الرابع للميلاد)، ضمن كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة " نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية"، إعداد: عزة علي مقبل، جان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، بيروت، 1996م، ص168 - 169.

(3) المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص846 - 847.

(4) المرجع نفسه والجزء، ص847.

وقد ضمت شبوة العديد من المديرية التي بلغ عددها في الوقت الحالي سبع عشرة مديريةية توزعت بين شرق المحافظة وغربها، وشمالها وجنوبها⁽¹⁾، وقد أولينا اهتمامًا خاصًا بهذه المديرية ومراكزها وقراها؛ بعد أن وجدنا لها إشارات - وإن كانت بسيطة - في كتب المؤرخين الجغرافيين الذين كتبوا عنها وعن طبيعتها الجغرافية والبشرية في بعض مؤلفاتهم، وعلى الرغم من المعلومات المقتضبة التي تركها هؤلاء الجغرافيون؛ إلا أن ما جاءوا به على قلته يعد ثروة تاريخية وعلمية لا يعرف قيمتها إلا المهتمون من الباحثين والمؤرخين.

2 - تسمية شبوة:

قبل البدء بالحديث عمّا دوّنه المؤرخون الجغرافيون عن شبوة ومناطقها المختلفة وقبائلها وطبيعتها الجغرافية؛ لا بد أولاً من التعرف على المعنى المقصود من هذه الكلمة، مما دفعني إلى البحث عن أصل هذه التسمية في معاجم اللغة وكتب التاريخ، لاسيما وأن الكثير من أبناء هذه المحافظة على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم ممن ينتسبون إليها، ويلقبون أنفسهم بها (الشبوي)⁽²⁾ لا يعرفون معناها الصحيح. ومن العجيب أننا لم نجد لها ذكرًا في أي من كتب اللغة التي عدنا إليها، سوى تعريفها كمدينة في اليمن، حتى إن منهم من يصيب ومنهم من يخطئ في تحديد موقعها⁽³⁾، إلا أن كلما وجدناه إشارة بسيطة أوردتها ياقوت الحموي المتوفى 626هـ / 1228م⁽⁴⁾ ذكر فيها أن شبوة: "من أسماء العقرب، وهو اسم موضع"، الأمر الذي دفعني إلى العودة مرة أخرى إلى معاجم اللغة للتأكد من

(1) أهم هذه المديرية التي ضمتها محافظة شبوة اليوم هي: دهر، الطلح، جردان، عرما، عسيلان، عين، بيحان، مرخة العليا، مرخة السفلى، نصاب، حطيب، الصعيد، عتق، حبان، الروضة، ميفعة، رضوم. وسوف نتحدث بالتفصيل عن بعض هذه المديرية وما كتب عنها في المصادر الجغرافية لاحقاً.

(2) بامخرمة، جمال الدين عبد الله الطيب بن عبد الله، النسبة إلى المواضع والبلدان، مركز الوثائق والبحوث، أبو ظبي، 1425هـ / 2004م، ص 366.

(3) ومن هؤلاء الفيروز آبادي الذي أخطأ عندما قال إنها قريبة من لحج. مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق وإشراف: محمد نعيم العرقسوس، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ / 1998م، مادة (شبوة).

(4) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م، ص 323.

الأسماء المرادفة لاسم العقرب، ومع هذا لم أجد ما يؤكد لي أن هناك أسماء أخرى للعقرب كشبووة، لهذا قد يكون هناك من يطلق على العقرب اسم شبووة في المناطق التي وجد فيها ياقوت الحموي أو التي زارها مما جعله يشير إلى أنها من أسماء العقرب، وقد يكون أهالي مدينة شبووة القديمة أنفسهم كانوا يطلقون هذا الاسم شبووة على العقرب، لاسيما وأن طبيعة المنطقة التي قامت عليها مدينة شبووة كانت صحراوية حارة، وهو ما يساعد على انتشار وخروج الكثير من الحشرات والزواحف المختلفة، ومنها العقارب التي عادة ما توجد في المناطق الصحراوية، مما دفع السكان إلى تسميتها شبووة لكثرة العقارب فيها - من وجهة نظرنا الخاصة - . وقد يكون في ذلك خلاف في وجهات النظر، إلا أن الشيء الذي لا خلاف حوله أن شبووة المحافظة سميت باسم مدينة شبووة التاريخية التي قامت في الصحراء كعاصمة لدولة حضرموت القديمة. ويشير بعض علماء الآثار إلى أن اسم شبووة جاء من موقع المدينة وهو ليس اسم لقبيلة، واستدلوا برأيهم هذا بالنقوش التي عثروا عليها في موقع المدينة، وفيها ذكر مدينة شبووة تحديداً⁽¹⁾.

ويخالف صاحب كتاب: "الشامل"⁽²⁾ جميع الآراء المذكورة حول تسمية شبووة، فهو يعتقد أن اسم شبووة ليس مأخوذاً من اسم العقرب؛ لأنه اسم قديم، ولكنه مأخوذ من اللغة الحضرمية القديمة أو اللغة العادية، أو أنها سميت باسم ملك كان يعرف بشبووة، وقد يكون في هذا الرأي وجهة نظر، لأن النقوش التي تم اكتشافها لم تشر إلى أن أحد ملوك حضرموت كان يسمى بالملك شبووة، الأمر الذي يؤكد لنا أن اسم شبووة ما زال يكتنفه الغموض، وهو ما قد تكشفه الشواهد الأثرية التي هي في حاجة إلى جهود حثيثة من قبل علماء الآثار.

3 - أسباب اهتمام الرحالة والمؤرخين الجغرافيين بشبووة:

هناك أسباب متعددة ومتنوعة جعلت المؤرخين الجغرافيين المسلمين وغير المسلمين يهتمون بشبووة هذا الاهتمام الكبير، لتكون من بين المواد الرئيسة التي كتبوا عنها، ومن

(1) بریتون، شبووة والحواضر اليمينية القديمة، ص 171.

(2) الحداد، علوي بن طاهر بن عبد الله بن طه، الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفها، تريم للدراسات،

حضرموت، ص 129.

خلال دراستنا لما جاء به هؤلاء عن شبوة وموقعها وحضارتها وتاريخها نستطيع أن نلخص هذه الأسباب في الآتي:

1 - إن شبوة بحدودها الجغرافية اليوم كانت تمتلك تراثاً حضارياً عريقاً، حيث قامت على أراضيها ثلاث ممالك يمنية قديمة، هي: مملكة قَتَبان وعاصمتها تمنع في مديرية بَيْحان، ومملكة أوسان وعاصمتها مَسُورَة في مديرية مَرْخَة، ومملكة حضرموت وعاصمتها ميفعة⁽¹⁾، ثم شبوة القديمة في مديرية عرما⁽²⁾.

2 - إن شبوة بموقعها وبمدنها المختلفة كانت تشكل مركزاً من مراكز التجارة العالمية لوقوعها على خطوط القوافل القادمة من الهند وشرق إفريقيا، والمتجهة نحو شمال الجزيرة العربية، ومنها إلى بلاد الشام ومصر، وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط، ثم إلى الإمبراطوريات القديمة اليونانية والرومانية وغيرها من مناطق أوروبا الغربية والشرقية والجزر التابعة لها.

3 - إن بعض مناطق شبوة كانت تزرع وتنتج سلعاً تجارية اشتهرت برواجها في العالم القديم في ذلك الحين مثل البخور واللبان (الكندر) والمر وغيره، كما كانت طريق رئيسة لمرور القوافل التجارية المحملة بمثل هذه السلع والقادمة من الهند وعمان وغيرهما من مناطق إنتاج اللبان والتوابل والمتجهة إلى شمال الجزيرة العربية.

4 - إن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في شبوة قديماً شكلت مادة خصبة ومشوقة للمؤرخين والجغرافيين الذين راحوا يوصفونها في كتاباتهم، لتنوع أحداثها، وتطورها الذي شهد له العالم قبل الإسلام وبعده.

5 - إن شبوة بمساحتها الكبيرة كانت موقعاً لتجمع سكاني كبير ضم العديد من القبائل التي كان لها مواقف في التاريخ القديم والإسلامي، ومن أشهر هذه القبائل قبائل

(1) مَيْفَعَة: مدينة قديمة كانت مزدهرة في عصور ما قبل الإسلام، إذ كانت العاصمة الأولى لمملكة حضرموت، وقد سمي بها وادي ميفعة، وهو وادٍ زراعي في جنوب حَبَّان من أعمال محافظة شبوة، تسكنه قبائل آل باعُوْضة، والمشايخ آل عبد المانع. للمزيد انظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1696 - 1698.

(2) للمزيد من التفاصيل عن هذه الممالك وما جاء عنها انظر: الأكوغ، محمد بن علي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط2، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1402هـ / 1982م، ص377 - 378، 381 - 391.

الأشباه والأيزون وصداء ورُهاء⁽¹⁾ وحمير⁽²⁾ وجعف⁽³⁾ وغيرها⁽⁴⁾، وقد كان لبعض أفراد هذه القبائل دور عظيم في التاريخ الإسلامي؛ إذ كانوا من أوائل الوفود التي قدمت إلى الرسول ﷺ لتعلن إسلامها ومساندتها للدعوة⁽⁵⁾، كما كان لبعض أفرادها شرف الدفاع عن الإسلام في فترة الردة في داخل اليمن وخارجه، والمشاركة ضمن الجيوش الإسلامية التي جابت الأرض لنشر الإسلام ورفع رايته عالية في أثناء حركة الفتوح الإسلامية⁽⁶⁾.

4 - شبوّة في الكتب الكلاسيكية (القديمة)⁽⁷⁾ :

حظيت شبوّة لاسيما عاصمة دولة حضرموت القديمة منذ القدم باهتمام الكثير من الجغرافيين والمؤرخين والرحالة والتجار القدماء من اليونان والرومان الذين راحوا يذكرونها في كتاباتهم التي أصبحت اليوم تشكل مادة علمية مهمة للباحثين والمهتمين بتاريخ هذه المنطقة، ومن أشهر هؤلاء الجغرافيين القدماء الذين ورد ذكر شبوّة في كتاباتهم الجغرافي اليوناني إراتوستينيس Eratosthenes (276 - 194 ق. م)⁽⁸⁾، الذي أشار إلى

- (1) الأشباه والأيزون من قبائل حمير. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص193، حاشية رقم (8). وصداء ورهاء من بطون مذحج. للمزيد انظر: الحجري، بلدان اليمن وقبائلها، مج1، ص373؛ مج2، ص463.
- (2) حمير: شعب عظيم في اليمن من ولد حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهو أخو كهلان بن سبأ. الحجري، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج1، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوغ، ط2، دار الحكمة اليمنية، صنعاء، 1416هـ / 1996م، ص282.
- (3) جعف: قبيلة تنسب إلى جعفي بن سعد العشيرة بن مالك من مذحج من كهلان. الحجري، المرجع نفسه والمجلد، ص189.
- (4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص151، 171، 178، 188.
- (5) المصدر نفسه، ص151، حاشية رقم (3).
- (6) الحديثي، نزار عبد اللطيف، أهل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دون تاريخ، ص125 - 138.
- (7) إن المقصود بالكتب الكلاسيكية هي المؤلفات اليونانية واللاتينية الرومانية القديمة التي ألفت قبل الإسلام. انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1976م، ص56.
- (8) ولد إراتوستينيس في ليبيا في المدينة اليونانية الشهيرة قورينا Cyrene الواقعة حاليًا في إقليم برقة، وتعرف بقاياها باسم شحات، ثم انتقل إلى مصر وعاش في مدينة الإسكندرية. انظر: باقر، طه، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية، جامعة بغداد، 1980م، ص151.

سباتا Sabata (شبوثة) باعتبار أنها عاصمة دولة حضرموت القديمة⁽¹⁾. والمؤرخ اليوناني الشهير إسترابون Strabon (64 - 21م)⁽²⁾، الذي ذكر أنه: يوجد إلى الشرق على وجه الخصوص الشاتراموتيين (الحضارم)، ومدينتهم ساباتا (شبوثة)⁽³⁾، وقد يكون إسترابون اعتمد على ما جاء به إراتوستينيس لتشابه معلوماتهم حول شبوثة. ومع بداية القرن الأول الميلادي يتكرر ذكر شبوثة، وهذه المرة في مؤلفات الكاتب الروماني جايوس بلينيوس سيكوندروس (23 /Gaius Plinius Secundus /24 - 79م) المعروف باسم بلينيوس الأكبر⁽⁴⁾، أو بليني⁽⁵⁾ لاسيما عند حديثه عن كنوز بلاد العرب التي جعلتها - مثلما يقول - تدعى بالسعيدة، حيث قال: "لا توجد بلاد تنتج اللبان إلا بلاد العرب، ولكن ليست كلها تنتجه، وإنما بلاد الحضارم، وهم جماعة من السبئيين، تقوم عاصمتهم سباتا (شبوثة) فوق جبل عالي"⁽⁶⁾، ويصف لنا بليني مدينة شبوثة وتجارها وأسلوب العيش فيها وآهتها أيضًا بقوله: "يجنى اللبان ويحمل على ظهور الجمال إلى ساباتا (شبوثة)، حيث يوجد باب واحد مفتوح لها، والدخول من باب آخر يعد جريمة يعاقب عليها الملوك بالموت، وهنا يأخذ الكهنة العُشر للإله سايبس (سين) Sabis بالمكيال وليس بالوزن، ولا يسمح بالبيع قبل هذا"⁽⁷⁾.

- (1) الأدهم، عبد اللطيف، في بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية (مختارات)، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2001م، ص 148 - 149.
- (2) ولد المؤرخ اليوناني الشهير إسترابون في مدينة أماسيا Amasia في بونتوس Pontus على البحر الأسود، وينحدر من أسرة يونانية، وكانت تنشئته وثقافته إغريقيتين، وقد توجه إسترابون إلى روما في إيطاليا في سن العشرين، وهناك درس علوم الجغرافية والفلسفة وألف كتبه في الجغرافيا. انظر: الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، ج2، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2003م، ص 96.
- (3) بريتون، جان فرانسوا، شبوثة: الموقع والمدينة، ضمن كتاب شبوثة عاصمة حضرموت القديمة، ص 45.
- (4) عاش الكاتب الروماني جايوس بلينيوس سيكوندروس في القرن الأول الميلادي، وكتب موسوعة علمية ثقافية في (37) مؤلف، أطلق عليها اسم التاريخ الطبيعي، وهي الوحيدة التي بقيت من مؤلفاته البالغ عددها (120)، وتحوي هذه الموسوعة على عشرين ألف مادة مستقاة من مؤلفين يونان ورومان تناول فيها تاريخ شبه الجزيرة العربية. للمزيد انظر: جواد علي، المفصل، ج 1، ص 59.
- (5) بريتون، شبوثة: الموقع والمدينة، ص 45.
- (6) بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973م، ص 171.
- (7) بريتون، شبوثة: الموقع والمدينة، ص 45.

كما يرد ذكر شبوذة في كتاب تم جمعه في القرن الأول الميلادي أيضاً مجهول المؤلف⁽¹⁾، عرف باسم كتاب: "الطواف حول البحر الإرتيري"⁽²⁾ أو "البرسيلوس" أي "الدليل"، فيذكر مؤلفه شبوذة (سوباتا) Soubatha عاصمة مملكة حضرموت على أنها مقر ملك البلاد، وأن جميع البخور من أراضي المملكة يجمع فيها⁽³⁾، إلا أن أفضل ما يقدمه كتاب الطواف المعلومات القيمة عن الشريط الساحلي لجنوب الجزيرة العربية، الذي تطل عليه شبوذة، مع الإشارة النادرة إلى واحد من أهم موانئ اليمن عامة وشبوذة خاصة في التاريخ القديم ألا وهو ميناء قناء⁽⁴⁾، الذي ظل تاريخه مجهولاً حتى يوم 6 مايو 1834م عندما وصل إليه - عن طريق الصدفة - ضباط السفينة الإنجليزية "بالينوروس" واكتشفوا معالمه وخرايبه، وقلعته المعروفة باسم (عر ماوية) الواقعة على مرتفعات صخور حصن الغراب، وتمكنوا من فك رموز نقشها الشهير الواقع على مرتفع صخور حصن الغراب الذي يعود تاريخه إلى القرن الخامس، وبداية القرن السادس الميلادي وتحديداً إلى سنة 525م، وقد وجد في هذا النقش معلومات قيمة عن ترميم وتحصين القلعة بأمر القيل اليزيني (السميفع أشوع) الذي أصبح بعد مدة قصيرة من التاريخ المذكور ملكاً لكل اليمن⁽⁵⁾.

(1) اختلف العلماء حول تاريخ تأليف هذا الكتاب، ومؤلفه، لهذا يُعتقد بأن مؤلف كتاب الطواف هو تاجر يوناني من أصل مصري، كما يعتقد أنه تقرير رسمي كتبه مسؤول أرسل من قبل السلطات الرومانية، أو تقرير عن الحالة العامة للأسواق التجارية على طول ساحل البحر الإرتيري. للمزيد انظر: جواد علي، المفصل، ج1، ص59.

(2) يتكون هذا الكتاب من (66) فصلاً قصيراً، يقدم لنا فيه الكاتب وصفاً جغرافياً لشواطئ البحر الأحمر وإفريقيا وفيما وراء باب المنذب، وشواطئ الجزيرة العربية الجنوبية والجزء الغربي من الهند، ويعد دليلاً تجارياً يبين أهم الموانئ القائمة على سواحل الجزيرة العربية والموانئ التي كانت تتاجر معها سواء في الهند أو شرق إفريقيا وغير ذلك من الأمور التجارية المهمة. للمزيد انظر: الشيبه، عبد الله حسن، محاولات تاريخ كتاب دليل البحر الإرتيري، مجلة دراسات يمنية، العدد (43)، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1991م، ص108.

(3) الطواف حول البحر الأحمر ودور اليمن البحري، ترجمة وتعليق: حسين علي الحبشي، ونجيب عبد الرحمن شميري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2004م، ص28.

(4) الطواف حول البحر الأحمر، ص 27 - 28.

(5) انظر عن ميناء قنا وأهميته في التاريخ القديم: نفتش، بطرس قرياز، دراسة ميناء (قنا) القديم (آفاق ونتائج أولية)، الجزء الأول، ضمن كتاب حضرموت القديمة والمعاصرة، أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة للأثار والدراسات التاريخية، الأبحاث الميدانية لعام 1987م، سيؤون، 1987م، ص 20 - 40.

وعلى أية حال، فقد بلغ من أهمية ميناء قنا التابع اليوم لمحافظة شبوة في التاريخ القديم إلى أن أصبح هدفاً للسفن التجارية المصرية وغيرها، والتي كانت تنقل إليه أنواعاً مختلفة من المنسوجات والأثواب الثمينة والرخيصة، والعسل، والعاج، والحبوب، والخمور وهدايا الملوك: الذهبية والفضية والتماثيل والملابس والتيجان، وينقل من الميناء اللبان والمر وغيره، لهذا لم يكن قنا ميناء ترانزيت للتجارة البحرية بين الهند وفارس وشرق أفريقيا ومصر واليونان والرومان؛ بل كان همزة وصل ربطت حضرموت واليمن بجميع البلدان المذكورة وشعوبها عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر⁽¹⁾.

وخلاصة القول، أنه كان لموقع شبوة الاستراتيجية المهم دور في اهتمام المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين القدماء بها، لاسيما وأنها شهدت على أراضيها قيام حضارات عريقة شهد لها التاريخ، فضلاً عن كونها كانت المتحكمة بخطوط التجارة العالمية البحرية والبرية المتجهة إلى شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام، ومنها إلى أوروبا التي أخذ كتابها يدونون كل ما يسمعون عنها من أخبار فتحت لنا آفاق التعرف على هذه الحضارة التي لولا مؤلفات هؤلاء لجهلنا الكثير عنها.

5 - شبوة في كتب الجغرافيين العرب والمسلمين :

لفتت أراضي منطقة شبوة وما قامت عليها من حضارات عريقة أنظار الكثير من المؤرخين الجغرافيين اليمنيين والعرب المسلمين خلال التاريخ الإسلامي، ووجدوا في طبيعة هذه المنطقة مادة غنية يمكن الكتابة فيها، فراحوا يدونون ما يشاهدونه، أو يسمعونه من غيرهم من أهل المنطقة أو من تجارها، أو ممن عبروا فيها، أو زاروها وتعرفوا عليها وعلى أهلها، وطبيعتها وجغرافيتها ومدنها وأوديتها وسواحلها وغير ذلك، وعلى الرغم من عدم وجود مؤلفات خصصت لشبوة دون غيرها؛ إلا أن ما جاء به هؤلاء الكُتَّاب عن شبوة - ضمن مؤلفاتهم التي اهتمت بالمناطق اليمنية عامة - يعد ثروة علمية مهمة تمكنا من خلالها التعرف على بعض جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لشبوة بمناطقها المختلفة في حقبة التاريخ القديمة والإسلامية. وأشهر من أورد ذكر شبوة في مؤلفاتهم من المؤرخين والجغرافيين اليمنيين والعرب والمسلمين؛ المؤرخ والجغرافي

(1) نقتش، المرجع نفسه، ص 35 - 37.

والنسابة الفمنف أبو مؤمء الحسن بن أؤمء بن فعقوب الهمءانف⁽¹⁾، المءوفف سنة 360هـ / 970م الؤف مءننا بمعلوماء مهمة - وإن كانت فسرة - عن موقع شبووة وطبعءها السكانية وءوزفعها القبلف وأهم قبائلها، فذ فقول عنها: "وفما بفن بفهان⁽²⁾ وؤصرموء شبووة لؤمفر"، وفف مؤضع آخر فقول⁽³⁾: "مؤلاف شبووة فسكنه الأشباه والأفزون ثم صءاء ورؤها". وفف كتابه الإكلفل الجزء الثامن فقول الهمءانف⁽⁴⁾ عن شبووة أنها ما بفن بفهان وؤصرموء وؤورة [ؤورة]⁽⁵⁾ ففها كئءة⁽⁶⁾ الفوم، وهو وصف ءقق إلى ءء ما، أءؤل ففه الهمءانف جمفع مناطق شبووة ومءفرفاؤها المعروفة الفوم فف إطار مساةة ءقسفم الجءفء لمؤافظة شبووة.

وؤفاوء مقولااء من جاء بعء الهمءانف من المؤرخفن والجغرافففن العرب والمسلمفن ءول ءءفء مؤقع شبووة، وعلى الرغم من اؤءلاف ما جاءوا به من معلومااء؛ إلا أنهم فءفقون ءول أهمية هءه المنطقه، ففءقاربون فف ففكرة ءءفء مؤقعا ومساؤءها، فذ فذكر المؤرخ والجغرافف المقءسف البشارف⁽⁷⁾ المءوفف سنة 380هـ / 990م شبووة بوصفها من مؤالفف الفمن المهمة، ففقول عنها البكرف⁽⁸⁾ المءوفف سنة 487هـ / 1094م، إنها: "مءفنة

(1) صفة جزفرة العرب، ءءقق: مؤمء بن على الأكوع، مكنبة الإرشاء، صنعاء، 1410هـ / 1990م، ص171.

(2) بفهان: واء مشهور فف قاع فسفؤ فمءء من شمال البضاء إلى أطراف رملة السبعفن. فُسكَل فف أعمال مءفرفااء مؤافظة شبووة وعاصمءها مءفنة (العلفا) الؤف كان فقال لها (بفهان القصاب). وفبع واءف بفهان من المناطق الزراعفة الخصبه الغفة بالمفاه الؤف ءءقق إلىه من جبال البضاء، ومن مشارف جبال الكور الشمالفة ءابعة للعوائل. للمزفء انظر: المقءفف، معجم البلدان والقباائل الفمنفة، ج1، ص 208 - 209.

(3) صفة جزفرة العرب، ص193.

(4) الإكلفل، ج8، ءرره وعلق ءواشفه: نبفه أمفن فارس، ءار العوءة، بفروء، بءو ءارفء نشر، ص90.

(5) ءورة:

(6) كئءة: من قبائل الفمن من وءء كئءة بن عففر بن عءف بن ءارء بن ءرء بن أءء بن ففء من كهلان بن سباء، ومن أهم بطونها: السكاسك والسكون والصفء وءجبب ورفرها. ءؤرفف، بلءان الفمن وقباائلها، مءج2، ص666 - 668.

(7) أبو عبء الله مؤمء بن أؤمء، أؤسن ءقاسفم فف معرفة الأقالفم، ط2، باعءناء: ءف ءوفه، مطبعة: برفل، لفءن، 1906م، ص89.

(8) أبو عبء الله عبء الله بن عبء العزفز، معجم ما اسءعجم من أسماء البلاد والمواضع، ءققه وؤبءه: مصطفف السفااء، عالم الكؤب، بفروء، 1403هـ / 1983م، ص780.

باليمن تلقاء حضرموت، ما بين بيحان وحضرموت". كما يقول عنها المؤرخ نشوان بن سعيد الحميري⁽¹⁾: "شبوۃ اسم مدينة لحمير بحضرموت". أما الجغرافي والرحالة ياقوت الحموي⁽²⁾ فيحدد لنا موقع شبوۃ ويقول عنها إنها: "بلد من اليمن على الجادة من حضرموت إلى مكة"، ويذكرها بامخرمة⁽³⁾ أنها: "بلد ما بين مأرب وحضرموت، بين جردان⁽⁴⁾ وبيحان، وبالقرب منها معدن ملح"، أما صاحب كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار⁽⁵⁾ المتوفى أواخر القرن 9هـ / أواخر القرن 15م فيذكر أن شبوۃ مدينة في أول مدائن حضرموت، يباع فيها حمل التمر بدرهم. وقد نلاحظ أن هدف بعض هؤلاء الجغرافيين من وراء ما جاؤوا به هو الإشارة إلى موقع مدينة شبوۃ التاريخية عاصمة دولة حضرموت القديمة - وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال ما ذكره - ولكن تحديد بعضهم لموقع شبوۃ بين حضرموت وبيحان دليل على أن مصطلح شبوۃ أصبح في حقبة التاريخ الإسلامي يتعامل به على نطاق واسع بين أبناء هذه المنطقة، والمناطق المجاورة لها من اليمن وخارجه، وليس فقط على مدينة شبوۃ القديمة، ومن هنا يمكن أن نستنتج أن مصطلح شبوۃ في كتب الجغرافيين أطلق على مساحة جغرافية واسعة من شبوۃ المعروفة اليوم منذ العصر الإسلامي أي في فترة حياة الهمداني أو ما قبلها، وهو ما استخلصناه مما جاء في المصادر التاريخية والجغرافية.

إن القارئ لكل ما جاء به المؤرخون الجغرافيون يلاحظ أن الجميع يتفقون حول الموقع الرئيس لشبوۃ الواقع بين حضرموت وبيحان، وهو تحديد مجهول ومفتوح، لتباعد المسافة بين المنطقتين، وتعدد المدن والقرى والوادي الموجودة بينهما، حتى إن

(1) منتخبات في أخبار اليمن، عنى بتصحيحه: عظيم الدين أحمد، ط3، دار التنوير، بيروت، 1986م، ص53.

(2) معجم البلدان، ج3، ص323.

(3) النسبة، ص366.

(4) جُردان: وادٍ مشهور يبعد عن عاصمة المحافظة عتق شمالاً بنحو 60 كم، ويضم مجموعة قُرى منها: عياذ، هبَاء، صَعِيد بادَهري، غَوَل السمارة، الصُوج وغيرها، ويسكن وادي جردان اليوم قبائل من آل هَمِيم والكب من آل عُبَيْد (بَلْعَيْد) وقبائل النَمارة وبنو مَهدي من بني هلال، وكذا قبائل جُعَف الحميرية. للمزيد انظر: المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص313 - 314.

(5) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مطبعة: هيد لبرغ، بيروت، 1984م، ص347.

هؤلاء الجغرافيين تركوا لغيرهم مهمة البحث الدقيق لحدود شبوة والمناطق التي تدخل في إطارها. وقد أثبتت الأبحاث الأثرية مؤخرًا أن موقع مدينة شبوة القديمة - التي ورد ذكرها في المصادر الكلاسيكية القديمة واليمنية والعربية - يقع في الطرف الغربي لهضبة وادي حضرموت مقابل رملة السبعين مثلما ذكرنا سابقًا، أما الحدود التاريخية لمحافظة شبوة بمساحتها المعروفة اليوم فما زالت مجهولة الهوية لما شهدته هذه المحافظة عبر التاريخ من متغيرات سياسية، خضعت للتقسيمات الإدارية للدول التي تعاقبت على حكم اليمن، وهو ما يجعلنا اليوم عاجزين عن إثبات الحدود الدقيقة لمحافظة شبوة من جهاتها المختلفة، ودفعنا إلى الاعتماد في دراستنا هذه على التقسيم الإداري الحديث والأخير لمناطق هذه المحافظة.

وكيفما كان الأمر، فقد احتلت شبوة مساحة واسعة من أراضي اليمن تقدر بحوالي 14% من أرضيها⁽¹⁾، وحظيت بعض المناطق التي تدخل اليوم ضمن هذه المساحة بعناية الجغرافيين الذين دونوا كل ما سمعوه عنها وعن ثرواتها المتنوعة الزراعية والحيوانية من غيرهم، ومن أشهر هذه المناطق التي تنسب إلى شبوة وورد ذكرها لدى الجغرافيين الذين تم ذكرهم سابقًا: بلاد بيحان وحريب وجردان ودهر ومرخة وخورة وحطيب ويشبم وحبان وعرقه وعين بامعبد وغيرها⁽²⁾، وقد شكلت تلك المناطق والمدن بما احتوته من خيرات وثروات عبر التاريخ مصدرًا مهمًا من مصادر الثروة لأبناء شبوة خاصة وأبناء اليمن عامة، وقد خصص المؤرخون والجغرافيون جانبًا مهمًا من كتاباتهم للحديث عن ثروة هذه المناطق الزراعية والحيوانية والبحرية والمعدنية.

6 - اقتصاد شبوة وثرواتها عند الرحالة والجغرافيين؛

عرفت شبوة عبر التاريخ بتنوع مصادر ثروتها الاقتصادية، وقد أسهب الكتاب الكلاسيكيون اليونان والرومان منذ القدم في وصف هذه الثروة ومصادرها، ودورها في رفع مكانة اليمن إلى مستوى الدول ذات الحضارات العريقة⁽³⁾، وفي العصر الإسلامي راح المؤرخون الجغرافيون يركزون في كتاباتهم على بعض المناطق التي تدخل اليوم في

(1) المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص 846 - 847.

(2) انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 151، 165، 171، 172، 187، 188، 189، 193، 284،

304، 318؛ بامخرمة، النسبة، ص 139، 185، 208، 223، 308، 429، 523.

(3) تم الحديث عن ذلك سابقًا.

إطار شبوة، ويحددون مصادر ثرواتها دون الإشارة إلى ذلك مباشرةً، وتعد بيحان من أكثر مناطق شبوة ذكراً في المصادر التاريخية والجغرافية، بعد ضعف دور مدينة شبوة التاريخية القديمة وتدهوره تجارياً، وذلك لما كان لمنطقة بيحان من أهمية تاريخية بالنسبة لمناطق شبوة الأخرى؛ رسختها العلاقات الاجتماعية التي قامت بين قبائلها وقبائل المناطق الأخرى، والعلاقات الاقتصادية والتجارية التي ربطت بينهما، لاسيما وأن بيحان عرفت في المصادر الجغرافية عبر التاريخ بأوديتها الخصبة، وأراضيها الزراعية (أودانها وجربها) الغنية التي تمتلئ في مواسم الأمطار بمياه السيول، مثل وادي بهريق في منطقة الصدارة أو الصدر مثلما يطلق عليه اليوم، الذي كان في زمن الهمداني مصدر شرب أهالي بيحان⁽¹⁾.

كما ميزت منطقة بيحان بإنتاجها لأنواع الحبوب مثل الذرة والسمسم واللوبياء والعترة وغيرها، والفواكه والخضروات مثل القثاء والبطيخ والقرع وغيره، وخبرة أهلها الزراعية ومعرفتهم لمواسم الزراعة والذري، وهو ما يؤكد الهمداني⁽²⁾، وأصبحت بذلك مصدر خير لمناطق شبوة الأخرى لاسيما الصحراوية والجبلية والساحلية منها التي تفتقر للمياه والزرع، كما أصبحت مصدرًا للحصول على الثروة الحيوانية، لاسيما الإبل التي اشتهرت بيحان بتربيتها، ونسبت إليها وعرفت بالإبل البيحانية⁽³⁾، كما شكل وادي حطيب الذي عرف بوفرة مياهه وآباره وطيب زراعته وتنوع محاصيله مصدرًا آخر من مصادر حصول سكان شبوة على موادهم الغذائية وخضارهم وفواكههم⁽⁴⁾.

وفي الوقت نفسه، شكّلت النخيل ثروة اقتصادية اعتمد عليها أهالي شبوة في حياتهم، بعد أن صارت مصدر دخل، وقوت لهم ولغيرهم من سكان المنطقة⁽⁵⁾، لاسيما في بعض الأودية مثل وادي البجاجة في مَرخَة الذي عرف بخصوبة تربته وكثرة نخيله، ووادي لَجِيّة في مرخة أيضًا الذي اشتهر بكثرة نخيله، وكثافة علوب ثمرة الدوم فيه⁽⁶⁾، وعلى ما يبدو أن علوب الدوم وثمرتها هذه كانت تستعمل كغذاء لسكان المنطقة ولمواشيهم؛ لاسيما

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 193.

(2) المصدر نفسه، ص 318.

(3) بامخرمة، النسبة، ص 139.

(4) المصدر نفسه، ص 224.

(5) الحميري، الروض المعطار، ص 347.

(6) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 187.

في مواسم الجفاف وشحة الأمطار والسيول التي تقل فيها الزراعة، وتنعدم الثمار، وهي عادة ما زال العديد من المزارعين في مناطق اليمن المختلفة يستعملونها لإغاثة أغنامهم في مواسم الجذب.

ومعروف عن شبوة أنها تقع على شريط ساحلي طويل يبلغ امتداده نحو 150 كم مربع، ويمتاز بوجود مصائده الغنية بالثروات والأحياء البحرية التي تتنوع وتتكاثر وفقاً لمواسم متعاقبة⁽¹⁾، وقد ساعد ذلك الموقع على اعتماد العديد من أهالي القرى التي تمتد على طول ذلك الساحل على الصيد الذي أصبح بالنسبة لهم مصدرًا من مصادر دخلهم اليومي، فضلاً عن اعتمادهم عليه كقوت لهم ولأسرهم. ومن أشهر تلك القرى الساحلية التي اعتمدت على الصيد وما زالت تعتمد عليه حتى اليوم: قرية عرقة القريبة من أحور⁽²⁾، وعين بامعبد التي يذكر بامخرمة⁽³⁾ أنها قرية بين أحور والشحر، وتقع اليوم بالقرب من منطقة بالحاف، عند مفرق الطريق القادم من أحور والمتفرع إلى حضرموت وشبوّة، ويبدو أن أهل هذه المنطقة قد امتهنوا صيد السمك منذ القدم، إضافة إلى زراعة النخيل، وقد اشتهرت عين بامعبد بسمكها المملح المعروف باللحم وهو ما يعرف بسمك القرش، إذ يتم صيد هذا النوع من الأسماك بأحجامه المختلفة وشق بطنها وإخراج أحشائها ورشها بالملح ثم تعريضها لأشعة الشمس الحارة لأيام، وقد ساعدت هذه الطريقة في حفظ هذا النوع من السمك وبقائه مدةً طويلة دون أن يتلف، ونقله إلى مناطق وقرى وصحارى بعيدة في داخل شبوة وخارجها، وتعد اليوم من أفضل الوجبات التي تؤكل في شبوة وألدها لدى كثير من الناس لما فيها من فوائد غذائية وصحية ينصح بها.

كما شكل ملح الطعام مصدرًا مهمًا لدخل العديد من أهالي شبوة التي اشتهرت بانتشار جبال الملح فيها، وأشهرها جبل الملح القريب من مدينة شبوة القديمة⁽⁴⁾، الذي يبدو أنه كان مصدر حصول الأهالي على ملحهم باستخراجه من طبقات هذا الجبل، كما أصبح سلعة تصدر إلى معظم مناطق اليمن، لما لهذا النوع من الملح من فوائد صحية طبيعية،

(1) المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص 846 - 847.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 189.

(3) النسبة، ص 429.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 171؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 323؛ بامخرمة، النسبة،

ص 366.

لا تؤثر على صحة الإنسان عند وضعه على الطعام، ولدوره في تطيب الأطعمة وحفظها. إن من أفضل ما مدتنا به كتب الجغرافيا تلك المعلومات المتناثرة والقيمة عن أشهر أودية شبوة وأهمها وأخصبها منذ القدم، ومصادر مياهها، ونوعية إنتاجها الزراعي، مثل وادي بيحان، وادي يشبم، وادي حبان، وادي خورة، وادي مرخة، وادي عبدان، وادي جردان، وادي حطيب، وادي رحية، وادي دهر، وغيرها من الأودية التي تعد اليوم من مصادر الخير الزراعي على شبوة واليمن عامة؛ لما تزرعه أراضي بعض هذه الأودية من أنواع الحبوب وأجودها على مستوى اليمن، والفواكه والخضروات ذات المذاق الطيب.

7 - الخريطة البشرية لشبوثة في كتب الجغرافيين؛

لقد كان من الأمور المهمة التي زدتنا بها كتب الجغرافيا الخريطة البشرية لقبائل شبوة في العصرين القديم والإسلامي، وقد تكون تلك الخريطة بسيطة ومتواضعة إلا أنها تعطي لنا فكرة عن السكان الأوائل والأصليين لبعض مناطق شبوة، ومن وجهة نظرنا أن هذا المحور قد يثير حنق البعض ممن يعتقدون بأن قبائلهم التي ينتمون إليها هي الأساس في المنطقة، ولكن من الممكن أن نترك الحكم لما جاء في هذه الكتب، علمًا بأن معظم الأسماء التي وردت في هذه المصادر من الممكن أن نعدّها أسماء لقبائل الأم بينما الأسماء التي تنتشر اليوم ما هي إلا أسماء للفروع منها، وإذا بحثنا عن تاريخ كل قبيلة وجذورها وتسلسلها الهرمي فإننا قد نجد بأنها تعود في الأصل إلى القبائل الأم التي ورد ذكرها لدى الجغرافيين في العصور المذكورة، على الرغم من أن بعض تلك القبائل التي ذكرت في المصادر ما زالت محتفظة بأسمائها وأراضيها حتى اليوم، مع توسعها إلى فروع وأسر مختلفة.

وعلى أية حال، فإن العالم والنسابة الحسن بن أحمد الهمداني يعد من أوائل الجغرافيين اليمنيين الذين كتبوا في أنساب القبائل اليمنية عامة، وبعض قبائل شبوة خاصة، ومن خلال ما جاء به عن توزيع هذه القبائل ومواقع استقرارها ومواطنها فإنه من الممكن أن تتكون لنا صورة شبه متكاملة عن تلك القبائل ومواطن سكنها، علمًا بأن بعض تلك القبائل لم تكن لتستقر في مواضعها، لأسباب يعيدها الهمداني للحروب التي كانت تحدث بين تلك القبائل، وفقدانها للأمان والاستقرار في مناطقها، مثل الحرب التي شهدتها شبوة بين قبائل حمير ومدحج (مالك بن أدد من كهلان)، وكانت سبب في نزوح العديد من أهالي

شبوّة وقبائلها إلى مناطق أكثر أمناً مثل حضرموت، وسكنوا فيها. ويذكر الهمداني أن شبام سميت بهم بعد انتقالهم إليها، وأن شبام في الأصل هي شبة فأبدلت الميم من الهاء⁽¹⁾، ومن خلال هذه الإشارة يتبين لنا أن معظم سكان شبوة هم من قبائل حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقبائل مذحج من كهلان بن سبأ⁽²⁾. وجدير بالإشارة أن قبائل اليمن عامة تنقسم إلى قسمين لا ثالث لهما، ولا خلاف حول ذلك، هما: قبائل حمير، وقبائل كهلان أبناء سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأن جميع قبائل اليمن تنسب إلى أحد الفرعين: حمير أو كهلان⁽³⁾.

ومن قبائل حمير التي سكنت شبوة وورد ذكرها في كتب الجغرافيا: قبائل الأيزون من ذي يزن، التي سكن فرع منها جهة مرخة، والفرع الآخر جهة يشبم في بلاد العوالق اليوم، وقبائل الأشباء الحميرية التي سكنت أيضاً في المخلاف نفسه⁽⁴⁾، وقبائل بني ذي معاهر الحميرية في خورة والحجر والجرباء من مرخة، وقد شاركهم سكن هذه المناطق التي تدخل جميعها - مثلما يذكر الهمداني - في حدود مرخة بعض قبائل صُداء وبني ماوية من مذحج⁽⁵⁾.

أما كهلان فمن قبائلها التي سكنت مخلاف شبوة: قبائل زُها أحد بطون مذحج، ويسمى زُها بن منبه بن حريث بن عُلّه بن جلد بن مذحج من كهلان، وقبائل صُداء المسمى يزيد بن حرب بن عله بن جلد بن مالك بن مذحج بن أد بن زيد، من كهلان بن سبأ⁽⁶⁾، كما استقر بنو لقيط من صُداء - وهي قبيلة معروفة في شبوة ما زالت تحتفظ باسمهم هذا حتى اليوم - في عبّرة أول حدود منطقة مرخة، كما سكن بنو شدّاد من صُداء البجاجة في مرخة، لا سيما فرع منهم يعرف ببني فرط دخيل، واستقر فرع آخر من بني شدّاد في حُزا من مرخة، وفرع آخر منهم في لجية، وفرع في قرى جبل المشكان من مرخة أيضاً، واستقر بنو سُليم من صُداء في المدّيد في مرخة، وبنو عيد الله بن سعد العشيّرة من صُداء من مذحج في

(1) الهمداني، المصدر نفسه، ص 171.

(2) الأكوغ، البلدان اليمانية، ص 105، 264.

(3) انظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج 2، ص 413 - 414.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 151، 188، 193.

(5) المصدر نفسه، ص 188.

(6) المصدر نفسه، ص 193؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، مج 1، ص 373؛ مج 2، ص 463.

وإِدِ عَبْدِآن، وعمروا لهم حصناً هناك عرف باسمهم، كما انتشرت قبائل جُعْف بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد (مذحج) بن زيد بن كهلان⁽¹⁾ في جميع قرى وادي جردان، وأقاموا فيها⁽²⁾. وينسب إلى هذه القبيلة العديد من الرجال الذين قدموا على الرسول ﷺ لإعلان إسلامهم مثل قيس بن سلمة بن شراحيل من بني مران الجعفي، وسلمة بن يزيد بن المجمع الجعفي، كما شهد بعض رجال هذه القبيلة مع الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - معركة صفين، مثل هبيرة بن النعمان بن قيس بن مران الجعفي بن سعد العشيرة، الذي استعمله الإمام علي فيما بعد على المدائن⁽³⁾. وفي الجهة الشمالية للخارج من بيحان سكن بنو أرض من بني مُسَلِيَة من عله من مذحج، وسكنت قبائل مراد من ولد الحارث بن مفرج بن ناجية بن مراد بن مذحج بيحان إلى العطف، واستقر بعضهم في حريب، كما سكن وادٍ يهريق في بيحان الرضاويون من طي، وهم من بني عبد رضا من مذحج، وفي أسفل بيحان إلى العطف الذي ينتهي حدوده قرب مرخة سكن المعاجل من سبأ من مذحج، وأقام أبناء الخساسات من ولد الأشرس بن كندة ابن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد (مذحج) بن كهلان بين أفراد قبيلة مراد في بيحان، واشتهر منهم آل المكرمان رؤساء مراد، وقد كان لهم ولآل ابن مُلْجَم من الخساسات شرف وسيادة ومقام رفيع في مذحج⁽⁴⁾، كما سكن منطقة حُجْر بني وَهْب في نواحي ميفعة، وعرقه قبائل بني عامر الكنديون من مذحج، وسكنت قبائل تُجيب من كندة منطقة دُهر ووادي رَخِيَة بقراه المختلفة (صمغ وسور بني حارثة) القرية من منطقة عرمة شرق شبوة، على مشارف حضر موت⁽⁵⁾، واستقر آل الرنبول المخازمة من كندة في أسفل ميفعة، واشتهر منهم العديد من العلماء والصالحين⁽⁶⁾.

(1) الأكوغ، البلدان اليمانية، ص 78.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 187 - 188، وحواشيها.

(3) الحجري، مجموع بلدان اليمن، مج 1، ص 189 - 190.

(4) انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 193، وحواشيها؛ الحجري، المرجع نفسه، مج 2، ص 463،

561، 666 - 667، 699 - 702.

(5) الهمداني، المصدر نفسه، ص 165، 171 - 172، 189.

(6) بامخرمة، النسبة، ص 308.

إن ما جاء به هؤلاء الجغراففون عن سكان شبوة وقبائلها دلفل على أن هذه المنطقه كانت معمورة منذ القدم، وأن معظم من سكنها هم من قبائل حمفر وقبائل مذحج من كهلان، ومن هاتفن القبفلفن تفرعت بقفة قبائل شبوة المعروفة لنا الفوم فف مفآلف مفررفاء المحافظه. ومن الملاحظ أن عدم اسآقرار الأوضاع فف بعض المناطق، وجزو القبائل لبعضها، وتفشى ظاهرة الأآر بفنهم، وتدهور الحفة الاآصاءفة؛ بسبب قلة الأمآار، وانآشار الجذب والمجاعات؛ فرض على هذه القبائل نقل مواقع سكنها إلى مناطق أآرى، بل إن بعضها شارك قبائل أآرى السكن والإقامة، وهو ما لاحظناه عند اسآعراضنا لسكن بعض القبائل.

وعلى الرغم من عدم إشارة كآب الجغراففا إلى وجود فآاء أآرى سكنآ إلى جانب القبائل الآف قمنا بذكرها، إلا أننا نستآآج أن هناك فآاء جاورآ هذه القبائل، وسكنآ معها وفف حمافآها، ومن أشهر هذه الفآاء فآة الساءة الأشراف ممن فعود نسلهم إلى ذرفه أولاد الإمام عفف بن أبف طالب، الحسن والحسفن (رضف الله عنهما)، من فاطمة بنت الرسول ﷺ أو من غيرها، وقد آآل هؤلاء مكانه كبفره بفن رجال القبائل فف شبوة، لما آمفزوا به من علم وصلاآ ودفن، علماً بأن معظم هؤلاء الساءة والأشراف وأسرههم قداموا إلى مناطق شبوة المفآلفة من حضرموت واسآقروا ففها، بعد أن آمسآآ بهم قبائل المنطقه؛ لنسبهم الشرف إلى بفآ رسول الله ﷺ.

وفف الوقت نفسه، وجد إلى جانب فآة القبائل والساءة فآة أآرى عرف أفرادها بالمشافخ، وآعفد هذه الفآة نسبها إلى أبناء الخلفاء الراشدفن أو إلى أبناء كبار صحابة رسول الله (رضف الله عنهم) أو إلى بنف أمفة، وقد عرف هؤلاء بعلمهم وصلاآهم وآدففنهم، وقدراتهم على حل الخلافآ الآف كانت آآشب بفن القبائل والآكم ففها، وخصوع الفمفع لأآكامهم.

وإلى جانب فمفع هذه الفآاء عاشآ فف شبوة جماعات من عامه الناس ممن عمل أفرادها فف بعض الصناعات والآرف الفدوفه البسطفه، إضافة إلى آآجاه بعضهم للآءمة فف بفوت كبار الزعامآ القبلفه وفف أراضفهم، وآنفآة لعدم انآماء أفراد هذه الفآاء إلى قبائل معروفة ظل أفرادها فففسون فف حمافة القبفله الآف ففمفون فف أراضفها، وكان لهؤلاء آق المواءنة والففش والحمافة، ففعد الاعآداء عففهم من قبل أفراد القبائل الأآرى

اعتداء على القبيلة التي يعيشون بين أفرادها وفي حمايتها، إلا أن ما نجعله عن هذه الفئات جميعها هو تحديد المدة الزمنية التي قدم فيها أفرادها إلى شبة، وعلى ما يبدو أن معظم هؤلاء لاسيما الأشراف والسادة والمشايخ قدموا بعد القرن الرابع الهجري، والدليل على ذلك أن السيد الإمام أحمد بن عيسى الحسيني العلوي المعروف بالمهاجر جد السادة آل باعلوي السنين قدم من البصرة إلى حضرموت هو وعدد من أفراد أسرته وغيرهم من السادة سنة 318هـ / 930م⁽¹⁾، وهناك استقروا، وعرفوا بين أهالي حضرموت بالعلم والصلاح، وعلى ما يبدو أن أفراداً من هؤلاء السادة خرجوا بأسرهم إلى مناطق شبة المختلفة مثل ميفعة والروضة وحبان والصعيد وخورة وجردان وبيحان وغيرها بسبب الفقر والحاجة، وهناك أقاموا، واحتلوا مكانة رفيعة بين سكان هذه المناطق وقبائلها، لما حظوا به من مكانة رفيعة بينهم، مثل أشراف بيحان، الذين يذكر الهمداني أنهم كانوا أشراف قبائل مراد⁽²⁾.

(1) لقد كان هؤلاء السادة نواة لغيرهم ممن استوطنوا اليمن خلال مُدد زمنية متتابعة، فانتشروا في المدن والقرى، بما فيها شبة، وقد يتبادر إلى ذهن الباحث في تاريخ هذه الفئة السؤال التالي: ما هي الدلائل التي تثبت هذا النسب، وهل من المعقول أن يرحب الناس بكل من يدعي ذلك؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نعرف أنه على الرغم من محبة اليمنيين للرسول ﷺ ولعترته الشريفة وذريته الأخيار، إلا أنه لم يكن من السهل عليهم أن يتقبلوا كل من يحاول أن ينسب نفسه إلى بيت النبوة، مع عدم تكذيبه أو صده، ويبدو أن هذه القضية كانت كثيراً ما تثير النقاش والجدل بين من يدعون هذا النسب وبين أهالي المناطق التي ينزلون بها، ولهذا كان على المدعي أن يثبت بالبينة أو بالشهود، وإلا تكفل أهالي المنطقة بذلك، ويذكر الدواري أنه عندما قدم السيد أحمد بن عيسى المهاجر جد آل باعلوي ومن معه من آل بيته إلى حضرموت، وادعوا النسب الشريف، اعترف لهم أهل حضرموت بالفضل، ولم ينكروا عليهم ذلك، إلا أنهم طلبوا إقامة البينة، وإثبات صحة ما يدعونه، وقد تكفل بهذه المهمة عدد من علماء وفقهاء منطقة تريم، الذين ندبوا منهم من سافر إلى البصرة في العراق موطن السيد أحمد بن عيسى، ليأخذوا اعترافاً رسمياً من قاضيهما الذي أكد صحة نسب السيد أحمد بشهادة عدد من أهل البصرة، وعند عودتهم إلى حضرموت اجتمعوا بعلمائها وأهلها، وأعلنوا بينهم ما جاء في شهادة الشهود بصحة نسب السيد أحمد، وبذلك اعترف لهم الناس كافة في حضرموت بالنسب الشريف، وأقروا لهم بالفضل بعد أن أجمع علماء حضرموت وفقهاؤها على ذلك. انظر: محمد بن أحمد بن علي بن موسى، رسالة في أنساب القبائل التي سكنت مدينة صعدة باليمن، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية رقم (1661)، القاهرة، ق1ب، 12.

(2) صفة جزيرة العرب، ص186.

وخلصة القول، أن بعض قبائل شبوة بفئاتها كافة وشرائحها عاشت حياة بسيطة وقاسية بسبب طبيعة المنطقة الصحراوية الصعبة، ومع ذلك احتفظت بعض تلك القبائل بدواوتها وعروببتها، وبلغتها العربية الفصحى، وهو ما يؤكد لسان اليمين الهمداني⁽¹⁾ الذي يقول عن بعض هذه القبائل لاسيما قبائل بيحان وحريب بأنهم فصحاء، ورديء اللغة منهم قليل، وكذلك بالنسبة لقبائل كنده، التي عرفت أيضًا بفصاحتها.

أهم النتائج والاستنتاجات والتوصيات:

لقد توصلنا في بحثنا هذا عن: " شبوة في كتب المؤرخين الجغرافيين " إلى عدد من النتائج والاستنتاجات والتوصيات التي يمكن حصرها في الآتي:

1. إن شبوة حظيت باهتمام كبير من قبل العديد من المؤرخين الجغرافيين الكلاسيكيين الأوروبيين من بلاد اليونان والرومان، واليمنيين والعرب المسلمين، مما يدل على أهميتها، وهو ما لم تحظى به اليوم من قبل أبنائها.
2. إن هذا الاهتمام جاء نتيجة لما عرفت به هذه المنطقة من تطور وحضارة ورقي، أكدته الشواهد الأثرية الباقية التي هي في حاجة اليوم إلى نبش وتنقيب ودراسة من قبل المختصين من رجال التاريخ الآثار.
3. لقد توصلنا في هذا البحث إلى أن جغرافية شبوة وتاريخها ما زال مجهولاً، وهو في حاجة إلى دراسات معمقة، وأبحاث وجهود حثيثة لفك رموز وشفرات وأحداث ووقائع يجهلها العالم قبل الجاهل من أبناء هذه المحافظة.
4. إن ما جاء به المؤرخون الجغرافيون من معلومات عن شبوة على قلتها تعد ثروة علمية في حاجة إلى من يستغلها، لإعادة كتابة تاريخ هذه المحافظة ذات الحضارة العريقة.
5. إن هذه الدراسة بما قدمته من معلومات وتحليل من الممكن أن تفتح المجال أمام رجال العلم والباحثين وطلاب الدراسات العليا لتوجيه رسائلهم العلمية وكتاباتهم لتاريخ هذه المحافظة، لاسيما وأن المجال أمامهم مفتوح للكتابة

(1) المصدر نفسه، ص 248.

سوءاً في مجال الآثار أو التاريخ بحقه: القديمة أو الإسلامية أو الحديثة، أو الجغرافيا، أو اللغة وغيرها.

6. إن هناك إهمال كبير وتجاهل لتاريخ شبوة وحضارتها من قبل فئات كثيرة في المجتمع والدولة؛ لهذا نوصي أصحاب القرار في الدولة وفي المحافظة بتشكيل لجنة علمية متخصصة من رجال العلم، والتاريخ، والآثار، والأنساب، والجغرافيا، واللغة، والزراعة، والبحار، والأحياء البحرية، والبرية في جامعة عدن، وكلية التربية شبوة، وكلية النفط والمعادن؛ للقيام بإعادة كتابة وتوثيق تاريخ شبوة القديم، والإسلامي، والحديث، وفي أجزاء مختلفة تشمل الاختصاصات المذكورة، أسوةً ببقية المحافظات الأخرى.

7. من خلال هذه الدراسة نوصي السلطة المحلية بإطلاق حملات توعية، ومحاضرات علمية لأبناء هذه المحافظة والعاشرين منهم لإرشادهم بكيفية التعامل مع المواقع التاريخية، والقطع الأثرية التي يتم الحصول عليها عن طريق النباش أو غيره، حفاظاً منهم على تاريخ وحضارة شبوة التي جذبت الأوربيين قبل العرب منذ قديم الزمان.

8. نوصي جامعة عدن والسلطة المحلية في محافظة شبوة بتشجيع مثل هذه الندوات ودعمها مادياً ومعنوياً، لتكون نواة لندوات أخرى يمكن إقامتها على نطاق أوسع، لتشمل باحثين من مختلف محافظات الجمهورية وجامعاتها الحكومية والأهلية.

9. كما نوصي في الأخير السلطة المحلية بالتعاون مع رئاسة جامعة عدن بطباعة بحوث هذه الندوة في كتاب يكون بمثابة دليل لمحافظة شبوة، يمكن الاستعانة به لمعرفة كل ما يتعلق بالمحافظة وتاريخها العريق، وجغرافيتها الطبيعية والبشرية.

الدور العلمي لأسرة آل محمد بن عمر المالكي في شبوة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي⁽¹⁾

المقدمة:



أ.د. محمد يسلم عبدالنور
كلية الآداب - جامعة حضرموت

الحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد...
فقد عرفت اليمن في تاريخها العديد من الأسر والبيوتات العلمية التي كانت لها إسهامات مهمة في مجال الحياة العلمية تدريجاً وتالياً وتوارثه الأبناء والأحفاد، لم تقتصر على مدة معينة، ذاع صيتهم داخل اليمن وخارجها.

وتكمن أهمية هذه البيوتات والأسر العلمية في أن أغلب أفرادها توارثوا العلوم والفنون وحرصوا عليها، فقد كان العلماء والفقهاء يحرصون على تعليم أبنائهم وأحفادهم وتشجيعهم على تبوؤ منصة العلم وتسهم أعالي رتبه، ذلكم الميراث النبوي العظيم الذي لا يستغنى عنه مسلم على مر الأزمان.

ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور هذه الأسر والبيوتات؛ رغبة العلماء في توريث العلم لمن يحبونه، ولا أحب للعالم من ولده، فضلاً عن المكانة التي يحظى بها العالم في أسرته ومجتمعه، فشكّل هذا دافعاً قوياً لعدد من أفراد أسرته إلى أن يحذوا حذوه، فكل هذا وغيره كان له التأثير الإيجابي في تنشيط الحياة العلمية، التي من أبرز مظاهرها: استمرار النشاط العلمي، والتأثير في القرار السياسي بتولية المناصب والقضاء.

(1) بحث علمي قدم لمؤتمر شبوة تاريخ وحضارة، الذي نظمه مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، نوفمبر 2020م.

ومن هذه الأسر والبيوتات العلمية أسرة آل محمد بن عمر بن راشد بن خالد بن مالك المالكي الشافعية مذهباً، في شبوة في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي - موضوع الدراسة، والتي جاءت في: مقدمة، وخمسة محاور، وخاتمة، وقائمة بمصادرهما ومراجعها.

أولاً: أصول أسرة آل محمد بن عمر المالكي:

تنتسب هذه الأسرة كما جاء في المصادر⁽¹⁾ إلى خولان بن عمر، ولعلها بن عمرو بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهي من قضاة، بطن من كهلان من القحطانية⁽²⁾.

تعود أصول هذه الأسرة إلى منطقة عمقين وهو واد بين جردان وحبان⁽³⁾، حيث انتقل الآباء بسبب حادثة ثار بينهم وبين بني عمهم، فانتقلوا طلباً للكلأ والماء إلى أبين عدن⁽⁴⁾، وفيها نشأ الشيخ الفقيه الإمام أبو عبدالله محمد بن عمر، وطلب العلم وارتحل إليه، وتخرج بجماعة منهم الشيخ القاضي المفتي محمد بن سعد بن محمد أبي شكيل (ت بعد 729هـ/1328م)، وكبر جاهه وذاع وبعد صيته، وورث الكثير من الأراضي الزراعية، فاحتاج السلطان الحاكم بأبى إلى ما يقتات به خيولهم ومواشيهم، فلم يجدوا ذلك عند غيره، فامتنع لذلك، فأخذوا منه ذلك قهراً، مما اضطر إلى الخروج من أبين إلى أحور⁽⁵⁾، ورغم اعتذارهم له عن ذلك وعدم تكراره، فأقام بين ظهرانيهم مدة طويلة مبعجلاً

(1) بامخرمة، قلادة النحر 3/3551 رقم (4280).

(2) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب 418 - ابن الأثير، اللباب 471 - كحالة، معجم قبائل العرب 1/365.

(3) حبان: المدينة الثانية في شبوة بعد العاصمة عتق، وجردان في الشرق منها إلى حضرموت (الحجري،

محمد بن أحمد (ت 1397هـ/1977م) مجموع بلدان اليمن وقبائلها، 2/226، تحقيق وتصحيح

ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوغ، الطبعة الثالثة، 1425هـ/2004م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن).

(4) أبين عدن: مدينة على ساحل البحر في الشمال الشرقي من مدينة عدن بينها أقل من (60) كم (الحجري،

مجموع بلدان اليمن وقبائلها، 1/55).

(5) أحور: واد شرقي عدن فيه قرى، يقع في الوسط بين شقرة ووادي ميفعة، وتعد من أكبر مديريات

محافظة أبين (الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب لسان اليمن (ت 360هـ/951م) صفة جزيرة

العرب، 179، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، الطبعة الأولى، 1990م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن

- الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، 1/39).

ومعظمًا، إلى أن احتاجوا مرة أخرى لذلك، فكرروا صنيعهم السابق، فخرج منها نهائيًا رغم محاولات استرضائه، فخرج إلى أحور وقصد وادي بين أحور وحبان يقال له الخبر. في هذا الوادي وفي منطقته استقبله سلطانها باحمل⁽¹⁾ الذي كان رعيته وجنوده لا يخرجون عن رأيه وطوعه، تلقاه بالقبول والإعظام والإجلال والإكرام، وزوجه ابنته، وولدت له ابنه الأكبر أبابكر، ثم تزوج بعدها بالخبر بنت رئيس قوم حلفاء للسلطان باحمل، فولدت له عليًا وإسماعيل وإسرائيل وإبراهيم.

بعد موت السلطان باحمل طلب منه سلاطين آل عبدالواحد الانتقال إلى مدينة المصنعة⁽²⁾ بوادي حبان، وبنوا له بيتًا بقرب الجامع تحت الحصن، فأقام معزًا ومبجلًا ومعظمًا ومغتبًا به، إلى أن توفي بداية القرن التاسع الهجري⁽³⁾.

ثانيًا: أشهر علمائها:

1 - الفقيه الإمام أبو عبدالله محمد بن عمر، الإمام الورع الزاهد العابد - وقد سبق الحديث عنه آنفًا - وأولاده:

2 - الفقيه الورع الزاهد فخر الدين أبو بكر أكبرهم، وأمّه ابنة السلطان باحمل، وقد سافر لطلب العلم إلى اليمن في حياة والده.

3 - الفقيه الإمام نور الدين علي، كان فقيهًا إمامًا بارعًا في العلوم، ذا كرم وجود وسخاء، نشأ بالخبر، وقرأ القرآن بحبان، وسافر إلى عدن لطلب العلم، ولقي بها جماعة من العلماء، فقرأ "منهاج النووي"، ثم عاد إلى زبيد وقرأ "الروضة للنووي"، ثم خرج إلى بلده حبان، فأقام بها أيامًا، ولم ينتظم له أمر المعاش فأنشأ برحبة محصن، قرية غلب عليها اليوم اسم الحوطة (حوطة الفقيه)⁽⁴⁾ بأسفل وادي عمقين، وعمرها، وأقام هناك يكرم الضيف ويؤمن الخائف وينشر العلم؛ إلى أن توفي سنة 832هـ/1428م⁽⁵⁾.

(1) لم نعر على شخصية هذا السلطان، ولعل الاسم لقب عليه.

(2) المصنعة: هي مدينة وادي حبان، كانت بمثابة مرسى للقوافل التجارية، بينها وبين المناطق المحيطة بها (الحداد، الشامل، 48).

(3) بامخرمة، قلادة النحر 3/3551 رقم (4280).

(4) السقاف: إدام القوت، ص 77.

(5) بامخرمة، قلادة النحر 3/3554 رقم (4281).

4 - الفقيه الإمام الورع الزاهد العابد الناسك كمال الدين إسرائيل، الذي استقر شمال الحوطة، في الروضة المنسوبة له⁽¹⁾، إلا أن المصادر لا تسعفنا بمعلومات عنه.

5 - الفقيه إبراهيم، وكذلك لم تزودنا المصادر بمعلومات عنه.

6 - شرف الدين، أبو الذبيح إسماعيل، ولد بالمصنعة، ونشأ بها، وقرأ بها القرآن، ثم سافر لطلب العلم الشريف، فلقني جماعة من الأئمة الأعلام ومشايخ الإسلام؛ ودأب في الطلب، واشتغل بالعلم حتى تميز على أقرانه، ومن شيوخه:

1. الفقيه جمال الدين محمد بن عيسى اليافعي الشافعي (ت 775هـ / 1373م) قاضي عدن، وأحد فضلاء اليمن⁽²⁾.

2. الفقيه جمال الدين محمد بن عيسى الحبشي⁽³⁾.

3. أبو بكر بن محمد الحسيني⁽⁴⁾ قرأ عليه تفسيري الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ / 1075م) "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" و"الوسيط في تفسير القرآن المجيد" وكتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض (ت 544هـ / 1149م)، وكتب أخرى في التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، واللغة، والصرف.

ومن الكتب التي أجازه فيها مشايخه؛ كتب في الحديث، وأخرى في التفسير، وثالثة في الفقه، ورابعة في السيرة والشمائل: فمن كتب الحديث: "صحيح البخاري ومسلم" و"موطأ مالك" و"سنن الترمذي" و"مسند الإمام أحمد" و"السنن لابن ماجه" و"السنن الكبرى" و"معرفة السنن والآثار" للبيهقي (ت 458هـ / 1065م)، وكتاب "مصايح السنة" للبعوي (ت 516هـ / 1122م)، وكتاب "عمدة الأحكام" في تخريج الأحاديث للإمام الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي (ت 600هـ / 1203م)، وكتاب "جامع الأصول" في التخريج، والزوائد للإمام المبارك محمد عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت 606هـ / 1209م).

(1) السقاف: إدام القوت، ص 78.

(2) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ / 1448م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 392/5، الطبعة الثانية، 1392هـ / 1972م، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد، الهند.

(3) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(4) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

وفي التفسير: "معالم التنزيل في تفسير القرآن" المعروف بتفسير البغوي، وفي الفقه كتاب "الأم" للإمام الشافعي (ت 204هـ/819م)، وفي السيرة والشمال كتاب "دلائل النبوة" لليهقي (ت 458هـ/1065م).

ولذا فقد أتقن عدة علوم منها: الفقه، والنحو، واللغة، والتفسير، والحديث، والأصليين، وبلغ فيها مرتبة عالية، فكان الفقيه والإمام والمحقق والمدقق وشيخ الإسلام، ومفتي الأنام، بحر الحقيقة، وموضح الطريقة.

وامتاز الشيخ إسماعيل بخط حسن، مكنه من كتابة واستنساخ عدد كثير من مقروءاته وكتبه العلمية، شكلت دون شك لديه مكتبة ضخمة، وهذا واضح من تلك المصادر والمراجع التي يذكرها في ثنايا فتاويه، والعزو الدقيق والنقل الحرفي منها، ليس في الفقه الشافعي فحسب بل في غيره من العلوم الأخرى، إلا أنه لم يحفظ لنا الدهر شيئاً منها - حسب ما نعلم - وربما للتغيرات السياسية وما رافقها من حروب وصراعات، إلى جانب عوامل المناخ، وتعرضها للأرضة والفئران عامل مهم في فقدانها وزوالها.

توفي في ربيع آخر سنة 834هـ/1430م، وترك ستة من الأولاد الذكور هم:

- 1 - عبد الله، وذريته آل باقادر بقرية صعيد باقادر.
- 2 - إسرائيل، وذريته آل إسرائيل بالروضة المعروفة بروضة بني إسرائيل شرق مدينة حبان.
- 3 - عبد الرحمن، وذريته آل عبدالرحمن بالروضة؛ وبعض منهم بدينة بأبين.
- 4 - عبد الغفار، وذريته آل الشبلي بحبان.
- 5 - إبراهيم انقرض نسله.
- 6 - محمد مات صغيراً في حياة والده.

ثالثاً: دورهم ونشاطهم العلمي في المجتمع، من خلال الآتي:

1 - التدريس: فقد تولوا مهمة التدريس في مناطقهم، وتعليم الناس ونصحهم وإرشادهم ووعظهم، سواء في المساجد التي أنشأوها أو في غيرها، أم في البيوت وأماكن التعليم الأخرى، ولم تذكر لنا المصادر نماذج من طلابهم وتلاميذهم، مع وثوقنا أن الأبناء والأحفاد منهم، كما إنه لا يستبعد أيضاً توليهم وظيفتي الخطابة والإمامة.

2 - الإفتاء: تحتل الفتيا في الإسلام مكانة عظيمة، وأهلها القائمون بها من العلماء

بمنزلة شريفة، ذلك أنها أمر تولاه الله بنفسه، وقام بها الأنبياء ﷺ ثم العلماء من بعدهم، فهي توقيع عن رب العالمين⁽¹⁾.

وينصرف الاهتمام عند الحديث عن الفتاوى إلى الوظيفة المباشرة لها؛ حتى إن نظر الباحثين إليها لا يكاد يجاوز كونها موضوعاً فقهياً يتحرك داخل الرد على أسئلة المسلمين عن أمور دينهم لتستقيم، وعن أمور دنياهم لتتفق ومقتضيات الدين، أو حتى على أسئلة غير المسلمين سواء كانوا من دار الإسلام أو من خارجها.

ويبدو أن سر الوظيفة قد غُيب؛ أو كاد جانت مهم منه أن ينسى، وهو كون هذه الفتاوى تعد سجلاً لحياة الناس وانعكاساً صادقاً وقريباً ومباشراً لرؤيتهم لأنفسهم وللعالم⁽²⁾.

ونظراً إلى أن الفتاوى تناولت مختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية الجديدة، النابعة من الظروف المختلفة بحكم خصوصية المجتمعات في تلك المناطق، فإن هذه الفتاوى بدأت تجذب الباحثين والدارسين إليها بوصفها مصدرًا من مصادر التاريخ الاجتماعي والاقتصادي.

وترتبط الفتوى غالباً في أذهان الناس بالمسائل الفقهية أعنى المسائل الجزئية أو مسائل الفروع سواء كانت عبادات أو معاملات، إلا أننا نعتقد أن هذا الارتباط غير صحيح، فمفهوم الفتوى أعم وأعلى من ذلك؛ إذ إن جوانب الدين والدنيا جميعاً محل سؤال، ومن ثم فهي محل فتوى.

وقد فُصد الشيخ الفقيه المفتي إسماعيل بالفتاوى من جميع الجهات لاسيما من جهة حضر موت، فانتشرت عنه الفتاوى المشهورة، من أطلع عليها وتأمل مسلكه في

(1) ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (ت 643هـ/1245م) أدب المفتي والمستفتي 72، تحقيق: د. موفق عبدالله عبدالقادر، الطبعة الثانية، 1423هـ/2002م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. - النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ/1277م) آداب الفتوى والمفتي والمستفتي 13، 14، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، دار الفكر - دمشق - محمد يسري إبراهيم، الفتوى أهميتها، ضوابطها، آثارها، 83، الطبعة الأولى 1328هـ/2007م، جائزة الملك نائف بن عبدالعزيز العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة (ب.ن.ت).

(2) الحفيان، فيصل، الفتاوى والتاريخ الاجتماعي للإسلام 1، معهد المخطوطات العربية، القاهرة (ب.ت).

تنقيح أجوبتها وتحريرها وعدم اقتصاره على حكاية المعتمد من الطريقتين أو القولين أو الوجهين أو غير ذلك حتى يأتي بجميع ما في المسألة من الخلاف بين الأصحاب، ثم في آخر الجواب يختصر ما بسطه أولاً فيقول: "ما تمخّص من هذا"، أو "فتلخّص" أو "فتحصّل" أو نحو ذلك كذا وكذا؛ عرف محل الرجل وقضي العجب، واعتقد بأنه من منازل التبحر والتحقيق في أعلى الرتب، ودراستنا هذه تبين أهميتها، ولا نستبعد توليه هذه الوظيفة قبل وظيفته الثالثة، بل مؤكد ذلك، ولعله استمر بها مع وظيفته الثالثة؛ إذ لا تعارض بينهما إلى وفاته، أما الوظيفة الثالثة التي تولّاها وهي الرسمية فهي وظيفة القضاء.

3 - القضاء: القضاء فريضة محكمة، وهي من فروض الكفاية، وهو: "منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع"⁽¹⁾، فيجب على الإمام تعيين قاضي، لأنه لا يقدر عادة على فصل الخصومات بنفسه لكثرة مشاغله العامة، فالحاجة تدعو إلى تولية القضاة، ولأن أمر الناس لا يستقيم بدونهم⁽²⁾، ففيه فضل عظيم لمن قوي على القيام به وأداء الحق فيه، ولذلك جعل الله فيه أجراً مع الخطأ، فقد قال الرسول ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر"⁽³⁾ وروي عن ابن مسعود أنه قال: "لأن أجلس قاضياً بين اثنين أحب إليّ من عبادة سبعين سنة"⁽⁴⁾.

ومنزلة القضاء بعد منزلة الخلافة، قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾⁽⁵⁾، وقد نبه الرسول ﷺ إلى عظيم أجر القضاء، فقال: "لا حسد إلا في اثنين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م) المقدمة 275، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، 1408 هـ / 1988 م، دار الفكر، بيروت.

(2) ابن قدامة أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد (ت 620هـ/ 1223م) المغني 10/32، مكتبة القاهرة، 1388هـ / 1968م.

(3) ابن حنبل أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ/ 855م) المسند 29/308 رقم (17774) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، 1416 هـ / 1995 م، دار الحديث، القاهرة.

(4) ابن خليل، أبو الحسن علاء الدين علي (ت 844هـ/ 1440م) معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام 8، دار الفكر، دمشق (ب.ت).

(5) سورة ص، الآية (26).

في الحق - أي انفق في الخيرات والطاعات - ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"⁽¹⁾.

وثمة علاقة بين الفتيا والقضاء، فالقاضي والمفتي مشتركان في أن كلاً منهما يجب عليهما إظهار حكم الشرع في الواقعة، ويعتمدان في إظهار الأحكام على الأدلة الشرعية، ومع هذا فإن الفتيا تختلف عن القضاء في جوانب منها⁽²⁾:

1 - أن الفتيا إخبار بحكم شرعي، أما الحكم القضائي فهو إخبار وإلزام به غالباً، أي أنه فيما تجري قضاء القاضي تجري فيه الفتيا من غير عكس، فالفتيا اعم والقضاء أخص.
2 - أن الحكم (القضاء) لا يجوز نقضه بحكم آخر مالم يتبين مخالفة الحكم الأول للدليل القاطع، أي أن الفتوى لا تقوى على نقض الحكم بها، وأما الفتوى فيجوز نقضها بالفتوى والحكم.

3 - حكم الحاكم لا يكون إلا بلفظ منطوق سواء أكان قولاً أم كتابة، أما الفتيا فتحصل بالقول والكتابة كما تحصل بالفعل والإشارة ونحوهما.

4 - الأحكام القضائية تكون في الواجبات والمحرمات والمباحات، ولا تكون في المكروهات والمستحبات.

5 - أن الحكم لا يكون إلا في المعاملات والحدود والجنايات، بخلاف الفتيا فإنها تكون في المعاملات والعبادات والآداب.

6 - الفتيا أوسع من الحكم، من جهة من يجوز له الفتيا.

فبالقضاء تصان الحياة والكرامة والحرية، وتحفظ الدماء والأعراض، وبه يتحقق للمجتمع التآخي بين أفراده، ولهذا كان للقضاء في الإسلام منزلة رفيعة سامية، فهو فريضة من أقوى الفرائض، وعبادة من أشرف العبادات؛ لأنه إظهار للعدل وإزالة للباطل.

تلك مقدمة ارتأينا إيرادها؛ لأن الشيخ إسماعيل الحبانيتولى الوظائفين - الإفتاء والقضاء - ولنبين الفرق بينهما، ولأن الوظيفة الثانية لا يوليها إلا بتصريح رسمي

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت256هـ/869م) الصحيح، 1/25 رقم (73) تحقيق:

محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ/2001م، دار طوق النجاة، السعودية.

(2) محمد يسري إبراهيم، الفتوى 46 - 53.

- إذا جاز القول - من الإمام أو من قاضي القضاة كما هو عند الحباني، وذلك بتزكية من شخصية علمية غير يمنية التقت به.

كانت اليمن خلال العصر الرسولي (626 هـ - 858 هـ / 1229 م - 1454 م) مطمح أنظار كثير من العلماء والفقهاء والأدباء وغيرهم، الذين يجمعون بين العلم وطلب الرزق، فتوافد على البلاط الرسولي عدد غير قليل من علماء الأمصار الإسلامية منهم في مدة الدراسة:

عبد العزيز بن أحمد النويري (ت 825 هـ / 1421 م)⁽¹⁾، وتقي الدين الفاسي (ت 832 هـ / 1429 م)⁽²⁾، وابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ / 1449 م)⁽³⁾.

ومنهم من دخلها في أثناء مروره إليها من وإلى منطقتها، أو بلد الارتحال مثل: عبدالرحمن بن حيدر الشيرازي.

التعريف بالشيخ الشيرازي: هو وجيه الدين أبو المعالي عبدالرحمن بن حيدر بن علي بن أبي بكر الدهقلي الشيرازي الدمشقي، ولد سنة 747 هـ / 1346 م، سمع من البناي: جزء البتوتة" و"حياة الأنبياء في قبورهم"، ومن ست العرب بنت محمد البخاري "مشيخة جدها"، ومن البدر أبي العباس بن الجوحى ابن الزقاق "سنن النسائي الصغرى"، ومن ابن أميلة، وأجاز له العز بن جماعة، وإبراهيم بن الخشاب، وعلي الزرندي. التقى بابن حجر العسقلاني بعدن، فأخذ عنه وذكره في معجمه. توفي سنة 817 هـ / 1414 م في بعض جزائر كنباية بالهند⁽⁴⁾.

(1) السخاوي، الضوء اللامع 4/213.

(2) السخاوي، الضوء اللامع 7/18 - الزركلي، خير الدين (ت 1396 هـ / 1976 م) الأعلام، 5/331، الطبعة الثالثة عشر، 1998 م، دار العلم للملايين، لبنان.

(3) السخاوي، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر - الزركلي، الأعلام 1/178.

(4) السخاوي، الضوء اللامع 4/75 - ابن فهد، محمد بن محمد بن (ت 871 هـ / 1466 م) لحظ الألفاظ بذيل طبقات الحفاظ 1/177، 190، الطبعة الأولى 1419 هـ / 1998 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت 832 هـ / 1428 م) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد 2/81 رقم (1191) تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، 1410 هـ / 1990 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

قدم الشيخ عبدالرحمن الشيرازي من الهند سنة 813هـ/1410م، ودخل اليمن والتقى بعدن بالشيخ ابن العسقلاني - كما أسلفت - ودخل حبان والتقى بالشيخ إسماعيل صاحب الفتاوى، وعرف علمه، وطلب منه أن يولي القضاء، فاعتذر منه؛ لأنه لم يؤمر بذلك لا من السلطان ولا قاضي القضاة المخولان بالتعيين، فرفع رسالة إلى قاضي القضاة بالدولة الرسولية مستسمحًا منه أن يوليه القضاء.

رسالة الشيرازي إلى قاضي القضاة: يعد منصب قاضي القضاة من أعلى المناصب في الدولة، ومتوليه بمثابة وزير العدل في وقتنا الحاضر، ولعظم هذا المنصب فقد كان السلطان يقوم باختيار متوليه بنفسه⁽¹⁾.

ومن أهم اختصاصات قاضي القضاة تعيين القضاة وعزلهم في شتى أنحاء الدولة، وغالبًا ما كان يحرص على اختيار من هو أهل للقضاء ممن تحقق له صلاحه وورعه، وكان يتابع القضاة ويتحرى عنهم⁽²⁾.

وقد تولى منصب قاضي القضاة في الدولة الرسولية خلال الدراسة ثلاثة علماء هم⁽³⁾:
مجد الدين الفيروز آبادي منذ أواخر سنة 797هـ/1394م، واستمر فيه حتى وفاته سنة 817هـ/1414م⁽⁴⁾، فتولى بعده أحمد بن أبي بكر الرداد، الذي ظل فيه حتى وفاته سنة 821هـ/1418م⁽⁵⁾، فخلفه القاضي موفق الدين علي بن أبي بكر

(1) الفيضي، محمد بن يحيى، الدولة الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية 803هـ - 827هـ/1400م - 1424م، 339، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان.

(2) المصدر نفسه 340

(3) المصدر نفسه 341.

(4) ابن حجر، إنباء الغمر بآبناء العمر، 7/159، تحقيق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ/1969م - السخاوي، الضوء اللامع 10/79 - البريهي، عبد الوهاب بن عبدالرحمن (ت 904هـ/1498م) طبقات صلحاء اليمن 297، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، الطبعة الثانية، 1414هـ/1994م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن. - الفيضي، الدولة الرسولية في اليمن 341.

(5) ابن حجر، إنباء الغمر 7/329 - الشرجي، أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي الزبيدي (ت 893هـ/1490م) طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، 91، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م، الدار اليمنية، صنعاء، اليمن - السخاوي، الضوء اللامع 1/261 - البريهي، طبقات صلحاء اليمن 300 - الفيضي، الدولة الرسولية في اليمن 341.

الناشري (ت 844 هـ / 1440 م)⁽¹⁾.

وبالنظر إلى المعطيات التاريخية السابقة يتبين لنا أن قاضي القضاة الذي وجه إليه الشيرازي رسالته هو مجد الفيروز آبادي، وسياق الرسالة يدل على أنها كتبت لمن لا يعرف الشيخ شرف الدين إسماعيل ولا يدري بحاله. ولم يكن ليخفى على والي حبان وهو ببلده الخاص، وهذا ما وجد من الرسالة:

"أستاذنا الأستاذ الشريف، حاكم المجتهدين، وتاج الإسلام والمسلمين، القاضي مجد الملة والحق والدين؛ أعاد الله علينا من بركاته. وبعد: يعرض بين يدي سيدنا ومولانا، أن تلميذكم لما رجع من الهند دخلنا بندر الشحر؛ وعزما نطلع إلى بلاد صنعاء اليمن فوصلنا إلى بلد يقال لها مصنعة عبدالواحد فرأينا ثم إماماً جامعاً لجميع الفنون؛ يحفظ "منهاج الإمام النووي"، وله اليد الطولى في علم النحو والتصريف واللغة والأصول، اسمه الفقيه شرف الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، وهو شريف مثل اسمه في كل الأشياء، جوهره ضائعة بين تلك الجبال والدمون، وعربان تلك الجهة طائعون له راضون بحكمه، ولكنه لين في الأحكام. وقلت له: لم لم تحرر الأحكام؟ قال: ما معي إذن من سلطان البلد ولا من قاضي الأفضية، وإنما أنا أصلح بينهم - السؤال من إحسانكم: أن تولوه القضاء من باب بروم إلى باب أبين وما بينهما من القرى والبلاد، مثل: حجر الحصين ودثينة وأحور وحوارق ميفعة والعين وغيرهم، أن يعزل من لم يصلح ويولي من يصلح، وأكثره لمقصود المسلمين، فأهل هذه البلاد ما يحكم عليهم وثم عربان من قبائل، وتناولوا بذلك الجزيل من الثواب يوم الحساب".

وبعد ذلك مكتوب بخط غير خط الفقيه في شق الورقة، يستمر بالناحية المذكورة موفقاً مباركاً إن شاء الله تعالى، وأذنت له أن يولي من يصلح وأن يعزل من لا يصلح، (ويقسم) لنا في صالح دعواته. وكتب في عاشر محرم سنة 815 هـ / 1412 م.

وعلى ضوء ذلك أصدر السلطان الرسولي الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل (ت 827 هـ / 1424 م)⁽²⁾ أوامره إلى الشيخ الحباني بتولي القضاء، فتولاه بحبان سنة

(1) السخاوي، الضوء اللامع 5 / 205 - ابن العماد الحنبلي، عبدالحى بن أحمد بن محمد، أبو الفلاح (ت 1089 هـ / 1678 م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 4 / 251، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، 1406 هـ / 1986 م، دار ابن كثير، دمشق - بيروت - الفيبي، الدولة الرسولية في اليمن 341.

(2) الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن العباس علي بن دواد بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول:

1412هـ/ 1815م من بروم إلى أبيين⁽¹⁾ وما بينها من القرى.

نستنتج من خلال هذه الرسالة الآتي:

- 1 - أن مدينة المكلا مركز حضرموت اليوم؛ لم تكن مشهورة يومئذ.
 - 2 - أن وادي ميفعة يقال له أوله ولما حو اليه حوراق ميفعة، ولعل ذلك لما به من الحرّات (الأحجار) السوداء.
 - 3 - أن أهل البلد لم يشعروا بالحاجة إلى قاض يزوج الأياامي، ويكفل اليتامى، ويفعل الأحكام.
 - 4 - أن آل عبدالواحد كانوا تحت سلطنة ملوك وسلاطين الدولة الرسولية.
 - 5 - الإشارة لقاضي الأفضية ألا يرجى من هذه الناحية محصول مالي، وإنما هذه التولية لمقصود المسلمين، ولأن الموجودين هنا قبائل لا تحكم عليهم الملوك⁽²⁾.
- ولعله استمر في القضاء إلى وفاته، حيث لم تشر المصادر إلى انعزاله عنه.

رابعاً: المكتبة العامة:

بعد دراستنا لفتاوى الشيخ إسماعيل ونقولاته بها؛ وجدنا أن نقولاته موثقة، لا يعتمد على الذاكرة، فبمقارنتنا لنصوصه المنقولة وجدناها مثبتة بحركاتها وسكناتها، وطول بعض النصوص يؤكد رجوعه إلى المصادر، وهو فوق ذلك لا يقف عند مصدر أو مصدرين، بل تكثّر مراجعه في المسألة الواحدة وفي كتب متقدمة ومتأخرة، كثير منها لا زال مخطوطاً حتى يومنا.

ثامن ملوك الدولة الرسولية، كان موصوفاً بالكرم الجم والحلم التام، يرفع إليه ما لا تحتمله الملوك فلا يستفزه غضبه، له آثار معمارية، توفي سنة 827هـ/ 1424م (ابن الدبيع، عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت 944هـ/ 1537م) قرة العيون بأخبار البلد الميمون، 392، تحقيق: محمد علي الأكوغ، المطبعة السلفية، مصر (ب.ت)).

(1) بروم: تقع بين الشحر وميفع على ساحل البحر، وتبعد عن المكلا (30) كم غرباً، وهي اليوم من ضواحيها (السقاف، عبدالرحمن بن عبدالله (ت 1375هـ/ 1955م) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، 105، تحقيق: محمد أبوبكر باذيب وآخرون، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2005م، دار المنهاج، جدة، السعودية.

(2) الحداد، الشامل في تاريخ حضرموت 55.

والذي بدا من معالجتنا لهذه الفتاوى، نجد أن تحت يد الشيخ مكتبة زاخرة بالمخطوطات في مختلف العلوم والمذاهب، لعل أمهات كتب المذهب الشافعي تحتل مكاناً مرموقاً فيها. إضافة إلى غيره من المذاهب وبقية فنون العلوم، وهذا يجعل الباحث يقف موقف إكبار وإعزاز لمثل أولئك، حيث لم تمنعهم البيئة القاسية، والعيش الشظف، والتباعد بين الأماكن، ومشقة الأسفار، وطول أزمانها، من اقتناء الكتب، والحرص على متابعة كل جديد ونسخه، ولعل جزءاً من هذه المكتبة ما زال عند أحفاده، نرجوا ذلك.

خامساً: النتائج العلمي:

لعل علماء هذه الأسرة قد صنعوا مصنفات في العلوم والفنون التي أجادوها وأتقنوها، رغم أن المصادر لم تشر إلى شيء من ذلك، سواء ما ألفه وصنفه الشيخ إسماعيل، فقد ذكر في فتاويه أن له نكتاً⁽¹⁾ في إفساد الجمعة⁽²⁾، ولعل له غيرها، أتى عليها ولم يبق إلا فتاواه، وهي على قسمين:

1 - الفتاوى الكبرى وتقع في (200 صفحة) ونسخت سنة 1036هـ/1626م، وهي مبنية على جميع أبواب الفقه، وتوجد بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بترميم برقم (886 فقه)، ولا توجد نسخة أخرى - حسب ما نعلم - وتضم (254) مسألة، وهي قيد الدراسة والتحقيق.

2 - الفتاوى الصغرى تضم (11) سؤالاً سأل عنها الفقيه عيسى بن عيسى بن أحمد حريز، ونسخت سنة 1261هـ/1845م، وقد طبعت مدروسة ومحقة من كل من: د. محمد يسلم عبدالنور ود. محمد عبدالقادر العيدروس، ونشرت عن دار تريم للدراسات والنشر سنة 1430هـ/2009م، ولأهمية هذه الفتاوى فقد أفرناها بالحديث:

الفتاوى الحبانية "الكبرى والصغرى":

موضوع الفتاوى: في هذه الفتاوى أجاب الشيخ إسماعيل الحباني على أسئلة، هي في غالبها من القضايا التي يعاني منها أهل عصره في الزراعة والبيع والطلاق والنكاح، فيكثر السؤال فيها ويتكرر، وتحتاج في الإجابة إلى العلماء الأثبات الخبراء بعبارات الفقهاء

(1) النكت: هي استدراك التصحيح، أو زيادة قيد أو ذكر الخلاف، وهي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان (الجرجاني، التعريفات 198).

(2) الحباني، الفتاوى الكبرى، مسألة رقم (64).

ومضان مسائلهم؛ لأن مثلها يكون مفرداً بين السطور، ويحتاج إلى فهم القياس وقواعد الاستنباط واستحضار المسائل في الذهن.

أهمية الفتاوى: علم الفتاوى من فروع علم الفقه، وهو من العلوم التي اشتهر فيها فقهاء حضرموت، وأهمية هذه الفتاوى أنها تكشف حال العلوم والفقه وما هي عليه من الاتساع، كما يبين الاتصال والتحاور العلمي بين العلماء في حضرموت وقدرتهم على الاتصال بالعالم الإسلامي، ومشاركتهم في التأليف والبحث؛ على الرغم من بعدهم عن الحواضر الإسلامية.

وتكمن أهمية هذه الفتاوى في أنها أول فتاوى حضرمية موجودة، فضلاً عما حوته من مسائل ووقائع تصور ما عليه القطر الحضرمي الكبير.

منهجه ومصادره في فتاويه: قصد الشيخ إسماعيل الحباني بالفتاوى من جميع الجهات والأمكنة، وانتشرت عنه الفتاوى المشهورة، حيث يأتي بجميع أوجه الخلاف في المسألة المطروحة، ثم يختصر في آخر إجابته على تلك المسألة بما شرحه وبسطه أولاً ويلخصها⁽¹⁾.

ويستخدم الشيخ في فتاويه المصطلحات الفقهية من مثل: "قال بعضهم" وهي أعم من قول قال شارح...، كما استخدم كلمة "تأمل"، ولم يستخدم فتأمل أو فليتأمل، إشارة إلى أن "تأمل" للجواب القوي، و"فتأمل" إلى الضعيف، و"فليتأمل" إلى الأضعف، واستخدم كذلك "تمخض" وتعني إجمال بعد تفصيل.

إلى جانب المصطلحات الفقهية الأخرى وهي: النص، وظاهر النص، والصحيح، والأصح، والأظهر، والاختيار، والأشبه.

والقارئ لفتاويه يجده عالماً عارفاً، واسع الاطلاع، خبيراً بعبارات الفقهاء وطرق بحثهم، وهو إذ يجيب على مثل هذه المسائل لا يكتفي بالرد المباشر لما في السؤال؛ بل يعالج المسألة من نصوص الفقهاء الأقدمين، مبيناً أقوالهم فيها واختلافاتهم وسر اختلافهم، فيكثر نقله، عن الشيرازي (ت 476هـ/ 1083م) في "المهذب"، وعن الغزالي (ت 505هـ/ 1111م) في "الوسيط"، وعن العمراني (ت 581هـ/ 1185م) في كتابه "البيان" و"الفتاوى"، وعن الرافعي (ت 623هـ/ 1226م) في كتبه وأهمها "العزیز"، وعن ابن الرفعة (ت 710هـ/ 1310م) وعن ابن النقيب (ت 769هـ/ 1367م) وغيرهم كثير.

(1) بامخرمة، فلاذة النحر، ج 3 ص 3557.

ومع هذا لا يهمل فقهاء عصره يمينيين وغيرهم، ولكنه يتوجه إلى العلماء الحضارم بالأخص، ولعل اتحاد البيئة جعلت المسائل المعروضة على العلماء متشابهة، فتكاد لا تخلو فتوى من ذكر الأصبحي⁽¹⁾ وأبي شيكيل والسبتي⁽²⁾، فيعرض آراءهم في المسألة ويناقشها، وقد يبدو له رأياً بعد النقاش مخالفاً لهم، أو مستمداً من ثانياً أقوالهم، وربما وافق بعضهم في الرأي فيبينه ويبين سر الموافقة.

وفي رده على الأقوال غير الموافقة نجده يقلب المسألة ويناقش الآراء والأفكار دون تحقير أو مس بالعلماء، بل يبقى المسألة في إطارها العلمي مبيناً أوجه الضعف فيها والقوة، ويبين قوة حجته في دحض حجج الخصم واستبدالها من أقوال العلماء والفقهاء.

والشيخ إسماعيل الحباني في فتاويه واع للسائل فيما أورده في سؤاله؛ لأنه ربما ظهر في السؤال بعض الحل للمسألة أو الإشارة إليه فلا يهمله، بل يبين قول العلماء في هذا الحل، كما يبين قوته من ضعفه في المذهب، وربما وجد الحل المذكور في أحد المذاهب الثلاثة غير المذهب الشافعي، فيذكر ذلك، ذكر العالم المطلع، الفاهم لتلك المذاهب واصطلاحاتها.

وهو في نقولاته ثقة لا يعتمد على الذاكرة، فبمقارنتنا لنصوصه المنقولة وجدناها مثبتة بحركاتها وسكناتها، وطول بعض النصوص يؤكد رجوعه إلى المصادر، وهو فوق ذلك لا يقف عند مصدر أو مصدرين، بل تكثر مراجعه في المسألة الواحدة وفي كتب متقدمة ومتأخرة، كثير منها لا زال مخطوطاً حتى يومنا. كـ "الحلية" للرويانى (ت 502هـ/1108م)، و"فتاوى العمراني"، و"شرح الوسيط" لأبي شيكيل، وابن النقيب (ت 769هـ/1367م)، والسبكي (ت 756هـ/1161م) في شرحهما "للمنهاج" وغيرها، وهو يكثر النقل عن الإمام الشيرازي في "المهذب"، وعن العمراني في "البيان"، وعن الإمام

(1) علي بن أحمد الأصبحي: من المحققين للفقه العارفين به، ليس له نظير في عصره وكفى بتصانيفه شاهداً بذلك، توفي سنة 703هـ/1303م (الجندي، السلوك، 2/74 - الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم (ت772هـ/1370م) طبقات الشافعية، 2/463، تحقيق: عبدالله الجبوري، الطبعة الأولى، 1390هـ/1970م، مطبعة الإرشاد، العراق - السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1369م) طبقات الشافعية الكبرى، 10/128، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، مصر (ب.ت) - بامخرمة، قلادة النحر، 3/3194).

(2) أبوبكر بن أحمد بن عبدالرحمن السبتي تلميذ أبي شيكيل، توفي في القرن الثامن الهجري (بامخرمة، قلادة النحر، 3/3391).

النووي (ت 676هـ/1277م) في "الروضة" و"المنهاج"، وعن المنفسي في "حل النوازل والحوادث في غرائب المسائل والمباحث"⁽¹⁾، وعن ابن النقيب (ت 769هـ/1367م) في "العمدة"، وغيرها من الكتب التي لا تخلو فتوى من جملة منها. كما إنه لا يهمل الفتاوى فينقل عن القاضي حسين المروزي (ت 462هـ/1069م) والعمرائي وابن الصلاح (ت 643هـ/1245م) والأصبحي وأبي شيكيل والسبتي في فتاويهم.

وإلى جانب كتب الفقه والفتاوى ظهر جلياً الاستدلال بالحديث النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، من "الصحيح" لمسلم (ت 261هـ/874م)، و"السنن" للترمذي (ت 279هـ/892م)، والبيهقي (ت 458هـ/1065م)، و"شرح معاني الآثار" للطحاوي (ت 321هـ/933م).

أهمية الفتاوى ودلالاتها التاريخية: تناولت الفتاوى الحبانية سواء أكانت الكبرى أم الصغرى عدداً من القضايا الاجتماعية من مثل: الزواج (النكاح)، والطلاق، والرضاعة، والنفقة، والوقف والصدقة، وأخرى من القضايا الاقتصادية من مثل: البيع، والضمان، والوكالة، والوصية، والوديعة، والشفعة، والإجارة، والإقرار، والغصب، والرهن، واللقطة، والهبة، فضلاً عن عدد آخر من القضايا المتعلقة بالعبادات، وهذه القضايا واقعة حال، ويعبر عنها بلفظ "المسألة بحالها"⁽²⁾. ويمكن الباحث بعد دراسة وتحليل القضايا الأولى أن يستنتج منها مادة تاريخية تسهم في كتابة أو إعادة كتابة تاريخ حضرموت في حقبة ما.

وقد أثنى عليه وعلى فتاويه حفيده الشيخ محمد بن عبدالقادر بن أحمد بن أبي بكر بن إسرائيل (ت 1015هـ/1606م)، ومدحه بقصيدة فريدة، قال فيها:

طالع فتاوى سيدي الحباني	تنبئك عن علمٍ وعن إتقانٍ
فيها لمن رام الفتاوى مقنعٌ	بفوائدٍ وزوائدٍ وبيانٍ
جل الحوادث ضمنها موجودة	قد أوضحت بشواهد البرهانٍ
ناهيك عن علمٍ إمام متقن	شاعت فضائله بكل لسانٍ

(1) لم نعتز على المنفسي ولا كتابه؛ رغم ما بذلناه من جهود في ذلك، ولعل استمرارية البحث ومرور الوقت يسمح لنا يوماً بالتعرف عليه.

(2) الحباني، الفتاوى الكبرى، المسائل رقم (179، 180).

علم له النظر الدقيق بفقفه
وكذا تصحيح اللغات ونحوها
وله لدى علم الرقائق بسطة
وله الزهادة والسيادة والتقى
ثم الصلاة مع السلام على النبي
ما أطرب الحادي الركاب ورنحت
وحديثه وعجائب القرآن
من علم آداب وعلم معاني
معروفة في حلبة الفرسان
وشمائل الأفضال والإحسان
والآل والأصحاب والإخوان
ريح الصبا عدد غصن البان

الخاتمة

- تعد حبان والحوطة والروضة بشبوة من مراكز اليمن العلمية في القرن التاسع الهجري، بل هي هجرة يهاجر إليها العلماء الراغبون عن سكنى المدن، فصارت مكاناً ومركزاً لنشر العلم.
 - تعد أسرة آل محمد بن عمر المالكي الحباني من الأسر العلمية في حضرموت واليمن، التي تفتقر لدراسات علمية عنها.
 - لا نستطيع أن نجزم أن ما وصلنا من معلومات عن هذه الأسرة كانت كافية؛ لأن عوامل الزمن قد نخرت في مصادرنا العلمية والتاريخية، ولم نجد معلومات كافية، رغم تيقنا بمعلومات أخرى لم تصلنا، ومع هذا فهذه المعلومات على قلتها تعطينا دلالة على أهمية هذا المركز العلمي في اليمن.
 - لعل تشجيع الأمراء للعلماء وتوليتهم المناصب الإدارية والعلمية كان عاملاً مساعداً لازدهار هذا المركز العلمي.
 - أن الشيخ إسماعيل بن محمد بن عمر الحباني أشهر علماء هذه الأسرة، ويعد أحد مشايخ الإسلام يضاهي مشايخ ذلك العصر، إلا أن البعد المكاني عن حواضر بلاد الإسلام كان سبباً في أفول نجمه.
 - أن الفتاوى الحَبَّانية تعد من أقدم الفتاوى الحضرمية التي ظلت موجودة حتى يومنا، رغم تألق علماء حضرموت في علم الفتاوى.
 - دعوة الباحثين والدارسين لدراسة الفتاوى الحضرمية واستنطاقها، لتسهم في دراسة وتحليل تاريخ حضرموت مع المصادر الأخرى.
- والله الموفق للصواب.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

أولاً: المصادر

- ◆ الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم (ت772هـ / 1370م).
- 2. طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري، الطبعة الأولى، 1390هـ / 1970م، مطبعة الإرشاد، العراق.
- ◆ بامخرمة، الطيب بن عبدالله (ت947هـ / 1540م)
- 3. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دراسة وتحقيق: محمد يسلم عبدالنور، الطبعة الأولى 1424هـ / 2004م، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن.
- ◆ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت256هـ / 869م)
- 4. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ / 2001م، دار طوق النجاة، السعودية.
- ◆ البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن (ت904هـ / 1498م)
- 5. طبقات صلحاء اليمن، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، الطبعة الثانية، 1414هـ / 1994م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن.
- ◆ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت816هـ / 1412م)
- 6. التعريفات، الطبعة الأولى، 1403هـ / 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ◆ الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت732هـ / 1331م)
- 7. السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، الطبعة الأولى، 1414هـ / 1993م، مكتبة الإرشاد، اليمن.
- ◆ الحباني، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت834هـ / 1430م)
- 8. الفتاوى الصغرى، دراسة وتحقيق: د. محمد عبدالقادر العيدروس ود. محمد يسلم عبدالنور، الطبعة الأولى، 1429هـ / 2009م، دار تريم للدراسات والنشر.
- 9. الفتاوى الكبرى، مخطوط، رقم (886) فقه، مكتبة الأحقاف للمخطوطات، تريم، حضرموت.

- ◆ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ/ 1448م)
10. إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ/ 1969م.
11. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الطبعة الثانية، 1392هـ/ 1972م، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند.
- ◆ ابن حنبل أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ/ 855م)
12. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1995م، دار الحديث، القاهرة.
- ◆ ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م)
13. المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1988م، دار الفكر، بيروت.
- ◆ ابن خليل، أبو الحسن، علاء الدين، علي (ت 844هـ/ 1440م)
14. معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، دار الفكر، بدون تاريخ.
- ◆ ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت 944هـ/ 1537م)
15. قرة العيون بأخبار البلد الميمون، تحقيق: محمد علي الأكوغ، المطبعة السلفية، مصر، بدون تاريخ.
- ◆ السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ/ 1369م)
16. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، بدون تاريخ.
- ◆ السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن (ت 902هـ/ 1496م)
17. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبدالمجيد، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1999م، دار ابن حزم، بيروت.
18. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

- ◆ الشرجي، أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي الزبيدي (ت 893هـ / 1490م) 19. طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الطبعة الأولى، 1406هـ / 1986م، الدار اليمنية، صنعاء، اليمن.
- ◆ ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (ت 643هـ / 1245م) 20. أدب المفتي والمستفتي تحقيق: د. موفق عبدالله عبدالقادر، الطبعة الثانية، 1423هـ / 2002م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- ◆ ابن العماد الحنبلي، عبدالحى بن أحمد بن محمد، أبو الفلاح (ت 1089هـ / 1678م) 21. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، الطبعة الأولى، 1406 هـ / 1986 م، دار ابن كثير، دمشق - بيروت.
- ◆ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت 832هـ / 1428م) 22. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، 1410هـ / 1990م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ◆ ابن فهد، محمد بن محمد بن (ت 871هـ / 1466م) 23. لحظ الألاحظ بذيل طبقات، الحفاظ الطبعة: الأولى 1419هـ / 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ◆ ابن قدامة أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد (ت 620هـ / 1223م) 24. المغني، مكتبة القاهرة، 1388هـ / 1968م.
- ◆ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ / 1277م) 25. آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1988م، دار الفكر - دمشق.
- ◆ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب لسان اليمن (ت 360هـ / 971م) 26. صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، الطبعة الأولى، 1990م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن.

المراجع:

- ♦ الحجري، محمد بن أحمد (القاضي) (ت 1397هـ/ 1977م) 27. مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوغ، الطبعة الثالثة، 1425هـ/ 2004م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن.
- ♦ الحداد، علوي بن طاهر (ت 1382هـ/ 1962م)، 28. الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، مطبعة أحمد برس، سنغافورة، 1359هـ/ 1940م.
- ♦ الحفيان، فيصل (الدكتور) 29. الفتاوى والتاريخ الاجتماعي للإسلام، معهد المخطوطات العربية القاهرة، بدون تاريخ.
- ♦ الزركلي، خير الدين (ت 1396هـ/ 1976م)، 30. الأعلام الطبعة الثالثة عشر، 1998م، دار العلم للملايين، لبنان.
- ♦ السقاف، عبدالرحمن بن عبدالله (ت 1375هـ/ 1955م) 31. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: محمد أبوبكر باذيب وآخرون، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2005م، دار المنهاج، جده، المملكة العربية السعودية.
- ♦ الفيافي، محمد بن يحيى (الدكتور) 32. الدولة الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية 803هـ - 827هـ/ 1400م - 1424م، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2005م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان.
- ♦ محمد يسري إبراهيم 33. الفتوى أهميتها، ضوابطها، آثارها، الطبعة الأولى، 1328هـ/ 2007م، جائزة الملك نائف بن عبدالعزيز العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.



موقف الكيانات السياسية في منطقة شبوة من الوجود البريطاني

المقدمة :



أ. مشارك.

د. لبيد حسين محمد الجابري

في عام 1635م كانت البداية الأولى لظهور الكيانات السياسية في منطقة شبوة، وذلك بعد انتهاء الاحتلال العثماني الأول لليمن، إلا أن الظهور الفعلي لتلك الكيانات كان في عام 1732م بعد التخلص من أطماع الدولة القاسمية التي حاولت أن ترث حكم اليمن بعد رحيل العثمانيين الأول، ولم تتمكن من ذلك؛ بسبب تصدي الكيانات الجنوبية الناشئة لها، والتي أخذت في التوهج والظهور منذ ذلك الوقت، ففي منطقة شبوة ظهرت سلطنة العوالق العليا، والسلطنة الواحدية، وإمارة بيحان، ولكن بعد سيطرة الإنجليز على عدن في 19 يناير 1839م، بدأت الأمور في الاختلاف؛ حيث سعى الإنجليز إلى تحقيق أهدافهم التجارية، والحصول على مكاسب مالية كبيرة، لذلك رسموا أهدافهم المراد تحقيقها في منطقة شبوة بدقة، واتخذوا العديد من الإجراءات لتحقيق تلك الأهداف. ومع رفض كل حكام منطقة شبوة وشيوخها للوجود الإنجليزي؛ إلا أن حالة الضعف والانقسام الداخلي فيها، إضافة إلى قلة الإمكانيات المادية والخبرة السياسية؛ هيأت كلها للرضوخ لتبعية الإنجليز. وكان نتاج كل ذلك تقسيم منطقة شبوة للعديد من الكيانات الصغيرة المختلفة مع بعضها البعض، وهو ما هدف له الإنجليز لتحقيق كل أهدافهم المرجوة في شبوة.

كان اختياري لهذا المحور على وجه التحديد هو الرغبة في معرفة تاريخ شبوة الحديث والمعاصر، وكيفية قيام كياناتها السياسية وتطورها وسقوطها، وذلك

لنقص معلوماتي التاريخية في هذا الجانب، كما كان لي دافع آخر هو القيام بعملية ربط تاريخي لكل المناطق الجنوبية من خلال تتبع السياسة البريطانية المستخدمة في إخضاع الجنوب العربي والسيطرة عليه.

ينقسم البحث إلى مبحثين اثنين: يحمل المبحث الأول عنوان الكيانات السياسية في شبوة، ويتطرق لذكر كيفية ظهور تلك الكيانات في منطقة شبوة، والتحديات التي واجهتها، وفترات الضعف والقوة، وأشهر حكامها، بينما يتطرق المبحث الثاني الذي يحمل عنوان موقف كيانات شبوة السياسية من الوجود البريطاني، وتتناول فيه موقف الكيانات الراضية للتدخل البريطاني في شؤون شبوة الداخلية، وما ترتب على ذلك من إجراءات اتخذتها الإدارة البريطانية؛ لإحكام السيطرة على شبوة، وتمزيق كياناتها؛ لتمكين من تحقيق أهدافها الخاصة.

استخدم الباحث الطريقة الاستقرائية في جمع المعلومات من الكتب اليمنية والعربية والإنجليزية المترجمة للعربية، كما تم استخدام الطريقة التحليلية لوثائق شبوة التي لمسنا فيها وجود أخطاء كثيرة ربما تكون ناتجة عن عملية الترجمة، لذلك اضطررنا إلى تنزيل النسخة الإنجليزية لتلك الوثائق من الأرشيف البريطاني؛ للتأكد من سلامة نقلنا للمعلومات، وتسجيلها بدقة وأمانة علمية.

واجهت الباحث العديد من الصعاب خلال عملية جمع المعلومات، تمثلت في قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن تاريخ شبوة الحديث والمعاصر، وندرة الكثير من الكتب اليمنية التي كُتبت إبّان الاحتلال البريطاني، والتي تعرض معظمها للسرقة والتمزيق والاحترق من مكاتبنا الوطنية، ومكاتب الجامعات وكلياتها، ومراكز الدراسات التاريخية؛ بسبب حالة الحرب التي تعيشها بلدنا، وهو الأمر الذي ينطبق على الوثائق والمخطوطات اليمنية بشكل عام من محاولات تزوير أو احتكار لها، وعدم نشرها لطلاب الدراسات العليا للاستفادة منها في كتابة رسائلهم العلمية، مما يسبب نفور الكثير من طلابنا من دراسة تاريخ شبوة.

وفي الأخير يتقدم الباحث بالشكر والتقدير لكل من مد له يد العون والمساعدة في إرفاده بالعديد من الكتب النادرة والوثائق والمعاهدات والاتفاقيات الخاصة بتاريخ شبوة لاسيما نسخها الإنجليزية المتواجدة في الأرشيف البريطاني بلندن، فلهم مني ألف ألف

ألف شكر وتقدير، كما أقدم بجزيل الشكر والتقدير لمركز عدن للدراسات التاريخية الشعلة التي أبت أن تذبل رغم كل ما يحيط بنا من جفاف؛ لما تقدمه للباحثين من خدمات كثيرة لا تحصى أسهمت وبشكل كبير في إعادة روح البحث العلمي فينا، وجزاكم الله عنا خير الجزاء والله الموفق.

المبحث الأول: الكيانات السياسية في شبوة:

تقع محافظة شبوة إلى الشرق من العاصمة صنعاء، وتبعد عن العاصمة بحدود 474 كم، ويشكل سكان المحافظة ما نسبته 2,4 % من إجمالي سكان الجمهورية اليمنية وتوجد بها 17 مديرية، وتعد مديرية عتق مركزاً للمحافظة، ومن أهم مدنها بيحان وحبان وعزان، وتعد الزراعة وتربية النحل والاصطياد من أهم الأنشطة الرئيسة لسكان المحافظة، وتشهد المحافظة أعمالاً واسعة للتنقيب عن النفط من قبل الشركات العالمية، وتبلغ مساحة محافظة شبوة حوالي 42584 كم²، بينما يبلغ عدد سكانها حوالي 470440 نسمة بمعدل نمو سنوي 2,54 % وذلك حسب نتائج التعداد العام للسكان والمساكن لعام 2004م⁽¹⁾.

شهدت شبوة قيام العديد من الكيانات السياسية فيها وذلك في التاريخ الحديث وهي:

- سلطنة العوالق العليا.
- مشيخة العوالق العليا.
- سلطنة العوالق الوسطى.
- إمارة بيحان.
- السلطنة الواحدية، وهي تنقسم إلى قسمين: السلطنة الواحدية في بالحاف، والسلطنة الواحدية في بئر علي، وكلتاها كانتا تتعاملان مع الإدارة البريطانية بشكل منفصل⁽²⁾.
- في 19 يناير 1839م تمكنت القوات الإنجليزية بقيادة الكابتن هينس من السيطرة على مدينة كريتر التي كانت تتبع حينذاك السلطان العبدلي محسن بن فضل، وتشير المصادر التاريخية إلى أن الجنوب العربي كان يضم 13 سلطنة ومشيخة متماسكة فيما بينها، رغم

(1) المركز الوطني للمعلومات: رئاسة الجمهورية، باب اليمن أرقام وحقائق - صنعاء.

(2) برنارد رايلي: عدن واليمن، ترجمة منال حلوب، مكتبة كولونيال - لندن، 1960م، ص 22.

وجود خلافات بسيطة كان معظمها ناجماً عن المشاكل الحدودية، أو توزيع حصص الماء، ولكنها في وقت الشدة وعند مواجهة أي عدوان خارجي على أرض الجنوب العربي كانت سرعان ما تتحد لمواجهة ذلك العدوان ودحره، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك: مثل اتحادهم لمواجهة أطماع الدولة القاسمية، ومحاولة البرتغاليين للسيطرة على عدن ثم الشحر، وأمام كل ذلك عمل السياسة الإنجليز على ابتداع العديد من السياسات التي كان الهدف منها هو السيطرة على كل سلطنات الجنوب العربي ومشيخاته، ومن تلك السياسات كانت سياسة فرق تسد، والمتمثلة في زرع الفتن والخلافات في إطار الشؤون الداخلية لكل سلطنة على حدة، والعمل في الوقت نفسه على كسب ولاء بعض الحكام المحليين وشيوخ القبائل وتقديم الإغراءات المالية والهدايا لهم، وكل ذلك أدى إلى انقسام شبوة إلى العديد من الكيانات السياسية، فغدت السلطنة العولقية ثلاثة كيانات، فيما غدت السلطنة الواحدية كيانين منفصلين أيضاً، وما أجمع من سوء الأوضاع هو قيام الإدارة البريطانية بتشجيع تلك الانقسامات وتقديم الدعم لطرف دون الآخر، بل وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات مع كل منهما على حدة، أدى في الأخير إلى وجود 6 كيانات سياسية في شبوة 3 عولقية واثان واحدية وإمارة بيحان، وهذا يدل على مدى نجاح الإنجليز في تفتيت الجنوب العربي، حيث أصبح عدد السلطان والإمارات 20 كياناً بدلاً من 13 كياناً وهذا يعني ظهور 7 سلطنات ومشيخات جديدة هي نتاج السياسة الإنجليزية في ضرب المقاومة والتوغل إلى الداخل⁽¹⁾.

الكيانات السياسية في شبوة:

1 - العوالق:

تقع بلاد العوالق على امتداد شاطئ البحر الرابط بين بلاد لفضلي ووثينة⁽²⁾، حيث تمتد أراضي العوالق من بيحان شمالاً إلى ساحل البحر العربي جنوباً، وتحدها من الجهة الغربية بلاد البيضاء، ومن الجهة الشرقية حضرموت⁽³⁾، وتبعد أراضي العوالق عن مدينة

(1) فيتالي ناؤومكين: الجبهة القومية في الكفاح من أجل الاستقلال، ترجمة سليم توما، دار التقدم - موسكو - 1984م، ص 12.

(2) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م، ص 40.

(3) إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة - صنعاء، 2002م، ص 1138.

صنعاء حوالي 458 كم، بينما تبعد عن مدينة عدن حوالي 335 كم، عبر الشريط الساحلي الجنوبي الرابط بين عدن والسلطنة الفضلية وبلاد العوالق وحضرموت والمهرة⁽¹⁾.

كانت شبوة موقعًا تجاريًا مهمًا في التاريخ القديم، ورد ذكرها في الكثير من الكتب الكلاسيكية الرومانية واليونانية كعاصمة لدولة حضرموت، ووجود دولة قتيبان ودولة أوسان بها، وقربها من مأرب عاصمة الدولة السبئية، حيث بلغت شهرتها التجارية كل بقاع المعمورة، ولعل السبب في ذلك يعود لندرة محاصيلها من أشجار المرّ واللّبان، ووفرة المياه في أوديتها، ووقوعها على خط التجارة الرابط بين الشرق والغرب، والأهم من ذلك هو وقوع ميناء قنا على أراضيها، وهو الميناء الذي بلغت شهرته كل الآفاق في ذلك الوقت، وكل ذلك يدل وبما لا يدع مجالًا للشك أن تلك المنطقة قديمة جدًا ومأهولة جدًا بالسكان لما تمتاز به، مما يجعل من الصعب تحديد العمر الزمني لها، وللقبائل التي سكنتها. وراح العديد من المؤرخين العرب وكُتّاب الأنساب بطرح آرائهم ومعتقداتهم حول أصل سكان وقبائل تلك المنطقة وهم العوالق، ومن الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في الآراء؛ لقدم المنطقة، ولأهمية ذلك نورد أهم آراء المؤرخين والنسّابين والرّحالة العرب في تحديد أصل قبائل العوالق ونسبهم:

1 - يرى بعض المؤرخين أن أصل العوالق يعود إلى شمال الجزيرة العربية، وبالتحديد إلى بلاد الحجاز التي تعدّ قبائل العمالقة أول من سكنها في التاريخ القديم، ومنهم جاءت كلمة عوالق بعد أن هجرت قبائل العمالقة بلاد الحجاز إلى جنوب الجزيرة وأُستت هناك مملكة عبدان قبل ظهور الدولة اليمنية القديمة⁽²⁾.

2 - يسير بعض من المؤرخين مع ذلك الرأي في كون أصل العوالق يعود إلى شمال الجزيرة، حيث مكة والمدينة في بلاد الحجاز، ولكنهم ينكرون أن تكون هجرة قبائل العمالقة كانت قبل الإسلام، وأن اسم العوالق مشتق من كلمة عماليق، إذ يرون أن تلك الهجرة كانت بعد الإسلام من المدينة المنورة، حيث هاجر قوم معن بن زائدة الأنصاري إلى جنوب الجزيرة وسكنوا تلك المنطقة بعد انتصارهم على الحميريين وخذاعهم بعلق

(1) عبدالرحمن جرجرة: هذه الجنوب أرضنا الطيبة، دار الكتب العربية - بيروت، 1966م، ص 130.

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين - بيروت، 1977م، الجزء

الأول، ص 221.

(إشعال) النار على رؤوس الجبال من أربعين موقعاً، فظن الحميريون أن أعدادهم كبيرة، ففروا هاربين، وهنا سكن بنو معن بن زائدة أرض العوالق التي سميت بذلك بسبب علقهم للنار على الجبار⁽¹⁾.

3 - يرى مؤرخو بلاد الرافدين أن بابل شهدت حضارة كبيرة في شمال الجزيرة العربية، ومن ثم فإنّ البابليين هم من هاجر إلى جنوب الجزيرة العربية وأسسوا دولة معين، والدليل على ذلك سرعتهم الفائقة في تأسيس دولة معين، ومهاراتهم التجارية وشهرتهم التي فاقت الآفاق، ومن المعينيين جاءت اسم قبائل معن التي سكنت بلاد العوالق بعد سقوط دولة معين⁽²⁾.

4 - هناك فريق من المؤرخين يرون أن بلاد اليمن هي مهد الحضارات، وأن كل الهجرات القديمة قد انطلقت منها، ومن ثمّ فإنّ قبائل بنو معن العولقية عربية جنوبية، ودليل ذلك هو ورودها في نقش النصر للملك السبئي كرب آل وتر بالاسم نفسه، وفي المدينة نفسها التي عاشت فيها، أي اسم قبائل معن العولقية، وفي مدينة يشبم التي وردت في النقش باسم يشبوم⁽³⁾.

5 - يشير بعض من المؤرخين إلى أن العوالق هم خليط من قبائل مذحج والأيزون، أي من حمير، ومن ثمّ فإنّ نسبهم يعود إلى سيف بن ذي يزن الحميري، وذلك لتطابق القبائل وأسماء الأسر والمناطق العولقية مع قبائل ومساكن مذحج والأيزون من حمير⁽⁴⁾.

نستخلص من كل ما سبق ذكره أن العوالق عبارة عن حلف قبلي للعديد من القبائل التي سكنت في المنطقة، بغض النظر عن الأماكن التي جاءت منها، مع التأكيد على أن كل تلك القبائل جاءت من داخل بلاد اليمن وليس من خارجها، وسكنت في مختلف قرى شبوة ومدنها بشكل متجاور، وواجهت مصيراً مشتركاً تمثل في صدّ محاولات

(1) محمد عبدالقادر الفقيه: المستشرقون وآثار اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنية - صنعاء، 1988م، الجزء الأول، ص 343.

(2) محمد علي الأكوخ: اليمن مهد الحضارات، دار الكتب - صنعاء، 1971م، ص 359.

(3) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين - بيروت، 1977م، الجزء الثاني، ص 289.

(4) الهمداني: الإكليل، الدار اليمنية للنشر والتوزيع - صنعاء، 1987م، تحقيق محب الدين الخطيب، الجزء الثاني، ص 246.

السيطرة الخارجية على شبوة من قبل العثمانيين؛ في محاولة احتلالهم الأولى والثانية لليمن، واتحادهم لمواجهة الدولة الزيدية القاسمية، التي تمكنوا من التخلص منها في عام 1732م، كما نشأت بينهم رابطة دم نتيجة لتجاورهم وعلاقات الزواج والمصاهرة، فولد جيل جديد هو نتاج لتلك العلاقات، ومن ثم سُمِّي كل سكان تلك المدن وقراها وقبائلها وبطونها المختلفة بالعواتق، التي أصبح يجمع بينهم مع مرور الزمن رابطة الدم والمصير المشترك والانتماء إلى جد مشترك، وهو الأمر نفسه الذي حدث في حضرموت عند تكوين حلف الشنافر بين قبائل الكثيري والعامري والجابري لمواجهة الاعتداءات الدائمة للدولة القعيطية ورغبتها في إسقاط السلطنة الكثيرية⁽¹⁾.

كان حلف العواتق واقعا تحت سيطرة قبائل آل الدولة ونفوذهم في مدينة نصاب؛ لقوة قبائلها وشهرتهم بالشجاعة، التي ذاع صيتها في كل بلاد اليمن، ولا يقف الأمر عند ذلك فقط؛ بل إن كل قبائل نصاب ومجاورها كانوا يتصفون بتلك الصفات نفسها، مثل المرازيق وآل النسي وغيرهم⁽²⁾، ومن ثم فقد نجح آل الدولة في إقامة سلطنة عولقية تضم كل مدن شبوة وقراها في حلف واحد وسلطنة واحدة، مع وجود عدة شيوخ للقبائل في شبوة مثل آل فريد في الصعيد، وآل الهبيلي في بيحان، وغيرهم من الشيوخ في حبان وبئر علي وعرة وأحور، وكلهم كانوا واقعين تحت كيان واحد، وهذا الأمر لا يتماشى مع المصالح البريطانية، فعملت على استخدام سياسة فرق تسد؛ لتحقيق أهدافها الاستعمارية في الدخول إلى المنطقة، وإحكام السيطرة عليها، فشقت الكيان الواحد إلى عدة كيانات وسلطنات ومشيخات على النحو التالي:

1 - سلطنة العواتق العليا :

في عام 1635م تخلصت اليمن من الاحتلال العثماني الأول بعد مقاومة شديدة من كل القبائل الجنوبية التي سيطر شيوخها على حكم مناطقهم، وهذه كانت اللبنة الأولى لقيام سلطنات الجنوب العربي، ولكن الدولة القاسمية الزيدية التي ورثت حكم شمال اليمن بعد رحيل الأتراك كانت تطمح للسيطرة على جنوب اليمن، وكان للقبائل الجنوبية المتحدة رأي آخر في التصدي لتلك الأطماع، وبالفعل فشلت الدولة القاسمية، ورحلت

(1) حمزة لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، دار الكلمة - صنعاء، 1985م، ص 359.

(2) محمد محسن الجازع: السيف البارق في تاريخ العواتق، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1986م،

عن جنوب اليمن في عام 1732م، وتهدياً الأمر بذلك لقيام الكيانات والسلطنات الجنوبية التي راحت الواحدة تلو الأخرى تعلن استقلالها وقيام كيان خاص بها، وكانت سلطنة الرصاص أولى تلك السلطنات⁽¹⁾.

قامت سلطنة العوالق العليا في وادي يشبم ثم انتقلت عاصمتها إلى نصاب مقر سلاطين العوالق العليا آل الدولة، وقد كانت تضم كل منطقة العوالق العليا والسفلى، ونتيجة لكبر مساحة السلطنة فقد أناب السلطان منصر ابنه ناصر لحكم المنطقة السفلى من السلطنة، وهو الأمر الذي أدى فيما بعد إلى انفصال ذلك الجزء وقيام سلطنة خاصة هي سلطنة العوالق السفلى⁽²⁾.

حكّم السلطنة العولقية العليا - التي مركزها في مدينة نصاب - السلاطين التالية أسماءؤهم:

أولاً: حكام العوالق العليا قبل قيام السلطنة:

1. امرصاص بن عوض بن صالح.
 2. باقب بن صلاح.
 3. صلاح بن باقب بن صلاح.
 4. صالح بن صلاح بن باقب.
 5. منصور بن صالح بن صلاح⁽³⁾.
- يعدّ السلطان منصر آخر حكام المرحلة المتقدمة التي سبقت قيام السلطنة. وأول من أطلق عليه لقب سلطان؛ يعد مؤسس السلطنة العولقية العليا وأول سلاطينها.

ثانياً: سلاطين سلطنة العوالق العليا:

1. فريد بن منصر بن صالح.
2. عبدالله بن فريد بن منصر.
3. عوض بن عبدالله بن فريد (1862م - 1879م).

(1) محمود السالمي: اتحاد الجنوب العربي، دار الوفاق - عدن، 2010م، ص 28.

(2) أمين الريحاني: ملوك العرب، دار الجيل - بيروت، 1987م، ط 8، ص 451.

(3) مخطوطة أبو نجمة بانافع والشبلي، المكتبة الوطنية - عدن.

4. عبدالله بن عوض بن عبدالله (1879م - 1887م).
5. صالح بن عبدالله بن عوض (1887م - 1935م).
6. عوض بن صالح بن عبدالله (1935م - 1967م)⁽¹⁾.

قبائل العوالق العليا:

تعرف قبائل سلطنة العوالق العليا في نصاب باسم المحاجر وهي: آل الدولة - آل ربيز - المرزايق - دغاري - همامي - ديانى - غسيلي - باكلوه.

أما السادة فهم:

- آل الحداد وآل الجفري ويسكنون في مدينة نصاب.
- آل الجنيد في الصلبة.
- آل الحامد في الحوطة والوسيط⁽²⁾.

سلطنة العوالق السفلى:

هي إحدى الكيانات السياسية التي قامت في شبوة، وكما أسلفنا الذكر فقد كانت تتبع سلطنة العوالق العليا في نصاب، وفي نهاية القرن الثامن عشر انفصلت عنها وأعلنت عن قيام كيان خاص بها، واتخذت من مدينة أحور عاصمة لها، وهي ميناؤها الرئيس، وتضم السلطنة أيضًا مدينة المحفد، وتمتاز بموقعها وسط ثلاث من السلطنات الكبرى وهي العوالق العليا والفضلي ودثينة، وتبلغ قبائلها مستوى كبيرًا من القوة والشجاعة.

انفصلت سلطنة العوالق السفلى عن الدولة المركزية في نصاب، وأعلنت قيام كيان سياسي خاص بها، وكان من أبرز سلاطينها:

1. علي بن منصر بن صالح بن صلاح بن باقب.
2. المهدي بن علي بن منصر.
3. علي بن المهدي بن علي.
4. عبدالله بن علي بن المهدي.
5. ناصر بن أبي بكر.

(1) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 451.

(2) حمزة لقمان: المرجع السابق، ص 297.

6. منصر بن أبي بكر (1855م - 1863م).
7. أبوبكر بن عبدالله (1863م - 1892م).
8. صالح بن علي (1892م - 1900م).
9. علي بن منصر (1900م - 1902م).
10. ناصر بن أبي بكر (1902م - 1912م).
11. أبوبكر بن ناصر (1912م - 1924م).
12. منصر بن علي (1924م - 1930م).
13. عيدروس بن علي (1930م - 1947م).
14. ناصر بن عيدروس بن علي (1947م - 1967م)⁽¹⁾.

أما عن قبائل سلطنة العوالت السفلى فتعدّ قبيلتنا آل علي بن ناصر والشمعي وآل باكازم هي أشهر تلك القبائل التي تسكن على امتداد الشريط الساحلي الخارج من السلطنة الفضلية حتى حدود السلطنة الواحدة⁽²⁾.

مشيخة العوالت العليا :

هي إحدى الكيانات السياسية التي ظهرت في منطقة شبوثة، وقد اتخذت من مدينة يشبم عاصمة لها، وذلك بعد أن قامت سلطنة العوالت العليا بنقل عاصمتها من مدينة يشبم إلى مدينة نصاب، وعينت الشيخ علي بن أحمد الملقب (بن دحة) شيخاً على مدينة يشبم كسائر الشيوخ الذين تولوا حكم مختلف المدن التابعة لسلطنة العوالت العليا والتي كانت تستلم كل التعليمات والأوامر من مركز السلطنة العولقية العليا في مدينة نصاب، ولكن وكما أسلفنا الذكر فإن ذلك لم يرق لسانة الإنجليز الطامحين في الدخول والسيطرة على منطقة شبوثة، ولتحقيق أهدافهم تلك عملوا على التقرب من شيوخ المدن العولقية وتقديم الإغراءات المالية لهم، وشجعوهم على الانفصال، وبهذا ظهرت العديد من الكيانات، التي كان منها مشيخة العوالت العليا في صعيد يشبم، والتي انفصلت بشكل كامل وواضح في عام 1962م، وتولي الحكم فيها العديد من الشيوخ وهم:

(1) محمد محسن الجازع: المرجع السابق، ص 62.

(2) أحمد حسين شرف الدين: المرجع السابق، ص 41.

1. علي بن أحمد (دحة).
2. يسلم بن دحة.
3. علي بن يسلم بن دحة.
4. امذيب بن علي بن يسلم.
5. رويس بن امذيب بن علي.
6. ناصر بن رويس بن امذيب.
7. فريد بن ناصر بن رويس اليسلمي.
8. رويس بن فريد بن ناصر اليسلمي (1883م - 1890م).
9. مرصاص بن فريد اليسلمي (1890م - 1902م).
10. محسن بن فريد اليسلمي (1902م - 1959م).
11. عبدالله بن محسن بن فريد اليسلمي (1959م - 1967م)⁽¹⁾.
تنقسم قبائل مشيخة العوالق السفلى على قسمين رئيسيين هما:
- آل معن.
- آل خليفة⁽²⁾.

إمارة بيحان:

هي إحدى الكيانات السياسية التي ظهرت في شبوة، ويعود قيامها للقرن السابع عشر الميلادي، عندما تمكنت أسرة الهبيلي الهاشمية من تأسيس إمارة خاصة بها في مدينة بيحان العاصمة، وقد شهدت هذه الإمارة تطوراً اقتصادياً كبيراً، ولعل السبب في ذلك يعود إلى مطار بيحان الذي بدأت شركة طيران عدن بتسيير العديد من الرحلات الجوية له منذ خمسينيات القرن المنصرم، ومن أبرز أمراء آل الهبيلي في بيحان هم:

1. الشريف مقبل بن الحسين أبو القيسي.
2. الشريف الهبيلي بن مقبل بن الحسين.

(1) مخطوطة أبو نجمة بانافع السابقة.

(2) أبوبكر المشهور: الطرف الأحرور في تاريخ مخلاف أحرور، مركز الإبداع الثقافي - عدن، 2007م،



3. الشريف مبارك بن الهبيلي.
 4. الشريف محسن بن مبارك.
 5. الشريف منصر بن محسن (1903م - 1903م).
 6. الشريف أحمد بن محسن (1903م - 1935م).
 7. الشريف صالح بن الحسين (1935م - 1967م)⁽¹⁾.
- سكنت إمارة بيحان العديد من القبائل ومنها قبيلة الهبيلي الهاشمية وهي البيت الحاكم، إضافة إلى قبيلة المصعبين وقبيلة بلحارث وقبيلة ربيع وقبيلة آل عبدالقادر⁽²⁾.

السلطنة الواحدية :

هي إحدى الكيانات السياسية التي قامت في شبوة في القرن السابع عشر الميلادي، وسميت بالواحدية نسبة إلى مؤسس الدولة عبدالواحد بن صلاح بن روضان، الذي تمكن من السيطرة على مدينة حبان وأعلنها عاصمة لسلطنته، ثم هاجم عزان وميفعة وبئر علي وعمقين وأجزاء من جردان، وتمكن من السيطرة عليها وضمها إلى السلطنة الواحدية الموحدة التي كانت عاصمتها مدينة حبان، وخلال كل تلك المدة تولى حكم السلطنة الواحدية الموحدة الحكام التالي أسماؤهم من أسرة آل عبدالواحد:

1. عبدالواحد بن صلاح بن روضان مؤسس السلطنة⁽³⁾.
2. عبدالله بن عبدالواحد بن صلاح.
3. صلاح بن عبدالله بن عبدالواحد.
4. عبدالله بن ناصر بن صالح.
5. صالح بن ناصر بن صالح.
6. هادي بن صالح بن ناصر.
7. حسن بن هادي بن صالح.
8. حسين بن حسن بن هادي.

(1) محمد أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مكتبة الإرشاد - صنعاء، 2004م، ط2، ص133.

(2) حمزة لقمان: المرجع السابق، ص318.

(3) محمود الشرقاوي: جنوب الجزيرة العربية، المكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة، 1959م، ص14.

9. سعيد بن حسن بن هادي.
10. أحمد بن هادي بن صالح.
11. علي بن عبدالله بن أحمد بن هادي.
12. ناصر بن عبدالله بن أحمد بن هادي.
13. أحمد بن ناصر بن عبدالله.
14. محسن بن علي بن عبدالله.
15. حسين بن عبدالله بن أحمد بن هادي.
16. عبدالله بن حسين بن عبدالله.
17. أحمد بن حسين بن عبدالله.
18. صالح بن أحمد بن حسين.
19. هادي بن صالح بن ناصر بن عبدالله.
20. محسن بن صالح بن ناصر⁽¹⁾.

وفي عام 1893م انقسمت السلطنة الواحدية إلى أربعة كيانات، وكان وراء ذلك هي السياسة الإنجليزية الطامحة للدخول إلى المنطقة والسيطرة على ميناء الواحدي بلحاف الشهير تاريخياً باسم ميناء قنا، وما كان ليتم لها ذلك دون تقسيم السلطنة الواحدية وإضعافها من خلال التقرب إلى شيوخ المدن وإغرائهم بالهدايا والامتيازات، وتوقيع معاهدات الحماية معهم، فعدت السلطنة الواحدية أربعة كيانات هي:

- مشيخة الواحدي في بلحاف.
- سلطنة الواحدي في عزان.
- سلطنة الواحدي في بشر علي عمقين.
- سلطنة الواحدي في حبان التي انضمت بعد ذلك مع مشيخة الواحدي بلحاف تحت حكم ناصر بن صالح بن أحمد بن حسين، ومن بعده حسين بن عبدالله بن حسين، ثم ما لبثت أن عادت حبان إلى السلطنة الواحدية التي أصبحت عاصمتها مدينة بلحاف،

(1) علوي عمر العولقي: تاريخ قبائل العوالق وأثره في الإعلام المعاصر، دار قتيبة - دمشق، 2005م، ج2،

حيث كان السلطان ناصر بن عبدالله الواحدي آخر السلاطين من آل عبدالواحد عند سقوط السلطنة في 30 نوفمبر 1967م⁽¹⁾.

المبحث الثاني: موقف كيانات شبوة من الوجود البريطاني:

سيطرت القوات الإنجليزية على مدينة عدن بعد مقاومة ليست هينة، مقارنة بالوضع الداخلي والعربي آنذاك، وليست كافية بل وضعيفة إذا ما قورنت بمستوى القوات الإنجليزية ومدى الاستعداد والتجهيز والخبرة القتالية والعتاد الحربي، حيث اقتصرت المقاومة على عدن والسلطنات المجاورة لها فقط، ولم تتحد كل السلطنات والإمارات والمشايخ الجنوبية للدفاع عن عدن مثلما هبّت للتخلص من سيطرة الدولة القاسمية، ولعل السبب في ذلك يكمن في الآتي:

1 - قيام الكيانات الجنوبية التي كان عددها آنذاك 13 سلطنة وإمارة كان منها 3 كيانات في شبوة هما السلطنة العولقية العليا، التي كانت تضم الجزء الأسفل والمشايخة وعاصمتها صعيد يشبم، ولم تنتقل بعد إلى مدينة نصاب، والكيانان الآخران هما السلطنة الواحدية وإمارة بيحان، حيث كان كل سلطان يحاول الحفاظ على حدود سلطنته، ولم يرغبوا في الدخول في معركة خاسرة دون شك أمام القوات الإنجليزية، رغم رفضهم القاطع لذلك الاحتلال والهجوم؛ إلا أنه من الواضح أن كل سلطان أثر الحفاظ على مصلحته والاستعداد بالقوات القبلية للقوات الإنجليزية إذا ما حاولت السيطرة على المناطق الداخلية.

2 - تعد إنجلترا أقوى دول العالم في ذلك الوقت، فقد عمل القادة الإنجليز على حسم المعركة بسرعة والهجوم بأقوى الأسلحة وفي كل الاتجاهات التي توزعت فيها قواتهم العسكرية، وبعد أن تم لهم ذلك عملوا على تحصين مدينة عدن بنشر قواتهم ومدافعهم على كل رؤوس الجبال المطلّة على عدن؛ لحمايتها من أي هجوم محتمل من الكيانات المحيطة بها، وأعتقد أن القادة الإنجليز أرادوا بذلك إرسال رسالة إلى كل السلطنات الجنوبية عن مدى قوة الإنجليز، وزراعة الخوف في نفوس سلاطين الجنوب، وهو ما تم بالفعل، فقد عكف كل سلطان في منزله، ولم يقوموا بمساندة العبادل وآل فضل الذين سقط منهم الكثير من القتلى في محاولات استرداد عدن.

(1) عبدالله الثور: وثائق يمنية الجنوب اليمني، مطبعة المدني - صنعاء، 1986م، ص 99.

3 - يقع الجنوب العربي على شريط ساحلي طويل يمتد من شواطئ صيرة في مدينة عدن حتى المهرة، وهو ما أخاف كل سلاطين الجنوب وأمرائه، حيث إن سلطنتهم مفتوحة من الجهة البحرية أو على مقربة من البحر، لذلك فمن السهل على القوات الإنجليزية مهاجمتهم من تلك الجهة، لاسيما مع التفوق الإنجليزي على مستوى العالم في المجال الحربي البحري، ولكل ذلك ضعفت المقاومة، وسيطرت القوات الإنجليزية على عدن؛ رغم موقف سلاطين شبوة وأمرائها وشيوخها، بل وكل سلاطين الجنوب الراض للوجود الإنجليزي في عدن، ولكن سوء الأوضاع الداخلية، وتفكك الجنوب إلى عدة كيانات سياسية زادت من ضعفه، ولم توجد القيادة الموحدة أو الدولة المركزية التي توحد كل تلك السلطنات للمقاومة؛ فسقطت عدن وسقط بعدها كل شيء.

لم يكن الاحتلال الإنجليزي لعدن والإفراط في استخدام القوة العسكرية هو ما أغضب سلاطين شبوة، وأدى إلى اشتداد المواقف بينهم وبين الإنجليز، فلم يكن ذلك غير مقدمة صغيرة تلتها بعد ذلك الكثير من الإجراءات التي اتخذها الساسة الإنجليز، والتي أظهرت النوايا الحقيقية لهم، وهي ما شكلت الأسباب الحقيقية لولادة حالة الرفض والكراهية للوجود الإنجليزي في منطقة شبوة.

أهداف الإنجليز في شبوة:

قبل الإعداد الإنجليزي للهجوم والسيطرة على عدن وكل منطقة الجنوب العربي؛ كانوا قد عملوا على مسح المنطقة جغرافياً، وأعدوا الدراسات، وخلصوا إلى نتائج اقتصادية مغرية جداً بالنسبة لهم، وتتماشى مع أهدافهم الاستعمارية المرجوة، وبعد ذلك بدأت عملية الإعداد والتهيئة وخلق الذرائع والأعداء التي تمخض عنها احتلال عدن⁽¹⁾، وتلا ذلك البدء عملية تحقيق الأهداف المرسومة سابقاً، ومن تلك الأهداف أو الأطماع التي كان يطمح الساسة الإنجليز إلى تحقيقها في منطقة شبوة الكثير مما يمكن لنا استخلاصه في الآتي:

1. السيطرة على ميناء قنا.
2. تأمين الطريق التجاري الدولي الممتد من عدن حتى المهرة.
3. الحصول على المنتجات الزراعية التي تشتهر بها منطقة شبوة.

(1) برنارد رايبلي: المرجع السابق، ص 13.

4. تقليص نفوذ السلطنات الكبيرة في شبوة وإضعافها.

5. استكشاف وجود النفط في شبوة.

كان على الإنجليز القيام بالعديد من الإجراءات لتحقيق كل تلك الأهداف، لذلك فقد قاموا بسلسلة من الخطوات تمثلت في الأعمال التالية:

1 - تطبيق سياسة إلى الأمام وهي السياسة التي كانت تهدف للدخول إلى المناطق الداخلية لإحكام السيطرة عليها؛ لتأمين عدن من هجمات السلطنات المجاورة ولتحقيق أهداف أخرى، فبعد إعلان الإنجليز أن ميناء عدن سيعاود العمل في عام 1854م⁽¹⁾، كان الإنجليز يخططون للسيطرة على كل موانئ الجنوب مثل ميناء قنا، وميناء المكلا، وميناء الشحر، وتسيير التجارة في تلك الموانئ لصالحها، وهو الأمر الذي برع فيه الإنجليز وخططوا له، وهو الأمر الذي يظهر جلياً في إبرامهم لاتفاقيات تحريم تجارة الرقيق الموقعة مع حكام المدن التي تسيطر على تلك الموانئ بالتحديد، حيث وقع البريجادير دبليو، أم، كوجلان حاكم عدن اتفاقية مع سلطان السلطنة العوقية السفلى منصر بن أبي بكر بن مهدي العوقية لتحريم تجارة الرقيق في عام 1855م، أي بعد إعلان إعادة تهيئة ميناء عدن مباشرة، ووقعت الاتفاقية في مدينة أحور في 14 أكتوبر 1855م⁽²⁾. كما أبرمت اتفاقيات مماثلة مع كل من:

- علي أحمد زيت عاقل قبيلة جبر جرهاجس في الصومال في مبيت بتاريخ 17 أكتوبر 1855م.

- حوسي علي محمد عاقل قبيلة جبر جرهاجس في الصومال أيضاً في 17 أكتوبر 1855م.

- محمود علي عاقل قبيلة جبر تلجالا في جيس في التاريخ نفسه.

- أبوبكر بن محمد عاقل قبيلة جبر تلجالا في راكودا في التاريخ نفسه.

ومع عبده عمر، وعلي أحمد، وحسن يوسف، ومحمد لبان، ويوسف عثمان، وأحمد أبوبكر محمد لبان في ذلك العام نفسه في الصومال التي يبدو أن شيوخها وعقالها هم من

(1) فردهوليداي: الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، ترجمة حازم صالحية وسعد محيو، دار ابن خلدون - بيروت، 1975م، ص 107.

(2) وثيقة اتفاقية تحريم تجارة الرقيق مع سلطنة العوالق السفلى، 14 أكتوبر 1855م - أحور.

كان يرسل العبيد إلى الموانئ الجنوبية للبيع والمتاجرة بهم مع العديد من تجار الجنوب، وهذا كان يعرقل الأهداف الإنجليزية في الاستفادة التجارية العالمية من تلك الموانئ، لذلك أبرمت تلك الاتفاقيات التي حرمت ظاهرياً فيها تجارة بيع العبيد بينما أخفت ما كانت ترمي إليه.

وقعت الإدارة البريطانية في عدن ذلك النوع نفسه من الاتفاقيات التي تحرم تجارة العبيد مع حكام الموانئ الجنوبية مثل نقيب المكلا صلاح محمد الكسادي في 29/6/1863م، ومع حاكم الشحر عبدالله عمر القعيطي في 17/11/1873م⁽¹⁾.

لم يكن تحريم تجارة بيع العبيد هو الهدف من إبرام تلك الاتفاقيات لاسيما مع سلاطين العوالق السفلى، بل إن الهدف الحقيقي هو عملية جس نبض كيانات شبوة، والتمهيد لإقامة علاقات قادمة معها بحيث تؤدي إلى إحكام السيطرة على ميناء قنا الشهير عالمياً والوارد ذكره في كتاب التوراة السماوي مقترناً بميناء عدن⁽²⁾، وتنشيط حركة التجارة في ميناء قنا إلى جانب ميناء عدن، ومن ثم درّ أرباحاً مالية مضاعفة من عوائدهم التجارية، ليس ذلك فقط؛ بل هدفت السياسة الإنجليزية إلى السيطرة على ميناء المكلا وميناء الشحر، أي أن الهدف العام من تلك الاتفاقيات هو السيطرة على كل الموانئ الجنوبية المطلة على البحر العربي وخليج عدن، ومن ثم تأمين خط التجارة الدولي القادم من الهند إلى عدن وإلى البحر الأحمر عبر مضيق باب المندب ومنه إلى كل دول العالم، وكان هدف السيطرة على ميناء قنا هو الحفاظ عليه من أي محاولات دولية تعيق المصالح التجارية البريطانية وتعرقلها. عموماً فقد كانت اتفاقية تحريم بيع العبيد المبرمة بين حاكم عدن الإنجليزي كوجلان والسلطان منصر بن أبي بكر بن مهدي العولقي والمؤرخة في 14 أكتوبر 1855م في مدينة أحور هي أول الصلاة الإنجليزية في منطقة شبوة.

في ذات السياق الذي رسمه السياسة الإنجليزية لمنطقة شبوة وبناء العلاقات الودية مع سلاطينها؛ قام الكابتن مايلنر مونزنجر في عام 1870م بزيارة إلى السلطنة الواحدية⁽³⁾، وفي العام نفسه زار ضابطان إنجليزيان مدينة حبان عاصمة السلطنة الواحدية، وقد تمكنا

(1) محمود السالمي: المرجع السابق، ص 451.

(2) التوراة، سفر خزقيال، الإصحاح السابع والعشرون.

(3) جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، ص 202.

خلال تلك الزيارة من الجلوس مع السلطان صالح بن أحمد حسين الواحدي، ودعته إلى زيارة عدن، وبالفعل فقد قام السلطان بزيارة عدن عام 1872م، ويبدو أن الإدارة البريطانية قد نجحت في كسب ود وصداقة سلاطين الواحدي بعد أن تقربت في السابق إلى سلاطين العوالت السفلى في أحور، والدليل على ذلك هو زيارة السلطان الواحدي عبدالله بن عمر إلى عدن في عام 1881م، حيث استقبل بحفاوة بالغة من الإدارة البريطانية وحاكمها في عدن فرانس لوخ⁽¹⁾.

في عام 1871م وقّعت الإدارة البريطانية في عدن معاهدة أمن الطرقات مع قبيلتي المنصوري والخليفي في منطقة شبهوة، وذلك في 13/5/1871م، وتتبع قبيلة المنصورة سلطنة العوالت السفلى التي كانت تقع بعض مدنها مثل المحفد على طريق التجارة الواصل من عدن إلى المهرة، بينما قبيلة آل خليفني كانت تحكم مدينة عتق وما حولها باسم مشيخة العوالت العليا، وبذلك ضمنت السلطات البريطانية سلامة الطرق التجارية المارة في شبهوة بعد تعهد زعماء تلك القبائل بعدم التعرض لها، وبالمقابل فقد التزمت الإدارة البريطانية لزعماء تلك القبائل بدفع مرتبات شهرية وحوافز سنوية لهم مقابل سلامة تلك الطرق، واستمرار عملية التبادل التجاري، واستمرار وصول الماء والمواد الغذائية بين عدن وكل المناطق الداخلية⁽²⁾.

تمكن الإنجليز من خلال توقيعهم للعديد من الاتفاقيات والمعاهدات مع سلطنات شبهوة ومع بعض زعماء القبائل فيها؛ من كسب ودهم من جهة، ومن جهة أخرى زرعت الكثير من المشاكل والفرقة بين السلاطين وشيوخ المدن التابعين لها، وهو أحد الأهداف التي كانت تصبو إليها كمقدمة لتقسيم السلطنات إلى عدة كيانات، ومن ثم الضعف والرضوخ للسلطة البريطانية في عدن، كما نجح الإنجليز في التوغل في الموانئ والسواحل التي يرغبون في السيطرة عليها مثل سواحل أحور وميناء قنا في بلحاف، ولعل الأهم من ذلك وذاك هو تأمين كل الطريق التجاري، وضمان سلامة الحركة التجارية، إضافة إلى ردف عدن بالكثير من المحاصيل الزراعية الغذائية التي تشتهر بها مدن شبهوة كالتمر والعسل

(1) عبدالله الثور: المرجع السابق، ص 95.

(2) فاروق أباطة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (1839م - 1967م)، الهيئة لمصرية العامة للكتاب - القاهرة، 1976م، ص 25.

ومختلف أنواع الحبوب⁽¹⁾.

- شبوة تحت الحماية البريطانية :

أعلنت الإدارة البريطانية في عدن ميناء عدن ميناء حرًا في 1890م لتحقيق الكثير من الأرباح المالية وتعويض الخسائر الكبيرة الناجمة عن الحروب الكثيرة التي خاضتها في أوروبا، وهذا كان يتطلب تأمين حركة الملاحة البحرية القادمة من وإلى ميناء عدن، لذلك عقدت سلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات لتحقيق ذلك الهدف حيث كانت أول تلك الاتفاقيات مع شيوخ القبائل الصومالية والتي كانت تنص على تحريم تجارة العبيد، ولعل السياسة الإنجليز هدفوا من تلك الاتفاقية التقرب لشيوخ القبائل الصومالية وتقديم الإغراءات المالية والهدايا لهم؛ لمنعهم من القيام بأي أعمال قرصنة وتعدي ونهب للسفن التجارية المارة أمام سواحلهم من شرق أفريقيا إلى ميناء عدن⁽²⁾، ولتأمين السفن التجارية القادمة من بلاد الهند وجنوب شرق آسيا كان لابد من إبرام العديد من الاتفاقيات مع المدن الواقعة على الساحل الجنوبي ومنها شبوة التي تقع على شريط ساحلي طويل ممتد من شقرة حتى مشارف حضرموت، وتمتلك العديد من موانئ المدن مثل أحور وبلحاف وبئر علي وعرفة وحورة، لذلك كان لابد من عقد اتفاقيات مع كل تلك الكيانات لتأمين الطريق التجاري البحري، وضمان عدم هجوم القبائل على السفن التجارية المارة أمام سواحلها.

ركزت السلطات البريطانية على السلطنة الواحدة في محاولات التقرب إليها وذلك منذ عام 1870م - كما أسلفنا الذكر - لامتلاكها شريط ساحلي طويل وخط بري يمر بهما لطريق التجاري، لذلك عقدت الإدارة البريطانية في عدن معاهدة الحماية مع السلطان الواحد في بلحاف في 1888/4/30م، التي وافق بموجبها السلطان الواحد على خضوع السلطنة الواحدة بكل توابعها للحماية البريطانية، وتعهد أيضًا بالحفاظ على أمن الطرقات، وبالعلاقات الصداقة والسلام مع الإدارة البريطانية⁽³⁾، ومن الملاحظ أن السلطات البريطانية عملت بعد ذلك على توقيع تلك المعاهدة نفسها في 1895/3/15م

(1) علوي عمر العولقي: المرجع السابق، ج1، ص163.

(2) وثيقة تحريم تجارة الرقيق بين بريطانيا وسلطنة العوالق السفلى وشيوخ القبائل الصومالية، 1855/10/14م، أحور.

(3) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع السلطنة الواحدة بلحاف 1888/4/30م، حبان.

في بلحاف ومع الأسرة الحاكمة نفسها من آل عبدالواحد⁽¹⁾، والسبب في ذلك يعود إلى دخول السلطنة الواحدة في خلافات كبيرة وصراعات داخلية أدت إلى تقسيم السلطنة إلى أربعة كيانات مختلفة هي: حبان العاصمة قبل التقسيم، وعزان، وبئر علي، وبلحاف، وهو الأمر الذي كانت تهدف إليه الإدارة البريطانية في تقسيم الكيانات الكبيرة في شبوة إلى أجزاء وكيانات صغيرة مستقلة ضعيفة، ولتشجيع ذلك نجد أن الإدارة لبريطانية في عدن وقعت معاهدات حماية مع تلك الكيانات الصغيرة التي ظهرت، حيث وقعت معاهدة حماية مع سلطان بئر علي في 30/4/1888م، مما يدل على وجود النزاعات الداخلية في السلطنة الواحدة وحالة الانقسام في إطار الأسرة الواحدة الحاكمة نفسها⁽²⁾.

في 26/2/1890م وقعت الإدارة البريطانية معاهدة حماية مع شيخ عرقة⁽³⁾، ومع شيخ حورة السفلى⁽⁴⁾، كلاً على حدة، ثم عملت على تجديد توقيع تلك المعاهدتين مع عرقة وحورة بأسماء شيوخ آخرين وتواريخ مختلفة وهو ما يدفعنا إلى الاعتقاد أن المعاهدتين الأوليين كانتا مع حكام مدن الموانئ لتأمين الطريق التجاري البحري والسبب هو توحيد تاريخ التوقيع، وأيضاً التركيز على كلمة السفلى في المعاهدتين مما يعني أن المعاهدتين الأخيرتين والموقعتين من الإدارة البريطانية مع شيخ عرقة في 13/6/1902م⁽⁵⁾، ومع شيخ حورة دون وجود كلمة السفلى في 7/4/1902م ووجود نص إضافي فيها يؤكد على الالتزام بأمن الطرقات وعلاقات الصداقة والسلام إلى جانب الحماية، واختلاف أسماء شيوخ حورة السفلى دليل على أن المعاهدتين الأخيرتين كانتا مع شيوخ عرقة وحورة الداخلية والواقعة على الطريق البري للتجارة، وهو ما تؤكد معاهدة الحماية مع شيخ حورة⁽⁶⁾.

وقعت الإدارة البريطانية معاهدة حماية مع سلطنة العوالق السفلى في 2/6/1888م؛

(1) وثيقة معاهدة الحماية بين بريطانيا والسلطنة الواحدة، 15/3/1895م، بلحاف.

(2) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع سلطان بئر علي، بئر علي - 30/4/1888م.

(3) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع شيخ عرقة، عرقة - 26/2/1890م.

(4) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع شيخ حورة، حورة - حورة السفلى - 26/2/1890م.

(5) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع شيخ عرقة، عدن - 13/6/1902م.

(6) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع شيخ حورة، عدن - 7/4/1902م.

لإحكام السيطرة على تلك السلطنة التي تقع في موقع وسط بين العديد من سلطنات الجنوب، وتمثل أهمية كبرى لمرور خط التجارة البري والبحري من مدينة أحور عاصمة السلطنة⁽¹⁾، وبذلك تمكن الإنجليز من تأمين كل الطريق التجاري براً وبحراً في منطقة شبوة، ولم يتبقَّ أمامهم سوى السلطنات الداخلية التي لا تمثل أي تهديد للطريق التجاري، ولكنها من ناحية أخرى كانت تمثل أهمية كبرى من الناحية الزراعية، والتنقيب عن النفط، والاستفادة من قوة تلك السلطنات وقبائلها في قمع التمردات القبلية التي قد تنشأ في إطار الإقليم الجغرافي الذي تقع فيه، أو في صد محاولات المملكة المتوكلية في السيطرة على منطقة شبوة؛ لهذا عملت الإدارة البريطانية على توقيع معاهدة الحماية مع مشيخة العوالق العليا والواقعة في صعيد يشبم في 8/12/1903م⁽²⁾، ومع إمارة بيحان في 29/12/1903م⁽³⁾، ولم يتبقَّ سوى سلطنة العوالق العليا في مدينة نصاب والتي كان سلطانها صالح بن عبدالله قد وجد نفسه وحيداً في وجه الإدارة البريطانية، فما كان منه إلا توقيع معاهدة الحماية في 18/3/1904م؛ لضمان ما تبقى تحت يده من نفوذ بعد تمرد وخروج الكثير من الأجزاء عن طاعته، ووقوعها تحت الحماية البريطانية⁽⁴⁾، وبذلك أحكم الإنجليز سيطرتهم على منطقة شبوة وقسموها إلى الكثير من الكيانات المنفصلة عن بعضها البعض، وأصبحت تدار مباشرة من الحاكم البريطاني في عدن، الذي حققت سياسته نجاحاً كبيراً في تحويل موقف شبوة الراض للوجود البريطاني فيها إلى أحلاف مؤيدة للوجود البريطاني بل ومدافعة عنه.

- الإغراءات المالية والهدايا :

هي إحدى الأساليب التي استخدمتها الإدارة البريطانية في السيطرة على الجنوب العربي بكياناته المختلفة، فقد عملت على تقديم الإغراءات المالية لسلطين الجنوب العربي وأمرائه وشيوخه؛ لشراء ولائهم إلى جانبها بدلاً من السيطرة العسكرية المباشرة

(1) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع سلطنة العوالق السفلى، عدن 6/6/1888م.

(2) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع سلطنة العوالق العليا، عدن 8/12/1903م.

(3) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع إمارة بيحان، عدن 29/12/1903م.

(4) وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع سلطنة العوالق العليا، عدن 18/3/1904م.

لكل تلك المناطق والمدن، وقد حقق ذلك الأسلوب نجاحًا كبيرًا ليس لحاجة سلاطين الجنوب العربي وأمرائه وشيوخه لتلك الأموال؛ بل لحالة الانقسام الداخلي في الجنوب لعدة كيانات مختلفة عن بعضها البعض، ولإدراك مدى قوة الإنجليز العسكرية، وعدم المقدرة على المواجهة، فقد قرر كلُّ منهم أن ينأى بنفسه ويحافظ على مصالحه، ومن تلك الإغراءات التي قدمت لسلاطين شبوة وشيوخها الآتي:

1 - الرواتب الشهرية:

كانت الإدارة البريطانية في عدن ترصد رواتب شهرية لسلاطين شبوة وشيوخها؛ لكسب ولائهم، وهو الأمر الذي تشير إليه معاهدات الحماية الموقعة معهم وفي البند الخامس منها، حيث كان السلطان العولقي في نصاب يحصل على 100 دولار شهريًا، ويحصل شيخ مشيخة العوالق في صعيد يشبم على 60 دولار شهريًا، ويحصل أمير بيحان على 50 دولار شهريًا، وسلطان العوالق السفلى على 50 دولار شهريًا أيضًا⁽¹⁾.

2 - العلاوات السنوية:

حصل سلاطين شبوة على مبالغ مالية في نهاية كل عام كعلاوات سنوية، حيث كان سلطان العوالق العليا يحصل على 180 جنيه إسترليني سنويًا؛ لتشجيع بقية سلطنات الجنوب العربي وإماراته على الانضمام إلى اتحاد الجنوب العربي⁽²⁾.

3 - الهدايا والامتيازات الأخرى:

كانت السلطات البريطانية تستضيف سلاطين شبوة وأمرائها في عدن مرة في كل عام لعدة أيام، وتتكفل بكل صرفياتهم؛ من مأكّل، ومشرب، وسكن، ومواصلات، وترصد لهم مبالغ مالية كبيرة؛ ليتمكنوا من شراء الكثير من الهدايا، كما كانت المدافع البريطانية تضرب العديد من الطلقات يتراوح من 3 - 11 طلقة على حسب مكانة السلطان أو الأمير؛ ترحيبًا بقدمهم إلى عدن⁽³⁾، كما كان يحصل السلاطين والأمراء على الكثير

(1) وثائق معاهدات الحماية - البند الخامس.

(2) وثيقة تقرير السيد سانديس وزير الدولة لشؤون المستعمرات البريطانية والكومنولث المقدم إلى البرلمان البريطاني، 23 يوليو 1964م - لندن.

(3) أمين الريحاني: المرجع السابق، ص 441.

من الهدايا والإكراميات من السلطات البريطانية مثل الأسلحة والرصاص في الكثير من المناسبات الوطنية البريطانية، وهو الأمر الذي دفع الإنجليز بعد ذلك إلى تكوين قوات الحرس القبلي⁽¹⁾.

4 - القيادات العسكرية:

تمتع شبوة بكل كياناتها السياسية بمستوى كبير من القوة حيث إن الطبيعة القاسية ووعورة المنطقة بجبالها وصحرائها المترامية قد عكست نفسها على الإنسان، فغدا أبناء شبوة مقاتلين أشداء بلغت شهرتهم كل أرجاء اليمن، بل والعديد من دول الجوار، وكل ذلك أدركه الساسة الإنجليز جيدًا عندما قاموا في عام 1915م بتكوين الكتيبة الأولى التي كان معظم جنودها وضباطها هم من أبناء منطقة شبوة لاسيما العوالق منهم، رغم أن الساسة الإنجليز في عدن قد أدخلوا تلك الكتيبة في عام 1925م عن الخدمة إلا أن إعجابهم بالجنود العوالق كان شديدًا، حيث قررت في عام 1928م تكوين قوات جيش الليوي*، وقد اختير لقيادة الجيش الكولونيل أن. سي. ليك الذي عرف عنه إعجابه بالمجندين العوالق وميله الشديد إليهم فضم الكثير منهم إلى قوات جيش الليوي، فتمرس أبناء العوالق على الحياة العسكرية العصرية، واكتسبوا الكثير من المعارف الجديدة، إلى جانب ما كانوا يتحلون به من شجاعة؛ مما أدى لولادة جيل من القادة العسكريين من أبناء منطقة شبوة الذين تولوا مناصب عسكرية رفيعة، منهم مبارك بن عبدالله العولقي، وعبدربه بن رويس العولقي، ومبارك عبدالله السحم العولقي، وسالم يسلم العزاني، والخضر محمد العولقي، ومحمد سهيل العولقي، ويسلم أبوبكر العولقي، وأحمد محمد العزاني، ومحسن بن علوي العولقي، والكثير من قادة الجيش البارزين الذين بلغ عددهم أكثر من 300 ضابط من أبناء شبوة في جيش الليوي غير الجنود وصف الضباط⁽³⁾.

(1) سلطان ناجي: المرجع السابق، ص 193.

(* جيش الليوي: هو تحريف هندي لكلمة ليفيز الإنجليزية والتي تعني القوات المجندة وظهر هذا المصطلح في عام 1928م في مدينة عدن.

(2) سلطان ناجي: المرجع السابق، ص 183 - 192.

- معاهدات الاستشارة :

وقعت الإدارة البريطانية في عدن 13 معاهدة استشارة في الجنوب العربي زرعت من خلالها مستشارين لها داخل تلك السلطنات والإمارات، فأصبحت هي من تحكم وتأمّر وتعيّن وتعزل، وهي صاحبة الكلمة العليا في تلك الكيانات، ومن ثم سحبت البساط من تحت السلاطين والحكام الذين لم يعد لهم من الأمر شيء، وبذلك نجحت الإدارة البريطانية في قبض السيطرة على تلك السلطنات وتسيير أمورها كيفما تشاء من مدينة عدن⁽¹⁾، رغم تمرد بعض سلطنات شهوة ورفضها لتوقيع هذا النوع من المعاهدات مع الإدارة البريطانية والتي قلصت من نفوذها، حيث رفض سلطان العوالق العليا في نصاب توقيع تلك المعاهدة مع المعتمد البريطاني سيجر، الذي أخرج منطقة دثينة من تحت يد السلطان العولقي، وشجعهم على إقامة دولة مستقلة في دثينة، متهمًا المعتمد البريطاني سيجر بسرقة حدوده، كما رفضت قبائل الربيزي في مشيخة العوالق العليا عام 1952م الاعتراف بمعاهدة الاستشارة التي فرضها الإنجليز على المشيخة، بينما وقعت الإدارة البريطانية المعاهدة مع سلطنة العوالق السفلى ومع السلطنة الواحدية في بلحاف ومع إمارة بيحان⁽²⁾.

تمكنت الإدارة البريطانية في عدن من إحكام سيطرتها على كل كيانات شهوة بتلك السلسلة من الإجراءات التي اتخذتها في منطقة شهوة، فحققت أهدافها المرجوة والمرسومة من تلك المنطقة، بل وزادت أهمية شهوة بالنسبة للإدارة البريطانية بعد أن تأكدت شكوكها من وقوع منطقة شهوة تحت خزان نفطي كبير، وهو الأمر الذي أدى فيما بعد إلى حالة من الصراعات مع الإمام يحيى في المملكة المتوكلية اليمنية للسيطرة على شهوة، بعد أن أوعزت له ألمانيا وإيطاليا بوجود النفط فيها، وضرورة العمل على قطع الطريق أمام بريطانيا، وعدم تمكينها من السيطرة على منطقة شهوة، وهذا يعني زيادة قوة الإنجليز في الحرب العالمية الثانية، وهو ما تم بالفعل حيث انتصرت بريطانيا وحلفاؤها، وهزمت ألمانيا وفشل الإمام يحيى في السيطرة على شهوة.

(1) فيصل الشعبي وآخرون: كيف تفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة - بيروت، 1968م، ص 160.

(2) سلطان ناجي: المرجع السابق، ص 242.

الختامة:

حددت الكيانات السياسية في منطقة شبوة موقفها منذ الأيام الأولى من الاحتلال البريطاني لعدن، حيث رفضت ذلك الاحتلال مدركة أنه يحمل أهدافاً اقتصادية تتمثل في الحصول على الكثير من الأرباح المالية التي لن تتم إلا بالطرق السياسية، والتدخل في شؤون شبوة الداخلية، ونشر الصراعات والتفرقة بين كياناتها وتقسيمها إلى كيانات كثيرة وصغيرة منفصلة عن بعضها البعض، ورغم إدراك حكام شبوة لكل ذلك؛ إلا أن الإدارة البريطانية في عدن نجحت في تحقيق كل أهدافها من خلال سلسلة الإجراءات التي قامت بها من معاهدات أمن طرقات وصداقة وسلام وحماية واستشارة، وتقديم الإجراءات المالية للحكام، والهدايا والزيارات التي تمكنت من خلالها كسب ولاء حكام شبوة اسمياً، أي على الأوراق فقط، ولكنهم كانوا يكونون الكراهية والرفض للوجود الإنجليزي، لكنهم لا يملكون المقدرة والإمكانات للوقوف ضد بريطانيا وقوتها العظمى، أو يمكن أن حكام كيانات شبوة السياسية قد تحاشوا الصدام مع القوات البريطانية بسبب أن الكثير من أفراد القوات البريطانية وضباطها وقادتها كانوا ممن تم تجنيدهم من أبناء شبوة لما عرف عنهم من شجاعة وإقدام.

زادت أهمية منطقة شبوة بالنسبة للإدارة البريطانية في عدن لاسيما بعد معرفتهم لوجود النفط فيها وبكميات كبيرة، فعملوا على محاولة إحكام السيطرة عليها، وهو الأمر الذي أدى لنشوب الصراع عليها بين الإدارة البريطانية والإمام يحيى في المملكة المتوكلية اليمنية، ومن ورائه ألمانيا وإيطاليا، ولكن القوات البريطانية تمكنت من حسم الأمور لصالحها والاحتفاظ بمنطقة شبوة تحت سيطرتها، وإبقاء حكامها في مراكزهم اسمياً فقط، فكل شيء يدار من مستشاري الإدارة البريطانية وموظفيها المعينين في شبوة، وهكذا استمر دوران الأمور حتى سقوط منطقة شبوة بيد ثوار الجبهة القومية، وإعلان قيام النظام الجمهوري في جنوب اليمن، وانتهاء العهد الاستعماري والتي سقطت معه كل الكيانات السياسية التي كانت قائمة في شبوة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق:

1. وثائق معاهدات الحماية - البند الخامس.
2. وثيقة اتفاقية تحريم تجارة الرقيق مع سلطنة العوالق السفلى، 14 أكتوبر 1855م - أحور.
3. وثيقة تحريم تجارة الرقيق بين بريطانيا و سلطنة العوالق السفلى وشيوخ القبائل الصومالية، 14/10/1855م، أحور.
4. وثيقة تقرير السيد سانديس وزير الدولة لشؤون المستعمرات البريطانية والكومنولث المقدم إلى البرلمان البريطاني، 23 يوليو 1964م - لندن.
5. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع السلطنة الواحدة بلحاف 30/4/1888م، حبان.
6. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع إمارة بيحان، عدن 29/12/1903م.
7. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع سلطان بئر علي، بئر علي - 30/4/1888م.
8. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع سلطنة العوالق السفلى، عدن 2/6/1888م.
9. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع سلطنة العوالق العليا، عدن 18/3/1904م.
10. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع سلطنة العوالق العليا، عدن 8/12/1903م.
11. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع شيخ حورة، حورة - حورة السفلى - 26/2/1890م.
12. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع شيخ حورة، عدن - 7/4/1902م.
13. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع شيخ عرقة، عدن - 13/6/1902م.
14. وثيقة معاهدة الحماية البريطانية مع شيخ عرقة، عرقة - 26/2/1890م.
15. وثيقة معاهدة الحماية بين بريطانيا والسلطنة الواحدة، 15/3/1895م، بلحاف.
16. مخطوطة أبو نجمة بانافع والشبلي، المكتبة الوطنية - عدن.

ثانياً: الكتب:

1. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة - صنعاء، 2002م.
2. أبوبكر المشهور: الطرف الأحرور في تاريخ مخلاف أحور، مركز الإبداع الثقافي - عدن، 2007م.

3. أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م.
4. أمين الريحاني: ملوك العرب، دار الجيل - بيروت، 1987م، ط8.
5. برنارد رايللي: عدن واليمن، ترجمة منال حلوب، مكتبة كولونيال - لندن، 1960م.
6. التوراة، سفر خزقيال، الإصحاح السابع والعشرون.
7. جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب اليمن.
8. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين - بيروت، 1977م، الجزء الأول.
9. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين - بيروت، 1977م، الجزء الثاني.
10. حمزة لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، دار الكلمة - صنعاء، 1985م.
11. عبدالرحمن جرجرة: هذه الجنوب أرضنا الطيبة، دار الكتب العربية - بيروت، 1966م.
12. عبدالله الثور: وثائق يمنية الجنوب اليمني، مطبعة المدني - صنعاء، 1986م.
13. علوي عمر العولقي: تاريخ قبائل العوالق وأثره في الإعلام المعاصر، دار قتيبة - دمشق، 2005م، ج2.
14. فاروق أباطة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (1839م - 1967م)، الهيئة لمصرية العامة للكتاب - القاهرة، 1976م.
15. فردهوليداي: الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، ترجمة حازم صالحية وسعد محيو، دار ابن خلدون - بيروت، 1975م.
16. فيتالي ناؤومكين: الجبهة القومية في الكفاح من أجل الاستقلال، ترجمة سليم توما، دار التقدم - موسكو - 1984م.
17. فيصل الشعبي وآخرون: كيف تفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة - بيروت، 1968م.

18. محمد أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مكتبة الإرشاد - صنعاء، 2004م، ط2.
19. محمد عبدالقادر الفقيه: المستشرقون وآثار اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنية - صنعاء، 1988م، الجزء الأول.
20. محمد علي الأكوغ: اليمن مهد الحضارات، دار الكتب - صنعاء، 1971م.
21. محمد محسن الجازع: السيف البارق في تاريخ العوالت، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1986م.
22. محمود السالمي: اتحاد الجنوب العربي، دار الوفاق - عدن، 2010م.
23. محمود الشرقاوي: جنوب الجزيرة العربية، المكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة، 1959م.
24. المركز الوطني للمعلومات: رئاسة الجمهورية، باب اليمن أرقام وحقائق - صنعاء.
25. الهمداني: الإكليل، الدار اليمنية للنشر والتوزيع - صنعاء، 1987م، تحقيق محب الدين الخطيب، الجزء الثاني.

الصراع البريطاني الإمامي في شبوة خلال المدة (1918 - 1967م)

التمهيد:



الدكتور/ ناصر سعيد ناصر العيشي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك -
جامعة عدن

تعود جذور الحضارة اليمنية لممالك اليمن القديم إلى أطراف الصحراء مفازة (صهيد)⁽¹⁾ - تسمى "رملة السبعين Ramla Sabataina" - الآن - تقف شاهدة على أنها تمثل أقوى الأدلة على ذلك الوجود الزاهر، وازدهرت حواضر الممالك اليمنية القديمة السبئية عند مصب وادي بيحان، وفي شبوة عند مصب وادي العطف إذ قامت مملكة حضرموت⁽²⁾، وكان سبب قيام هذه الممالك هو لوفرة المياه

وإلى مناجم الملح التي تعد المعلم الاقتصادي الرئيس الذي سميت في بداية الأمر باسم (شب Shabb)، والسيطرة على طريق تجارة البخور واللبن⁽³⁾، وهذه الممالك القديمة

(1) الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تح: محمد الاكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1990م، ص188، والجرو، أسمهان، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية اليمن القديم، دارجامعة عدن، ط1، 2002م، ص84. خالد عبدالله طوحل، العوائل وتكوينهم السياسي الحديث، 1918 - 1967م "دراسة تاريخية سياسية" دار الوفاق، ط2015، ص1، ص15.

(2) جون فيليبي، هاري سانت، بنأت سبأ رحلة في جنوب الجزيرة العربية، تعريب: يوسف مختار الأمين، مكتبة العبيكان، ط1، 2002م، ص115 وما بعدها.

(3) جون فيليبي، هاري سانت، بنأت سبأ رحلة في جنوب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص143، وحبثور، ناصر صالح، الزينيون مواطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، دار الثقافة العربية، الشارقة - جامعة عدن، ط2، 2002م، ص20 وما بعدها.

تنافست على التوسع والسيطرة التجارية وضمت جبال وسواحل وتهام اليمن⁽¹⁾ ففي محافظة شبوة قامت ثلاث ممالك يمنية قديمة أكثر من نصف حضارة اليمن القديم، من أصل خمس ممالك عظيمة قامت في اليمن القديم⁽²⁾ وهي: (أوسان وقتبان وحضرموت) فيما قامت مملكة سبأ فيما يسمى الآن بمحافظة مأرب وقامت مملكة معين في محافظة الجوف⁽³⁾. مع المساحات الأخرى للمحافظات الجنوبية من اليمن أهمية كبرى في إقامة ثلاث ممالك عظيمة (أوسان، قتبان، حضرموت)، التي أدت دوراً مهماً في تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية، نظراً لوفرة المياه وذكر القران الكريم مملكة سبأ وما كانت تتمتع به من رخاء وازدهار فقال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشَمَالٍ كُلُّوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ﴾⁽⁴⁾ بالإضافة الى مزايا الموقع الاستراتيجي المهم بقربها من السواحل الجنوبية، حيث يوجد عدد من الموانئ البحرية وطرق التجارة البرية ومناطق إنتاج اللبان والبخور من أهمها ميناء "قَنَا cana"⁽⁵⁾. وهذه الممالك العربية القديمة التي أقيمت على أرض شبوة الحالية،

(1) للمزيد ينظر: جون فيلبي، هاري سانت، بنأت سبأ رحلة في جنوب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص 115، 132، 141، 143.

(2) يوسف، محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن القديم وآثاره، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، ب ت) ص 383.

(3) لقمان، حمزة، علي، تاريخ القبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ط1، 1985م، ص 273.

(4) سورة سبأ الآية 15.

(5) وردت تسمية ميناء قنا في سفر حزقيال، وهو الميناء الرئيس لمملكة البخور حضرموت)، وربما كانت قنا حصن الغراب، الواقعة على خط 10: 14 شمالاً و 20: 48 شرقاً، والواقع على ساحل بحر العرب بالقرب من بئر علي حالياً محافظة شبوة، إذ يعود تاريخه إلى القرن السادس ق. م، وقد حظي هو أيضاً بشهرة واسعة في النقوش التي تسجل انشطاته الاقتصادية التي كانت يتسم بها هذا الميناء مع الموانئ في الساحل الغربي لحوض البحر الاحمر والموانئ الأخرى، ويعد هذا الميناء أحد الأسواق الرائجة في زمانه وكان لهذا الميناء علاقة تجارية مع الجهات البعيدة من موانئ الساحل الغربي لحوض البحر الأحمر مع ميناء باريجازا الهندي وموانئ ايران وعمان صحار أو مسقط، للمزيد ينظر: سفر حزقيال، الإصحاح 27/ الآية 24، وشهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1977م، ص 242، وباوزير، خالد سالم، موانئ ساحل حضرموت "دراسة إنثنوآثرية" مكتبة دار المعرفة حضرموت، ط1، 1996م، ص 29.

وفي مقدمتها مملكة (أوسان) التي أقيمت في وادي مرخة، الذي يعود تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد، حيث تشير النقوش إلى أن أوسان في عهد ملكها (مرتع) تعاضمت قوتها وقويت شوكتها واتسعت حدودها على حساب جارتها حضرموت وقتبان وكان من أهم موانئها ميناء عدن⁽¹⁾، ومشكلة دولة مترامية الأطراف تمتد من المعافر غرباً إلى وادي ميفعة وحبان وحجر شرقاً، وضمت إليها مناطق حيوية إلى حضرموت وقتبان، لعل أهمها تبين ودهس (يافع) ووثينة ويشبم ووادي جردان، إضافة إلى سيطرتها على المناطق الجنوبية حتى البحر، وكانت أوسان بتوسعها هذا وأصبحت تشكل خطراً كبيراً، ليس على جارتها حضرموت فقط وقتبان في القرن السابع قبل الميلاد، وإنما على دولة سبأ التي كانت تتخذ من مأرب اليمنية عاصمة لها، ومن ثم هي أيضاً استغزت من ذلك التوسع لتتضرر مصالحها، فتحالفت حضرموت وقتبان مع كرب إل وتر مكرب (ملك) سبأ ضد دولة أوسان⁽²⁾. أما مملكة قتبان فقد قامت في وادي بيحان، وكانت عاصمتها تمنع⁽³⁾، فيما بعد خاضت مملكة أوسان لمملكة قتبان في القرن الرابع قبل الميلاد، ووقعت فيما بعد تحت النفوذ الحضرمي في أوائل القرن الثالث الميلادي⁽⁴⁾، واستناداً إلى مخربشات وأثریات قديمة كشف عنها مستشرقون، يرجع زمن الاستيطان في المدن القتبانية إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وخلال المدة من القرن الرابع وحتى القرن الثاني ق. م شهدت

(1) سفر حزقيال، الإصحاح 27/ الآية، 24، وشهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1977م، ص242.

(2) بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1985، ص20.

(3) تقع على الضفة اليسرى لوادي بيحان على مشارف السهل الصحراوي على بعد 30 كيلومتراً من بيحان وتسمى حالياً هجر كحلان وتشير نتائج التنقيب أن تمنع) كانت عامرة ذات ذهب وتراب ومعابد كثيرة، كما توجد مسلة عليها قوانين قتبانية، ومن مواقعها الأثرية هجر بن محمد وحيدر بن عقيل مدينة بيحان من المدن الأثرية الجميلة في مباني منازلها المتميزة من مادة الطين المخلوطة بالتبن وهو أسلوب البناء الذي يسود المشرق من اليمن، وفي مدينة بيحان قصر السلطان المهمل، ويوجد متحف يضم تشكيلة من اللقى القتبانية وأخرى من مواقع متفرقة من المحافظة.

(4) بافقيه، وآخرون: مختارة من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ط1985م، ص212، وطوحل، خالد العوالق وتاريخهم السياسي الحديث، مرجع سابق، ص16.

قتبان عهد ازدهار وتطور واتخذ حكامها لقب مكرب، بعد أن توسعت على حساب مملكة أوسان، وأصبحت تبسط سيطرتها على الشريط الساحلي الممتد من باب المنذب حتى ما وراء عدن⁽¹⁾.

أما المملكة العربية القديمة الثالثة فتقع في وادي حضرموت الكبير، وكانت عاصمتها شبوة، وفي بعض المدد استعملت ميفعه عاصمتها الثانية⁽²⁾، ويرجع زمن ظهورها إلى الحقبة الواقعة ما بين 1020 ق. م. و125 م، ويرى آخرون أن البداية كانت نحو (450 ق. م)⁽³⁾. ويرى بعض المؤرخين أن المدة الواقعة بين القرنين الرابع والأول ق. م في تاريخ مملكة حضرموت هي مدة ازدهار وتطور، إذ أصبحت حضرموت من القوى الرئيسة الفاعلة في الساحة اليمنية، وشغلت مساحة جغرافية واسعة في جنوب شبه الجزيرة العربية، فحدودها كانت تمتد من أطراف قتيان غربًا (مشارق وادي بيحان) وحتى عُمان شرقًا، ومن البحر العربي جنوبًا حتى صحراء العبر والربع الخالي شمالًا، وامتدت أيضًا عبر البحر إلى جزيرة سقطرى في المحيط الهندي في نهاية الألف الأول ق. م.⁽⁴⁾

ويرى كثير من المؤرخين والباحثين المتخصصين في التاريخ القديم إلى ظهور الممالك العظيمة الثلاث في محافظة شبوة إلى وفرة المياه، ووقوعها في قلب شبكة الطرق التجارية القديمة البرية والبحرية، التي تبدأ من ميناء (قنا) على البحر العربي، وتمرّ عبر عواصم دويلات اليمن القديم، وأولها شبوة عاصمة حضرموت، وتمنع عاصمة قتيان، ومأرب عاصمة سبأ، وقرناو في الجوف عاصمة معين، ومنها إلى نجران شمالاً⁽⁵⁾.

(1) وشهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، مرجع سابق، ص 242.

(2) الجفري، محمد عبدالله حسن، الأزمة اليمنية مظهر حديث لإرث تاريخي قديم، ب ط، ت، ص 14

(3) باوزير، محمد عبدالله بن هاوي، كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، دراسات وبحوث ومقالات، طبع في مطبعة الابداع - عدن، ط 1، 2011م، ص 49.

(4) باوزير، محمد عبدالله بن هاوي، كراسات في تاريخ حضرموت مرجع سابق، ص 4، 5، 49، 55.

(5) للمزيد ينظر: طوحل، خالد عبدالله، العوالق وتكوينهم السياسي الحديث، 1918 - 1967م، دار جامعة عدن، ط 1، 2006م، ص 377.

ويعد ميناء (قنا) الواقع على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية من أهم موانئ الممالك اليمينية القديمة⁽¹⁾، وأقدم ذكر لميناء (قنا) جاء في (التوراة) سفر حزقيال 27 / 24، ويعود ذلك السفر إلى القرن السادس قبل الميلاد⁽²⁾، وقد حظي الميناء بشهرة عالمية فهو الميناء الرئيس لمملكة حضرموت والصالح للتجارة مع الهند وشرق آسيا وإفريقيا ومصر منذ أزمنة بعيدة، كما جاء ذكره في العديد من النقوش الميلادية المهمة التي تحكي عن الدور الاقتصادي والسياسي الذي أداه هذا الميناء وأثره في سير الأحداث التاريخية⁽³⁾. ويرى المؤرخون أن أول اتصال باليمن القديم هو عبر السفن التي سيرها الملك (ساحورع Sahure) من الأسرة الخامسة في القرن الثامن والعشرين ق. م. في البحر الأحمر لجلب البخور والسلع النفيسة الأخرى من بلاد (بنت Punt)⁽⁴⁾، وهناك من الباحثين من ينكر ذلك الاعتقاد في أن بعثة

(1) من أهم المواقع بئر علي وميناء قنا الذي، يبعد الموقع القديم للميناء 120 كيلومترا من المكلا و200 كيلومترا من عتق، وقنا) الميناء الرئيس لتجارة اللبان والطيوب الأخرى. ويوجد تل بركاني عُرف بحصن الغراب. للمزيد ينظر: الشيعبي، خالدصالح قاسم، ميناء قنا من القرن الثاني ق. م. إلى القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة عدن"غير منشورة، 2008م، ص8 وما بعدها.

(2) الشيعبي، خالدصالح قاسم، ميناء قنا من القرن الثاني ق. م. إلى القرن السادس الميلادي، مرجع سابق، ص15.

(3) الشيعبي، المرجع نفسه، ص17، وتاجر يوناني مجهول، الطواف حول البحر الإريثري "الملاحة والتجارة في المحيط الهندي بالقرن الأول للميلاد"، ترجمة، أحمد إيبس، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2014م، ص172.

(4) تشير الدراسات إلى ان "بلاد بونت Punt" تقع في الأنحاء المطلة على الجزء الجنوبي من البحر الأحمر على مقربة من باب المنذب وتشمل كلاً من الشاطئين الآسيوي والإفريقي، أي جنوب جزيرة العرب والصومال وارتيريا للمزيد ينظر: بافقيه، محمد عبدالقادر، توحيد اليمن القديم - الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول الى القرن الثالث الميلادي، سلسلة تاريخ اليمن (2) تقديم وتدقيق د. منير عربش، ترجمة. د. علي محمد زيد، راجعة. د. محمد بن عفير، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء || الصندوق الاجتماعي للتنمية الأفاق للطباعة والنشر، صنعاء ط1، 2007م، ص 19 - 20، شهاب، حسن صالح، لمحات من تاريخ الملاحة القديم في البحر الأحمر، مركز الشرعي للطباعة والنشر، صنعاء ط1، 2002، ص5، وفخري، أحمد، اليمن ماضيها وحاضرها، مراجعة وتعليق. د. عبدالحليم نور الدين |بيروت، ط2، 1988م، ص114. وبركات،

(ساحورع Sahure) التي جاء ذكرها في النقوش الفرعونية أن تكون أولى البعثات البحرية، من مصر إلى بنت، وأن ماجلبته هذه البعثات من البخور والطيوب، وهو كل ما استعمله المصريون في معابدهم في عهد (ساحورع Sahure) إلى عهد (رمسيس الثالث)، وبينهما حوالي ألف وخمسمائة عام. وأشهر هذه البعثات وهي بعثة الملكة (حتشبسوت) في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، لم تكن سفنها تزيد على خمس سفن، وبعد مائتين وخمسين سنة، أرسل (رمسيس الثالث) ما بين عامي 1198 - 1167 ق. م سفناً ربما لأتزيد على سفن الملكة حتشبسوت⁽¹⁾. فهل كل ماجلبته سفن حتشبسوب من تجارة (بنت) قد استغرق هذه المدة الطويلة؟ ذلك ما لا يعقل. إذ لا بد أن تكون هناك تجارة منتظمة بين البلدين طيلة حقبة تاريخ هذه التجارة. فالنقوش، أو الكتابات القديمة، لا تتحدث غالباً، إلا عن أعمال الملوك وكهنة المعابد⁽²⁾. وعلى اختلاف المؤرخين في العلاقات والصلات بين اليمن ودول الساحل الغربي إلا أن أغلبهم أجمعوا على أن العلاقات والصلات امتدت منذ عهد (ساحورع Sahure) ويظل هذا التفسير مقبولاً حتى يظهر ما ينقضه من النقوش التاريخية المعتمدة. لأن تاريخنا القديم مازال مغموراً تحت الرمال والبعض الآخر قد نهب وهذا ما أكدته الباحثة الفرنسية "د. كلودي فايان" المتخصصة في أصول السلالات البشرية التي زارت اليمن في يناير 1951م قائلة: (ان حلقات من التاريخ اليمني مازالت غامضة مغمورة وان الحفريات غير ممكنة في الوقت الحاضر كما كانت بلاد الأشوريين قبل ديو لافوي⁽³⁾). وترجع ذلك إلى أن إمام

أبو الفتوح، بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة، مجلة اليمن الجديد، العدد 2، 1986م، ص 84، والعلي، نورة عبدالله، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في المدة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1992م، ص 22.

(1) الجرو، إسهمان سعيد، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتب الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م، ص 54.

(2) شهاب، حسن صالح، لمحات من تاريخ الملاحة القديم، مرجع سابق، ص 5.

(3) فايانا، كلودي، كنت طبيبة في اليمن، نقله الى العربية محسن أحمد العيني، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ص 7.

اليمن الشمالي قد أغلق علاقته بالعالم ولا يسمح للتنقيب عن الآثار ويرتاب في بعثات البحث عن الآثار الأجنبية، ويظن أن مايشغل بالها هو شيء أكثر حداثة من معرفة الإمبراطوريات المطمورة في الرمال وهي لهذا ميدان مفيد جداً للباحثين في أصول السلالات البشرية ومميزاتها⁽¹⁾.

وفي جنوب اليمن في عهد الاستعمار البريطاني يشير المؤرخ عبدالله محيرز الذي كان يشغل محللاً ثقافياً في العاصمة البريطانية لندن خلال المدة (1968 - 1974م) الذي قضى مدد خدمته في جمع واستعادة الآثار والمخطوطات المنهوبة في متاحف أوروبا وأمريكا وتركيا ومكثباتها في جمع الآثار المنهوبة وتصويرها بالميكروفيلم بما فيها من وثائق تخص اليمن ويستشهد قائلاً: (لحسن الحظ أن الانكليز لم يتمكنوا من احتلال اليمن بكاملها، وإنما عدن وحدها، وكان هدفهم من احتلال مناطق أخرى في الجنوب اليمني هو حماية عدن، فماليهمهم كان الميناء، وكانت المناطق الأخرى مأهولة بالقبائل، مما جعل الانجليز عاجزين عن التنقيب فيها مثلما فعلوا في مناطق عربية أخرى، وكان كل ما هو موجود في المتاحف البريطانية لا يشكل إلا نسبة ضئيلة مما لا يزال تحت الأرض، أضف إلى ذلك أن صعوبة الطبيعة الجبلية وتعذر التنقيب السريع والمنظم فيها جعل الانكليز يضطرون الى الحصول على الآثار بشرائها من بعض الباعة)⁽²⁾، ويشاطره الرأي في ذلك محمد عيسى صالحية في كتابة - تغريب التراث العربي - أن المستشرق السويدي "الكونت لندرج Land berg"⁽³⁾ في اواخر القرن التاسع عشر طلب من السلطان صالح بن عبدالله العولقي

(1) فاينا، كلودي، كنت طيبة في اليمن، المرجع السابق، ص 7 - 8.

(2) طوحل، خالد عبدالله بحث منشور في مجلة اليمن بعنوان "مؤرخ عدن محيرز" ودوره الريادي في أثار الحياة العلمية والثقافية خلال المدة (1931 - 1991م) العدد السابع والثلاثون إبريل - سبتمبر 2016م، دار جامعة عدن، ص 73.

(3) للمزيد ينظر: بافقيه، محمد عبدالقادر، المستشرقون وآثار اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط 1، 1988م، ج 2، ص 73 - 74. صالحية، تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة الحقة اليمنية) دار الحدائق، بيروت، ط 2، 1985م، ص 5 ومابعداها.

سلطان سلطنة (نصاب)⁽¹⁾ أن يختار له شخصاً ذكياً يكون معه يقوم بجمع ما يطلبه منه من أحجار منقوشة وآثار⁽²⁾، وكان رد السلطان مقصوراً على تزكية مرزق⁽³⁾، وصالح المدحجي⁽⁴⁾. وهذا ما يؤكد أن آثار اليمن قد نهبت كثير منها والبعض مازال تحت الرمال لم تجد الباحثين المؤهلين للتنقيب والبحث ولم تجد دولة مركزية تحافظ عليها ولا وضع مستقر بسبب الحروب المستمرة. ومهما يكن الأمر وللأمانة العلمية لولا هؤلاء العلماء والمستشرقين الأوربيين لما عرفنا شيئاً عن حضارتنا اليمنية القديمة، ولبقيت مدفونة مغمورة تحت الرمال. وتمتلك محافظة شبوثة ثروة تاريخية هائلة وكنوزاً لا تعد ولا تحصى من الآثار والمعالم، جعلها في سنوات مضت واحدة من المحافظات الجاذبة للسياحة الخارجية، وأن وجود المعالم الأثرية القديمة كان أهم عوامل الجذب في قطاع السياحة في المحافظة في مدد مضت، إلا أنه يستدرك بأنه من البدهي أن يتوقف تدفق الأفواج السياحية الآتية من خارج اليمن في السنوات القليلة الماضية. غير أنها فقدت ذلك في السنوات القليلة الماضية، بسبب تدهور الوضع الأمني واندلاع الحرب التي أشعلها الحوثيون وما خلفته من تراكمات خلال السنوات الخمس الماضية، من تدمير لمؤسسات الدولة المدنية والأمنية، واستعمال عدد من المواقع الأثرية والحصون والقلاع التاريخية منها مواقع حربية.

(1) تقع نصاب في ملتقى وأدي عبادان وضراء في منطقة غنية بالآثار، بافقيه، محمد عبدالقادر، المستشرقون و آثار اليمن، مرجع سابق، ص 79.

(2) صالحية، محمد عيسى، تغريب التراث، مرجع سابق، ص 40.

(3) مرزق لقب شخص يدعى "أحمد علي" من بلاد العوالق العليا وكان من ضمن شبكة العملاء الذين يقومون ببيع التراث ونقله الى عدن ومنها إلى أوروبا للكونت لندبرج، صالحية، تغريب التراث، مرجع سابق، ص 39 - 40، طوخل خالد عبدالله، العوالق وتكوينهم السياسي الحديث، مرجع سابق، ص 73.

(4) يتضح من خلال المراسلات أن مرزق والمدحجي) كانا من أنشط العناصر في بلاد العوالق من بيع ونقل الآثار، إذ كانوا بارعين في تحميل النقوش والحجارة الحميرية، حيث تمكنا من طبع (300 ورقة، ومن سرقة 300 حجر حميري من القطع الصغير والكبير على ظهور الجمال إلى عدن، وكان مجموعة الاحمال التي حملها من منطقة العوالق (16) حمل جمل بالإضافة إلى أحمال أخرى من مناطق اخرى. للمزيد ينظر: طوخل، خالد عبدالله، العوالق، مرجع سابق، ص 142.

وفي العهد الاسلامي وعند ظهور الإسلام هاجرت إلى الرسول الكثير من الوفود في السنة العاشرة للهجرة فقد كان من الوفود الشبوانية التي هاجرت وسطر التاريخ أسماء أول الوفود من الأمراء والزعماء الاوائل كانوا من أبناء شبوة شرف السبق إلى الدعوة الإسلامية والدخول في دين الله طوعياً ومن هؤلاء الوافدين إلى رسول الله نذكر منهم على سبيل المثال: وايل ابن حجر يفد من شبوة ويقال أنه أول وأشهر وافد إلى الرسول، وقد قوبل بمقابلة ممتازة من الرسول وأعطاه عدة كتب وأقره على ماورثه عن آباءه من إمارة، ووفد الجعفيون من جردان بقيادة قيس بن سلمة الجعفي، وأكرمهم الرسول وقدم لهم (قلب الذبيحة)⁽¹⁾ بصفة خاصة، والاسود الكندي من عرمة وجردان بمفرده⁽²⁾.

وفي العهد الاستعماري البريطاني لمحمية عدن قامت على اراضي شبوة أربع سلطنات ومشیخات الجنوب العربي وهي: (سلطنة الواحدي، ومشیخة العوالق العليا، وسلطنة العوالق العليا وإمارة الهيلي)⁽³⁾ أطلق اسم شبوة على محافظة

(1) يروي الشاطري، مؤلف كتاب - أدوار التاريخ الحضرمي - أن الرسول "صل الله عليه وسلم" قدم القلب لضيوفه من الجعفيين من آل جردان، وكان الدافع من ذلك هو على مابلغه عن الجعفيين من عدم أكلهم القلب او الفؤاد) ولعل في ذلك لتوهمهم أنه يضر أو لانهم يعافونه كما تعاف بعض الأعضاء الأخرى مثل الرئة والأمعاء والكرش، وعلى كل فإن الرسول - كما هو؛ في العادة - أراد أن ينزع من قلوبهم عملياً كراهية أكل القلب فقدمه إليهم مشوياً فأكله بعضهم وعادوا إلى بلادهم مسلمين مخلصين. للمزيد ينظر: الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، أدوار التاريخ الحضرمي، دار التراث للدراسات والنشر، حضرموت ط1، ج1، ص85.

(2) الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، أدوار التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص85.

(3) للمزيد ينظر: طوحل، خالد عبدالله، العوالق وتكوينهم السياسي الحديث، مرجع سابق، ص45، والقباص، مهدي راشد، الإمارة الهيلية الهاشمية في بيحان جنوب اليمن 1943 - 1967م، رسالة ماجستير أجزت في كلية الآداب جامعة عدن "غير منشورة"، عام 2003م، ص10 وما بعدها. لجدع، سالم ناصر، السلطنة الواحدية بالحاف) والتغلغل الاستعماري البريطاني 1934 - 1963م، رسالة ماجستير أجزت في كلية الآداب - جامعة عدن - "غير منشورة" 2001م، ص7 وما بعدها، المحججي، محمد سعيد، نظام الحكم والإدارة في إمارات شبوة، رسالة ماجستير، أجزت في كلية الآداب - جامعة عدن - "غير منشورة" 2009م، ص10 وما بعد.

شبوّة، مقتبساً من اسم شبوّة في نقش قديم يعود إلى مدينة تاريخية قديمة تقع أسفل وادي عرما، عاصمة مملكة حضرموت القديمة قبل الميلاد⁽¹⁾. وبعد الاستقلال الوطني سميت بالمحافظة الرابعة حتى العام 1980م. واتخذت السلطة السياسية عدة إجراءات إدارية من أهمها: تغيير اسم الجمهورية إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وتغيير أسماء المحافظات الست من (1 - 6) إلى الأسماء التاريخية لتلك المحافظات الست وهي: عدن، ولحج، وأبين، وشبوّة وحضرموت، والمهرة، وبذلك تغير اسم المحافظة الرابعة إلى محافظة شبوة بساحلها وداخلها، وكذا إعادة النظر في تسميات مديرياتها⁽²⁾. وتمتلك محافظة شبوة ثروة تاريخية هائلة وكنوزاً لا تعد ولا تحصى من الآثار والمعالم الأثرية جعلها في سنوات مضت واحدة من المحافظات الجاذبة للسياحة الخارجية، أن وجود المعالم الأثرية القديمة كان أهم عوامل الجذب السياحي في قطاع السياحة اليمنية في فترات مضت، إلا أنه يستدرك بأنه من البديهي أن يتوقف تدفق الأفواج السياحية الاجنبية بسبب الحرب الحوثية، وتدهور الوضع الأمني وما خلفته تلك الحرب العنيفة من تراكمات خلال الخمس السنوات الماضية، من تدمير لمؤسسات الدولة المدنية والعسكرية والطرق والجسور وتدمير لمواقع الآثار بل ان عدد من المواقع الأثرية والحصون والقلاع التاريخية كمواقع حربية وتعرضها للهدم والانذار.

(1) بينما جون فيلبي يرى كلمة شبوة مشتقة من الكلمة العربية "شب Shabb" التي تعني الشب أو الملح، وتشير بوضوح إلى مناجم الملح الصخرية التي تعد المعلم الاقتصادي الرئيس في منطقة شبوة، ويقول شبوة بهذه الصيغة لم تكن معروفة لنا حتى اليوم في أي من المراجع القديمة بوصفها اسماً للمدينة التي توجد أمامنا بالفعل ثلاث صور مختلفة لاسمها: "سابوتا Sabota" و"ساباتا Sabata" و"ساباثا Sabbatha" في إذ نجد في سفر التكوين الجزء 10 - 7 ذكرًا "لسبأ Sebe" و"شبأ Sheba" بين سلالة كوش بن حام وعلاوة على سابوتا) الخاصة بالحضارة. للمزيد ينظر: جون فيلبي، هاري سانت، بنات سبأ، مرجع سابق، ص 142 - 143.

(2) باوزير، محمد بن هاوي، كراسات في تاريخ حضرموت، ص 17.

المحور الأول: الصراع البريطاني العثماني في شبوة 1839 - 1918م

1-1 - الصراع البريطاني العثماني 1839 - 1902م:

لقد نشأ النزاع العثماني - البريطاني، منذ اليوم الذي وضعت فيه بريطانيا أقدامها في عدن العام 1839م، ففي رأي الدولة العثمانية أن جميع البلاد الواقعة في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية وجزر البحر الأحمر تابعة لهم⁽¹⁾، وازداد الاهتمام العثماني باليمن بعد افتتاح قناة السويس في 17 نوفمبر 1869م⁽²⁾، وقد هاجم الأتراك لحج واحتلوها وانسحبوا منها دون قتال بعد أن شكوا حاكم عدن "شneider" من تصرفات الأتراك إلى حكومة بومبي فأرسلت بدورها إلى لندن التي احتجت على الآستانة وطالبتها بسحب قواتها، فتم سحب القوات العثمانية وهذا التصرف من العثمانيين فإنما يكون كمن تصرف في غير ما يملكه وهذا لايلزم أهل الارض بشيء⁽³⁾، أما البريطانيون المحتلون لعدن ومحمياتها الجنوبية فيستندون على منطق القوة بعد احتلال عدن وعلى ما يدعونه من أن حكم تلك المناطق أصبح حقاً لهم بعد عقد معاهدات واتفاقيات مع زعماء تلك البلاد⁽⁴⁾. وأنهم بموجب تلك المعاهدات والاتفاقيات أصبح من الواجب عليهم المحافظة على ممتلكات أصدقائهم

- (1) Marston Thomas Britains Imperial Role in the Ro sea Area 1800 - 1878. The shoe string press, Hamaden. Conectinhcut, U. S. A. P454 اباطة، عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، 1939 - 1918، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1976م، ص116. طوحل، خالدعبدالله، مصر واليمن 1934 - 1967م "دراسة تاريخية سياسية"، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة الطبعة الأولى 2020م، ص30 - 31.
- (2) حسين، ياسين محمد، "الصراعات السياسية الدولية والمحلية في الجنوب اليمني 1869 - 1918م، مجلة العلوم السياسية، العدد47، جامعة بغداد، ص243.
- (3) البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، منالاحتلال البريطاني 1839 إلى الاستقلال 1967م. ونتائج، كنوز المعرفة، جدة، ط1، 2012م، ص167. حسين، ياسين محمد، "الصراعات السياسية الدولية والمحلية في الجنوب اليمني 1869 - 1918م، مرجع سابق، ص244
- (4) للمزيد ينظر: سي. يو. ايتشين، مجموعة معاهدات والتزامات وسندات متعلقة بالهند والبلاد المجاورة لها جنوب اليمن)، المجلد11، ترجمة: د. أحمد زين عيدروس و. د. سعيد عبدالخير النوبان، دار الهمداني، عدن، ط1، 1984م.

من رجال المحميات، ولما كانت حدود بلاد المحميات غير محدودة تماماً في عهد الحكم العثماني لشمال اليمن والبريطاني لجنوب اليمن، فقد ظلت مسالة الحدود نقطه حساسة بين العثمانيين والبريطانيين ففي 29 أغسطس 1872م كتب القائد التركي في شمال اليمن رسالة إلى فضل محسن العبدلي سلطان لحج، بوصفه من أهم سلاطين الجنوب، يدعو فيه إلى صنعاء بغرض تقديم فروض الطاعة والولاء للباب العالي، فعدت السلطات البريطانية ذلك تعرضاً لمصالحها، وخطراً على وجودها في الجنوب اليمني، كما رأت في هذه السياسة التركية الرامية إلى التغلغل في جنوب اليمن تهديداً مباشراً للسياسة البريطانية في الحفاظ على الطريق التجاري المهم المؤدي إلى الهند والشرق الأقصى عبر البحر الأحمر والشواطئ الجنوبية لبلاد العرب⁽¹⁾، واستمرت السلطات العثمانية محاولة مرة بعد الأخرى حث سلطان لحج والحواشب لتقديم الولاء للباب العالي عبر باشا اليمن أحمد مختار ولكن هذه الزعامات كانت تهاب الحكومة البريطانية ويطلبون منها المشورة، في شخص المقيم السياسي في عدن⁽²⁾.

وفي 24 أكتوبر 1873م أصطحب المقيم السياسي البريطاني قوة بريطانية ضاربة لإخراج القوات العثمانية من سلطنات الحواشب والأميري والعلوي⁽³⁾، وبعد جلاء القوات العثمانية من تلك المناطق قام "شneider" بالانتقام بشدة من السلاطين والأمراء الآخرين الذين مالوا إلى الاتراك وكانوا أعداء لسلطان لحج، وتم رسم خارطة سياسية للإمارات والسلطنات المحيطة بعدن وطلب من تركيا أن تعدها تحت نفوذها وأن لا تتدخل في شؤونها. ومنذ تقديم مشروعهم ذلك في العام 1873م

(1) عكاشة، محمد عبدالكريم، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت 1839 - 1918م) دار ابن رشد، عمان، الاردن، الطبعة الأولى، ص 242، طوحل، خالد عبدالله، العواتق، مرجع سابق، ص 138 - 139.

(2) الغزالي، عبدالله صالح، قبائل ردفان الاجعود) دراسة عن أوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير "غير منشورة" أجزيت في كلية الآداب - جامعة عدن - 2019م، ص 273.

(3) طوحل، خالد عبدالله، العواتق، مرجع سابق، ص 140.

أصبحت تلك المناطق تعرف بـ (النواحي التسع)⁽¹⁾، ورغم توقف العمليات الحربية ضد القبائل المحيطة بعدن إلا أن العثمانيين يرون أن لحج تابعة لهم، وفي العام 1874م التقى السفير البريطاني في الاستانة (اليوت) مع الباب العالي في 4 يناير من العام نفسه إذ أبدى السلطان موافقته على انسحاب القوات العثمانية من الأراضي المجاورة لعدن⁽²⁾، وحصلت عدّة أحداث فجرت الصراع بين النفوذ البريطاني والعثماني، كما في قضية بناء حصن (الدريجة) بمنطقة الحواشب من قبل الشيخ محمد الناصر الموالي للعثمانيين، حيث قام البريطانيون بتحطيم الحصن في العام 1901م وخسرت الدولة العثمانية مائة جندي من جنودها، مما جعلها تجد في نفسها في موقف ضعيف استلزم منها اقتراح إثارة مسألة تحديد الحدود بين الطرفين مرة أخرى، فكان إصرار بريطانيا أن تكون الضالع إحدى النواحي التسع تحت نفوذها⁽³⁾. وهكذا لم تكن مناطق النفوذ البريطاني التركي ثابتة ومحددة منذ عودة الاحتلال التركي لشمال اليمن في العام 1872م وحتى العام 1902م، ولذلك تم إجراء مفاوضات واتصالات بين الطرفين البريطاني والعثماني. وعلى العموم وافقت الدولة العثمانية في 20 نيسان 1905م على معظم مطالب بريطانيا التي امتدت بنفوذها إلى يافع العليا والعوالق العليا وبيحان وهذه لم تكن ضمن النواحي التسع المقررة في العام 1873م⁽⁴⁾.

(1) هي: العبدلي، الفضلي، العولقي دثينة والعوائل كانت تتوزع بين العولقي والفضلي)، والياضي، والحوشي، والأميري الضالع)، والعلوي، والعقربي ثم الصيحي. للمزيد ينظر: آر. جي. جافين، التدخل التركي وبداية الحماية، مجلة التراث، المجلد الأول، العدد الأول مارس 1977م، ص 33 - 343، عكاشة، محمد عبدالكريم، قيام السلطنة القيعية، مرجع سابق، ص 243، ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن 1839 - 1967م، دار العودة، بيروت، ط 1، 1985م، ص 31. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، ص 276.

(2) حسين، ياسين محمد، "الصراعات السياسية الدولية والمحلية في الجنوب اليمني 1869 - 1918م، مرجع سابق، ص 245.

(3) حسين، ياسين محمد، "الصراعات السياسية الدولية والمحلية في الجنوب اليمني 1869 - 1918م، مرجع سابق، ص 256.

(4) يقول المستر رايللي ظل تعريف المحميات التسع) متداولاً رغم أن مجموع القبائل التي أصبحت لها علاقات تعاهدية مع بريطانيا في الجنوب قد زادت عن القبائل التسع الأصلية. للمزيد ينظر Relly, Sir, Aden and the Yemen, Her Majestzs Staionary office, London, 960. pp 16.

2- 1 - النزاع البريطاني العثماني وتسوية الحدود 1902 - 1918م:

لقد أسفرت الحوارات والمشاورات بين السلطات العثمانية في شمال اليمن والسلطات البريطانية في الجنوب اليمني إلى الاتفاق بين الطرفين على تحديد الحدود بين المنطقتين، وذلك بواسطة لجنة أنجلوت - عثمانية منذ العام 1901م، وتقابل مبعوثو الحدود من الجانبين في العام 1902م في مدينة (قعطبة) الحدودية، وفي 18 أكتوبر 1903م وقعت أول اتفاقية للحدود بين الشطرين الشمالي والجنوبي من اليمن، وقد مثل بريطانيا في الاجتماع الذي عقد في (قعطبة) الكولونيل (اوهب) ومثل الأمير لاى مصطفى رمزي بك، الدولة العثمانية. كما وقعت عدة برتكولات خاصة بالحدود أيضاً في عامي 1904 و 1905م على التوالي. تم التصديق على اتفاقية الحدود في 9 مارس 1914م، وتبذلت تصديقات هذه المعاهدة في لندن في 3 يونيو 1914م⁽¹⁾، وقد مثل بريطانيا في معاهدة لندن: السير أدور دغراى وزير الخارجية البريطانية - ووزير الخارجية العثمانية إبراهيم حقي باشا الصدر الأعظم⁽²⁾، وجاء في المادة الأولى من معاهدة 1914م، مايلي: أن الفريقين المتعاقدين يثبتان ويبرمان البروتوكولات التي وقعها المفوضون العثمانيون والبريطانيون في 1903 و 1904 و 1905م. وفي المادة الثانية، يصرح إمبراطور العثمانيين، بأنه لايسعى بأي وجه من الوجوه لضم الأراضي التي تبلغ مساحتها نحو 550 ميلا مربعا انجليزيا والملاصقة لجبل نعمان - حصن مراد، الواقعة ضمن مقاطعة الصبيحة القديمة⁽³⁾. أما المادة الثالثة، فقد أشارت إلى نقاط الحدود ما بين شواطئ البحر الأحمر في الغرب إلى مايبعد قليلاً عن مدينة قعطبة اليمنية، على أساس أعمال لجنة الحدود الانجلو - عثمانية ما بين عامي (1903 - 1904م)،

(1) F. O. 371/20768: E. 723: 91. NO. 14411. This Document is the Propety of His Britannic Majesty's Government ينظر أيضاً: طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية 1798 - 1963م، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، ص210.

(2) اباطة، فاروق، الحكم العثماني في اليمن 1872 - 1918م) القاهرة، ط1، 1975م، ص339.

(3) النص، عزة، الوطن العربي - الاتجاه السياسي والملامح الاقتصادية، دمشق، ط1، 1959م، ص85 - 86.

ورسمت خارطة للحدود، وحددت الحدود العثمانية بخط مستقيم يمتد من أكمة (الشوب) متجهًا إلى الشمال الشرقي نحو الصحراء الربع الخالي بانحراف 45 درجة. وهذا الخط يلتقي في الربع الخالي على الخط الموازي لدرجة 20 من الخط المستقيم المتجه مباشرة نحو الجنوب والمبتدئ من نقطة واقعة على الشاطئ من خليج عجير فاصلاً الأراضي العثمانية من سنجق نجد وأرض قطر، وعلى وفق المادة الثانية من الاتفاقية الإنجليزية العثمانية الخاصة بالخليج "العربي" والمناطق المجاورة له المؤرخة في 29 يوليو 1913م، أما المادة الرابعة فتخلت الدولة العثمانية عن كل مالها من حقوق ومطالب في حضرموت⁽¹⁾. والخطين الفاصلين على الخريطة بين اليمن ومحمية عدن⁽²⁾، ومع أن هذه الاتفاقية قد أقرت تسوية مشكلة الحدود بين الدولة العثمانية والبريطانية، إلا أن العثمانيين ظلوا متمسكين بالسيادة على الجزيرة العربية بأكملها، وإن كانوا يعترفون بخضوع عدن والمناطق المجاورة لها للحماية البريطانية⁽³⁾. وهكذا ما أن تم توقيع تسوية الحدود بين البريطانيين والعثمانيين في اليمن انطلقت شرارات الحرب العالمية الأولى في أوروبا بين دول الحلفاء ودول المحور في الأول من أغسطس من العام 1914م وظلت بظلالها على اليمن وحاولت الدول المتصارعة كسب الزعماء العرب إلى جانبها في الحرب إذ كان كل من هذه الأطراف كما نعلم له نفوذه داخل الجزيرة العربية ولاسيما اليمن، وهنا نجد الإمام يحيى بن حميد الدين يرفض طلبنا من الإنجليز بالوقوف إلى جانبهم ضد الأتراك لضمان استقلال بلاده الذي وقف في التزامه بالحياد من هذه الحرب، مع أن الإمام حارب الأتراك سنين عديدة بهدف إخراجهم من بلاده⁽⁴⁾، وأيضاً رفض دخول الحرب إلى جانب الأتراك

(1) أباطة، فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839 - 1918م، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط، 1976م، ص 555. البار، محمدعلي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 208.

(2) للمزيد ينظر: الخريطة المرفقة في الملحق، ص 44.

(3) Marston Thomas, E.; Ibid. p. 450.

(4) Jacob, H: King of Arabia, London, 1923, pp. 154 - 159، أباطة، فاروق عثمان، الحكم

العثماني في اليمن، مرجع سابق، ص 359 - 360.

ضد الإنجليز، رغم أن العثمانيين حاولوا إرضاءه بأن يخلوا له صنعاء وضواحيها وأن ينقلوا مركزهم إلى تعز في جنوب اليمن⁽¹⁾. لقد كان بإمكان الإمام استغلال الفرصة في أثناء الحرب للتخلص من الأتراك ولكنه لم يفعل ذلك ولم يناصر البريطانيين العداء صراحة⁽²⁾. ويشير بعض المؤرخين إلى موقف الإمام المحايد ربما يعود إلى خوفه من الدخول في حرب مع الأتراك، ... وأن ينتهز خصمه الإدريسي الفرصة ويتوسع على حساب نفوذه، كما أنه كان يخشى مناصبة بريطانيا العداء الأمر الذي قد يترتب عليه ضياع باقي أراضي اليمن كما ضاعت المحميات، لذلك فقد رأى أن من مصلحته انتظار ما قد تتمخض عنه الحرب⁽³⁾، وإذا كان الإمام لم يظهر انحيازه إلى أي من الفريقين المتنازعين (دول الوسط - ومعسكر الحلفاء) إلا أنه لم يستطع إخفاء ميوله وشعوره وتضامنه الديني بالميل إلى العثمانيين فأمن سعيد باشا القائد العثماني في شمال اليمن أن يتخذ من بلاده نقطة انطلاق للهجوم على المراكز البريطانية في محميات عدن⁽⁴⁾، كما قدم للقوات العثمانية في بلاده ما تحتاج إليه من مواد غذائية، وكذلك قدم لهم القروض المالية حين انقطع وصول رواتبهم من دولتهم⁽⁵⁾ وفي 5 يونيو 1915م استطاع الأتراك جمع بضعة آلاف من اليمن الأسفل، وهاجموا لحج واحتلوها⁽⁶⁾، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على عدن على الرغم من وصولهم إلى مشارف

(1) Jacob, H: King of Arabia, pCit, pp159.

(2) منسي، محمود صالح، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، القاهرة، ط1، 1978م، ص250 وما بعدها.

(3) منسي، محمود صالح، حركة اليقظة العربية، مرجع سابق، ص250 - 254.

(4) العقاد، صلاح، المشرق العربي المعاصر، القاهرة الطبعة الأولى 1983م، ص521.

(5) يحيى، جلال، العالم العربي الحديث" المشرق العربي في المدة الواقعة بين الحربين العالميتين، القاهرة، الطبعة الأولى 1965م، ص84.

(6) يعلل جاكوب في كتابه - ملوك الجزيرة العربية - احتلال الأتراك للحج قائلًا: إن السلطان علي بن أحمد ذهب ضحية جمودنا) وذلك أن حكومة عدن لم تهتم باستعادة ماسحب من جيش عدن إلى الصومال، وكان المفروض أن يأتي المدد قبل نزول الأتراك إلى ماوية. للمزيد ينظر: البار، محمد على، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص223، وشهاب، حسن صالح، العبادل سلاطين لحج وعدن، مركز الشرعي، صنعاء، ط1، 1999م، ص78.

الشيخ عثمان، نظرا لاستماتة القوات البريطانية في التصدي لهم⁽¹⁾، وفي الوقت الذي كانت تجرى فيه المعارك على الساحة الجنوبية بين الإنجليز والأتراك، كانت بريطانيا تسعى جاهدة إلى استمالة الإمام يحيى إلى جانبها عبر المقدم (جاكوب H. Gacob)، ومساعد الحاكم البريطاني في عدن⁽²⁾، ولكنه رفض أي تحالف مؤكد موقفه الثابت على الحياد⁽³⁾. وفي 20 يوليو 1915م تمكن الإنجليز من طرد الأتراك من منطقة الشيخ عثمان بعد وصول امدادات عسكرية لهم من مصر، إلا أنهم لم يتمكنوا من إخراجهم من سلطنة لحج⁽⁴⁾، ولقد ندمت بريطانيا على رفضها إقامة سكة الحديد؛ لأن قوات تركيا دخلت إلى لحج، وعندما أرسلت حكومة عدن قوات من الشيخ عثمان واجهت الحملة صعوبات شديدة ومات بعض الجنود من شدة الحر، وتاه بعضهم في الصحراء، وحنبت بعض الآليات فيها⁽⁵⁾. وفي نهاية العام 1918م تمكنت جيوش الحلفاء بريطانيا وفرنسا من الدخول إلى الاستانة عاصمة الدولة العثمانية مما اضطر السلطان محمد رشاد، لإصدار أوامره إلى القوات التركية في البلاد العربية بالاستسلام والرحيل بواسطة بواخر النقل البريطانية⁽⁶⁾. وفي 31 أكتوبر 1918م، وقع المندوب التركي مع المندوب البريطاني هدنة لوقف الحرب، وقد عرفت باتفاقية (مودروس Mudrus) في 30 أكتوبر 1918م وقد جاءت هذه الاتفاقية بعد هزيمة الدولة العثمانية ودول الوسط وخولت الهدنة للجيش الحليفة دخول الأجزاء التي لم تكن محتلة حتى ذلك الوقت

(1) المحامي، محمود كامل، الدولة العربية الكبرى، دار المعارف، القاهرة ط1، دت)، ص453.

(2) ماركو، اريك، اليمن والغرب منذ عام 1571 - 1962م، ترجمة. د. حسين عبدالله العمري، لندن، ط1، 1978م، ص96.

(3) ماركو، اليمن والغرب، المرجع السابق، ص97.

(4) الريحاني، أمين، ملوك العرب، بيروت، ط8، 1987م، ص427.

(5) أن التفكير في مشروع السكة الحديدية عدن - لحج) بدأ في العام 1905 ولكنه لم ينفذ إلا عام 1916م، يبدأ الخط الحديدي من المعلا إلى الشيخ عثمان ومنها إلى الحوطة لحج). وكان الاستعمال أساساً لنقل الجنود البريطانيين من عدن إلى الشيخ عثمان ثم لحج لمواجهة الأتراك هناك. للمزيد ينظر، البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص184 - 185.

(6) أباطه، فاروق عثمان، سياسة بريطانيا في عسير - في أثناء الحرب العالمية الأولى، دار المعارف - القاهرة. د. ت. ص101 - 102.

من تركيا⁽¹⁾، وكلفت بريطانيا، بالإشراف على عملية انسحاب القوات العثمانية من اليمن والحجاز، وفي ضوء ذلك قام الحاكم البريطاني في عدن في 5 نوفمبر 1918م بابلاغ الوالي العثماني بصنعاء محمد نديم، وقائد القوات المرابطة بلحج علي سعيد باشا بنسخ من هذا الاتفاق⁽²⁾.

وقد انتهز البريطانيون فرصة تردد الاتراك في الاستسلام في اليمن، فهاجموا على الحديدية والميناء واحتلوها، وادعوا أن قواتهم دخلت الحديدية للمحافظة على الأمن والنظام، وأنهم سيعيدونها للإمام يحيى عقب انسحاب الاتراك واستقرار الموقف ولكن حصل العكس إذ قاموا بتسليم الحديدية واللحية لحليفهم الإدريسي خصم الإمام اللدود في 31 يناير 1921م⁽³⁾ بعد ضرب المدينة بالمدفعية وتخريبها وتشريد أهلها⁽⁴⁾. وهكذا مكنت بريطانيا الإدريسي أن يستولي على الحديدية واللحية وميدي وغيرها، وجعلت ذلك ورقة لتساوم الإمام يحيى بها الذي احتل الضالع والشعيب والأجعود في أعقاب تسليم بريطانيا الحديدية للإدريسي، ولم يغادرها إلا بعد ما استعملت بريطانيا سلاح الجو وضرب المناطق التي سيطر عليها في الأعوام 1926 - 1928م⁽⁵⁾.

المحور الثاني: الصراع اليمني البريطاني على الحدود 1918 - 1934م؛

بعد تسليم الاتراك السلطة للإمام يحيى بن حميد الدين ودخوله صنعاء في 1918م وتسلم قصر الحكم - قصر غمدان - ومافيه من سلاح ومعدات⁽⁶⁾، ثم قام الوالي

(1) لتشوفسكي، جورج، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر خياط، دار المتنبى - القاهرة الطبعة الأولى 1964م، ص 120

(2) البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 244 - 245. والأشول، ناجي علي، الجيش والحركة الوطنية في اليمن 1919 - 1969م، صنعاء، ط1، 1986م، ص 79 - 80.

(3) أباطة، فاروق عثمان، العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين، مرجع سابق، ص 65.

(4) Rihani, Ameen: Arabian Peak and Desert - Travels in Yemen, London, 1930, P. 229

(5) البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 200. الغزالي، عبدالله صالح، قبائل ردفان الاجعود) مرجع سابق، ص 240.

(6) الجرافي، عبدالله عبدالكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، بيروت، الطبعة الثانية 1984م، ص 237 - 238.

العثماني بإرسال برقية إليّ والي عدن عن طريق القائد التركي علي سعيد باشا، مفادها أن أمر شمال اليمن أصبح بيد حضرة الإمام يحيى، غير أن بريطانيا حاولت عدم الاعتراف بسلطة الإمام يحيى على شمال اليمن على أساس أنه لم يكن طرفاً في الحرب، وأن قبول العثمانيين لشروط الهدنة أمر فرضته قوانين الحرب التي تدعمها القوة العسكرية. أما علي سعيد باشا، قائد القوات التركية في لحج، فقد توجه إلى عدن، وسلم نفسه للسلطات البريطانية بعد أن سلم الأراضي الواقعة تحت سيطرته للإمام يحيى⁽¹⁾، ولكن بريطانيا قامت بمهاجمة المملكة المتوكلية اليمنية على إثر تعنت الإمام في تسليم لحج واحتلال الحديدية واللحية، والضالع وغيرها من المناطق التي كانت تحت سيطرة الحكم الإمامي⁽²⁾. وعلى إثر ذلك سلمت الحديدية للإدريسي، فبادر بالرد عليها بأن أصدر أمره إلى جيش اليمن، بالزحف نحو عدن، فزحفت تلك القوات واستولت على أربع مقاطعات هي: الضالع والشعيب، والاجعود، والقطيب⁽³⁾ وفي العام 1921م عقد مؤتمر خبراء الشرق الأوسط في القاهرة، ورأى المؤتمر الاعتراف بسلطة الإمام يحيى على المحميات حتى حدود سلطنة لحج، لكن المقيم السياسي البريطاني في عدن، عارض ذلك المقترح⁽⁴⁾، وفي شهر مارس 1925م استطاع الإمام من استعادة مدينة الحديدية واللحية وبعض مدن تهامة والموانئ اليمنية بعد أن تخلى

(1) المحامي، محمود كمال، اليمن شماله وجنوبه، بيروت، الطبعة الأولى 1968م، ص 251، وزايد، محمد سعد الدين، المشكلات الحديثة في الشرق الأوسط، دار الكتاب العربي - القاهرة، ط 1955م، ص 57 - 58، العبدلي، أحمد فضل، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى، ص 252 وما بعدها.

(2) الأشول، ناجي علي، الجيش والحركة الوطنية في اليمن، مرجع سابق، ص 80 - 81. الوزير، زيد بن علي، محاولة فهم المشكلة اليمنية، بيروت، د ت، ط 65، عبد الحميد، محمد كمال، الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية، القاهرة، ب ط، ت ص 14 - 15.

(3) الواسعي، عبدالواسع بن يحيى، تاريخ اليمن، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، القاهرة، ط 1، 1947م، ص 263 وما بعدها.

(4) ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن، مرجع سابق، ص 88، البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 200، أباطة، فاروق عثمان، العلاقات البريطانية اليمنية، مرجع سابق، ص 91.

البريطانيون عن الإدريسي في حروبه الشرسة مع الإمام يحيى، ووقفوا على الحياد⁽¹⁾. وفي العام 1928م عرض سلطان لحج وساطته بين بريطانيا واليمن لحل النزاع بينهما بالطرق السلمية، وبعد موافقة الإمام، وصل الجنرال (فوول) معاون حاكم عدن وسلطان لحج عبدالكريم فضل إلى تعز، وبعد جلسة مباحثات مع أمير تعز، علي بن الوزير، اتفقوا فيما بينهم على قبول هدنة لمدة أربعة أشهر من إبريل حتى يوليو من العام 1928م، يتم خلالها إجراء مباحثات للتوصل إلى حل نهائي للمشاكل بين البلدين بيد أن بريطانيا لم تحترم الهدنة، إذ غارت طائراتها على المدن اليمنية ولاسيما على منطقة (الضالع وقعطبة والنادره) يوم 20 من يونيو من العام نفسه. كما أرسلت بريطانيا جيشاً كبيراً بقيادة "الفتنان ريكارد" لمهاجمة الحاميات اليمنية في الضالع وعلى الحدود مع محمية عدن⁽²⁾. ومع هذه الضربات العسكرية القوية التي نكلت بقوات الإمام يحيى على دود المحميات الجنوبية أرسل الإمام يحيى، خطاباً للسلطات البريطانية في عدن، يطلب فيه فتح باب المفاوضات من جديد للتفاوض على الحدود فوافقت السلطات البريطانية على الطلب، وطلبت منه أن يبعث مندوباً من قبله إلى عدن للاجتماع مع المندوب البريطاني، لبحث وضع شروط اتفاق مبدئي، وبالفعل أرسل الإمام وفداً إلى عدن لهذا الغرض، وبعد عدة جلسات انتهت هذه المفاوضات في أكتوبر من العام 1931م، إلى اقتراح يدعو إلى الاعتراف بالاستقلال التام لليمن، على أن ينفذ الإمام الشروط الآتية لإبرام أي اتفاق، هي:

- 1 - الافراج عن جميع الرهائن من القبائل العوذلي وأبناء المحميات الأخرى.
- 2 - إلغاء القوانين التي تحرم التعامل التجاري والمصالح الأخرى بين اليمن وعدن.
- 3 - الجلاء التام عن كل إقليم محمية عدن⁽³⁾. وفي 28 نوفمبر 1928م صرح "اللورد

(1) الحداد، محمد يحيى، تاريخ اليمن السياسي، دار الهلال، القاهرة، ط1966م، ص374 وما بعدها، والبار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق، ص203.

(2) عثمان، عبدالحميد، المطامع البريطانية في جنوب الجزيرة العربية، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة غير منشورة) ص52 - 53.

(3) للمزيد ينظر: مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد21، 1980م، ص136 - 138.

أوتسلو" بيان في مجلس العموم البريطاني عن الحالة عن الحدود، فقال: منذ صار البحث أخيراً في هذه المسألة حتى الآن أسفرت المساعي التي بذلت للوصول إلى تسوية مع الإمام يحيى عن نجاح عظيم وقد جعلت قاعدة المفاوضات معه على أن تعترف الحكومة البريطانية باستقلال اليمن استقلالاً تاماً. وأن أي اتفاق يبرم يجب أن يتضمن مادة تعيين حدود اليمن بلاد الإمام. وقد خول المعتمد السياسي في عدن، سلطة تامة للمفاوضة معه. وفي حالة سحب الإمام لقواته إلى ما وراء الحدود التي كانت الحد الفاصل بين عدن والأراضي العثمانية. وتسنى الاعتراف بذلك الحد، لكي يصبح في الإمكان معالجة المسائل الأخرى بين بريطانيا واليمن. وفي العام 1931م قامت قوات الإمام باحتلال بعض القرى في بيحان، إلا أن سلاح الجو الملكي البريطاني قام بإسقاط منشورات على المدن والقرى اليمنية المحاذية لإمارة بيحان حذر فيها الإمام باستعمال سلاح الجو البريطاني إذا لم يسحب قواته من أراضي المحمية. وازاء التهديد البريطاني اضطر الإمام يحيى إلى سحب قواته من المحميات الغربية. وهكذا بعد مفاوضات ومناوشات على الحدود بين الإمامة والبريطانيين دامت قرابة 16 سنة، توج بعقد معاهدة الصداقة والتعاون بين اليمن وبريطانيا في 11 فبراير 1934م. اعترفت حكومة بريطانيا بموجب المادة الأولى، باستقلال ملك اليمن الإمام يحيى ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً. ونصت المادة الثانية، على وجوب أن يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاقدين، وبالمحافظة على حسن العلاقة بينهما. أما المادة الثالثة وهي من أهم ما احتوته المعاهدة التي تدخل في صلب بحثنا هذا. فقد أشارت نصاً إلى تأجيل البت في مسألة حدود اليمن الجنوبية إلى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة المعاهدة وهي أربعون عاماً⁽¹⁾.

1 - 2 - الصراع اليمني البريطاني على شبوة 1934 - 1937م؛

سبق وأن أشرنا أن معاهدة 1934م أجلت البت في مسألة الحدود بين اليمن والمحميات الغربية والشرقية بل أجلتها إلى أربعين عاماً وهذا أسلوب من أساليب

(1) للمزيد ينظر: معاهدة 1934م اليمنية البريطانية في كتاب، العظم، نزيه مؤيد، رحلة في بلاد العربية السعيدة، ج1، ب، ت، ط) ص 212 - 214.

المستعمر البريطاني وضع المفخخات وحقوق الألقام والمشاكل عالقة وهكذا ظلت مشكلة الحدود عالقة لم تحسم بعد وغير محددة تمام في عهد الحكم العثماني، ولم تتعرض لها معاهدة 1934م، فقد ظلت دائما نقطة حساسة في العلاقات (اليمنية - البريطانية)⁽¹⁾، بالرغم من أن العلاقات بينهما قد تحسنت بعد توقيع معاهدة صنعاء في العام 1934م، إلا أنها سرعان ماتدهورت في العام 1937م، عندما بدأت السلطات البريطانية، تتدخل في شؤون شبوة⁽²⁾ والعبر الصحراوية؛ ولأن قبائلها ماعادت تخضع لأية سلطة وأن تدفع شيئا من الضرائب و(الزكاة) أو تقديم الولاء والطاعة لأية سلطة بسبب فقر المنطقة، وظل الوضع هكذا حتى العام 1937م، حينما بدأ الانجليز يتدخلون في شؤون شبوة مع ظهور الاستكشافات النفطية والثروات المعدنية ومع باقي المناطق التي حولها، في محاولة لكسب ولاء القبائل هناك وفي مقدمتها قبيلتنا (الصيعر والكرب) عن طريق الترغيب بتقديم الأموال والهدايا، في سبيل اقناعهما بالدخول في معاهدات حماية مع الحكومة البريطانية⁽³⁾ في 6 مارس من العام 1937م واستطاعت بريطانيا من عقد اتفاقية حماية مع قسم من قبائل الصيعر - صيعر الريدة - عندما توسط شريف بيحان، عوض بن أحمد وشقيقة حسين، لدى رؤساء القبيلة بالاتفاق مع الإنجليز وعقد اجتماع بين رؤساء القبائل وممثل الحكومة البريطانية الكابتن (هاميلتون) وفي هذا الاجتماع تم عقد اتفاق بين الفريقين في مدينة شبوة، قبل رؤساء القبائل بموجبه الدخول في طاعة

(1) فخري، أحمد، اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ط1، 1957م، ص 173 - 174.

(2) تقع منطقة شبوة في شرق اليمن بين حضرموت والمملكة المتوكلية اليمنية - كما كانت تسمى سابقا قبل قيام الجمهورية العربية اليمنية في العام 1962م، وتبعد عن مدينة مأرب اليمنية حوالي 80 كيلومترا، و60 كيلو مترا عن مدينة صنعاء، وتقع تحديدا في الشمال الشرقي لصحراء الربع الخالي تحدها إمارة بيحان من جهة الجنوب. للمزيد ينظر: الثور، عبدالله أحمد، هذه هي اليمن، الأرض والانسان والتاريخ، بيروت، ط1، 1979م، ص 489 - 490، اليمن مجموعة 49 كتب سياسية، دار القاهرة للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة الأولى 1958م، ص 45.

(3) عبدالحמיד، محمد كمال، الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، ط، ب ت)، ص 91 - 92، وشرف الدين، أحمد، اليمن عبر التاريخ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى 1، 1964م، ص 47.

السلطة البريطانية في عدن. مقابل تعهد السلطة البريطانية بتقديم المساعدات المالية والحماية لهم. وقد احتجت الحكومة اليمنية ضد بريطانيا. بسبب تدخلها في شؤون قبائل شبوة، وعدت هذا التصرف، انتهاكاً لمعاهدة 1934م⁽¹⁾. إذ نصت المادة الثالثة من معاهدة صنعاء، على المحافظة على الوضع الخاص بالحدود من قبل الطرفين، أو من قبل رعاياهم بعدم الاعتداء على المناطق أو الأفراد الواقعين على الحدود، وعلى حد تعبير (الوثيقة) أن المعاهدة تطابق تقريباً المعاهدة (البريطانية - العثمانية)، بالرغم من عدم وجود إشارة إلى الحدود (البريطانية - العثمانية) في المعاهدة، وكان ترك الحدود غير محددة من الأسباب التي أدت إلى النزاع الإمامي البريطاني بشأن منطقة (شبوة) التي لم تكن خاضعة للطرفين المتنازعين عند إبرام معاهدة 1934م. وعلى حد زعم الوثيقة البريطانية المنشورة لاحقاً رفض الإمام يحيى، تحديد الحدود بواسطة أعمدة الحدود؛ لأنه شعر بأن هذا التحديد سيعطي هذه الحدود مظهر الدوام، وهو الأمر الذي لا يرغب حدوثه. وقد تنبأ المسؤولون من البلدين بحدوث مثل هذه النزعات في أثناء مفاوضات معاهدة صنعاء، وبعد توقيعها، وهو مادعاهم إلى تشكيل لجنة من ضباط البلدين للعمل على كل جانب من الحدود، للمحافظة على الأمن وإزالة أسباب الاحتكاكات والنزاعات بين القبائل على الحدود الملتهبة، وقد قامت اللجنة بعملها لمدة من الزمن، ولكن المراقبة لم تكن جيدة، وتدرجياً انتهت هذه المراقبة ولم تعد فاعلة⁽²⁾. ونتيجة لعدم الوضوح في اتفاقية صنعاء حول الحدود فقد اختلف كل طرف حول المصطلحين الواردين في معاهدة صنعاء وهما: بقاء الوضع الراهن في الحدود، ومسألة الحدود اليمنية. فقد كان مفهوم الأئمة أن الأوضاع داخل الجزء الجنوبي من اليمن كله يجب أن لا تتغير خلال مدة الاتفاقية (40 عام) بينما أصر البريطانيون على أن بقاء الوضع الراهن يتعلق فقط بالحد الفاصل بين اليمن المستقلة وبين المحميات فالنص العربي للاتفاقية يتكلم صراحة عن الحدود، بينما تكلم النص الإنجليزي عن

(1) جريدة المقطم - العدد 15064، 9 مارس 1938م، ص 1.

(2) F. O. 371/74975. Note on the Aden Protcorate Yemeni frontier, Ist October, 1949

الحد، وبحسب الاتفاق فالنص العربي هو الملزم للطرفين في الرجوع إليه عندما يكون هناك اختلاف بين الطرفين⁽¹⁾. وقد أدت هذه الصياغة الغامضة الى أن يقوم كل من الطرفين بتفسير تلك المادة كما يهوى، ثم يبنى فيما بعد مواقفه وسياساته على هذ التفسير ولتبقى هذه المنطقة ملتبهة للصراع والنزاع بعد رحيل المستعمر البريطاني.

ومن الفتن البريطانية سياسة فرق تسد أنه حاول الضابط السياسي البريطاني (هاميلتون) بمساعدة شريف بيحان في العام 1937م من محاولة ضم منطقة شبوة وملحقاتها إلى إدارة بيحان. وغادر الكبتن "سيجر" إلى صنعاء، عقب عودة هاميلتون إلى عدن، في محاولة لاقتناع حكومة الإمام يحيى، بشرعية ماجرى، وحثها على الاعتراف بالأمر الواقع؛ لأن قبائل المنطقة على حد زعمه، وافقت برضاها واختيارها على قبول الحماية البريطانية⁽²⁾. ولكن الإمام رفض الاعتراف بما قام به الضابط السياسي (هاميلتون Hamilton) وعدّ ذلك نقضا لمعاهدة صنعاء، وبعث إمام اليمن، بهذا الشأن برسالة إلى حاكم عدن "المسترايلى Sir,Relly" في 7 يونيو 1937م ضمنها احتجاجه الشديد على التدخل البريطاني في شؤون شبوة وقبائلها. وقال: نحن نثق تماما أنكم قادرون على وضع تسوية نهائية للنزاع بين القبائل القاطنة على أطراف الحدود. وحث حاكم عدن على التعاون معه لوضع الحل العادل للنزاع بين رجال القبائل، ونبذ تلك الأعمال والأفعال التي يقوم بها بعض من الضباط الإنجليز لإثارة الفتنة والاقتيال⁽³⁾. ورد حاكم عدن على رسالة الإمام، في 6 يوليو من العام 1937م قال فيها: (لاشك أن اقتراح جلالتم، بكيفية حل مشاكل ومنازعات القبائل يتطلب التعاون منا جميعا، وهو اقتراح موفق تماما، ولكن حل تلك المنازعات يحتاج إلى دراسة طويلة ومع هذا (إن شاء الله) نستطيع حل هذه المسائل في غضون المدة القادمة بما يرضي الجانبين. أما بشأن شبوة. وما اقتبسته جلالتم من الفقرة (3) من معاهدة صنعاء، فإنه يبدو فيه

(1) F. O. 93/133/1. Treaty of friendship and Mutual co-operation 11ht February, 1934

(2) جريد المقطم، العدد144، 1514، 8 يونيو 1937م، ص4، وطوخل، خالد عبدالله، العواقب، مرجع سابق، ص252 - 253.

(3) F. O. 371/20768. 7 th June, 1937, pp. 98 - 99

بعض الالتباس، إذ أن شبوة كانت دائماً تابعة لنا، فهي تقع ضمن نفوذ قبائل العولقي، علاوة على ذلك فهي تقع في غرب جنوب وشرق سلطنة العوالق التي تربطنا معها علاقات معاهدة حماية، رد على ذلك أن شبوة ترتبط بعلاقات وثيقة مع قبائل العولقي منذ وقت طويل، وهي تقع في الجانب البريطاني منذ المحادثات الإنجليزية - التركية الخاصة بالحدود بين عامي 1903م و1905م، التي وقعت في العام 1914م⁽¹⁾، وقد نفي الإمام يحيى، في رسالته التي بعثها إلى حاكم عدن في الأول من أغسطس، أن تكون شبوة مرتبطة بعلاقات مع قبائل العوالق، لا في الأزمنة السابقة ولا في الأزمنة اللاحقة وذهب إلى أن اصرار بريطانيا، على مد قبضتها على تلك المناطق، إنما سيؤدي بالتأكيد إلى القضاء على العلاقات التي تم توطيدها بين البلدين في معاهدة 1934م. وقال: (بصراحة أن هذه الظاهرة الجديدة في سياسة بريطانيا، قد ألهبت مشاعر اليمنيين، وسببت الإحساس بالإخفاق والاحباط فيما يتعلق بالعلاقات بين البلدين. وأنتم تعلمون أن البند الثالث بكل وضوح لا يسمح بأي تغيير أو تبديل في الوضع الذي كان عند توقيع المعاهدة. وكان دخول الحاج (عبدالله فيليبي أو سانت جون فيليبي)، إلى منطقة شبوة في بداية هذا العام، بصورة غير شرعية، قد أدى إلى احداث بلبلة في عقول الساسة الإنجليز، بسبب دعوته بريطانيا إلى التمسك بمنطقة شبوة، وهي دعوة لا يقوم بها (شخص عاقل) ويجب على الحكومة البريطانية عدم الإقدام على شيء ليس لها فيه حق. ولا نعتقد أن ما قيل أن بعض قبائل شبوة طلبت الانضمام إلى سلطنة العوالق سبباً يجعل بريطانيا تمد سيطرتها إلى تلك الحدود التي نعتها جزءاً وقطعة من جسم اليمن. وأنتم تعلمون أن المفاوضات قد استمرت عشرين عاماً تقريباً بين حكومتك العظمى وبيننا، ولذلك لاننا لم نقبل الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بين الحكومة العثمانية المغتصبة والبايدة وبين الحكومة البريطانية وقد تجنبنا الإشارة إلى تلك الاتفاقيات والمعاهدات في معاهدة صنعاء.

(1) F. O. 371/20768. No. 923. 6 th July. 1937. pp333 - 334

وعلى هذا الشرح نرجو إصدار أوامركم إلى قواتكم بالانسحاب من خطوط الحدود، وإزالة جميع الشكوك، وأسباب التوتر، بما يتفق وبنود معاهدة صنعاء⁽¹⁾، وفي 1 مارس قام نجل الإمام يحيى، سيف الإسلام الحسين، بأول زيارة له للعاصمة البريطانية - لندن، وللمشاركة في تتويج الملك جورج السادس، على عرش بريطانيا. وكان يحمل معه رسالة من والده، وهدية أثرية لملك بريطانيا، هي عبارة عن رأس إنسان من النحاس. وقابل خلال الزيارة تلك الملك جورج، حيث سلمه رسالة والده الإمام يحيى، وقدم باسم ملك اليمن والشعب اليمني التهاني بمناسبة التتويج⁽²⁾. وقد أجرى الأمير مباحثات مع وزير خارجية بريطانيا، المستر أنتون ايدن، تركزت على بحث العلاقات بين اليمن وبريطانيا، والتصرفات البريطانية في المقاطعات الجنوبية، وأكد الأمير أن البند الثالث من المعاهدة المعقودة بين البلدين، ينص على المحافظة الكاملة على الموقف الذي كان عليه عند توقيع المعاهدة في جميع المناطق المجاورة للحدود. وأن بريطانيا كانت على علم عند توقيع معاهدة 1934م من أن ملك اليمن لن يتخلى أبداً عن مطالبه الخاصة بالمناطق المعنية في مناطق شبوة وحضرموت أو في المناطق التسع - المحميات الغربية لمستعمرة عدن - وفي ضوء ذلك يجب على الحكومة البريطانية الالتزام بالمحافظة على الوضع الذي كان عليه دون إجراء تغيير، وكان رد الوزير البريطاني على اتهام الإمام لبلاده قائلاً: (إن الغرض الرئيس للمعاهدة هو تحديد الحدود بين الإدارات البريطانية والإدارات اليمنية، وليس لدى بريطانيا أي نية لمد نفوذها فيما وراء خط الحدود، ولكن لبريطانيا مطلق الحرية لعمل ما تراه ملائماً على جانب خط الحدود)⁽³⁾. وانتهى الاجتماع بينهما بالاتفاق على بحث المشكلة في اجتماع قادم.

(1) F. O. 371/20768. 1 st Augut,1937,pp335 – 337

(2) F. O. 371/20783. E 2859/2402/91. 26th May,1937,p. 212

(3) للمزيد ينظر وثيقة: F. O. 20768. E5892. Ang10 – Yemeni relations, 9 th. october,

1937,pp. 346 – 350

وفي أثناء وجود الأمير الحسين في لندن في العام 1937م، بعث أحد سفراء العرب لدى بريطانيا، ويدعى "أ. ف الرفاعي، برسالة إلى وكيل وزارة الخارجية البريطانية. نصح فيها الحكومة البريطانية، بضرورة تحسين وتقوية علاقاتها مع اليمن، التي وصفها بأنها بلد غنية بثرواتها المعدنية والزراعية والحيوانية. وأن امتياز اليمن بهذه الثروات على حد تعبيره ستيح لبريطانيا، عقد صفقات تجارية، واتفاقيات خاصة بالبحث عن الثروات المعدنية ومنها البترول، واستغلالها لتعود بالفائدة على البلدين والشعبين، بالإضافة إلى موقع اليمن الممتاز على البحر الأحمر. وقال ان هناك بلداناً كثيرة تحاول كسب صداقة اليمن، مثل إيطاليا وفرنسا واليابان وغيرها وأنه يجب على الحكومة البريطانية أن تعرف أن الشعب اليمني، شعب محافظ للغاية وحذر جداً من الأجانب خوفاً على استقلال بلاده. وختم رسالته قائلاً: (يجب أن تعدّ هذه الرسالة سرية للغاية، فكل منا يريد أن يفعل في الواقع أي شيء. ويجب أن نكون أذكياء على الأقل مثل الإيطاليين واليابانيين. ويجب أن أعترف بأن (علي ماهر باشا) يتصرف بذلك في علاقاته بالعرب)⁽¹⁾. من فحوى تلك الرسالة، نستطيع أن نستنتج، أن هذا الرجل كان يعمل لصالح الحكومة البريطانية لا لصالح الإمامة في شمال اليمن، أيضاً هناك كثرة من الجواسيس والمخبرين الذين تؤهلهم بريطانيا للجاسوسية لصالحها ولصالح مشاريعها الاستعمارية في المنطقة العربية ولاسيما اليمن وعملت لهم مدرسة خاصة في لبنان باسم (مدرسة شمالان)⁽²⁾ وظهر الكثير من الجواسيس والاستخبارات عمل وهذا عمل أمني سري والذي كان يدفعهم هاجس الكتابة والتأليف وإلى

(1) F. O. 371/23186. Strictly confidential, 1st october, 1937. pp291 - 293 تشير الدلائل

إلى أن تلك الحروف الواردة في الوثيقة أن أ. ف. الرفاعي) هو أحمد فريد الرفاعي، وكان هذا الشخص يعمل وزيراً مفوضاً في وزارة الخارجية المصرية، وهذا الرجل قام بزيارة إلى شمال اليمن في شهر مايو 1950م، ومكث فيها حتى نهاية نوفمبر من العام نفسه، وأصدر كتاباً عن اليمن بعنوان "رحلتي إلى اليمن العربية السعيدة، مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة، يناير 1951م.

(2) للمزيد ينظر: ماكلوكلين، وكر للجواسيس "حكاية مدرسة شمالان" لندن، مؤسسة الهاني العالمية للكتب، ط1، 1994م، ص9 وما بعدها و"استطلاع مصور عن مدرسة الجواسيس في لبنان التي تخرج منها كل الجواسيس في البلاد العربية" مجلة آخر ساعة المصرية، الصادرة بتاريخ 15 مارس 1961م.

توظيف أجزاء من تقاريرهم الإستخباراتية في كتب ومذكرات⁽¹⁾. وبعث حاكم عدن (برنارد رايللي B. R. Reilly) بتقرير عن شبوة وقبائلها إلى حكومته فيقول: في أثناء مفاوضات معاهدة صنعاء، لم يظهر الإمام، أي اهتمام بشأن اقليم شبوة غير المأهول، ولم تمتد في الواقع سيطرته شرقاً وراء (حريب) الواقعة بالقرب من حدود بيحان. كذلك نحن لم يكن لنا أي اتصال مباشر بالقبائل التي تسكن في تلك المناطق الواقعة بمحاذاة الخط الذي يمتد شمال شرق الربع الخالي، ولم يكن لنا في ذلك الوقت أية سيطرة أو نفوذ على المنطقة الشمالية الشرقية مع أن تلك المناطق تقع داخل حدودنا الإقليمية وفي ضوء ذلك فإن تدخلنا في شبوة لا يعدّ انتهاكا للوضع الذي كان في العام 1934م. ويرجع حاكم عدن أسباب الموقف اليميني المتصلب من شبوة، إلى الدعم الإيطالي لملك اليمن، مادياً ومعنوياً. وبرغم هذا الموقف المتشدد فإنه يرى ضرورة إبلاغ ملك اليمن، بأن خط الحدود في العام 1914م مع الدولة العثمانية الذي تناول موضوع الحدود الجنوبية للمملكة اليمنية، لم يتأثر بالمعاهدة الإنجليزية - اليمنية لعام 1934م. وأن القبائل القاطنة داخل هذا الخط لها علاقات مع بعض الزعماء الذين تربطهم معاهدات حماية مع الحكومة البريطانية، مثل سلطان العوالق العليا، والسلطان القعيطي، وسلطان الكثيري، تعدّها حكومة بريطانيا، داخله ضمن هذه المعاهدات، لذلك فإن حكومة بريطانيا، تعدّ منطقة شبوة وما حولها داخلة في محمية

(1) ونذكر منهم على سبيل المثال من الجواسيس الرحالة الغربيون في عدن ومحمياتها، منهم الرحالة الألماني "البارون مالتزن، وأدولف فون فريدي والذي يعدّ من أوائل الأوربيين الذين قاموا باستكشاف المناطق الداخلية من حضرموت واليمن في العام 1870م، وايضا فان دن بيرخ، كتب عن حضرمون، وايمان بري الملقب ب عبدالله منصور) عن رحلته في نصاب وبيحان سنة 1901م يحتوي على معلومات جديدة وبالغة الأهمية عن تلك المناطق، والكنت لنديج الملقب ب عمر السويدي) الذي زرع في قبائل العوالق العليا. واللبناني أمين الريحاني الذي زار الجنوب في العام 1925م، ونجيب سعيد أبو عز الدين، ونزية العظم وآخرين، للمزيد ينظر: طوحل، خالد العوالق وتكوينهم السياسي الحديث، مرجع سابق، ص 142، 143، 77، إنجرامز، هارولد "استكشاف محميّة عدن الشرقية منذ عام 1936م"، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، العدد الرابع والعشرون، نوفمبر 2006م، ص 201 وما بعدها.

عدن لن تقبل التنازل عنها⁽¹⁾ نلاحظ من التقرير البريطاني، لحاكم عدن "برنارد رايللي" الذي أرسله إلى وزير المستعمرات، أنه بالرغم من اعترافه بأنه لم يكن لبريطانيا أية اتصالات مع قبائل شبوة وماحولها، ولا للإمامة، وهي المناطق التي لم يسبق لاحد من الأطراف التنازع عليها والسيطرة عليها حتى تاريخ اتفاق صنعاء 1934م، إلا أننا نجده يحث حكومته على السيطرة على شبوة، وعدم التنازل عنها للإمام واتضح من خلال ذلك للتنافس الدولي الاستعماري على اليمن بين البريطانيين والإيطاليين وتمزيق وتجزئة الأراضي اليمنية بين قوى الاستعمار الأوربية ومراكز النفوذ والقوة العالمية. وسنوضح للتاريخ أن العمل هذا والتهافت على شبوة من قبل الأطراف المتنازعة عليها لا يستند على أي قانون شرعي، بقدر ماكان يعتمد على القوة العسكرية للطرفين وحاول الإمام مغالبة البريطانيين عندما أرسل نجده الحسين إلى العاصمة البريطانية لندن في شهر مايو من العام 1937م للمشاركة والمجاملة والتودد في حفل تتويج الملك "جورج السادس"، كما أشرنا له سابقاً، وأرسله للمرة الثانية في يناير من العام 1938م، إلى لندن، تلبية لدعوة الحكومة البريطانية له للمشاركة في افتتاح القسم العربي في الإذاعة البريطانية، وأذاع الحسين خلالها كلمة ودية، إلا أن الإمام، لم يكن راضياً عن اتصالات بريطانيا بقبائل شبوة، وزاد الأمر سوءاً عندما منحت السلطات البريطانية في عدن، شركة امتيازات البترول المحدودة - البريطانية "Pettroleum concessions L. T. D" ترخيصاً للتنقيب عن البترول في المنطقة - منطقة شبوة في نهاية العام 1937م. ونظراً لأن الإمام كان على علم بوجود البترول في صحاري شبوة، عن طريق المعلومات التي حصل عليها من بعض الخبراء والجواسيس لديه، ولأنه لم يكن على استعداد لقبول أن تكون شبوة ضمن اطار محمية عدن وان تنعم بخيراتها مثل أبوظبي ودبي والمنامة وقطر وغيرها من دول وإمارات الجزيرة العربية فقد اتجه إلى الحكومة الإيطالية لدعم مطالبه في المنطقة⁽²⁾. إلا أن إيطاليا خيبت آماله لاسيما

(1) F. o. 371/20768. Secret. No. 2. 1 st, September, 1937pp. 325 - 329

(2) للمزيد ينظر: ماكر، أريك، اليمن والغرب، 150 وما بعدها. طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن، مرجع

سابق، ص 139.

بعد توقيع الاتفاقية (الانجليزية - الإيطالية) في 16 ابريل من العام 1938م وهذا أكده المؤرخ المصري "سيد مصطفى سالم" في كتابه - تكوين اليمن الحديث - بعد توقيع الاتفاقية، بل إنها أيدت وجهة النظر البريطانية، بشأن إقليم شبهة⁽¹⁾.

وهكذا اعتمدت بريطانيا في صراعاتها مع الإمامة في شمال اليمن حول شبهة بالاتفاقيات التي أبرمتها مع سلطنة العواتق العليا في العام 1903م ومع شيخ مشيخة العواتق في العام 1904م⁽²⁾. وفي 9 مارس من العام 1938م بعث حاكم عدن برسالة إلى الإمام يحيى المتعلقة بشبهة وقبائلها، وقد جاء في رسالة الحاكم مايلي: أولاً: لقد أبلغتني حكومة صاحب الجلالة، أن أبلغ جلالتك، أنها ليست لديها النية في القيام بأي عمل من شأنه انتهاك لمعاهدة صنعاء.

ثانياً: أن البند الثالث من لمعاهدة، أشار إلى الحدود الجنوبية لليمن التي تمتد من الساحل الموجه لبريم إلى الحدود الشرقية لإمارة بيحان. أما المناطق التي تقع وراء منطقة بيحان، فقد كانت في العام 1934م تحت الحماية البريطانية. ويجب أن تدرك أن الاتفاقية "البريطانية - العثمانية الموقعة في العام 1914م هي اتفاقية قانونية شرعية، وأن العلاقات بين بريطانيا وقبائل المحمية هي أيضاً قائمة على اتفاقيات حماية شرعية وقعت مع شيوخها وسلطينها، وأن خط الحدود المتفق عليه في العام 1914م يمر عبر شمال شبهة، وعلى هذا الأساس تُعدّ شبهة جغرافياً داخلها في نطاق الحدود الواقعة تحت الحماية والسيادة البريطانية، إذ أن المنطقة تقع بالقرب من الإدارة اليمنية. علاوة على ذلك، فإن قبائل شبهة، التي كانت ترتبط دائماً بسلطنة العواتق التي ترتبط بمعاهدة حماية منذ العام 1903م فإنها تخضع لشروط المعاهدة، وبعد كل هذا فقد لاحظت حكومة عدن في السنوات الأخيرة أن قبائل شبهة لم تعد ترتبط فعلاً بسلطنة العواتق العليا، فقد قررت الحكومة البريطانية، أن توقع معها معاهدات على غرار المعاهدات التي عقدتها مع حكام القبائل الأخرى الداخلة في منطقة النفوذ البريطاني.

(1) سالم، سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث، القاهرة، ط1، 1963م، ص437 وما بعدها.

(2) للمزيد ينظر: طوحل، خالد عبدالله، العواتق وتكوينهم السياسي الحديث، دارجامعة عدن، مرجع

ثالثاً: أن أدعاءكم في خطاب جلالتم المؤرخ في 9 مارس من العام 1938م، أن قبائل الكرب والصيعر - قبائل شبوة، وهي من رعايا مملكتكم، ثم تشكون من نشاطات حكومة صاحب الجلالة بسبب اتصالها بها، يسعدني أن أقول لكم، أن أهل الصيعر يعتبرون تابعين لسلطنة القعيطي والمكلا، وأن هناك قسماً من أهل الصيعر يقومون بالتجارة ورعي الماشية، ولهم اتصال مستمر مع مملكة جلالتم، ولكن عددهم قليل لا يؤثر في انتمائهم إلى المحمية، فنشاط هؤلاء البدو من الصيعر يشبه النشاط القبلي الذي تقوم به قبائل بالحارث في منطقة بيحان⁽¹⁾. وكان وزير المستعمرات البريطانية السيد "باكستر Mr Baxter" قد أبلغ وزير خارجية حكومته أنه يرى أن تقوم حكومة عدن، بعقد اتفاقيات مع قبائل شبوة والعبير، وذلك ردًا على تحركات الإمام يحيى الذي يستهدف الاستيلاء على المنطقتين وقال الوزير في رسالته التي بعثها إلى وزير الخارجية، أنه قد أبلغ حاكم عدن، بالموافقة على احتلال شبوة والعبير، بشرط أن يقوم الحاكم، بإبلاغ حكومة صاحب الجلالة، قبل القيام بعمليات عسكرية في المنطقة⁽²⁾.

2-2 - التحركات اليمنية البريطانية باتجاه شبوة ومحاولات احتلالها 1938 -

1939م؛

تلقى حاكم عدن تقرير مهمًا من المقيم السياسي البريطاني في الحديدة يوم 22 إبريل من العام 1938م، جاء فيه أن ملك اليمن، قد أمر بتجهيز 300 جندي من مناطق مأرب وحريب، مدعمين بجنود نظاميين من صنعاء للهجوم على إقليم شبوة، بالتعاون مع قبائل المناطق الشرقية. وعلى الفور قام حاكم عدن، بإرسال برقية عاجلة بهذا الخصوص إلى وزارة المستعمرات. واقترح أن يقوم الكبتن "سيجر Seager" إلى صنعاء، في مهمة رسمية، للتأكيد من المعلومات التي ذكرت أن قوات الإمام يحيى في شمال اليمن تعتزم غزو شبوة والعبير، وكشف نيات الإمام يحيى وفي الوقت نفسه يقوم بتحذيره من العواقب الوخيمة التي ستترتب على غزوه لمنطقتي شبوة والعبير. كما اقترح حاكم

(1) F. O. 371/21819. 3 rd May, 1938, pp. 66 - 65

(2) F. O. 371/21818. E2130/233/91. 12 th. April, 1938, pp111 - 114

عدن، إرسال قوات نظامية وغير نظامية إلى هاتين المنطقتين. وطلب من حكومته الأذن بالسماح باستعمال سلاح الجو للقيام بغارات ضد القوات الإمامية المهاجمة، وذكر حاكم عدن، أنه تلقى خبراً يوم 27 مفاده أن قبيلتي دهم وعبيدة وهما من أنصار الإمام، تستعدان لمساعدة قوات الإمام، في احتلال إقليم شبوة. وقال، إنه قد وجه إليهما تحذيراً من القيام بأية أعمال عدائية قد تعرضهما لأشد العقاب⁽¹⁾ وفي 3 مايو من العام 1938م وصل الكبتن "سيجر Seager" إلى صنعاء، في مهمة رسمية، حامل رسالة من حاكم عدن إلى الإمام يحیی بهذا الخصوص، وكرر حاكم عدن المستر "راييلي Reilly" طلبه من حكومته الموافقة على القيام بعمليات حربية تستعمل فيها سلاح الجو ضد الإمام. ولكنه أقرح على حكومته التشاور مع الحكومة الإيطالية، طبقاً للمادة رقم 7 من معاهدة 1927م، التي تنص على التشاور بين البلدين، بالرغم من نفاذ مفعول هذه الاتفاقية بعد عقد الاتفاقية الإنجليزية الإيطالية الجديدة في 16 إبريل من العام 1938م، إلا أن هذا التشاور على حد تعبيره، قد يشعر الحكومة الإيطالية بالاحترام وتجنب أي احتكاك بين الدولتين مما قد يؤثر في مصالحها في منطقة البحر الأحمر. كما اقترح أن تقوم الحكومة البريطانية بإبلاغ ابن سعود، بآخر التطورات بين اليمن وبريطانيا؛ لأن ابن سعود، كما يقول، اتصل به في شهر مارس من العام الماضي 1937م، مستفسراً عن الوضع بين بريطانيا والمملكة المتوكلية اليمنية بشأن إقليم شبوة، بالإضافة إلى أن هذا قد يشعر ابن سعود بالاحترام⁽²⁾. وبالفعل تواصلت الخارجية البريطانية مع كل من الحكومة الإيطالية، والسعودية. فقد أرسلت الخارجية البريطانية، برقية إلى وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل في 6 مايو 1938م، عن طريق السفير البريطاني في جدة السيد "بولارد Bullard" أبلغته فيها بتحركات قوات الإمام باتجاه الحدود الشرقية لليمن وبأنه من المحتمل أن يكون الهدف من هذا التحرك هو احتلال شبوة وحصن العبر، اللذين يبعدان حوالي 20 عن مقاطعة الصيعر، إذ أقام السلطان القعيطي مؤخرًا

(1) F. o. 371/21818. E1406/233/91. Secret, No. 14, 29 th. April, 1938. p. 148

(2) F. O. 371/21818. E2558. 4 th May, 1938, p. 155

مركزاً متقدماً وذلك بموافقة حكومة صاحب الجلالة البريطانية. وقال إن الهدف من زيارة سيجر لصنعاء في ذلك الوقت هو تحذير ملك اليمن، أنه في حالة تقدم أي يماني داخل محمية عدن، فإن سلاح الطيران الحربي سيقوم بعمليات ضده. وفي الوقت نفسه كان "سيجر Seager" يستهدف بحث مطالب إمام اليمن بشأن شبوة⁽¹⁾ وفي 13 مايو من العام 1938م، بعث وزير خارجية المملكة العربية السعودية بقرية شكر على المعلومات التي حصلت عليها الحكومة السعودية، والمتعلقة بالخلاف بين بريطانيا وإمام اليمن على إقليم شبوة، وتمنى أن يسود التفاهم والسلام بين المملكة المتوكلية وبريطانيا⁽²⁾. وصل بعض الضباط البريطانيين في العام 1937م، إلى منطقة شبوة العبر، بصفة سياح محاولين إغراء مشايخ وسكان شبوة إلى الانضمام إلى حكومة عدن، وتوعدوهم بالقصف بالطائرات في حال رفضهم للاستجابة لدعوة بريطانيا، ثم سكنوا بالعبر وشغلوا أبار المياه التي يتتفع بها العابرون والساكنون، احتج الإمام على هذه الأفعال، وأكد أن المنطقتين وملحقتهما تتبع مملكته، ولكن الحكومة البريطانية لم تعر أي اهتمام احتجاجات الإمام، الأمر الذي دعا الإمام يحيى، إلى أن يؤكل الشيخ على ناصر القردعي، القيام ببسط سيطرته على منطقة شبوة.. وهي المنطقة التي لم تكن داخله حتى ذلك التاريخ في نطاق الحماية البريطانية⁽³⁾، واستطاع القردعي، جمع قوة عسكرية صغيرة محاولاً غزو شبوة والسيطرة عليها ويخضعها لإدارته، لكون هذه المنطقة تربض على بحيرة من البترول بها كما تشير بعض الدراسات النفطية⁽⁴⁾، لم ترص بريطانيا احتلال الإمام لها، وهي الدولة الطامعة في استغلال خيراتها⁽⁵⁾، وقبل أن ترسل السلطات البريطانية في عدن قواتها لإخراج الحاميه اليمنية الإمامية من منطقة

(1) F. o. 371/21818. E2480/233/91. No. 64. 6 th. May, 1938

(2) F. o. 371/21818. No. 10/9/4. 13 th. May, 1938, p. 262

(3) بيربي، جان جاك، جزيرة العرب، تعريب: نجد هاجر وسعيد الغز، بيروت، ط 1960م، ص 197.

(4) للمزيد ينظر الملاحق: خارطة لمواقع النفط والغاز في شبوة والشركات العاملة فيها بحسب تقسيم البلوكات المرقمة فيها.

(5) ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن، ص 93 - 94. الأشول، ناجي علي، الجيش والحركة الوطنية،

مرجع سابق، ص 84 - 85.

شبوّة، قام الكابتن سيجر، مساعد حاكم عدن، بزيارة المملكة المتوكلية مرتين، المرة الأولى، كانت في 22 أكتوبر من العام 1938م إلى تعز وخلال الزيارة التقى بولي العهد الأمير أحمد، وحاكم تعز وأجرى معه مباحثات تناولت سبل تقوية العلاقات البريطانية اليمنية بالإضافة إلى مشكلة شبوّة. وهذا الصدد يقول سيجر: (لقد وعدني ولي العهد، أنه سيولي هذا الموضوع كل اهتمامه، وأنه سيولي هذا الموضوع كل اهتمامه. وبالمثل وعدته بالقيام بالمساعي نفسها في سبيل اقناع الحكومة البريطانية بضرورة توثيق عرى الصداقة مع المملكة المتوكلية، ولكن لما انتقلت للحديث عن شبوّة أصبح الأمير في حالة من التوتر العصبي، لاسيما عندما قلت له: إن الوضع في منطقة شبوّة لم يكن مرضي للغاية، وذلك بسبب عناد حكومة اليمن، إذ رد الأمير أحمد قائلاً: (إن الحكومة اليمنية تنظر إلى شبوّة على أنها جزء مكمل للمملكة المتوكلية اليمنية، ولن يتخلى عنها اليمنيون مطلقاً. فقلت له: إذا كنت تريد حقاً أن تتحسن العلاقات البريطانية - اليمنية، فإنه يجب حل النزاع بين البلدين عن طريق المحادثات المباشرة، ولكن قبل إجراء المباحثات لتسوية الخلاف، فإنه يجب على القردعي وقواته الإنسحاب من المنطقة ثم يقول سيجر في مذكرته: أنني لم أشعر بأني وصلت مع الأمير إلى تفاهم حول القضايا التي ناقشناها، وذلك بسبب تعنت الجانب اليمني وإصراره⁽¹⁾، وما أن وصل عدن عقب عودته من تعز، حتى أسرع بالرجوع إلى صنعاء في 18 نوفمبر من العام نفسه، حاملاً انذاراً من حكومته إلى إمام اليمن يحيى بن حميد الدين، للانسحاب من شبوّة فوراً، وإلا فإن الحكومة البريطانية، ستعلن الحرب على الإمامة وتتخذ الخطوات والإجراءات الضرورية لطرد القوات اليمنية من المنطقة⁽²⁾، ويشير المؤرخ أحمد حسين شرف الدين في كتابه - اليمن عبر العصور - إلى أن السلطات اليمنية قد حاولت، اقناع المبعوث البريطاني، بوجود ضبط النفس وتحكيم العقل والمنطق للوصول إلى

(1) للمزيد ينظر: F. O. 371/21830. Memorandum - Confidential, Aden, 27 october, 1938, pp. 197 - 204.

(2) F. O. 371/21819. Confidential, No. 121/37/38. 18 th Novemeer, 1938, p. 297

الحل الذي يرضي الطرفين قبل اللجوء إلى إعلان الحرب واستعمال القوة⁽¹⁾. وعاد الضابط السياسي سيجر إلى عدن، وهو غاضب من عدم استجابة الحكومة اليمنية لمطالب حكومته⁽²⁾.

3 - 2 - موقف بعض زعماء المنطقة من النزاع اليمني - البريطاني :

وقف بعض زعماء حضرموت وشبوة، ضد الإمام يحيى، وكان من بين هؤلاء السلاطين السلطان صالح بن غالب القعيطي، الذي أكد على ولائه لحكومة بريطانيا. وقال، إن شبوة والعبير جزئين من محمية حضرموت التي يحكمها، كما عبر عن غضبه من بعض أهالي حضرموت، بسبب تعاونهم مع الإمام، وقواته في التدخل في شؤون حضرموت وذكر منهم على سبيل المثال، علي بن صالح، الذي قال: إنه خارج عن طاعة حاكم منطقة (شبام Shibam) وعن الشرعية، ووصفه بأنه من أهم زعماء القبائل في المنطقة⁽³⁾ وقال السلطان القعيطي، في رسالته الثانية التي أرسلها إلى المستشار والمقيم البريطاني في المكلا (إنجرامز Ingrams) في 28 نوفمبر من العام 1938م (أنه تلقى خبراً عن استعداد إمام اليمن، الانسحاب من شبوة إذا كان هو (يقصد نفسه) موافق على طلب سحب القوات البريطانية من منطقة حصن العبير. وقال: إن العبير، جزء من مقاطعتي وهي مفتاح حدود حكومتي ولا يمكن أن أوافق على ذلك، أو التخلي عنها. وأطالب الحكومة البريطانية بعدم ترك (العبير) للإمام، عوضاً عن شبوة كما يريد؛ لأن العبير كما قلت تابعه لنا دائماً ومفتاح حدودنا، ولا يمكن أن أوافق على أن يأخذ الإمام جزءاً من بلادتي، وأتمنى أن تقف بريطانيا مدافعاً عنا في الحاضر وفي المستقبل كما كانت عليه في الماض⁽⁴⁾، وهذا ما أكدته

(1) شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر العصور، مرجع سابق، ص 47.

(2) سعيد، أمين، تاريخ اليمن السياسي، مرجع سابق، ص 151 - 152.

(3) F. O. 371/21819. Despatch - Secret, No. 1077, 26 th Nov, 1938, p. 298

(4) F. O. 371/23178. من السلطان القعيطي إلى ملك بريطانيا بواسطة المستشار البريطاني في المكلا

بتاريخ 28 نوفمبر 1938م، ص 97 - 98

الشيخ عوض بن محمد العولقي إذ قال: هناك عدة اتفاقيات قد وقعت بين مشايخ "شبوّة" "الكرب والصيعر" وبين مشايخ "العوالق" تنص هذه الاتفاقيات على أن شبوّة مناصفة بين العوالق وسكانها من الكرب والصيعر⁽¹⁾.

المحور الثالث: الهجوم البريطاني على شبوّة وموقف الإمام من ذلك 1938 - 1967م؛

1 - 3 - الاحتيال البريطاني لشبوّة؛

أرسلت حكومة عدن في 27 يونيو 1938م قوة كبيرة من الجنود البريطانيين وحرس الحكومة بقيادة الضابط السياسي البريطاني "هاميلتون Hamilton" إلى منطقة شبوّة، وقد تسللت بعض القوات سرّاً من إمارة بيحان، ونزلت في مكان يبعد حوالي أربعة أميال عن منطقة شبوّة واستطاعت محاصرة قوات القردعي وقطع مياه الشرب عن قواته باستيلائها على الأبار، وطلبت منه التسليم الفوري⁽²⁾. ويشير سلطان ناجي - مؤلف كتاب التاريخ العسكري - مبرراً هزيمه القردعي وما حل به من إهانة أنه لم يكن أمام القردعي من خيار إلا الاستسلام؛ لأن الإمام، عندما بعثه إلى شبوّة طلب منه بأن ييسط نفوذه ولم يأمره بالقتال هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن القردعي، كان لا يزال ينتظر وصول إمدادات عسكرية وأسلحة من صنعاء، كما وعده بذلك الإمام. وقد كانت هذه الإهانة التي حلّت بالشيخ القردعي، إضافة جديدة إلى أحقاد السابفة ضد الإمام يحيى، الذي سجنه من قبل وسجن أخاه، الأمر الذي جعله يقوم بتنفيذ اغتيال الإمام يحيى في العام 1948م⁽³⁾. وقبل تسليم القردعي في شبوّة للقائد البريطاني والانسحاب منها جرى حوار بينه وبين القائد هاميلتون، حوار طويل. قال القردعي: إن شبوّة هذه هي بلاد الإمام، فرد عليه هاميلتون بقوله: إنها ملك المشايخ الكرب

(1) للمزيد ينظر: طوحل، خالد عبدالله، العوالق، دار جامعة عدن، ص 178. القباص / مهدي، الإمارة الهييلية، مرجع سابق، ص 129.

(2) F. O. /371/21819: Secret, No. 114. 23 rd, Nov, 1938, p. 309، طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن، مرجع سابق، ص 141.

(3) ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن، مرجع سابق، ص 94.

والبريكي الذين هم تحت الحماية البريطانية، ورد القردي بآية معاهدة تم ذلك، متى واين عقدت، نحن نعرف على سبيل المثال أنه يوجد بينكم وبين العواقل والعواذل وشريف بيحان معاهدات، إلا أننا نسمع بوجود معاهدة بينكم وبين قبائل شبوة؟ فقال هاميلتون، هناك وعد، وتعد المسألة منتهية⁽¹⁾، ويتضح من خلال ذلك الحوار الذي دار بين القردي، والقائد البريطاني أنه لم تكن هناك معاهدة بين بريطانيا وسكان منطقة شبوة، ولكن الدافع الرئيس إلى الاستيلاء على المنطقة من قبل بريطانيا هو السيطرة على النفط والثروة المعدنية.

وقد تم نقل القوات اليمنية إلى الحدود، ونقل القردي جواً في متن طائرة بريطانية "ويمكس" هيلوكبتر إلى بيحان وسافر منها إلى مأرب⁽²⁾. ولم يرد الإمام أي رد فعل ضد بريطانيا كما كان متوقعا⁽³⁾. واكتفت حكومة المملكة المتوكلية اليمنية، بالاحتجاج ضد الحكومة البريطانية، على إثر الهجوم البريطاني على قوات القردي الذي أعدته انتهاكاً لمعاهدة 1934م، بعد مضي خمس سنوات على توقيعها⁽⁴⁾.

2 - 3 - الدعوة الى (تحييد شبوة) (neutralization Shabwa) 1939 - 1950م؛

بعد ان استطاع سلاح الجو البريطاني يوم 30 نوفمبر من العام 1938م من انزال قوات من المظليين في منطقة شبوة واحتلتها، ومن ثم استطاعت إخراج القوات اليمنية من منطقة شبوة، وماتلا ذلك من احتجاجات يمنية ضد التدخل والغزو البريطاني للمنطقة، ظهرت أصوات تنادي بالدعوة إلى تحييد منطقة شبوة وتركها لأهلها دون تدخل من الجانب البريطاني أو الجانب اليمني. وكان ممن نسب إليه هذه الدعوة المستر "إنجرامز Ingrams" المقيم السياسي والمستشار البريطاني لحضرموت، غير أن إنجرامز نفى ذلك في رسالته التي بعثها إلى حاكم عدن، وقال فيها: إنني لم أقترح

(1) مجلة الحكمة اليمنية، العدد 139، سنة 1987م، ص 19 - 24.

(2) للمزيد ينظر: طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن 1934 - 1967م، مرجع سابق، ص 141 - 142.

(3) ماكر، أريك، اليمن والغرب، مرجع سابق، ص 128.

(4) The British - Yemen, Dispute, pp12 - 13

التخلي عن العبر للإمام، مقابل تخلي الأخير عن شبوة، إذ أن العبر جزء من حضرموت ولا يمكن التخلي عنها مطلقاً. وربما كانت شبوة، أكثر قابلية للجدل والمناقشة ولكن العبر، تعد مفتاح الدخول إلى حضرموت، وأن التخلي عنها يعد نوعاً من الجنون، وأن المعسكر البريطاني، الآن يقع في العبر، منذ احتلالها من قبل الضابط السياسي "هاميلتون Hamilton" للمنطقة ولم يبق أحد من قبيلة الصيغر، بالإغارة على طريق شبوة بيحان، وأن الجلاء من شبوة سيؤدي إلى إعادة تدهور الأمن على طول الطريق الرئيس شبوة - اليمن⁽¹⁾. وفي العام 1939م بعث الإمام يحيى رسالة إلى ملك بريطانيا بمناسبة رأس السنة الميلادي وقال ملك اليمن فيها أرجو من جلالتكم النظر إلى مافيه صون الأقوام العربية واعتمادكم والتفاتكم إلى قضاياها القومية⁽²⁾، كما بعث بريقة تهنئة مماثلة إلى حاكم عدن، وقد أبدى فيها رغبته الملحة في إعادة الحالة الخاصة بشؤون منطقتي شبوة العبر إلى ماكانت عليه، وإزالة جميع الأسباب التي أدت إلى الاحتكاك بين الجانبين كما عبر الإمام عن موافقته على وساطة الملك عبدالعزيز آل سعود، في النزاع القائم بين بلاده وبريطانيا⁽³⁾، وقد تلقى الإمام، ردوداً من ملك بريطانيا، وحاكم عدن، وقد أكد ملك بريطانيا في رده، أن سعادة الشعوب العربية، وقضاياها الوطنية، تشغل حيزاً كبيراً من اهتمامه، واهتمام المسؤولين في حكومة بلاده⁽⁴⁾.

وفي الأول من شهر فبراير من العام 1939م، أبلغت وزارة الخارجية البريطانية سفيرها في جدة، بموافقة الإمام يحيى، على وساطة ابن سعود، في النزاع حول شبوة والعبر. ومن أجل تحديد الحدود وتسوية النزاع مع اليمن أبدت الحكومة البريطانية موقفها على سحب قواتها من شبوة، بشرط موافقة الإمام على تحييدها مع احتفاظ الحكومة البريطانية على مراكز للشرطة في مناطق العبر، الواقعة جنوب

(1) F. O. 371/23178. Secret, No. 44/37/2751. 3rd. December, 1938. pp. 80 – 82

(2) F. O. /371/2347. T3997/52/379. 2nd January, 1939, p. 39

(3) F. O. 371/23178. 9th Jan, 1939, p. 120

(4) F. O. 372: 3347. T397/52/379/. 10 January, 1939, P. 41

خط الحدود لاتفاقية 1914م لحفظ الأمن في المنطقة⁽¹⁾. وفي شهر مارس 1939م اجتمع نائب حاكم عدن، المستر "ليك Lake" مع القنصل الإيطالي في عدن، السيد "كامبيني Commendatorecampini" وفي هذا الاجتماع، شرح نائب الحاكم للقنصل، مسألة النزاع البريطاني اليمني حول شبوة والعبر، وتطوراتها. وأوضح للقنصل أن إقليم شبوة داخله في الاتفاقية البريطانية العثمانية المعقودة في العام 1914م، وأن الاقليم من الناحية الجغرافية داخل ضمن الخط الشمالي الشرقي الذي تتضمنه تلك الاتفاقية، واعترفت بها الاتفاقية - الإيطالية - البريطانية، لكن القنصل الإيطالي نفى علمه بذلك الأمر الذي دعا حاكم عدن إلى تسليمه نسخة من تلك الاتفاقية في العام 1938م والملحقات الخاصة بالحدود بين مستعمرة عدن والمملكة المتوكلية اليمنية⁽²⁾. وعندما اطلع حاكم عدن حكومته بما دار بينه وبين القنصل الإيطالي من مباحثات ردت عليه وزارة المستعمرات، برسالة جوابيه قالت فيها: أن القنصل الإيطالي في عدن، بالفعل لم يكن على علم بالملاحظات المتبادله وغير المنشورة التي ألحقت بالاتفاقية البريطانية - الإيطالية، ولكن قامت الحكومة الإيطالية مؤخرًا بأن بعثت للقنصل، بما يثبت صدق كلام ليك، وقالت الوثيقة البريطانية للأسف إن الاعتراف البريطاني، بالمكاسب الإيطالية الجديدة في شرق إفريقيا والبحر الأحمر، لايساوي نسبيًا مع الاعتراف الإيطالي العام بحدود محمية عدن التي تقرر من أكثر من ثلاثين عامًا⁽³⁾. وفي 11 يونيو من العام 1939م قبيل قيام الحرب العالمية الثانية، قام الكابتن "سيجر" بزيارة إلى صنعاء في محاولة جديدة للاتفاق مع الحكومة اليمنية على عقد اجتماع لتسوية النزاع اليمني البريطاني، ومن صنعاء، كتب "سيجر" تقريرًا سرّيًا إلى حاكم عدن "برنارد رايللي" يقول فيه: (إنني هنا أبذل كل جهدي لتحسين العلاقات، وإيجاد المنصة التي يستطيع أن يتفاوض عليها

(1) F. O. 371/23178. E669/56/91. No. 20/1st. fed: 1939, p. 95

(2) F. o. 371/23178. Moat Secret. 2nd March, 1939, P. 178

(3) للمزيد ينظر: F. O. 371/23178. Most Secret. 3rd March, 1939, P. 177

الطرفان في التوصل إلى حلول معقولة ومناسبة للجانبين وحتى الآن فنحن قطبان متنافران. فقد قابلت الإمام، في قصره لمدة 20 دقيقة، وطول الاجتماع كان يصب غضبه في ثورات من انفعال النفس والغضب الجامح ضد بريطانيا، بطريقة لم أره بمثلها طول الخمس سنوات الماضية، ولكنّ رجل لا يستمع لأي رأي منطقي معقول حول اقتراح حكومة صاحب الجلالة بشأن تحييد منطقة شبوة، وكان متمسكا جداً بمنطقة (العبر) وكانت هذه المنطقة تستحوذ على جل اهتمامه، ولقد سألت نفسي في حال نشوب الحرب⁽¹⁾ هل يجب أن نهتم بهذه المسألة المحلية، وبردود الفعل اليميني إزاء بريطانيا؟ وطبقاً لتفكيرى فإنني أرى أن تولى مسألة الحرب الأهمية القصوى، ونعطي مسألة شبوة والعبر الأهمية الثانوية، ومع هذا يجب ترضية الإمام، لأجل كسبه في الحرب إلى جانب بريطانيا. وقد أوضح وزير خارجية اليمن (راغب بك) للمقيم السياسي في الحديدة، صالح جعفر، أن الإمام، قد ينحاز في الحرب إلى جانب الإيطال، إذالم تقم الحكومة البريطانية بتسوية الأزمة مع الإمام. ويقول سيجر، أنه سمع الإذاعة الألمانية، الناطقة بالعربية تتحدث عن شبوة والعبر، متهمة بريطانيا بأنها الدولة الاستعمارية التي تطمع في التوسع على حساب أملاك اليمن. وقال المتحدث الألماني، إنه يجب علينا ألا نسمح لها بالتوسع؛ لأن شبوة ذات أهمية استراتيجية لحكومة اليمن. ودعا سيجر في نهاية التقرير حكومته إلى التوصل مع حكومة المملكة المتوكلية إلى الحل السلمي فيما يتعلق بمنطقة شبوة والعبر. وقال: إذالم نقابل الإمام، في منتصف الطريق فإننا سنصل إلى مرحلة حرجة جداً في تاريخ العلاقات البريطانية - اليمنية، في حقبة نحن مقدمون على حرب عالمية قد يشكل اليمن ذاته عوناً كبيراً لنا أو العكس، بالرغم من أن الإمام لا يريد التخلي عن شبوة، وهو مايزعجني للغاية⁽²⁾. واقترح المقيم السياسي في الحديدة، على حاكم عدن، قيامه بمبادرة سلمية تقضي بمقابلة إمام اليمن، وإبلاغه أن الحكومة

(1) يقصد الحرب العالمية الثانية.

(2) للمزيد ينظر: F. C. 371/23178. personal and secret, sann, a Yamen, 11th June. 1939.

329 - 333 pp. تقرير سري من سيجر إلى حاكم عدن عن زيارته لليمن في العام 1939..

البريطانية، ترغب في حل النزاع القائم بين البلدين، بالعدل والانصاف، ويكون هذا بعرض المشكلة برمتها أمام التحكيم، بحيث تقوم حكومة البلدين باختيار الحكم من المحلفين الدوليين من سويسرا أو الدنمارك والنرويج أو السويد أو من الولايات المتحدة الأمريكية. وذلك بالقيام بفحص القضية برمتها على الطبيعة، ثم يقوم الحاكم بإصدار حكمه وينشر ذلك في وسائل الإعلام العالمية، ولكن في حال رفض الإمام لهذا الاقتراح نبغته بأن صاحب الجلالة سيكون مضطراً أن تعلن للصحافة العالمية وعلى الهواء أن الحكومة اليمنية رفضت الاقتراح وأن المسألة وئدت هناك. وفي 11 إبريل من العام 1939م، أبلغ حاكم عدن، وزير المستعمرات "ماكدونالونالد Mac Donald" أن القوات البريطانية المتمركزة في منطقة شبوة قد انسحبت إلى منطقة (عياد Ayad) التي تبعد 20 ميلاً إلى الجنوب من شبوة، ويأتي سحب الحامية البريطانية من المنطقة على حد تعبيره تنفيذاً لما وعدت به الحكومة البريطانية لن تبقى مدة طويلة في احتلالها لشبوة⁽¹⁾. ويأتي سحب الحامية البريطانية المتمركزة في منطقة شبوة ونستطيع أن نقول: إن الانسحاب إلى موقع عياد لأنه تتوفر فيه ثلاثة عناصر مهمة وهي: أولاً: أفضل مناخ، وثانياً يمكن تزويد القوات المرابطة هناك بكل احتياجاتها بصورة أسهل من ذي قبل، وثالثاً: مكان استراتيجي يسهل منه التحكم والسيطرة في الداخل والخارج في المنطقة.

وفي 29 يونيو من العام 1939م بعث إمام اليمن برقية إلى ملك بريطانيا بموافقته على إجراء مباحثات بين البلدين، ولكنه طلب من الملك جورج إرسال وفد بريطاني لزيارة اليمن قبل بدء المباحثات الرسمية، وذلك لإجراء مباحثات تمهيدية مع المسؤولين في الحكومة اليمنية⁽²⁾، ورد ملك بريطانيا على برقية ملك اليمن: لقد أعطينا تعليماتنا إلى مندوبنا في عدن المستر "شمبيون Mr. Champion" بزيارة صنعاء، للالتقاء بمندوبكم، لإجراء محادثات فيما بينهما، على أمل أن يتوصل

(1) F. O. 371/23176. 28 th June. 1939, pp. 341 - 342

(2) F. O. 371/23178. 21 st. July, 1939, pp. 309 - 310

الوفدان إلى نتائج ايجابية وإلى تسوية مرضية لكلا الحكومتين⁽¹⁾. وفي الوقت الذي كانت تجري فيه المباحثات في صنعاء، قامت قوات يمنية من رجال القبائل بمهاجمة منطقة (آل عريف AL Arif)، وقد طلب "سيجر" الذي كان يرافق "شميون" مقابلة الإمام وطلب منه سحب القوات المهاجمة التي يتزعمها عامل حريب ومنع أي عدوان ضد المنطقة، واعترف الإمام أنه هو الذي أصدر تعليماته إلى تلك القوة بمهاجمة (أهل العريف) بحجة أنهم أثاروا غضبه. وقد أرسلت حكومة عدن قوة مسلحة من القوات النظامية وقوات من رجال القبائل بقيادة الضابط السياسي "ديفي DAVEY" تساندها الطائرات الحربية إلى منطقة العريف. وبعد تبادل إطلاق النار بين القوتين استطاعت القوات البريطانية إرغام القوات الإمامية على التراجع وترك المنطقة والفرار إلى خارج حدود المحمية⁽²⁾. وتشير الوثيقة البريطانية التي ذكر فيها حاكم عدن التي أرسلها إلى وزير المستعمرات في 20 أكتوبر من العام نفسه أن القوات اليمنية تتكون من 900 رجل تقريباً من رجال القبائل مزودة بمدافع جبلي، قد هاجمت قرية "الهجر AL Hajar" يوم 18 من ذلك الشهر، وكان في القرية الضابط ديفي وبعض من حرس الحكومة ورجل القبائل من المحميات⁽³⁾.

3 - 3 - المفاوضات السلمية بين اليمن والبريطانيين :

في 14 أغسطس من العام 1939م عقد اجتماع في وزارة الخارجية البريطانية بحضرة أعضاء من لجنة شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، مع لجنة من وزارة المستعمرات ومن وزارة الحرب، ناقش المجتمعون مسألة النزاع بين محمية عدن واليمن، لاسيما مايتعلق بمسألتي شبوة والعبر. وقرر الحاضرون ضرورة أن تقوم الحكومة البريطانية، بإجراء مفاوضات مع الحكومة اليمنية، لحل مشكلة الحدود والمناطق المتنازع عليها. وأبلغ هذا القرار إلى ملك بريطانيا لاتخاذ مايراه مناسباً. وقد

(1) F. O. 371/245443. 28 th May, 1939, p. 449

(2) F. O. 371/23178. Secret, No. 141. June, 13, 1939, p. 214

(3) F. O. 371/231797. Cypher telegram, Aden Secret, 20 th October, 1939, pp. 197 - 204

استحسن الملك هذا الرأي، وأرسل برقية بهذا الخصوص إلى ملك المملكة المتوكلية اليمنية في 8 نوفمبر من العام 1939م، طلب فيها إجراء مباحثات مع حاكم عدن، بغرض التوصل إلى الحلول المناسبة بشأن شبوة والمناطق الشرقية في حضرموت، والحدود مع محمية عدن الغربية⁽¹⁾، وفي 22 نوفمبر من العام نفسه تلقى ملك بريطانيا، رد ملك اليمن الإمام يحيى بن حميد الدين، بالموافقة على البدء في المباحثات، وأنه سوف يعين قريباً الوفد اليمني الذي سيمثله في المباحثات التي ستجرى في عدن⁽²⁾. واجتمع المقيم السياسي البريطاني ومساعد ضابط الحدود (صالح جعفر) بولي عهد اليمن يوم 6 نوفمبر من العام 1939م، وفي هذا الاجتماع، أخبره ولي العهد بأن الإمام، قد عين القاضي محمد عبدالله الشامي، للتفاوض مع حاكم عدن لتسوية المشاكل القائمة بين الجانبين. ولكن الأمير قال، إن الحكومة اليمنية لا تستطيع الدخول في مفاوضات لتحديد الحدود؛ لأن قبول اليمن بتحديد الحدود، سيكون بمثابة اعتراف بسيادة بريطانيا على محمية عدن، في حين أن الحكومة اليمنية تُعدّ المحمية ملكها. كما اتهم بريطانيا بعدم احترام الوضع الذي كان عليه عند توقيع معاهدة صنعاء، وضرب مثلاً على ذلك بما قام به "إنجرامز" من أنشطة في حضرموت والمناطق الشرقية، وقيام السلطة البريطانية في عدن بالأعمال بنفسها في محمية عدن الغربية، ويتمثل هذا بتعيين موظفين سياسيين في عدن مناطق مثل بيحان، وبلدة الصبيحة، والعوادل وغيرها، وكذلك إنشاء الطرق والمطارات في جميع مناطق المحمية. وقال إذا كانت بريطانيا راغبة في إقامة علاقات جيدة مع اليمن، فإنه يجب عليها أن توقف انشطتها، وعلى بريطانيا أن تسلم منطقتي شبوة والعبير لليمن، وستضمن الحكومة اليمنية لبريطانيا حماية جميع مصالحها الحيوية في المنطقة⁽³⁾، وتبادل ملك اليمن وبريطانيا الكثير من برقيات لاسيما حول النزاع الإمامي البريطاني حول منطقة شبوة وبمناسبة الاستعداد للحرب العالمية الثانية، كتب المستر "سيجر" مساعد حاكم عدن، تقريراً للحكومة عن

(1) .F. O. 371/23179. 8 th Nov. 1939,p: 137

(2) .F. O. 371/23179. 22 nd Nov. 1939. p. 132

(3) للمزيد ينظر: .F. O. 371/24543. Report, No. c: 57. Hodeida, 9 th Nov. 1939. pp276 – 279

توقعاته لموقف اليمن في أثناء الحرب، وأثر ذلك في الوجود البريطاني في عدن وعلى إقليم شبوة. فيقول: ربما أكون مجازفًا لوقلت: إنه مهما يكن مايتخذه اليمن من موقف ضدبريطانيا في أثناء الحرب فإنه لن يؤثر كثيراً في الوجود البريطاني في المحميات، وأن الوضع في منطقة شبوة، سيظل لصالحنا مائة بالمائة. وإذا أصرت الحكومة اليمنية على رفض المفاوضات لحل مشاكل الحدود، فلن يكون هناك أي تنازل من جانب حكومة صاحب الجلالة لحكومة الإمام، بهذا الخصوص، لأن أي تنازل للإمام، سيكون على حساب عرب المحمية، الذي من الواجب والعدل والأنصاف حمايتهم⁽¹⁾. ومن هذا الموقف اتضح لحكومة صنعاء تعنت المستر "سيجر" وطالبت الحكومة اليمنية من حكومة بريطانيا بإرسال مبعوث آخر بدلا عن المبعوث سيجر لعله يكون أفضل من هذا المبعوث، وفي 8 فبراير من العام 1940م، تلقى الإمام يحيى، برقية من ملك بريطانيا ضمنها موافقته على إجراء مفاوضات بين الحكومتين لتسوية مسألة الحدود اليمنية الجنوبية وحل مشكلة النزاع حول إقليم شبوة. وقال لقد عينت السيد "شمبيون"، الذي رافق سير "برنارد رايللي" في أثناء مفاوضات صنعاء التي كللت بتوقيع معاهدة 1934م بين البلدين. وأرجو إذا كان هذا الشخص مقبولاً لدى جلالتم وحكومتم الموقرة فإن عدن ستعمل له الترتيبات اللازمة لبدء المباحثات مع مندوب جلالتم في صنعاء⁽²⁾، وفي 12 فبراير من العام 1940م وافق الإمام يحيى على بدء المباحثات بين البلدين قائلاً): رغم الاعتداءات المتكررة من قبل السلطات البريطانية ضد أراضينا، واحتلال منطقتي (شبوة والعبر)، نحن نقبل مندوبكم المستر شمبيون ونتمنى لمندوبي الدولتين التوصل إلى أحسن حل لنزاع البلدين، لمافيه مصلحة المملكتين في الحاضر والمستقبل⁽³⁾. وفي 11 يونيو 1940م بعث المستر "شمبيون" من صنعاء بتقرير من الاجتماع الثامن من مباحثاته مع المسؤولين اليمنيين، وأشار فيه إلى إصرار الإمام على مطالبه، اعتقاداً منه على حد زعمه، بأن بريطانيا تلاقي صعوبات نتيجة هجوم ألمانيا

(1) .F. O. 371/23136. Private and confidential, 18 th May, 1939, pp. 306 – 307

(2) .F. O. 371/61443. No. E543/56/91. 8 th Fed, 1940, p. 282

(3) .F. O. 371/24543. 12 th. fed, 1940. p. 321

على (بولندا). ولذلك رأى أنه لا مانع من الموافقة على تحييد شبوة والعبر، ولكن دون التخلي عنهما للإمام، وقال "شمبيون" إن رَأغب بك، أخبره أن الحكومة اليمنية، موافقة على تحييد المنطقتين، وعلى قيام لجنة الحدود بدراسة الظروف القبلية في المنطقة. وقد أقرحت عليه أنه يجب أن يكون تحديد الحدود للمناطق على أساس طبوغرافي لا قبلي. وقد اقتنع القاضي راغب، بما اقترحته ولكنه قال: إنه سيعرض الموضوع المقترح على الإمام، وفي 22 أغسطس من العام 1941م اتفقت بريطانيا والمتوكلية اليمنية على تنفيذ برنامج مشترك لتسوية قضايا الحدود، وقد تكون هذا البرنامج من ستة بنود كان من أهمها:

أولاً: أن يقوم الضابط أو المسؤول في مناطق الحدود، بالمحافظة على الأمن ومنع أي اعتداء، ويرفع التقارير عن أي انتهاك للحدود إلى حكومته، وفي ضوء تلك التقارير يتعين عقد اجتماع مندوبي البلدين لبحث الأمر بينهما. وثانياً: أخذ آراء الشهود في فيما يتعلق بحدوث الحدود، بعد الاستصواب والتصديق من مندوبي البلدين، يرفع تقرير إلى حكومة البلدين، لتلقى التعليمات التي تلزم الطرفين بتنفيذها. وقد وقع على هذه الاجراءات المقترحة، مستشار الإمام يحيى، عبدالكريم مطهر، وعن الجانب البريطاني، السيد "هارولد إنجرامز" نائب حاكم عدن⁽¹⁾. وقد تم عرض الخطة المقترحة لتسوية قضايا الحدود، على جلالة ملك المملكة المتوكلية اليمنية الإمام يحيى، وجلالة ملك بريطانيا جورج السادس، ووافقا على تلك الخطة، وأصدر تعليماتهما إلى ممثليهما الإداريين في مناطق الحدود في 22 سبتمبر من العام 1941م، بمباشرة أعمالهم لمراقبة أي تحرشات على كلا الجانبين، ومنع أي تحركات قد يقوم بها فرد من أفراد من رعايا البلدين من شأنها أن تؤدي إلى تعكير صنفو العلاقات بين الحكومتين اليمنية

(1) كتب هذا الاتفاق من نسختين العربية والإنجليزية، وعلى كل نسخة توقيع وختم كل بلد من البلدين المتنازعين على اقليم شبوة بعد الاتفاق بين البلدين بشأن تسوية الحدود، للمزيد ينظر: F. O.

.93/133/2. 22nd August, 1941

والبريطانية⁽¹⁾. ومع أن البلدين اتفقتا على وقف تدخل الطرفين في منطقتي شبوة والعبر، وترك أمورها لزعمائها إلا أن بريطانيا، عادت إلى احتلال المنطقة، وعقدت اتفاقيات حماية مع بعض زعمائها، مستعملة وسائل الاكراه والترغيب في آن واحد وهذا ليس بجديد عليها، والملاحظ أن بريطانيا كانت تصل إلى تحقيق أهدافها دون أن تراق، أية قطرة دم مستعملة في ذلك، وسائل عدة منها بذر الشقاق والخلاف بين شيوخ القبائل أو بين أبناء الاسرة الحاكمة، حتى يضطر المغلوب إلى طلب الحماية، وهنا فإما أن يخضع الغالب لهم أو نصرروا عليه المغلوب، ومن ثمّ أصبح لها السيطرة على الاثني عشر معاً، فترجم معهم المعاهدات التي تملئها عليهم. وكان الهدف البريطاني من المعاهدات هو إضفاء طابع قانوني على وجودها⁽²⁾. وقيل أن الحكومة البريطانية، وعدت الحكومة اليمنية، في أثناء الحرب العالمية الثانية، بأنها سوف تقوم بتسوية المشاكل بما يرضي حكومة الإمام يحيى، وعقب انتهاء الحرب مباشرة، وما كادت الحرب تنتهي، حتى قام البريطانيون في العام 1945م بشق طريق للسيارات إلى شبوة، وأرسلوا الخبراء إلى إليها للتنقيب عن النفط والثروات المعدنية، واحتجت حكومة الإمام، آنذاك على هذا التصرف البريطاني، وأعلنت مصممة على استرجاع المنطقة وتحريرها من قوات الاحتلال البريطاني⁽³⁾، وقد أعلنت شركة الامتياز البريطانية (بتروليوم كونسوم ليمتد) في العام 1945م، أي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بأن هناك دلائل مشجعة على وجود البترول في شبوة وحضرموت وسقطرى. كما أعلنت الشركة نفسها في العام 1954م، عثورها على البترول في منطقة شبوة. وأعلنت شركة "بريتش بتروليوم"، بدء العمل في البحث عن البترول في جزيرة كمران اليمنية المحتملة. واستمرت الاحتجاجات اليمنية من قبل الإمام أحمد بن حميد الدين الذي خلف

(1) هذه الوثائق هي مجموعة من الرسائل المتبادلة بين حاكم عدن وبين وزير خارجية اليمن آنذاك محمد راغب بك. للمزيد ينظر: F. O. 371/31321. 22 nd September, 1941.

(2) النجار، حسين فوزي، السياسة الاستراتيجية في الشرق الاوسط، مكتبة النهضة - القاهرة، ط1، 1953م، ج1، ص48، ومابعدها.

(3) شرف الدين، أحمد، اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ص47 - 50.

والده في الحكم بعد العام 1948م ضد بريطانيا والذي عدها أعمال غير قانونية، توقفت بريطانيا عن استغلال البترول في المناطق المتنازع عليها بين اليمن وبريطانيا⁽¹⁾، ويشير قائد احتلال منطقة شبوة والعبر البريطاني "هاميلتون" إلى نفض شبوة بعد عشر سنوات من الاحتلال، فيقول: لقد لاحظت نضيق البترول في شبوة في أثناء زيارتي لها في العام 1937م، ولما كانت السلطات البريطانية أعجز من أن تجد مبرر للقيام باستغلاله، واحتلال المنطقة، أدعت من وجود اتفاق شفوي بينها وبين قبائل الصيعر البدوية لسكان المنطقة، يضع هذه القبائل في ظل الحماية البريطانية، مع أنه لم يكن هناك أي اتفاق بين السلطة البريطانية في عدن وبين زعماء المنطقة، وأن كل ما في الأمر هو أضعاف بعض الشرعية لاستغلال بترول منطقة شبوة والعبر⁽²⁾، وقد احتدم الصراع والتنافس بين البريطانيين والأمريكيين في السباق على التنقيب عن النفط في منطقة شبوة واليمن عموماً آنذاك، واستطاعت بعض الشركات الأمريكية للبترول عقد اتفاقية مع اليمن للتنقيب عن النفط، في أثناء زيارة الأمير عبدالله نجل الإمام يحيى، للولايات المتحدة الأمريكية في العام 1947م، ولكن بسبب معارضة زعماء اليمن للاتفاقية التي أعدوها مقدمة للتدخل الأمريكي في اليمن، واضطر الإمام إلى إلغائها، كما أخفقت الشركات الأمريكية في تحقيق أغراضها في منطقة شبوة، وسبب هذا يعود إلى معارضة إمام اليمن من ناحية ومن ناحية أخرى معارضة بريطانية، ولكن بريطانيا سهلت وقدمت المساعدات للبعثات الأمريكية ومنها بعثة عالم الآثار الأمريكي "وندل فيليبس" الذي دخل إلى منطقة شبوة ومأرب، وقد تجلت تلك المساعدات بتقديم سيارة ومرشد من رجال القبائل لتسهيل مهمته. وقد استطاع هذا الرجل بمساعدات بريطانيا وعمالها بتهديب كثير من القطع التي ترجع إلى العهد الحميري⁽³⁾. وفي مارس في العام 1949م قام شريف بيحان بعد الاتفاق مع السلطات البريطانية، ببناء مبنى للرسوم الجمركية

(1) سلطان، عبدالرحمن، الثورة اليمنية وقضايا المستقبل، القاهرة، ط1، 1979م، ص 175 - 177.

(2) للمزيد ينظر: بيربي، جان جاك، جزيرة العرب، تعريب نجد هاجر وسعيد العز، بيروت، ط1، 1960م، ص 140، والنص، عزة، الوطن العربي، مرجع سابق، ص 88.

(3) نعمان، أحمد محمد، كيف نفهم قضية اليمن، الاتحاد اليمني، القاهرة، ط1957م، ص 60 - 62.

في "نجد مرقد Nagd Marqad" الواقع على الطريق الحدودي الذي يربط بين وادي حريب في اليمن وبين النهاية الشمالية لقبائل بيحان والذي تمر به القوافل المحملة بالبضائع عند دخولها من اليمن وخروجها، احتج على تشييد بناء جمرك للرسوم الحاكم اليمني محمد القاضي حاكم البيضاء وحريب الذي يعمل بوصفه مسؤولاً للحدود بموجب المعاهدة المبرمة تمّ إبلاغه بنيات شريف بيحان وأنه لا توجد لديه أية نيات عدائية، ولكنه رفض ذلك وقال: إن تشييد بناء للرسوم الجمركية في هذا المكان يُعدّ خرقاً لفقرة ابقاء الوضع كما هو عليه *status quo* القانونية المنصوص عليها في معاهدة 1934م، ولكن رد حاكم عدن ومهندس اتفاق صنعاء السير "برنارد رايللي Sir Bernard Reilly" أنه مقتنعاً تمام الاقناع أن نجد مرقدًا كان يقع بالفعل ضمن إقليم بيحان. أما النقطة الثانية التي ذكرها في احتجاجه تضرب مثلاً على سوء تفسير اليمنيين للفقرة (3) المنصوص عليها في معاهدة صنعاء. وقال بالحرف الواحد أن اليمنيين لا يعترفون بالالتزامات القانونية التي تفرضها عليهم هذه المعاهدة، فهم لا يعترفون بأن هناك أية تشريعات دولية يمكن تطبيقها على الحدود اليمنية أو المنطقة المجاورة لها من الداخل⁽¹⁾. وفي 16 نوفمبر من العام 1949م، بعث رئيس الديوان الإمامي، القاضي حسين بن علي الحلالي، برسالة إلى والي عدن "شمبيون Champion" احتج على ما نشرته صحيفة فتاة الجزيرة العدنية خبر بعنوان: (شبوّة أرض الذهب والبترو) وأن بعثة علمية إمركية، سترسل إلى منطقة شبوة ومناطق حضرموت للبحث عن البترول والآثار، وأكد الحلالي في رسالته على أن منطقة شبوة يمنية عبر التاريخ، وأشار إلى النزاع الذي حدث بشأنها في عهد الإمام يحيى، والمباحثات التي جرت بين الطرفين التي انتهت إلى قبول الطرفين بتحييدها، وطالب الحلالي، الحكومة البريطانية، بالتوقف عن إرسال البعثة العلمية إلى هناك، والامتناع عن أي عمل. وفي الوقت نفسه طالب باستمرار المحادثات بين البلدين لتسوية الخلاف بين الجانبين، واحلال

(1) للمزيد ينظر: رايللي، برنارد، عدن واليمن، ترجمة منال سالم حلوب، دار الكتب صنعاء، ط1،

الامن والاستقرار والتعاون بين البلدين محل الخلاف والنزاع⁽¹⁾، وفي 13 ديسمبر من العام 1949م بعث حاكم عدن برسالة أخرى إلى الإمام أحمد، أبلغه فيها أن حسن إبراهيم مندوب اليمن لدى الجامعة العربية، قد أجرى محادثات مع السفير البريطاني في القاهرة، تناولت مسألة "مقاطعة شبوة Shabwa". وأكد من جديد أن عملية البحث عن البترول في منطقة شبوة، تمت بموافقة حكومة صاحب الجلالة والسلطة البريطانية في عدن، بصفة أن المنطقة جزء من محمية عدن، وليست جزءاً من مملكة الإمام كما تدعون. وأعرب عن رغبة الحكومة البريطانية في تقوية علاقاتها بالمملكة المتوكلية اليمنية وإقامة علاقات تعاون مع الحكومة اليمنية⁽²⁾.

4 - 3 - مؤتمر المصالحة اليمنية البريطانية 1950 - 1967م؛

في 10 مارس من العام 1950م، وجهت وزارة الخارجية البريطانية، الدعوة إلى وزارة الخارجية اليمنية، عن طريق رسالة رسمية بهذا الخصوص تضمنت عقد مؤتمر في لندن، لحل خلاف البلدين، وإلى تبادل التمثيل الدبلوماسي⁽³⁾، ولكن الخطاب تجاهل الإشارة إلى مسألة شبوة، والعبر، ونجد مرقد، تلك المناطق التي تعدّ بؤرة الصراع بين الجانبين منذ وقت طويل⁽⁴⁾، وقد وافقت الحكومة اليمنية على المقترح البريطاني، وعقد المؤتمر بالفعل في تاريخ 29 اغسطس من العام 1950م. وكان البند الثاني من جدول أعمال المؤتمر، يتعلق بمسألة شبوة، وشكوى الحكومة اليمنية من البعثة التي ارسلتها الحكومة البريطانية إلى منطقة شبوة للتفتيش عن النفط، وقبل البدء في المفاوضات، تقدم الوفد اليمني الذي كان يرأسه القاضي محمد عبدالله العمري،

(1) F. O. 371/75023. No. 74 13 th November. 1949 للمزيد ينظر: صحيفة فتاة الجزيرة، العدد

495، بتاريخ 22 محرم 1396هـ، الموافق 13 نوفمبر 1949م، ص 1، 4. جريدة السياسة المصرية،

العدد 1، 2، الاول من ديسمبر 1949م، ص 5

(2) F. O. 371/ 75023, 13 th December, 1949. ينظر: رايللي، برنارد، عدن واليمن، مرجع سابق،

ص 76 - 77.

(3) صحيفة الأهرام المصرية، الأعداد، 11، 31 يناير، و15 فبراير، 18 إبريل و18 مايو من العام 1950م

(4) عبد الحميد، كمال محمد، الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية، مطبعة السنة المحمدية -

القاهرة، دت) ص 26 وما بعدها، ورايللي، برنارد، عدن واليمن، مرجع سابق، ص 67 وما بعدها.

وكيل وزارة الخارجية اليمنية، باقترحين، الأول يتعلق بمسالة شبوة والعبير ونجد مرقد، وقبائل الصيعر والكر، والاقترح الثاني، يتعلق بالبند الثالث من جدول الأعمال ونصه: "أسلوب تقرير حدود الوضع الذي كان كما وجد في اثناء توقيع المعاهدة البريطانية - اليمنية لعام 1934م. وفي ختام المباحثات التي استمرت من 29 أغسطس حتى 12 أكتوبر من العام 1950م، تم التوقيع على اتفاقية بالأحرف الأولى بين وفد البلدين، جاء في البند الثالث من تلك الاتفاقية مايلي: للوصول إلى تسوية ما وقع من حوادث أو منازعات في أماكن مختلفة من مناطق الأطراف وهي الحوادث والمنازعات التي كانت محلًا للبحث بين الحكومتين، توافق الحكومتان على إنشاء لجنة مشتركة تتألف من عدد متعادل من ممثلي الحكومتين ويكون اختصاصها معاينة المناطق المتنازع عليها على الطبيعة (أي على أرض الواقع) كما كان قائمًا في العام 1934م، وللجنة أن توصي بناء على نتائج تحقيقها على نحو ماتقتضيه تطبيق معاهدة 1934م، أو على نحو ماتقتضيه العدالة بحسب الأحوال، وأكدت الاتفاقية، كذلك على أنه لا يوجد في الوقت الحاضر في منطقة شبوة أية قوة عسكرية، أو هيئات إدارية، وعلى الرغم من هذا التأكيد على حياد المنطقة⁽¹⁾. وقد رحبت الجامعة العربية باتفاق الدولتين على عقد اتفاق⁽²⁾. وعلى الرغم من هذا التأكيد على حيادية المنطقة، فقد أوفدت بريطانيا خبراء للتقريب عن النفط، وشقت طريقًا بين شبوة وعدن تحت إشراف قوة عسكرية⁽³⁾، وسيطرت على منطقة العوالق العليا وشكلت مشيخة العوالق وخليفة في العام 1951م، وفي 16 ديسمبر من العام 1951م عارض مجموعة من قبائل خليفة التدخل البريطاني وضمهم إلى مشيخة العوالق العليا، وتوجهوا إلى عامل الإمام بالبيضاء القاضي

(1) للمزيد ينظر: F. O. 371/82035. EA10510/1. confidential, Anglo - Yemen conference,

.F. O. 93/11313، 29 August, 1950، ومشروع اقتراح لنظام مؤقت مع اليمن

(2) عامر، أحمد محمد أمين، دبلوماسية جامعة الدول العربية وقضية اليمن المحتل، بين 1945 - 1967م) أطروحة دكتوراه - جامعة القاهرة - علوم سياسية غير منشورة 1970م، ص 181 - 182، راييلي، برنارد، عدن واليمن، مرجع سابق، ص 81 وما بعده.

(3) عبد الحميد، محمد كمال، الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص 130 -

الشامي، وقابلوا الإمام فيما بعد طالبين نجدته والانضمام إلى الحكومة اليمنية ولكنه خذلهم⁽¹⁾، وقد أعدت الحكومة اليمنية هذا التصرف انتهاكا لاتفاقيتي 1934م، 1950 - 1951م، كما أنها أعدت هذا الطريق لارتباطها باستغلال نفط المنطقة وثرواتها المعدنية فقط بل قد تستغله بريطانيا بوصفه طريقاً عسكرياً تستطيع أن تهدد به، أمن المملكة المتوكلية اليمنية⁽²⁾. ومن وجهة النظر البريطانية، للرد على اتهامات الحكومة اليمنية لها، بانتهاك معاهدة صنعاء، واتفاقية لندن، يقول المستر "هارولد إنجرامز Harold Ingrams" لقد انتهزت السلطات البريطانية، فرصة وجود الفنين الإنجليز في عدن، الذين جاءوا لتركيب معدات معمل تكرير البترول في عدن الصغرى في العام 1952م، فأرسلتهم إلى منطقة شبوة للكشف عن النفط هناك واعتقدت الحكومة اليمنية، أن المنطقة غنية بالنفط، وأن بريطانيا ترمي إلى مد خط من الأنابيب من شبوة إلى معمل النفط الذي يتم انشاؤه في عدن. وكان هذا الأمر قد دعا حكومة الإمام، إلى الاحتجاج وعدته خرقاً لمعاهدي البلدين، التي كفلنا بقاء الوضع دون تغيير حتى يتم أثبت فيه في مباحثات مستقبلية، ودعا الإمام أحمد، زعماء القبائل في شبوة إلى الوصول إلى تعز - مقر حكمه - وبالفعل استجاب عدد كبير منهم للدعوة، وفي أثناء حضورهم إليه، قام بتحريضهم ضد السلطات البريطانية، وأمدّهم بالمال والسلاح والذخيرة، وفي نهاية نوفمبر من العام 1953م، بدأ بعض رجال قبائل المنطقة بمقاتلة السلطات البريطانية في شبوة وحضر موت⁽³⁾، وفي العام 1954م، حدثت مشاكل وحروب داخلية بين قبائل شبوة، وعجزت بريطانيا عن التمدد في المنطقة، مما دعاها إلى إرسال رسالة

(1) لقد خذلهم الإمام أحمد وأخذ منهم رهائن وإعطاءهم علم المملكة المتوكلية اليمنية وطلب منهم جباية الضرائب في مدينة عتق وتوريدها إلى حكومته، وأسفوا على ذلك التصرف، وطلبوا بالإفراج عن الرهائن. للمزيد ينظر: فتاة الجزيرة، العدد 604 بتاريخ 31 يناير 1952م، ص 1، 5، وطوحد، خالد عبد الله، العوائق وتكوينهم السياسي الحديث، مرجع سابق، ص 165.

(2) العقاد، صلاح، المشرق العربي المعاصر، القاهرة، ط 1983م، ص 537.

(3) للمزيد ينظر: Harold Ingrams: The Yemen, Imams Rulers and Revolutions, London, 1963, P. 85.

في 31 اكتوبر من العام نفسه، إلى وزير خارجية اليمن، الأمير عبدالله، اقترحت فيها عقد مؤتمر في منطقة (العبر) لأجل المصالحة بين قبائل شبوة المتنازعة، ويكون بالإضافة إلى الحضور ممثلين عن البلدين حضور ممثلين عن كل قبيلة من قبائل الصيعر، والكرب، ودهام وغيرها. وقد ردت الخارجية اليمنية بالموافقة على الاقتراح البريطاني. وعينت القاضي محمد عبدالله الشامي، أمير لواء البيضاء، وعضوية عامل الجوف، ومأرب، والسيد محمد الشرفي، والشيخ سالم الرماح، بوصفهم ممثلين لها في المؤتمر، وعقد المؤتمر في نهاية شهر فبراير من العام 1954م، في العبر، واستطاع المجتمعون عقد صلح بين القبائل المتصارعة⁽¹⁾. وقد استمر النزاع اليمني البريطاني حول منطقة شبوة حتى استقلال الشطر الجنوبي من اليمن في 30 نوفمبر 1967م بعد انسحاب آخر جندي بريطاني وإعلان جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وبهذا فقد أقيمت دولة جديدة في جنوب اليمن بدلاً من تحقيق الوحدة اليمنية، وأتت الرياح بما لم تشتهي السفن، وعندها ظهر تباين كبير في الاتجاهات داخل نظام الحكم منذ اللحظة الأولى لإعلان الاستقلال إذ تولت قيادة المباحثات في الخارج مسؤولية الحكم، وورثت أوضاع اقتصادية صعبة بعد أن تنازلت عن التعويضات البريطانية مقابل الحكم⁽²⁾. واستمرت الاحتقانات السياسية والانقلابات العسكرية وخطوات التصحيح حتى توحدت مع شمال اليمن وإعلان الجمهورية اليمنية في 22 مايو 1990م. واستمرت الاضطرابات السياسية والحروب بين الشمال والجنوب، مروراً بحرب 1994م، والحرب الحوثية في العام 2015م مع تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية حتى الآن.. وهانحن اليوم نقف على مفترق الطرق بين خيارين لا ثالث لهم، إما قيام دولة اليمن الاتحادية أو انفصال الجنوب على حدود ما قبل 22 مايو من العام 1990م، في ظل أوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية بالغة الصعوبة، مع انتشار (فيروس كورونا) الذي يهدد البشرية بالفناء. فعلى الأطراف المتنازعة إيقاف الحرب العنيفة والجلوس

(1) C. O. 1015/831. No. G 18/2319. 7 th November. 1954

(2) طوحل، خالد العوالق وتكوينهم السياسي الحديث، مرجع سابق، ص 331 - 336.

على طاولة المفاوضات وحل الخلافات السياسية بالطرائق السلمية بما يخدم مصلحة شعوبهم وأمنهم واستقرار بلادهم أمام الحرب الجرثومية والإرهاب العسكري الذي حذر منه العالم البريطاني "مارتن ريس" قبل (17) عامًا في كتابه - ساعتنا الأخيرة - عن قيام جهات مجهولة باستعمال "إرهاب المعرفة القاتلة عن طريق نشر وباء جرثومي في هذا العام 2020م يقضي على مليون شخص في العالم؛ لأن العام 2020م سيكون عام الخطأ الذي أعد له مجموعة من الأشرار، هم المتنورون الذين يرغبون في قتل الناس حتى يتمكنوا من السيطرة على الثروات الطبيعية عن طريق حكومات ضعيفة تخضع لهم وهانحن اليوم فيها فهل من عاقل يدرك الأخطار التي تحاك باليمن وأهله⁽¹⁾.

الخاتمة:

وبعد رحلة البحث استطعت أن أصل إلى نتائج وتوصيات مهمة، منها:

أولاً: النتائج:

◆ بينت الدراسة تقاسم النفوذ والهيمنة والاستعمار بين البريطانيين والعثمانيين على اليمن، وفيما بعد النزاع اليمني البريطاني على الحدود وانعكاساته على عدن ومحمياتها والذي حرم شعب الجنوب العربي من الاستفادة من ثرواتهم النفطية والمعدنية كباقي دول الجوار الخليجية على مدى (53) ثلاثة وخمسون عامًا.

◆ بينت الدراسة الأهمية الإستراتيجية لمنطقة شبوة لاسيما لليمن ولبعض القوى الاستعمارية المتنافسة عليها (بريطانيا، إيطاليا ألمانيا) لما تحتويه من ثروات نفطية ومعدنية أو بالأخص (منطقة حيوية اقتصاديا أو سياسياً أو عسكرياً heartland) خلال مدة الصراع البريطاني الإمامي، أو ما بعد الاستقلال الوطني إلى الآن.

◆ أثبتت الدراسة أن شبوة تحتوي على كنوز من الأثار والنفط والذهب المظمورة في رمالها وصحاريها من خلال النزاع البريطاني اليمني على المنطقة وأهميتها ومن خلال الرحلات التي قام بها الرحالة الأوروبيون إلى شبوة والاستكشافية النفطية

(1) للمزيد ينظر: طالب، هشام، بناء الكون ومصير الانسان نقض لنظرية الانفجار الكبير، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط1، 2006م، ص671.

والأثرية الموثقة في دراساتهم وبحوثهم ومنشوراتهم وخرائطهم المنشورة.

◆ أثبتت الدراسة أن شبوثة هي منبع الحضارة اليمنية التي قامت على أرضها ثلاث ممالك حضارية قديمة. ق. م. من إجمالي خمس ممالك يمنية قديمة حضارية سادت ويجب الحفاظ على ماتبقى من ذلك الإرث التاريخي على تراب تلك البقعة التاريخية وإعلان بعض المناطق محرمة من أي نزاعات مسلحة مثلها مثل (صنعاء القديمة وتريم والأقصر وبعبلبك وروما باقي مناطق العالم الحضارية والتاريخية).

◆ أثبتت الدراسة ان لشبوثة وقبائلها سبق الاول في اعتناق الدين الاسلامي وفي الفود الى رسول الله والدعوة لقيام دين الله الواحد الأحد والدخول فيه طواعية ونشر العقيدة الإسلامية السمحاء في ربوع الوطن اليمني وباقي الأمصار العربية والإجنبية.

◆ بينت الدراسة أهمية شبوثة في الحقبة الاستعمارية إذ قامت على أراضيها أربع (سلطنات وإمارات ومشیخات) أن دلَّ على شيء هذا في عرف السياسة وإنما يدل على سياسة فرق تسد لقبائلها الشكيمة من أجل السيطرة والاستحواذ على ثرواتها النفطية والمعدنية.

◆ وضحت الدراسة الموقع الاستراتيجي لمحافظة شبوثة التي تحتل موقعًا متميزًا يشرف على الساحل العربي وخليج عدن ويربط بين صنعاء وحضرموت عبر صحراء الربع الخالي وعدن وحضرموت، ومفتاح الربع الخالي بالمملكة العربية السعودية عبر الخط الدولي عبر منفذ (الوديعة) الحدودي مع السعودية الذي يعدّ المعبر الوحيد، وطريق حضرموت الساحل المرتبط بالخط الدولي الرابط بعمان والإمارات وباقي مناطق الخليج العربي.

◆ بينت الدراسة النهب والتجريف لآثار شبوثة عبر البعثات العلمية الأجنبية وعبر عملاء ومرتزقة من بعض من الجهلاء من ابناء المنطقة التي ساعدت في نهب آثار شبوثة في حقبة الاستعمار البريطاني وعهد الرفاق والوحدة اليمنية.

◆ أثبتت الدراسة أن روح المنافسة والعداء بين حكام الجنوب ومشايخها وكل حاكم يحاول السيطرة على النواحي الخاضعة لجيرانه، ولا يوجد لهم من سلطان

أو رئيس أو حاكم يوحدهم ويجمع مصالحهم في بناء دولة اتحادية كدول الجوار الخليجي بل ظلوا بحالة من الفقر والحرمان وأنهم يعيشون على المساعدات البريطانية وجباية الأموال من القوافل العابرة بأراضيهم، مع بقاء الوجود البريطاني ضرورة.

♦ بينت الدراسة أن عهود حكام الجنوب مع البريطانيين صادقة معتقدين أن حماية البريطانيين لهم ضرورة لاستمرارهم في نفوذهم، وأن كل القوى الخارجية غير الانجليز تهدد مكانتهم وتستغل اراضيهم لمصالحها الخاصة.

♦ بينت الدراسة حالة العداء للإمام ونظامه الملكي المستبد، وعدم وجود الرغبة من حكام وأمراء الجنوب في الخضوع او الانضمام له، وأن الإمام يساوم بعلاقاته ومصالحه على حساب المحميات محاولاً ضمها إلى نفوذه وتخريب وتعطيل أي مشاريع تنمية فيها.

ثانياً: التوصيات:

وأرى أن أوصي لحركة هذا التاريخ لمحافظة شبوة ولأهميتها التاريخية والاقتصادية والسياحية على النحو الآتي:

1 - الحفاظ على مناطق الآثار في شبوة مثلها مثل باق المناطق الأثرية المقدسة والمحرمة ك (صنعاء وبغداد، ودمشق، والبراء، وإهرامات الجيزة، وتاج محل، وقصر عابدين، وقصر الجوهرة، في مصر.. إلخ والحفاظ على كل المعالم الأثرية والتاريخية واستعادة كل ما نهب ودمر من آثار في العهد الاستعماري وماتلاه من أنظمة سياسية وكوارث وحرب حلت باليمن حتى اليوم،

2 - نوصي بالحفاظ على المعالم الأثرية في المدن الأثرية والتاريخية القديمة لعواصم وممالك اليمن القديم وسلطانات وإمارات ومشيخات الجنوب ك (مدينة تمنع، وشبوة القديمة، وهجر بن حميد، وعبدان، وضراء، ونصاب، ومرخة، وقناً وحبان وميفعة، وجردان والصعيد ويشبم، والنقوب، والجابية، وسرع.... إلخ) من المدن التاريخية القديمة في محافظة شبوة.

3 - الاهتمام بترميم القصور والحصون والقلاع والمساجد القديمة وإعادة تأهيلها

نظراً لقيمتها التاريخية والفنية والمعمارية النادرة، والاعتناء بالبيئة العمرانية المحيطة بها، بل ينبغي أن يكون ترميم هذه القصور والمعالم على نمطها التاريخي المعماري القديم كـ (قصر بئر علي في بلحاف، وقصر السلطان الهبيلي في بيحان - النقوب، وقصر الشيخ سلطان محسن بن فريد العولقي في الصعيد، وقصر شيلوب، وقصر الشيخ السلطان العولقي في نصاب وقصر السلطان الشيخ الواحدي في ميفعة، ومصنعة حبان، وقصر ذبيان في عتق وغيرها من القصور والحصون الخاصة والحكومية التاريخية والأثرية في المختلفة.

4 - الإسراع في تعيين رئيس لجامعة شبوذة ونوابة، بعد صدور القرار الجمهوري بإنشاء وتأسيس جامعة شبوذة في العام 2010م مثل باقي محافظات الجمهورية الذي تاخر إلى اليوم، وإنشاء (كلية الآثار والسياحة) لما لها من أهمية بالغة في قلب العاصمة، مع إنشاء مركز الآثار والدراسات التاريخية والجيولوجية يقوم بعمل بحثي متخصص بشبوذة وفي مجال الآثار والدراسات الجولوجية والتاريخية من ضمن مراكز جامعة شبوذة ومن أجل التوثيق والرصد والتوعية المجتمعية إعلامياً وحثهم على الحفاظ على الآثار والمعالم الأثرية والنفطية والمعدنية التي تكتنرها محافظة شبوذة وعدم العبث أو التعدي على المعالم الأثرية والنفطية، وتشجيعهم على مشاركتهم للجهات المختصة والعمل معها على صيانة المعالم وذلك من خلال المؤسسات الحكومية والخاصة والشركات الأجنبية في النفط والغاز في المحافظة، وتشكيل الجمعيات المتخصصة أو المهنية بهذا المجال كجمعية شبوذة للآثار، وجمعية الجيولوجيين للحفاظ على تلك الكنوز المغمورة في رمال شبوذة وصحاريها.

5 - إعادة تأريخ المعالم الأثرية القديمة التي طالتها أيادي ومعاول الهدم والطمس ولم يبقَ عنها من المعلومات شيء إلا ما ندر من أخبار وروايات بإعداد مجسمات ونبد تاريخية مختصرة عنها حتى يتسنى للأجيال الحاضرة والقادمة التعرف عليها وعلى تاريخ أمجاد حضارتهم المطموسة والمدمرة والمنهوبة ووضعها في متحف عتق.

6 - نوصي بتوقيف الحرب العنيفة واللجوء للمفاوضات والحوار أمام جائحة فيروس كورونا الذي يهدد حياة البشرية جمعاء والسماح لفرق الإغاثة والإغاثة الدولية والإنسانية بالعبور إلى مختلف مناطق اليمن، وإغلاق جميع المنافذ البرية والجوية والبحرية ولاسيما سواحل شبوة وحضرموت وخليج عدن أمام الأفارقة المهاجرين حتى يتم القضاء على هذا الفيروس الخطير الذي يهدد حياتنا وإفناء حياة الآلاف في الصين وإيطاليا وأمريكا وفرنسا وبعض من دول الجوار العربي والإفريقي.



(1) خارطة بريطانية تبين حدود اليمن ومحمية عدن وخط الحدود الفاصل بين اليمن ومحمية عدن ومناطق الصراع



(2) خريطة: حديثة تين بلوكات (لحقول النفط في شبوة وحضرموت)



(3) صورة تين منطقة الدراسة (محافظة شبوة عبر الأقمار الصناعية من الجو)

المقاومة الشعبية للوجود البريطاني في سلطنات شبوة ومشيخاتها (1934 - 1967م)

مقدمة



الدكتور محمد سعيد يسلم المدحجي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية التربية/ شبوة - جامعة عدن

شهدت مناطق محافظة شبوة بمختلف سلطناتها ومشيخاتها (سلطنة العوالق العليا، ومشيخة العوالق العليا وخليفة، وسلطنة الواحدي، وإمارة بيحان)، كثيرًا من الانتفاضات القبلية منذ وقت مبكر للتدخل البريطانيين لفرض حمايتهم وسيطرتهم على هذه المناطق عبر حكامها المحليين من سلاطين ومشائخ وأمراء، الذين عمل البريطانيون على دعمهم بالأموال والسلاح من أجل تمكينهم من إحكام سيطرتهم على مناطقهم وقبائلهم المتعددة، لتصبح مهياً لقبول السياسة البريطانية

المعدة للمنطقة حينها. وبعد أن نفذ البريطانيون سياسة الحماية على هذه السلطنات والمشيخات، فرضوا نفوذهم غير المباشر عليها من خلال كسب ولاء حكامها المحليين، ثم طوروا هذه السياسية إلى سياسة الاستشارة التي تمكنوا خلالها من فرض نفوذهم المباشر على سلطنات شبوة ومشيخاتها عبر مستشاريهم المقيمين في هذه السلطنات والمشيخات منذ الأربعينيات من القرن الماضي وما بعدها.

وفي مرحلة لاحقة منذ تطور النضال المسلح والمنظم في عدن وباقي سلطنات جنوب اليمن ومشيخاته، وقيام ثورة 14 أكتوبر 1963م، انتقلت المقاومة الشعبية في مناطق شبوة من مرحلة المقاومة القبلية العفوية إلى مرحلة المقاومة الشعبية ذات الطابع المنظم من

خلال تشكيل الخلايا التنظيمية السرية لإدارة المقاومة والعمليات المسلحة وتوجيهها ضد البريطانيين وعملائهم من الحكام المحليين، وقد أشرف على ذلك العمل التنظيمي للمقاومة المسلحة قيادات من أبناء مناطق شبوة المختلفة ومن خارجها، متمين لعدة قوى سياسية مناهضة للاحتلال البريطاني وعملائه، منها: الجبهة القومية، وجبهة التحرير. ويمكننا تحديد مراحل هذه المقاومة الشعبية في مختلف مناطق شبوة إلى مرحلتين رئيسيتين على النحو الآتي:

أولاً: الانتفاضات القبلية ذات الطابع العفوي؛

على الرغم من أن هذه الانتفاضات كانت عفوية دون توجيه سياسي محدد، فإنها قامت على أرضية الدفاع عن الكرامة، ورفض السياسة البريطانية الرامية إلى تدعيم سلطة السلاطين والمشائخ على حساب مواطنيهم، لفرض سيطرتها على المناطق الداخلية⁽¹⁾، ورفض سياسة التعسف التي بدأها البريطانيون بالشروع في إقامة نظام ضرائبي قاس، مما دفع القبائل إلى رفضه وعدم القبول به، ومثال ذلك ما فرض على منطقة العوالق العليا لأول مرة من نظام ضرائبي مخيف سمي "التخمين"⁽²⁾، وكذلك رفض مقترحات بريطانيا لإجبار الفلاحين على زراعة ربع أراضيهم قطعاً كما حدث في بيحان، مما دفع البريطانيين إلى تحريك قواتهم العسكرية لمواجهة القبائل؛ ما أدى إلى الأحداث الدامية والانتفاضات المستمرة التي لم تخدم إلا بصعوبة بالغة من قبل البريطانيين⁽³⁾.

وعمت تلك الانتفاضات القبلية معظم مناطق محافظة شبوة في بلاد العوالق العليا وبني هلال والواحدي وبيحان، وسوف نستعرضها في هذا البحث بحسب الأقدمية الزمنية التي تمحورت الدراسة عليها كالآتي:

(1) جماعة من محاضري معهد عبدالله باذيب، مسار التطور التاريخي للثورة اليمنية، دار الهمداني، عدن، د. ت ص 81.

(2) التخمين: هو نظام ضرائبي يقوم على تقدير مندوب السلطة لمحصول الحبوب قبل حصاده، وتفرض الضريبة بمقتضى هذا التقدير، وكان هذا النوع من النظم الضرائبية جائراً للغاية؛ مما دفع القبائل إلى رفضه ومقاومته، ومن ثم بدأت أولى المصادمات بين القبائل والبريطانيين. ينظر: مقبل، سيف علي، دراسات في التاريخ اليمني، دار الهمداني، عدن، 1988م، ص 149.

(3) مقبل، سيف علي، أكتوبر الثورة التحريرية المسلحة في الجنوب، ط 1، مركز عبادي، صنعاء، 2002م، ص 23 - 24.

1 - الحملة على مرخة بقيادة الشيخ امذيب بن صالح العولقي 1934م:

بدأت اتصالات الشيخ الثائر امذيب بن صالح بن فريد العولقي⁽¹⁾ منذ مطلع القرن العشرين مع الإمام يحيى من خلال المراسلات التي تؤكد التنسيق بين الطرفين في عداء البريطانيين ومقاومة توسعهم ومد نفوذهم في مناطق الجنوب، وكانت ثمرة هذه المراسلات الاتفاق بين الإمام يحيى والشيخ امذيب على تشكيل قوة من قبائل البيضاء يرسلها الإمام، فضلاً عن مجاميع من قبائل العوالق، بلغ قوام هذه القوة حوالي أربعة ألف مقاتل بقيادة الشيخ امذيب بن صالح، وتعاطف العاقل السيد ناصر بن محسن بن الحاج وجماعته السادة " آل المحضار " سكان مرخة مع تلك الحملة التي وصلت إلى جبل لهما المائل على هجر السادة "آل محسن"، وتوغلت هذه القوة حتى وصلت إلى مشارف مدينة واسط المركز الرئيس لوادي مرخة، وتمركزت في حزمة "آل قاحل".

وعندما شعرت بريطانيا بهذه التحركات قامت بالتنسيق مع الأشراف آل الهليلي حكام بيحان لإرسال قافلة عسكرية للدفاع عن مرخة بقيادة الشريف عوض بن أحمد الهليلي الذي تمكن من الدخول إلى مطرح السادة "آل حفيظ"، ثم أعطى إشارة ل سلاح الجو البريطاني لضرب هذه القوة المرابطة في حزمة "آل قاحل"، وفعلاً استطاعت الطائرات البريطانية قصف هذه القوة، وقتلت منهم خمسين رجلاً، والعديد من الجمال، مما أدى إلى انسحابهم إلى قرية "نفاق" الحدودية مع البيضاء، ومن ثم فشلت هذه الحملة التي أراد لها الإمام يحيى والشيخ امذيب بن صالح، السيطرة على مرخة وجعلها قاعدة لانطلاق الثورة في بلاد العوالق وبيحان⁽²⁾.

(1) الشيخ امذيب بن صالح بن فريد العولقي: يُعد الشيخ امذيب بن صالح ثائر وأديب وشاعر، ينتمي لأسرة (آل فريد بن ناصر) مشائخ العوالق العليا، وعلى الرغم من أن أبناء عمومته (آل محسن بن فريد) حكام مشيخة العوالق العليا قد ارتبطوا بمعاهدة حماية مع البريطانيين؛ إلا أن الشيخ امذيب اختلف معهم منذ البداية، ويظهر ذلك في كثير من أقواله الشعرية، وكذا في مراسلاته مع الإمام يحيى ومع الملك عبدالعزيز بن سعود ملك السعودية، بأنه كان رافضاً للوجود البريطاني في بلاد الجنوب عامة وبلاد العوالق خاصة، ولديه رغبة في ارتباط هذه المنطقة بدولة مسلمة كمملكة الإمام في شمال اليمن، أو مملكة آل سعود بدل الارتباط مع البريطانيين. ينظر: العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوالق، ج2، ط1، دار قتيبة، دمشق، 2005م، ص 311 - 341.

(2) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوالق، ج2، ص 316 - 317.

2 - انتفاضا قبايل المصعبين (حدجة وعيلان 1935م) :

مثلت انتفاضا حدجة وعيلان أولى الصدمات المباشرة بين الاحتلال البريطاني وقبايل المصعبين في بيحان، التي استخدم فيها البريطانيون العنف المسلح لقمع الأطراف التي وقفت ضد مخططاتهم لسيط نفوذهم على المنطقة، فمنطقة حدجة هي ضاحية من ضواحي العليا في بيحان، وكان الشيخ عبدالله مبارك البجاعي هو أحد مشائخ هذه المنطقة وأعيانها، وفي عام 1935م طرح البريطانيون فكرة وجوب قيام الإمارة الهبيلية في بيحان وطلبوا رهائن من أبناء مشائخ المنطقة وأعيانها لضمان ولائهم وطاعتهم، ولكن الشيخ البجاعي رفض وتصدى لهذه الفكرة وامتنع عن تقديم أحد أبنائه رهينة، وأمام هذا الرفض قررت الحكومة البريطانية في عدن قصف مطرح الشيخ البجاعي في حدجة تحت ذريعة إعاقة مطار بيحان بالرونة، وأرسلت الإنذارات لمشائخ بيحان، ومن بينهم الشيخ البجاعي، وفعلاً تم القصف الجوي لمطرح البجاعي لمدة ثلاثة أيام ضمن القصف العام لقرى أخرى في بيحان، أحدث خسائر جسيمة في الأموال والممتلكات⁽¹⁾.

أما حادثة قصف عيلان التي ترافقت مع قصف (حدجة) مطرح البجاعي، فعيلان كذلك من ضواحي مدينة العليا، ومقر سكن الشيخ علوي أحمد الفاطمي شيخ قبائل المصعبين وعائلها بشكل عام، وقد عُرفت عنه معارضته للمخططات البريطانية لمد نفوذهم إلى بيحان، ولهذا كان البريطانيون يكتنون العداء للشيخ علوي أحمد، ويتحينون الفرصة السانحة لضربه والقضاء عليه، وحانت لهم الفرصة في مطلع عام 1935م عندما لجأ القراة بقيادة أحمد ناصر القردعي شقيق الشيخ الناصر علي ناصر القردعي إلى الشيخ علوي أحمد الفاطمي هارين من الإمام يحيى، فاستقبلهم الشيخ علوي وأسكنهم في حصنين يسمى الأول "حصن أحمد علوي"، ويسمى الحصن الآخر "حصن مسعدة" في منطقة عيلان⁽²⁾.

وهكذا اتخذ البريطانيون من إيواء الشيخ الفاطمي للقراة ذريعة لضربه والانتقام منه، نتيجة لوقوفه ضد مخططاتهم ومعارضته لهم، فأرسل الضابط البريطاني "ديفي"

(1) أبو نهار، صالح عبدربه، شعراء بيحان والمقاومة الشعبية ضد الاحتلال البريطاني، دون دار نشر، د.ت، ص 21، ص 35.

(2) القباص، مهدي راشد، الإمارة الهبيلية الهاشمية، رسالة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، كلية الآداب/ جامعة عدن، ص 104.

إنذارًا للفاطمي يأمره بطرد القراذعة من عيلان، وكذلك أرسل كلاً من الشريف عوض بن أحمد الهبيلي، ومن ثم الشيخ أحمد قاسم الفقير للتفاوض مع الفاطمي بشأن خروج القراذعة، ولكن الشيخ علوي الفاطمي رفض رفضاً قاطعاً طرد القراذعة من بلاده، عندئذ قامت الطائرات البريطانية بإلقاء المنشورات التي تحمل إنذارًا للشيخ علوي بن أحمد الفاطمي، وتدعوه للائتمثال للحكومة البريطانية والولاء للشريف الهبيلي، وطرده القراذعة من حصونه في عيلان، وفي حالة عدم ائتمثاله لتلك الأوامر فإن الطائرات البريطانية سوف تقصف المنطقة لاسيما عيلان بعد شهر من تاريخ هذا الإنذار⁽¹⁾.

ونتيجة لعدم ائتمثال الشيخ علوي الفاطمي لما جاء في الإنذار قامت الطائرات البريطانية في 14 أبريل 1935م بقصف منطقة عيلان وحصونها محدثة خسائر في الأرواح والممتلكات، مما اضطر الفاطمي والقراذعة إلى الخروج من عيلان، فاتجه الفاطمي إلى منطقة "لحمر" من بلاد آل فضل، بينما اتجه القراذعة إلى مرخة عند السادة "آل المحضار"⁽²⁾، ولم يكتف البريطانيون بالقصف العنيف على منطقة عيلان، بل فرضوا غرامة مالية قدرها 2500 ريال ماريا تريزا على الشيخ علوي الفاطمي، وقد تعاون معه في دفعها الميسورون من أهل منطقة الوسطة، كما أنهم قاموا بتدمير أحد حصونه والمسمى (حصن سالمين)⁽³⁾.

3 - انتفاضة قبيلة آل العظم (الحامية 1939م) :

قبيلة آل العظم هي إحدى قبائل آل الأحنف الذين ينتمون إلى ذيب حمير⁽⁴⁾، وعُرف عنها منذ القدم عدم خضوعها لآل عبد الواحد وعدائها للبريطانيين، ففي عام 1931م اعترضوا الكولونيل "أم. اس. ليك" الذي كان متوجهًا من بالحاف إلى عزان لزيارة السلطان عبدالله بن محسن الواحدي، وكانت ترافقه بعض القبائل لحمايته، فاعترضهم آل العظم

(1) وثيقة منشور الإنذار لقصف منطقة عيلان في بيحان الذي رمته الطائرات البريطانية مؤرخ في 14 مارس 1935م.

(2) العمري والقردي، الشهيد علي ناصر القردي، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1999م، ص56.
(3) العليمي، عبدالله بن عبدالقادر، أبناء الزمان في من رحل من علماء بيحان، ط2، من دون دار نشر، 2008م، ص193.

(4) الناخبي، عبدالله، حضرموت: فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب، دار الأندلس، جدة، د.ت، ص175 - 178.

وحاولوا منعهم من المرور، ولكنهم استطاعوا المرور بعد معركة قتّل فيها أحد مرافقيه. ونتيجة لاستمرار آل العظم في عدم خضوعهم للسلطنة الواحدة وإغلاق الطرق التجارية، بدأ البريطانيون بالتدخل للقضاء على حركة آل العظم، ويرجع ذلك لكونهم في ذلك الوقت بدأوا بالتمهيد لمد نفوذهم الفعلي في الداخل بالنسبة للسلطنة، وكان لابد لهم لسيط نفوذهم من إحلال الأمن وتأمين الطرق في هذه المناطق، وفي عام 1936م بعث "سيجر" المقيم السياسي بحكومة عدن برسالة إلى الشيخ عبدالله بن هادي العظمي عاقل آل العظم المؤرخة 14/9/1936م يطلب فيها فتح الطريق التجارية بين بالحاف، وعزان والحوطة، وينذرهم أنهم إذا لم يمثلوا لذلك، فإنه سوف يفرض عليهم حصارًا اقتصاديًا من جميع السلطنات والمشيكات المجاورة⁽¹⁾.

إلا أن آل العظم رفضوا الامتثال لأوامر "سيجر" وبعد ثلاث سنوات من الحصار وسياسة التجويع، شعر البريطانيون بعدم جدوى هذا الحصار، فبدأوا بأسلوب التهديد من خلال رمي المنشورات من الطائرات على مناطق آل العظم عدة مرات، وفي المرة الأخيرة التي سبقت حملتهم العسكرية الجوية والبحرية قاموا برمي منشورات تحذر السكان أنهم سوف يتعرضون لضربة جوية قوية، وفي يوم الجمعة 16/11/1939م اجتمع آل العظم ومن معهم من قبائل آل لخنف لتدارس الوضع وكيفية مواجهته، لأن العدو يمتلك قوة عسكرية هائلة سوف تضرب من البحر ومن الجو، أما المقاومون فلا يمتلكون من الأسلحة إلا بنادق خفيفة، وبعد أن تبادل المجتمعون الرأي والمشورة فيما بينهم أجمعوا على مواجهة القوات البريطانية دفاعًا عن أرضهم وكرامتهم.

وتم توزيع المقاومين من رجال آل العظم، وبعض القشاعر، وكذلك بعض رجال قبائل آل لخنف الآخرين على شكل مجموعات ليتخذوا مواقعهم على قمم الجبال المحيطة بمنطقة الحامية⁽²⁾، وفي صباح يوم السبت 17/11/1939م بدأت القوات البريطانية بالهجوم على الحامية من البحر والجو باستخدام سلاح الجو الملكي البريطاني الذي بدأ بتوجيه ضربات القوية والمتواصلة على المنطقة، وشبت الحرائق في النخيل والمزارع،

(1) رسالة من سيجر المقيم السياسي في عدن إلى الشيخ عبدالله بن هادي العظمي عاقل آل العظم مؤرخة 14/9/1936م.

(2) مجلة حبان، السنة الثالثة، نوفمبر - ديسمبر 2005م، العدد 35، ص 14.

واستمر المقاومون على الرغم من بدائية عدتهم وعتادهم في مواقعهم يقاتلون، فتمكنوا من إسقاط طائرتين حرييتين إحداهما سقطت في البحر وأُنقذ طياروها من قبل البارجة البريطانية المرابطة هناك، والأخرى سقطت بالقرب من عرقة، ونتيجة لهذه الخسائر التي لحقت بالبريطانيين ثارت ثائرتهم وكثفوا القصف الهمجي والوحشي على الأخضر واليابس، مما أدى إلى تدمير كثير من منازل السكان وإتلاف الأراضي الزراعية والنخيل. وبسبب هذا القصف العنيف وإمكانات المقاومين المحدودة لم يكن هناك مجال سوى قبول الدخول في مفاوضات، واختارت قبائل آل العظم وآل لخنف الشيخ سالم بن سعيد المطهافي ممثلاً لها في المفاوضات، واضطروا إلى قبول شروط التسليم المجحفة التي عرضها البريطانيون وهي: ألف ريال غرامة وخمسون بندقية وخمسمائة ألف رصاصة وثلاثمائة رأس غنم، وخمسة رهائن لضمان على عدم التعدي والامثال للحكومة⁽¹⁾.

4 - انتفاضة قبيلة آل رشيد بقيادة "آل علي بن أحمد" (الريدة 1939م):

عُرف آل علي بن أحمد من قبيلة آل رشيد سكان الريدة المجاورة لميفعة منذ عهود ماضية بعدم خضوعهم للسلاطين آل عبدالواحد، ويرجع ذلك إلى عهد السلطان محسن بن صالح الواحد الذي احتجز ثلاثة أشخاص من هذه القبيلة رهائن، وفي أثناء إقامتهم عنده قاموا بمحاولة اغتياله في أثناء تأديته الصلاة في المسجد فاشتبكوا مع حراسته فأدى ذلك إلى مقتل أحد الحراس وعندئذ قام السلطان بقتلهم جميعاً، وكرّد فعل انتقامي من قبل قبيلة آل علي بن أحمد (آل رشيد) قاموا بقطع الطريق الذي يمر في بلادهم ويربط بين بالحاف من جهة وعزان والحوطة من جهة أخرى، ولما يمتلكه هذا الطريق من أهمية كبيرة، لأنه يربط بين الميناء الرئيس في بالحاف التي تأتي إليه السلع التجارية والحوطة العاصمة التجارية الكبرى في السلطنة الواحدية، فقد أثر قطع هذا الطريق تأثيراً كبيراً في الأوضاع الاقتصادية في السلطنة التي تعتمد على سوق الحوطة في تجارتها.

وكان سلاطين آل عبدالواحد منذ ذلك الوقت يعملون على فتح هذا الطريق التجاري المهم بعدة وسائل فينجحون في أوقاتٍ، ويفشلون في أوقاتٍ أخرى، ويتم إعادة إغلاقه من قبل هذه القبيلة في أوقاتٍ أخرى، وهكذا استمر الحال حتى عام 1939م عندما قام آل

(1) لجدع، سالم ناصر، السلطنة الواحدية" بالحاف"، رسالة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، كلية الآداب/ جامعة عدن، ص48.

علي بن أحمد بقطع الطريق في منطقتهم، وكما سبق الذكر فإن هذه المدة كانت السلطات البريطانية تحاول بكل السبل بسط السيطرة الواحدة على المناطق الداخلية للسلطنة، وإخضاع أي مقاومة أو حركات مناهضة لها تمهيداً لبسط نفوذها الفعلي في هذه المناطق. وحاول البريطانيون إقناع آل علي بن أحمد من أجل فتح هذا الطريق، وكذلك عدم إقلاق الأمن وإعلان خضوعهم للسلطات الواحدة، إلا أنهم رفضوا الاستجابة لهذه المطالب، فقامت الطائرات البريطانية برمي المنشورات التي تنذرهم بموعد القصف الجوي لمنطقتهم، وفي 17/11/1939م وبالتزامن مع الهجوم على قبيلة آل العظم قام سلاح الجو البريطاني بقصف الريدة منطقة آل علي بن أحمد لمدة ثلاثة أيام متتالية حتى أجبرتهم على الاستسلام بشروط لا تقل إجحافاً عن شروط استسلام آل العظم، وزج بمجموعة منهم في سجون المكلا، ولم يفرج عنهم إلا بعد دفع الغرامات "نقود وبنادق وذخيرة وأغنام"⁽¹⁾.

5 - انتفاضة قبائل النسيين (وادي مرخة 1942م) :

أدرك البريطانيون منذ وقت مبكر الخطر الذي تمثله مرخة من حيث إنها من الممكن أن تكون منطلقاً للمقاومة ضدهم وإقلاق أمنهم في السلطنات والمشيخات المجاورة لها، لكون منطقة مرخة مجاورة لشمال اليمن، وكذلك لكون أجزاء منها لم تخضع لسلطنة العوالق العليا ولا لإمارة بيحان، ومن ثم لم تخضع للحماية البريطانية، وتيقن البريطانيون من توجسهم وقلقهم حول هذه المنطقة منذ عام 1934م عندما قام الشيخ امذيب بن صالح العولقي بقيادة الحملة التي سبق ذكرها بمساعدة الإمام للسيطرة على مرخة، وبعد ذلك بعام آوى سادة مرخة "آل المحضار" القراذعة بقيادة علي ناصر القردعي، الذين كانوا حينئذ خارجين عن طاعة الإمام يحيى في شمال اليمن ولجأوا عند السادة "آل المحضار" لكون مرخة لا تخضع للحماية البريطانية⁽²⁾.

ونتيجة لذلك سعى البريطانيون في عام 1942م لوضع مرخة تحت الحماية البريطانية وذلك من خلال عملهم على تنصيب السيد ناصر محسن المحضار حاكماً على مرخة،

(1) صادر عن سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي م/ محافظة شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 12.

(2) العمري والقردعي، مقبل أحمد وأحمد شبرين، الشهيد الشيخ علي ناصر القردعي، ص 56.

وتمهيداً للعقد اتفاقية حماية معه على منطقة مرخة، وذلك لمد نفوذهم على هذه المنطقة والسيطرة عليها، ولكن قبائل النسيين التي تسكن وادي مرخة هبت في وجه السيد ناصر بن محسن المحضار، وأجبروه على إرسال رسالة إلى "المستر ديفي" لرفض توقيع أي معاهدة مع بريطانيا، وأعلنوا عدم موافقتهم على فرض الحماية البريطانية على المنطقة⁽¹⁾. ولذلك غضب البريطانيون وقاموا بقصف مناطق متفرقة من وادي مرخة لإخماد انتفاضة قبائل النسيين ولمحاولة فرض حمايتهم عليه، وعلى الرغم من ذلك فشلت السلطات البريطانية في فرض سياستها في هذه المنطقة، وظلت أجزاء كبيرة من مرخة منطقة مستقلة عن الحماية البريطانية ونفوذها حتى الاستقلال الوطني.

6 - انتفاضة قبائل بلحارث (وادي بلحارث 1946 - 1948م) :

بعد تأسيس إمارة بيحان بدعم ومساندة بريطانية، وفرض نظام الحماية على كل بيحان بما فيها وادي بلحارث، فرضت الضرائب في الأسواق والمعشرات على المحاصيل الزراعية، وأنشئت الجمارك، وقامت المحاكم العرفية والشرعية والحراثية لفض النزاعات القائمة، ولهذا فوجئ سكان بيحان بهذه الأعباء والالتزامات الاقتصادية الجديدة، وأحس زعماء القبائل بأن دورهم في الحكم وحل النزاعات في قبائلهم سلب منهم، وبدأ سكان بيحان عامة بالتذمر والسخط، وفي نهاية عام 1946م وجهت قبائل بلحارث عبر الشيخ علي بن جريية رسالة إلى والي عدن تعبر فيها عن الرفض لهذا الواقع، وأنهم سوف يقاومون هذا الواقع الجديد المفروض عليهم⁽²⁾.

وبعد تجاهل البريطانيين لمطالبهم بدأت حركة بلحارث في مطلع 1947م بخروج مجموعة كبيرة منهم، وعلى رأسهم عدد من مشايخ بلحارث منهم: علي بن جريية، وناصر بن نمران، وعلي بن زاملة، وناصر بن هادي بن عمير واتجهوا إلى الإمام يحيى، وفي 18 مايو 1947م بعد عودة الشريف عوض بن أحمد الهبيلي من عدن وجه رسالة إلى النازحين من بلحارث في شمال اليمن يطالبهم فيها بالعودة إلى بلادهم وأبدى استعدادهم للتفاهم معهم حول الأسباب التي دفعتهم للنزوح عن بلادهم، وعادت هذه المجموعة

(1) صادر عن سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي اليمني م / شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 13.

(2) رسالة تحمل شكوى من الشيخ علي بن جريية الحارثي ضد الشريف حسين للمعتمد البريطاني، مؤرخة عام 1946م.

النازحة من بلحارث إلى منطقة الوسيطة في وادي بلحارث وتمركزوا في حصن شمسان ومن هناك دارت المفاوضات بين الطرفين، لكنها فشلت بسبب إصرار البريطانيين على السيطرة على مناجم الملح في منطقة "لياديم".

ونتيجة ذلك قامت السلطات البريطانية في مطلع عام 1948م بتقديم كشف بأسماء الرهائن المطلوبين من قبيلة بلحارث لضمان ولائهم، ووافقت قبائل بلحارث على ذلك، إلا أنها لم تكتف السلطات البريطانية بذلك بل أرادت أن تستثمر مناجم الملح التابعة لبلحارث، وحددت نصيب القبيلة من الملح بعشرة في المائة والباقي لها، ورفضت بلحارث ذلك بشدة، وأبدوا استعدادهم للقتال إذا لم تتراجع السلطات البريطانية عن قرارها⁽¹⁾، فقررت السلطات البريطانية إرسال قوة عسكرية مكونة من ألفين جندي يدعمها سلاح الجو الملكي البريطاني⁽²⁾.

وبدأت القوات البريطانية هجومها على منطقة بلحارث، وتركز الهجوم على ثلاثة أهداف رئيسة، تمثل الهدف الأول في قصف حصن شمسان لكونه نقطة الدفاع الأولى للمقاومة، والهدف الثاني قصف موارد المياه والآبار التي يعتمد عليها في شرب الناس والأنعام في أسفل الوادي، والهدف الثالث قصف قطعان الجمال والمواشي التابعة لبلحارث⁽³⁾، وأبدى رجال المقاومة من بلحارث استبسلاً منقطع النظير في الدفاع عن بلادهم ضد القوات البريطانية وحلفائها، ولكن نتيجة لتفوق البريطانيين في العدد والعتاد وامتلاكهم لسلاح الجو الذي استخدموه بكل همجية لقمع هذه الانتفاضة الباسلة، انسحبت قبائل بلحارث إلى الصحراء في الربع الخالي بعد أن خاضوا معارك عنيفة أسفرت عن استشهاد اثني عشر رجلاً من بلحارث منهم الشيخ علي بن نمران واثنان من أولاد الشيخ علي بن جريبة، وكذلك تدمير منازل القبيلة لاسيما حصن شمسان تدميرًا كاملاً، وعلى الرغم من ذلك تمكن المقاومون من إسقاط طائرة حربية بريطانية وقتل قائدها⁽⁴⁾.

(1) القباص، مهدي راشد، الإمارة الهبيلية الهاشمية، ص 149.

(2) كتيب عن قرارات المؤتمر الأول للأدب والتراث الشعبي م/ شبوذة، مطابع 14 أكتوبر، عدن، 1974م، ص 36.

(3) السقاف، عبدالله عبدالرحمن، وثائق للتاريخ، ط 2، من دون دار نشر، صنعاء، 2004م، ص 87.

(4) السقاف، المرجع السابق، ص 91؛ الحارثي، أبو بكر بن سيف، القصيد، ط 1، دار النشر بدون، 2003م، ص 6.

وفي يوليو 1948م بعد مرور ثلاثة أشهر من انسحاب قبائل بلحارث إلى الربع الخالي، وجهت الحكومة البريطانية إنذاراً لهم تطالبهم فيه بتقديم الطاعة وتهدهم في حالة الرفض أنهم سوف يكونون عرضةً لعدد من الإجراءات الصارمة ضدهم، تتمثل في إرسال قوات عسكرية وبناء حصن لها في منطقة "لياديم" بالقرب من مناجم الملح، وردم آبار الشرب في المنطقة، وحرق أشجار السدر، ورميهم بالمكائن "الرشاشات" هم وجمالهم، ومنعهم من زراعة أراضيهم، إلا أن قبائل بلحارث رفضت تقديم الولاء والطاعة للحكومة البريطانية، لذلك قامت السلطات البريطانية باستخدام سلاح الجو الملكي البريطاني لتدمير منازلهم وملاحقتهم في الصحراء ورميهم بالقنابل، وكذلك رمي قطعان أنعامهم وتسبب ذلك في قتل أعداد كبيرة من مواشيهم وأنعامهم⁽¹⁾، وعلى الرغم من القتل والتدمير والتشريد الذي لحق قبائل بلحارث فقد ظلت رافضة للوجود البريطاني حتى الاستقلال.

7 - انتفاضة قبائل لقموش والمطهاف (1948 - 1957م) :

بدأ العمل لمد نفوذ السلطنة الواحدة إلى كل المناطق النائية فيها بمساعدة السلطات البريطانية منذ تولي السلطان ناصر بن عبد الله الواحدى حكم السلطنة في عام 1948م، من خلال إنشاء المراكز العسكرية لحفظ الأمن ولتثبيت نفوذ السلطنة والحماية البريطانية في هذه المناطق ومنها بلاد لقموش والمطهاف، إلا أن قبائل لقموش والمطهاف أعلنوا عن رفضهم للنفوذ الواحدى والحماية البريطانية، وعبروا عن ذلك بضرب المراكز العسكرية في مناطقهم ليلاً، قام بتدبير عدد كبير من هذه العمليات الشيخ سالم بن سعيد المطهاف⁽²⁾. وكرد فعل انتقامي قامت الطائرات البريطانية في نهاية عام 1948م بقصف مناطق المطهاف ما أدى إلى مقتل عدد من الضحايا وكذلك تدمير البيوت، ومنذ تلك المدة استمر المقاومون من أبناء هذه المنطقة بهجماتهم على المراكز العسكرية وكثفوا من هجماتهم حتى اضطر الضباط والجنود المرابطون في بعض هذه المراكز للانسحاب وإخلائها كمركز لحواء والمطهاف في 8/1/1950م، مما اضطر السلطة المحلية في

(1) مرشد، عبدالله علي، نشوء وتطور الحركة النقابية والعمالية في اليمن، ط1، دار ابن خلدون، بيروت، 1981م، ص148.

(2) سعيد، أمين، اليمن منذ استقلاله السياسي في القرن 3هـ، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1959م، ص239 - 241.

السلطنة لطلب المساعدة من البريطانيين لفرض نفوذها في هذه المناطق المضطربة⁽¹⁾. واستطاعت السلطات الواحدة بعد مرور شهرين بمساعدة البريطانيين وتحديداً في 12/3/1950م من إعادة فرض سيطرتها على هذه المناطق، واعتقال بعض المقاومين وأبرزهم أحمد بن سعيد الخادم وإرساله إلى السجن في ميفعة⁽²⁾، لذلك لجأ المقاومون إلى الجبال بعد أن قاموا بتدمير الحصون العسكرية التي سبق أن سيطروا عليها، وكذلك تدمير منزل الشيخ سالم بن سعيد المطهافي أبرز قادة هذه المقاومة؛ لكيلا يقع في يد القوات المعادية، وفرض البريطانيون حصاراً شديداً على المقاومين في هذه الجبال من خلال قطع الإمداد والتموين عليهم، وسجن كل من تعاون معهم مما اضطرهم للانسحاب واللجوء إلى الإمام في اليمن⁽³⁾.

إلا أن بداية الصدام في هذه المناطق حدث بين السلطات الواحدة والبريطانيين من جهة وآل مجور الذين ينتمون إلى جويمع من قبائل لقموش من جهة أخرى، وذلك عندما اعترض آل مجور قافلة عسكرية بريطانية قادمة من المحفد إلى حبان في الخبر منطقة "المجزع"، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين أدت إلى مقتل جنديين من القافلة وامرأة مسنة من آل مجور كانت بالقرب من موقع الاشتباك، وتدخل سلاح الجو البريطاني في هذه المعارك، إذ قام بقصف منازل آل مجور بعد أن غادروها إلى الجبال في فرع الجرة، ولاحقهم الطيران البريطاني إلى هذه الجبال، وتم قصفهم بشكل عشوائي مما أدى إلى قتل عدد كبير من الإبل والأغنام⁽⁴⁾.

وبعد ذلك غادر آل مجور هذه الجبال ولجأوا إلى شعاب المطهاف، وخلال هذه المدة تمّ تعزيز نفوذ السلطنة بإنشاء مركزين عسكريين في الخبر أحدهما في الجدة والآخر في لاطية، وقام آل مجور بهجمات ليلية من الجبال حيث إقامتهم لضرب هذين المركزين.

(1) سعيد، أمين، المرجع السابق، ص 239 - 240؛ رسالة من السلطان الواحدي إلى المعتمد البريطاني في المكلا تؤكد على ذلك.

(2) رسالة من عبدالقادر محيرز نائب حكومة الواحدي إلى قائم ميفعة لاستلام السجين أحمد الخادم في سجن ميفعة.

(3) رسالة مقدمة من أبناء حمير إلى بعثة الجامعة العربية، سعيد، أمين، اليمن منذ استقلاله، ص 240؛ 148.

(4) المحضار، محمد عبدالله، ما جادت به الأزمان من أخبار مدينة حبان، ط2، من دون دار نشر، 2008م،

وبعد إقامة آل مجور في شعاب المطهاف ما يقرب من ستة أشهر قرروا الرحيل منها للإقامة في منطقة مكربة وتانة التي تقع في الجهة الشمالية لمنطقة الخبر المجاورة لشعبة آل عتيق، وفي أثناء انتقالهم مع مواشيهم اعترضتهم القوات المرابطة في الخبر وتبادلت معهم إطلاق النار، وأسفر ذلك عن استشهاد طفل من آل مجور، واعتقال أحد رجالهم، ونهب معظم مواشيهم. واستمرت المناوشات بين آل مجور ومن معهم من قبائل لقموش والقوات الحكومية المرابطة في الخبر ما بين كر وفر حتى عام 1957م عندما استعانت السلطة المحلية في السلطنة بجيش البادية الحضرمي بقيادة المستشار الحربي البريطاني "إنز" للقضاء على هذه الانتفاضة⁽¹⁾، وتمكنت هذه القوة بعد معارك عنيفة مع المقاومين ودعم من سلاح الجو البريطاني من دخول الخبر⁽²⁾، مما اضطر هؤلاء المقاومين للانسحاب واللجوء إلى أعالي جبال وادي رفض "مشيخة العوالق العليا"، إلا أن الطائرات البريطانية استمرت في ملاحقتهم، وتم تمشيظ وادي رفض وقصفه بشكل مكثف ووحشي قتل خلالها رجل من قبيلة آل حطروم (من سكان وادي رفض)⁽³⁾، مما اضطر آل مجور إلى الانتقال إلى شعبة آل عتيق واستقبلهم آل عتيق وأقاموا عندهم شهراً. وبدأت المفاوضات بين السلطات الواحدة وآل مجور ترأسها الشيخ علي بن أحمد السليماني من مشيخة العوالق العليا⁽⁴⁾، وتمخض عنها عودة المقاومين من آل مجور ومن معهم إلى بلادهم مقابل تقديم عدد من الرهائن للسلطات الواحدة وغرامة مالية قدرها 600 ريال ماريا تريزا، وعدد من البنادر⁽⁵⁾.

8 - انتفاضة قبائل خليفة بقيادة آل أحمد بن طالب (1951 - 1962م) :

ظلت بلاد خليفة المجاورة لمشيخة العوالق العليا مدة من الزمن تحكم من قبل مشائخها ولا تخضع للحماية البريطانية، وبعد تمهيد البريطانيين لتوقيع معاهدة الاستشارة

(1) مقابلة شخصية مع الشيخ سعيد بن أحمد القميشي.

(2) صادر عن سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي اليمني م/ شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 15.

(3) مرشد، عبدالله علي، نشوء وتطور الحركة النقابية، ص 149؛ المحضار، محمد عبدالله، ما جادت به الأزمان، ص 161.

(4) السليماني، علي بن أحمد، الفتح الرباني بنسب آل السليماني، ط 1، من دون دار نشر، 2006م، ص 10.

(5) مقابلة شخصية مع الشيخ سعيد بن أحمد القميشي؛ المحضار، محمد عبدالله، ما جادت به الأزمان، ص 154.

مع مشيخة العوالق وتأسيس الإدارة المحلية فيها عام 1951م، أعلن عن ضمّ بلاد خليفة المجاورة إلى هذه المشيخة، وفي هذه الأثناء أعلن كثير من أبناء خليفة وعلى رأسهم مشائخهم " آل أحمد بن طالب" رفضهم لهذا الإجراء لعدة اعتبارات منها: أن انتماءهم القبلي يرجع إلى قبائل بني هلال وليس إلى العوالق، وكذلك لأنهم لم يدخلوا تحت حكم أي سلطنة أو مشيخة، ولا تربطهم أي معاهدات حماية مع البريطانيين، ومن ثمّ رفضهم لفرض الحماية عليهم بالضم إلى مشيخة العوالق العليا.

وفي 16 ديسمبر 1951م توجه عدد من أبناء خليفة بقيادة " آل أحمد بن طالب " إلى عامل الإمام في البيضاء وقدموا له طلباً لضم بلادهم إلى الحكومة اليمنية⁽¹⁾، وبعد مقابلة الإمام أحمد وإجراء المفاوضات نتج عن ذلك توقيع وثيقة أقر بموجبها آل خليفة مبايعتهم للإمام وأعلنوا ولاءهم للحكومة اليمنية، واشترط عليهم الإمام بتوريد الواجبات الشرعية⁽²⁾ الجبائية من بلادهم وتقديم سبعة رهائن لضمان ولائهم⁽³⁾، واستقر عدد من أبناء خليفة في البيضاء بعضهم رهائن لدى السلطات الإمامية وبعضهم الآخر نازحين عن بلادهم لمواقفهم الرافضة للسياسة البريطانية، وتوفي عدد من هؤلاء الرهائن نتيجة لانتشار الأوبئة والأمراض حينها⁽³⁾، ويبدو أنه نتيجة لفرض "نظام الرهائن" من قبل حكومة الإمام وكذلك نظام الجبائية على المناطق التي تدخلت تحت طاعتها، جعل آل خليفة يندمون على إقدامهم على الارتباط بالإمام، لهذا طالبوا بالإفراج عن باقي الرهائن⁽⁴⁾.

ومن أشكال مقاومة آل خليفة للحماية البريطانية انضمامهم لاسيما " آل مهدي سكان

(1) بامحسون، عمر عبدالله، التطور السياسي والدستوري في اليمن الديمقراطية، ط2، دار مصر، القاهرة، د. ت، ص 28.

(2) وثيقة مبايعة آل خليفة للإمام أحمد على الطاعة مؤرخة عام 1951م، فتاة الجزيرة، 16 ديسمبر 1951م، العدد 600، ص 1.

(3) ويذكر بعض معاصري هذه الأحداث من أبناء خليفة أن وفاة الرهائن والنازحين في البيضاء وعلى رأسهم عيدروس بن أحمد بن طالب، وطالب بن أحمد الصورة، وسالم بن صالح برمان، وطالب علي بن مقلّم، وسالم بن سعيد القفان، لم يكن بسبب الأوبئة والأمراض كما قيل حينها، ولكن ماتوا متأثرين بالسلم بتدبير من المخابرات البريطانية. معلومات مستقاة من مقابلة شخصية مع أحمد طالب أحمد الصورة أحد الرهائن العائدين من البيضاء حينها.

(4) فتاة الجزيرة، 31 يناير 1952م، العدد 604، ص 1.

القرى" إلى المقاومين الأوائل من قبائل معن العولقية الراضين للتدخل البريطاني في مشيختهم عام 1954م، على أن البريطانيين وبالتنسيق مع حكام المشيخة عملوا على فرض سياسة الأمر الواقع على آل خليفة، وذلك من خلال الدور الذي قام به الشيخ علي أحمد السليمانى وعمر عوض بامطرف مساعد أول ضابط سياسي بريطاني في المشيخة والمشائخ آل ذيبان سكان عتق في وضع اللبنة الأولى لانتخاب الشيخ سالم محمد بن سلطان الخلفي من "آل الصوة" وكيلاً للأمير في منطقة خليفة، وممثلاً لها في إطار مشيخة العوالق⁽¹⁾، وذلك بعد رفض آل أحمد بن طالب مشائخ خليفة من "آل مهدي" للانضمام لمشيخة العوالق والدخول تحت الحماية البريطانية⁽²⁾.

إلا أن آل أحمد بن طالب ومعهم بعض خليفة لم يستسلموا لهذا الأمر الواقع بفرض ضم بلادهم للمشيخة ودخولها تحت الحماية البريطانية، فاستمروا في رفضهم لذلك ومطالبتهم بتغيير هذا الواقع، وحدث هدوء نسبي خلال عام 1955م نتيجة لبعض جهود الوساطة⁽³⁾، ولكن هذه الوساطة لم تتوصل إلى حلول، لذلك توجه إلى عدن الشيخ محمد بن أحمد بن طالب على رأس وفد من آل خليفة في أغسطس 1957م لمقابلة المسؤولين البريطانيين لطرح قضية بلاده التي ضمت عنوة إلى مشيخة العوالق العليا⁽⁴⁾، إلا أنهم لم يلاقوا أي تجاوب من السلطات البريطانية، وهدد الشيخ محمد بن أحمد بن طالب بأنهم سوف يلجؤون إلى الخارج إذا استمرت بريطانيا في تجاهل قضيتهم⁽⁵⁾، ونتيجة لذلك أقدمت السلطة المحلية في المشيخة على اعتقاله مع شقيقه علي بن أحمد ومجموعة آخرين من أبناء خليفة، والزج بهم في السجن في الصعيد عاصمة المشيخة.

وفي يوم الثلاثاء 30/7/1962م قامت السلطة المحلية في المشيخة بعقد جلسة للقضاة الشرعيين والحكّام العرفيين، وذلك للموافقة على الحكم الذي أعده الأمير عبدالله بن محسن بن فريد ضد آل خليفة المعتقلين في السجن بتهمة التآمر على المشيخة،

(1) السليمانى، علي بن أحمد، الفتح الرباني بنسب آل السليمانى، ص7؛ الأيام، 31 أكتوبر 2004م، العدد 4319، ص4.

(2) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوالق، ج2، ص354.

(3) صحيفة البعث، 5 فبراير 1955م، العدد 6.

(4) اليقظة، السنة الثانية، 2 صفر، 1377هـ / 28 أغسطس 1957، العدد 196، ص1.

(5) اليقظة، السنة الثانية، 13 محرم 1377هـ / 30 يوليو 1957م، العدد 171، ص1.

والذي قضى بالسجن لمدة سنتين وغرامة مالية تقدر بستة آلاف شلن، على كل من الشيخ محمد بن أحمد بن طالب وشقيقه علي بن أحمد وناصر بن عوض الصوة وحسن علي بن مقلّم ومحسن بن فريد، بينما قضى بالسجن لمدة أربعة أشهر وغرامة مالية قدرها ستة ألف شلن على الستة الباقين⁽¹⁾، وهكذا بعد اعتقال رموز المقاومة وصدور هذه الأحكام عليهم، ضعفت هذه المقاومة وتمّ قمعها.

9 - انتفاضة قبائل ربيز بقيادة آل معور (حطيب 1953 - 1959م) :

تمكن البريطانيون في عام 1952م من مد نفوذهم إلى سلطنة العوالق العليا بالقوة العسكرية برغم الجفاء القائم بينهم وسلطين العوالق العليا، وأقاموا مركزاً للحرس الحكومي في مدينة نصاب، ولكنهم لم يستطيعوا مد نفوذهم إلى بقية مناطق السلطنة، ومن هذه المناطق حطيب التي رفضت قبائل ربيز بقيادة الشيخ علي صالح بن معور الربيزي وصاية الحماية البريطانية، وبعد فشل المفاوضات التي أجرتها بريطانيا مع الشيخ ابن معور خلال عام 1953م⁽²⁾، قامت في نهاية عام 1953م ومطلع عام 1954م بحشد قواتها العسكرية وأقامت مركزاً للحرس الحكومي في الرباط المدينة الرئيسة في وادي حطيب، وقامت بالهجوم من خلال القصف المدفعي على منزل الشيخ ابن معور في قرية "امهدو" التي تبعد بضعة كيلومترات عن الرباط، أدى هذا القصف إلى مقتل عدد من أفراد أسرة الشيخ بن معور ومن بينهم والدته⁽³⁾، ونتيجة لعدم تكافؤ القوى قرر الشيخ ابن معور جمع رجاله والخروج بهم إلى جبال الكور المجاورة لهم للاختباء من القصف المدفعي، وكذلك قصف الطائرات المكثف، إذ وصل عدد غارات الطائرات البريطانية على منطقة ربيز في عام 1954م إلى (102) غارة⁽⁴⁾.

(1) وهؤلاء الستة هم: صالح عبد الله بن فريد، علي أحمد أبوزيد، علي محمد علي، طالب محمد بن عامر، ناصر عبد الله بن سالم، صالح محسن بن فريد. راجع: الأيام، 14 أغسطس 1962م، العدد 1226، ص1.

(2) رسالة من الضابط السياسي البريطاني جونسن مرسلّة للشيخ علي معور يبدي استعدادة للتفاوض.

(3) ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن، ط3، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، 2004م، ص241، ص243.

(4) مقبل، سيف علي، أكتوبر الثورة التحررية المسلحة، ص22؛ مرشد، عبدالله علي، نشوء وتطور الحركة النقايبية، ص149.

ومن هذه الجبال أخذ ابن معور ورجاله يشنون الهجمات الليلية على مواقع القوات البريطانية التي كانت تتمركز في منطقتي الرباط وقاع بامسلم من وادي حطيب⁽¹⁾، واستمرت المعارك بين الطرفين سقط فيها عدد غير قليل من القتلى والجرحى من الجانبين، واستطاع ابن معور ورجاله الصمود في وجه القوات البريطانية على الرغم من عدم التكافؤ من حيث حجم العتاد والقوات ونوعيتها، إذ كانت قوات ابن معور حوالي (200) مقاتل من رجال قبائله لا يملكون سوى بنادق بدائية ولديهم نقص في الذخيرة، بينما كانت القوات البريطانية مدججة بأحدث أنواع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة والمدفعية، وبعد أيام من القتال العنيف غادر الشيخ الثائر علي معور مقر إقامته في جبال الكور على رأس وفد من رجاله إلى منطقة البيضاء المجاورة لطلب المعونة والنجدة من حكومة الإمام، إذ حصلوا على بعض المعونات كانت عبارة عن كمية قليلة من السلاح والقمح⁽²⁾.

وبعدها عاد الشيخ ابن معور إلى المنطقة بما لديه من معونة بسيطة من الإمام، واستأنف عملياته القتالية ضد القوات البريطانية، معتمداً على خطة عسكرية جديدة اقتضت محاصرة مراكز القوات البريطانية وقطع خطوط الإمدادات العسكرية وشن غارات ليلية على مواقعها، وخلال المعارك الأولى سقط ثلاثة شهداء من رجال ابن معور وتكبدت القوات البريطانية عدداً غير قليل من القتلى، ونتيجة اشتداد المعارك والحصار المحكم الذي فرضه ابن معور ورجاله على القوات البريطانية لجأت هذه القوات إلى استخدام سلاح الجو، إذ قامت بعملية قصف عشوائي وحشي على منطقة حطيب أحرقت خلالها الأخضر واليابس، ودمرت المنازل وأحرقت الأراضي الزراعية وقتلت المواشي، وسقط العشرات من أبناء قبائل ربيز قتلى بينهم شيوخ ونساء وأطفال⁽³⁾.

وبعد مرور ثلاثة أشهر من القتال العنيف والمعارك البطولية بقيادة الشيخ ابن معور، والقصف الوحشي وحرب الإبادة بسلاح الجو الملكي البريطاني، لجأت السلطات البريطانية إلى أساليب الغدر فقامت بحيلة ذكية تهدف إلى إلحاق الهزيمة بقبائل ربيز، إذ عمدت إلى إرسال أحد أعوانها من العملاء المحليين إلى موقع الشيخ ابن معور الذي

(1) القلم العدني، 20 أكتوبر 1954م، العدد 60، ص 4.

(2) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوالق، ج 2، ص 432.

(3) العبيدي، إبراهيم خلف، الحركة الوطنية في الجنوب اليمني، جامعة بغداد، 1979م، ص 79.

قام باستضافته بحسب العادة "كرم الضيافة"، وتمكن العميل من دس السم في طعام الشيخ علي معور الذي توفي متأثراً بهذا السم⁽¹⁾، فخلفه في قيادة هذه المقاومة الباسلة أولاده "سالم وباسعد علي معور"، حيث واصلوا القتال ضد القوات البريطانية المرابطة في الحصن العسكري في الرباط، الأمر الذي أدى إلى إجبار هذه القوات على الانسحاب والرحيل من منطقة حطيب، بعد أن ألحقت بهم هزيمة نكراء خسرت خلالها الكثير من القتلى والجرحى والمعدات، واستولى رجال ريبز على الكثير من الأسلحة والذخائر البريطانية، كما أسروا عدداً من الجنود والضباط البريطانيين، وفقدت القوات البريطانية ثلاثة من كبار ضباطها من بينهم قائد الحملة، وأسقطت قبيلة ريبز طائرة حربية بريطانية، وأحرقت مركز القوات البريطانية في الرباط⁽²⁾.

وعلى الرغم من هزيمتهم النكراء على الأرض استمر البريطانيون بأعمال القصف الجوي بصورة مستمرة منذ انسحابهم في عام 1955م حتى عام 1959م، وخلال هذا القصف أصيب الشيخ سالم علي معور قائد المقاومة بعد أبيه بجروح خطيرة وكذا مجموعة من أفراد قبيلته، وفي منتصف عام 1959م قامت القوات البريطانية بحملة عسكرية برية ضخمة ضد منطقة "ريبز"، أطبقت خلالها على حطيب من جميع الجهات وجعلتها بين فكي "كماشة"⁽³⁾، الأمر الذي اضطر قبائل ريبز لأن تنسحب بشيوخها ونسائها وأطفالها إلى منطقة الحدود مع اليمن، واستأنف المقاتلون من رجال "ريبز" هجماتهم الليلية المتواصلة ضد القوات البريطانية حتى أجبروها على الانسحاب مرة أخرى في نهاية 1959م⁽⁴⁾، ومنذ

(1) النهضة، السنة الرابعة، 25 مارس 1954م، العدد 194، ص 1؛ حبان، السنة 2، يناير 2004م، العدد 14، ص 7.

(2) النهضة، السنة الخامسة، 2 سبتمبر، 1954م، العدد 215، ص 1.

Edwards, Frank The Gaysh. Helion & company limited England, 2004. p. 12

(3) بين فكي كماشة: المقصود بذلك أن الحملة العسكرية قد أطبقت على منطقة حطيب من مدخلها الرئيسي حيث تدخل

فرقة وادي حطيب من مدخله الجنوبي من بلاد العوازل، وفرقة أخرى من مدخله الجنوبي من جهة نصاب. ينظر: ناجي،

سلطان، التاريخ العسكري لليمن، ص 243.

(4) ناجي، سلطان، التاريخ العسكري، ص 243 - 245؛ حبان، السنة الثانية، يناير، 2004م، العدد 14، ص 7.

ذلك الوقت ظلت منطقة حطيب خاضعة لسيطرة قبائل ريز حتى الاستقلال الوطني رافضة الاستسلام للوجود البريطاني على أراضيها على الرغم من تعرضها لكثير من الخسائر البشرية والمادية خلال مراحل مقاومتها للمستعمر البريطاني.

10 - انتفاضة قبائل معن الأولى (كور العواتق 1954 - 1955م) :

عبر كثير من أبناء قبائل معن منذ وصول النفوذ البريطاني المباشر إلى مشيخة العواتق العليا في مطلع الخمسينيات عن رفضهم للوجود البريطاني في بلادهم، وعلى رأسهم بعض آل فريد الذين رفضوا النفوذ البريطاني، وكذلك اختلفوا مع أبناء عمومته آل محسن بن فريد حكام المشيخة على طريقة إدارتهم للحكم واستشارهم وتفردهم بالرأي والحكم، ومنذ مطلع عام 1954م بدأت الترتيبات والتخطيط لمقاومة الواقع الجديد الذي فرضه البريطانيون على المنطقة من خلال الهجمات المستمرة وإطلاق النار على المراكز العسكرية، وإصابة الجنود في بعض المناطق، وعلى أثر ذلك وصل المعتمد البريطاني للمحمية الغربية إلى عتق وطالب بعودة جميع القبائل الثائرة إلى بيوتهم وإلا سيتعرضون للقصف الجوي⁽¹⁾.

وفي منتصف عام 1954م أعلنت الانتفاضة في منطقة قبائل معن، وقادها كلٌّ من الشيخ محمد بن أبوبكر بن فريد، والشيخ امذيب بن صالح بن فريد، والشيخ فريد بن محمد الصريمة، وانضمت إليها أعدادٌ كبيرة من قبائل معن (قبائل آل علي، وقبائل آل مُحَمَّد)، وكذلك بعض قبائل خليفة (آل مهدي سكان القرى)⁽²⁾، وبدأ الثوار نشاطهم من جبال الكور بضرب المعسكرات والمراكز الحكومية في كلٍّ من الصعيد ويشبم والمصينة⁽³⁾. وفي أغسطس 1954م أرسلت قيادة هذه الانتفاضة الشيخ علي بن أبوبكر بن فريد إلى البيضاء في مملكة اليمن لطلب المعونة والدعم لاستمرار المقاومة، إلا أنه عاد بعد شهرين من مغادرته وتحديداً في أكتوبر من العام نفسه، ولم يحصل على ما كان يطمح إليه المقاومون من الدعم الكافي، ويرجع السبب في قلة الدعم للانتفاضات القبلية من قبل

(1) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العواتق، ج2، ص384.

(2) المشهور، أبوبكر بن علي، الطرف الأحر في تاريخ مخلاف أحر، ط1، مركز الإبداع الثقافي، عدن، 2007م، ص375.

(3) مقابلة شخصية مع الشيخ فريد بن أبوبكر العولقي؛ صوت الجنوب، السنة الأولى، 2 نوفمبر، 1954م، العدد6، ص1.

الإمام أحمد في تلك المدة لانشغاله بتحركات الأحرار قبل انقلاب عام 1955م، وكذلك ما أعقب ذلك من انشغاله في معالجة أوضاعه الداخلية المتردية⁽¹⁾.

وفي يناير 1955م زار المستر "هوبكنس" وزير المستعمرات البريطانية بلاد العوالم العليا ضمن جولة له في المحمية الغربية فأراد اللقاء بالثوار، فاشترط الثوار أن يكون اللقاء في قوبان "من بلاد آل سليمان"، لكن الضابط السياسي في المشيخة رفض ذلك واقترح عليهم اللقاء في عتق، ورفض الثوار ذلك لعدم اطمئنانهم لأمان الحكومة، فأرسلوا مذكرة إلى الوزير بواسطة السيد علوي الجفري متضمنة مطالبهم⁽²⁾.

وحاول هؤلاء الثوار في فبراير 1955م التواصل مع قبائل المشيخة بشأن تشكيل "لجنة تنفيذية" من القبائل لحكم البلاد، لأنهم غير مطمئنين إلى الحالة التي تحكم بها المشيخة⁽³⁾، ويبدو أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة بهذا الشأن ولم يجدوا المساندة الكافية من كل القبائل، ونتيجة لذلك وعلى أثر التراجع في الدعم من قبل حكومة الإمام ولتدخل بعض أعيان المنطقة ووعود آل محسن بن فريد حكام المشيخة بإجراء إصلاحات في إدارة حكم المشيخة تمكنوا في 10/4/1955م من إقناع المقاومين بالعودة إلى مناطقهم وإنهاء هذه الانتفاضة⁽⁴⁾.

11 - انتفاضة قبائل آل سليمان والطواسل (كور العوائل 1954 - 1958م) :

بعد مرور ثلاث سنوات من تأسيس الإدارة المحلية في مشيخة العوائل العليا اختلف "آل عيدروس" مشايخ قبيلة آل سليمان وحكام بلاد آل مُحَمَّد مع قيادة المشيخة بسبب معارضتهم للعديد من الإجراءات التي أصدرتها إدارة المشيخة ومنها ملكية الأراضي البور في بلاد آل مُحَمَّد⁽⁵⁾، ونتيجة لذلك وكرد فعل من السلطة المحلية في المشيخة تم إعفاء "آل عيدروس" من مناصبهم كحكام لبلاد "آل مُحَمَّد" في إبريل 1954م واستبدلتهما

(1) ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن، ص 251.

(2) صحيفة البعث، 15 يناير 1955م، العدد 3، ص 1.

(3) صحيفة البعث، 19 فبراير 1955م، العدد 8، ص 1.

(4) أبو نجمة، مخطوطه في المكتبة الوطنية، عدن، رقم قيد 604؛ صحيفة اليقظة، 14 أبريل 1955م، العدد 247، ص 1.

(5) مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد عيدروس علي السليماني.

بآخرين، وكذلك قام جيش الليوي في عتق بعمليات تحرشية على حدود منطقتهم "قوبان"، لهذا قرروا الخروج إلى جبال كور العواتق وإعلان انتفاضتهم، وانضم إليهم الطواسل بقيادة حسين بن عشيم وبعض المرازيق آل سعيد⁽¹⁾.

ومن هذه الجبال بدأوا بشن هجماتهم على المركز الحكومي في المصينة وضرب القوافل العسكرية المارة في بلاد آل مُحَمَّد وإقامة الكمائن لها، وتمكنوا من الاستيلاء على المركز الحكومي في المصينة وأجبروا العسكر الموجودين فيه على الانسحاب وتم إحراقه وتدميره، كما اشتركوا مع قبائل مع الأخرى الذين كانوا حينها ثائرين في انتفاضتهم الأولى التي أسلفنا ذكرها سابقاً في تخريب الطريق الرئيس للمشيخة في النقبة، وذلك بردمه في أماكن متفرقة بالصخور⁽²⁾، إلا أن أشد تلك العمليات التي شنّها المقاومون من آل سليمان والطواسل هي اعتراضهم لقافلة عسكرية من الحرس الحكومي في "وادي رضا" من بلاد آل مُحَمَّد، وألحقوا بها خسائر في الأرواح والمعدات، تمكنوا خلالها من قتل أحد أفراد هذه القافلة وجرح سبعة آخرين.

وانتقاماً لهذه العملية قام البريطانيون والسلطة المحلية في المشيخة في 25 / 2 / 1955م بتحريك قوة عسكرية من الجيش المرابط في عتق باتجاه قوبان منطقة قادة هذه الانتفاضة "آل عيدروس"، ترافقه أربع طائرات حربية تحلق في الجو لحراسة هذه القوة ولإثارة الرعب بين الأهالي، فحاصرت المنطقة وأخلت السكان منها، ثم قاموا بنسف منازل "آل عيدروس" البالغ عددها سبعة منازل⁽³⁾، وعلى الرغم من ذلك فإن البريطانيين لم يتمكنوا من إقامة مركز حكومي آخر في المصينة بدلاً عن المركز الذي تم تدميره، والذي يُعد مقر الحكم في منطقة بلاد آل مُحَمَّد، واستمر المقاومون خلال الأعوام 1955 - 1958م في وضع الكمائن ومهاجمة القوافل العسكرية معتمدين في ذلك على الدعم الذي يحصلون عليه من حكومة الإمام في البيضاء⁽⁴⁾.

(1) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العواتق، ج2، ص 31، ص382.

(2) العولقي، ج2، ص387 مقابلة مع الشيخ فريد أبو بكر العولقي؛ النهضة، 7 يوليو 1955م، العدد 258، ص4.

(3) صحيفة البعث، 5 مارس 1955، العدد 10، ص1؛ مقابلة مع الأستاذ محمد عيدروس علي السليمان.

(4) ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن، ص241؛ النهضة، 7 يوليو 1955م، العدد 258.

على أن هذا الدعم لم يكن الحصول عليه يأتي بسهولة، ففي إحدى المرات ذهب الشيخ محمد بن محسن بن عيدروس إلى تعز، وانتظر هناك عدة أشهر للحصول على أمر الإمام لزيادة الدعم وعند عودته إلى البيضاء كان في انتظاره شقيقه سالم بن محسن وابن عمه محسن علي أحمد بن عيدروس، وعند وصوله إلى الرويشان نائب عامل البيضاء اشترط عليه أن يترك شقيقه سالم وابن عمه محسن بن علي كرهيتين لديه لضمان رفع وتيرة المقاومة مقابل زيادة مخصصات الدعم والمعونة، ولكن الشيخ محمد بن محسن رفض ذلك⁽¹⁾.

فعاد الشيخ محمد بن محسن بن عيدروس من البيضاء في منتصف يوليو 1955م حاملاً معه بعض الدعم الزهيد المتمثل في بندقيتين وبضعة صناديق من الذخيرة⁽²⁾، وعلى أثر هذا التناقص في كميات الدعم والمعونة من قبل حكومة الإمام أدى ذلك إلى إعاقة المقاومين من تصعيد عملياتهم الهجومية على المصالح الحكومية، ونتيجة لذلك بدأت المساعي والمفاوضات بين رجال المقاومة من جهة والسلطة المحلية في المشيخة والبريطانيين من جهة أخرى في عام 1958م لإنهاء هذا الانتفاضة، وأدار هذه المفاوضات في منطقة " قرى آل سليمان " الشريف حسين بن أحمد الهبيلي الذي استطاع إقناع المقاومين بإنهاء انتفاضتهم مقابل عودة " آل عيدروس " إلى مناصبهم في حكم بلاد آل مُحَمَّد وحصولهم على تعويضات مقابل بيوتهم التي تم تدميرها⁽³⁾، وبهذا انتهت هذه الانتفاضة التي استمرت أربعة أعوام ابتداءً من عام 1954م حتى عام 1958م.

12 - انتفاضة قبيلة آل ديان (خورة 1956م):

عمل البريطانيون على مد نفوذهم إلى وادي خورة وذلك لأهميته وقربه من البيضاء، وكذلك مدوا نفوذ السلطان من خلال إقامة مركز حكومي في مدينة خورة، وبالتأكيد فإن سعي البريطانيين لذلك ليس من أجل تدعيم نفوذ قوة السلطان بحد ذاته، ولكن لتأكيد بسط نفوذ الحماية والحد من أي تدخل من شمال اليمن⁽⁴⁾، وفي عام 1953م بعد تشاور السلطان عوض بن صالح العولقي مع بعض مشائخ قبيلة آل ديان سكان وادي

(1) مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد عيدروس علي السليمانى.

(2) Records of Yemen: The British Review Security in Aden Protectorate 1954 - 1956.

(3) مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد عيدروس علي السليمانى.

(4) Edwards, Frank. The Gaysh, op.cit.p127

خورة تمكن من إقناعهم لإقامة مركز حكومي في خورة، وعند نزول القوة العسكرية تم اعتراضهم في وادي مدرك أحد مداخل خورة من قبل الشيخ محمد ناصر عوض لزنم وجماعته، وتبادلوا إطلاق النار لمنع هذه القوة من دخول خورة، وبعد تدخل السلطان تمكن من إقناعهم بالسماح لهذه القوة بالمرور، وتم تأسيس مركز حكومي يضم قوة أمنية ومحكمة، وهكذا استطاعت بريطانيا من بسط نفوذ حمايتها الفعلي على منطقة خورة⁽¹⁾.

وعلى الرغم من موافقة مشائخ آل ديان على تأسيس هذا المركز الحكومي في خورة، إلا أن رجال قبيلة آل ديان رفضوا بسط الحماية البريطانية في منطقتهم، وعبروا عن ذلك من خلال هجماتهم وضرب هذا المركز الحكومي ليلاً بالأسلحة الخفيفة منذ تأسيسه حتى العام 1956م، على أن أبرز هذه العمليات الهجوم على قوة كبيرة من جيش الليوي في منتصف يوليو 1955م جاءت إلى خورة للقيام بدورية لمدة أربعة أيام حول الحصن الحكومي، فأطلق عليها المقاومون النار واشتبكوا معها دون إصابات، وبعدها عادت إلى عتق⁽²⁾.

وفي 7 إبريل 1956م عززت القوات البريطانية القوة الموجودة في خورة بقوة أخرى من الحرس الحكومي، مما حفز المقاومين على تصعيد مقاومتهم ووضعوا خطة للاستيلاء على هذا المركز الحكومي والتخلص من نفوذ الحماية البريطانية، وترغم هذه الحركة كل من محمد علي البارقي، وناصر صالح علي الدياني، ومحمد صالح التوم الدياني، وعلى مطروح العبد، وأبوبكر بن فريد الدياني، وعلي محمد فريد الدياني⁽³⁾.

وكانت الخطة التي وضعها المقاومون تركز على أن تقوم مجاميع المقاومة بالانتشار حول المركز الحكومي ومحاصرته من كل الاتجاهات، ويقوم أحدهم وهو محمد صالح التوم الذي تربطه علاقة بالمجموعة المرابطة في المركز بالدخول إلى المركز وقطع أسلاك الاتصال، لقطع تواصل المركز بالقيادة في نصاب وعتق ومن ثم قطع الإمداد، وبالفعل استطاع محمد صالح التوم الدخول إلى المركز وعندما هم بقطع الأسلاك اعترضه أحد

(1) مقابلة شخصية مع العميد عبدالله صالح طريش الدياني من معاصري هذه الأحداث.

(2) العولقي، علوي عمر، ج3، ص16؛ ناجي، سلطان، التاريخ العسكري، ص241؛ النهضة، 21 يوليو 1955م، العدد 260.

(3) بن لزنم، صالح محمد، يقول بن لزنم، ط2، مطابع التوجيه، صنعاء، 2000م، ص225؛ ماكرو، أريك، اليمن والغرب، ط2، تعريب وتعليق حسين عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، 1987م، ص205؛ مجلة وادي خورة، العدد الثامن، ص6.

جنود الحراسة فقام محمد صالح التوم بقتله، وعندما سمع الجنود إطلاق النار على الفور أطلقوا النار على محمد صالح التوم وأردوه قتيلاً قبل أن يتمكن من قطع أسلاك الاتصال، عندها بدأ المقاومون الهجوم والاشتباك مع الجنود المرابطين في المركز، واستمر الاشتباك عدة ساعات استطاع خلالها الجنود في المركز الحكومي الاتصال بالقيادة في عتق، التي حركت سلاح الجو الذي قام بقصف شامل للمنطقة، ولاسيما قرى الثوار والجبال المجاورة بهدف إرهاب الأهالي وقطع المساندة للثوار، وأحدث هذه القصف خسائر مادية⁽¹⁾.

وبعد الاشتباكات العنيفة بين الطرفين حول المركز الحكومي لم يتمكن الثوار من الاستيلاء عليه، فاضطروا للانسحاب بعد أن فقدوا أبرز قياداتهم في هذه المعركة وهم: محمد علي البارق، ومحمد صالح التوم، وناصر صالح علي، وعلي مطروح. وقد أصيب بجروح كل من: أبو بكر بن فريد، وعلي محمد فريد⁽²⁾، كما قتل جنديان من جنود المركز الحكومي، ونتيجة للاشتباك الكثيف فقد أصيب أحد الأهالي وقتلت امرأة⁽³⁾.

وعلى إثر ذلك تحركت قوة كبيرة من الجيش المرابط في عتق مزودة بالدبابات وناقلات الجند ومدافع الهاون والرشاشات المتوسطة ووصلت إلى خورة وتوجهت إلى قرى الثوار من آل ديان وقامت بنسف منازلهم، عقاباً لهم لقيامهم بهذه الانتفاضة ولرفضهم دفع "أربعة ألف ريال ماريا تريزا" كغرامة فرضتها السلطات البريطانية. واستمر قصف الطيران عدة أيام على الجبال وحول القرى لإخافة الناس ولمطاردة الثوار الذين انسحبوا إلى أعالي شعاب خورة ومنها إلى البيضاء⁽⁴⁾، وبعدها انسحبت القوة التابعة للجيش مع قوة الحرس الحكومي التي كانت متمركزة في المركز الحكومي في خورة إلى عتق، واستلمت إدارة هذا المركز قوة محلية من الحرس الثاني التابعة للسلطان، تولت الأمن في المنطقة حتى الاستقلال⁽⁵⁾.

(1) صادرة عن سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي اليمني م/ شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في م/ شبوة، ص 15.

(2) بن لزنم، صالح محمد، يقول بن لزنم، ص 225، ماكرو، أريك، اليمن والغرب، ص 205.

(3) مقابلة مع العميد عبدالله صالح طريش الدياني.

(4) ماكرو، أريك، اليمن والغرب، ص 205؛ العولقي، علوي عمر، ج 2، ص 441.

(5) مقابلة شخصية مع العميد عبدالله صالح طريش الدياني.

13 - انتفاضة قبائل المصعبين (اللفج وحدجة 1956م) :

تزعم انتفاضة اللفج مجموعة من قبائل المصعبين بقيادة ناجي ناصر الشطيف، وناجي علوي أحمد، وعددٌ آخر من مشايخ المصعبين الذين اتجهوا إلى شمال اليمن، واستقر بهم المقام في قرية اللفج وهي إحدى قرى الملاجم في البيضاء التابعة للإمام، واتخذوا منها قاعدة لمقاومة الاستعمار البريطاني وحلفائه في بيحان⁽¹⁾، وكانت أهداف المقاومة تتلخص في رغبتهم في إزالة نفوذ الحماية البريطانية، وذلك من خلال القيام بالهجمات الخاطفة التي سوف يشنونها من هذه المنطقة على بيحان، وأرسل المقاومون مجموعة منهم لمقابلة الإمام وطرح قضيتهم عليه لمد يد العون ودعم هذه الانتفاضة، وأحالهم الإمام أحمد إلى عامله في البيضاء محمد بن عبدالله الشامي للقيام بهذه المهمة، ولكن الشامي ولما تربطه من علاقة حميمة بالشريف حسين في بيحان، وكذلك بحسب إشارته إلى الاتفاقية التي عقدت بين السلطات الإمامية والبريطانيين في عام 1934م التي تنظم العلاقة بينهم، أبدى الشامي عدم موافقته على دعم المقاومين لشن الهجمات من المناطق التابعة لشمال اليمن على بيحان، وعرض عليهم الإقامة في هذه المنطقة " اللفج " وعدم القيام بأي هجمات منها⁽²⁾.

ونتيجة لإحساس الشريف بالخطر الذي سوف يشكله بقاء هؤلاء المقاومين خارج البلاد أرسل إليهم مبعوثاً يطالبهم بالعودة مع حفظ حقوقهم ومكانتهم وحدد لقاء التفاوض والتفاهم حول رجوعهم في دار أحمد عاتق الفقير في قرية غنية بوادي خر، وحضر هذا اللقاء الأول مجموعة من المقاومين في مقدمتهم مشايخ المصعبين، فيما حضر من جانب السلطة المحلية لإمارة بيحان مجموعة على رأسهم الشريف عوض بن أحمد الهيلي.

وبعد مداولة الآراء حول أسباب انتفاضتهم أكد لهم الشريف عوض بأنه سوف يزيل أسبابها، واشترط المقاومون أن يلتقوا في لقاء لاحق بالشريف حسين نفسه في قرية الكراع، لكي يوافق على ما سيتم الاتفاق عليه في لقاء غنية، وتم ذلك اللقاء بالشريف حسين الذي التزم بتنفيذ كل ما تم الاتفاق في لقاء غنية، وانقسم المقاومون إلى فريقين الأول بزعامة

(1) السقاف، عبدالله عبدالرحمن، وثائق للتاريخ، ص92؛ كتيب عن قرارات المؤتمر الأول للأدب والتراث، ص38.

(2) أبو نهار، صالح عبدربه شعراء بيحان، ص85.

الشيخ ناجي علوي وافق هذا الفريق على إنهاء انتفاضتهم والعودة إلى بيحان وفق اتفاق غنية، وأما الفريق الثاني بزعامة الشيخ محمد علوي الفاطمي تمسك بعدم العودة إلى بيحان إلا إذا زالت سلطة الحماية عنها، وبالفعل عادوا إلى بلاد الملاجم في البيضاء وظلوا فيها حتى قيام الثورة وانظموا إليها⁽¹⁾.

وفي هذا العام نفسه أي 1956م الذي قامت فيه هذه الانتفاضة، قامت انتفاضة أخرى في حدجة التي تعد الانتفاضة الثانية لهذه المنطقة بقيادة آل البجاعي ضد المخططات البريطانية بعد الانتفاضة الأولى التي قامت في عام 1935م التي سبق ذكرها، وتعود أسباب هذه الانتفاضة إلى أن السلطات البريطانية عندما بدأت في البحث عن مناطق جديدة لزراعة القطن في العديد من مستعمراتها، لضمان توفير المواد الخام اللازمة للصناعات النسيجية البريطانية بعد أن تقلصت فرص حصولها على القطن من الهند بعد استقلالها، لذلك اهتمت السلطات البريطانية بزراعة القطن في إمارات جنوب اليمن، ومن ضمنها إمارة بيحان الذي استجاب حكامها لمقترح بريطانيا لإجبار الفلاحين في بيحان على زراعة ربع أراضيهم قطنًا، وذلك في عام 1956م⁽²⁾.

وترجم الشيخ عبدالله مبارك البجاعي معارضة فرض زراعة القطن، الأمر الذي جعل السلطات في بيحان تقرر القيام بحملة عسكرية لإخضاع حدجة لمنطقة البجاعي، ومن ثم فرض مشروع القطن بالقوة العسكرية، وتكونت الحملة من ثلاثمائة جندي مزودين بالأسلحة واتخذت مواقعها حول حدجة، وبدأت بإطلاق النار على آل البجاعي الذين ردوا بالمثل، واستمرت المعركة يومين استخدمت فيها الطائرات البريطانية لضرب حدجة نتج عنها مقتل بعض رجال البجاعي، وجرح كل من الشيخ عبدالله البجاعي وابنه صالح، وقتل عدد كبير من الأغنام والأبقار والإبل⁽³⁾، وبعد وساطة قام بها مجموعة من سادة الروضة تم وقف إطلاق النار، وتم بعدها اعتقال الشيخ البجاعي ورجاله، كما صدر حكم بتغريم البجاعي ألفين ريال ماريا تريزا، وعلى الرغم من التضحيات الجسيمة التي تحملها البجاعي فإن انتفاضة حدجة نجحت في إلغاء مشروع القطن الإجباري في بيحان.

(1) القباص، مهدي راشد، الإمارة الهبيلية الهاشمية، ص152.

(2) مرشد، عبدالله علي، نشوء وتطور الحركة النقابية، ص88، المعلم، عبدالله علي، دور بعض عناصر المناخ في إنتاجية محصول القطن في محافظة أبين، رسالة ماجستير، جامعة عدن، 2001م، ص87 - 88.

(3) القباص، مهدي راشد، الإمارة الهبيلية الهاشمية، ص178 - 180.

14 - انتفاضة قبيلة آل باحقينة (وادي الحنكة 1957 - 1965م) :

تسكن قبيلة آل باحقينة إحدى قبائل "سعد الشعاب" وادي الحنكة الذي يُعد من روافد وادي عمالقين، ويقع ضمن نفوذ السلطنة الواحدية، ففي عام 1957م حدث نزاع بين هذه القبيلة وقبيلة آل بريك حول أراضي زراعية، وللفضل في هذا النزاع رفعت القضية إلى الأمير محمد بن سعيد الواحدي "سكرتير السلطنة" لحسم هذا النزاع، فأصدر فيها حكماً أولياً للفضل في هذا النزاع القائم بين القبيلتين⁽¹⁾، ويبدو أن هذا الحكم لم يُرض قبيلة آل باحقينة وتعبيراً عن رفضهم له قاموا بحصد المحاصيل الزراعية في الأراضي المتنازع عليها، وعندما تم استدعاؤهم من قبل حكومة السلطنة رفضوا أوامر الحضور وأعلنوا عصيانهم وتمردهم عن السلطات الواحدية، وبعد عدد من الوساطات لإقناعهم بالعدول عن تمردهم ظلت هذه الأزمة قائمة لعدة سنوات.

واستمر آل باحقينة في تمردهم وعدم خضوعهم للسلطنة الواحدية فهددتهم بريطانيا في عام 1965م باستخدام القوة من خلال المنشورات التي رمتها الطائرات فوق منازلهم، فأجريت الوساطات بعد هذا التهديد ولكن دون التوصل إلى نتيجة، لذلك قامت القوات البريطانية ومن خلال سلاح الجو بقصف وادي الحنكة "بلاد آل باحقينة"، وبعد هذا القصف تدخل الشيخ صالح بن سعيد القديمة حاكم وادي جردان بالمفاوضات لوقف هذا القصف الجوي، وتم تشكيل مجموعة من الأشخاص لحل قضية الأرض الزراعية المتنازع عليها، وتمكنت من حلها بإشراف ممثلي السلطنة في تاريخ 3/4/1965م⁽²⁾، وهكذا عادت هذه المنطقة للنفوذ الواحدي.

15 - انتفاضة قبائل معن الثانية بقيادة آل أبوبكر بن فريد (كور العوالق

1959 - 1960م)

كان حزب رابطة أبناء الجنوب العربي من الأحزاب الوطنية التي طالبت برحيل الاستعمار البريطاني، فناصره البريطانيون العداء وعملوا على نفي قيادته السياسية ومطاردتهم⁽³⁾، وامتداداً لهذه الهجمة على حزب الرابطة حاصرت الدبابات البريطانية

(1) لجعد، سالم ناصر، السلطنة الواحدية "بالحاف"، ص 56.

(2) وثيقة الحكم الصادر لحل مشكلة النزاع بين آل باحقينة وآل بريك معمد من سكرتارية السلطنة الواحدية.

(3) الصراف، علي، اليمن الجنوبي، ط 1، رياض الريس للنشر، لندن، قبرص، 1992م، ص 87.

في إبريل 1959م منازل آل أبوبكر بن فريد الذين يمثلون القوة الرئيسة الموالية لهذا لحزب في منطقة العوالق العليا، وكان الهدف من هذه الحملة إلقاء القبض على رموز أسرة آل أبوبكر بن فريد وهم الشيخ صالح بن أبوبكر، وفريد بن أبوبكر، وعبدالله محمد أبوبكر "جعفان" وأخذهم رهائن إلى عدن، وبذلك تأمين بريطانيا من قيام أي انتفاضة مسلحة كانت متوقعة حينها في مشيخة العوالق العليا⁽¹⁾.

وتمكن هؤلاء الأفراد من آل أبوبكر بن فريد المطلوبين من قبل القوات البريطانية من الإفلات بمعجزة وسط الحصار ولجأوا إلى جبال الكور، وعلى الرغم من خروجهم فإن الدبابات البريطانية قامت بإطلاق القذائف على المنازل وكان الأطفال والنساء بداخلها، مما اضطر محسن أبوبكر بن فريد أن يسلم نفسه للقوات المحاصرة حفاظاً على أرواح الأطفال والنساء، وبالفعل توقف إطلاق القذائف وانسحبت هذه القوات، وتم أخذه سجيناً إلى أبين ثم إلى الضالع، ثم هرب من السجن برفقة جندي الحراسة الوطني عبدالله الصيفي الرجاعي⁽²⁾.

وبعد ذلك قامت القوات البريطانية بنسف منازل كل من قياديي الرابطة في المشيخة وهم السيد محمد علي الجفري ومحمد أبوبكر بن عجرومة، فأعلنت الانتفاضة والقتال ضد البريطانيين وتعاطف مع انتفاضة آل أبوبكر بن فريد الكثير من أبناء قبائل معن وانضموا إليهم في كور العوالق⁽³⁾. ومن هناك أداروا معارك عنيفة انقطعت خلالها الطرق الرئيسة في المشيخة لفترات واستمرت المناوشات على المراكز الحكومية وضربها ليلاً، وأدى ذلك إلى وقوع العديد من الإصابات في صفوف العسكر معظمها في كمائن ليلية، وقتل العديد منهم، مما دفع بريطانيا إلى تعزيز قواتها في عتق العاصمة العسكرية للمشيخة، وكذلك عملت على تعزيز القوات في الحصون والمراكز العسكرية على امتداد المشيخة، وعملت على استحداث مراكز عسكرية أخرى في مقبلة والسفال⁽⁴⁾.

(1) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوالق، ج3، ص19.

(2) مقابلة شخصية مع الشيخ فريد أبوبكر بن فريد العولقي، أحد أبرز رجال هذه الانتفاضة.

(3) الجابري، عبدالله، الجنوب العربي، د.ط، دون دار نشر، د.ت، ص151 - 152، العولقي، تاريخ قبائل العوالق، ج3، ص27.

(4) مقابلة مع محمد علي بن سلامة من معاصري هذه الأحداث، وقد عمل كملازم أول في الحرس الثاني بالمشيخة.

وصعدت المقاومة من عملياتها القتالية، مما جعل البريطانيين يلجؤون إلى سلاح الجو الذي كثف من نشاطه حتى أصبحت الطائرات تقوم بغارات شبه يومية على جبال الكور حيث يتحصن المقاومون، وتساعد الطائرات القاذفة التي كانت تلقي بقنابلها الضخمة على الشعاب والكهوف التي تأوي الثوار، كما أخذت الطائرات تكسر حاجز الصوت بحيث تحلق على ارتفاعات منخفضة فوق الصعيد وقرى وادي يشبم، وكذلك تقوم بغارات وهمية فوق الجبال المحيطة بهذه القرى، كل ذلك لترويع السكان حتى لا يقدموا الدعم للمقاومين، وكذلك قاموا في الاتجاه نفسه بنسف عدد من منازل الأعيان الذين ناصروا أو انخرطوا في هذه الانتفاضة، وبرغم ذلك أخذت أهمية الانتفاضة تزداد وتلقى الدعم والمؤازرة من كل قبائل العوالق، فأرسل الثائرون من الكور وفداً إلى مملكة اليمن برئاسة الشيخ فريد بن أبوبكر لطلب المعونة من حكومة الإمام، وحصلوا على بعض المساعدات المحدودة التي لا تفي وطموح المقاومين الذين يواجهون القوات البريطانية المتفوقة في العدد والعتاد⁽¹⁾.

ويرجع سبب خذلان الإمام أحمد للمقاومين وعدم تقديم الدعم الكافي لاستمرار هذه الانتفاضة إلى أن الأوضاع منذ عام 1959م بدأت بالتردي في مملكته وازدادت الانتفاضات المسلحة ضد حكمه، فاضطر إلى سحب قواته المرابطة على الحدود الجنوبية، وقام باتصالاته السرية مع البريطانيين وساوّم على قضية الجنوب، وتم الاتفاق على أن تطرد بريطانيا الأحرار اليمنيين المعادين للإمام من عدن، وبالمقابل تعهدت حكومة الإمام بقطع خطوط الإمدادات على المقاومة في كور العوالق، ونجحت الحكومة البريطانية من الحصول على ذلك التعهد وتمت هذه الصفقة بين كل من تريفاسكس والقاضي محمد بن عبدالله الشامي عن حكومة الإمام⁽²⁾.

وبعد أن وجه البريطانيون هذه الضربة السياسية لهذه الانتفاضة من خلال إلزام الإمام بالتخلي عن دعمها، بدأوا يعدون العدة للضربة العسكرية، ففي 27 إبريل 1960م بدأت الحملة براً وجواً واشتركت في هذا الهجوم طائرات سلاح الجو البريطاني التي كانت تقلع

(1) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوالق، ج3، ص27، دراسة على تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص14.

(2) Trevaskis: K, Shades of Amber (A South Arabia Episode) London , Hutchinson- (2) Publishers Ltd 1968.P. P.151, 152,153.

من حاملة الطائرات الرأسيّة في ساحل عرقة من بلاد الواحدي بالقرب من أحور، وكذلك قوة كبيرة من الحرس الحكومي وكتيبتان من جيش الليوي⁽¹⁾، وأطبقت القوات البرية البريطانية المهاجمة على الثوار المعتصمين في جبال الكور من أربع جهات، من الكفا من بلاد باكازم ومن المصينعة من بلاد آل مُحَمُّد ومن مذاب ومربون من بلاد آل علي ومن قاع بامسلم بلاد ربيز⁽²⁾.

وفي الوقت نفسه كانت الطائرات الحربية تشن الغارات العنيفة على مواقع الثوار ليلاً ونهاراً وترمي عليها بالقنابل الضخمة التي يصل وزن القذيفة الواحدة إلى ألف رطل، مما اضطر رجال المقاومة إلى الانسحاب التدريجي مع استمرار الجيش في ملاحقتهم، وكذلك القصف الجوي المستمر حتى وصلوا إلى البيضاء، وهكذا نجحت الصفقة بين حكومة الإمام والبريطانيين في القضاء على هذه الانتفاضة الباسلة، واعترف "المستر لينكس بويد" في مجلس العموم البريطاني بحدوث "12000" غارة جوية في كور العوائل خلال هذه الحملة أدت إلى استشهاد النساء والأطفال، وكذلك قتل الكثير من الإبل والأغنام وحرقت المحاصيل الزراعية⁽³⁾.

لقد أثبتت هذه الانتفاضات الشعبية القبلية في مختلف مناطق شبوة مدى الرفض الشعبي للنفوذ البريطاني فيها، على الرغم من عفويتها وعدم تنظيمها الكافي، فإنها دعمت نشاط الحركة الوطنية التي بدأت تأخذ شكلاً منظماً وأهدافاً واضحة في المرحلة اللاحقة للمقاومة الشعبية والثورة الأكثر وعياً وتنظيماً.

ثانياً: المقاومة الشعبية ذات الطابع التنظيمي 1964 - 1967م؛

إن قيام ثورة 14 أكتوبر 1963م كان بمثابة البداية الحقيقية لصحوة أبناء جنوب اليمن المحتل ليسلكوا الطريق الثوري المنظم لمقاومتهم ضد الاحتلال البريطاني، إذ استطاعت هذه الثورة أن تفتح جبهات القتال ضد المستعمر وأعوانه في كثير من سلطنات الجنوب ومشيخاته⁽⁴⁾، على أن العمل التنظيمي للمقاومة الشعبية في سلطنات شبوة ومشيخاتها

(1) كتيب صادر عن رابطة أبناء الجنوب، الجنوب العربي في هيئة الأمم المتحدة، مكتبة القاهرة، 1963م، ص 18؛ Trevaskis:K , op.cit, p.152.

(2) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوائل، ج 3، ص 39.

(3) حبان، السنة الثانية، مارس 2004م، العدد 16، ص 9.

(4) ثابت، راشد محمد، ثورة 14 أكتوبر اليمنية، د. ط، مطابع التوجيه، صنعاء، 2007م، ص 162.

الذي يمثل المرحلة الثانية من مراحل المقاومة الشعبية للبريطانيين وعملائهم من الحكام المحليين تأخر مقارنة بالسلطنات والمشيخات المتاخمة لعدن كالضالع والشعيب ولحج وغيرهما⁽¹⁾.

ويرجع ذلك إلى عدة عوامل ذاتية وأخرى موضوعية على أن أبرزها: قسوة الطبيعة في هذه المناطق، وصعوبة المواصلات، ووجود الحدود المصطنعة بينها، وكذا الصراعات القبلية التي لم تكن لتلهي القبائل عن النضال ضد العدو المشترك فحسب، بل تمنع أي تحرك بين المناطق خوفاً من القتال القبلي⁽²⁾، غير أن الكثير من أبناء مناطق شبوة الموجودين في القطاعات الشعبية والعسكرية انضموا إلى الثورة المنظمة منذ أواخر عام 1964م، وكان لهم أثر بالغ في مناطق سكنهم لصالح الثورة وتنظيمها، وكذلك الذين ظلوا مناوئين للاستعمار وحلفائه ونزحوا إلى شمال اليمن فأدوا دوراً بارزاً إلى جانب الثورة بطرق وأشكال مختلفة⁽³⁾.

وسوف نستعرض أبرز مجريات النشاط التنظيمي والسياسي والعسكري للمقاومة المنظمة في مختلف مناطق سلطنات شبوة ومشيخاتها فيما يلي:

1 - النشاط التنظيمي للمقاومة في سلطنة العوالق العليا ومرخة :

منذ أواخر العام 1966م قام مجموعة من الشباب الذين التحقوا بصفوف الثورة في القطاعات الشعبية والعسكرية وكذلك من المجاميع المناوئة للمستعمر البريطاني في شمال اليمن بتأسيس التشكيل التنظيمي للجبهة القومية في سلطنة العوالق العليا، وذلك بتشكيل عدد من الخلايا التنظيمية عند عودتهم إلى مناطقهم للقيام بدورها المنظم في مقاومة الاستعمار البريطاني، وكانت أبرز تلك الخلايا أربع خلايا رئيسة موزعة في كل من نصاب وعبدان وجباة، والخلية الرابعة كانت ضمن تشكيلة قوة الحرس الثاني في السلطنة.

(1) طوحل، خالد عبدالله، العوالق وتكوينهم السياسي الحديث، ط1، دار جامعة عدن، عدن، 2006م، ص316.

(2) المصري، تجربة اليمن الديمقراطية، مطبعة المدني، القاهرة، 1974م، ص42 - 45؛ مقابلة مع صالح ناصر نصران.

(3) مجموعة مؤلفين سوفيت، تاريخ اليمن المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990م، ص192.

وكان النشاط التنظيمي والعسكري في كل من خليتي جباة وعبدان علنياً، ويرجع السبب في ذلك إلى كون السلطة المحلية في السلطنة في تلك المدة قد فقدت السيطرة على هاتين المنطقتين، أما في منطقة خورة فقد عمل مجموعة من أعضاء الجبهة القومية على توعية المواطنين بأهمية العمل التنظيمي والالتفاف حول الثورة، ويعود الفضل في التنسيق بين هذه الخلايا إلى العناصر التي قامت بذلك العمل التنظيمي والتخطيطي للإعداد للمعارك العسكرية فيما بعد، ومن أبرز هذه العناصر: أحمد مساعد حسين ومحسن صالح بارت وناصر عتاش الدغاري ومحمد أحمد الحامد وصالح علي بانافع وعبدالله علي طرموم ومحمد مساعد حسين ومحمد ناصر الجبواني وأحمد مبارك الدغاري وعوض ناصر المطنون وسالم فرج أحمد وأحمد ناصر خميس ومبارك محمد الرحبي⁽¹⁾.

وبدأ النشاط لهذه المجموعات التنظيمية من خلال إنزال المنشورات والكتابات المناوئة للاستعمار التي تبين أهداف الثورة، وتطور هذا النشاط السياسي بعد الترتيبات التنظيمية إلى القيام بعمليات عسكرية موجهة ضد الوجود البريطاني وأعوانه في السلطنة، وأبرز هذه العمليات كانت في 6 أغسطس 1967م إذ تم الهجوم بالرشاشات والبوازيك على منزل الضابط السياسي في نصاب مما أدى إلى تدمير سيارته، وفي 15 أغسطس من العام نفسه قامت مجموعة من عناصر الجبهة القومية بالهجوم على مركز حطيب استخدمت فيه مختلف الأسلحة، وفي 2 سبتمبر 1967م قام فدائيو الجبهة القومية في الحرس الثاني بحركة تمردية في مركز الجيف في نصاب، وأدت هذه الحركة إلى مقتل مجموعة من حاشية السلطان وعلى رأسهم عوض سعود الكوردي قائد الحرس الخاص للسلطان، وإصابة مجموعة أخرى بجروح.

وكان لهذه الحركة في الجيف صدى واسع في كل أنحاء السلطنة ومن نتائجها التفاعل الشعبي مع التشكيلات التنظيمية التابعة للجبهة القومية، مما أدى إلى الاستيلاء على منطقتي الحنك وخورة وطرده ممثلي السلطنة من هاتين المنطقتين، وفي 4 سبتمبر من العام نفسه تم الاستيلاء على منطقة حطيب، وهكذا تمكنت التشكيلات التنظيمية للجبهة القومية من السيطرة على باقي مناطق السلطنة، وبقيت نصاب مقر الأسرة الحاكمة

(1) طوحل، خالد عبدالله، العوالت وتكوينهم السياسي الحديث، ص336.

محاصرة⁽¹⁾، وفي 8 سبتمبر 1967م عقد لقاء موسع لمواطني السلطنة وقبائلها المناصرين للجبهة القومية، وفي هذا اللقاء تعهد الثوار على فرض حصار على مدينة نصاب (عاصمة السلطنة) من كل الاتجاهات.

وفي الوقت نفسه كانت خلية نصاب تقوم بدورها داخل المدينة، واستمر هذه الحصار المحكم على المدينة حتى وصلت قوة عسكرية من الجيش من عتق، وبدأت بالهجوم على مدينة نصاب وتصدى لها آل عبدالله بن عوض سلاطين العوالق العليا ودارت معارك عنيفة مما اضطر الجيش لضربهم بمدافع "125 ملم"، وسقط في هذه المعركة كل من الأمير عوض بن مبارك بن صالح العولقي ومحمد صالح القرنطح، وكذلك استشهد عدد من أفراد الجيش، وفي 29/10/1967م سقطت سلطنة العوالق العليا⁽²⁾، وتم اعتقال كل من النائب صالح بن عبدالله بن عوض حفيد السلطان والحاكم الفعلي للسلطنة وإخوانه محمد وعبد وأحمد قادة السلطنة وأودعوا السجن في عدن، كما تم اعتقال عدد كبير من أفراد الأسرة الحاكمة، أما السلطان المحال على المعاش عوض بن صالح العولقي فقد كان حينها كبيراً في السن وبقي في منزله حتى وفاته في عام 1968م⁽³⁾.

أما مرخة التي كانت شبه مستقلة عن الحماية البريطانية، فإن العمل التنظيمي بدأ فيها منذ مطلع عام 1967م، حيث عمل مجموعة من الشباب على نشر العمل السياسي والإعلامي لصالح الثورة بعد عودة بعضهم من الشمال، وبعضهم الآخر من عدن إذ كانوا أعضاء في الجبهة القومية، وكان أبرز هؤلاء الشباب: عوض صالح عبيد، وعبدالباري أحمد باكر، وفيصل المشعبة، أما العمل العسكري فإنه لم يتم لعدم وجود نفوذ واسع للأسرة الحاكمة هناك، وتمت السيطرة على مرخة على أثر سقوط سلطنة العوالق العليا⁽⁴⁾.

(1) صادر عن سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي اليمني، دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 28 - 29.

(2) مقبل، سيف علي، من تاريخ الحركة الوطنية اليمنية، ط1، مركز عبادي للنشر، صنعاء، 2004م، ص 263.

(3) المشهور، أبو بكر بن علي، الطرف الأحر، ص 278؛ مقابلة مع الشيخ أحمد صالح بن ناصر الديولي.

(4) صادرة عن سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي اليمن م / شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 29.

2 - النشاط التنظيمي للمقاومة في مشيخة العوائل العليا وخليفة :

لقد تحمل عبء العمل السياسي والتنظيمي للمقاومة في هذه المشيخة عدد من الشباب من أبناء المشيخة الذين أتيحت لهم فرصة التعليم في أبين، ومن ثم في ثانوية الاتحاد في عدن، ومن خلال احتكاكهم بزملائهم في المناطق الأخرى تعرفوا على العمل السياسي والتنظيمي، والتحقّت مجموعة منهم منذ عام 1962م بحركة القوميين العرب الذين بدأوا نشاطهم التنظيمي في عدن منذ عام 1959م⁽¹⁾، ومن ثم التنظيم السياسي للجبهة القومية وكان أبرز هؤلاء الشباب: فريد أحمد مجور، وسعيد هادي عوض المدحجي، وعبدالله أحمد العود، وصالح منصور أحمد، ومحمد سالم فريد، وسعيد علي صالح المدحجي، وعلي مجلبع باشاة وآخرين⁽²⁾.

وتمكن هؤلاء الشباب من نشر فكر التنظيم السياسي للجبهة القومية وتأسيس القواعد الأولى، وكذلك العمل على كسب عدد كبير من المناصرين والمتعاطفين معهم، كما بدأوا بتأسيس "نادي الصعيد" ليكون ملتقى للشباب وغطاء لنشاطهم السياسي، واستطاعوا أن يوسعوا عضوية التنظيم وتشكيل أول عمل تنظيمي في عام 1965م، ولاستقطاب أكبر عدد ممكن من الطلبة في الصعيد تم تكليف بعض المدرسين بهذه المهمة، واستطاع هؤلاء المدرسون القيام باستقطاب كثير من الطلبة ليكونوا أعضاءً وأنصارًا للتنظيم السياسي للجبهة القومية⁽³⁾.

وأشرف على العمل التنظيمي في المشيخة كل من: محمد علي هيثم، وعبدالله علي مجور، وتوفيق عوبلي، وظل نشاط عناصر الجبهة القومية مدّة من الزمن سرًا خشية بطش البريطانيين والأسرة الحاكمة، فضلاً عن أن أعدادًا من أبناء المشيخة حينها كانوا يؤيدون ويناصرون جبهة التحرير ذات الميول الناصرية⁽⁴⁾.

أما منطقة عتق التابعة لمشيخة العوائل العليا نتيجة لأهميتها الاستراتيجية وفيها المطار الرئيس ومعسكر للجيش، استطاع عناصر الجبهة القومية أن يجعلوا عتق ملتقى لهم لعقد

(1) مقبل، سيف علي، أكتوبر الثورة التحريرية المسلحة في الجنوب، ص 21.

(2) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوائل، ج 3، ص 128.

(3) أحمد، مكرم محمد، الثورة جنوب الجزيرة العربية، دار الكتب، مصر، د. ت، ص 145 - 14625.

(4) العولقي، علوي عمر، تاريخ قبائل العوائل، ج 3، ص 128؛ مقبل، سيف علي، أكتوبر الثورة التحريرية، ص 245.

الاجتماعات وإجراء المشاورات والتنسيق فيما بينهم، وجعلها القاعدة التي ينطلق منها العمل السياسي والعسكري ضد المشيخة وكذلك ضد سلطنة العواتق العليا المجاورة وإمارة بيحان، ومنها انطلقت العمليات العسكرية لتحرير الصعيد ونصاب وبيحان، وانظم إلى الجبهة القومية عدد من أبناء عتق وعلى رأسهم طالب أحمد معيض وآخرين⁽¹⁾.

وهكذا توالى المعارك العسكرية التي استهدفت الأسرة الحاكمة والمستشارين السياسيين البريطانيين في المشيخة خلال المدة من عام 1964م حتى عام 1967م، وقد تولى قيادتها آل أبوبكر بن فريد الذين تمردوا على الأسرة الحاكمة وقادوا بعض الانتفاضات القبلية منذ الخمسينيات - كما أشرنا سابقاً - وكذلك انضموا إلى صفوف رابطة أبناء الجنوب، كما كانت تقوم عناصر مستقلة في المنطقة نفسها بعمليات عسكرية من وقت لآخر، وأشهر عملية قامت بها فرقة من الجبهة القومية بقيادة أحمد حسين دافر هي ضرب منزل نائب أمير المشيخة الشيخ فريد بن محسن، أما العملية الثانية فكانت مخططة لضرب مركز النقبة إلا أن هذه الفرقة وقعت في كمين سقط فيها أحمد حسين دافر شهيداً، وهذا يُعد أول شهداء الجبهة القومية في المشيخة⁽²⁾.

وبدأ أعضاء الجبهة القومية وأنصارها منذ مطلع عام 1967م يدخلون في مواجهات مكشوفة مع البريطانيين والسلطة الحاكمة في المشيخة، بداية بالعمل السياسي والتحريري وفيما بعد بالتنظيم العسكري، وفي تلك المدة كانت كل مناطق الجنوب تشتعل بالثورة، ومنذ شهر أغسطس 1967م بدأت إمارات الجنوب تسقط الواحدة تلو الأخرى بيد الجبهة القومية لاسيما بعد مغادرة القوات البريطانية من المناطق الداخلية⁽³⁾.

وفي تاريخ 21/10/1967م تقرر الهجوم على مدينة الصعيد عاصمة المشيخة، وقد تشكّت عناصر هذا الهجوم من الأمن العام الموجود في عتق مع سرية من الجيش تساندها عدد من الدبابات⁽⁴⁾، وكان هذا الهجوم بقيادة العقيد حسين عثمان عشال والمقدم مهدي عشيح اللذين كانا مسؤولين عسكريين في العواتق العليا، فضلاً عن العقيد عبدالله علي

(1) سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي اليمني م / شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في م / شبوة، ص 30.

(2) سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي اليمني م / شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في م / شبوة، ص 25.

(3) الجوهري، شاعر، الصراع في عدن، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م، ص 173.

(4) أدهل، عبده حسين، الاستقلال الضائع (الملف المنسي لأحداث اليمن الجنوبية)، ط 2، دار العهد،

1993م، ص 240.

مجور الذي أشرف على السرية العسكرية بقيادة نائب الحرس الثاني عبدالله امذيب بن صالح العولقي، ووقف إلى جانب هذه القوات العسكرية كل من آل أبوبكر بن فريد الذين ينتمون إلى رابطة أبناء الجنوب، وكذلك الميليشيات التابعة للجبهة القومية وبعض القبائل الموالية لها⁽¹⁾.

وبعد أن احتشدت هذه القوات في الصعيد تمّت محاصرة مقر الأسرة الحاكمة، وبدأ الهجوم الشامل في 24/10/1967م ودارت معركة بين الثوار من قوات الجيش والأمن والقبائل الموالية لها من جهة، وآل محسن بن فريد (حكام المشيخة) من جهة أخرى، واستمرت المعركة ثلاثة أيام متتالية أسفرت عن سقوط الشهيد ناصر بن عوض الخليلي من الثوار، ومن الأسرة الحاكمة سقط فرج بن مبارك من حراسة الأمير عبدالله بن محسن، وفي 27/10/1967م بعد معارك عنيفة وحصار دام ثلاثة أيام استسلم بعدها آل محسن بن فريد لقيادة الجيش التي جاءت من عتق لنجدة المقاتلين بقيادة صالح عبدالله قطيبي، وتم الاتفاق بين الجيش والسلطة الحاكمة للمشيخة على مغادرة البلاد إلى المملكة العربية السعودية، وهكذا كانت نهاية مشيخة العوالق العليا وخليفة⁽²⁾.

3 - النشاط التنظيمي للمقاومة المنظمة في السلطنة الواحديّة وجردان :

قاد العمل التنظيمي في السلطنة الواحديّة كل من الجبهة القومية وجبهة التحرير، وكان للصراع السياسي الداخلي على السلطة بين السلطان ناصر بن عبدالله الواحدي من جهة وبين سكرتير السلطنة محمد بن سعيد الواحدي من جهة أخرى إلى جعل كل طرف إذا لم يكن على صلة بأحد قطبي الكفاح المسلح " القومية أو التحرير " يميل لأحدهما، ولهذا صار السلطان وأعوانه يميلون نحو الجبهة القومية، بينما سكرتير السلطنة مال نحو بعض عناصر جبهة التحرير، ومارست كل من الجبهتين في المدة من 1964 - 1967م نشاطها السياسي والتنظيمي والعسكري كلاً حسب طريقته.

على أن أبرز العمليات التي قام بها عناصر جبهة التحرير كانت في عام 1965م إذ قامت مجموعة منهم بقيادة عبدالله مشنق باعوضة بالهجوم بقذائف البازوكا على منزل

(1) مقابلة شخصية مع الشيخ فريد أبو بكر بن فريد العولقي؛ الجابري، عبدالله، الجنوب العربي سنوات الشدة، ص152.

(2) الجابري، عبدالله، الجنوب العربي في سنوات الشدة، ص165؛ مقابلة شخصية مع محمد علي بن سلامة.

الأمير محمد بن عبدالله الواحدي شقيق السلطان ونائب سكرتير السلطنة⁽¹⁾، أما بالنسبة للجهة القومية فقد كانت أكثر تنظيمًا من حيث تغلغلها في أوساط الشعب، لهذا بدأت نشاطها السياسي والتنظيمي من خلال التغلغل في الأندية الثقافية والرياضية المنتشرة في معظم مناطق السلطنة التي كان لها دور بارز في العمل السياسي، وكان أنشط هذه الأندية نادي حبان الذي ضم مجموعة من الشباب الذين كانوا يقومون بنشر الدعاية والتحريض بصورة سرية لصالح الثورة، وكان مقرًا لنواة العمل التنظيمي الأولى، وفيما بعد برزت نوادي مشابهة في الحوطة وعزان والروضة وميفعة.

وكذلك استطاع عناصر الجبهة القومية نشر أفكار الثورة في أوساط القطاع الطلابي الذي أدى دورًا بارزًا في النضال ضد الوجود البريطاني وأعوانه، ففي 11/1/1965م قام القطاع الطلابي بإضراب عام في جميع مناطق السلطنة، ونظم طلبة مدرسة ميفعة المتوسطة مسيرة كبرى، شارك فيها إلى جانب الطلاب بعض العناصر الوطنية وحمل المتظاهرون أعلام الجبهة القومية، وعلى إثر ذلك أغلقت السلطات المحلية المدارس وقامت بطرد بعض الطلبة واعتقال الأستاذ علي صالح الدعكي ونقله إلى سجن مرتبط بعدن، كما اعتُقل مجموعة من الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد أعضاء في الجبهة القومية ومنهم علي منصور رشيد وصالح حامد فدعق وعبدالله محمد باعوضة ومصطفى هاشم وعبدالله مهدي فدعق وعبدالله منصور رشيد وأحمد حميد، ومنذ مايو 1967م بدأ تشكيل أول حلقات تنظيمية وعددها ثلاث في عزان ورصوم وحبان، أما أبرز العمليات العسكرية في السلطنة فهي إلقاء قنبلة يدوية على منزل المستشار البريطاني "كروش" في ميفعة، وإلقاء قنبلة يدوية على منزل حاكم "قائم" منطقة الروضة⁽²⁾.

أما منطقة جردان فتشكلت فيها خليتان تنظيميتان قامتتا بالعمل السياسي والتنظيمي، أما بالنسبة للعمليات العسكرية فإنها لم تحدث، لأنه ليس هناك أي وجود للأسرة الحاكمة والضباط السياسيين البريطانيين في هذه المنطقة، وكان أبرز أعضاء هاتين الخليتين التنظيميتين كلاً من: صالح ناصر سرقاب وطالب بن طالب بن سريع ومحسن سالم

(1) الواحدي، محمد بن عبدالله، مذكرات عن السلطنة الواحدة منذ عام 1948م، د.ط، من دون دار نشر، د.ت، ص 34 - 35.

(2) الواحدي، المرجع السابق، ص 37؛ دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 26.

عبدالحق وعلي محمد عاطف وصالح عوض باجاحر وآخرين من أبناء هذه المنطقة⁽¹⁾. وفي نهاية شهر أغسطس 1967م وبعد عودة الأمير علي بن محمد الواحدي آخر حكام السلطنة الواحدية من جنيف بعد فشل المؤتمر الذي عُقد في جنيف لمناقشة مستقبل الجنوب واستقلاله الذي مثل أحد أعضاء الوفد، وفي المؤتمر أخبرتهم بريطانيا بحقيقة الأمور أنها ستتركهم يواجهون مصيرهم بأنفسهم، فقرر الأمير علي بن محمد الواحدي العودة إلى ميفعة، وعند وصوله إلى ميفعة على متن طائرة هيلوكبتر برفقة قائدي الطائرة البريطانيّين أحدهما رائد والآخر صف ضابط، فبعد مغادرته الطائرة توجه إلى منزل أسرته في عزان، قام مجموعة من عناصر جبهة التحرير بإطلاق النار على الضابطين البريطانيّين وقتلهما، وأُحرقت طائرتهما الهيلوكبتر⁽²⁾.

وفي أوائل سبتمبر 1967م تمكن عناصر جبهة التحرير من السيطرة على ميفعة وإسقاط السلطنة الواحدية ورفع علم جبهة التحرير وتحرير العديد من السجناء، وفي 17/9/1967م سقطت منطقة جردان البعيدة عن مركز السلطنة في يد عناصر الجبهة القومية⁽³⁾، أما الأمير علي بن محمد الواحدي فبعد سقوط ميفعة بيد عناصر جبهة التحرير بقي في بيت أسرته في عزان يوزع السلاح والأموال على بعض القبائل الموالية له، وفي 25 أكتوبر 1967م وصل العقيد الصديق أحمد أحد قادة الجيش الموالي للجبهة القومية إلى المنطقة ترافقه عدد من القوات والمعدات العسكرية، وبالتعاون مع المجاميع التنظيمية للجبهة القومية تم الدخول إلى ميفعة والسيطرة عليها من دون مقاومة وبعد انسحاب عناصر جبهة التحرير، وتم إحكام قبضة الجبهة القومية على ميفعة عاصمة السلطنة الإدارية وبسط سلطة الثورة في باقي مناطق السلطنة⁽⁴⁾، بعد خروج الأسرة الحاكمة بالتنسيق مع قيادة الجيش ممثلة بالعقيد الصديق أحمد عبر بلاد العوالق العليا إلى المملكة العربية السعودية.

(1) دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، المرجع السابق، ص 30.

(2) الواحدي، محمد بن عبدالله، مذكرات عن السلطنة الواحدية، ص 26؛ فتاة الجزيرة، 6 سبتمبر 1967م، العدد 2365، ص 5.

(3) صادر عن منظمة الحزب الاشتراكي اليمني م/ شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 30.

(4) الجابري، عبدالله، الجنوب العربي في سنوات الشدة، ص 165؛ أدهل عبده حسين، الاستقلال الضائع، ص 240.

4 - النشاط التنظيمي للمقاومة في إمارة بيحان :

كانت بداية العمل السياسي والتنظيمي والالتحاق بالثورة مبكرة لأبناء هذه الإمارة إذ تم تشكيل وفد من عشرة أشخاص توجهوا إلى تعز في أغسطس 1964م، ورُتّب لهم لقاء مع قيادة الجبهة القومية وكان من بين أعضاء هذا الوفد كلٌّ من: أحمد محمد الدفيعه وصالح ناصر ناصران وأحمد عبدالله الكدادي وعبدالقادر محمد جبر ومساعد سالم رناح وصالح جار الله قطنان وصالح عبدالله ناجي وعلي عبدالله بن هادي⁽¹⁾.

وعادت هذه المجموعة في نهاية 1964م وبدأت تمارس نشاطها في منطقة بيحان بموجب توجيهات الجبهة القومية من خلال نشر وتوسيع العمل السياسي والتنظيمي الدعائي لصالح الثورة وإرسال مجموعة أخرى من المقاتلين للتدريب على الأسلحة، وذلك من أجل فتح جبهة قتال في هذه المنطقة، وبالفعل تم إرسال ستة أشخاص تدريبوا في تعز (45) يوماً في معسكرات خاصة للتدريب على العمليات العسكرية والفدائية، واستطاعت هذه المجموعة التنظيمية القيام بنشاطها السياسي والإعلامي لصالح الثورة والتأثير في المواطنين والطلاب، وتمثل هذا النشاط في إنزال المنشورات والكتابة على الجدران في الأماكن العامة وقيام المسيرات الطلابية⁽²⁾.

وفي عام 1965م قام علي ناصر محمد الذي كان من قيادات الجبهة القومية بزيارة إلى منطقة آل العريف أعلى بيحان التي وصلها من البيضاء، والتقى بمجموعة من المقاتلين الذين سبق اللقاء ببعضهم في تعز، وسلمهم كمية من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، وزودوا بالتعليمات الخاصة بالعمليات ضد الاستعمار البريطاني وعملائه المحليين، وكان لهذه الزيارة تأثيرها البالغ إذ صعّد المقاتلون عملياتهم العسكرية، التي استهدفت مقرات الحكم في عاصمة الإمارة وفي المناطق الإدارية الأخرى، وكذلك ضرب المعسكرات البريطانية الموجودة في عدة مناطق من بيحان بالمدافع والرشاشات، وكذلك استهداف الضباط والجنود البريطانيين العاملين في الإمارة، ونتج عن ذلك مقتل وجرح عدد كبير من جنود القوات البريطانية والقوات المحلية المساندة لها⁽³⁾.

(1) صادر عن منظمة الحزب الاشتراكي اليمني م/ شبوة، دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 22.

(2) القباص، مهدي راشد، الإمارة الهليلية الهاشمية، ص 155.

(3) دراسة عن تاريخ الثورة في محافظة شبوة، ص 23؛ حبان، السنة 4، يونيو - يوليو - 2008م، العدد 51،

وكان رد السلطة الحاكمة والبريطانيين على هذه العمليات ردًا عنيفًا، إذ تم القبض على عدد من المناضلين في المدة من عام 1964م إلى 1967م، وُرُج بهم في السجون، ومنهم أحمد الدفيعة وصالح ناصران ومبارك حشوان وعبدالقادر جبر وأحمد أبوبكر ومساعد رناح وعلي بن علي هادي ومرزوق شقران وأحمد الكدادي وعلي الواقري وسودة فندر وعبدربه سالم هادي ومحمد ناصر هادي وعلي الزهماء وعبدالقادر بن عبدالقادر سيف وحيدر علي بن منصر الحارثي ومناحي بن أحمد السحاقي وشاجع بن علي بن جريبة⁽¹⁾. ومنذ نهاية أغسطس ومطلع سبتمبر 1967م؛ أخذت الأحداث تتوالى بسرعة إذ بدأت الجبهة القومية تحكّم قبضتها على السلطة في عدد من سلطنات جنوب اليمن ومشيخاته، وعندها أدرك الشريف حسين أنها حانت نهاية حكومة الاتحاد والنفوذ البريطاني في المنطقة، فغادر إمارته (إمارة بيحان) إلى المملكة العربية السعودية⁽²⁾، وبعد مغادرته بدأ التنسيق بين مجموعة من الثوار الذين يقعون في سجن بيحان وبعض العناصر من جيش الجنوب العربي الذي كان حينها يساند الجبهة القومية من أجل وضع خطة لتحرير السجناء، وفي مساء يوم الخميس 18 سبتمبر 1967م بدأ السجناء بتنفيذ الخطة بتحطيم بعض الأبواب والنوافذ ولكنهم لم يتمكنوا من الفرار، فعملت السلطة المحلية على تشديد الحراسة وتعزيزها بقوة إضافية أخرى تمركزت في المباني المجاورة للسجن للحيلولة دون أي محاولة أخرى للتمرد والهروب من السجن.

وعلى إثر ذلك اندفع القطاع الطلابي في يوم الجمعة 19 سبتمبر 1967م بعد صلاة الجمعة مباشرة في جامع بيحان نحو الباب الجنوبي للجامع، وأطلقت العيارات النارية إيذانًا بانطلاق المسيرة الكبرى التي رُفعت فيها أعلام الجبهة القومية ودوت الهتافات باسمها علنًا لأول مرة، واندفعت الجماهير للانضمام إلى المسيرة - المتجهة كما هو مخطط لها - نحو السجن المركزي بالعليا، وعند اقتراب المسيرة من السجن أُطلق حراسة السجن العيارات النارية على المسيرة بهدف منعها من الوصول إلى السجن، ولكن سرعان ما اكتسحت الجماهير بوابات السجن وأُطلق سراح المعتقلين، واتجهت المسيرة

(1) حبان، السنة 4، عدد يونيو - يوليو، وعدد أغسطس - سبتمبر 2008م، العدد 51 - 52، ص 8.
(2) أحمد، مكرم محمد، الثورة جنوب الجزيرة، ص 189؛ الثقافة الجديدة، سبتمبر 1970م، العدد الثاني، ص 65.

نحو مقر الإدارة "السكرتارية" في العليا واستولت عليه، واستطاعت الجبهة القومية من السيطرة على منطقة بيحان العليا بمساعدة جيش الجنوب العربي المرابط في بيحان⁽¹⁾.

وأمام هذا العنفوان الثوري للجماهير قام نائب أمير إمارة بيحان الأمير فيصل بن عوض الهليلي باستدعاء مشائخ المصعبين وهم: الشيخ ناجي علوي، والشيخ حسين أحمد سيف، وسلمهما مفاتيح إدارات الحكم في بيحان "العليا" وغادر إلى النقوب، ومنها غادرت الأسرة الحاكمة في 19 تاريخ سبتمبر 1967م بحراسة الجيش بقيادة حسين عثمان عशल إلى المملكة العربية السعودية، وبذلك أصبحت منطقة بيحان التي امتدت عليها الإمارة الهليلية الهاشمية محررة بأكملها⁽²⁾، وهكذا سقطت إمارة بيحان في 19 سبتمبر 1967م وتلتها السلطنة الواحدية في 25 أكتوبر 1967م، ثم مشيخة العوالق العليا وخليفة في 27 أكتوبر 1967م، وأخيراً سقوط سلطنة العوالق العليا في 29 أكتوبر 1967م، التي تعد آخر سلطنات الجنوب سقوطاً في يد الجبهة القومية⁽³⁾.

خاتمة

مثلت المقاومة الشعبية للحماية والوجود البريطاني في مختلف مناطق شبوة مثلاً رائعاً في مقاومة مخططات المستعمر البريطاني في المنطقة، وأثبتت في مرحلتها الأولى من خلال الانتفاضات الشعبية العفوية التي عمت أغلب سلطنات شبوة ومشيوخاتها مدى الرفض الشعبي لمد النفوذ البريطاني في مناطقها، وإن كان طابع المقاومة فيها لم يكن على مستوى الإدراك والوعي الوطني المتعارف عليه اليوم - وهي مسألة طبيعية في سلم التاريخ - وإنما كان ردة فعل طبيعية لنظام قبلي عشائري عاش في ظل تقاليد وعادات وأعراف وقواعد موروثه نظم بها علاقة مجتمعه، وتم تناقلها وتوارثها عبر الأجيال.

وكانت هذه المقاومة الشعبية في مرحلتها الأولى عبارة عن انتفاضات قبلية عفوية ليست لها اتجاهات سياسية معينة، بل قامت على أرضية الدفاع عن الكرامة والسيادة

(1) الشيعبي، محمد علي، اليمن الجنوبية خلف الستار الحديدي، د. ط، من دون دار نشر، د. ت، ص 238.

(2) الثقافة الجديدة، سبتمبر 1970م، العدد 2، ص 66؛ أحمد، مكرم محمد، الثورة جنوب الجزيرة، ص 165.

(3) الجوهري، شاعر، الصراع في عدن، ص 174؛ مقبل، سيف علي، من تاريخ الحركة الوطنية اليمنية، ص 263.

الوطنية ورفض الظلم والهيمنة الأجنبية، وإن حملت في بعضها ومضة وعي في اتجاه تطور المقاومة عندما عملت على إيجاد خلفية لدعمها واستمرارها تمثلت في اتصالها بمملكة الإمام في شمال اليمن.

وقد دعمت هذه الانتفاضات القبلية نشاط الحركة الوطنية التي بدأت تأخذ شكلاً منظماً وأهدافاً واضحة بعد انتقالها إلى المرحلة الثانية من مراحل النضال والمقاومة بعد قيام ثورة 14 أكتوبر 1963م المسلحة والمنظمة التي كانت بمثابة البداية الحقيقية لصحوه أبناء مختلف مناطق شبوة لیسلكوا الطريق الثوري المنظم لمقاومتهم ضد الاحتلال البريطاني وأعوانه، إذ استطاعت هذه الثورة أن تكون الملاذ والملهم والداعم لأبناء مختلف سلطنات شبوة ومشیخاتها في المضي لتصعيد ثورتهم المنظمة.

وعلى الرغم من المعوقات الطبيعية والاجتماعية التي تميزت بها مناطق شبوة عن غيرها من مناطق الجنوب الأخرى من حيث صعوبة تضاريسها الوعرة وصراعتها القبلية المحتدمة حينها؛ إلا أن إصرار أبنائها على التغلب على كل تلك المعوقات والصعوبات التي واجهوها كان هو العامل الرئيس الذي جعلهم ينخرطون في العمل التنظيمي والسياسي والعسكري للثورة المسلحة، وتشكيل الخلايا التنظيمية في مختلف المناطق وإيجاد قيادة موحدة لإدارة النشاط السياسي والتنظيمي والعسكري في هذه المناطق.

وبهذا حققوا أسمى أمنيتهم في طرد المستعمر البريطاني وأعوانه من الحكام المحليين وتطهير مناطقهم، ونيل استقلالها بسقوط كل سلطنات شبوة ومشیخاتها خلال الأشهر سبتمبر وأكتوبر 1967م، وتوج هذا النصر بخروج آخر جندي بريطاني من أرض الجنوب عامة ونيل استقلالها في 30 نوفمبر 1967م.

علاقة إمارة بيحان ببريطانيا

(1903 - 1967)

مقدمة:



أ.د أسماء أحمد ريمي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة عدن

تتناول هذه الدراسة إحدى مشيخات الجنوب العربي وإماراته وسلطناته، وعلاقتها ببريطانيا. ومن أجل السيطرة على هذه الإمارة استخدمت بريطانيا سياسة التوغل نحو الداخل للحفاظ على طريق مواصلاتها؛ الهند، باب المندب، مصر، أوروبا.

مستخدمة معاهدات الصداقة والولاء ومعاهدات الحماية والاستشارة ولتحقيق ذلك استخدمت المكافآت والمرتببات التي كانت تقدمها للعديد من الكيانات السياسية المتمثلة بالأمرء والمشائخ لهذه المناطق بالرغم من أنها كانت ضئيلة مقارنة لما كانت تقدمه هذه الكيانات من استقرار واستمرار للسياسة الاستعمارية البريطانية في مستعمرة عدن، وللحفاظ على طريق مواصلاتها البحرية إلى الشرق.

النفوذ البريطاني العثماني في المنطقة:

ظهرت المنافسة العثمانية البريطانية منذ وقت مبكر في سواحل البحر الأحمر والجزيرة العربية، وفي إطار السيطرة على طريق الهند عمدت حكومة الهند البريطانية إلى تأسيس مراكز نفوذ على سواحل الخليج العربي وبحر عمان وحضرموت وعدن، وسيطرت على الجزر المحيطة بهذه السواحل كافة، وعلى قناة السويس وباب المندب. ولما كانت الهند (درة التاج البريطاني)، وطريق الهند هو مفتاح النفوذ البريطاني إلى الجنوب وجنوب

شرق آسيا؛ فقد ربطت بريطانيا الإمارات الواقعة على هذا الخط بسلسلة من الاتفاقات والمعاهدات التي ضمنت لها الهيمنة على المواقع الاستراتيجية المرتبطة بهذا الطريق. ومن أجل تثبيت هذه السياسة فقد وقعت بريطانيا ومعاهدات الاستشارة مع مشيخات وإمارات جنوب اليمن لحماية وجودها في مستعمرة عدن التي احتلتها عام 1839م، هذه السياسة واجهت مقاومة من قبل الوجود العثماني في شمال اليمن، مما اضطرت بريطانيا من عقد معاهدات مع الدولة العثمانية بشأن تخطيط الحدود بين منطقة النفوذ العثمانية البريطانية عام 1914، وكذلك وقعت مجموعة معاهدات واتفاقيات مع سلاطين العبدلي والصيحي والفضلي والعقربي والعولقي وشيخ الحورة السفلى وشريف بيحان وسلاطين يافع العليا ويافع السفلى والعوذلي والحوشي والعلوي وسلاطين الواحدي والمكلا وسقطرى، إضافة إلى المعاهدات السابقة التي عقدت مع الإمام في صنعاء عام 1821، والمعاهدة التجارية المعقودة مع حاكم المخا 1840، ومعاهدة الصداقة التي عقدتها بريطانيا مع الإدريسي حاكم عسير عام 1914.

وكانت هذه المعاهدات والاتفاقيات التي وقعتها بريطانيا مع السلاطين والأمراء والشيوخ لكل الكيانات في جنوب الجزيرة العربية؛ هي صورة تكاد تكون طبق الأصل. وطبقا لهذه المعاهدات؛ تعهد أمراء تلك الإمارات والسلطنات والمشيخات عدم التنازل عن أي جزء من أراضيها أو تأجير أو رهن لأي دولة أخرى إلا بموافقة الحكومة البريطانية، وكذلك عدم منح أي امتياز من أي نوع بما في ذلك امتياز التنقيب عن النفط إلا بموافقة الحكومة البريطانية، وبموجب هذه الوثائق فرضت الحماية البريطانية لهذه الكيانات مع الحفاظ على السلم والأمن وفق المتطلبات البريطانية.

ووفقا لتلك المعاهدات أيضًا كانت بريطانيا هي اللاعب الأول في رسم الحدود بين الإمارات والمشيخات والسلطنات داخليًا، وكذلك بينها وبين الأقطار المجاورة، ورسم سياساتها الاقتصادية وسياساتها الخارجية.

واتصفت هذه السياسة بالمرونة حيث احتوت على إعطاء بعض الامتيازات للمشايخ والسلاطين من خلال صرف المرتبات المالية، وإطلاق مدافع الترحيب والتوديع احتفاء بزيارة السلاطين والمشايخ لمستعمرة عدن، كما أنها منحت لهم الألقاب والنياشين وتخصيص الهدايا لهم.

محميات عدن الغربية :

بناء على مرسوم ملكي صدر في 18 مارس 1937 قسمت بريطانيا مناطق الجنوب إدارياً إلى قسمين: محميات غربية، ومحميات شرقية، واتجهت بريطانيا إلى تنظيمها وربطها بمستعمرة عدن؛ نظراً لما يعكسه هذا التنظيم من فوائد على عدن اقتصادياً واستراتيجياً وسياسياً، ثم تم دمجها فيما بعد بمستعمرة عدن، التي أصبحت تعرف باتحاد الجنوب العربي عام 1959.

تبدأ خلف عدن سهل رملبي يتراوح عرضه ما بين 4 أميال إلى 40 ميلاً، ويمتد نحو الداخل سلسلة من المرتفعات والهضاب، وهذه المرتفعات تشكل الجبال الرئيسة التي تسقط عليها مياه الأمطار الرئيسة في جنوب اليمن، وقد قسمت المحميات الغربية إلى 5 مناطق رئيسة، هي:

1. المنطقة الشمالية الشرقية:

وتضم العوذلي، وسلطنة العوالق السفلى، واتحاد دثينا يطلق عليه اسم (جمهورية دثينا؛ لأن رئيسها ينتخب كل سنة).

كما تضم سلطنة العوالق العليا، ومشخة العوالق العليا، وإمارة بيحان، موضوع دراستنا.

2. المنطقة الجنوبية الشرقية:

3. المنطقة الوسطى:

وتضم سلطنة الفضلي، وسلطنة يافع السفلى، وسلطنة يافع العليا.

4. المنطقة الجنوبية الغربية:

وتضم سلطنة لحج، ومشخة العقربي، ومشخة العلوي، وسلطنة الحواشب.

5. المنطقة الشمالية الغربية:

وتضم إمارة الضالع، ومشخة الشعيب، ومشخة المفلحي، ومشخة ردفان.

إمارة بيحان وعلاقتها ببريطانيا :

لم تكن بيحان ضمن منطقة الحكم العثماني في اليمن، حيث انتهت الدولة الطاهرية وبقي جزء من بيحان (منطقة النحر) تحت سيطرة آل الرصاص، ووسط بيحان تكون

فيه كيان قبلي (آل حميد وآل عبدالله) وجزء آخر (وادي خر)، وكان ولازال في قبيلة آل نعيم وهم من سلالة الدولة الطاهرية في القرن السابع عشر ميلادي، وانتهت بسيطرة آل الرصاص على (وادي النحر)، ونشأ كيان قبلي من عشائر صغيرة كونوا قبيلة (آل العريف). وإجمالاً فإن بيحان عاشت منذ سقوط الدولة الطاهرية تحت كيانات عشائرية متعددة تحالفت تحت مسمى (المصعبين)، والمصعبين قبيلة تجمع عشائر متعددة الأنساب وهي قبيلة يجمعها الحلف وليس النسب أو الجدد.

بيحان الأسفل معظمها تحت حكم قبيلة بالحارث، وهناك ما بين بيحان الأسفل والأعلى منطقة الأشراف والسادة.

بيحان عاشت عقوداً طويلة تحت سيطرة عشائر وقبائل متصارعة، حتى قامت إمارة بيحان بدعم من البريطانيين.

تعدُّ إمارة بيحان إحدى محميات عدن الغربية، وهي الإمارة الهبيلية الهاشمية، حكمتها أسرة الهبيلي التي تنتسب إلى الهاشميين الذين انتقلوا إليها في القرن السابع عشر. في أواخر القرن التاسع عشر خضعت المنطقة للنفوذ البريطاني، وأصبحت في نهاية المطاف جزءاً لا يتجزأ من محمية عدن الغربية، ثم أصبحت عضواً مؤسساً في اتحاد إمارات الجنوب العربي. ومؤسس هذه الإمارة الأول هو الشريف أحمد بن محسن الهبيلي (آل الهبيلي)، وهم فرع من الأشراف الحسينيون، وآخر حكامها صالح بن حسين الهبيلي، حيث خُلِعَ عندما ألغيت الإمارة في 30 نوفمبر 1967 عند تأسيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

معاهدات الصداقة والولاء:

بعد احتلال بريطانيا لعدن عام 1839 عقدت عدة معاهدات مع غالبية حكام جنوب اليمن عرفت بمعاهدات الصداقة والولاء، يتعهد فيها الحكام بالمحافظة على سلامة الطرق التجارية في أراضيهم وعلاقات الصداقة مع بريطانيا مقابل حصولهم على مساعدات شهرية.

ولم يوقع شريف بيحان على هذا النوع من الاتفاقيات لبعد منطقة بيحان عن عدن إلا في مرحلة متأخرة.

معاهدات الصداقة والحماية :

منذ بداية التدخل العثماني الثاني في جنوب الجزيرة العربية في سبعينات القرن التاسع عشر أصبح النفوذ البريطاني مهددًا تهديدًا خطيرًا، وبدا واضحًا أهمية الانتقال من دور المعاهدات الولائية والصداقة إلى دور جديد يؤمّن ويدعم نفوذها، وتمثل ذلك بالانتقال إلى عقد معاهدات الحماية مع سائر سلاطين جنوب اليمن ومشايخه وأمرائه. بعد احتلال العثمانيين الثاني لصنعاء عام 1872 حاولوا أن يستميلوا زعماء القبائل الجنوبية ويدعونهم للتمرد ضد بريطانيا، ولمواجهة هذا الخطر اتخذت بريطانيا سياسة جديدة اقترح الميجور (هنتر) بمذكرة رفعها إلى وزارة الهند البريطانية في 28 سبتمبر 1875 بقوله: "إذا ما حاول الباب العالي يغري أحدًا من الذين يتقاضون رواتب شهرية منا بتحويل اتجاهه عنا وليس لدينا أساليب دبلوماسية قوية يمكن الاعتماد عليها، وحلفاؤنا قد يتحولون عنا ما دما على غير اتصال بالمناطق الداخلية، وهم يملكون القوة التي تمكنهم من قبول سلطة الباب العالي، وإذا ما عقدت معاهدات مع قبائل العبدلي والفضلي والحوشي... وغيرها من القبائل المجاورة لعدن بمقتضاها نضع تلك القبائل تحت الحماية البريطانية؛ فإنه من الصعب على العثمانيين التدخل في شؤون هؤلاء الرؤساء".

واقترح أيضًا تفويض المقيم السياسي البريطاني بعدن باتخاذ أفضل سياسة تجاه القعيطي والقبائل الأخرى الواقعة شرق الطريق التجاري الممتد من عدن إلى المناطق الداخلية.

وبذلك وافقت حكومة الهند البريطانية على مقترحات هنتر، وأوصت بمدّ رقعة مشروع الحماية حتى تشمل قبائل العواتق وبيحان ودثينا والمهرة والقعيطي، مع امتلاك جزء من ساحل حضرموت في الاتجاه الشمالي الشرقي بين أراضي عدن ومسقط. وبناء على تلك السياسة عقدت بريطانيا مع وجهاء قبائل بيحان أول معاهدة صداقة وحماية مع الإنجليز عام 1903 في عهد الأتراك في شمال اليمن، وقبل أن تقوم دولة الإمام يحيى بـ15 سنة.

وبعقد معاهدة الحماية في 29 ديسمبر 1903 حصل شريف بيحان بموجبها على راتب شهري قدره 30 ريال فرنسي (ماريا تريزا)، وقد عمل الشريف حسين الهبيلي على تطوير علاقته ببريطانيا، التي خلقت لديه طموحًا كبيرًا لتأسيس الإمارة الهبيلية الهاشمية في بيحان؛ ليكون هو الحاكم الأول، وأن يخلفه ابنه من بعده، وقد تحقق له بالفعل ذلك

الطموح، فقد حكم هذه الإمارة وصياً على ابنه الأمير صالح، وتمتعت بيحان بعدها بهدوء أكثر من الفترة السابقة لها، التي كانت فترة صراعات بين القبائل المختلفة. بالنسبة لإمارة الهبيلي فقد عقد الشريف أحمد بن محسن الهبيلي اتفاقية حماية مع بريطانيا تاريخ 29 ديسمبر 1903.

تندرج هذه المعاهدة تحت مسمى رقم 41، وتتضمن على رغبة كل من الحكومة البريطانية والشريف أحمد ام حسن رئيس بيحان القصاب في إدامة أو اصر السلم والصدقة القائمة فيما بينهما وتقويتها. وقد سمت الحكومة البريطانية وعينت اللواء بالهام جيمس ميتلانديسي بي المقيم السياسي في عدن لعقد معاهدة لهذا الغرض.

المادة الأولى: استجابة لرغبة المذكور آنفاً الشريف أحمد أم حسن فإن الحكومة البريطانية تتعهد بأن تشمل أراضي بيحان القصاب وتوابعها، الواقعة تحت سلطة وسيادة الشريف المذكور بفضل الحماية الماجدة لجلالة الملك الإمبراطور.

المادة الثانية: يوافق الشريف المذكور أحمد ام حسن إصالة عن نفسه وعن حلفائه وورثته وتابعيته وشعب بيحان القصاب الذي تحت سلطته بأن يمتنعوا عن الدخول في أية مراسلات واتفاقيات أو معاهدات مع أي سلطة أجنبية، ويتعهدون أيضاً بأن يعطوا إشعاراً آتياً للمقيم في عدن أو أي ضابط بريطاني آخر عن أي محاولة لأية قوة أخرى غير الحكومة البريطانية للتدخل في شؤون منطقة بيحان القصاب وتوابعها.

المادة الثالثة: يلزم الشريف المذكور أحمد ام حسن نفسه وجميع حلفائه وورثته وإلى الأبد بأنهم سوف لن يتنازلوا أو يبيعوا أو يرهنوا أو يمنحوا أو يعطوا أو يتركوا بأية وسيلة أخرى منطقة بيحان القصاب أو توابعها الواقعة تحت سلطته أو أي جزء منها في أي وقت لأية قوة أو سلطة عدا الحكومة البريطانية.

المادة الرابعة: ستكون المعاهدة أعلاه نافذة اعتباراً من هذا التاريخ، وقد شهد على ذلك الموقعون الذين ثبتوا توقيعهم وأختامهم عليها في عدن هذا اليوم التاسع والعشرون من شهر كانون الأول من عام 1903

بصمة إبهام: الشريف أحمد امحسن، اللواء بي جي ميتلانديسي المقيم السياسي في عدن وقد صدقت هذه الاتفاقية من قبل الملك والحاكم العام للهند في المجلس في باكر غنج في الرابع والعشرين من شهر شباط 1904.

بعد توقيع معاهدة الحماية زار الهبيلي عدن في فبراير عام 1906، وكذلك في فبراير 1907، من خلالها تطورت العلاقة بين بريطانيا والهبيلي.

وعملت بريطانيا على تثبيت سلطة الهبيلي على حساب القبائل التي كانت في صراع معه لاسيما مشائخ المصعبين الذين نافسوه النفوذ عندما أراد إقامة إمارته، واتخذته بريطانيا ركيزة محلية تسند إليها أبسط نفوذها، ولضمان حماية مصالحها على مستوى إمارات الجنوب عامة، لاسيما أن منطقة بيحان من المناطق المجاورة لشمال اليمن.

اقتنعت بريطانيا أن يكون الأشراف آل الهبيلي حلفاء لهم وحكام لمنطقة بيحان وذلك لمعرفة بطبيعة التركيبة الاجتماعية للمنطقة، لاسيما أن القويتين الكبيرين اللتين كانتا في المنطقة وهما قبيلتا المصعبين في جنوب بيحان، وبالحوارث في شمالها؛ من الصعب أن تدين إحداهما للأخرى، فجاء اختيار الشريف الهبيلي؛ لما يمتلكه الأشراف من مكانة روحية واحترام بين القبائل، وكذلك ما يمتلكه الشريف أحمد بن محسن حينها من مكانة اجتماعية وقوة شخصية أهله بأن يقنع البريطانيين أن يكون حلاً وسطاً؛ كونه حاكم المنطقة في بيحان وحليفها المستقبلي الذي سوف تجمع عليه كل القبائل، وقد كانت من أبرز مظاهر وقوف الهبيلي إلى جانب بريطانيا هو موقفه إلى جانبها في الحرب العالمية الأولى، وذلك من خلال حملات التحرير والتصريحات التي أطلقها قاضي بيحان بإيعاز من الشريف في المساجد والأسواق العامة، الذي أكد فيها أن العرب يدينون بالولاء لبريطانيا، وأن الواجب عليهم تقديم المساعدة لها. وفي المقابل وقف البريطانيون إلى جانب الهبيلي من خلال ردع تهديدات الإمام يحيى الرامية إلى مد نفوذه إلى بيحان. ولأهمية موقع بيحان كونها مركزاً استراتيجياً وسط الطرق التي تربط المحميات الغربية، ومملكة الإمام، وسلطنات حضرموت.

عام 1931 احتلت قوات الإمام يحيى قرى وادي عين التابعة للمصعبين التي تقع ضمن النفوذ الهبيلي المرتبطة بمعاهدة حماية مع بريطانيا، وقد هدده بريطانيا باستعمال سلاح الطيران، وقام الطيران البريطاني بعمليات استطلاعية فوق مناط رداع والجوبة المجاورتين لبيحان، حيث القت المنشورات على السكان تنذرهم بوقوع قصف جوي؛ مما أجبر قوات الإمام على الانسحاب من وادي عين.

ولأهمية بيحان كمنطقة حدودية مع الإمام، ولتعزيز قدرة سلاح الجو البريطاني؛ زار الضابط السياسي البريطاني بيحان عام 1935 ميلادية، وقدم لقبائل المنطقة طلباً من الحكومة البريطانية لإقامة مدرج (مجراد) لهبوط الطائرات، وبهذا استطاعت بريطانيا تعزيز وجودها في المنطقة.

بعد صراعات وحروب عنيفة مع القبائل في بيحان وبمساندة بريطانيا استطاعت أسرة آل الهبيلي من تأسيس الإمارة الهبيلية في كل منطقة بيحان، وأعلنت بريطانيا عن تأسيس هذه الإمارة في 17 سبتمبر 1943، ويعد الشريف حسين بن أحمد بن محسن الهبيلي هو المؤسس الحقيقي لهذه الإمارة، واتخذ من مدينة بيحان القصاب (العليا) مقراً له وعاصمة لإمارته.

بعد تأسيس إمارة بيحان وفرض نظام الحماية البريطانية على كل مناطق بيحان بما فيها وادي بالحارث؛ فرضت الضرائب في الأسواق، والعشر على المحاصيل الزراعية، وأنشأت الجمارك، وكذلك قامت المحاكم العرفية والشرعية والميراثية لفض النزاعات القائمة بين السكان، بهذا فوجئ سكان بيحان بهذه الأعباء والالتزامات الاقتصادية الجديدة وحث زعماء القبائل بعد ظهور المحاكم بأن دورهم في الحكم وحل النزاعات في قبائلهم قد سلب منهم، فأخذوا بالتذمر والسخط من نظام الحماية، وفي نهاية عام 1946م وجهت قبائل بالحارث عبر الشيخ علي بن حرية رسالة إلى والي عدن يعبر فيها عن الرفض لهذا الواقع الجديد الذي من شأنه تعزيز قوة ونفوذ أمير بيحان، وأكدت الرسالة أنهم سوف يقاومون هذا الواقع الجديد.

في مطلع 1947م بدأت حركة بالحارث، واتجهوا إلى الإمام يحيى تعبيراً عن رفضهم للقوانين والرسوم والضرائب التي فرضتها حكومة الشريف في بيحان، ثم دارت مفاوضات بين مشايخ بالحارث وحكومة الشريف بيحان ولكنها فشلت، وتصاعدت الأزمة؛ حيث قامت السلطات البريطانية بإرسال قوة عسكرية يدعمها سلاح الجو الملكي البريطاني، إلى جانب قوة من العشائر البيحانية؛ ليشاركوا في القتال ضد بالحارث، وانتهت المعركة بانتصار قوات الشريف الهبيلي، واستطاع أن يخضع تلك القبائل لنفوذه

في أغسطس عام 1956 زار الشريف حسين بن أحمد بن محسن الهبيلي عدن، وقام بزيارة أخرى أيضاً في فبراير عام 1957؛ لتوطيد العلاقة مع دار الإقامة البريطانية في عدن.

معاهدة الاستشارة مع الشريف حسين الهبيلي:

استحدثت بريطانيا معاهدات مكملة لمعاهدات الصداقة والحماية مع الحكام المحليين، وهي المعاهدة التي عرفت بمعاهدة الاستشارة، والتي بموجبها بدأت بريطانيا تهتم بالتغيير والتنظيم الإداري في الإمارة؛ حفاظاً على مصالحها في عدن، وللتغلب على الأزمات التي يمر بها نظامها الاستعماري، وتأثير المتغيرات الدولية والمحلية بعد الحرب العالمية الأولى، ولانتقال مسؤولية إدارة عدن إلى وزارة المستعمرات البريطانية مباشرة بدءاً من عام 1937م، وللأهمية القصوى لميناء عدن قبل الحرب العالمية الثانية، وكذلك احتمالات وجود البترول في الإمارات المحمية؛ جعل البريطانيون يفكرون بشكل جديد للسيطرة على المنطقة، فكانت معاهدة الاستشارة التي فرضت المستشارين الإنجليز من قبل حكومة عدن على زعماء الإمارات المختلفة ومنها: إمارة بيحان الهبيلية للهيمنة والسيطرة على المناطق الداخلية.

أظهرت بريطانيا في سياسة الاستشارة أن وظائف المستشارين البريطانيين تتمثل في إسداء النصيحة والمشورة للحكام المحليين، وإبلاغهم برغبات المندوب السامي البريطاني في عدن، وأصبح المستشارون المقيمون إلى جانب الحكام المحليين يملكون السلطة الكاملة في إمارات الجنوب العربي، ومشورتهم بمثابة نصائح إلزامية.

مثلت معاهدة الاستشارة قمة التدخل المباشر والهيمنة من قبل بريطانيا في الشؤون الداخلية لحكام الإمارات، وبمعاهدات الاستشارة عززت موقف بريطانيا إلى الانتقال إلى الإدارة المباشرة، وذلك من خلال وجود قواتها المسلحة في الإمارات، وتدخل المستشارون في كل صغيرة وكبيرة، وأصبح المستشارون البريطانيون هم الحكام الحقيقيون لإمارات الجنوب، ومن ضمنها إمارة بيحان.

وبموجب معاهدات الاستشارة عينت بريطانيا مقيمين بريطانيين لدى الحكام المحليين، يعاونهم ضباط سياسيون بريطانيون وضباط مساعدون من أهل المنطقة، وكان للمستشارين البريطانيين دور مزدوج: الأول يقوم بتنظيم الإمارة إدارياً واقتصادياً وعسكرياً، والآخر يقوم بدور الوسيط بين الحكام المحليين في منازعاتهم الخاصة، إلا أن دورهم على الأغلب يتجاوز حدود التشاور، وأصبحوا يتدخلون في إدارة نظام الحكم ما عدى القضايا المتعلقة بالدين الإسلامي، كان هؤلاء المستشارون يقيمون في منازل خاصة في عواصم الإمارات.

ومن أبرز الضباط السياسيين البريطانيين في إدارة بيحان الهيليبي الذين أدوا دورًا كبيرًا في مجريات الأمور في بيحان حتى ما قبل توقيع معاهدة الاستشارة فهم المستر هملتون، المستر ديفي، المستر جونسون، المستر هاندرسن، المستر جرو، وكان مقر هؤلاء الضباط البريطانيين في مدينة (العليا).

عملت هذه المعاهدات لاسيما معاهدات الاستشارة على تمكين البريطانيين في فرض سيطرتهم على إمارة بيحان وتأسيس تنظيمات إدارية بدائية تقدم فيها بعض الخدمات العامة مثل السلطة التشريعية المتمثلة في مجلس الدولة، وفي الإدارات التنفيذية المتواضعة، والتنظيمات البلدية والقضائية، والمحاكم الشرعية والعرفية، وكذلك بنت قوة عسكرية وأمنية، وأيضًا بعض المرافق الخدمية والثقافية والرياضية في هذه الإمارة.

وكانت إمارة بيحان إحدى الإمارات المؤسسة لاتحاد الجوب العربي في 11 فبراير 1959م، وذلك ضمن توقيع 6 ولايات من محميات عدن الغربية وهي السلطنة الفضلية، والسلطنة العوذلية، إمارة بيحان، إمارة الضالع، ومشيخة العواتق العليا، وسلطنة يافع السفلى (بني قاصد).

وقد انضمت إمارة بيحان لاتحاد الجنوب العربي رسميًا عام 1963م. وعاصمتها سوق عبدالله وتسمى اليوم بيحان، وقد تبوأ الشريف حسين بن أحمد الهيليبي وزير داخلية اتحاد الجنوب العربي.

وقد كان آخر حكام إمارة بيحان الأمير صالح بين حسين الهيليبي عام 1959 - 1967م. بعد قيام ثورة 14 أكتوبر عام 1963م أخذت الثورة تهدد قيام اتحاد الجنوب العربي وذلك بالنضال من أجل استقلال الجنوب بشكل عام. وقد ألغيت إمارة بيحان وغيرها من إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي بعد استقلال الجنوب عام 1967م، وإعلان جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية.

الخاتمة :

أوضحت هذه الورقة التطور التاريخي التدريجي للعلاقة بين بريطانيا وحكام إمارة بيحان، حيث تطورت هذه العلاقة من معاهدة الحماية، إلى معاهدة الاستشارة، إلى معاهدة الصداقة والولاء. وتعدُّ هذه المعاهدات التأسيس الرسمي لإمارة بيحان، وكانت هذه المعاهدات بمثابة تثبيت توغلهم نحو المناطق الداخلية في إطار سياسة التقدم إلى

الأمام، وفرض سياج من العزلة بين قبائل الإمارة ونظام الإمامة في شمال اليمن، وكذلك تكريس سياسة فرق تسد.

نود الإشارة هنا إلى أن سياسات بريطانيا في الإمارة وتوقيعها لمعاهدات الحماية والاستشارة؛ قد واجهت الرفض الشعبي للسياسة الاستعمارية البريطانية، التي تمثلت بالانتفاضات القبلية العفوية حتى تحولت في مرحلة لاحقة إلى مقاومة شعبية كانت مرتبطة بحركة القوميين العرب، وتمكنت من إسقاط الإمارة وطرد البريطانيين ليس منها فقط وإنما من الجنوب كاملاً، وسقوط إمارة بيحان، وقيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية في 30 نوفمبر عام 1967.

المراجع:

- مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية: تجميع وتصنيف سي يو انجستون بي سي اس، وكيل حكومة الهند البريطانية في الخارجية الهندية، ترجمة العميد الركن عبدالوهاب عبد الستار القصاب، تقديم أ.د. محمود علي الداؤود، بيت المحكمة، بغداد 2001م.
- فاروق عثمان أباطة: عدن السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839 - 1918 - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.
- أبو عز الدين نجيب سعيد: الإمارات اليمنية الجنوبية، ط1، دار الباحث بيروت 1989م.
- مهدي راشد القباص: الإمارة الهبيلية الهاشمية في بيحان جنوب اليمن، دراسة تاريخية سياسية، (رسالة ماجستير) 1943 - 1967.
- محمد سعيد يسلم المذحجي: نظام الحكم والإدارة في إمارة شبوة والتأثيرات البريطانية (رسالة ماجستير) 1943 - 1967م.
- شفيقة عبدالله عراسي: السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها، 1937 - 1945م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط1، 2004م.
- ر. ج. جافين: عدن تحت الحكم البريطاني، 1839 - 1967م، ترجمة محمد محسن محمد العمري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ط1، 2013م.
- فريد هوليداي، الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، ترجمة حازم صاغية وسعيد محيو، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1975م.

شبوّة والاستعمار البريطاني في ذاكرة الشعر الشعبي

توطئة



أ.د. علي صالح الحلاقي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة عدن

ثمّة علاقة واضحة بين الشعر والتاريخ، ففي الوقت الذي يكون فيه التاريخ بأحداثه وظواهره وشخصه منبعاً للوحي والإلهام يكون الشعر مصدرًا من مصادر المعرفة التاريخية. وقد كانت أشعار العرب ما قبل الإسلام من المصادر التاريخية التي اعتمد عليها المؤرخون، لكونها حفظت لنا الكثير من الأحداث والأخبار. وتبيّن النتاجات الشعرية للشعراء الشعبيين في بلادنا أن الشعر يعتبر مصدرًا مهمًا من مصادر التاريخ الحديث التي قد لا نجد لها في مصادر أخرى، خاصة خلال المراحل التي سبقت الاستقلال الوطني 1967، بما يشمل عليه من وقائع وأحداث، ولذلك يمكننا القول أن الشعر الشعبي لعب دور الموثق التاريخي نظرًا لغياب التدوين والتوثيق الكتابي في تلك الفترة في كثير من المناطق البعيدة عن عدن، كما هو الحال في شبوة وغيرها.

وموضوعنا، كما هو واضح من العنوان، هو شبوة والاستعمار البريطاني في ذاكرة الشعر الشعبي. وشبوّة التاريخية، كما نعلم، هي عاصمة مملكة حضرموت القديمة الضاربة في القديم، أما شبوة المعاصرة، أو محافظة شبوة الحالية، فهي تسمية حديثة ظهرت عشية الاستقلال الوطني في 30 نوفمبر 1967م وتشكلت كمحافظة ضمن التقسيمات الإدارية على أنقاض عدد من الكيانات السياسية السابقة التي نشأت خلال فترات زمنية متفاوتة على أرض محافظة شبوة، وهي: إمارة بيحان، وسلطنة العوالق العليا في نصاب، ومشايخة

العواقب في الصعيد، وسلطنة الواحدي. ولذلك فأن الحديث هنا سيكون عن شعراء تلك المكونات التي قامت على أرض محافظة شبوة الحالية، بما في ذلك العواقب السفلى التي أُلحقت إدارياً بمحافظة أبين بعد الإستقلال.

وقد اعتمدنا المنهج الوصفي في وصف الأحداث التي جرت، وكذا المنهج التحليلي والتاريخي في شرح نماذج الأشعار، التي عكست مواقف شعراء مناطق محافظة شبوة تجاه الاستعمار البريطاني، سواء المواقف المعارضة والمقاومة، أو المؤيدة أو المحايدة، تبعاً لموقف الشعراء والمزاج الشعبي السائد حينها. لكن ما ينبغي التأكيد عليه أن الشعر الرافض والمقاوم له الغلبة وعلو الكعب في المكانة والأهمية في مجمل الأشعار ذات الصلة بالاستعمار البريطاني، حيث مثل عاملاً مهمّاً لاستنهاض الهمم وإيقاظ الوعي التحرري لرفض ومقاومة الاحتلال، لا سيما بعد انتصار ثورة يوليو المصرية وما أحدثته من تأثير في نمو الوعي العربي التحرري. وهو ما سنبينه باستشهادات شعرية كافية، وقد اعتمدنا على مصادر ومراجع ودواوين شعرية متعددة أثرت الموضوع وجعلته يشمل خارطة مناطق شبوة تقريباً، ومن أهم المصادر والمراجع الشعرية لهذه الدراسة: ديوان الشاعر ناصر أحمد بن لزيم "يقول بن لزيم"، كتاب "وثائق المؤتمر الأول للأدب والتراث الشعبي بالمحافظة الرابعة - شبوة"، كتاب "شعراء بيحان والمقاومة الشعبية ضد الاحتلال البريطاني"، ديوان "الشاعر الشعبي الكبير صالح عوض الحرمللي"، كتاب "الهواجس - نفحات من الشعر الشعبي في شبوة وأبين (جزءان)"، كتاب "الزوامل في الحرب والمناسبات"، وعشرات المراجع التي رجعت إليها ووجدت فيها شذرات مفيدة أثرت البحث، وقد أوردت أسماءها في قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: علاقة شبوة بالاستعمار البريطاني في عيون الشعر

لم يكن استيلاء بريطانيا على عدن عام 1829م هو غاية ما تبغيه بريطانيا من منطقة جنوبي الجزيرة العربية، وإنما كان هذا الاستيلاء بمثابة نقطة للتوسع وبداية للانطلاق لتأكيد النفوذ البريطاني في منطقة جنوبي الجزيرة العربية وفي البحر الأحمر وعلى

الساحل الإفريقي الشرقي، وكذلك لإبعاد أي ظل لقوى أخرى في الخليج العربي. وقد اتخذت بريطانيا من السُّبُل ما حقق لها سيطرتها بالتدريج على كل هذه الأنحاء سواء بالتهديد أم بالترغيب⁽¹⁾.

لقد ركزت بريطانيا على عدن في البدء لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية، ثم لتأمين محيطها المجاور لضمان مسلك آمن لطرق الإمداد منها وإليها. وظلت بقية المناطق الجنوبية النائية البعيدة عن عدن بعيداً عن الاهتمام المباشر للسلطات البريطانية واكتفت بعلاقات الصداقة والولاء مع الحكام المحليين، بما في ذلك في مناطق شبوة الذين ربطتهم مثل تلك العلاقة غير المباشرة.

وفي نهاية عام 1855م قام المقيم السياسي البريطاني "كوجلان" برحلة بحرية حول خليج عدن على ظهر الباخرة "سيراميس" وقام بزيارة سلطان العواتق السفلى منصر بن أبوبكر مهدي وعقد معه أول معاهدة اقتصر على منع تجارة الرقيق، وتعهد بموجبها السلطان بالامتناع عن استيراد الرقيق من افريقيا، وكانت هذه المعاهدة ذات الصبغة الإنسانية بمثابة مسمار جحا الذي خوّل لبريطانيا بعد ذلك أن تمتد أصابعها لتحتوي منطقة العواتق السفلى إلى برنامج المعاهدات الخاصة بالحماية⁽²⁾. وبما أن سلطة السلطان حينها كانت محدودة على قبيلته فإنه لم يستطع أن يمنع نهب أفراد قبيلته للسفن التي تتحطّم على سواحلها، إلى أن تعهد بموجب اتفاق في سنة 1871م مع الإقامة بأن يبذل جهده في سبيل منع هذه الاعتداءات في المستقبل ويعيد إلى عدن بحارة السفن الغارقة الذين قد يلجأون إليه⁽³⁾.

ومع وصول العثمانيين إلى اليمن عام 1872م، واقتراب خطرهم من مناطق نفوذ بريطانيا في الجنوب، أدركت بريطانيا أن هذا التدخل تهديد مباشر لطبيعة العلاقة التي

(1) سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، د. جاد طه، دار الفكر العربي - القاهرة، 1969م، ص 175.

(2) الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور، السيد أبو بكر العدني بن علي أبو بكر المشهور، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، 2007م، ص 338.

(3) سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، ص 195.

تربطها بقبائل المنطقة، ولوقف هذا التهديد غيرت بريطانيا من سياستها تجاه المناطق، من التهدة وعلاقات الولاء والصدقة إلى فرض سياسة الحماية، وسارعت إلى عقد معاهدات حماية مع السلطنات والإمارات والمشيوخ للحيلولة دون انتشار النفوذ والسيادة العثمانية على مناطق جنوب الجزيرة العربية، وهو ما رحب به غالبية الحكام المحليين بسبب خشيتهم من السيطرة العثمانية، وطمعهم بالأسلحة والأموال التي تقدمها لهم السلطات البريطانية ولضمان حمايتهم من أي مخاطر أو تمرد.

وعلى مستوى شبوة فقد عقدت عام 1888م معاهدة حماية مع سلطان العوالق السفلى ابوبكر بن عبدالله. كما عُقدت في ذلك العام اتفاقيات مماثلة مع مشيخة حورة السفلى ومشيخة عرقة وسلطنة بير على (الواحدى) وسلطان بلحاف (الواحدى). وفي عام 1903م مع شيخ مشيخة العوالق العليا محسن بن فريد بن رويس العولقي ومع شريف بيحان أحمد بن محسن الهبيلي. وفي عام 1904م مع سلطان العوالق العليا صالح بن عبدالله بن عوض العولقي⁽¹⁾. وبموجب هذه الاتفاقيات استطاعت بريطانيا أن تسيطر على المنطقة وتمارس الوصاية على الحكام المحليين وخصصت لهم رواتب شهرية وسنوية وهدايا موسمية، وتركت لهم إدارة شؤونهم الداخلية والمحافظات على استقلالهم إلى حد ما، عملاً برغبتهم وبمصلحة بريطانيا التي تتدخل حينما ترى ضرورة لذلك.

ومن الملاحظ أن معاهدات الحماية التي فرضتها بريطانيا على حكام المشيخات والسلطنات المحلية تكاد تكون نسخة طبق الأصل لبنود محددة، أهمها تعهد السلاطين والأمراء في مقابل تمتعهم بالحماية البريطانية بعدم الاتصال أو الاتفاق أو التعاقد مع أي قوى أو دول أجنبية إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية، وعدم التنازل أو بيع أو رهن أو تأجير أية أراضي من أراضيهم لأية دولة أجنبية فيما عدا الحكومة البريطانية بطبيعة الحال⁽²⁾.

(1) انظر بالتفصيل: وثائق يمنية - الجنوب اليمني، عبدالله أحمد الثور، مطبعة المدني - القاهرة، ط1، 1986م.

(2) عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، د. فاروق عثمان إباضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص422.

وبموجب هذه الاتفاقيات أصبحت أراضي المحميات مسرحًا للنشاط الاستعماري، وللتنقيب عن الثروات ونهب الآثار والمخطوطات. وكانت شبوة الغنية بآثارها الحميرية من أهم المناطق التي اتجهت إليها أنظار الطامعين بآثارها النفيسة وبمباركة وترحيب ومساعدة من الحكام المحليين الذين لم يكن يهمهم سوى استلام الأموال دون شعور أو إدراك بخطورة ما يقدمون عليه.. فعلى سبيل تمكّن الكونت لندبرج أو كما سمّي نفسه (عمر السويدي)، الذي وصل عدن عام 1895م بتسهيل من السلطات البريطانية، من التنقل في عدد من مناطق الجنوب أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وأوجد له عملاء في مناطق شبوة، كما في غيرها من مناطق البلاد ممن ساعدوه في التنقل أو الوصول إلى هدفه عبر شبكة عملائه.

يذكر صاحب كتاب "تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة"⁽¹⁾ أسماء أبرز العملاء في مختلف مناطق الجنوبي العربي، منهم فئة اشغلت بصورة كاملة في تغريب التراث، لم يردعها الضمير ولا الوجدان ولا الانتماء، وإنما كان هدفها الحصول على المال لتحقيق المنفعة والمتعة الشخصية، ومن أهمهم في مناطق شبوة، على سبيل المثال، أحمد علي مرزق العولقي الذي خدم الانجليز بتزكية من السلطان صالح بن عبدالله العولقي، وكما يتضح من الوثائق والمراسلات فقد كان من أنشط العناصر في نقل التراث وحتى سرقة، واتخذ من بلاد العوالق، خاصة العليا مركزًا لنشاطه وتحركه في مناطق كثيرة. ويبدو أن قرابته لسلطان العوالق قد سهلت مهمته في المنطقة، وشجعت الكونت لندبرج على اعتماده كوسيط بينه وبين السلطان صالح بن عبدالله العولقي، الذي قال في رسالة بعث بها إلى الكونت: "إن أحمد مرزق أحسن من يمكنه سرقة الحجارة من مأرب". وكان أحمد مرزق ورفيقه صالح عبدالله المذحجي قد رافقا "مستر بري" الذي تسمى لاحقًا باسم "عبدالله منصور" عندما حضر لأول مرة إلى أرض العوالق سنة 1897م لجمع الآثار منها. ونستشف من الرسائل أن أحمد علي

(1) انظر: تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة، د. محمد عيسى صالحية، دار الحدادة - بيروت، ط2، 1985م، ص 38 - 58.

مرزق ورفيقه المذحجي كانا بارعين في تحصيل الآثار والحجارة الحميرية، فقد عادا مثلاً من رحلتها إلى بيحان والظاهر ومسورة بأحجار وُصُفر (أنتيكات) كثيرة، وتمكنا من طبع 300 ورقة وسرقا 300 حجر حميري من النوع الصغير ومن النوع الكبير من منطقة بيحان الظاهر. وكان مجموع الأحمال التي حملها من منطقة العوالق 16 حمل جَمَل، ووصلا إلى هجر ريدان وأحضرا منه أشياء كثيرة.

وكان السلطان صالح بن عبدالله العولقي، سلطان العوالق العليا دائم الترحاب بالكونت وأعوانه، وييدي استعداداً لتزويده بجميع ما يطلبه من حجارة منقوشة وآثار مقابل أن يعقد الكونت معه معاهدة مجابرة ومساعدة تحقق له بعض الامتيازات مثل السلاطين الموالين لبريطانيا، وحصوله على السلاح لمحاربة أبناء عمومته سلاطين العوالق السفلى.

ومن عملاء لندبرج الشيخ عاتق بن أحمد باكر الباكري (من شيوخ بيحان) الذي سهل له الحصول على آثار تمنع ومريحة وما فيها من كتابات حميرية على أحجار من رخام أبيض. وكذا السيد محمد الجفري الذي أبلغ عن أحجار حميرية في بلاد العوالق العليا. وبالمثل أشرف من بيحان إذ حملوا أشياء مهمة من بلدهم عند نزولهم إلى عدن في 6 مايو 1903م حيث حملوا معهم أكثر من 50 حجراً حميرياً، وأصنام تحتها كتابات عجيبة بقصد إهدائها للوالي البريطاني في عدن، ولما رآها تاجر فرنسي، أغراهم بالثمن فباعوها له، وكان هذا التاجر قد اشترى 4 صنديق من الأحجار من بدو مرخة. وهناك آخرون، مثل يسلم بن رويس بن فريد العولقي وحسين بن عبدالله (مولى الحنو وهجر ابن حميد) ممن كان تعاونهم أقل مقارنة بالمذكورين أعلاه.

وعند قدوم الكونت لنبرج إلى سلطنة الواحدي رحب السلطان محسن الواحدي ومن معه ممن كانوا ينهبون الآثار الحميرية أثناء زيارتهم للمحميات، بزامل يقول:

حيا بكم يا ذي ولبتوا عندنا لا عند دولة هلّ حمّد بن هادي
يا الكُنْتُ حياً لك علي ما جيت له يملأ فُجُوجُ أشعابنا والوادي

ويقصد بدولة حمد بن هادي: سلطنة آل أحمد بن هادي الواحدي. أما الذي يملأ الفجوج فهي الآثار الحميرية التي انفتحت شهية الكونت لها ولا يحب شيئاً سواها في رحلته تلك⁽¹⁾.

ومن زوامل الترحيب الكونت دي لندبرج هذا الزامل عند وصوله سلطنة الواحدي:

ألفين حيا بالغريب الواصل جاء من بلاده لا بلاد الواحدي

جاني ونا بين الحيود المهكبه بين الصقور العادي وأهل الحدي

وهذا الزامل للشاعر أبو جميع الذياب عوض بن هادي سيّر البعثة (أي المتعهد

بخفارتها) يقول:

يا لَمُرُ سلطان القبائل والكنت ذي جا من بحوره

خليتني بين المراحل كيف الخبر كيف المشوره

واحنًا قفا السلطان محسن في البحر والأ في بروره

يا كسوتي من شغل جرمل بنشُرُ بها في أشعاب حوره

سد المشايخ والقبائل يا سيف مسنونه فدوره

ويذكر لندبرج زوامل أخرى للسلطان نفسه يقول مرحبًا بالكونت:

حيا بكم يا كُنْتُ دولة غالبه على النصارى كلها واللاندي

أحنًا قريش الفرع من زام النبي ما قط حد قد صاد مني ما قدي

وكما يشرح لندبرج عبارة الشطر الأخير على لسان السلطان، بأن معناها: أن

أحدًا "لم يكن ليتزع مني حقًا له عندي". وقد اهتم لندبرج بجمع الزوامل وأورد

منها قدرًا وفيرًا في ثنايا مقالاته في نشرته (Arabica) وفي ثنايا كتابه الكبير عن

اللهجات الجنوبية⁽²⁾.

(1) المستشرقون وآثار اليمن، محمد عبدالقادر بافقيه، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1988م،

ص34.

(2) المستشرقون وآثار اليمن، ص 61، 128.

ومن الزوامل التي وجهها الشعراء إلى لندبرغ، هذه الزوامل للشاعر أحمد علي العولقي، يقول فيها:

يا الكنت يا صادق وعودك والخبر	شعنا جلسنا في عدن بيت النوال
بَطْلَعُ قُذَاكُمْ يَوْمَ نَا دَوَّرُ لَكُمْ	وَأَلْفِي سَلَامِي عَدْمَا الْكِيَال كَال
من ذي حاله في بلاد العولقي	نِصَاب لَعْلَى حَيْث حَلَّوَا بَنِي هَلَال
جارت علينا في عدن من دَيْنِنَا	كَمْ بَا تَدَيِّنُنْ يَا نَمْر مَا لَك مِثَال
تسليم والتشريف هذا خطنا	من عولقي يملأ بيوتك والجِلال
وَأَلْفِي صَلَاتِي تَبْلُغُكَ يَا الْمُصْطَفَى	مَا يَرْخِي الْمَجْرَى وَمَا السِّيَال سَال

ورغم ذلك الترحيب بالكونت لنبرج الذي جاء بصفته المدنية دون أن يصطحب قوات عسكرية لاعتماده على المرافقين والعملاء المحليين، فإن القبائل لم تتقبل مرور القوات البريطانية عبر مناطقها، بما في ذلك المجاورة لشبوّة، فعندما توجهت قوات عسكرية بريطانية على رأسها (المستر بري) في 30 يونيو 1904م قاصدة أرض العوالق اعترضهم العواذل وأهل حاتم وقتلوا هنديا وجرحوا آخر واجبروا القوة على العودة إلى عدن مكسورة، وبعد ذلك الحادث قرر الوالي طرد أبناء قبيلة العواذل الموجودين في عدن، وجمع نحو ألف رجل منهم في معسكرات اعتقال في التواهي تمهيداً لترحيلهم إلى أرضهم، ولم ترهبهم التهديدات فتغنى شاعرهم⁽¹⁾:

مَا بَا تَلْمَلِمُ شَيْ عَلَيْنَا	كُلَّنْ بِلَادِهِ بَاتَكْنَنُهُ
وَالْكُور مَا هُوَ شَيْ مَهَوُّنْ	كَمْ مِنْ قَبِيلِي قَامِعِنُهُ

ومعنى ذلك أن الأرض لن تضيق بنا فكل الأراضي تسعنا وتحميننا، وجبل الكور ما هو مقصر، فكم له من قبيلي قامع رأسه.

وقد ازداد اهتمام الاستعمار البريطاني بمنطقة شبوة عامة وبيحان خاصة، لا سيما بعد عام 1930م، حينما ظهرت مطامع الإمام يحيى بعد أن أرسل علي ناصر القردي

(1) بافتيه: المستشرقون وآثار اليمن: ص876.

ومعه عدة جنود إلى شبوة لاحتلالها، إلا أن الضابط الإنجليزي "هملتون" وأشراف بيحان مع قوة جوية أجبرته على الخروج من شبوة منهزماً، وقال يصور هزيمته وكيف كان يحارب على الجمال والانجليز بالطائرات⁽¹⁾:

وفي شبوه طعمت الحلو مُرّاً ومن عاده غبي قد خير يدري
وطيارات كم حمرا وصَفراً عليها أشرار كم من هيم عفري
حمول الميل ما سرنا بقصرى قُهرتْ أهوين من غُبني وقهري

ومن زوامل مساجلات تعود إلى الأربعينات من القرن الماضي، حوالي 1945م، تتعرض لقضايا قبلية بين العوالق والنسيين والموقف من بريطانيا. قال الشاعر ناصر أحمد بن لزنم، يقول:

يا ناصر الجوذر بغيت اتشَدَّكَ من نوم عيني ما يخُوف اسبالها
ملاً عجوز الويل تبذل عَدْرُوهُ أوْت هديه من عدن لا أهدي لها

ويقصد بالعجوز بريطانيا. وقد رد عليه الشاعر ناصر الجوذر النسي بقوله:

إن كانها زنوه عسى الله يفرعك لا قول لك مرحب ولا حياً لها
يا ناصر ابن أحمد وخُوتك كلهم روس العلاوي ما لبنا منزلها

ومن شعراء شبوة المعروفين الشاعر محمد أحمد بن لزنم⁽²⁾ وله زوامل متبادلة مع الشاعر جازع مسعود البحيث الفطحاني من قبيلة "عله" في عام 1948م تتحدث حول قدوم الانجليز إلى منطقة دثينة، بدأ الشاعر محمد أحمد لزنم معاتباً جازع لصلته بالقوات الاستعمارية، وكأنه خرج عن دين نبيه محمد، كما في قوله:

يا محمد تقول ويش بجازع سار يكتب صحيح امسّوادي
كان يتبع نبيه محمد وش يبا له عيال الهنادي

(1) وثائق المؤتمر الأول للأدب والتراث الشعبي بالمحافظة الرابعة (شبوة)، ص 33.

(2) اشتهر بزوامله في المواقب القبلية والمناسبات وقد وقف منذ البداية إلى الصف المناهض للوجود الاستعماري منذ الخمسينات وتعرض للسجن ثم لجأ إلى المملكة المتوكلية اليمنية عام 1957م وبقي على موقفه المناهض للاستعمار حتى تحقيق الاستقلال الوطني. توفي يوم 8 أكتوبر 1990م.

لا شك أن الشاعر بن لزنم أبدى هنا تخوفه من اقتراب خطر قدوم الانجليز من مسقط رأسه العوالق بقواتهم التي تتكون في غالبيتها من الهنود (عيال الهنادي). ويرد جازع الفطحاني متباهيا بالتحاقه ضمن قوات السلطنة البريطانية التي يصفها بقوته (زجاه ونون عينه)، يقول:

يا محمد رَعُونَا كَتبْنَا وَشِ لِبَا لِه بِلَادِ امشَوَادِي
الحكومَه رَعُوها زجانا نُون عيني وَحَبَّةُ فُوَادِي

ويقول الشاعر محمد أحمد بن لزنم أن الحكومة الاستعمارية لن تترك لأحد أن يرفع رأسه:

الحكومَه مُبَنَّ بُنَيَّة تَعُمْتُ العاقِبَه في الرقادي⁽¹⁾
لا رفع راسه أدّوه كونه وانت دائم تحب العوادي

- ويعترف جازع الفطحاني أن سبب موقفه ناتج عن معانته من بلاء الفتن والحروب القبلية جرت بين بين العوالق وقبيلة "عله" التي ينتمي إليها، وهي الحروب التي عانى منها ولم تتح له أن يهنأ بنومه ساعة واحدة، يقول:

من بلاكم وَمِنْ ما عَسَمْتُوا بَعَثَها يَوْمِ نادى المَنادِي
كل ما جيت بانام ساعه وَأَنَّها فَوْقِ راسِي بوادي

- ويرد محمد أحمد بن لزنم مشيراً أن الضابط الإنجليزي "سيجر" قد كسبهم بالحيلة وبالأموال (قهوة وفيها حلاوي)، يقول:

عرفوني طَريقَ المَجازِع واظْهروني بروس العَلاوي
يَوْمِ (سَيَجِر) سَجَرَكُم بِحِيلِهِ جاب قهوه وفيها حلاوي

ويقول جازع الفطحاني أنهم وأن ارتبطوا مع الانجليز فأنهم يلتزمون حدودهم ولا يقبلون أن يعتدي عليهم:

لا كَتبْنَا وسرنا وطعنا عادنا عند تَاك المَراوي

(1) العاقبة: الطفل الصغير.

وان سرفتوا علينا بسرفه رَعْ خليل امغويات غاوي
ويرد محمد أحمد بن لزيم على جازع يقول له أنك اتبعت الطريق الخطأ بتقربك
للانجليز (النصارى) وأن لم تراجع نفسك وتتب فأن العوالت لك بالمرصاد:

يوم قَرَبْت قوم النصارى والله أنك جزعت الرهاوي
وَنُ ما طعت عاد العوالت للوجع ينجحون المكاوي

وما يجدر الإشارة إليه أن القبائل التي دخلت القوات البريطانية مناطقهم دون
اعتراض أو مقاومة تذكر، قد نالتها سهام الشعراء الذين عبروا عن عدم رضاهم إزاء
تلك المواقف السلبية. فعند دخول بريطانيا منطقة العوالت وخليفة انتقد الشاعر أحمد
بن محمد بن سعد الباراسي قبائل معن وهم الفرع الأكبر في العوالت العليا لسماحهم
لبريطانيا باحتلال بلدهم، يقول⁽¹⁾:

غُبَيْنِ أَحْمَد على المعني وناموسه وَرَى المعني يبيع العز والناموس
يبيعونه على سيجر وماكتوش بالبيسه زمان القبيله لا اتقالب المخموس⁽²⁾
بغينا لِحْضُر البرعه لِدُق طاره وقمبوسه مَعَدُّ حَدُّ با يوافي برعة القمبوس

ورغم أن بعض الشعراء تناولوا في زواملهم دخول بريطانيا إلى مناطقهم دون
مقاومة فقد كانوا لا يقرون بتعاطفهم مع الاستعمار البريطاني وكل منهم يلقي اللوم
على الآخر ويظهر شكوكه فيه، كما في بعض الأشعار. ومن ذلك على سبيل المثال
زامل للشاعر سالم بن منصور المرزقي يقول مخاطباً سالم الفطحاني:

يا سالم العاقل بَصْرْتَه في عدن سواد بن مصمع وهو قال صورين
والعيلماني دي مع سالم عبد دي شل عهد الله على دي ينكرين
فرد عليه الشاعر سالم صالح الفطحاني يقول:

يا المرزقي يا دي كلامك ترجمي يا دي رضيتوا بالمواتر يعبرين
مَصْوَرٌ على عهده ولا شي غيره واعطيت بكلي يوم هن يتعصّورين

(1) الهواجس..نفحات من الشعر الشعبي في شبوة وأبين، أحمد علي خشاع الطوسلي، 1/123.

(2) سيجر وماكتوش: من الضباط الانجليز.

ويقصد بـ"المواتر" السيارات العسكرية التي سمحوا بمرورها، ويؤكد أنه عمل ما بوسع (بكله) حينما كانت الطائرات الحربية تحوم (يتعصرون). ويعقب الشاعر أمذيب بن صالح بن فريد مخيراً إياه بين اتباع المستعمر أو المقاومة:

حيّا الله الليله مَلاها كُلهَا ما يبرق البارق ويرعد كل حين
إن كان با تسجد على دِين الكُفَر وإن كان با تسلم فنحنُ مسلمين

ويرد الشاعر محسن علي الفطحاني مذكراً أمذيب بأنهم كانوا يأتون في مخارجهم القبيلة مرتين في العام، أما الآن فأمامهم بريطانيا (أبوشنب) يقول:

يا أمذيب بن صالح زمان القبوله كُنتوا تجوننا في السنه من مَخْرَجين
واليوم كَدِينا عليكم بُو شنب درّج حجر والموخرات تدرجين

وهذا الشاعر علي محسن السليماني، أحد مشايخ العوالق وكانت له صولات وجولات في مقاومة بريطانيا ببندقيته نوع (بلجيك)، انتقد تردد الشيخ الصريمة في المقاومة ضد الانجليز حينما توجه إليه بهذا الزامل:

قال السليماني على محسن حارب بريطاني ببلجيكه
يوم الصريمه ما رفع رأسه ظنه يبا دفعه من أمريكه

ويقول الشاعر باسردة مرحبا بالواحد الذي مر في حورة ورضوم قبل وصوله إليهم ويصف بريطانيا بالشوحطة التي تبتلع الأقوياء ورمز لهم بالجبر، وهي ثيران الحرثة القوية، يقول:

بالخير رَحَب يوم جاك الواحدي قد مر في حوره وميَّح في رضوم
ماليوم جاتك شوحطه ما تنزقر ما تقطع الجبرّ تعبَرها صموم

فرد عليه الشاعر علي بن ناصر عوض بن قمر يقول:

أنا حلالى في بلاد الحميري ماشي قيامه فوق راسي با تقوم
حتى ولا حدقال شي والأحسب لا جدنا صلّى ولا احنا با نصوم

ويقصد بقوله لا جدنا صلى ولا احنا با نصوم أنهم أبا عن جد لا يخضعون لأحد بالقوة بما في ذلك بريطانيا. وحين امتدت سياسة بريطانيا إلى العوالم العليا، عبر الشعر الشعبي عن موقف العوالم الراض للاحتلال البريطاني، فهذا الشيخ أمذيب بن صالح يقول:

حيا بقاف اللام يا مولى السلام وانا سقى لي كور منفوخ الضباب
ما كلم الا كل من صلى وصام حيشا عليه ما ادخله دين الكلاب
وقال الشاعر ناصر أحمد بن لزيم⁽¹⁾:
قال القبلي بادع ابتال السلب وين العوالم دي يسنون الحراب
لي منعكم زروا ميوح العولقه لا تبعونه كل من خالف وعاب

وفي منتصف الخمسينات وبعد دخول بريطانيا إلى الصعيد - العوالم قام مجموعة من الطواسل والمرازيق بضرب مواقع عسكرية. فقال أمذيب بن صالح بن فريد الزامل التالي يؤلب فيه القبائل ضد من قاموا بضرب الصعيد. فقال محرصاً:

قال الفريدي بن رويس العولقي كيف الخبر يا القبوله يا هل علي
الحد واحد والمخوه واحده واليوم جانا المرزقي والطوسلي

وقد رد عليه الشاعر أحمد محمد بن سعد الباراسي الذي شارك في ذلك اللقاء مؤكداً أن أهل فريد بن ناصر هم من جاء ببريطانيا ومعسكراتها وأن الحكومة ملزمة

(1) الشاعر ناصر أحمد لزيم شاعر مخضرم، ولد أواسط العقد التاسع من القرن التاسع عشر في قرية الهجر منطقة خورة بمحافظة شبوة، وتوفي عام 1975م، عايش كل صراعات المنطقة وهو من أبرز الشعراء الذين فاخر بهم زعماء العوالم ضد خصومهم بحكم العلاقات القبلية والتبعية السياسية، وكان يلقب بشاعر العوالم. تداخل في شعره البعد القبلي والبعد الوطني والبعد الاجتماعي، وهذه الأبعاد متداخلة في شعره ويصعب الفصل بينها، لكننا نجد من أواخر أربعينات القرن العشرين، وهي الفترة التي بدأ فيها الاستعمار البريطاني يمد نفوذه إلى المناطق الداخلية في البلاد ومنها منطقة العوالم، نلمس تشكل وظهور الوعي الوطني ونزعت الواضحة ضد الاستعمار البريطاني ومخططاته ممثلاً بضابطيه "سيجر" و"ديفي"، وموقفه ضد السلاطين المرتبطين بالاستعمار (انظر ديوانه "يقول بن لزيم").

بالرد والدفاع عن نفسها، معتبراً القضية سياسية وليست قبلية وكان لرد الباراسي تأثير قوي ضد اتخاذ قرار قبلي، يقول:

يا الإسلامي لا هُوَ زمان القبوله شَعْنَا لِحِرِّ المَاءِ ولا شي له دلي
وان هي حكومه جابها مولى عدن خَلَّه يمر الجبل لَمَّا يمتلي
وأثناء دخول بريطانيا إلى مناطق العوائل وخليفة، عبر الشاعر صالح با هارون عن
عدم رضاه لقبول الإدارة الاستعمارية (المحكمة)، يقول:

الله يحيي كل من حيا بنا ياهل البنادق ذي تثنون الفعال
لا المحكمة باها ولا با شوفها لو با يصيبوني كما حبّ المثل
ويرد عليه الشاعر محمد أحمد بن طالب الخلفي موضحاً أن العوائل هم السبب
في دخول بريطانيا إلى البلاد وسوف يلقون الجزاء والعقاب في الآخرة في نار جهنم:

الذء بيدك والذوء من عندكم يا ذي تداوون الكينه والسعال
ما في جهنم كوز بارد تلحقه فيها العقارب ذي كما ارقاب الحمال
وعبر الشاعر الشيخ مساعد بن حسين الجبواني عن الرفض لدخول بريطانيا إلى
بلاد العوائل وذهب لمقابلة الإمام في اليمن مع وفد من العوائل وعند وصوله إلى
البيضاء قال الزامل التالي:

تسليم لك يا حاكم البيضاء يا ذي قبضت الخط والشيمه
سيجر شُفه يحكُم في المشرق واجنا غلبنا من محاكمه

المبحث الثاني: صدى الانتفاضات والمقاومة الشعبية في الشعر الشعبي

عززت السلطات الاستعمارية وجودها في المحميات بأن عممت نظام "الاستشارة" بدلاً من نظام "الحماية" في السلطنات والمشايخات وازداد تدخلها في شؤون المناطق. وبالمقابل توسع نطاق الرفض الشعبي للوجود الاستعماري حتى تحول إلى انتفاضات مسلحة أفضت مضاجع المستعمر ومثلت أرضية خصبة للشعراء الشعبيين استقوا منها موضوعاتهم وعبروا عن مواقفهم، بل وأسهموا في بث روح الحماس وشحذ همم المواطنين وإشعال جذوة النضال والمقاومة الشعبية في مختلف مناطق شبوة ضد

الاستعمار، ويمكننا من خلال أشعارهم تتبّع جميع مراحل النضال والمقاومة حيث أرخوا للمقاومة ريبز وبيحان ومصعبين والعوالق وغيرها وخلّدوا مآثر أبطالها.

فبعد أن تمكنت بريطانيا من بسط نفوذها واستبدلت النظام القبلي بنظام الحماية الاستعمارية ساد التملل وعدم الرضا من نظام الحماية، وشعر زعماء العشائر أن سلطة الحكم قد انتزعت منهم وتضاءل في نظرهم ما كانوا يحصلون عليه من عطايا مادية ضئيلة من المستعمر، هي من خيرات بلدهم، مقارنة بما أخذ منهم وهو جوهر موروثهم وحرّيتهم، وكان ذلك من عوامل ظهور المقاومة الشعبية، وهذا ما عبر عنه الشاعر أحمد بن علي بن منصر الحارثي في زامل يقول:

سلام مني للحضارة كلها سادة ودولة والقبائل ذي بشق

زام القبائل كان يشرح خاطري واليوم خلوا الزام لول يندح

وزام القبائل المقصود به النظام القبلي الموروث الذي كانت تسير بموجبه البلاد قبل فرض نظام الحماية الاستعماري، والشاعر هنا يتوجع ويتحسر على ذهاب ذلك الزام أو النظام.

مقاومة بيحان

تعتبر من المقاومة الشعبية المبكرة ضد الوجود الاستعماري مطلع ثلاثينات القرن العشرين، وارتفعت وتيرتها بعد وصول الضابط السياسي البريطاني هملتون عام 1935م وسعي الانجليز لبناء مدرج للطائرات في بيحان (مجراد)، واتبع البريطانيون أن سياسة "فرق تسد" وشراء الذمم من خلال تقديم الأموال والسلاح التي تصب في مصلحة مد النفوذ البريطاني، ثم اغتيال معارضيه من كبار زعماء بيحان العشائريين، أمثال: أحمد سيف وعلوي أحمد المصعبي وعبدالقادر أحمد سيف، ثم لجأت بريطانيا إلى استخدام القوة العسكرية والطائرات الحربية. فعندما قاد البجاحي المقاومة الشعبية لرفض المشروع البريطاني الإجباري الذي يلزم الفلاحين بزراعة أرضهم قطنًا تحقيقًا لرغبة المستعمر، وجهت القوات البريطانية حملة عسكرية ضد مطرح حدجة في بيحان

الموسطة واستمرت المعركة ثلاثة أيام، ورغم الخسائر التي تكبدها البجاعي لعدم تكافؤ القوة إلا أنه نجح في الغاء مشروع زراعة القطن الإجباري.

وفي سنة 1935م رفض الشيخ علوي أحمد المصعبي تنصيب حاكم بيحان الهبيلي تحت الحماية البريطانية وعدم الامتثال لأوامر والي عدن الإنجليزي ورفضه طرد الشيخ أحمد ناصر القردي الذي كان حينها خارج عن طاعة الإمام يحيى، ولم يرضخ للتهديدات البريطانية، وتم بالفعل قصف (عيلان) في وسط بيحان من قبل سلاح الجو البريطاني. ووقد تردد صدى تلك الانتفاضة المباركة في ذاكرة الشعر الشعبي⁽¹⁾، حيث خلد الشعراء البطولات والتضحيات الجسيمة المبذولة في التصدي لقوات الاحتلال ونفوذه في بيحان. وقد أشاد الشاعر عبدالله الكدادي⁽²⁾ بالموقف الصلب للشيخ علوي أحمد المصعبي الذي قُتل فيما بعد على يد الضابط السياسي الإنجليزي المستر ديفي، يقول باكدادة:

وجا بيحان طاهش كل حَبْتًا وشيخ المصعبين أهل المَرَاتين
وكم قد طالبوا دولة هَمَلْتًا وبعد الشيخ علوي له حياتين
ولا فاع النمر قال البَلا ابتًا ترُوح الأرض في سته وستين

وبعد ما نفذت حكومة الاحتلال البريطانية تهديدها وقصفت حي عيلان والأحياء المجاورة بواسطة له بالطيران سجّل الشاعر سعيد علي سليمان صور الحادثة الإجرامية وعبر عن ضعف الحيلة لعدم تكافؤ القوة لمواجهة الطائرات (أبو سكروب)، ومما قاله:

وبعد جابوا لنا طيَّار بُو سَكْرُوب ذي لا شَمَرِ تَصُورِ آذانك سكاريه
سَانا الصميمة ولا بيداتنا تَسْبُوب ظَلًّا يَزَقْلُ علينا من مشاهيه

(1) للمزيد من التفاصيل ينظر: شعراء بيحان والمقاومات الشعبية ضد الاحتلال البريطاني، د. صالح عبدربه ناصر أبو نهار، 1995م.

(2) الشاعر عبدالله الكدادي، من مواليد بيحان سنة 1313 هجرية، في بيت علم وشعر وورع. نشأ يتيمًا من الأب وتربى على يد عمه الشيخ سالم حسين المددادي والد الشيخ العلامة محمد سالم البيحاني. كان يقول الشعر منذ الصغر تحت كنية "أبو جعبل"، له أشعار ومساجلات كثيرة، وعُرف بمواقفه وأشعاره ضد الاستعمار البريطاني.

وُدُور عيلان في وسط البلد منصوب سبعين حَبَّة رَمَتْ فِيهِ ولا شي به
تستاهلون السلامه يا نمر مَنْسُوب يا الذيب ذي للدُّخْل تَقْرُبْ معاصيه

وبغرض اخضاع بيحان لنفوذها عملت السلطات البريطانية - كما أسلفنا - على التخلص من المعارضين من الزعامات القبلية الهامة ليخلو لها الجو، ومنهم أحمد سيف الذي قُتِلَ غدرًا في مؤامرة دبرها المستر هملتون ونفذها شخص يدعى سنان، يقول الكدادي في رثائه:

قال أخوجعل الباب النَّسَم راح ضَنْجُوج والثَّقِي عاب والمتعيب أصبح تَرَنجَه
مِنْ قفا الصالحي ذي داخل البيت مَفْدُوج ابن سيف الذي صيته مَلا كل فجَّه

كما كان لقبائل بلحارث دور بارز في مقارعة الانجليز في منطقة بيحان الأسفل وقد واجهت السلطات الاستعمارية هذه المقاومة بالقوة مستخدمة سلاح الطيران، حيث دكت الطائرات الانجليزية بقنابلها المحرقة (حصن شمسان) عام 1948م واسقط المقاومون بأسلحتهم الشخصية حينها طائرة حربية. وقد لعب الشعر الشعبي دورا مزدوجا، فبعض الشعراء نظر إلى مقاومة بلحارث في وادي بيحان الأسفل نظرة عدم رضى، ومن ذلك قول أحدهم:

يا عسيلان سوق الغنايم راجع الحارثي من دُبُوره
والله اليوم ما القلب عاجب يوم شمسان دقوا ضِبُوره

فيما وقف الشاعر العريفي مؤيدا لمقاومة بلحارث في بيحان ومشيدا بأبطالها المترتبين في شمسان:

قال العريفي شُفت أنا "الثفان" والوادي المشعوب حير
يهناك ثوب العز يا شمسان ذي رتبك كَمَّن مخير

أما الشاعر أحمد ذروان الحارثي فيتحسر على عدم تكافؤ القوة ويوضح أنه لولا موقف السلطات الاستعمارية في عدن التي تتحرك بأوامر لندن وتستخدم قصف الطائرات لما وضع المقاومون أي اعتبار لقواتها البرية ولواجهها الأطفال (صبيان الفلاح) في الميدان:

لولا الحكومه لي وراء سدّة عدن والحرب من لندن وشحنة بُو جناح
 ما جيشك السيار ما منه شَجَنُ قد كان لاقيته بصبيان الفلاح
 وقد استنكر الشعراء هذا القصف البربري من قبل طائرات الاستعمار البريطاني،
 فهذا الشاعر بن رويس العولقي يقول قصيدة مؤثرة، منها قوله:

قال الفريدي بن رويس العولقي من عند هلّ بيحان قد جاني خبر
 جاني خبر مَنْكُور كلاً يَنْكُرُه أمسيت طول الليل وامسى بي سهر
 هُدُوا على الكفار أو من جابهم من كان مسلم لعنة الله من قصر
 والموت ما منه لواحد معذره قد ما سلم منه رسوله للبشر

وكان شعراء الأسرة الهبيلية من المؤيدين لنظام الحماية الاستعماري وهو أمر متوقع منهم لأن حكمهم قد تثبتت أركانه بدعم البريطانيين، وكمثال فأن مساجلات الشريف حسين بن أحمد الهبيلي مع الكدادي أبرزت مستوى الصراع بالكلمات حول القضايا المثارة بين الشعارين، فالهبيلي يؤكد رسوخ نفوذ إمارته مستنداً إلى قوة الانجليز (عيال النصارى) بما لديهم من معدات وسلاح وطيران (عيلات) يقول:

وقال ابن لشراف كلاً توطنَ يُبَا يعرف البُوك والبُوك مرطون
 وفي بطن بيحان عيلات حَطَنَ وَهُمْ يقنصوهن ولكن يُخْطُون
 يظنن دوايا بضابط وقبطن عيال النصارى بلا كل مشطون

ونستنتج أن أشراف بيحان قد اقنعوا بعض قبائل بيحان بتقبّل هذا الوضع والدفاع عنه، بل ومحاولة استفزاز جيرانهم العوالق بالتقويّ عليهم بالوجود الإنجليزي في بيحان. وهذا ما يتضح من قصيدة بعث بها الشاعر علي بن أحمد العريفي يستفز بها الشيخ امذيب بن صالح بن فريد عام 1945م يقول فيها⁽¹⁾:

يا طارشى بعطيك مكتوب شلّه لا عند ضابط فخر أهل السياسة
 هوه دي ضبط بيحان والبر كُله والحكم يجري من تحت راسه

(1) الطرف الأحرور في تاريخ مخلاف أحرور، ص 329 - 333.

سَلِّمْ على ديفي وقل له وقل له يدير فوق المحميه شرب كاسه
لا امذيب يضحك علينا ومثله كما أن العوالق يكثر الملاسه
إن با يقع للمذيب دي با يفله والأ صبرنا للكلم والكلاسه

ويأتي جواب الشيخ امذيب بن صالح بن فريد العولقي سريعاً يهاجم فيه العريفي بعنف ويعبِّره بتزويج الضابط الإنجليزي ديفي على امرأة مسلمة من بيحان، بحجة أنه أسلم، يقول:

والعريفي يباني سير في الهون مثله اترك اليوم في تاك الكلم والقواسه
قُل لَذاك العريسي قطب الله حبله دي الحصن حقه فوق تاك الهساسه
العريفي عشاء ديفي وبايستفله كل من خان في دينه فقد ضاع ساسه
خزوتك يوم حرويت شاخه وزمله قل لقاضيك هذا عقد فاسد نجاسه
ياهل بيحان هذه منكرتكم وذله قل لقاضيك يتفكر يقايس قياسه
رزق من كُفر لا شوفه ولا الله يبيله بَطْلَبُ الرزق من دي ما تجيه العياسه

ويرد العريفي بقصيدة يدافع فيها عن تزويج ديفي بعد إعلان إسلامه على إحدى بنات الأشراف ويشيد بالوجود الإنجليزي، جاء فيها:

وبا امذيب لا تستبطي البحر لا جمَد جعلك صواقع عاد ذي نبرت ثمود
ولا تذكر الصاحب وهو مثلنا عبَد أخيننا في الإسلام رغماً عن الحسود
وديفي مزوج بعد لسلام دي جَرَد ولازم علينا من دخل ديننا يسود
وهوسيدكم يا امذيب وماوي على الشَّدَد ولا ما تباه اصبر بدحقه على الكبود

أدرك الشيخ امذيب بن صالح بحسه أن القصيدة جاءت بتحريض من الشريف حسين الهبيلي ومن الضابط الإنجليزي ديفي، فشن عليهم هجوماً عنيفاً وصب عليهم جام غضبه وقال يهجوهم:

كلاب الكنيسه ساقوا الخط بالعمَد وفيه الخطأ واجد مهاري بلا فنود
وبداع هل بيحان يا الله له الشرَد كمنه فتن فتنه لقوماً وهم سدود

وساق الخطأ كلب النصارى ولا نشد
ولا هو علي طالب ولا هو هو علي حمد
قده مسخرة ديفي ولا مننا يعد
ثم يعود يهاجم الشريف هجوماً لا ذعاً، يقول:

وكلب الكنيسة يا لله ارسل له الرمد
وحزبه ومن والاه ترماه بالنكد
شعوا سيدكم ديفي وأنا ربي الصمد
ويا مسخرة كافر وقواد بن قود
وينتقد بشدة زواج ديفي من امرأة مسلمة، قائلاً:

وزوجتوا الكافر وقدتوه يا القود
وسافر بها الكافر من السوق والبلد
عليكم غضب ربي وغاره لها مهد

مقاومة مصعبين

كما كان لقبائل مصعبين في بيحان دور هام في مقاومة الانجليز، وكانت لا تعترف
بسلطة شريف بيحان فثارت ضده وضد الانجليز مع قبائل بلحارث فقام الانجليز
وضربوا تلك القبائل بالقنابل، مما اضطر قبائل مصعبين إلى النزوح إلى البيضاء
المجاورة، لا سيما بعد أن قل الدعم الذي كانوا يحصلون عليه من الشامي عامل الإمام
في البيضاء من السلاح والعتاد، الذي عقد مساومات سرية مع الانجليز، وبموجبها
طلب من القبائل بالكف عن المقاومة، وهذا ما عبر عنه شاعرهم بالزامل التالي:

يا عامل الدوله يقول المصعبي لا تأخذوا في طز لسلام الفلوس
لوما الأوامر جاتنا من عندكم قد كان هشناهم مع ضاو الشموس
ويسجل لقبائل مصعبين رفضهم عرض عامل الإمام الشامي في البيضاء بأن يمنحهم
أرضاً يقومون بزراعتها وتكون ملكاً لهم أو مرتبات تخصص لهم، مقابل الكف عن
المقاومة، وتأكيدهم له أن هدفهم ليس الحصول على المال وإنما انتزاع السلطة التي

أخذها منهم الانجليز ووضعها على رأس الغير، وهو ما عبر عنه شاعرهم بقوله:
يا قلعة البيضاء يقول المصعبي ما جيتكم مطرود من قل المعاش
ماهل لبأ الدسمال لخضر ينطوي ذي حطه الكافر على تاك القعاش
والدسمال الأخضر رمز به الشاعر إلى السلطة، والكافر مقصود به المستعمر
الانجليزي الذي وضع تلك السلطة على راس غيرهم.

مقاومة ريبز

لم يكن احتلال الانجليز لبلاد العوالت نهاية المطاف، فقد شهدت بعض مناطقها
مقاومة عنيفة للوجود الاستعماري، مثل المقاومة الباسلة في كل من حطيب والكور
وخورة وبلاد آل سليمان وغيرها ممن المناطق.

وكان لمقاومة قبائل ريبز الأبية حضورها القوي في ذاكرة الشعر الشعبي، مثلما
كان لها أثرها وصداهها الكبيرين في مسيرة النضال والتحرير والاستقلال، فقد تميزت
باستمرارها لفترة طويلة، منذ بداتها عام 1952م عندما منعت قبائل آل ريبز مرور
الامدادات العسكرية البريطانية في أرضها والمتجهة صوب مناطق بيحان، وعلى إثر
ذلك قامت القوات البريطانية عام 1953م بشن حملة عسكرية على مناطق قبائل آل ريبز
في حطيب لغرض اخضاعها وبهدف شق طريق للسيارات عبر وادي حطيب والعوادل
لاختصار الطريق من نصاب وبيحان إلى عدن، وأدى ذلك إلى اشتداد روح المقاومة
التي تحولت إلى انتفاضات قبيلة عارمة في مناطق أخرى إلى جانب ريبز والدياني في
منطقة العوادل المجاورة للعوالت⁽¹⁾. وفي أوج زخم ثورة آل ريبز ضد بريطانيا التي
تتناقلها الإذاعات، تغنى بها الشاعر امشعوي الربيذي مشيداً بها وببطولاتها وبتحديها
لقصف الطائرات، يقول:

قال أبو نعمه البارح ضربنا السلوكي والإذاعه تكلم والقلم فوق لبواك
يا حنيني حنيني من فلنطه وتوكي واصبح الصوت لاجب واصبح الجربعتاك

(1) التاريخ العسكري لليمن، ص 189. العوالت وتكوينهم السياسي الحديث، ص 156.

يا مسابل على دينك تركت الشكوكي
 مُت على ملّة الإسلام والموت يهناك
 كلما جَن من المجراد خمسه بلوكي
 رُوْحَن وانت يا البدوي مكانك بمحجك
 وأنت يا صاحب الطيار كم لك تزوكي
 لانت ماخذ حطيب المعتلي كان يمداك

واجهت بريطانيا انتفاضة آل ربيز ضد الاستعمار وتمردهم على سلطان العوالق وغيرها من الانتفاضات في مناطق أخرى بالعنف والقصف الجوي، وقد شعر آل ربيز أن مسئول قوى الأمن الداخلي في حكومة عدن المدعو فضل عبدالله يعد حملة برية لإخضاعهم بعد أن فشلت الطائرات البريطانية في تحقيق أهدافها، وقد تزل شاعر ربيز محذراً فضل عبدالله مما ينوي الإقدام عليه ومؤكداً أن موقفهم أقوى من ذي قبل، يقول زاملهم للشاعر حميد بن سريب:

يا فضل عبدالله أنا با حذرك
 با حذرك من أرضنا سُفني حذير
 لا حد يقول اليوم شي ناقص علي
 سُف عاد كُلا زاد في السوقة شبيّر طلب
 فضل عبدالله من الشاعر با سرده وهو أحد أصحابه أن يرد على زامل ربيز، فقال متوعداً:

باليّ ثن عشر يوم رُخصه منكم
 باعزّم وبا جيكم فقا العيد الكبير
 بعزّم وبا ركب ثن عشر معصره
 يا دهن صافي يُخرُج إلا بالعصير

واثن عشر معصرة يقصد بها 12 مدفعية، وقد نفذ تهديده بالفعل، فبعد عيد الضحى مباشرة تقدمت الحملة العسكرية إلى ديار ربيز وألحقت فيها دماراً وخراباً بمساندة الطائرات البريطانية.

وفي عام 1954م قام سلاح الجو البريطاني بغارات على كثير من المناطق، منها منطقة ربيز، وقد هدم فيها منزل الشيخ على معور الربيزي، وقد قوبلت تلك الغارة ببسالة نادرة وصبر ورباطة جأش فريدة، إلا أنه كان للخراب والدمار وقتل النساء والأطفال أثر كبير في نفوس المقاومين، يقول الشاعر حميد بن سريب في أحد الزوامل:

هذي السنه عند السعودى واليمن
 والثانية عند القرين المصريات
 ان با تدق الطائره بالطائره
 والأ زحفنا من صرير الحربيات

والشاعر يشكو من عدم تكافؤ القوة فالبنادق التي يملكها الثوار لا تصل إلى الطائرات المغيرة ولذلك نراه وقد سئم الجهاد بسلاحه الشخصي كما في الزامل التالي:

سلام اليوم من رأس الأسد عاد الأسد وانمارها متزامرين
يا امبارك اشهد لا ترانا في حقد شعنا احتفدنا من جهاد المشركين

ومع ذلك فقد استمرت المقاومة، وظل المقاومون صامدين بأسلحتهم البسيطة، ولكن بإرادتهم القوية، أمام جبروت القوات البريطانية، التي افترطت في استخدام القوة والقصف الجوي لمناطق ريبز في وادي حطيب فدمرت حصونهم ولم تسلم البشر ولا الحيوانات من نيران تلك القذائف التي تمطرها الطائرات البريطانية، حتى اضطروا للجوء بعائلاتهم إلى البيضاء، وبقوا يقاتلون بكل إباء وإقدام في ساحات المعركة حتى تم طرد القوات البريطانية نهائياً من وادي حطيب عام 1961م. وقد رافقت أصوات الشعراء وقصائدهم الوطنية تلك الانتفاضة التي قادها الشيخ علي بن معور الربيزي ضد الوجود البريطاني بالعديد من القصائد العابقة بروح التضحية والكفاح من أجل حرية الوطن واستقلاله، ورغم كل الحملات العسكرية البريطانية واجتياح "الرباط" في وادي حطيب، واستمرار القصف الجوي إلا أن كل ذلك لم يخضع مقاومة آل الربيزي، باعتراف المعتمد البريطاني كيندي ترافيسكس، الذي كان المحرك الأول لشئون المحميات منذ بداية الخمسينات وحتى قيام اتحاد الجنوب العربي، حيث عبر عن خيبة الأمل بقول: "يظهر أن كل شيء قد سار سيراً خاطئاً.. فسرعان ما أصبحت قوة الحرس الحكومي في الرباط مصيدة لرصاص آل ريبز". وعلى عكس ما كان يتصور الانجليز فأن مقاومة آل ريبز والدماني استمرت مدة طويلة، وكانت أخبارها تُذاع أولاً بأول من محطة "صوت العرب" في القاهرة واعتبرتها حرب تحرير وطنية⁽¹⁾.

ورغم عدم تكافؤ القوة إلا أن الثوار تمكنوا من اسقاط عدد من الطائرات أثناء قصفها للمناطق بأسلحتهم الشخصية، وحينها ابتهجت الأنفس وقال شاعر شعبي من أبناء ريبز متهمكماً:

(1) التاريخ العسكري لليمن، ص 189.

يا طائره عَلِيّ بجنحانش من قوم مَعُوَزَ لا يصيونش
با يذلحونش في خلا خالي ما حد تخاتر با يداوونش

وحتى في يوم زيارة الملكة اليزابت إلى عدن في 27 ابريل 1954 تعمد سلاح الجو البريطاني قصف منطقة حطيب في كور العوالق وقتلت خلال القصف امرأة عجوز، وقال الشاعر بن قدرية العبودي متوعداً بالثار لهذه الشهيدة:

بنت الملك سوّوا لها مَحْفَلٌ واخْنا لبا محفل لجدتنا
بَلْقِي بها عَشْرَه مِنْ العسكر أوصى بها مَعُوَر بدمتنا

وكان لمنطقة البيضاء وقبائلها الشجاعة دور لا ينسى في مقاومة الانجليز وفي تقديم الدعم والمساندة لثوار الجنوب واحتضان من تعرض للتشريد منهم طوال مراحل النضال. فعند وصول مجموعة من قبائل آل رُبَيْز يتقدمهم الشيخ علي بن معور الربيزي وابنه سالم إلى البيضاء في أعقاب إحدى المعارك مع الانجليز استقبلهم نائب الإمام في البيضاء النقيب صالح بن ناجي الرويشان وطلب منهم علم وخبر فانبرى الشاعر ابن قدرية وقال:

جابت بريطاني ثن عشر طايره ترمي عَلِيّ سالم علي بأس العُوَل
ظلاً لها عاكور في جو السماء ساعة سواء ترمي وساعه في شَوَل
يا نائب البيضاء عليك التاليه ما يقرع الدوله سوى رمي الدول
دُقُوا في البرقيه واخْكُوا للملك لاشي معه قوّه قويه للعمل
ما اُخْنا شَعَوْ قَدْنَا في الرّبْع الخلي نلعب على صوت المشوْك والزمل
نَشْرَبْ مَشْنَجَلْ من سَرِيعات العَجَلْ ذي صاب سالم والرّبَاعَه والجَمَلْ

وفي نفس المناسبة وصف الشيخ علي معور الربيزي كثافة الغارات الجوية، وقد اختلط عليه عددها لكثرة غاراتها الوحشية ويطلب المساعدة، مؤكداً على الصبر والثبات والعودة إلى الكهوف (الأجرفة/ جمع جرف) لمواجهة الاستعمار، يقول:

اليوم قام الدّين واخْنا مسلمين وأهل السياسه والدول متداهفه
مِنْ مِئة طياره تَصْبِحْ بَدُونَا تَصْبُحْ على حَب الرّعيه تَنْسُفَه

قوموا معانا قوم الله نصركم
يا صبر عالجرات لا طال السفر
لحننا نشبنا في شجن متعطفه
والحصن با خليه وأعمد لجرفه

ظل المناضل البارز المجاهد على معور الشمسي الريزي على رأس مقاومة ربيز الباسلة، دون أن تلين له قناة أو تفل عزيمة، وحين قصفت الطائرات منزله ومنازل الثوار الأحرار لجأ إلى الكهوف، وظل على ثباته حتى استشهاده مسموماً بتدبير من الانجليز، وقد خلّد الشعراء سيرته وبطولاته. يقول الشاعر صالح عوض الحرمللي في رثائه⁽¹⁾:

قال صالح عوض سامر على حنة الطار
يوم جاني خبر واحد كما سبعة أخبار
يا غبيني على معور علي سيف لفقار
ذي يكافح بريطاني ومسلم وكفار
والرواعي تسيل اعيانها ليل ونهار
والمرازيق قد لانو وقوم آل دغار
والعبودي قبيلي ما يجي في التعذار
يحرم النوم طول الليل ما ساج عينه
من قدا (شي) قد جابو لي أخبار شينه
سدة الكور تقدم الرماة الزكينة
راعي الحصن ذي دكوا حجاره وطينه
من مكيراس لا أحور لا جبل باحقينه
وآل ديان قد راحت عليهم ربينه
دعسوها على (جنسن) وراحت ربينه

ظن الانجليز وأعاونهم أن موت الشيخ معور الريزي الذي قاد مقاومة ربيز ضد الانجليز في منطقة حطيب سيضع نهاية للمقاومة وستجرح قبائل ربيز للتصالح مع الانجليز، ولهذا الغرض جاء وفد من قبل مشايخ آل بن فريد بغرض المصالحة بين

(1) الشاعر صالح عوض الحرمللي من مواليد 1920م في منطقة جباه، قرية الحرحبية بمديرية نصاب، محافظة شبوة، عمل في الزراعة ثم التحق في الجيش (أرم بليس) ن ثم هاجر عام 1952م إلى السعودية ولم يلبث طويلاً وعاد إلى أرض الوطن وعمل في القوافل التجارية ما بين الظاهر ودثينة ومنطقة العليا. التحق في الجبهة القومية عام 1965م وناضل ضد الاستعمار البريطاني حتى الاستقلال، ثم عمل عضواً في المحكمة العرفية في مديرية نصاب لحل قضايا المواطنين، وفي عام 1972م التحق بالقوات الشعبية ثم الشرطة الشعبية حتى وفاته في مارس 1989م. من ديوان (الشاعر الشعبي الكبير صالح عوض الحرمللي. إعداد وتحقيق وتشكيل: د. صالح عبدربه أبو نهار، اللواء: أحمد مساعد حسين، مطابع التوجيه المعنوي، صنعاء).

الانجليز وقبائل ربيز، وعند اللقاء بالوفد قال الشاعر حسين مقطوب الربيزي متحدياً للاستعمار والرفض وعدم الرضوخ لمطالبه:

مرحبا اليوم ما السك محاسك مرحبا الأمر عند المجاهد
قال ذي حل في (شي لَعلا) لا لِصَالِح ولا با لِعَاهِد
وانت يا الأمر قل للنصاري كلما اتقاربت با تباعد
ذي يبا امعشر من أرض معور ما معي كان لي السواعد
بعد الترحيب بالوسيط يؤكد الشاعر الذي يسكن (شي لَعلا) عدم التصالح مع الانجليز (النصاري) وأنهم لن يسمحوا أن يعشروا أرضهم ولن يجدوا منهم إلا المقاومة (لي الساعد).

بعد استشهاد قائد المقاومة الشيخ علي معور، ازدادت معنوية المقاومين، وهو ما عبر عنه الشاعر بن جلوم حينما خاطب أحد الموالين للاستعمار البريطاني، اسمه عُمر، مؤكدا له بأن المقاومة ضد المستعمر قد تأججت، بعد استشهاد قائدها معور مسموماً، يقول:

يابَة عُمر نجم المطر نُور وانه تقول الشيخ معور مات
والعافيه تحرم على العسكر في أرضنا حتى تريب الجات
والمقصود أن قوات الاستعمار البريطاني لن تهناً أو تعيش بسلام بعد استشهاد الشيخ البطل علي معور، وكان نجله سالم علي قد واصل المقاومة، ورداً على الزامل السابق قال الشاعر سالم رويس:

لا مات مات معور جاك مية أعور في الكور لسود قد لهم رجّات
قد عاد سالم بالبلا ثور عاده ضمّد في الهيج لحجيات
وبالمثل أنشد الشاعر صالح عوض الحرملي يشيد ببطولات انتفاضة ربيز ودمان التي انتشر صيتها في كل مكان، يقول:

مدوّعه ذي يقول ان العواتق مساكين والربيزي عمّد في الكور عالي جباله
يوم جات المدافع من عدن والمكازين كلها اتشاردت والهيج قطّب جباله

قام شيطان واحتاروا جماعه شياطين مات مَعَوْر وجو من خلف معور عياله
سارت أخبارهم في الهند والسند والصين والدماني معاهم خذ من العز حاله

وبسبب القصف للطائرات البريطانية لجأ آل ربيز إلى البيضاء طلباً للدعم في ثورتهم
ضد بريطانيا لمواجهة العدوان البري والجوي، لكنهم لم يجدوا تجاوباً من ممثلي
الإمام، كما كان من قبل، فقال شاعرهم الربيزي العلقي معبراً عن خيبة أملهم ومخاطباً
حاكم البيضاء صالح بن ناجي الرويشان:

مني سلام ألفين كلاً يسمعه لابن الرويشاني ومن عنده جليس
إحنا وقفنا بين هذا هو وذا لابانت الجمعه ولا بان الخميس

وفي عام 1955م تمرد آل سليمان بقيادة آل عيدروس ضد بريطانيا، وفي إحدى
المناسبات في منطقة الكور التقى شاعر من ربيز وآخر من آل سليمان فبدأ الشاعر حيمد
بن سريب الربيزي يقول:

حيًا بكم يا ذي ولبتوا عندنا حيّت بكم عندي عيال الملعبه
انتوا نقلتوا بعد صحاح الكفرّ واخنا ذرينا ذريها من شاجبه

وفي الزامل يقول الربيزي لآل سليمان أن تمردكم حدث بعد توقيعكم وثيقة دخول
بريطانيا إلى شبوة أما نحن فتمردنا منذ البداية ولم نقبل المساومة مع المستعمر. ويرد
الشاعر علي محسن السليمانى يقول:

الله يحيي كل من حيّا بنا يا ذي عمّدتوا في شوامخ لنصبه
احنّا عمدنا في الشقوق الشرقيه بين المتارس والنيار اللاهبه

يشير السليمانى إلى أن الظروف الجغرافية هي التي ساعدت آل ربيز على
المقاومة لوقوعهم في منطقة جبلية وعرة المسالك، أما منطقة الشاعر فتقع تحت
فوهات مدافع المستعمر.

وتبع ذلك حركة آل أبوبكر بن فريد في العوالق (1960 - 1965م) وقد واجهتها
بريطانيا بالقوة وأخمدتها بعد تواطؤ من القاضي محمد عبدالله الشامي حاكم البيضاء
ومستشار الإمام الذي اتفق مع الانجليز بوقف الدعم لحركات المقاومة في الجنوب،

وأرغم سلاح الجو البريطاني آل أبوبكر بن فريد وجماعتهم النزوح إلى البيضاء. مثلهم مثل من سبقهم من آل ربيز وغيرهم. وعند وصول الثوار إلى مشارف البيضاء قال الشاعر محمد مفضل:

رَحَّبْ بكم بن ناصر الجعري والحُصْنُ ذِي حَلْيَتِ فِي أَطْبَارِهِ
قالوا لنا الطيار والعسكر تصبح بكم غاره وراء غاره
يا ريت والله من حضر معكم يأخذ من الناموس مقداره

وكان الشاعر ناجي المصعبي قد وقف إلى جانب الانجليز في حملتهم على بلاد العواتق، ويفخر بقدم النصراري من لندن، ويهدد بهم الرويشان لدوره في دعم المقاومة ضد الانجليز، فقال في زامل وجهه للشاعر سالم الفطحاني، الذي يمثل الثوار:

قولوا لسالم ويش هُوَ رَأْيِهِ ذا الفقر مِتَلَوِّي بِدَرْشُومِهِ
سالم يبا مثلي يَكُلُّ عَنبًا والله ما رزقه سوى الدَّومِهِ
جِبْنَا النصراري من بلد لندن وابن الرويشان انقطب سَوْمُهُ
ما معذره من هذه البيضاء لا ما تقع هَوْمُهُ قفا هومه

ويرد عليه الشاعر سالم الفطحاني متحدياً يقول:

الفقر با يغلب على دينه وانتوا قفا "جمسًا" وتقُدومه
بعثوا النبي بالشاهي الحالي واخْنَا كتبنا الله من قومه
ما ابن الرويشان الوعل لَرَجَبُ رَدَّ البَلا بايْدَهُ لمعلومه
والقى لكم يا حاز باحزبي لك ما ذِي تُشُوف الأرض ديدومه
من رَضِدَةُ العَرْقُوب لا الظاهر تمسي بهارُمِيان ملزومه
عاد با تجي روسيه والمصري وبا يقع دُومُ الحَشَرُ دُومُهُ

وعند تمرد الشيخ فريد بن محمد الصريمة في كور العواتق ضد بريطانيا، قال هذه الزوامل والمهاجل في مناسبات مختلفة، منها قوله في تأكيد ثباته على موقفه برفض الخضوع للاستعمار:

عامد حجار الكور لَعَلَى حَلَّيت به ما جيت طُوفه
أما محلّه تحت (جُنْسُنْ) يحرم عَلَي حُكْمَه وشَوْفَه
ويؤكد في زامل آخر أنه التجأ إلى الجبال والشعاب ولا يغمض له جفن، ومستعد
لمقاومة الانجليز (الحكومة) بالسلاح (هُدب الكراسي)، يقول:

تسليم ياساكن يهدد دي فيك كَمَنْ قرن عاصي
حَمَّا تلجئنا شعبه ما جاء في العين النعاسي
لا جاتنا الآن الحكومه معنالها هُدب الكراسي
بَحْرِبْ وِبَلْعَبْ مثل غيري لما يقع لي حكم راسي
شعراء ومواقف تجاه الاستعمار

يعتبر الشاعر ناجي أحمد المصعبي⁽¹⁾ من أبرز الشعراء الذين وقفوا بوضوح مع
المحتلين الانجليز، بل ويتباهى ويفخر أن يصفهم بأعمامه كما جاء في أكثر من قصيدة
له. كقوله في قصيدة وجهها إلى الشاعر ناصر أحمد بن لزمن في مطلع الخمسينات،
يقول فيها:

والله يا ناصر أنه قد خرب ذهني حَمَّا القبيلي يقول للديولي ها بُوَك
شعه حصل ما حصل يا العولقي انشدني ما عذر ما (أعمامي) أهل الطائره يرموك
والله علي عار عار اليوم يلزمني ما عذر لك من تظلي بالحلق مهتوك

(1) الشاعر ناجي بن احمد المصعبي، شاعر فذ، اسمه الحقيقي ناصر لكنه اشتهر باسم أخيه الكبير ناجي
الذي قتل وناصر ما زال صغيراً. ينتمي الى قبيلة المصاعبة - شبوة، قدم الى لودر في سن مبكرة من
عمره وهو في العاشرة، وتربى في كنف السلطان محمد جعل العوذلي حيث كان يعتبره كواحد من
أبنائه. كان لسان حال السلطنة العوذليه في كثير من المواقف والمنافحات الشعرية، وكان يحظى باحترام
السلطان العوذلي، وكان مطلعاً على الأمور السياسية حينذاك. له العديد من المناظرات والمراسلات
والمساجلات مع كثير من الشعراء مثل الرويشان والكداوي وبن لزمن وهي الاكثر شهرة من بين جميع
من تناظر معهم. هاجمه كثير من الأدباء والكتاب والنقاد لتأييده الواضح لنفوذ الهييلي في بيحان
وتواطؤه مع الانجليز وتأييده لاتحاد إمارات الجنوب العربي، ومع ذلك لا يخلو شعره من مواقف
وطنية وقومية.

وفي قصيدة أخرى وجهها لبن لزمن يطلب منه أن يتخلى عن مواقفه المعادية لبريطانيا، يقول:

خل الدوع والهمج يا ناصر اتحذر قع لك كما القوم ذي تصبّح طرف لثفان
لا عاد يسمع كلامك عمّنا سيجر شُف قدمعه بعض من هرجك قده فهمان

وقد حاول الشاعر ناجي المصعبي منذ وقت مبكر اقناع الشاعر ناصر أحمد بن لزمن لتغيير مواقفه المعارضة والمقاومة للاستعمار، ويرغبه باتباع نهجه بحجة أن عدم الولاء لبريطانيا يعني مزيداً من الجوع والمآسي والقصف بالطائرات، وهو ما لم يقبل به بن لزمن. يقول المصعبي في قصيدة وجهها إلى بن لزمن عام 1944م، ويقصد بالحوّاك الانجليز واستعدادهم للقُدوم لاحتلال بلاد العوالت بطائراتهم المقاتلة التي يصفها بـ (طيور الجوّ)، يقول:

ويا ناصر الحواك ظنّه يُبَا قداك سمعنا طيور الجوّ عليكم تهجّسي
أرى البحر يلطم وأنت عادك بلا خُطم وبّي بطل منك يوم عادك معنسي⁽¹⁾
فلا بد من سقطه على ناب شوحطه وتمسي معي في حلقتها والجوانسي⁽²⁾
ولا بد من تدخّل معانا في العقل ويمسي بعيرك في المراحل مغلّسي
ويا ناصر أحمد زن هرجي وقع ولد شُفك تحطّب العظيان أخضر ويابسي
أما خبر هتلر وتشرشل وحرّبهم تظلي القنابل في بلدهم تراجسي

ويرد بن لزمن معبراً عن رفضه المطلق للاحتلال وتمسكه بمواقفه الوطنية ومذهبه الإسلامي، يقول في رده:

ويا مصعبي لا انتّه غبي كيف مذهبي تبعت النبي ما بتبع الدين لمليسي
وكم هي مذاهب جمّ، تصلّي في الحرم وتشرب على زمزم، ولا تشرب الحسي
بعيري جمل يلطم، ولا انقاد بالخُطم ولا قد هرج ينظّم، برابع وخامسي

(1) عادك معنسي: يقصد أن العوالت لم تدخل بعد تحت حماية الانجليز.

(2) يؤكّد أنه لا بد من احتلال منطقة العوالت مثل غيرها.

إذا انته غرير انشد، وتلقاه مستعد
تخبر عليه البر والبحر خُذ خبر
هنا الخيل والميدان فارس لفارسي
وملقي بصر منزر يا شامخ اطلسي
وبعد أن تمكنت قوات الاحتلال من بسط سيطرتها على بلاد العوالت بالقوة وبتعاون
مع بعض أهلها، وجد المصعبي بذلك فرصته المناسبة لمهاجمة بن لزمن، يقول:

نصحن العوالت، قبل ما تصرخ المسك
وقالوا علينا عار ما كان نسمعك
وَجْتَهُمْ ثَنْعَشْرَ عَسْكَرِي تَضْرِبُ الْهَوَّكَ
خَذْتَهُمْ صَلَاةَ الظَّهْرِ وَلَا عَوْلَقِي فَتَكَ
فتحجر لهم لخدام ذي تكنس السكك
وتحجر لهم غربان سود الظنابره
ولا يدخل السركال أرض الجبابره
ولا جات دبابه ولا جات طايره
ولا واحد اشحن بندقه من معابره
وتحجر لهم غربان سود الظنابره

ويأتي الرد قوياً ضد المصعبي، إذ يعنفه بن لزمن ويذكره بأن الانجليز قد عقدوا بأمه
وأخته وخالته، أي احتلوا بلاده بيحان وبلاد العواذل التي يقيم فيها، يقول بن لزمن:

غسلتك وطهرتك ولا اقدرت أطهرك
كتبت اسمك الخنزير يسراك وايمتك
ولا اسخيت بك دُقْكَ ولا اسخيت أنعلك
وخالك قده معروف لي فقد كتبتك
قده ذي عقد بأمك واختك وخالتك
لأن جسم العيب ماشي يطهره
وجلدك ربل ذي به مواطر مشمره
وعمك شرب من شربة الخمر تسكره
فلا تشتم أهلك وانت جد المساحره
ولا أعطوك ثوب العقد لما تنشره

وفي مناسبة أخرى عام 1951م ينتقد الشاعر ناصر أحمد لزمن الذين سارعوا إلى
الترحيب بالوجود البريطاني في جزء من العوالت واعتبرهم باعوا أرضهم، الذي يرمز
إليها بأُمَّهم، ويؤكد النضال حتى كسر عصاة بريطانيا (العجوز)، يقول:

لحنا ويا السلطان في دين النبي⁽¹⁾ والمحكمه ما جاتنا مشكاتها
والله بنا مَكَّن حبال القبيله
لما عجوزك تنكسر موكاتها⁽²⁾

(1) سلطان العوالت عوض بن صالح الذي رفض الحماية في حينها.

(2) عجوزك: يقصد بها بريطانيا. موكاتها: عصاها.

ما كان بعث أمّك وهي ذي ربتك⁽¹⁾ واليوم أوفاهما الولد ترباتها
وعند انتفاضة منطقة خورة ضد قوات الاحتلال الإنجليزي عام 1956م وخروجها
بعد معركة مشهورة خاضتها قبائل منطقة خورة استشهد فيها محمد علي البارقي الذي
كان على رأس المهاجمين واستشهد معه عدد من قبيلته آل ديان. ثم عادت القوات
الإنجليزية، فقال ناجي المصعبي الذي كان مرافقا لتلك الحملة العسكرية البريطانية
في حطيب مخاطبًا ناصر أحمد بن لزيم:

يقول خو ناجي سمعنا من قدا خوره خروج
قالوا لي المركز رجع من بعد هاذك الخروج
هو صدق يا ناصر جت العسكر هَجُوجك بالهجوم
اكشف جلالك يا قصير الباع يا رَبِّح الشُّرُوج
يوم اذكرك واذكر هروجك في المتاكي واللهوج
واذكر بن البارقي وخوتك تاك لوجاه الحنوج
وجاء رد بن لزيم بعد الترحيب ومذكرا المصعبي بهروب الضابط الإنجليزي
(جرافس) جراء المقاومة ورضاصاتها (تعاشير السبوج):
يوم انت تبدع ما تجوّب هرجك الأ بالنسوج
هرجك كما الهبلا تمج الماء وهي عَوْدَه مجوج
اهرج وكلمني ونا باكلّمك لبعده تسوج
جوّب عَلَيَّ في لَوَّله ما البدع عندي لا تلوج⁽²⁾
ليلة شردهمك (جرافس) من تعاشير السبوج
وانته قفاه اقفيت وأذانك بها مثل اللجوج⁽³⁾

(1) أمّك: يقصد بها البلاد، الوطن.

(2) تسوج: تهتز. تلوج: تخالف المعتاد.

(3) جرافس: ضابط مخبرات انجليزي. تعاشير: اطلاق النيران الحية.

أهل السلب زاكي كرام امسوا يهجونك هجوج

لو تمدح الإسلام لا تمدح لي القوم الهموج⁽¹⁾

وبعد العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م أرسل بن لزنم قصيدة لناجي المصعبي يذكره بالأخبار القادمة من خور السويس التي يقول أنها لن تسره، بل ويعظم أجره ساخراً، مشيداً بمأثرة الشهيد البطل "جول جمال"، يقول فيها⁽²⁾:

كيف أنت يا ناجي قفا لخبار هذه ذي جتك أخبار من خور السويس لخبار ذي ما سرتك
قد قللك وحكيت لك وقسمت لي في كبتك خالك وعمك عظم أجرك أباك تقطع صرتك
كم ذه سنة في ثر سنة وافته تصلح لعبتك واليوم ربّي حط بك لما سمعنا رجّتك
فرجتها يا (جول) ذي علّيت في طيارتك وهبيتهم في النار وافته متّجه لا جتّك

ومع ذلك فإن المصعبي ما زال يعتقد في هيبة بريطانيا، إذ جاء رده منفعلًا بكلمات جارحة، تنم عن أن بن لزنم قد أوجعه، يقول:

يا اهبّل مغفل طول وقتك من بداية شبّتك واليوم شبيه عود والفقر انطرح في حشكتك
هذا ومن شان الدول ما نقصتها كلمتك اهر ترى الدولة عظيمة زاقره في نبعتك
ما تحسبك رجال لاهي تحسبك كان اعطتك مانا ولد ربتني الدولة ولا جيت ادّتك

وفي قصيدة رد عام 1957م يوضح بن لزنم ارتباط المصعبي بالاحتلال، يقول:

رحبت من قلبي ومن داخل عراوي لفوده باقوال شاعر ما يقول اللوم والأ المنقده
ذي رحمته داخل فوادي والكبد متعنقده لولا دخل دين النصارى واليهود المقرده
ناجي دخل في دينهم يعمل بدون المزهده واليوم شاف ان المراحل والطرق متباعده

ومن المؤيدين لنظام الحماية الاستعماري الشاعر الشريف عوض بن أحمد الهبيلي، وهو أمر معروف كونه ينتمي للإمارة الهبيلية، التي دعم قيامها الاستعمار، وهو أخ الشريف حسين الهبيلي، ويشير إلى أن نفوذ حكمهم قد تثبتت أركانه في

(1) يهجونك: يطردونك. زاكي كرام: صنف من البنادق.

(2) يقول بن لزنم، ص 129 - 131.

بيحان ويشيد بـ"تشرشل" وانتصاره مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ويعتبر ذلك تقوية لنفوذ الحماية التي تدخل في مظلتها إمارة بيحان، يقول مخاطبًا الشاعر عبدالله الكدادي:

يقول أبو فيصل احقاف السّما راطي
بين المريكان والجعفران متواطي
والروس قامت بحرب أهوال في الراطي
واليوم تشرشل خبط بقعا بمخباطي
له قصف راعد على ناوات ممطورة
حدّ يأخذونه وحد شاره ببابوره⁽¹⁾
حامي حدوده وقوم (الهرّ) مكسوره⁽²⁾
في كل مركز طرح حاكم وطابوره
من ديّن الناس با يدعي بمندوه
ماليوم ماهي بشي ضحكه ولسفاطي

أراد الهبيلي إغاضة الكدادي الذي يقف ضد التبعية للاستعمار، فجاء رد الكدادي ساخرًا وموجعًا مصورًا فيه ما ستؤول حالة الاستعمار (بعير آدم) في نهاية المطاف، يقول:

وقل لبو فيصل إن البحر غمّاطي
وان هي حبال الحرايق في تشرباطي
ناسع سنه با تقع نوشه وبرقاطي
ها يا ابن لشراف حد للشوب خيّاطي
وانها تروح الحمائل كلها افلاطي
والوقت شوفه قلب في الناس خنفوره
بين الدول عاد بعض الناس مشبوره
أمور با تنقضي في اللوح مقدوره
من قبل يصنج بعير آدم بباكوره
والمهر يصبح حسوكه تحت حافوره

كما كان الشريف حسين بن أحمد الهبيلي أيضًا شاعرًا مجيدًا، وله مع الكدادي مساجلات أبرزت مستوى الصراع بالكلمات حول القضايا المثارة بين الشعارين، فالهبيلي يؤكد رسوخ نفوذ إمارته مستندًا إلى قوة الانجليز (عيال النصارى) بما لديهم من معدات وسلاح وطيران (عيلات) يقول:

وقال ابن لشراف كلاً توطن
وفي بطن بيحان عيلات حطن
يُبّا يعرف البوك والبوك مرطون
وهُم يقنصوهن ولكن يُخطون

(1) الجعفران: الألمان.

(2) الهر: لقب هتلر

يظنن دوايا بضابط وقبطن
 عيال النصرى بلا كل مشطون
 جليسي حقيبه علينا تقفطن
 وحبل السياسة يبا شهر تعطون
 وطال المدى والمراكيب يخطن
 وعلم أهل لسواق تسبيح قيطون
 هنا يقلل الشريف من تقديرات الكدادي السياسية وأهل المدن الذين لا يجيدون
 سوى التسييح. ويرد الكدادي مؤكداً حتمية نهاية الاستعمار وزواله (نجوم الفتوحات
 نطنن)، وأن لا عيب من عبادة الله والتسييح بحمده، يقول بعد السلام:

وقل له نجوم الفتوحات نطنن
 ومن لا فهم للسياسه وفاقون
 وشف من لعصل عَص ما عاد بطن
 يهْمُون من فوق بطنه يبطون
 يقولون ذا يزبط القاع زبطن
 بضابط شبيه الدجاجة يقاطون
 ولا حد تبَدوى فَنَا بَدوى افطن
 ولسرار عندي لها قفل مشطون
 وكان الشيخ عبدالقادر بن شائع شاعرًا معروفًا من منطقة دثينة ويعمل ضابطًا سياسيًا
 مع الحكومة البريطانية في نصاب، منطقة العوالق العليا، وبحكم عمله الوظيفي كان
 يقف على الضد من موقف بن لزمن المناهض للاحتلال. وجرت بينهما مساجلات
 عديدة، ففي قصيدة أرسلها عبدالقادر بن شائع عام 1959م إلى الشاعر أحمد ناصر
 لزمن ينصح بالعدول عن مناهضة الانجليز وأن يطلب العفو منهم عن طريق الشاعر
 ناجي المصعبي، يقول:

ما تبا أمحكمه ذي ست عساكر ونواب
 يمسي الزام عندك يندرج بالزريه⁽¹⁾
 خل ناجي يدور لك بصر لا انت مهتاب
 يطلب العفو لك والجيد حد يهتري به
 ذه نصيحه لصاحب جات ماهي من أجناب
 والمرض ما يزنه غير من هو طبيه
 بعد ذا ما معي لك غير مشبك ومحنا
 ما معك بكل للفره ورجلك عطيه⁽²⁾
 حمل البدء تهديد ووعد إذا لم يستجب بن لزمن للنصيحة، لكن بن لزمن صاحب
 موقف لا يخشى التهديد والوعيد ولا تغره المصالح، فها هو يرد الصاع صاعين،

(1) المحكمة: إشارة إلى مركز الحكومة. ست: فعلت.

(2) بكل: مقدرة أو استطاعة.

يقول في جوابه:

قال أبو صالح ابن ابنه سرا فوج شلاب
 خُص لي من جرافس ذي سحبتوه سحباب
 يوم سرى الشتر ناجي لرباط لذياب
 وانت عادك هنا في انصاب منوي ترتاب
 وأمكم يوم كانت في عدن بالتحجاب

فوج با يقهر الضباط هزت شليه
 ليلة امعين سرى والمواتر لهيبه⁽¹⁾
 شردوا مقطبه والموتر الصوا لهيبه⁽²⁾
 شل عُمرك وشل الطار ووزعك بذى به⁽³⁾
 بطروها الدلا عيس الجمال المنيه

ويرسل بن شائع قصيدة أخرى لا تخلو من التهديد، يقول مخاطباً بن لزيم:

قل لناصر سلامي يكمله هو ولضفور
 قل له الجيب فوقه طار والحصن مزقور
 والحكومہ بنيناها على خمسه اظبور
 با لسي للحكومہ عندكم مسجد النور
 وفي رده يؤكد بن لزيم مواقفه الثابتة وعدم رضوخه للتهديدات، بل ويرد الصاع

واسأله كيف حاله ظن ما قد درى بي
 واللبن لك مصرف والعسل والشرابي⁽⁴⁾
 والقيود الكبيره شيبت كل شابي
 با تصلي معي من حيث صلوا صحابي

صاعين، ويقول لابن شائع بأنك ستسلم وتصلي وتتوب على يدي:

مرحبا قول بن شايح معه سحر مسحور
 والله ان طعمك طعم الصبر ذاك مصرور
 ناب لا ينكسر رأسه ولا هوه مفدور
 وانت تشرب مع اعمامك على خمر مخمور
 لو معك ألف دبابه وميتين بابور

زافر السحر يسحر به قرون الصلابي
 كل ليله ونا باديك صقعه بنابي
 بنك اسلم على كفي وصلّى وتابي
 قال لك ناجي أنك ترتكز في حلابي
 ما افزعني ونا ماشي عطل من جنابي

(1) جرافس: ضابط انجليزي. امعين: منطقة في ايبين. المواتر: السيارات. لهيبة: مشتعلة.

(2) الشتر: الحبال. ناجي: الشاعر ناجي المصعبي. لذياب: الذئاب، ويرمز بها إلى الثوار.

(3) ترتاب: تمرکز. وزعك: أدواتك. الطار: جهاز اللاسلكي. بذى به: بالكامل.

(4) الجيب: اسم سيارة. الطار: جهاز اللاسلكي.

المبحث الثالث: الموقف من اتحاد الجنوب العربي والثورة المسلحة

اختلفت المواقف وتباينت من قيام اتحاد إمارات الجنوب العربي عام 1959م الذي تبنت قيامه الإدارة البريطانية في عدن بعد اشتداد الانتفاضات القبلية في معظم مناطق المحميات، مما أضعفت السلطات الهشة للحكام المحليين فوجد هؤلاء في مشروع الاتحاد خياراً أفضل لوقف تلك التهديدات والمخاطر. وبالمقابل لم ترحب قوى وأطراف أخرى، مثل الحكام الذين خلعتهم بريطانيا لموقفهم المعارض لسياستها ولمشروع الاتحاد، منهم السلطان علي عبدالكريم، والأمير محمد بن عيدروس العفيفي، والشيخ محمد أبو بكر بن فريد، وزعماء الانتفاضات والتمردات القبلية وقوى وأحزاب عديدة⁽¹⁾.

وتباينت كذلك مواقف الشعراء، فقد قوبل الاتحاد بتأييد ومباركة من بعض الشعراء ومعارضة ومعاداة من آخرين. ومن المؤيدين الشاعر الشعبي ناصر عبدربه مكرش (أبو حمحة) وهو ما عبر عنه في زامله التالي:

با قُول يا السَّبْع الحجار الواقعه كُوني حَجْرُ كُوني برأي الله حَجْرُ
يا الحَيْد لَخَضْرُ ذي به الماء والشجر ذي ما يعوّل شي على كُثْر النَّجْرُ

ويقصد الشاعر بالسبع الحجار الواقعة الإمارات والسلطنات السبع التي تكون منها الاتحاد عند إعلانه. وقد أنبرى للرد عليه الشاعر محمد سالم الدماني مؤكداً أن الشعب مصمم على نيل حريته ويرفض مشروع الاتحاد ويرى فيه ذريعة لتدخلات خارجية، يقول:

الشعب صمّم قال يشتي الحريه لا يشتي السبعه ولا منهم نفر
لا اتبَيِّح المَحَجْرُ لرعيان البقر رُوسِيه با تدخّل وكوبا والمَجْرُ

ويتدخل الشاعر ناصر أحمد بن لزوم مؤيداً الدماني، ويرى أن هذا الاتحاد صنيعه بريطانيا التي يرمز إليها بـ"العجوز" وأنهم لا يزالون "تحت طربوشها، أو قبعتها" أي تحت أمرتها، يقول:

(1) اتحاد الجنوب العربي، د.محمود علي محسن السالمي، دار الوفاق - عدن، ط1، 2010م،

سَبَّعَهُ عُوَيْلُهُ دَخَلُوهُمْ مدرسه
 إن فاز واحد وإن فازوا كُلُّهُمْ
 والعالَم اللهُ أَيُّهُمْ ذِي با يفوز
 قد عادهم من تحت طربوش العجوز
 وعلى النقيض من ذلك وقف الشاعر ناجي المصعبي مؤيدا المساعي لإعلان
 حكومة اتحاد الجنوب العربي ورأى فيه توحيداً للرأي والمشورة:

جِدُّوا فِي الوحدِه وَلمُّوا شوركم
 العولقي والعوذلي واليافعي
 خطوة سعيده عامره بالانتخاب
 والنائب أحمد وأهل بيحان القصاب
 اتعاضدوا واتماسكوا لفخر بكم
 الاتحاد الناس تحسب له حساب
 ما ضَرَّ واحد ضَرَّ لآخر منكم
 واحنا معاكم في المدينه والشعاب
 وما أن سمع الشاعر سالم عبدالله رويس من الاذاعة ما قاله ناجي المصعبي وكان
 من المعارضين لقيام هذا الاتحاد فقال له معقبا:

يقول أبو خالد سمعت المصعبي
 يشكر لوحده سؤسوها في عدن
 ناجي تكلم بالاذاعه بالخطاب
 يدعو للاستعمار ينجح لنتخاب
 والناس ذى قلت انت شُف ما وافقت
 يا ذى تهنينهم بوحدِه زائفه
 ولا رضي لورد ويشبم والقصاب
 ما قل عقلك ذى تلفي للسحاب
 نكون من تحته خطأ والأ صواب
 تدعي (لوليم لوس) ذى يحكم عدن
 ويشير رويس إلى أن السلاطين المؤيدين للاتحاد لا يملكون حريتهم وليس لهم
 كلمة إلا بموافقة لندن، بل ويتهمهم ببيع البلاد، فيقول:

ماشى لهم كلمه سوى لا وافقت
 الستة (العقال) شفهم صححوا
 (لندن) وجاهم من قدا (عمك) كتاب
 باعوا بلدنا يا عذابك بالعذاب
 يا ناجي أحمد والنبي ما سد باب
 ويشير الشاعر سالم عبدالله رويس إلى الصراع المحتدم بين الشاعر المخضرم ناصر
 أحمد بن لزنم وبين المصعبي حول هذه القضية، مبشراً بالثورة ورحيل الاستعمار، يقول:
 مالىوم با وصي على ناصر حمد
 يكتب على ناجي عزاء في الانتخاب

يعظم أجره في الجماعه كلهم
قولوا للاستعمار يترك أرضنا
ذي سوسوا مبني على (جشوة) خراب
هو واتحاده حان وقت الانسحاب
وان حد زعل يرمي برأسه في التراب
وقد صدق هاجسه، فقد اندلعت الثورة وترك الاستعمار أرضنا بعد أربع سنوات
من الكفاح.

وبالمثل يشكك الشاعر عبدالله الكدادي ببقاء الاتحاد، بل ويبشر باقتراب نهايته
بالتفاف الحبل حول مؤسسيه، كما يقول:

يقول يقول أخو جعبل إن الشن ما يروي
هذا ونأ قبل ليله لوله منوي
لا اتلاحق الورد فوق الماء من اللهته⁽¹⁾
حمّل على العيس بعض احمالها الجزله
لما سمعت اتحاد الدوله المروي
يؤمن شور المكيراسي مع امسروي
والعالم الله بهذا الشور يستقوي
وقد تحققت نبوءة الكدادي فلم يصمد ذلك الاتحاد طويلاً وأصبح في خبر كان
عشية الاستقلال الوطني 30 نوفمبر 1967م.

صدى الثورة المسلحة في الشعر الشعبي

عند انطلاقة الثورة المسلحة في 14 أكتوبر 1963، قال الشاعر رويس مذكراً بتنبؤه
عن قرب زوال الاتحاد وتأييده للكفاح المسلح ضد الاستعمار:

يقول أبو خالد أحمد، دكت صروح الاتحاد
كانت مطيه بيد لستعمار سهلة لنقياد
وثاروا الثوار في أكتوبر وهبوا للجهاد
وكان الكدادي قد جاهر مبكراً بالدعوة للثورة ضد الاستعمار، كما في قوله:
يقول خوجعبل لقيت العز في ظل السلاح
العز يهّل العز إن الدّل ما فيه اصطلاح
وتقوّضت كل الدعائم ذي بنوها بالفساد
ماقال، قالوا هو حتى عمّت الفوضى البلاد
نادى جبل رد فان للتحرير في آخر جماد

(1) الشن: إناء من الجلد لحفظ ماء الشرب. الورد: من ورود الماء

ومن الشعراء الذين عُرفوا بمواقفهم الوطنية ضد الاستعمار البريطاني الشاعر عوض صالح الحرمللي فعند زيارة الضابط السياسي البريطاني إلى قرية (المصينة) عام 1964م قال:

حيا الله الليله بضابط حَدَّنَا ذي يخرج اتلام العَوَج فيها سُموح
لا حد يفزعني ولا شي بي فزع ما زال صوت القاهره يمسي ينوح
يؤكد الشاعر أنه لا يخاف طالما ظل صوت القاهرة مرتفعاً، في إشارة للدعم الذي تقدمه مصر عبدالناصر للثورة، ويقول في نفس المعنى:

ما زال ابو خالد معانا في اليمن لا قول شي واطي ولا شي عاليه
ما عذر من ليله تَلِمَ اطرافها لَمَّا يَنْذِرُونَ الصَّبْر في الحالیه
وله أيضاً مفتخراً بقومه ومسقط رأسه، وأن قوة المستعمر لم تتفوق إلا بالسلاح من المدافع والأسلحة الآلية المتحركة (المكين):

وانا سلامي رَشَّ يا راس الحنش يا ذي تصفون القذا من كل عين
وَحنا عمدنا في بلاد المحجري ملاً خذونا بالمدافع والمكين
وفي لقاء جمع الشاعر مساعد بن حسين بن حيدرہ بالشاعر عوض صالح الحرمللي وجه إليه الزامل التالي مشيداً بجيش الليوي، الذي يصفه بـ (جيشنا):

منِّي سلامي كل واحد يسمعه ما لالحلح البراق في روس الطهوب
شع جيشنا الليوي ومركزنا شَبْر ذي بردوها مغفره والا ذنوب
فرد عليه الحرمللي معاتباً إياه لفرحته بقوات المستعمر الذي يعتبرها قواته، ويؤكد له أن البلاد لن تكون إلا عربية ومرتبطة بمصر وثورتها بقوله:

بنت العرب ما با تخذ كَمَّن ذنب شُف زوجها في القاهره ملقي حروب
ما كان تفرح يوم تهتان العرب وَنته قبيلي يا حَقُوبك بالحَقُوب
ويصف الشاعر الكدادي سلطة الاحتلال بـ "عجوز إبليس" التي تسعى للسيطرة على الشرق بحجة مواجهة الشيوعية وبيذل الأموال وشراء الذمم، يقول:

يقول أخو جعبل ثر الدنيا منوي بالهبوط
 مُتَوَّيَّه عازم قفا فوز النصارى ذي سقوط
 تَبَا بلاد الشرق حيث الشيوعيه تمسي حُطُوط
 كَشْحَه عجوز إبليس ما كانت لنا فيها غبوط
 من يوم سُفَّت الحق في بيض الريالات القشُوط
 واسجال مكتوبه قفا التحرير قد فيها سخوط

وفي قصيدة للكداوي وجهها لآل الهيلي عند هروهم قبيل الاستقلال:
 يقول أخو جعبل إنِّي سُفَّت بُوْب الفلاكي مدَّت أعناقها للشرق تنوي تحوكة
 والنصارى تسوق أعمارها للهلاكي بين بدوان تعركها عليهم عروكه
 ومن الشعراء الذين عُرِفوا بعدائهم للانجليز ورفضهم التعامل معهم، الشاعر الشيخ
 امذيب بن صالح بن فريد العولقي، ومن الزوامل المتبادلة بينه وبين الشاعر ناصر
 أحمد بن لزمن، قوله:

قال الفريدي بن رويس الإسلامي
 وان حد مكذب يسألون القبيله
 ما عاصي الأ قد كسرنا مَحْمَله
 قل لأهل صالح جات بلوه عندنا
 اتَحَابروا في ذي يخارج بَلُوتِي
 أم الكباير لا فتحنا بابها
 - وقد رد عليه الشاعر ناصر أحمد بن لزمن بقوله:

حيارساله جات من بداعها
 حيا بها يا بن رويس الإسلامي
 يا امذيب سُفَّ هذه مشوره مخلفه
 انتة على مربون منفوح الشعب
 جتني ونا هذه السنه سُفَّنِي صليف
 عند المغورب ذي من الصم العطيف
 ما با أقعدك وانتة مشوره في قنيف
 وانا على ترمد وشربي من سقيف⁽¹⁾

(1) مربون وثرمد وسقيف: أودية تسقي أراضي الشعارين.

قل له شُف أخوالك ترحب بالبلا ما با تفزعهم بسوقات الهديف⁽¹⁾
 شُفنا البلا شُفنا العسر ما له ولا شُفنا شبيه الفاطمي وآل العريف
 شُفنا لِدَوْر للحواله والبلا وانت احك له لا ما عرفنا بالظريف⁽²⁾
 وأم الكباير يوم درّعها الكساء ما حد يطرها وهي طيفه بطيف

كما رحب الشاعر ناصر أحمد بن لزمن بانطلاقة ثورة 14 أكتوبر 1963م من جبال ردفان، وبعث قصيدة إلى الشاعر عبدالقادر بن شايح الذي كان يؤدي مهمه كضابط ضمن قوات السلطة الاستعمارية، في ردفان يشيد فيها بطولات الثوار ويعبر عن اعجابه بالمناضلة الشجاعة "دُعره"⁽³⁾ التي قاومت الاستعمار جنباً إلى جنب مع رفاقها المناضلين ويصفها بـ (طُهش الطهاش) معبراً عن إعجابه بها ويتمنى أن يراها، يقول في قصيدته:

قل كيف حال الشيخ من هدّات رميان الدهاش

نهار في ردفان لا قوكم لكسّار المشاش⁽⁴⁾

حنّوا كراسيها بدم أحمر مسوّينه نقاش

حنّوا كراسيها وهدّوا بالمدافع والطماش

نهار غنّت واحجرت "دُعره" ودفّوها بشاش

والله يا "دُعره" فلا اعجبني في الدنيا كماش

(1) سوقات الهديف: كلام كثير بغرض التهديد.

(2) الظريف: الرسول.

(3) ولدت عام 1928م بمنطقة شعب الديوان في ردفان. واسمها الحقيقي مريم بنت سعيد ثابت لعضب، (دُعره) هو الاسم الحركي الذي اشتهرت به. وهي أشهر نائبة جنوبية مقاتلة ضد الاحتلال البريطاني ومن رعييل مناضلي ثورة 14 أكتوبر الأبطال. وقد حظيت بمقابلة الزعيم العربي الرئيس جمال عبدالناصر، الذي سعد بمقابلتها وكرمها ومنحها رتبة ملازم أول، توفيت المناضلة دُعره في 15 أغسطس عام 2002م إثر مرض عضال في منزلها بمدينة الشعب في عدن، ودفنت في مقبرة الحمراء بالجدعاء بردفان.

(4) كسار المشاش: كسار الرؤوس في الحرب.

شَلَّيتي الجوده وْبُنْدُق زين يرمي من رماش
الله يا "دُعره" يطوّل لش في الدنيا حُطاش
تبطين في الدنيا ونا مشتاق لش عيني تراش
باشُوف وش ذه ذي خلق ربّي كما طهش الطهاش
قد خير ليّه تطردين الشيخ من يطرد قفاش
يا الشيخ جَنَّد لك وترّك في البنادق والنماش⁽¹⁾
يا ذي تربين العويله زيّدي فيهم رباش
ربّي كما ضوع القطيبي ذي يحبون العناش
على ذلوق أحمر محبّر يلعبون إلّا قماش
وبنتهم تلعب معاهم يا وليده وبن أباش
أبوي ردفان الجبل واخواني اذياب الخراش
وانعم جبل ردفان وأهله واتني الله ذي هداش
مَنّتي عlish المسك لَصْلبي لا قطع بش من رجاش
يا بير ردفان الطويله ذي سفحتي من جُبّاش

وفي قصيدة جواب أخرى عام 1965م يحذر بن لزمن الشاعر عبدالقادر بن شايح من الاستمرار في صف قوات الاحتلال (صف الكفر)، ويذكره باقتراب يوم الاستقلال بدعم الزعيم جمال عبدالناصر، يقول له واصفا إيّاه بـ"شيخ المدارة"، والمدارة هي قرية بن شايح:

ابطيت يا شيخ المداره حَدرْكَ
عادك تبالندن تبالك مرتبه
ما طعت تسلم قِيم في صف الكَفْر
واليوم قام الحق ماشي معذره
وادحق قفا جدك ودور للعشر
صوت الجنوب اشتاع من بندر عدن
لا سوق صنعاء ذي لها صيت اشتهر
قلت الحذر ثم الحذر ثم الحذر

(1) الشيخ: يقصد عبدالقادر بن شايح الذي ينتمي إلى قبيلة آل الشيخ.

شُفه طلع صوت العروبه كلها من مصر ذي ربي جمال المنتصر
اليوم جا استقلال في دين العرب من لحج لا سيئون يعلم من حضر
نحن صبرنا يوم غثيتوا بنا واليوم ربي با يعوض من صبر

وفي عام 1966م، يعاتب بن لزمن الشاعر عبدالقادر بن شايح على بقائه ضمن قوات الاحتلال التي بدأت تنهار أمام ضربات الثوار، يقول له:

حجّت الناس وانه ليش ما قط حجّيت كان زرت النبي لزهر برجلك فديته
ميه فدوّه على قبر النبي يوم قرّيت وانت جالس على حق النصارى كليته

وعند تحرير مناطق الجنوب عام 1967م الواحدة بعد الأخرى أرسل الشاعر ناصر أحمد بن لزمن قصيدة للشاعر عبدالقادر بن شايح إلى مسقط رأسه في مودية حيث كان سجيناً من قبل الثوار يذكره بتغير الأحوال، ويشيد بالجبهة القومية، طالباً أن تقرأ قصيدته أمام الملا، يقول:

ودّها ليد بن شايح شُفه شيخ مجنون خلّوا الشيخ يتسمّع وتبصر عيونه
واقرأوا الخط وسط السوق والناس يوحون يوم هو كان في شغل الكفر يطعمونه
قلت يا الشيخ جمّد لك شفك شيخ مجنون قام ليّيه يبا الهدهه وركّز عيونه
ساق ربي حجر درما على أهل البليتون جات من مصر من بو خالد الله يصونه
دام ظله على روس العرب يستظلون هو ولسلام ذي عان العرب بالمعونه
عاشت القوميه قولوا معيه يعيشون من لقيوه في غير الطرق يلطمونه
قالوا الشيخ في موديه محبوس مرصون حيث حبس عيال القبيله يحبسونه
جات قوميه لما عقّلت كل مجنون من ركز رأسه القوا له شتر يخطمونه
من عدن لا دثينه لا المكلا وسيئون لا بلاد العوالق من سقط يعقلونه
قلت للشيخ ما با الناس بالشيخ يدرون شلوا العز والناموس ذي يشترونه
كان يا الشيخ وامثالك على ايدي تتوبون تسلموا تطلبون الله تستغفرونه

ختاماً

تبين لنا أهمية الشعر الشعبي كمصدر تاريخي في توثيق وتدوين الكثير من الأحداث التي عايشها الشعراء وأزخوها لها بقصائدهم، مستلهمين الأحداث التاريخية بطواهرها وأبطالها ووقائعها التي عكسوها في أشعارهم وحددت مواقفهم من الاستعمار البريطاني في شبووة في جميع مراحل العلاقة مع السلطات الاستعمارية منذ بداياتها الأولية، مروراً باتفاقيات الحماية ووصولاً لاتفاقيات الاستشارة ودخول القوات الاستعمارية إلى مناطق شبووة، وبروز المقاومة الشعبية التي اندلعت في أكثر من مكان، وقد تغنى الشعراء ببطولات المقاومة الشعبية ورموزها العظام أمثال الشيخ علي سالم معور الربيزي، وبصمود وتضحيات القبائل التي تعرضت مساكنها للقصف الجوي ولم يؤثر ذلك في صلابة موقفها ضد الاستعمار.

ورغم انقسام الشعراء في مواقفهم إزاء الاستعمار البريطاني، بين مؤيد أو محايد أو معارض ومقاوم، وتتبعنا لتلك الأشعار والمواقف، إلا إننا خلصنا إلى غلبة كفة المواقف الراضية والمقاومة التي أسهمت بأشعارها في إذكاء الروح الوطنية وظهور الانتفاضات الشعبية التي تزامنت مع نمو الوعي القومي التحرري بتأثير الثورة المصرية وزعيمها جمال عبدالناصر والتي أفضت مضاجع الاستعمار، ولهذا استأثر الشعر الراض والمقاوم للاستعمار على النصيب الأكبر من الإشارات والشواهد الشعرية، وهو ما يعكس الوعي الجمعي الراض والمقاوم للاستعمار.

وقد سعينا جهدنا بما أتيتح لنا من مصادر ومراجع إلى إبراز دور الشعراء الشعبيين في المواقف المختلفة من الاحتلال البريطاني من خلال نماذج من أشعارهم، غطت المساحة الواسعة لمحافظة شبووة وبعض محيطها وكذا البعد الزمني الذي شهد تدرج العلاقة مع السلطات الاستعمارية من علاقات الصداقة إلى الحماية ثم الاستشارة وحتى دخول قواته بما رافقها من أحداث ورفض وانتفاضات تتبعها الباحث في مختلف المصادر والمراجع. ويكاد هذا البحث الأول من نوعه الذي يتعرض لهذا

الجانب بقدر كافٍ من النماذج والدراسة والتحليل . ولا أدعي أنني قد وقفت على كل صغيرة وكبيرة من الإنتاج الشعري الشعبي ذي الصلة بالاستعمار البريطاني في عموم مناطق شبوة، ويكفي أنني جمعت في هذا البحث مادة مناسبة، ويمكن توسيعه مستقبلاً وإصداره في كتاب توثيقي لجزء من تاريخنا الوطني.

المصادر والمراجع:

1. اتحاد الجنوب العربي، د.محمود علي محسن السالمي، دار الوفاق - عدن، ط1، 2010م.
2. أرضنا الطيبة هذا الجنوب، عبدالرحمن جرجرة، دار الكتب - بيروت، 1966م.
3. الأغنية الوطنية في اليمن، أحمد سيف ثابت، تقديم: خالد بن محمد القاسمي، دار الثقافة العربية - الشارقة، 1988م.
4. الإمارات اليمنية الجنوبية (1937 - 1947م)، دار الباحث، بيروت، ط1، 1989م.
5. الإمارة الهليلية الهاشمية في بيحان بجنوبي اليمن - دراسة تاريخية سياسية (1934 - 1967م)، رسالة ماجستير، مهدي راشد سعيد القباص، المشرف العلمي: د.نصر سالم هادي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن، 1423هـ/ 2007م.
6. التاريخ العسكري لليمن، سلطان ناجي.
7. التطورات السياسية في منطقة أبين اليمنية (191937 - 1967): لبيد حسين محمد الجابري، رسالة دكتوراة، جامعة أسيوط 2014م.
8. تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة، د.محمد عيسى صالحية، دار الحدائث - بيروت، ط2، 1985م.
9. الجبهة القومية في الكفاح من أجل استقلال اليمن الجنوبية - الديمقراطية الوطنية، فيتالي ناؤمكين، دار التقدم - موسكو، 1984م.
10. الزامل في الحرب والمناسبات، صالح أحمد ناصر الحارثي مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1990م.
11. السياسة الاستعمارية في جنوب اليمن، ترجمة: عمر الجاوي، مطابع مؤسسة 14 أكتوبر، عدن، 1978م.
12. سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، د.جاد طه، دار الفكر العربي - القاهرة، 1969م.
13. الشاعر الشعبي الكبير صالح عوض الحرمللي، إعداد وتحقيق وتشكيل: د.صالح عبدربه أبو نهار، اللواء: أحمد مساعد حسين، مطابع التوجيه المعنوي، صنعاء.

14. شعراء ييحان والمقاومة الشعبية ضد الاحتلال البريطاني، د. صالح عبدربه ناصر أبو نهار، 1995م.
15. الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور، السيد أبو بكر العدني بن علي أبو بكر المشهور، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان، 2007م.
16. عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، د. فاروق عثمان إباضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.
17. العلاقات الواحدة البريطانية 1934 - 1967م "سالم ناصر لجدع، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة عدن.
18. العوالق وتكوينهم السياسي الحديث. خالد عبدالله طوحد. دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2006م.
19. فنون الأدب الشعبي في اليمن، عبدالله البردوني، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1998م.
20. فنون الزامل والمهيد في اليمن، محمد سالم الحداد، مطابع مؤسسة الثورة، صنعاء، 1998م.
21. ما جادت به الأزمان من أخبار مدينة حبان، السيد محمد عبدالله الحوت المحضار، مطابع التوجيه، صنعاء، ط2، 2008م.
22. المستشرقون وآثار اليمن، محمد عبدالقادر بافقيه، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1988م.
23. المنطقة الوسطى - دثينة 1918 - 1967م، لبيد حسين الجابري (رسالة ماجستير)، المشرف العلمي: د. أسماء ريمي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن.
24. هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار، حسين بن محمد الهدار.
25. هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، أحمد فضل بن علي محسن العبدلي، دار العودة بيروت الطبعة الثانية 1980م
26. الهواجس.. نفحات من الشعر الشعبي في شبوة وأبين، جمعها وأعدّها: أحمد علي خشاع الطوسلي (الجزء الأول والثاني).

27. وثائق المؤتمر الأول للأدب والتراث الشعبي بالمحافظة الرابعة (شبوّة)، مطابع مؤسسة 14 أكتوبر، عدن، 1974م
28. وثائق للتاريخ عبدالله عبدالرحمن السقاف، صنعاء، ط2، 2004م.
29. وثائق يمنية - الجنوب اليمني، عبدالله أحمد الثور، مطبعة المدني - القاهرة، ط1، 1986م.
30. (يقول بن لززم) مساجلات - قصائد - زوامل، جمعها وأعدّها وقدم لها: صالح محمد أحمد بن لززم، صنعاء، 1991م.

المظاهر الاجتماعية في الشعر الشعبي في شبوة مساجلات السيد وباسردة أنموذجاً

الملخص:

البحث محاولة لقراءة المظاهر الاجتماعية في شبوة من خلال ذاكرة مساجلات السيد محسن البغدادي، وصنوة محمد صالح باسردة، وقد جاء استعمال المناحي الاجتماعية في شعرهما استعمالاً فنياً، واستفاد البحث منه لمعرفة الأحوال الاجتماعية والمعيشية.



أ.مشارك. د. سعيد محمود بايونس
كلية التربية/ جامعة أبين

كل الشواهد الشعرية في البحث تمثل المساجلات المدونة لدينا وإن استشهدنا بيت واحد لأحد

الشاعرين. وفصل النصوص عن سياقها السياسي كان أمراً صعباً لتسلط هذا البعد على جسد النصوص جميعها. والبحث على يقين أن أبناء شبوة هم أكثر الناس قدرة على تقديم هذه المساجلات، ولكن حيناً لهذا التراث الثمين دفعنا لمحاولة سبر أغواره.

ندعو الله التوفيق والسداد وإن يكون هذا البحث المتواضع لبنة في بناء شامخ لهذا التراث الذي يستحق الدراسة.

المقدمة:

يمثل شعر السيد وباسردة المدة الزمنية التي تمتد من الأربعينات؛ لأن "أول لقاء جرى بينهما قد حدث في مدينة عدن في حوالي الأربعينات من القرن الماضي وإن المناسبة التي

جمعتهما هناك كانت حفل زواج شعبي كبير أقامه آل بانجوة في عدن⁽¹⁾. واستمرت حتى استشهاده بأسرته، الذي "حدث في أواخر شهر سبتمبر من العام 1973م"⁽²⁾. وقد قام الباحث بدر بامحرز بدراسة البعد السياسي في مساجلاتهما. فإن كانت مساجلاتهما "خير تعبير عن تلك المرحلة التاريخية وعن البعد السياسي"⁽³⁾، فإنها كذلك خير شاهد على سياقات تاريخية واجتماعية واقتصادية وثقافية، "في منطقة جغرافية تقع جنوب محافظة شبوة وإدارياً كانت تسمى سابقاً منطقة الواحدي لانضوائها تحت لواء السلطنة الواحدية"⁽⁴⁾.

تقسيم البحث: قسم البحث إلى المظاهر الآتية:

المظهر الأول: المجتمع (التكوينات الاجتماعية).

المظهر الثاني: الإنسان (الفعاليات الاجتماعية).

المظهر الثالث: الماديات (الكماليات الاجتماعية).

المظهر الرابع: الروحيات (المظاهر الاجتماعية للحياة الروحية).

البحث:

المظهر الأول: المجتمع (التكوينات الاجتماعية):

رسخ في الوعي الجمعي الفارق الحضاري بين التمدن والبداءة، وأما البداءة حياة بسيطة مبنية على الترحال، في حين التمدن مبني على الاستقرار، ورفاهية العيش وتعقيداته. ولهذا تجلي المساجلات ملامح المجتمع في المدة المحددة، تتمثل في الطبقات المكونة للمجتمع، والعلاقات السائدة، والتشريعات التي كانت تحكم المجتمع، يقول السيد:

(1) البعد السياسي في الشعر العامي اليمني، قراءات أولية في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ط2، 2010م، ص (69).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (70).

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (13).

(4) الشاعران السيد البغدادي وباسردة شعرهما وتوجهاتهما السياسية، أحمد بو صالح، أبين الثقافية، العدد الثاني، سبتمبر 2019م، ص (37).

يقول بن هاشم الشاعر بدوي من الحيد واتمدن

لا باس لا باس يا بدوي يهرج ولا يندر الزله⁽¹⁾

أولاً: الطبقات:

يتكون المجتمع - كما تقرره المساجلات - من فئات اجتماعية لكل منها مهامه التي يقوم بها لتكامل المجتمع، نجد في المساجلات:

السادة:

تحدد مكانة السادة الاجتماعية على "أساس وظائفهم الدينية والتنويرية"⁽²⁾، فكانت طبقة السادة حصناً وملاذاً لحماية المستضعفين ولإنصاف المظلومين، وعقد السلم الاجتماعي بين المتحاربين والمتخاصمين، يقول بأسرده:

انته عليك السيد تزقر حدته واحنا علينا ما خفي تسنيده⁽³⁾

الشيوخ:

لفظة الشيوخ في المجتمع الشبواني لها دلالتان: الأولى؛ تنصرف للشيخ صاحب السلطة الدينية وصاحب المكانة العالية في المجتمع لاعتماده على وظيفة التعليم والإصلاح كالسادة، إلا أنهم يأتون "في المرتبة التالية للسادة العلويين، وعرفوا بالتفقه في الدين والتصوف"⁽⁴⁾ يقول بأسرده:

انا ناصحت بن هاشم كأنه أب رباني وديني وعندي له قضى واسلاف
وعاده لا يبا شورى يزور الشيخ ديان⁽⁵⁾ وبعده ناس با تزقر على لطرف⁽⁶⁾

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وبأسرده، بدر بامحرز، ص (183).

(2) الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (1918م - 1945م)، د. عبدالله سعيد الجعدي، دار الوفاق، عدن، ط1، 2010م، ص (43).

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وبأسرده، بدر بامحرز، ص (265).

(4) الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، د. عبدالله الجعدي، ص (47).

(5) الشيخ ديان بامرحول شيخ من الصوفية يشرف على مزار الأربعة (لربعة في لهية، رسالة واتس من سليمان كبران تاريخ 2/ 4 /2020م.

(6) منتديات شبوة ثرة، منتدى الشعر الشعبي، الثلاثاء، 28 إبريل 2009م.

والدلالة الأخرى: تتمثل في الراعي للمجتمع الذي يمثل له الأفراد جميعهم بسبب قدرات ميزته عن الآخرين، وقيم ألتف حولها الناس (شيوخ القبائل). ونجد في المساجلة خلافاً حول أداء الشيخ:

السيد:

ما شيخنا يرحم صحابه كلهم وان شار واحد با يضيع الهاجس
هذا يبا سكين من عند الحدد لا تذبحونه بالحديد الناجس⁽¹⁾

باسردة:

جوا ناس قالوا له معد لك مشيخه حد جاه من برقه وحد من قابس
والشيخ ما يرحم صحابه كلهم لا قول لك ناجي ولا هوه دارس⁽²⁾
يكمن الخلاف في رحمة الشيخ لرعاياه يراه السيد (ما شيخنا يرحم صحابه كلهم)،
ويراه باسردة (والشيخ ما يرحم صحابه كلهم).

العبيد:

يقع العبيد في مرتبة دنيا في السلم الاجتماعي، "إلا أن لهم مكانتهم الخاصة، ولهم حق الدخول في الأوساط الراقية، وذلك لشجاعتهم الحربية"⁽³⁾. يقول باسردة:
وانته عليك البنت تسمع زوجها واحنا علينا العبد يسمع سيده⁽⁴⁾

الحجور:

تجمع بشري تنبع أصولهم من حجر حضرموت، وطنوا شبوة وأصبحوا جزءاً من التركيبة الاجتماعية، ومهمتهم فلاحة الأرض والقيام بالمهام الزراعية، وترسخت لديهم خبرات زراعية مكتنهم من التميز وحاجة الآخر لهم. يقول باسردة:

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (276).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (276).

(3) الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، د. عبدالله الجعدي، ص (53).

(4) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (265).

قلت با حزيك من رجال مهدود بيته
جيش لحجور ذي في الأرض يبلغ مراده
آدمي جيد يا محسن من الناس لجواد
يطحنون الذرة لحمر ويلقونها زاد⁽¹⁾

ثانياً: العلاقات:

تجلي المساجلات مجموعة من العلاقات الاجتماعية، التي تعمل على الترابط والتفاهم بين أفرادها:

النسابة: هي العلاقة التي تنشأ من تسمية مولود أحدهم، بشخص تربطه به علاقة طيبة، يقول السيد:

يقول المهتجس شاعر انا ناسبت بن لغظف

نسابه قال بن هاشم ولازم با يثّل العار⁽²⁾

الصدّاقة: هي أواصر تربط شخصين قائمة على الاحترام والوفاء والمحبة، وقد يكونان من بيئة اجتماعية واحدة أو من بيئات مختلفة، يقول السيد:

كلين لازم با يساعد صاحبه
بايش با تروح من عمل هل ميفعه
وبا تشوف الصدق من عندي شرق
دبابتي ذي باتشق الأرض شق⁽³⁾

الصهارة: هي العلاقة التي تتكون من الزواج:

باسردة:

صاهرت هل لعور ولا شي فكّيّه
ماهي من اليوم الصهارة بيّنّا
با دخل مع صهوري حمي والا برد
من صفة المرحوم يسلم بن حمد
السيد:

صاهرت هل لعور ولا هو شي عتب
عساك با تحضر نهار الشقيّه
ما يعجب إلا للأسد صاهر أسد
لا جيت با شاقى معد شاقى يجد⁽⁴⁾

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (204).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (194).

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (196).

(4) صفحة عبدالله باراس، الفيس بوك، تاريخ 12 يونيو 2013م.

السعف: هي العلاقة التي تنشأ من المصاحبة في رحلة ما، يقول السيد:

والا دحق سعف بن هاشم ذي ضاري العافية والشر

ويعرف الذيب بأثاره⁽¹⁾

ثالثاً: التشريعات:

النظام الاجتماعي محكوم بقانون يمثل مزيج لمصادر تشريعية متعددة، هي:

المصدر الأول: الشريعة: يقصد بها تعاليم الإسلام، وله نماذج، يقول باسردة:

الحوشبيه ما تبا الا الحوشبي لا عينها نامت ولا عينه تنام

اش من شريعه با تبطل عقدها ذا حكم من سيئون ولا من شبام⁽²⁾

المصدر الثاني: الشرع: يقصد به منظومة الأعراف التي توارثها المجتمع، يقول السيد:

من شرع أو من حق يطلب في الشقى والا وقل حط الشقى بالعيدبوس

والا اجلسوا للشرع وأنا ممثلا مسواط والساده على العصبي جلوس⁽³⁾

المصدر الثالث: القانون: يقصد به مجموعة القوانين الوضعية التي تصدرها

المنظومة السياسية:

باسردة:

هذا كلامك دي يخاطبني أنا لا قول لك جايز ولا هو مستحيل

أما من الميثاق باطل عندنا إن كين لبا تجوزونه بالصميل

السيد:

ما با تصحح لي مكانك في الغلط كيه صححوا في جم والا في قليل

أما شيمنا عاها في خذانها قفا شيمنا بارقل الدنيا رقل⁽⁴⁾

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (205).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (247).

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (273).

(4) تراثنا الشعبي، (مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 24 / 1 / 2018 م).

ونجد في المساجلات طرق لجلاء الحق:

اليمين: يقول السيد:

ما با تصدق به وهي في الغاربه⁽¹⁾ ذا حب صافي وانط من فوقه خموس⁽²⁾

الشهود: يقول باسردة:

بنت العبودي خارجه ومطلقه طلاق شرعي وقعوها يا شهود⁽³⁾

الوثائق: يقول السيد:

ما انته مجرب ما معك شي تجربه هذه سواقينا عليها شيمه⁽⁴⁾

المظهر الثاني: الإنسان (الفاعليات الاجتماعية):

يتمثل في الفعاليات الاجتماعية التي يقوم بها الإنسان، وقد اختار البحث ثلاثة منها:

العمل، والزواج، والسمره، ولكل واحدة منها أقسام، سيتم عرضها:

1 العمل: ويجليه الأقسام الآتية:

أولاً: المهام الاجتماعية:

الذوؤاد: وهو من يعمل في رعي الإبل، يقول باسردة:

عند بعض العرب يلقي من أربع نصاده

والمره صاربه والزقر في البل ذواد⁽⁵⁾

الحراث: ويسمى البتول وهو من يعمل في حراثة الأرض بالبقر، يقول باسردة:

أنا مع الحراث با الا ميزره قولوا المولى الصاع يزقر صاعه⁽⁶⁾

(1) الغاربه: موجة الماء المرتفعة من السيل، رسالة واتس من فضل حبتور تاريخ 7/ 3/ 2020م.

(2) تراثنا الشعبي، (مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 24/ 5/ 2018م.

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (261). ورواية أخرى (بنت العمودي).

(4) صفحة عبدالله باراس، الفيس بوك، تاريخ 12 يونيو 2013م.

(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (204).

(6) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (230).

الجمال: هو من يعمل على الجمال الخاصة بالنقل، يقول السيد:

لازم على الجمال يخرج دي في الحقيية

لازم يخرجها بيده ولا قطبناها قطيب⁽¹⁾

المُكْرَب: هو من يعمل على تصفية ساق النخلة من الكرب، يقول باسردة:

يا جذر فوق السوم شوه دي كْرَبِك وَّشوه دي جابك ومن هو دي سباك⁽²⁾

المُطْرَب:

هو من "يوصِّل إلى الناس موضوع معين بواسطة (التطروبة). يحضر تنكًا (أسطوانة معدنية) مثلًا ويدق عليه. ويقول: حصل كذا أو عليكم كذا"⁽³⁾.

باسردة:

بنت المطرَب ما ببوها شي حَبَل لا القت عصيده صاع قالوا حبلى

ملا بها تطحيل من ذي توكله قد اهلها يدعونها يا الطحلى

السيد:

بنت المطرَب كل شي في بيتها لا قُبَل عليها الضيف قالت أهلا

ما وحلها الا بنت حمّاش الكتر تزرِب شعورك بالعيون الشهلا⁽⁴⁾

الطارش: هو الرسول الذي يبلغ الرسائل والودائع من مكان لآخر، يقول باسردة:

بارحة لولى قنيف احمر من هكذا والمطر عيّن

هذا الخبر جابه الطارش جابه لنا سالم الشمله⁽⁵⁾

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (237).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (255).

(3) رسالة واتس من سليمان كبران، بتاريخ 14/2/2020م.

(4) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (257).

(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (184).

الشارح: هو من يقوم بمهمة حراسة الأرض الزراعية وحمايتها قبل حصادها، يقول
باسردة:

قدم شرح معنا على نقوع الحجل لا حد يشرحني ولا با شرحه
لا انتو تبون الشخص يجلس عندنا لازم يقع بيدي وانا با شرحه⁽¹⁾
المعزف: هو من يجلب الخوص (العزف)، المستعمل في صناعة بعض الأثاث
القديم، يقول باسردة:

قل للشريعة خاف ربك واتقه بنت المعزف ما تبا بن كوسه⁽²⁾

ثانياً: المهن الاجتماعية:

الحداد:

يقوم بعمله في مجال الحديد، وذلك بصناعة أدواتهم الحديدية البسيطة أو شحذها
لتكون جاهزة للعمل، يقول باسردة:

انا معي سكين مخير صنعته يعبر على قلب النمر وفواده

واعطيته الحداد وخرّب صنعته حداد من خس الحدد لا فاده

السيد:

ما هو من الحداد سكينك خرب لا هو خرب يمكن من الحداده

من الكحيله دي تلاعب زوجها ماخلته يركع على السجاده⁽³⁾

المعالج الشعبي:

الطب الشعبي كان رائداً قبل دخول الخدمات الطبية الحديثة، وكان العلاج بالكي
أحد طرق العلاج الشعبي، وقد استعمله العرب قديماً، يقول باسردة:

صاحت عطيه من وجع في راسها قاموا وكووها في اقدم الرجل

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (276).

(2) تراثنا الشعبي، (مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 24 / 5 / 2018 م.

(3) صفحة عبدالله باراس، الفيس بوك، تاريخ 27 ديسمبر 2014 م.

اش رايكم هذا يقع او ما يقع ياذي عرفتوا كيف ميزان الحمول⁽¹⁾
النجار:

من المهن والأنشطة الصناعية القديمة، وهي عملية تشكيل الخشب، وتتطلب مهارة لا تتأتى لكل الناس، يقول باسردة:

مسيلة النجار حامي فلق قصيبة

واخرج مناشيره ثلاثة واشتد في راس القصيب⁽²⁾

الجزار:

مهنة ليست رسمية؛ لأن كثير من الناس يقومون بهذا العمل، بل ويتفخرون في براعة (الذبح والدحس)، وهذا لا يمنع وجود أشخاص مهتهم الجزارة بمقابل مالي أو عيني، يقول السيد:

وبا تصبح قسيم الذيب ذي يعوي قسيم اللحم ذي في شفره الجزار⁽³⁾

الخراز:

مهنة تختص في خرز الجلود وصناعتها، للإستفادة منها في حياة الناس مثل: الأحذية، والأحزمة، والدلاء وغيرها، يقول باسردة:

انا بلاد الحضرمي ما جيتها دايم حلالي بين لفصان النبت

واتخبر ابراهيم من هذا الغنم دي جابها يمسي يخزم ع السبوت⁽⁴⁾

النقاش:

نقاشة الحجر واستخراجه وتشكيله لعبت دورًا في عملية العمران، يقول السيد:

عبدالله النقاش مدح لي بنه وهو صغير خيب بين امه وبوه

(1) الفيس بوك، ريان عدن، الجمعة، 12 / 12 / 2008م.

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (237).

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (198).

(4) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (280).

لا قد كبر شلوا لماطر كلها ولا اصبحوا عزان والعطف احرقوه⁽¹⁾

ثالثًا: الوظائف الاجتماعية:

هي الوظائف الرسمية أو الحكومية التي يتقاضى صاحبها عليها معاشًا من جهة حكومية، ومنها:

الطبيب: يقول باسردة:

من به وجع داخل فواده يسأل طبيبه

اما وحصل له نصيحه والا وداواه الطبيب⁽²⁾

القاضي: يقول السيد:

صليت للقاضي تبا با تسرقه تشبر على كوته يقع من غير كوت⁽³⁾

المعلم: يقول باسردة:

وجبت معلّم المسجد يقريّني بلا مصحف

وعاده با يذكّرني زماني لولي دي سار⁽⁴⁾

العسكري: يقول السيد:

ماله هماه السيل هو والمصنعه والعسكري ذي هو على لبواب زام⁽⁵⁾

المدرس: يقول باسردة:

درس بني عاد المدرس ما نجح عاده على العاده يعود المدرسه

لا قد نجح ولقى دراسه ناجحه لازم على ابني يرتزع في مجلسه⁽⁶⁾

(1) المختار من الشعر الشعبي والأمثال، صالح عمر محمد بن غالب، دار البارودي، بيروت، ط2، 2002م، ص (373).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (237).

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (281).

(4) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (191).

(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (248).

(6) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (248).

الحارس: يقول السيد:

انا معي حارس في جول الحزن ما صومعة بالقي عليها حارس⁽¹⁾
المسؤول: يقول باسردة:

مسؤول بالله تحكي لي بومحسنة وين با يدفن

في الديس أو شرح باسالم أو بين لكواد في حله⁽²⁾

الضابط: يقول باسردة:

يا الضابط المسؤول من ذي علمك منهو عطاك التاج والست القلاع⁽³⁾

(2) الزواج

للزواج في شبوة مراسيم وطقوس على وفق الناموس، لكن البشر أضافوا إليه طقوس لزيادة الفرحة بهذه المناسبة، ويسمى (الحرأوة)، ويسمى العروس (الحرىو)، وتسمى العروسة (الحرىوة)، ونجد في المساجلات بعض مظاهر الزواج:

المهر: يسمى الرسم أو الدفع، وهو المال المقدم للمرأة، والمتفق عليه لإتمام الزواج، ويختلف "مقدار المهر من مكان لآخر تبعاً للحالة المادية والمكانة الاجتماعية، ويختلف مقدار المهر بين الأقارب والغرباء"⁽⁴⁾، يقول السيد:

الكر⁽⁵⁾ والمليون ما هو رسمها لكن بوها ما سهل يستاجبه⁽⁶⁾

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (275).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (183).

(3) تراثنا الشعبي، (مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 23 / 10 / 2012م

(4) الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (1918م - 1945م، د. عبدالله سعيد الجعيدي، دار الوفاق، عدن، ط1، 2010م، ص (67).

(5) وحدة في نظام الترقيم تستعمل في الهند وبعض دول جنوب آسيا، وهي تساوي (عشرة ملايين).

(6) البعد السياسي في الشعر العامي اليمني، قراءات أولية في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ط2، 2010م، ص (267).

تجهيز العروسة:

باسردة:

عبله معد تبغى سوى الكسوه متمشطه قدها ومرحوضه
هي طالبت بالزوج يا محسن والا امها تبكي في الغوضه⁽¹⁾
فالعروسة تجهز للزوج من خلال تمشيط شعرها ورحضه (تمشطة قدها
ومرحوضة)؛ والرحاض تعني غسل شعر العروسة بمسحوق ورق السدر (العلب)
والطيب وغيره⁽²⁾.

العقد:

السيد:

عليا شعوا عقدها شرعي يادي تقولون مهيوشه
قدها مع زوج متنحوي ملقي على بابه الطاهوش

باسردة:

يقول بوناصر الشاعر الليلة الأرض مرعوشه
يا بن رحم ذه حراوتكم فيها وقع كل شي مرعوش⁽³⁾
فالعقد شرعي والعروسة راضية (عليا شعوا عقدها شرعي)، وليس مأخوذة عنوة
(مهيوشة)، وهي (مع زوج متنحوي)؛ متنحوي: "تعني فيه عزة ومفتخر وفصيح"⁽⁴⁾.
طقس البن: يحضر (البن) في الزواج الشبواني في طقسين:
الأول: يوم الحناء في بيت العروس (الحريو)، ويتم فيه حلق شعره، ويتم دق البن في
المنحاز؛ "المنحاز: وهو ما تدق فيه القهوة والبهارات وغيرها وكان يصنع من الخشب

(1) الغوضة: الزاوية من الغرفة، رسالة واتس من فضل حبتور تاريخ 7 / 3 / 2020م.

(2) رسالة واتس من فضل حبتور تاريخ 7 / 3 / 2020م.

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (168).

(4) رسالة واتس من فضل حبتور بتاريخ 3 / 7 / 2020م.

ويقال له الهوند والملكد"⁽¹⁾.

والآخر: "عند دخول العروس (الحريو) على العروسة (الحريوة) يكون لديه كمية من حبوب البُن، وبعض النقود، ويضعها على رأس الحريوة، وتسمى هذه (القهوة)، ويمسح على راسها ثلاث مرات، ثم يقرأ سورة (الفاتحة)، ويجلس قليلاً على يمينها، ثم يعود إلى مجلس الرجال"⁽²⁾.

باسردة:

منهو عقد وشّوه ذي وكل بها وشّوه جاب البن في خمسه جزول
لا ما رضيووا كلهم هل بيتها شف ذي مسائل عاها الا باتطول⁽³⁾
ورمي البن (طيّر البن) رمز لفشل الزواج، حين يكون مشروع خطوبة، يقول السيد:
قالوالناسان يخطب وين الخطيبة

ذه البنت ماهي من صحابك طير بينك يا خطيب⁽⁴⁾

الشل: هو أخذ أشياء العروسة (الحريوة)، وأمتعتها إلى بيت زوجها، ويصاحبه إحتفاءً كرنفالي ليصبغ عليه صفة الفرح والإشهار، و"يكون في العادة أدوات مطبخ كاملة، وفرش للبيت، وطبعاً شنطة ملابسها"⁽⁵⁾. يقول باسردة:

انتو حسبتوا شلها أربع دلل واحنا حسبناها ثن عشر دله⁽⁶⁾
الرفدة: هي دفع مبلغ من المال أو الأشياء العينية مثل: المواشي والمواد الغذائية، للعروس (الحريو)، و"هذا نوع من التعاون بين أفراد المجتمع والمساعدة في ما بينهم،

(1) عادات الزواج قديماً في محافظة شبوة، علي أحمد بانافع، الفيس بوك، 26 نوفمبر 2018م.

(2) عادات الزواج قديماً في محافظة شبوة، علي أحمد بانافع، فيس بوك، 26 نوفمبر 2018م.

(3) ربان عدن، الفيس بوك، 12 / 12 / 2008م.

(4) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (238).

(5) عادات وتقاليد الزواج في شبوة، أبو بكر زعل، صحيفة عدن الغد، الجمعة 18 سبتمبر 2015م.

(6) منتديات شباب لهية، المنتديات الأدبية والشعبية، قسم الشعر الشعبي والفصح، الفيس بوك، من طرف

أبو زياد، 8 / 10 / 2010م.

ويقوم كاتب بتسجيل المبلغ الذي يدفعه كل شخص ويسجل اسمه، وطبعاً الرفدة بحسب قدرة الشخص وفي الغالب الأقارب هم من يدفع المبالغ الكبيرة، وكانت في السابق تُدفع بالقرش أو أجزاء منه⁽¹⁾. يقول باسردة:

ليلة حراوتها رفدتوا من ميه واحنا رفدنا كل واحد نخله⁽²⁾
الجبر: في الزواج تجتمع الناس، للتعاون والتآزر، وهو مقياس للترابط والتكافل الاجتماعي، وجبر صاحب الزواج في لحظة فرحة:
السيد:

طلاب هل منصور هو دي جانبنا بي جيب دي يقرا ودي ما يقرا
كي جروا الدرؤيش من باب الحرم لا صاد له دينار خافه يضرى
باسردة:

طلاب هل منصور هو دي جانبنا دي داخل الحوطه ودي من برا
لنته معك شي رجم هذي الكوبره وقّع بها لا ترجمون العذرا⁽³⁾
والطلاب هنا هي دعوة صاحب الزواج لحضور زواج ولده عن طريق شخص يسمى (المُطَرَّب) ومهمته تبليغ المدعويين، ولديه عبارة مصكوكة يقولها شفهيّاً لكل منزل من منازل المدينة أو القرية، وقد حلت محلها كروت الدعوة حديثاً، فهو يقول: "عليكم طلاب يا أهل فلان عند فلان بن فلان لحضور حراوة ابنهم فلان ابن فلان يوم الفلاني"⁽⁴⁾.
وتحاول المساجلات بين الشعارين مناقشة التوافق الطبقي والمادي في الزواج الشبواني، وهذا ما تكشفه المساجلة الآتية:

(1) عادات الزواج قديماً في محافظة شبوة، صفحات من التراث والتاريخ الشبواني، علي أحمد بانافع، فيس بوك، 26 نوفمبر 2018م.

(2) منتديات شباب لهية، المنتديات الأدبية والشعبية، قسم الشعر الشعبي والفصيح، الفيس بوك، من طرف أبو زياد، 8/ 10/ 2010م.

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (252 - 253).

(4) عادات الزواج قديماً في محافظة شبوة، علي أحمد بانافع، فيس بوك، 26 نوفمبر 2018م.

باسردة:

محسن تبلىؑ بازلهلا مطرحه
والثانيه عاده تفرق عنصري
السيد:

ماشي معه عديولا عنده غنم
مولى ميافعمايزوج من فقر
باسردة:

وليش تنكر والرجال تزوجت
وبعد شلله وأطلعته في الساعيه
هو والحريوه في زعيمة بوعمير⁽¹⁾

فالشاعر باسرده يناقش الشاعر السيد البغدادي حول التوافق بين الزوجين (ما طاع باجنحة يزوج باصعير)، ويرى في ذلك (تفرق عنصري)، لكن الشاعر السيد البغدادي يوضح له أن الرفض للزواج ليس بسبب التفاوت الطبقي، بل التوافق المادي (ماشي معه عديولا عنده غنم)؛ لأن (مولى ميافعمايزوج من فقر)، ويعود الشاعر باسرده ليؤكد أن (الفقر) ليس مشكلة في الزواج (ماذا حمد مسمار زوج بن جبير). ورغم رمزيتها السياسية، إلا أن موضوعها اجتماعي يحدث في كل زمان ومكان.

الكوبرة: اسم يطلق على المرأة التي تقوم بمرافقة العروس إلى منزل العريس، وتعمل الكوبرة على مساعدة العروس في أثناء أيام الزواج الأولى، وذلك من خلال تقديم لها الإرشادات، وكذلك توفير بعض المتطلبات، وتمكث لعدة أيام وتحصل

(1) بازله: بعيره أو جملة. المحير: أماكن الرعي وهي الأماكن الصحراوية التي يظهر فيها العشب بعد هطول الأمطار. باجنحة وباصعير: أسر تقطن وادي ميفعة. عدي: فلوس. ميافع: جمع ميفعة (يقصد ميفعة وما جاورها). انقدوا: افحصوا. البصير: أهل الفكر والبصيرة. غبة خضير: غبة البحر. آل مسمار وآل بن جبير: من الأسر المعروفة بوادي ميفعة. الحريوة: العروسة. زعيمة: نوع من أنواع المراكب البحرية. البعد السياسي في أنموذج السيد وباسرده، بدر بامحرز، ص (239).

على أجر مقابل هذا العمل⁽¹⁾. يقول باسردة:

لا انته معك شي رجم هذي الكوبره
وقّع بها لا ترجمون العذرا⁽²⁾
(3) السمرة:

هي رقصة شعبية تنتشر في أغلب مناطق محافظة شبوة، وهي "رقصة جماعية، تتم فيها المساجلات الشعرية المختلفة بين شاعرين أو أكثر من ذلك، وتسمى هذه الرقصة في بعض مناطق من المحافظة باسم آخر، هو (الهوب)"⁽³⁾، يقول السيد:

شل الغناء يا بن دمانه جات الحليلة

مازال باسردة مجونن⁽⁴⁾ في الصف با يحل الحليل⁽⁵⁾

وشل الدان توحى بأن عاطفة الشاعر جاشت وهي بحاجة للمحفز النفسي المتمثل في ترديد الدان لصاحب الصوت الشجي (بن دمانه) فقد جاءت اللحظة الإبداعية (الحليلة). وهي مدخل لبدء السمرة بدخول "الشاعر إلى الملعب وسط الصفيين، ينظم قصيدة بأسلوب ارتجالي، وهي مكونة من عدة أبيات شعرية"⁽⁶⁾. يقول باسردة:

يقول بو ناصر الشاعر ما بين لصفاف با اتسمر

والصبح من هو ييا سعفي با يصيد لحمه من الذبال

يا بن رحم صفكم سبعة والصف هذاك ستعشر

اما اخرجوا منكم واحد ولا ادخلوا سعفكم رجال⁽⁷⁾

(1) ينظر: أطيف من تراث البوادي والأرياف في شبوة، محمد سالمين بن شداد، ص (82).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (252 - 253).

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (17).

(4) مجونن: مجنون، رسالة واتس من فضل حبتور تاريخ 7 / 3 / 2020م.

(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (174).

(6) أطيف من تراث البوادي والأرياف في شبوة، محمد سالمين بن شداد، ص (148).

(7) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (172).

الهوب المثلوث: هو "نوع من الهوب، وفيه يقف صفان من الرجال وفي أحدهما يقف مغنيان يرددان بعد الشاعر البيت الأخير، وإذا ما انتهى من منزله يردد الصفان البيت الأخير بالتناوب وتتميز عن أنواع الهوب بعدم وجود الرقص"⁽¹⁾. ومنه قول باسردة:

يا الهاشمي لا تبا سعفي لبا على الجول حريه

بالحّف بالخيل في الميدان⁽²⁾

الآلات: ذكرت المساجلات عددًا من الآلات الموسيقية المستعملة في السمر والغناء، منها:

الطاسة والمزمار: يقول السيد:

يقول المهتجس شاعر انا مارود واتكلّف

وبا انطيكم على الطاسه وبا انطيكم على المزمار⁽³⁾

الطبل: يقول باسردة:

زقرنا في خطام البازل المكوي خزي لهل الطرب والطبل والمزمار⁽⁴⁾

المدروف: يقول السيد:

وصاحب المدروف وقى كلمته لكنه الطبال عاده ما طبل⁽⁵⁾

القنبوس: يقول السيد:

مادهرية ما با توافق دلهم ولا تبا طبله ولا قنبوسه⁽⁶⁾

(1) رسالة واتس من سليمان كبران بتاريخ 28 / 1 / 2020م.

(2) تراثنا الشعبي، (مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 26 / 1 / 2020م

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (190).

(4) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (197).

(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (232).

(6) تراثنا الشعبي، (مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 24 / 5 / 2018م.

المظهر الثالث: الماديات (الكمايات الاجتماعية):

أولاً: الأثاث:

التنور والكف: التنار (التنور) من وسائل الطبخ يستعمل لطبخ الخبز، والكف:
"المحمس صحن دائري وله قبضة"⁽¹⁾. يقول السيد:

في التنار لنجح له وساعه لنجحه في الكف

ولا رّوح عصير الليل بيته، يرجع البصّار⁽²⁾

الدلة والفتجان: الدلة خاصة بقهوة البن، يقول باسردة:

معي بني في الدلة وبا ستين فيجاني وبا صرّف عشيه سد بلعساف⁽³⁾
البراد: وهو خاص بقهوة الشاي، يقول السيد:

أنا علقت النار والقيت الحطب ذالحين با علق لي على برادي

لا قد تقهويننا صلحنا شاننا قرب جمالك شديا شداي⁽⁴⁾

المدلا: يقول السيد:

السمن ماشي والدسم ماشي دسم هذا عشاكم والجفل في المدلا⁽⁵⁾
الجفل القهوة البن. والمدلا هو "موقد فيه جمر تضع الدلة فوقه"⁽⁶⁾.

الجوادر والوسيد: من حاجيات البيت في تلك المدة، الفرشان (الجوادر)، والوسائد

(المخدرات):

يقول السيد:

إحنا نطالب ورثها وقشوشها والبيت لبيض والجوادر والوسيد⁽⁷⁾

(1) رسالة واتس من فضل حبتور، تاريخ 2020 / 2 / 19 م.

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (188).

(3) متنتديات شبوة ثرة، متنتدى الشعر الشعبي، الثلاثاء، 28 إبريل 2009 م. بلعساف: قرية في ميفعة.

(4) شبكة باعوضة متنتدى الشعر والتراث، من طرف بن ذيب، تاريخ 2010 / 7 / 7 م.

(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (258).

(6) رسالة واتس من سليمان كبران، بتاريخ 2020 / 2 / 14 م.

(7) غسان بافخسوس، الفيس بوك، تاريخ 2012 / 2 / 18.

الغرب:

هو "وعاء جلدي مصنوع (مخروز) من جلد ماعز أو نعجة كبيرة، وبعد دبافته يتم خرزها أي تتم خياطته بالطريقة القديمة بواسطة خيوط صغيرة من جلد الماعز أو الضأن، ويسمونها (سيور)، ويتم (استعماله) وعاء للماء"⁽¹⁾، يقول السيد:

وبنت الناس ردت غربها مطوي وثالثكم وقع في العايب المكار⁽²⁾

المنف:

هي "قطعة صغيرة مربعة من العزف (الخصوص) يتم تحريكها للحصول على الهواء البارد"⁽³⁾، يقول السيد:

يقول بن لشراف شاعر ماشي برودي

يا ذي تلوح بالمنافو بلاش لا ماشي برود⁽⁴⁾

السلة:

هي "قطعة من الخوص (العزف) أكبر من السفح، ويتم استعمالها للنوم والجلوس"⁽⁵⁾.

يقول السيد:

أنا أموري كلها من صاحبي من عند باجمال كله من عتق

لا أمسى لنا براق ما باتحملة يا ذري صالح با تطوون السلق⁽⁶⁾

ثانياً: الزينة:

المظهر من سمات التمدن والحضارة، وشكل الإنسان الخارجي يوحى بشكل

(1) أطيف من تراث البوادي والأرياف في شبوة، محمد سالمين بن شداد، ص (35).

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (227).

(3) أطيف من تراث البوادي والأرياف في شبوة، محمد سالمين بن شداد، ص (29).

(4) منتديات شباب لهية، قسم الشعر الشعبي والفصيح، الفيس بوك، من طرف أبو زياد، 8 / 10 / 2010م.

(5) أطيف من تراث البوادي والأرياف في شبوة، محمد سالمين بن شداد، ص (28).

(6) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (196).

المجتمع، والروائح الجميلة لا تخرج عن الحضارة والتمدن، وقد ذكرها الشاعران في مساجلاتهما، ومنها هذه المساجلة المقتضبة من مساجلة طويلة، وقد ذكرا أهم ثلاثة عطور تستعمل في ذلك الوقت (العود والمسك والعنبر):

باسردة:

وان غلق حسابنا هذا با نفرق المسك والعنبر

الزين له زين يهنا له وكل بطل له بطل

السيد:

في مدخلك قل لبا سرده ذكرت في العود والعنبر

احنا نجيبه من التاجر وانته تجيبه من الدلال⁽¹⁾

وذكرت المساجلات (الطيب) عند النساء؛ الطيب وهو مجموع من الزهور والقرنفل وزيت النارجيل والمحلب⁽²⁾:

السيد:

معنا وليده ماشي احسن منها وحننا بنو ادم لزينها بطيب

عاد النجوم الزينه الا مقبله نجمه بدت سدي ونجمه بانغيب⁽³⁾

نجد في المساجلات مظاهر الزينة تتجلى بشكل ملفت للقارىء، ومنها لبس الخاتم: با سرردة:

دور على خيتم وساهن حصله في غر أو في سر أو في يايه

من حصله با اعطيه حاجه تفرحه با اعطيه ستعشر ريال حوايه⁽⁴⁾

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (171).

(2) عادات الزواج قديماً في محافظة شبوة، صفحات من التراث والتاريخ الشبواني، علي أحمد بانافع، فيس بوك، 26 نوفمبر 2018م.

(3) تراثنا الشعبي، (مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 23 / 10 / 2012م

(4) شبكة باعوضة منتدى الشعر والتراث، من طرف بن ذيب، الأربعاء يوليو 07، 2010م.

ومنها كذلك لبس الأقراط والحجول:

السيد:

أما عطيه شلها بن عمها تدخل وترزح بالحناني والحجول⁽¹⁾
ومنها لبس الحنيشات "مفردها حنيشة وهي حزام مصنوع من الفضة تلبسه المرأة
على الخصر"⁽²⁾، واللبة "هي قلادة من الفضة"⁽³⁾، يقول بأسرّة:

لكنك انشد على العذرا أم الحنيشات واللبة شعها مع البدو في لشعاب⁽⁴⁾
ومنها الحلقة التي تعلق في الأنف (الخشفة): يقول بأسرّة:

أنا اعرف العذرا ونا داري بها في العام لول جات لما العمره
واعرف غطاها كلها قد شفتها حتى اذنها والخشف دي في النّخره⁽⁵⁾

ثالثاً: اللبس:

من مظاهر الجمال اللبس، وقد ذكرت المساجلات عدداً من ملبوساتهم:
الكوفية: يقول بأسرّة:

لما متى قل لبن هاشم ملقي على الراس كوفيه
لا تقول شي صلح با يعصب بين السكاكين والجزار⁽⁶⁾

العمامة: يقول السيد:

ما لا قدك عازم عسى الله ينصرك تبا عمامه او تبا ع الراس تاج⁽⁷⁾

-
- (1) صفحة عبدالله باراس، الفيس بوك، 12 يونيو 2013 م.
(2) رسالة واتس من سليمان كبران بتاريخ 26 /3 /2020 م.
(3) رسالة واتس من سليمان كبران بتاريخ 26 /3 /2020 م.
(4) صفحة عبدالله باراس، الفيس بوك، 12 يونيو 2013 م.
(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وبأسرّة، بدر بامحرز، ص (248).
(6) البعد السياسي في أنموذج السيد وبأسرّة، بدر بامحرز، ص (184).
(7) المختار من الشعر الشعبي والأمثال، صالح عمر محمد بن غالب، دار البارودي، بيروت، ط2، 2002 م، ص (372).

الكوت والدسمال: يقول باسردة:

لنته بغيت الكوت والدسمال فوق الكوفيه

خلوا علي يركب علي ظهر البراق⁽¹⁾

السباعية: يقول السيد:

وحنا معانا من الكسوه كلين حصل سباعيه

بتموت وائته في الجحدي ما اتقريا العايب المكار⁽²⁾

الكمز: يقول باسردة:

مازال عندي عقل ما با حلّها با تموت لا ماشي دراهم في الكمز⁽³⁾

رابعاً: السلاح:

هو "أداة للهجوم أو الدفاع وتستعمل في القتل وتدمير حصون العدو"⁽⁴⁾.

وينقسم إلى:

أولاً: السلاح القديم:

يسمى السلاح الأبيض، وهي أسلحة فردية يدوية غير نارية، وتستعمل للدفاع والهجوم. ولا يعني الإشارة لها باللون أنها محددة بلون معين ومع أن اللون الأبيض جاء من لون النصلة القاطعة وأصبحت فيما بعد تشير لنوع هذه الأسلحة. ومنه:

نَمَشْنَا والدرق:

نَمَشْ: "سيف صغير (من الفارسية)"⁽⁵⁾، والدرق: "ضرب من الترسة، والواحدة

(1) متديات شباب لهية، قسم الشعر الشعبي والفصيح، الفيس بوك، من طرف أبو زياد، 8 / 10 / 2010م.

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (184).

(3) صفحة تراثنا الشعبي، مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 17 / 12 / 2015م.

(4) موسوعة عالم الأسلحة المصورة، عدد من المتخصصين العسكريين، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 2006م، ص (3).

(5) معجم لهجة سرو حمير - يافع، (وشذرات من تاريخها، د. علي صالح الخلاقي، مركز عبادي، صنعاء،

ط1، 2012م، ص (324).

درقة تتخذ من الجلود"⁽¹⁾. وفي باب أسماء الترس، ذكر الدرقة، وهي "جلود تلبس بمنزلة الدروع"⁽²⁾. يقول السيد:

حتى ولو طالت علينا احلاقها والله ما لطحر نَمَشْنَا والدرق⁽³⁾

النصلة: هي الجزء الحاد في أي سلاح. يقول باسردة:

يقول بوناصر محمد نصله صليبه

باتشوفها في يد شاجع يا صاحب القلب الذريب⁽⁴⁾

الجنيبة: حنجر الزينة والطعن، وشرطه أن يلبس بحزام على الخاصرة. يقول السيد:

وانته معك برهان في بطنك تغيب الجنيبه ملا الكرامه لا تبينها شراق⁽⁵⁾

ثانياً: السلاح الحديث:

البندق والسلب اسمان عامان لكل أنواع السلاح:

البندق: يقول السيد:

انته تمنيني حياتك فوق المجاعة

يهرج ولا هو شي معول ينكت على البندق نكوت⁽⁶⁾

السلب: يقول باسردة:

ولا تنسون واجبكم حرف واسلاب نحويه

ولا تنسون عيدان القرنفل دي لها البنات⁽⁷⁾

(1) معجم لهجة سرو حمير - يافع، د. علي صالح الخلاقي، ص (119).

(2) كتاب السلاح، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م، ص (30).

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (196).

(4) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (238).

(5) متدييات شباب لهية، قسم الشعر الشعبي والفصيح، الفيس بوك، من طرف أبو زياد، 8 / 10 / 2010م.

(6) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (175).

(7) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (185).

وقد وجدت في المساجلات أسماء لعدد من البنادق:

الهطف: الهطفا: هطفا: اسم بندقية ذات الطلق الواحد، وتسمى أيضا (هَطْفَه)⁽¹⁾، يقول السيد:

ذلحين قدنا في مهاري ثانيه عدا زمان الهطف وزمان الهروت⁽²⁾
الهروت: الهرتي أو الهرتية وجمعها هروت: اسم صنف من البنادق الرومية المزينة، وهي أنواع⁽³⁾. يقول باسردة:

وانا على شعاب المراعي با طرح صناعه
وانتو معي سمعًا وطاعة يا اهل المياز والهروت⁽⁴⁾

العليمان:

العليمان: بندقية ألمانية - كيرباينر 98ك (بالألمانية: Karabiner 98k)، وهي بندقية قتالية صنعت في ألمانيا سنة 1933م⁽⁵⁾. يقول باسردة:

انا انصحك لله غيب عننا والا شفك بالعليماني با تفوت⁽⁶⁾
الميزر:

ظهرت البندقية الألمانية " (ماوزر كار 98 كاي)، لأول مرة عام 1880م، ولم تزل تستعمل حتى يومنا هذا بعد أن ظلت البندقية القياسية للجيش الألماني ولجيش أخرى لمدة من الزمن تزيد عن الخمسين سنة"⁽⁷⁾. يقول السيد:

(1) رسالة واتس من د. علي صالح الخلاقي، بتاريخ 7 / 4 / 2020م.

(2) رسالة واتس من فضل حبتور، 3 / 2 / 2020م.

(3) رسالة واتس من د. علي صالح الخلاقي، بتاريخ 7 / 4 / 2020م.

(4) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (175).

(5) رسالة واتس من د. علي صالح الخلاقي، بتاريخ 7 / 4 / 2020م.

(6) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (282).

(7) موسوعة عالم الأسلحة المصورة، عدد من المتخصصين العسكريين، دار الراتب الجامعية، بيروت،

ط1، 2006م، ص (98).

هذه كبيرة ماشي اكبر منها خسر لي الميزر وانا باقرحه⁽¹⁾
أبو ذبيلة:

أبو فتيلة: بندق قديم، وهو "حديدة مستطيلة مجوفة يدخل فيها الباروت (البارود)، ثم الرصاصة التي كحبة النبق، ويرفع بفتيلة نار بأن يكون من أسفل جوفها منفذ صغير جداً، ملصق جنب ذلك المنفذ حديدة كاللوزة تسمى البرمة يوضع فيها قليل باروت أيضاً، ثم يبدأ به بأن يضع النار فيسري في أسفل جوف البندق، فتندفع بتلك الرصاصة"⁽²⁾. يقول باسردة:

يقول بوناصر محمد كز الذبيلة

ومن معة بندق يشله لا يقول ذا البندق ثقيل⁽³⁾

والذبيلة هي الفتيلة نفسها، وهي "حبل مفتول من شجر الطُّرف، وقد يكون من غيره"⁽⁴⁾.

الفروود: وهي المسدس، وقد ابتكر في القرن الخامس عشر. يقول السيد:

ذا بامحين يا قليل المعرفه من دي خلق بين الميازر والفروود⁽⁵⁾
صفات الرصاص:

الطلقة قديماً هي قطعة صلبة من الرصاص (القلمة)، والرصاص المستعمل في البندق يجلب من "الخارج ويصب في قالب يسمى المصب، يحوي عدة بيوت يوضع فيها الرصاص. ويمكن صبه بعدة أحجام حسب البندق المستعمل"⁽⁶⁾.

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (278).

(2) الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تأليف: حسين بن محمد الحباني الحضرمي، تحقيق: عبدالله محيرز، وزارة الإعلام (ج. ي. د. ش، ص (67).

(3) موقع ملتقى حضرموت للحوار العربي، الأهازيج والرقصات الشعبية، 14 - 10 - 2011م.

(4) الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تأليف: حسين بن محمد الحباني الحضرمي، ص (67).

(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (246).

(6) الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تأليف: حسين بن محمد الحباني الحضرمي، تحقيق: عبدالله محيرز، وزارة الإعلام (ج. ي. د. ش، ص (154).

يقول السيد:

هذا نصح روس الشوامخ ما با تصيبه

ملا تبا تحسف رصاصك ذا بندقك ما با يصيب⁽¹⁾

للرصاص صفات منها:

المشوك: بسبب ذلقها الحاد الذي يشبه الشوك. يقول السيد:

يا ما تعبنا بالمشوك والزمل ستين ليلة كل ليلة في صياح

أنا مكافح من على زام أولي لكن بعض الناس ما منه كفاح⁽²⁾

أبو مداد أحمر: سمي لوجود علامة حمراء في مقدمتها. يقول السيد:

دي ما توقع شي وقيس دحقته له بو مداد احمر يكسر لبعره⁽³⁾

لبعرة: جمع بغير وهو الفك السفلي من الفم تحت الأذن⁽⁴⁾.

متعلقات السلاح:

الكبريت والبارود والملح

الكبريت، البارود، وأنقاس: قطع، الملح: الملح الجبلي من شبوة، وجميعها تخلط

لتكوين المادة المشتعلة (الحشوة)؛ لإطلاق الرصاص⁽⁵⁾. وقد ذكر الراهب روجر

يكون في إحدى مخطوطاته التي كتبها عام 1267م، بأن "مسحوق البارود مكون من

الملح الصخري والكبريت والفحم"⁽⁶⁾. يقول بأسردة:

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وبأسردة، بدر بامحرز، ص (236).

(2) المختار من الشعر الشعبي والأمثال، صالح عمر محمد بن غالب، دار البارودي، بيروت، ط2، 2002م، ص (378). المشوك: صفة للرصاص.

(3) البعد السياسي في أنموذج السيد وبأسردة، بدر بامحرز، ص (180).

(4) رسالة واتس من فضل حبتور تاريخ 7 / 3 / 2020م.

(5) رسالة واتس من فضل حبتور تاريخ 7 / 3 / 2020م.

(6) موسوعة عالم الأسلحة المصورة، عدد من المتخصصين العسكريين، دار الراتب الجامعية، بيروت،

ط1، 2006م، ص (6).

بانخرج الكبريت والباروت وانقاس الملح يا ساتر استرع التقارين الجلال⁽¹⁾
الكبسول: استعملت كبسولة القدح في عام 1820م، بدلاً عن زنود القدح التي كانت
تشكل خطراً على حياة الرامي⁽²⁾. يقول باسردة:

ويا حيا لكم كرهه قفا كرهه عدد ما يقرح الكبسول في لنقاس⁽³⁾
المشواف: علامة مثبتة عند فوة البندق من أعلى؛ للسيطرة على الهدف⁽⁴⁾، ويسمى
(الشاهد) كذلك. يقول باسردة:

تمهل قل لبن هاشم وبا تشوفون رمياني

وانا رامي مكلف وارشن المشواف⁽⁵⁾

وللسلاح مظاهر اجتماعية غير الاقتتال، تتمثل في:

أولاً: القنص:

من المتع الاجتماعية التي تتم بطقوس ضاربة في جذور الماضي يتهافت عليها
المجتمع؛ لإبراز دقتهم في استعمال السلاح، وذلك بقنص أقوى الوعول الذي يكون
لحمًا عزيزًا لأفراد المجتمع. يقول باسردة:

عساني قوم وتباخر وباصبح جبل مقبل وبالقنص وباللقي لها تركوب⁽⁶⁾

يقول السيد:

ذلحين قانص للوعول الموفيه يا مصبرش ع الجري يا سيقاني⁽⁷⁾

-
- (1) منتديات شباب لهية، المنتديات الأدبية والشعبية، الفيس بوك، من طرف أبو زياد، 8 / 10 / 2010م.
 - (2) ينظر: موسوعة عالم الأسلحة المصورة، عدد من المتخصصين العسكريين، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 2006م، ص (12).
 - (3) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (233).
 - (4) ينظر: الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تأليف: حسين بن محمد الحبانى الحضرمي، تحقيق: عبدالله محيرز، وزارة الإعلام (ج. ي. د. ش، ص (68).
 - (5) منتديات شبوة ثرة، منتدى الشعر الشعبي، الثلاثاء، 28 إبريل 2009م.
 - (6) رسالة واتس من فضل حبتور تاريخ 7 / 3 / 2020م.
 - (7) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (242).

ثانياً: النصاعة:

هي إحدى المتع للمجتمع الشبواني؛ إذ يتبارون في مهارة التهديف، من خلال وضع هدف (نصع)، على مسافة بعيدة، والقيام برميهِ؛ لمعرفة الرماة الماهرين؛ لأن القبيلة كانت تعد بعدد الرماة فيها:

باسردة:

أحنّا تنصّعنا وكمّل ضربنا يا اهل البنادق هكذا لا تضربون
هذي الليالي ضربها ما يتتكر من راح فيها راح مابين البيون
السيد:

احنّا تنصّعنا لهّد انصاعنا بالصفّي الكوره وما قدّر يكون
هذي الليالي من توّقع ما طحس قل للعوادي قل لحرمان العيون⁽¹⁾

المظهر الرابع: الروحيات (المظاهر الاجتماعية للحياة الروحية):

أولاً: الشعائر الدينية:

الصلاة: يقول باسردة:

انا صلاة الصبح قد صليتها ما صبحت العانات مثلك والسنوات
صليت فرضي دي قده واجب علي ماشي مشقة يوم خليت القنوت⁽²⁾
العمرة: يقول باسردة:

أنا اعرف العذرا ونا داري بها في العام لول جات لما العمره⁽³⁾
العيد (الزينة): يقول باسردة:

للفل ضمار الناس محسن بن علي والقي ضمار الناس في تعيينه

(1) صفحة عبدالله باراس، الفيس بوك، تاريخ 12 يونيو 2013م.

(2) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (281).

(3) البعد السياسي في الشعر العامي اليمني، قراءات أولية في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ط2، 2010م، ص (249).

يدعيني الا للخساره والتعب ما حد نشد مّني نهار الزينه⁽¹⁾

ثانياً : المعتقدات الشعبية :

رفقة العين :

حركة لا أرادية تصيب العين، كان يعتقد قديماً أنها إشارة لحصول حدث مجهول،

يقول باسردة :

حرمة من النسوان سافر زوجها سافر وهي في بيتها متمكنه

لكنها الليله ترفرف عينها والعالم الله أيش هي متسهنه⁽²⁾

السحر: يقول باسردة:

بك سحر في جنبك من عيون السحر بك سحر من باجيل ماهو من حميد⁽³⁾

زيارة الأولياء: يقول السيد:

برهان يا اهل المدينه كلكم والسيف له حدين يقطعها جريد

أما الزياره للزوايا كلهم والملك للرحمن في عرشه وحيد⁽⁴⁾

حق الولي: ما يعطى لولي الله من ذبائح، أو مال أو دهن (التسريح)، يقول السيد:

هذا ولي خله على حق الولي خله يسرج له ويقرأ الفاتحه

واحننا علينا با نبلغ كل شي لا الشاخ خارب ربنا با يصلحه⁽⁵⁾

الكرامة والجذبة: شارات يديها القائمون على ضريح الولي، ومنها (الجذبة) التي

تتمثل من خلال طعن الجسد مع عدم إحداث ضرر به. يقول السيد:

وانته معك برهان في بطنك تغيب الجنية

ملا الكرامه لا تبينها شراق⁽⁶⁾

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (265).

(2) تراثنا الشعبي (مساجلات وقصائد السيد وباسردة، الفيس بوك، 24 / 1 / 2018م.

(3) غسان بافخسوس، الفيس بوك، تاريخ 18 / 2 / 2012.

(4) غسان بافخسوس، الفيس بوك، تاريخ 18 / 2 / 2012.

(5) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (276).

(6) متدييات شباب لهية، قسم الشعر الشعبي والفصيح، الفيس بوك، من طرف أبو زياد، 8 / 10 / 2010م.

الحرز: قطعة من قماش أو غيره تعلق في الجسد (تميمة). يقول باسردة:

يقول بوناصر محمد حرز الحميلة

دي قطبوه اهل الرفاعي قلنا سوى هذا وميل⁽¹⁾

الخاتمة:

جلت المساجلات الحياة الاجتماعية في شبوة خلال المدة المحددة بمساجلات السيد محسن البغدادي ومحمد صالح باسردة، فكان المظهر الأول: المجتمع (التكوينات الاجتماعية)، بياناً للتركيب الاجتماعية ومصادر تنظيمها. والمظهر الثاني: الإنسان (الفعاليات الاجتماعية)، بين حركة الإنسان داخل المجتمع وأماط اللثام عن فعالياته ونشاطاته فصورت مجتمعاً نشيطاً متفاعلاً. والمظهر الثالث: الماديات (الكماليات الاجتماعية)، أظهرت تفاعل هذا المجتمع مع من حوله من خلال عملية تبادل المنفعة، والتفاعل مع كل جديد، وبين أثارهم مدى الترتيب والأناقة. والمظهر الرابع: الروحيات (المظاهر الاجتماعية للحياة الروحية)، بين التزام المجتمع بالمظاهر الروحية المتصلة بالعبادة وطرقها.

(1) البعد السياسي في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، ص (175).

مظان البحث

الكتب:

- الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تأليف: حسين بن محمد الحباني الحضرمي، تحقيق: عبدالله محيرز، وزارة الإعلام (ج. ي. د. ش).
- أطيف من تراث البوادي والأرياف في شبوة، محمد سالمين بن شداد، مطبعة وحدين، المكلا، ط1، 2008م.
- الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (1918م - 1945م)، د. عبدالله سعيد الجعيد، دار الوفاق، عدن، ط1، 2010م.
- البعد السياسي في الشعر العامي اليمني، قراءات أولية في أنموذج السيد وباسردة، بدر بامحرز، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ط2، 2010م.
- كتاب السلاح، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م.
- المختار من الشعر الشعبي والأمثال، صالح عمر محمد بن غالب، دار البارودي، بيروت، ط2، 2002م.
- معجم لهجة سرو حمير - يافع، (وشذرات من تاريخها)، د. علي صالح الخلاقي، مركز عبادي، صنعاء، ط1، 2012م.

الموسوعات:

- موسوعة عالم الأسلحة المصورة، عدد من المتخصصين العسكريين، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 2006م.

المجلات:

- أبين الثقافية، تصدر عن جامعة أبين، العدد الثاني، سبتمبر 2019م.

الفيس بوك :

- تراثنا الشعبي، (مساجلات وقصائد السيد وباسردة).
- شبكة باعوضة منتدى الشعر والتراث.
- منتديات شباب لهية، المنتديات الأدبية والشعبية، قسم الشعر الشعبي والفصيح.
- منتديات شبوة ثرة، منتدى الشعر الشعبي.
- موقع ملتقى حضرموت للحوار العربي، الأهازيج والرقصات الشعبية.
- صفحة ريان عدن.
- صفحة عبدالله باراس.
- صفحة علي أحمد بانافع.
- صفحة غسان بافخسوس.

الواتس :

- رسائل واتس من د. علي صالح الخلاقي.
- رسائل واتس من سليمان كبران.
- رسائل واتس من فضل حبتور.

شخصيات رائدة من تاريخ شبوة

المقدمة



د. وليد عبدالباري قاسم صالح
أستاذ العلاقات الدولية المساعد
كلية المجتمع - عدن

waleedbary@hotmail.com
waleedbari68@gmail.com

تمتلك محافظة شبوة تاريخ عظيم ومجيد فهي مهد الحضارات اليمنية ومخزن آثار ومعالم حضارة في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، إذ تكتنز بشخصياتها التاريخية العظيمة الفذة، والمبدعة، حيث كان لها دور كبير وبارز ليس فقط في محافظة شبوة من جنوب الجزيرة العربية واليمن، بل في الوطن العربي وعلى المستوى العالمي أيضًا هناك شخصيات كان لها دور كبير في تاريخ اليمن ومنهم شعراء مخضرمين (شاعر بيحان - عبدالله الكدادي والسيد محسن البغدادي ومحمد باسردة، مهدي

الشنواح وبن لزنم وغيرهم) أما رجال السياسة والعسكريين فمنهم (المناضل القدير عوض الحامد، محافظ محافظة لحج 1969 - 1974م) (عبدالله علي عليوة رئيس هيئة الاركان في جيش جمهورية اليمن الديمقراطي قبل الوحدة ولاحقا وزيرا للدفاع في الوحدة اليمنية، اللواء أحمد مساعد حسين، سياسي وعسكري وشاعر مخضرم، كان محافظ شبوة في السبعينات ورئيس جهاز أمن الدولة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ولديه عدة مناصب بعد الوحدة اليمنية، كذلك علي محمد معجور، رئيس وزراء الجمهورية اليمنية 2007/2011م ثم سفيرًا ومندوبًا دائمًا لليمن في الأمم المتحدة في جنيف، الاستاذ عبدالرحمن الجفري رئيس حزب رابطة أبناء الجنوب)

وفي المجال الاكاديمي هناك شخصيات تبوءت مراكز مرموقة نذكر منهم هنا الاستاذ الدكتور عبدالعزيز بن حبتور، رئيس جامعة عدن 2008/2014م ثم محافظ محافظة عدن 2014/2015م. وأيضًا د. سالم علي الباني عضو مجلس النواب 1993 - 1997 ومدير مركز التدريب والتعليم المستمر بجامعة عدن حتى وفاته في يناير 2016م ود. عبدالله سالم الاملس وزير التربية والتعليم حاليًا، وأيضًا الأستاذ أحمد حامد لملس محافظ عدن حاليًا. أما الصحة فقد تم بناء مستشفى الصعيد في 1966م وكان أول مدير لها الأخ محمد ناصر مرش من نصاب وسكرتير المستشفى الأخ محمد مبارك عوض صالح، أحمد حامد فدعق ومن الكادر الطبي د. عمر محمد ثابت/باطني، د. علي صالح ثابت/ طيب أطفال، د. علي البعسي/ طيب عام. بل من منالم يتذكر كبير جراحي القوات المسلحة في جمهورية اليمن الديمقراطية الدكتور فدعق، بل وينتشر الكثير من الاطباء المتميزين في دول الجوار الخليجي من ابناء شبوة لعل واحد من ابرزهم الدكتور حسين فدعق استاذ الجراحة التجميلية بجامعة الامام عبدالرحمن بن فيصل في المنطقة الشرقية بالسعودية وغيرهم كثر لا يسع الحيز هنا لاستذكارهم والمعذرة لهم على ذلك. وفي مجال التجارة برع ابناء شبوة فهم خير خلف لخير سلف من اجدادهم التجار الاوائل في الجزيرة ونذكر منهم هنا (الشيخ فريد بن محسن صاحب وكالة لبيع سيارات لاند روفر البريطانية في الستينات، واليوم يتربع بن حبتور في الامارات على قمة تجارها ورجال اعمالها. وفي مجال الرياضة لمع أسم الكابتن عبدالله ناصر فدعق نجم الفريق الأول لكرة القدم بنادي التلال العدني في العصر الذهبي - وكابتن طليعة حبان بشبوّة، وفي الغناء والفن من لا يتذكر صاحب الصوت الشجي رحمة الله عليه الفنان المطرب محمد صالح عزاني) كل هؤلاء اسهموا بدور كبير وفعال في بناء الوطن.

أما في ورقتنا هذه فنسلط الضوء على شخصيات متميزة رحلت عن دنيانا مبكرا ونالت إحترام وتقدير الجميع دون إستثناء وتركت بصمات ومساهمات كبيرة في

مختلف الصعد الدينية والسياسية والثقافية، شخصيات كان لها صيت وأثر محفور في تاريخ شبوة واليمن ومنها الشيخ العلامة / محمد بن سالم البيحاني، والشهيد المناضل / محمد صالح العولقي والأديب والكاتب الصحفي / سعيد علي عولقي. يمثلون جميعهم مفخرة لشبوة أرض العلم والحضارة والنضال والأدب والفن والتجارة والرياضة معاً وهم من يطلقون عليهم تلك العبارة المجيدة التي ظل يتغدى بها تلاميذ المدارس إنذاك لتعزيز حب الانتماء للوطن واحترام توارث التقدير للأجيال وتلك العبارة الجميلة هي: "كنتم الطليعة وستظلون رمزاً لنضال شعبنا اليمني".

هدف البحث

يهدف البحث إلى التعريف والتذكير بأبناء شبوة وبدورهم ومساهماتهم في تاريخنا الحديث من خلال شخصياتها التاريخية العظيمة والتي كان لها باع في تاريخ اليمن وشبه الجزيرة ولعبوا دوراً نضالياً بارزاً ومؤثر في سياسة وثقافة الشعب اليمني ونذكر في بحثنا الموسوم بعض منها كرمز لمحافظة شبوة واليمن.

مشكلة البحث

يسعى البحث من خلال تاريخ هؤلاء القادة والشخصيات بأن يتناول بعض الحقائق التي للأسف لم تطرح بشكل جدي ومثابر لتاريخهم النضالي والفكري والابداعي المعطاء للوطن وكذلك مدى إخلاصهم وتفانيهم حتى آخر لحظة في حياتهم، فكانوا يعملون بكد ونكران للذات دون كلل ولم يحصلوا في النهاية على التقدير الذي يستحقونه من قبل الدولة حينها وحتى يومنا هذا للأسف. بالطبع لست هنا بصدد كشف وثائق واسرار جديدة عن حياتهم ولكنها محاولة لازالة الغبار عن التاريخ المظموس والمغمور بالنسيان في زمن نحن احوج ما نكون له لاعادة تذكير الاجيال الصاعدة بابطالنا المعاصرين وحمائيتهم من التزييف والمتسلقين الجدد].

الشيخ محمد بن سالم البيحاني (1908 - 1972)



العلامة الشيخ / محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، عالم وفقهه، ولد في محافظة شبوة - إمارة بيحان الهاشمية، مدينة القصاب، حصن هادي، في عام 1326هـ - 1908م حيث فقد بصره وهو في الخامسة من عمره.

درس القرآن الكريم ثم مبادئ في العلوم الشرعية والعربية على يد والده العالم الفقيه الفلكي المرحوم الشيخ سالم بن حسين الكدادي البيحاني، ولما ظهرت حافظيته ومواهبه بعثه والده مع أخيه عبد الإله بن سالم البيحاني إلى حضرموت وعلى وجه التحديد إلى تريم وتلمذ على يد مشائخها وعلمائها ومنهم أستاذه عبد الله بن عمر المشاطري، وبعد أن أخذ عنهم وتزود من علومهم حيث مكث بها حوالي سنتين.

بين عدن والقاهرة

نصحته والده بالنزوح إلى عدن، فشد الشيخ البيحاني عصا الترحال من حضرموت إلى فيحاء الشيخ عثمان بعدن، بحثاً وراء الاستزادة العلمية ووجد ضالته المنشودة في تلك المدينة عند شيخها الجليل أحمد محمد العبادي (1883 - 1968م) وهو العلامة ذاته الذي درس على يديه الراحلان الكبيران محمد سعيد جرادة وعبد الله أحمد محيرز. وبها تأهل وتعلم، حتى حصل على فرصة للسفر إلى مصر. وفي القاهرة، انضم الشيخ محمد البيحاني إلى الأزهر الشريف، وظل يدرس فيه حتى نال الشهادة الأهلية ثم العالمية، والتحق بعدها بكلية الشريعة ولكن ظروفه لم تسمح له بالمكوث بكلية الشريعة سوى عام ونصف العام عاد بعدها إلى عدن.

محطات في حياته (العودة إلى عدن)

بعد حصوله على درجة العالمية من الأزهر الشريف بمصر، عاد الشيخ محمد بن سالم البيحاني إلى عدن كريتير في بداية الأربعينات من القرن العشرين ليسكن في بيت من بيوت الوقف في حارة القاضي وشرع في حمل راية التنوير من خلال صروح كبيرة بدأها بالجمعية الإسلامية مع كوكبة لامعة من أبناء المدينة منهم الشيخ محمد عبدالله المحامي (والد المحامي طارق) والشيخ علي محمد باحميش والشيخ علي بازرة والشيخ علي إسماعيل تركي والسيد سالم الصافي والشيخ ياسين راجمنار والسيد عبدالله بن صالح المحضار والأستاذ علي غانم كليب وصاحب الفضيلة السيد محمد علي الجفري والأستاذ عبدالرحمن جرجرة والتي أعلن عن تأسيسها عام 1949م إلا أن الوهن أصابها بعد وفاة محررها الشيخ محمد عبدالله المحامي.

اقرنت سيرة الشيخ البيحاني بجامع العسقلاني بكريتير وينسب الجامع إلى الحافظ بن حجر العسقلاني الذي أقام في عدن ستة أشهر من عام 806هـ وفي العام 1950م تم هدم الجامع وأعيد بناؤه على أحدث طراز ورفد المحسنون المشروع بتبرعاتهم التي بلغت حصيلتها 82,400 روبية وأشرف على هذا العمل الجليل الشيخ سعيد بن أحمد بن عمر بازرة، ونفذ المشروع المقاول الحاج محمد عثمان ثابت الأديمي، وكان الجامع منارة في عهد الشيخ البيحاني حيث كان إمامًا وخطيبًا وواعظًا ومدرسًا ومحررًا للحلقات العلمية في الجامع.

من المحطات البارزة في مسيرة الشيخ البيحاني هي تلك الجهود الجبارة المباركة التي بذلها في جمع تبرعات بلغت حصيلتها 149 ألفًا و624 دينارًا لتمويل بناء المعهد العلمي الإسلامي بكريتير (ثانوية البيحاني النموذجية حاليًا) أكبر صرح علمي آنذاك بعد كلية عدن، كما استغلت حصيلة التبرعات في بناء عدد من العمارات السكنية كأوقاف للمعهد. وتردد عليه كثيرون ممن عرفوه ومن الزوار الجدد الذين سمعوا عليه أو استمعوا إليه من على منبر العسقلاني في خطبتي الجمعة أو من دروسه في المسجد،

فانبرى لمحاربة الظلم والمرض والفقر والبدع في دروسه ومحاضراته وندواته وكتاباته وخطبه وأحاديثه الإذاعية

كان مسجد العسقلاني يمتلئ يوم الجمعة بالمصلين ويفترشون الأرضية مما جعله يفكر في توسيع المسجد وبنائه من جديد، فأخذ يحث على جمع التبرعات وانبرى الناس بدفع تبرعاتهم وفي حوالي 1948م هدم المسجد، ومع بداية الخمسينات افتتح جامع العسقلاني بعد تجديد بنائه وعمل له سكن في مؤخرته وانتقل إليه وانطلقت من على منبره دعوته بخطاباته ودروسه والحلقات المسجدية.

نشاطه الدعوي

اشتهر بنشاطه الدعوي حيث شارك في تأسيس (نادي الإصلاح الإسلامي) عام 1929م، وأسس البيحاني (الجمعية الإسلامية للتربية والتعليم) عام 1950، ثم فكر العلامة البيحاني بالهدف المنشود وهو فتح معهد للدراسات الإسلامية للقضاء على التخلف الرهيب من جهة ومن جهة أخرى ليجد كل محروم ممنوع عن الدراسة في المدارس الحكومية مقعداً له بالمعهد العلمي الإسلامي فأخذ يشرح فكرته للأعيان والوجهاء من إخوانه المحبين فاعجبوا بها وشجعوه على المضي قدماً في رسالته فأسس الجمعية الإسلامية للتربية والتعليم التي كانت نواة للمعهد ثم أخذ في المحاضرات والندوات والدروس والكتابة الصحفية والخطب المنبرية يشرح فكرته في المعهد والحاجة الماسة إليه فارتاح الجميع للفكرة ثم فتحت أبواب التبرعات وجمع المال من اليمن شماله وجنوبه حينها، ولما كان الهدف سامياً وكبيراً فقد سافر الى دول الخليج والى مصر وغيرها وجمعت تبرعات سخية ثم حددوا المكان وعملت الرسومات وبدأ بناء (المعهد العلمي الإسلامي)، وفي عام 1957م تقريباً فتح المعهد.

البيحاني شاعراً

إلى جانب كونه عالماً متبحراً في علمه، كان البيحاني غزير الإنتاج الشعري وإن كان أقل من إنتاجه العلمي، وله في هذا المجال عدد من الدواوين المطبوعة منها:

◆ "أشعة الأنوار على مرويات الأخبار" (جزءان) - مطبعة العلم - دمشق - 1964.



- ◆ "تربية البنين" أرجوزة شعرية - دار الفكر - بيروت (د.ت).
- ◆ "رباعيات البيحاني" مقتطفات في العبر والمعاني - مكتبة جدة - جدة (د.ت).
- ◆ "العطر اليماني في أشعار البيحاني" - مختارات - طبعت في دولة قطر.
- ◆ "ديوان الخطب المنبرية".
- ◆ كما أن له عددا من الكتب الدينية منها: "إصلاح المجتمع"، و"عبادة ودين"، و"أستاذ المرأة"، و"كيف نعبد الله؟"، و"زوبعة في فنجان"، و"الفتوحات الربانية بالخطب والمواعظ القرآنية"، "الفقه البسيط" "بلدة طيبة ورب غفور" "أطيب الكلام عن سيرة سيد الأنام".

أقوال العلماء فيه

يقول الأستاذ عبدالله عبد الوهاب القدسي في تقديمه لكتاب (إصلاح المجتمع) للشيخ البيحاني:

إن الشيخ محمد بن سالم البيحاني قائد الحركة الدينية في الجنوب اليمني؛ قد كرس جهودًا جبارة في نشر لواء الدين الحنيف، وأرسل صوت هدايته مدويًا في سماء هذا الجنوب، وعمل على بناء المشاريع الخيرية الكثيرة، وأهمها المعهد العلمي الذي يعد بحق مفخرة زماننا الحاضر، وآية خلوده وإعجابه، ولقد بذل شيخنا البيحاني قصارى جهده في تعليم مبادئ الدين الإسلامي، وتفهمه تفهيمًا صحيحًا خالصًا من الخزعبلات والخرافات التي ألحقت به، وحسبها من الدين، وليست من الدين في شيء.

إنك حين تجلس إلى الشيخ البيحاني يتحدث إليك حديثًا له حلاوة وهو يمتاز على غيره بالحلم والورع وصلابة الرأي والصراحة في القول والتريث والثبات على المبدأ؛ وقد اشتهر صيته في الآفاق ووصلت فتاواه إلى أنحاء الجزيرة العربية وغيرها من البلدان الإسلامية...".

ويقول عنه شاعر اليمن وأديبها الكبير (الشهيد القاضي محمد محمود الزبيري):

"عرفت صاحب الفضيلة الأستاذ محمد سالم البيحاني في مصر، وسمعتُ به في اليمن، وصحبته في عدن؛ وعهدته في مصر رائدًا من رواد العلم البارزين، وسمعته هنالك في الأندية والمحافل متكلمًا لبقًا، وخطيبًا لسنًا، ومحاضرًا بارعًا. لا أقول إنه كان في صف المثقفين من شباب العرب، بل أعتقد أنه كان من أرفعهم رأسًا وأبعدهم صوتًا؛ ثم دارت الأيام دورتها وإذا أنا باليمن وهو في عدن، وإذا به يكتب إلى زميله الأستاذ الخطيب الشيخ أحمد محمد نعمان ويشكو إليه حياته في عدن ويتبرم بالدنيا وما فيها، فعجبتُ لهذه الظاهرة أشدَّ العجب، فهو العالم المستنير الذي عبَّ من معين الثقافة، وعرف القديم والحديث، واستفاد من ألوان التيارات الفكرية المختلفة. ثم لا يستطيع أن يكون سعيدًا في البيئة العدنية. ثم عصفت بي الأقدار وساقنتني إلى عدن حيث استطعت أن أفهم السبب لشكواه، فقد تبين لي أن الثقافة الإسلامية الصحيحة في عدن تكاد تكون مفقودة لقلة العلماء، فما من مثقف يحاول الإصلاح في هذه البيئة إلا وتعرض سبيله صعوبة معضلة من الأوهام التي لا زالت هي معتقد الأغلبية الساحقة في عدن. وأعتقد أن هذا هو السبب لشكوى الأستاذ البيحاني إلى صديقه نعمان، لأن البيحاني قدم من مصر وعنده أمل واسع عريض يطمح به إلى أن يوجد في البيئة العدنية ثقافة إسلامية جديدة. وفي نفسي كلمة لا بد أن أكتبها لأنها متصلة بفن الخطابة من حيث هي، ذلك أن الأساليب الخطابية لها طبيعة خاصة تخالف سائر فنون الكلام، وتتفرد باعتبارات ومميزات آتية من شتى الملابس التي تكتنف الخطيب والجمهور. ويجب أن نشير إلى أن البيئة التي يخلق فيها الأدب، إنما يُبتكر الأدب لأجلها وعلى غرارها، لاسيما إذا كان الأدب من النوع الذي يُقصد به التأثير على كل فرد من أفراد السامعين وذلك كالخطابة الدينية؛ فالخطيب الديني مرغم أن يفكر مع الجمهور ويتكلم مع الجمهور ويعالج خواطرهم برفق وحنان، وهذه هي الحقيقة الكبرى للبلاغة وأعني بها مطابقة مقتضى الحال.

فالموضوعات الدينية تفتح للخطيب آفاقاً واسعة لتوجيه المجتمع الإسلامي إلى كل سبب من أسباب القوة بأن يثير في المسلمين غريزة اللهفة على المجد الذاهب والحسرة على التاريخ الضائع ويقص عليهم عبرة الدهر في آبائهم وعظة الأيام في أنفسهم، ويربط الأسباب بالمسببات ويأسو الضعف بالقوة ويعالج الخور بالشجاعة والذلة بالصرامة، وأن لا يبعث لهم شجى إلا وأردفه بالسلوى، ولا خطأ إلا وكشف معه وجه الصواب ولا ألماً ماضياً إلا وذكر له علاجاً حاضراً، ويضع بين أيديهم المشاريع العملية التي يستطيعون بها أن يطفئوا ما تأجج من حماسهم واهتاج من عواطفهم، حتى لا يخرجوا عن موضوع الخطابة وفيهم شيء من الحيرة والارتباك أو الألم العابث الخاوي الذي يقذف بالروح الإسلامية إلى وهدة اليأس والركود.

وهناك سرٌّ من أسرار الإسلام أغفله المسلمون في عصور الانحطاط، ذلك هو الدعوة إلى القوة والاستعداد ولن تجد عملاً من أعمال النبوة إلا وفيه معنى من معاني القوة أو سبب من أسبابها وبمثل تلك التربية النبوية العالية تنبع القوة الهائلة من أعماق النفس الإنسانية، ونحن نرى أن خطيبنا الأستاذ البيحاني يشير في كثير من خطبه إلى ما لا تتمُّ القوة الإسلامية إلاّ به، وهو تماسك الأخلاق ومحاربة الرذائل النفسية والحسية، والدعوة إلى العلم والصناعة والتفريق بين خير المدينة وشرها وذم البطالة وغير ذلك من الموضوعات المفيدة النافعة".

وفاته

في السبعينات من القرن العشرين ولظروف سياسية - لما شهدته عدن والجنوب انذاك من موجة لنفود صراع الحرب الباردة وغلبة التيار اليساري المرتبط بالنفود الصيني والسوفيتي انذاك والموقف المضاد للحركة الاسلامية - أضطر الشيخ محمد بن سالم البيحاني للسفر إلى محافظة تعز حيث توفي فيها، يوم 26 ذو الحجة 1391هـ الموافق 13 فبراير 1972م، ودفن جثمانه في مقبرة مسجد المظفر بحسب وصيته إلى الحاج هائل سعيد أنعم.

رحم الله شيخنا محمد بن سالم البيحاني العالم الرباني وأسكنه فسيح جناته مع
النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



الشيخ العلامة محمد سالم البيحاني بجانبه وزير التربية والتعليم ووزير الثقافة
الشهيد عبد الباري قاسم صالح يليه محافظ محافظة عدن الشهيد نور الدين
قاسم صالح مع وفد من الدبلوماسيين الألمان في حفل افتتاح
روضة أطفال بالقلوعة (ثانوية محيرز لاحقاً) نوفمبر 1969م.



خطبة العيد في ميدان الحبيشي ويظهر بالصورة الامام البيحاني خطيبا ويجلس امامه كلا من نخامة الرئيس الجنوبي الأول قحطان الشعبي ومحمد علي هيثم وزير الداخلية وعلي سالم البيض وزير الدفاع 1968م

المراجع

1. ويكيبيديا نسخة محفوظة 14 يونيو 2017 على موقع واي باك مشين.
2. موسوعة الجزيرة نسخة محفوظة 16 يناير 2018 على موقع واي باك مشين.
3. موقع معجم البابطين، لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.
4. موسوعة المحيط. انترنت، 16/02/2018م.
5. محمد بن سالم البيحاني، موقع معرفة. انترنت 26/06/2009م.
6. ارشيف الشهيد عبدالباري قاسم صالح - عدن 1969م

الشهيد المناضل/ محمد صالح عولقي



الشهيد محمد صالح عولقي من مواليد عام 1943م في قرية المصينعة بمشيخة العوالق العليا، التي غادرها طفلاً إلى عدن ليعيش في كنف أخواله علي سالم حصامة وعوض سالم حصامة وهادي سالم حصامة في مدينة الشيخ عثمان، وكانوا من أفراد جيش محمية عدن (الليوي Levis). التحق محمد صالح عولقي بالمدرسة الحكومية الابتدائية للبنين (الشرقية) الذي كان مديرها آنذاك السيد محمد الباقر (والد التربويين علي وابوبكر) رحمهم الله جميعاً. ومن مدرسيه السيد محمد عبدالله ابراهيم ومحمد احمد يابلي، والد الشخصية الاجتماعية والصحفي نجيب يابلي، والاستاذ افضل، والشيخ عبدالله محمد حاتم، مدير المدرسة الغربية لاحقاً، وامام وخطيب مسجد النور فيما بعد.

من زملاء الشهيد في المدرسة الشرقية، فضل حسن يحي، طه احمد غانم، احمد محمد قعطي، محمود عبدالله عراسي، احمد عمر حيد، عبدالحميد الاصنج.

ثم أنتقل إلى المدرسة الحكومية المتوسطة للبنين في كريتر (ثانوية لطفي أمان حالياً) وبعد إكمال دراسته المتوسطة التحق بكلية عدن في الشيخ عثمان لتلقي دراسته.

في بداية ستينات القرن الماضي، التحق محمد صالح عولقي بشركة الزيت البريطانية (B.P.) بمدينة البريقة والتي كانت تنافس آنذاك مصفاة عبدان بإيران،

وشكل العمل لمحمد صالح عولقي في مصافي عدن نقلة نوعية كبيرة في حياته. التحق بالعمل في شركة مصافي الزيت البريطانية عام 1962م وانتخب اميناً عاماً للنقابة العامة للبترول (احدى النقابات الست التي نشط فيها رواد الحركة الوطنية والنقابية وسيطروا عليه بالانتخابات).

اقدمت شركة الزيت البريطانية على فصل اكثر من 20 عاملاً في الشركة، على خلفية نشاطهم النقابي ومطالبهم العادلة، فتشاورت النقابات الست فيما بينها واعلنت الاضراب الشامل، الذي شمل قطاعات واسعة في مستعمرة عدن، وتعرض العديد من النشطاء السياسيين والنقابيين لحملة اعتقالات واسعة، وكان من بين المعتقلين امين عام النقابة العامة للبترول محمد صالح عولقي، والذي تعرض لتعذيب بشع، وبقي في السجن لمدة عشرة أشهر.

حياته السياسية

من تلك المحطات كان التحاقه بحركة القوميين العرب وانضمامه الى صفوف الجبهة القومية وانخراطه في العمل النقابي وكان العولقي أحد قياديين (النقابات الست) حيث عكس الصراع الحزبي العقائدي بين حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي ظلاله قاتمة على الساحة العمالية التي شهدت انقساماً حيث انضوى قادة النقابات من حركة القوميين العرب تحت لواء (النقابات الست) وهي:

1. النقابة العامة لعمال البترول.
2. نقابة عمال وموظفي البنوك المحليين.
3. نقابة عمال وموظفي أمانة الميناء.
4. النقابة العامة للمعلمين.
5. نقابة عمال وموظفي اتحاد الطيران المدني.
6. نقابة عمال وموظفي البناء والإنشاء والتعمير.

كان محمد صالح عولقي من قيادة النقابة العامة لعمال البترول و ثم من قياديي النقابات الست، وكان من زملائه في العمل النقابي محمود عشي ش وحسن فرحان ومحمد سالم عبدالله (وكيل وزارة النقل في مرحلة ما بعد الاستقلال) ومحمد عبدالله الطيبي وعبدالقادر أمين وأبوبكر شفيق وحسين دقمي وعبدالله عبدالمجيد السلفي وغيرهم.

العولقي في مؤتمر زنجبار

كانت الساحة السياسية والنقابية في عدن ساخنة خلال عامي 1964/1965م وبلغت ذروتها خلال عامي 1966/1967م وكانت الفترة الاخيرة حرجة بالنسبة لمحمد صالح عولقي، حيث تعرض فيها للاعتقال والملاحقات والمواجهات في العمل السياسي والنقابي، وكان ضمن اعضاء القيادة العامة المنتخبين في المؤتمر الرابع للجبهة القومية في زنجبار الذي انعقد في مارس 1968م والذي انتخب فيه قحطان الشعبي وفيصل عبداللطيف وعبدالباري قاسم وعبدالفتاح اسماعيل ومحمد علي هيثم وسالم ربيع علي ومحمد صالح عولقي وعبدالله الخامري ومقبل وعلي ناصر محمد ومحسن والبيشي وحسين الجابري وعلي عنتر وصالح مصلح وعلي شائع هادي وعلي عبدالعليم وعبدالقادر امين وآخرون.

ونظرا لتفاقم الخلافات بين رفاق الامس في السلاح فقد بدأت سلسلة من المواجهات ادت الى تغيرات في المناصب السياسية عقب احداث حركة 20 مارس الانقلابية الفاشلة 1968 والتي ترتب على ضوؤها

صدور القرار الجمهوري رقم (20) لعام 1968م بتاريخ 20 أبريل 1968م للرئيس الراحل قحطان محمد الشعبي والذي قضى بتعيين محمد صالح عولقي وزيراً للدفاع (بدلاً من علي سالم البيض)، وقضى القرار نفسه بتعيين عبدالله علي عقبه، وزيراً للثقافة والإرشاد وشؤون الوحدة (بدلاً من عبدالفتاح اسماعيل). احتفظ محمد صالح عولقي بمهام منصبه وزيراً للدفاع في حكومة الشهيد فيصل عبداللطيف الشعبي التي سُكلت في ابريل 1969م.

في اللجنة التنفيذية للجبهة القومية

بعد إجبار الرئيس قحطان محمد الشعبي للتنحي عن مهام مناصبه في 22 يونيو 1969م والتي عرفت لاحقاً بالحركة التصحيحية شكلت القيادة العامة للجبهة القومية مجلس رئاسة للجنوب مكون من الآتية أسماؤهم: سالم ربيع علي رئيساً وعبدالفتاح اسماعيل، أميناً عاماً للجبهة القومية وعضوية كل من: محمد علي هيثم وعلي أحمد ناصر عنتر ومحمد صالح عولقي ومحمود عبدالله عشيح وعبدالله الخامري وعلي صالح عباد مقبل وعلي سالم البيض.

أصدر الرئيس سالم ربيع علي القانون رقم (42) في اغسطس 1971م بتشكيل مجلس الوزراء برئاسة علي ناصر محمد، وكانت حقيبة الخارجية من نصيب محمد صالح عولقي. في المرحلة نفسها شهدت مدينة طرابلس، اللقاء التاريخي بين القاضي عبدالرحمن الارياني، رئيس المجلس الجمهوري في الجمهورية العربية اليمنية وسالم ربيع علي، رئيس مجلس الرئاسة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية خلال الفترة 28 - 29 نوفمبر 1972م وتمخض اللقاء عن تشكيل عدد من اللجان الوحدوية منها "لجنة الشؤون الخارجية والتمثيل الدبلوماسي والقنصلي" وأعضاؤها: محمد صالح عولقي ومطلق عبدالله حسن وسالم باجميل وغالب علي جميل وأحمد الارياني وعلي محسن حميد.

العولقي في طائرة الموت

تداعى دبلوماسيو اليمن الديمقراطي في الخارج مع قيادة وزارة الخارجية لحضور "مؤتمر الدبلوماسيين الأول" في أواخر ابريل 1973م ونضم للمشاركين برنامج خاص لزيارة بعض المناطق في الجمهورية وتم نقلهم في طائرتين.

بعد إقلاع الطائرتين من مطار عتق في 30 أبريل 1973م، وفي طريقهما إلى حضرموت انفجرت إحدى الطائرتين وكانت من طراز داكوتا التي كانت تقل محمد صالح عولقي، وزير الخارجية وعددًا من الدبلوماسيين يصل الى خمسة وعشرين منهم سيف احمد ضالعي وعبدالباري قاسم ونورالدين قاسم وعبدالله محمد بن سلمان وأحمد صالح

الشاعر والقاص محمد عبدالولي وأحمد بن دحمان ومهدي صالح جعفر ومحمد هيثم ومحمد أحمد البيشي وفضل أحمد السلامي وعبدالقادر السلامي وغيرهم. دون الشعب مشاعر حزنه وسجل التاريخ أن الجبهة القومية خسرت خيرة رجالها في ذلك الفعل المفجع

الذي أستهدف ذوي الرجاحة والحصافة ومثلوا بوصلة الامل لمستقبل متوازن فقداه الوطن برحيلهم.

الأوسمة

حائز الشهيد العولقي على وسام 14 أكتوبر و26 سبتمبر وكذلك وسام الجمهورية العربية المتحدة (مصر) من الدرجة الأولى من قبل الزعيم الراحل جمال عبدالناصر.



الشهيد محمد صالح عولقي مع الزعيم الراحل:
جمال عبدالناصر أثناء زيارته لجمهورية مصر العربية



الرئيس سالم ربيع علي يصافح وزراء حكومة يونيو 1969م محمد علي هيثم، محمد صالح عولقي، عبدالباري قاسم صالح، حيدر أبوبكر العطاس، د. عبدالعزيز الدالي، عبدالمملك اسماعيل.

المراجع

1. نجيب اليايلي، صحيفة الأيام، 21. يوليو، 2014م
2. موقع شبوة برس
(<http://shapwaahpress.net/news/18814/#ixzz387gbf1ff>)
3. تقرير باسم صالح العولقي على الفيسبوك. 25 يوليو، 2016م
4. شهداء طائرة الدبلوماسيين (طائرة الموت) شبوة برس، 01. 05. 2018م
5. مقابلة مع الدكتور عبدالعزيز الترب في الثورة نت. 2014م
6. تقارير القصة الحقيقية لمقتل الدبلوماسيين الجنوبيين في حادثة طائرة الموت - عدن، شبوة، حضر موت، الخميس 17 سبتمبر 2015م عدن الحدث.
(<https://aden-alhadath.info/news/10305>)
7. ارشيف الشهيد عبدالباري قاسم صالح - عدن 1969م

الكاتب / سعيد علي عولقي



ولد سعيد علي عولقي، عام 1946م، وهو كاتب مسرحي وروائي يمني شارك كعضو مؤسس في تكوين "فرقة الجنوب للمسرح" عام 1965م، ثم كعضو مؤسس لفرقة "المسرح الحديث" عام 1969م، انتقل إلى العمل في وزارة الثقافة والسياحة في 1978م، وأسس "قسم الأبحاث والدراسات المسرحية" وعمل رئيسًا له حتى 1979م، شارك في تأسيس وإصدار "مجلة الفنون" الصادرة عن وزارة الثقافة والسياحة في مطلع العام 1980م، وعمل مديرًا لتحريرها في بداية صدورها، في 1987م، انتخب رئيسًا لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين "فرع عدن". عين مديرًا عامًا "للإدارة العامة للثقافة" بوزارة الثقافة بصنعاء (1990 - 1995م)، وفي 1995م. عين مديرًا عامًا للمؤسسة العامة للمسرح والسينما بقرار جمهوري.

مؤلفاته

ألف كتاب يتحدث عن التاريخ المسرحي في اليمن بعنوان "سبعون عامًا من المسرح في اليمن" عام 1983م، وصدرت له رواية بعنوان "السمار الثلاثة" في 1993م وفي العام

نفسه صدر له كتاب بعنوان "شقلابانيات" يحتوي على كتابات صحفية. وترجمت له قصة "الخلافة" إلى اللغة الإنجليزية في مجموعتين نشرت بالإنجليزية: (The Literature of Modern Arabia) عام 1988م.

وبالإنجليزية: (Modern Literatures of the Non - Western World) عام 1995م. واثار غياب عولقي عن المشهد الصحفي والمسرحي في اليمن حيرة الكثير من متابعيه. وقال مقربون منه انه يعيش حالة احباط بمنزله وسط غياب اي اهتمام او التفات رسمي لحاله، ودعا محبوا العولقي اياه الى العودة مجددا للكتابة والابداع.

منذ 30 عامًا كتب سعيد عولقي "السمار الثلاثة"، وهي رواية فلسفية قصيرة، فلسفية لأنها تثير تساؤلات عريضة عن الحرية والقانون وعبثية الواقع، وحافلة بالحوارية التي تتيح صراع المنظورات وتعدد الأصوات، وهي قصيرة لأنها تركز على حدث واحد بأسلوب مشوق، وتميل إلى التكتيف في اختيار المشاهد التي عصر فيها الكاتب خلاصات جوهرية. من هذه الخلاصات في المشهد الأول: عندما علم المؤلف المسرحي مهدي باسنبل بأن القاتل الإرهابي حرُّ طليق، يمارس مهنة القتل، خرج من مكتب أخيه المحامي ضاربًا الباب بقوة، سقطت إثره اللوحة المعلقة في الجدار، والتي كتب فيها (عندما يسكت القانون يبدأ الطغيان).

وفي المشهد الثاني: الجمل المعصوب العينين، الذي يدور في المعصرة المجاورة لمركز الشرطة، وقد أطل عليه الملحن الموسيقي أنور خان من فتحة نافذة الغرفة التي احتجز فيها مع رفيقه المؤلف المسرحي مهدي باسنبل، والصحفي الشاعر أحمد القاضي، كان أنور خان يتابع الحوار الدائر بكل ذرة من أحاسيسه، وإن كان يتظاهر بعدم بالاكتراث، ناظرًا من فتحة صغيرة خلف ستارة الشباك إلى "معصرة" زيت السمسم القابعة أسفل التل.. وإلى الجمل معصوب العينين الذي يدور فيها.. ترى متى بدأ ذلك الجمل أولى خطواته... ومتى يتوقف عن الدوران؟ بدا له ذلك المنظر شديد اليمينية، بل أكثر خصوصية... كان المنظر عدنيًا خالصًا... أكثر عدنية من كل شيء... وكريتريا حتى النخاع.

هذان المشهدان يحفلان بالدلالة من رواية شديدة الجراءة، قياسًا بالأجواء التي كُتبت ونشرت فيها، تقرأ الواقع بمنتهى الفاعلية والحيوية، كتبها سعيد عولقي في 1988، وكلما

اطلعنا عليها مرة تلو مرة نجدها لم تغادر فاعليتها المذهلة منذ ثلاثة عقود في تناول الأفق الثماني في جنوب اليمن، وفي إطلاقها نبوءة سردية تستشرف المستقبل الذي أصبح اليوم حاضرًا شديد البؤس والمرارة، وكأنما هذه الرواية المكتوبة قبل 30 عامًا مكتوبة عن هذه الأيام! أهي عبقرية الفن الروائي وحساسيته الشديدة في قراءة الحاضر والمستقبل، أم هي دراما الواقع الهزلية؟

الكاتب والناقد والمؤلف الروائي والمسرحي، صاحب "سبعون عامًا من المسرح في اليمن"، وصاحب "التركة" أشهر مسرحية يمنية حققت نجاحًا جماهيريًا على الإطلاق، والمجموعة القصصية الرائعة "الهجرة مرتين" والمقالات الساخرة "شقلبات"، والرواية المذهلة "السمار الثلاثة" غني عن التعريف، كاتب متعدد آخذ من كل فن بأكثر من طرف، يكتب بأسلوب ساخر، وسخريته كما يقول أحمد محفوظ عمر: "عذبة من اللون المحبوب والمقبول". مرت الآن الثلاثون، ولم يجد من السخرية ما يكفي ليفيض به على ألم هذا الواقع، ولعله لاذ بتراجيديا الصمت احتجاجًا على بؤس الواقع، فتحول الممثل والمؤلف والكاتب المسرحي من خشبة المسرح إلى مقاعد الجمهور، يشاهد بصمت فصول مسرحيتنا الهزلية، أترى ما الذي سيكتبه هذا الروائي لو قرر اليوم الكتابة؟

وأيا كان قرار هذا الكاتب الكبير - الذي صنع من الأعمال الإبداعية ما يشكل علامات فارقة في تاريخ المسرح والرواية والسرد في اليمن - في ممارسة حقه الشخصي في التوقف عن الكتابة أو الاحتجاج، فإن غيابه عن المشهد الثقافي كل هذه السنوات يُعد خسارة كبيرة، وحين يغيب صمًا عن المشهد الكتاب الكبار من أمثال سعيد عولقي، لا نملك جرأة الاحتجاج عليه أو ترف السؤال وبلاغة الاعتراض. ثلاثون عامًا من السنوات العجاف منذ أن كتب سعيد عولقي رواية "السمار الثلاثة"، التي تؤرخ لبداية الأزمة التي تعيشها النخب السياسية والثقافية في جنوب اليمن، ولم تزل نصًا مفتوحًا على القراءة والدهشة، وهي الثلاثون نفسها من الغياب الاختياري لهذا الكاتب الكبير عن المشهد الثقافي، أبطال روايته الثلاثة يقررون الصمت احتجاجًا على فساد الواقع، فهل مارس الكاتب ذلك الاحتجاج؟

كما لا يفوتنا التنبيه لكتابات العولقي هنا لعشرات المقالات النقدية والتعليقات

الساحرة التي تطرزت بها الصحف المحلية بل من منا لا يتذكر عموده الاسبوعي الثابت في صحيفة الايام الذي زخر بتوثيق الكثير من احداث ووقائع تاريخية قيمة لمدينة عدن وناسها وكل محافظات الجنوب.



سعيد عولقي أثناء استلامه جائزة (صنعاء عاصمة الثقافة العربية) من قبل وزير الثقافة د. محمد أبوبكر المفلحي، 2006م.

المراجع

1. Overview of Yemeni theatre by Abdul Aziz Makaleh in The World Encyclopedia of Contemporary Theatre, Volume 4: The Arab World (1999) نسخة محفوظة 29 يونيو 2011 على موقع واي باك مشين.
2. Orth's 2004 essay on Yemeni literature
3. <http://adengad.net/news/345423/>
4. موقع صحيفة عدن تايمز، - لندن: عدن - عبد الحكيم باقيس، 7 أغسطس 2018م.

الخاتمة

أقل تقدير ممكن أن تقدمه الحكومة اليمنية لهكذا شخصيات تاريخية، يضرب بها المثل، كمنح أسمائهم على معالم يقتدى بها مثل يسمى أحد الجوامع بالشيخ العلامة محمد سالم البيحاني ومدرسة أو معهد بأسم الشهيد المناضل محمد صالح العولقي

وكذلك مسرح أو معهد الفنون بأسم الأديب سعيد علي عولقي، سيكون هذا رمزاً تقليدياً وتقديراً لإنجازاتهم في بناء الوطن وعرفاناً بجميلهم لحبهم لوطنهم أن يكرموا حتى ولو بعد مماتهم.

التوصيات

نوصي من خلال بحثنا هذا ببعض المقترحات حبذا لو تنفذ كعامل مساعد لتأريخ حضارة شبوة وتاريخها والذي سيساهم في نشر الوعي لدى طلاب المدارس والشباب من الأجيال القادمة لمعرفة تاريخهم بشكل أفضل وذلك من خلال:

1. إعداد مؤتمرات سنوية أي كل ثلاث سنوات من أجل استمرارية البحث تقديم كل جديد لتاريخ وحاضر ومستقبل شبوة وتوثيقه ونشره.
2. نقترح بناء متحف يخص تاريخ شبوة وآثارها ومعالمها الحضارية القديمة، والذي من خلاله يسمح لطلاب المدارس والمعاهد والجامعات بزيارته والإطلاع على تاريخ المدينة وكذلك تقديم البحوث للكوادر الشابة والطموحة. ودراسة الثروات والمعادن الطبيعية للمدينة. وأيضاً يكون فيه قاعات خاصة بالمؤتمرات المحلية والدولية.
3. نقترح بناء مكتبة خاصة بكل الكتب والمؤلفات والمراجع حول شبوة المدينة والحضارة والطبيعة، لتكون مصدر إلهام لكل أطفال وشباب شبوة وكوادرها
4. ادراج اسماءهم وغيرهم من القامات الوطنية ومن جميع المحافظات وفقاً لمساهماتهم بالتنمية في كتب التاريخ المدرسي والجامعي، حتى لا تنمحي ذاكرة الاجيال وينظمس تعزيز الانتماء والهوية.
5. اصدار طوابع بريدية بشكل دوري بالمناسبات مثلاً في عيد الاستقلال طابع باسم العولقي او عيد الجيش كونه وزير للدفاع، الشيخ البيحاني في شهر رمضان كحدث اسلامي، المسرحي سعيد عولقي اصدار طابع في ذكرى تاسيس مسرح عدن الذهبي مثلاً وهكذا دواليك.

مؤتمر شبوة تاريخ وحضارة - مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر

تعدد الأنماط المعمارية القديمة وتقنياتها في محافظة شبوة



أ.د. أحمد إبراهيم محتسب حنشور
أستاذ العمارة القديمة - قسم الآثار
جامعة عدن

تكمّن أهمية محافظة شبوة من خلال موقعها الجغرافي بوصفها تمثل جسراً بين مناطق إنتاج اللبان والبخور ومناطق تصديره، حظيت بالاهتمام والدراسات الأثرية منذ أكثر من قرنين من الزمان؛ لأن أرضها تضم عواصم ثلاث ممالك من ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة (اوسان، قتبان، حضرموت)، وقد تركزت تلك الدراسات على المخلفات الكتابية والمعمارية لتلك الممالك، ورغم ذلك فإنها بقيت خارج دائرة الاهتمام لعدة أسباب؛ لعل أهمها عزوف أبنائها من الأثاريين والإعلاميين والمثقفين عن التعريف بكنوزها الثقافية، واقتصار الأمر على الدراسات الأثرية العلمية التي تنشرها البعثات الأثرية في مجالها المحدود.

وفي هذا البحث سنقوم بالتعريف بالممالك التي نشأت في محافظة شبوة (اوسان، قتبان، حضرموت) وعواصمها، كما سيتم دراسة الأنماط المعمارية القديمة للبناء المعتمدة على مواد البناء المحلية، التي نشأت وتطورت في مختلف مدن شبوة، كنتاج للتفاعل بين الإنسان وبيئته، وتفردتها بصفات وخصائص معينة نابعة من ثقافة وتقاليد

وقيم ومفاهيم المجتمع وبيئته العمرانية، ترسخ عمارة محلية مميزة هي مثال للعمارة المبنية على الاختيار السليم لنمط البناء المتوافق مع طبوغرافية المنطقة وتوافق المناخ المعماري والفهم الواعي لخواص المواد المحلية ومتطلبات الحياة اليومية من أجل إيجاد بيئة صديقة للإنسان.

كلمات مفتاحية: الممالك القديمة، الأنماط المعمارية، البناء بالطين، البناء بالحجر.

المقدمة:

تقع محافظة شبوة في منتصف الهضبة اليمنية، إلى الشرق من عدن بحوالي 385 كيلو متر وإلى الغرب من المكلا بحوالي 300 كيلو متر، تمتد أراضيها المتسعة والمترامية الأطراف (تبلغ مساحتها 73908 كم مربع) من الصحراء شمالاً، وحتى البحر جنوباً، تحيط بها من الشمال محافظتي حضرموت ومأرب، ومن الشرق محافظة حضرموت، ومن الجنوب بحر العرب وخليج عدن وجزء من محافظة أبين، ومن الغرب محافظات أبين والبيضاء ومأرب، قامت على أرضها ثلاث ممالك من ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة (اوسان، قتبان، حضرموت)، وكانت همزة وصل لربط بقية ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة.

موقعها الجغرافي جعلها تتمتع بخصائص متنوعة وموارد طبيعية مختلفة ومعطيات بيئية متعددة، مثل: المرتفعات الوسطى، والهضاب، والانحدارات المتدرجة منها إلى السهول الساحلية، والصحراء المنبسطة على أراضي الربع الخالي، كما أذى تنوع المناخ السائد فيها (تتمتع المرتفعات بمناخ معتدل، فيما يسود الشريط الساحلي مناخ حار رطب، أما المناطق الصحراوية فيغلب عليها المناخ الصحراوي الحار)، إلى إيجاد العديد من التحديات، إلا أن عمارتها استطاعت تقديم حلول ومعالجات مبتكرة عن طريق التشكيل العمراني والمعماري الملائمين لمعطيات واحتياجات المكان والإنسان، واستنباط أنماط معمارية وإنشائية ووظائف عمرانية متطورة في البناء تتناسب مع تلك التحديات في مختلف مدنها، وتعكس الحيز العمراني بخصائصه المميزة تراعي الظروف الطبيعية وتحقق المتطلبات الاجتماعية للسكان.

الممالك التي نشأت في محافظة شبوة:

أهم الممالك التي نشأت في محافظة شبوة هي:

مملكة اوسان:

مملكة (اوسان) أو "أوسن" إحدى الممالك اليمنية القديمة، لا تُعرف حتى الآن تاريخ البدايات الأولى لظهور المملكة، إلا أنه يرجح وجودها قبل القرن (العاشر) قبل الميلاد، ومن خلال النقوش الاوسانية القليلة التي تم العثور عليها يمكن القول أن حكام اوسان اتخذوا لقب مكرب ثم لقب ملك.

تقع أراضي اوسان في المنطقة الواقعة بين وادي بيحان ومدينة عدن، وتدل الشواهد الأثرية والنقشية على أنها اتخذت هجر يهر في وادي مرخة جنوب وادي بيحان عاصمةً لها.

امتدت سيطرتها جنوباً إلى البحر العربي وخليج عدن، ومنطقة المعافر (الحجرية حالياً)، وحققت ازدهاراً ملحوظاً في القرن (الثامن) قبل الميلاد، مما دفع ملوكها إلى توسيع نطاق سيطرتهم على حساب جيرانهم في مملكتي قتبان وحضرموت، وامتد نفوذهم إلى إفريقيا والهند؛ إذ كان الساحل الإفريقي يسمى بالساحل الاوساني، وهذا التوسع ألب عليها جيرانها من الممالك اليمنية.

استمرت المملكة في ازدهارها إلى أن اتسعت مطامع الملك السبئي (كرب إيل وتر) آخر مكربي مملكة سبأ - أول من تلقب بلقب ملك سبأ - إذ قام بالتحالف مع ملوك مملكتي (قتبان وحضرموت) في القرن (السابع) قبل الميلاد، وقاد حملة عسكرية كبرى، تمكن خلالها من قتل ملك اوسان (مرتع) واحتلال العاصمة (هجر يهر) وتدمير معابدها وقصرها الملكي (مسور)، كما قام باحتلال بقية مدن اوسان وتدميرها، ووزعت الأراضي بين مملكة سبأ وحلفائها من القتبانيين والحضارم، وخضع الجزء الأكبر من أراضيها لسيطرة القتبانيين، ودون الملك السبئي كرب إل وتر انتصاراته على ملك اوسان في نقش الذي عثر عليه في معبد الوعول في مدينة صرواح.

وفي ظروف غامضة ظهرت مملكة اوسان من جديد في القرن (الثاني) قبل الميلاد، وخلال تلك الفترة حكم خمسة من الملوك فقط، تم العثور على تماثيل لبعضهم، ثم اختفت من جديد في بداية القرن (الأول) قبل الميلاد تقريباً دون معرفة ملابسها ظهورها واختفائها.

مدينة يهر (هجر يهر) :

نشأت (هجر يهر) في وادي مرخة جنوب وادي بيحان، تزامن مع نشوء عواصم الممالك اليمينية القديمة في الوديان الكبرى، معين في وادي الجوف، مارب في وادي ذنه، تمنع في وادي بيحان، وشبوذة في وادي عرمة.

كانت (هجر يهر) واحدة من أهم المراكز الحضارية والتجارية في جنوب الجزيرة، تأثرت بالحضارة الهلينية، وتجلت ذلك بوضوح في عمارة المعابد والقصور الملكية، فضلاً عن تأثرهم بتقاليد اللباس اليوناني.

دُمرت مدينة هجر يهر بشكل كامل في القرن (السابع) قبل الميلاد، من قبل الملك السبئي (كرب إل وتر) طبقاً للنصوص السبئية التي تتحدث عن النصر بصيغ تقرر بأهميته للسبئيين.

مملكة قتيان :

نشأت مملكة قتيان في نهاية (الألف الثاني) قبل الميلاد، في وادي (بيحان) الواقع شمال شرق مدينة عدن على بعد 300 كيلومتر تقريباً، ثم ضمت إليها كلاً من وادي (حريب) غرباً، ووادي (مبلقة) ووادي (أخر) - يسمى حالياً وادي (خر) - وبعدها أخذت هذه المملكة تمتد وتتسع رقعتها الجغرافية في فترات زمنية لاحقة.

أخذ القتيانيون من (تمنع) المعروفة اليوم بـ (هجر كحلان) عاصمة لهم ومركزاً لنشاطاتهم⁽¹⁾. وقد اختلفت رؤى الباحثين في تحديد البداية الأولى لانطلاق القتيانيين لتأسيس كيانهم السياسي، فمنهم من يرى أن تلك البداية تعود إلى منتصف القرن (التاسع) قبل الميلاد ومنهم من يرى أنها تعود إلى القرن (السابع) قبل الميلاد؛ إذ يعود

(1) Doe, 1971, p. 70؛ الجرو، 1996م، ص 137.

أقدم ذكر معروف لولد عم إلى عصر الملك السبئي كرب إل وتر بن ذمار علي⁽¹⁾، إلا أن آثار وجودهم الاجتماعي ونشاطهم الاقتصادي يرجح نشوء تلك المملكة قبل ذلك التاريخ بكثير⁽²⁾.

اشتهر القتبانينون في مجال العمارة، وبخاصة بناء المدن والمنشآت العامة، وتعد مباني ومعابد العاصمة تمنع خير دليل على وجود مهارة فائقة في مجال البناء، كما برعوا في وشق الطرق؛ إذ يذكر أحد النقوش من القرن (الثاني) قبل الميلاد أن المكرب (يدع أب ذبيان) شق نقيلاً (مبلقة)، وهو طريق جبلي صاعد يربط مناطق قبتان بالمناطق السبئية، وكان له دور كبير في تسهيل سير القوافل التجارية المحملة بالبضائع، فضلاً عن إبداع القتبانيين في المجال الحرفي، وبخاصة صناعة التماثيل بمختلف أنواعها، وسك العملات الفضية والذهبية، التي كانت تحمل اسم القصر الملكي (حريب) في مدينة تمنع.

وكانت نهايتها مع نهاية القرن (الثاني) الميلادي على أثر خراب مدينة (تمنع) وإحراقها، كما تبين ذلك من طبقات الرماد الكثيفة التي عثر عليها في أنقاضها، نتيجة للحملات التي وجهها إليهم ملوك سبأ وذي ريدان⁽³⁾.

مدينة تمنع:

عاصمة مملكة قبتان، ورد اسمها في النقش (Ja629) باللفظ (𐩦𐩣𐩪𐩥؛ تمنع)⁽⁴⁾، كما ورد في النقش (RES3566)، الذي وجد على البوابة الجنوبية باللفظ (𐩦𐩣𐩪𐩥𐩠𐩢)؛ ذوتمنع)، ويطلق عليها حالياً هجر كحلان.

تشير الكتابات الأكثر قدماً والتي تم العثور عليها في المدينة إلى أنها تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد⁽⁵⁾.

(1) بافقيه، 1992م، ص 754.

(2) الجرو، 1996م، ص 137.

(3) الجرو، 1996م، ص 148.

(4) بافقيه، وآخرون، 1985م، ص 207.

(5) ديمجرية وروبان، 2006م، ص 9.

تحتل مدينة تمنع موقعاً مسيطراً عند المخرج الشمالي لوادي بيحان إلى صحراء صيهد، على ضفته اليسرى، فوق تل يرتفع حوالي 26 متراً عن مستوى الوادي، وهي على شكل بيضاوي (700×450 متر) تغطي مساحة 19,5 هكتار⁽¹⁾، يحيط بها سور حجري يبلغ طول جدرانه حوالي 1850 متر، يوجد به أربعة أبواب، بواقع باب في كل جدار من جدرانه الأربعة.

هذا الموقع منحها امتيازات عديدة أهمها:

- 1 - تمتع المنطقة بغزارة الأمطار، حيث يشكل حوض وادي بيحان مجمعاً للمياه.
- 2 - كون موقعها عند حافة الجبل مكن سكانها من استغلال الأراضي الصالحة للزراعة بفعالية كبيرة.
- 3 - الاستفادة من موقعها المنفذ نحو الصحراء كمنطقة رئيسة في طريق القوافل التجارية.

تشكل المباني المتعددة الأدوار النمط السائد في مدينة تمنع، هذه المباني لم يبق منها سوى أساساتها الحجرية المستطيلة الشكل، التي تمكنت من البقاء نتيجة لضخامتها، وهي تمثل خصوصية فريدة في طبيعة البناء في اليمن القديم (شكل 1).

(1) de Maigret, 2002, p. 93.



صورة 1: مسقط مدينة تمنع من موقع جوجل وقد تم وضع مربع على منطقة السوق.

وقد قامت البعثة الإيطالية الفرنسية بالتنقيب في مدينة تمنع، وكشفت عن جزء من تخطيط المدينة القديمة، وخصوصاً في الجزء الشرقي لمركز المدينة (ساحة السوق)؛ حيث شمل عمل البعثة عشر بنايات (قصور)، توصلت من خلالها إلى التعرف على ضخامة حجم المباني ونسق التخطيط المعماري للمدينة، فضلاً عن إعطاء تقييم أكثر دقة للمرحلة التي شهدت ازدهارها⁽¹⁾ (شكل 2).

(1) ديمجرية وروبان، 2006م، ص 18-19.

امتدت مملكة حضرموت على مساحة جغرافية واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربية، فحدودها كانت تمتد من حدود (قتبان) غرباً وحتى عُمان (شرقاً) ومن البحر العربي جنوباً، وحتى (العبر) وصحراء الربع الخالي شمالاً⁽¹⁾.

هناك فرضيات كثيرة حول بداية التكوين السياسي لمملكة حضرموت ألا أنه كان لها دور مؤثر في مجرى التطور العام للحضارة اليمنية في النصف الثاني من (الألف الأول) قبل الميلاد⁽²⁾.

أهم مدنها عاصمتها "شبهه" و"ميفعة" (نقب الهجر) و"ميناء قنا". وظلت حضرموت تحتفظ باسمها القديم، ولم يَخْتَفِ الاسم بزوال المملكة القديمة كما حدث لغيرها من الممالك اليمنية القديمة بل ظل حتى يومنا هذا مع اختلاف الحدود الجغرافية لهذا الإقليم.

وقد كانت نهاية مملكة (حضرموت) في بداية القرن (الرابع) الميلادي على يد جيوش الملك شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان⁽³⁾.

مدينة شبوة:

تحتل المدينة موقعاً متميزاً بفضل الظروف الطبيعية المكونة للمنطقة؛ إذ تقع على مرتفع صخري ارتفاعه 50 متر تقريباً، إلى الغرب من وادي عرمة (المعشار) أقصى غرب وادي حضرموت⁽⁴⁾.

ذكرت شبهه عاصمة مملكة حضرموت في النقش (أرياني 13) باللفظ (X∞ΠZ)؛ (شبت)⁽⁵⁾، وقد تعرفت البعثات الأثرية العاملة فيها من خلال التنقيبات التي قامت بها على مدة زمنية طويلة تعود إلى العصر البرونزي في (الألف الثاني) قبل الميلاد⁽⁶⁾.

(1) بافقيه، 1985م، ص 23، 31، 48.

(2) الجرو، 1996م، ص 111.

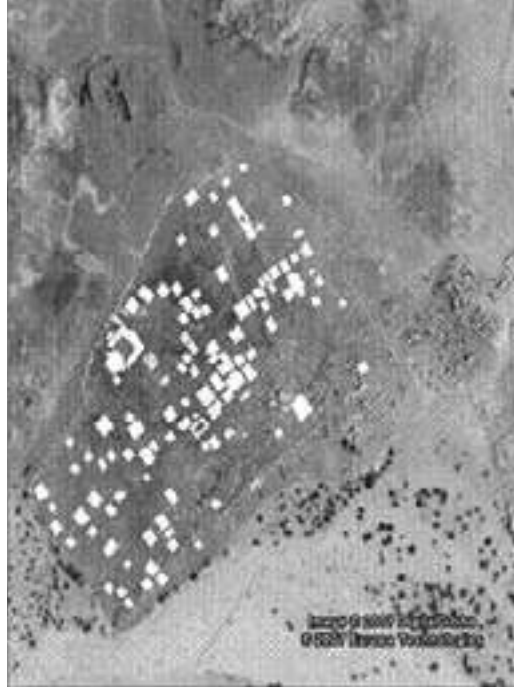
(3) الجرو، 1996م، ص 117.

(4) بريتون، 1996م، شبهه الموقع والمدينة، ص 46؛ وللمزيد أنظر بريتون، 1999م، ص 112-113.

(5) الارياي، 1990م، ص 112.

(6) بريتون، 1996م، شبهه الموقع والمدينة، ص 46.

أنشئت المدينة على منحدرات جبلية، وثلاثة من التلال على شكل مثلث، وتشكل سفوح العقاب مربعاً منحرفاً يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول 250 متر تقريباً، ويبلغ امتداد المربع من الشرق إلى الغرب 500 متر تقريباً؛ حيث تبلغ مساحة المربع الغربي للمدينة (150000 متر مربع تقريباً)، وتبلغ مساحة الجزء الشرقي (تل الهجر) وامتداده الجنوبي (30000 متر مربع تقريباً)، أما مجمل مساحة الموقع فتبلغ نحو 60 هكتاراً⁽¹⁾ (شكل 3).



شكل 3: منظر جوي لمدينة شبهوة من موقع جوجل، تم وضع مخطط المدينة عليه.

يحيط بالمدينة سور داخلي يصل طوله 1500 متر تقريباً، يلتف حول المنطقة الغربية من المدينة وهو مشيد من جدار على شكل أجزاء بارزة وداخله من السور تتعاقب على مسافات بينية منتظمة، ويحادي هذا السور في الجنوب مرتفع العقب وأطراف وادي

(1) بريتون، 1996م، شبهوه والحواضر اليمنية القديمة، ص 169.

معشار حتى يصل إلى برج دفاعي يسمى دار الكافر، ثم ينحرف في اتجاه الجنوب الغربي فالشمال الشرقي حتى ينقطع شرق القصر الملكي عند البوابة.

وفي أقصى الشمال يوجد باب يكون زاوية حادة يتحول عندها السور إلى الجنوب ليتصل بالطرف الشرقي للعقب أسفل قرية المثناه، بعد ذلك يرتبط بالحصن الذي يقع على قمة تل هجر.

كما توجد أسوار خارجية لا زالت سليمة في مجملها، يصل طول ما يزال ماثلاً منها 2700 متر⁽¹⁾ تمتد على التلال المحيطة بالموقع في الغرب والشمال والشمال الشرقي وبها فتحات منتظمة رصفت بالحصى (شكل 4).



شكل 4: صورة لمنطقة السور الغربية - مدينة شبوة
[عن: شبوة عاصمة حضرموت، ص 179]

أثر البيئة في تعدد الأنماط المعمارية

تشكل العوامل الطبيعية إطار البيئة المحيطة بالإنسان؛ إذ تتغير من مكان لآخر متضمنة لظروف مختلفة، تساعد على توفير مناخ مناسب لمعيشة الإنسان وتطوره، فالعامل المناخي والموقع الجغرافي بتكوينه الجيولوجي وطبوغرافية المكان، فضلاً

(1) بريتون، 1996م، شبوة والحواضر اليمينية القديمة، ص 170 - 171

عن توافر مواد البناء وطبيعتها النباتية تؤدي إلى ازدهار هذه المناطق بالعمران. ولأن الإنسان دائم التغير في أفكاره ومعتقداته وبالتالي تتغير ملامح وسمات المدن وعمارته من عصر إلى آخر بما يتلاءم مع احتياجات نمو الإنسان وتطوره الفكري وتقدمه الحضاري. وقد ازدهرت النهضة العمرانية في مدن شبوة في مختلف العصور، حيث كان لتوافر مواد البناء المختلفة أثراً كبيراً في تطوير أسلوب الهندسة المعمارية، فتوافر الأحجار الجيرية والجبس والجرانيت والبازلت البركاني وغيرها من الأحجار، إلى جانب الطين كمادة أساسية، والأخشاب التي لا يمكن الاستغناء عنها في البناء، ساعدت البناء على إبراز مواهبه وقدراته الفنية الإبداعية في إنشاء أسس الهندسة المعمارية اليمنية من خلال بناء القصور والمعابد والمسكن بمختلف مساحاتها البنائية وارتفاعاتها، بما فيها المباني البرجية المتعددة. وقد انتشرت في مدن شبوة القديمة عدة أنماط من العمارة وفقاً للمنطقة وخصائصها المناخية، فنجد استعمال الحجر لبناء الأساسات في معظم عمارة المباني البرجية، وبناء المنشآت الدينية والدفاعية والزراعية وقنوات الري، كما استعمل الطوب المجفف بالشمس (المدر)، كمادة أساسية لبناء الطوابق العليا للمباني.

ومن خلال ما تقدم يمكننا تمييز عدة أنماط معمارية، تتداخل هذه الأنماط فيما بينها في بعض المناطق، إلا أن هذا التداخل لا يطغي على الشكل العام. وأهم أنماط البناء التي وجدت في شبوة:

أولاً- تقنية البناء بالطين:

يُعدُّ البناء بالطين نظاماً تقليدياً متكاملًا، يمتاز بصفات كثيرة، أهمها: سهولة التشكيل، وإمكانية الزخرفة المناسبة، وملاءمته الظروف المناخية القاسية. والطين مادة صحية، موفرة للطاقة، ولا تسبب تلوثاً بيئياً عند البناء، أو في حالة الهدم والإزالة؛ إذ يمكن إعادة استخدام المواد نفسها في البناء والترميم، أو إعادة تدويرها، فضلاً عن خواصه الفيزيائية المتميزة، التي تجعل منها سكناً لائقاً، يتناسب مع المناخ والبيئة. وتزخر مناطق الهضاب والسهول والوديان، بالتربة الطينية الصالحة للبناء، والتي تستعمل في أغلب تلك المناطق مادة أساسية في بناء الجدران والسقوف.

من أهم مميزات مادة الطين أنها مادة رخيصة الثمن، متجددة على مر الزمن بفعل تأثير عوامل التعرية على الصخور، مع سهولة الحصول عليها، وبساطة استعمالها؛ إذ يسهل البناء بها باستخدام عمالة، ليست بالضرورة ماهرة، مما يحد من ارتفاع البطالة، كما تتميز بمقاومتها العالية للحرارة والحريق، وهي مادة عازلة جيدة للصوت.

أما أهم عيوبها كمادة بناء، فهو تأثيرها السريع بالماء، مما يؤدي إلى ضعف القدرة على المقاومة، وضعف الجدران الطينية أمام الأحمال الرأسية؛ مما يؤدي إلى زيادة مساحة الجدران الحاملة، وضعف مقاومتها لأحمال الشد والزلازل، فضلاً عن تعرض الأسطح الخارجية للمباني الطينية للتأثيرات السلبية من عوامل التعرية، واحتياجها إلى صيانة دورية.

برع البناء اليمني في استعمال الطين لبناء منازلهم، وتوصل إلى تقنية عالية - لم يستطع غيره الوصول إليها- لبناء مساكن ترتفع إلى طوابق متعددة، مستخدماً مواد المحلحة فقط، وهي تقنية لا تزال مستخدمة حتى يومنا هذا، تشهد على براعته وتطوره. وتنتشر هذه التقنية في مختلف أنحاء اليمن، إلا أن هناك تقنيات بناء خاصة نشأت وتطورت في مدن مملكتي حضرموت وقتبان، ووجدت آثار تلك التقنية في مدينتي شبوة وتمنع، وأهم تقنيات البناء بالطين التي وجدت في مناطق شبوة القديمة:

1- تقنية البناء بالطوب الطيني المخلوط بالتبن المجفف بالشمس (المسمى محلياً بالمدر).

2- تقنية بناء المباني البرجية باستخدام هياكل خشبية تملأ بالمدر ومونة الطين.

3- تقنية بناء المباني البرجية بالمدر ومونة الطين باستخدام تقنية الجدران المتناقصة.

1 - تقنية البناء بالطوب الطيني المخلوط بالتبن المجفف بالشمس (المسمى محلياً بالمدر).

تعتمد هذه تقنية على إنتاج الطوب الطيني المدعم بالتبن وتجفيفه، ليصبح جاهزاً للاستعمال في البناء، وقد انتشرت في معظم مناطق السهول والأودية اليمنية، ومنها مناطق شبوة القديمة، وتعد هذه التقنية من أقدم تقنيات البناء بالطين؛ إذ وجدت مبانٍ

سكنية من دور واحد، بدون أساس، بنيت جدرانها بأسلوب رص الطوب الطيني المجفف بالشمس (المدر)، في صفوف أفقية مع المُوثة الطينية (تتراوح أبعاد الطوبة بين 22×30 إلى 37×58 سنتيمتراً)، ويعود تاريخها إلى القرن (الثامن) قبل الميلاد.

2 - تقنية بناء المباني البرجية باستخدام هياكل خشبية تملأ بالمدر ومونة الطين. تُعدّ هذه التقنية إحدى أهم وأقدم تقنيات بناء المعابد ومساكن الطبقات العليا في مملكة حضرموت، وعاصمتها مدينة شبوة القديمة (كوجين، 1985م، ص 91)، إلى جانب انتشارها في عدد من مناطق اليمن القديم، تعتمد هذه التقنية على بناء هيكل خشبي مترابط تعامدياً، مكون من قطع خشبية عرضية طولها مساو لطول الجدار، وأعمدة رأسية تفصل بينها مسافات متساوية، ويعلو ذلك قطع خشبية مختلفة، تربط بين أجزاء الإطار الهيكلي، ويحشى هذا الهيكل بالمدر ومونة الطين؛ بحيث تشكل تلك الأعمدة الخشبية المترابطة نسقاً متميزاً، يسمح ببناء طوابق متعددة تصل إلى سبعة أدوار، ويصل ارتفاع كل دور إلى ثلاثة أمتار تقريباً، كما في القصر الملكي (المبنى A) (شقر)⁽¹⁾ في شبوة (شكل 5)، الذي يتكوّن من مبنيين رئيسيين (المبنى A والمبنى B)، أقيما على قاعدة حجرية ترتفع عن مستوى الشارع الرئيس للمدينة نحو 50, 6 متر، تتكوّن من جدران حجرية خارجية يصل عرضها إلى 10, 1 متر وترتبط بها شبكة داخلية من الجدران الصغيرة المتعامدة التي يتراوح عرضها بين (70 إلى 75 سنتيمتراً) تكون سلسلة من الفراغات المستطيلة التي ردمت بكسر الحجارة والمدر والمونه الطينية⁽²⁾. يعلو الجدران الحجرية جدران من المدر والمونه الطينية يتراوح عرضها بين (60 إلى 65 سنتيمتراً) مزروعاً وسطها هيكل خشبي من أشجار العلب مكوناً من عوارض وأعمدة يشكل الدعامة الأساسية للبناء⁽³⁾ (شكلا 6, 7). وقد عثر على الهيكل الخشبي متفحماً في مكانه في الجدار الخارجي للرواق الغربي، هذا

(1) الإرياني، 1990م، ص 109 - 122

(2) سنييه، 1996م، ص 64

(3) سنييه، 1996م، ص 65

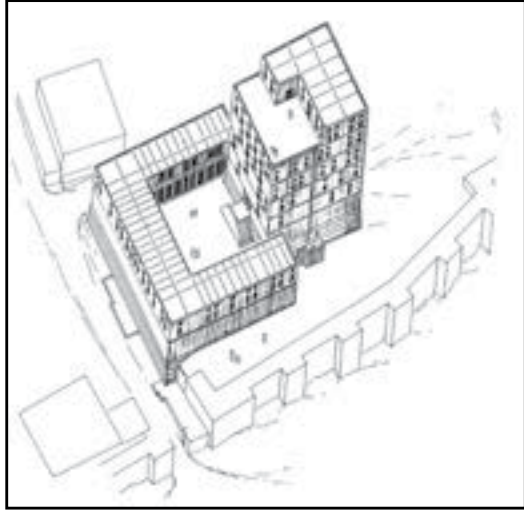
الاكتشاف قدم صورة واضحة ومؤكدة لنظام التجميع والوصل المستخدم للأخشاب⁽¹⁾
(شكلا 8، 9).



شكل 5: منظر لبقايا القصر الملكي في شبوة

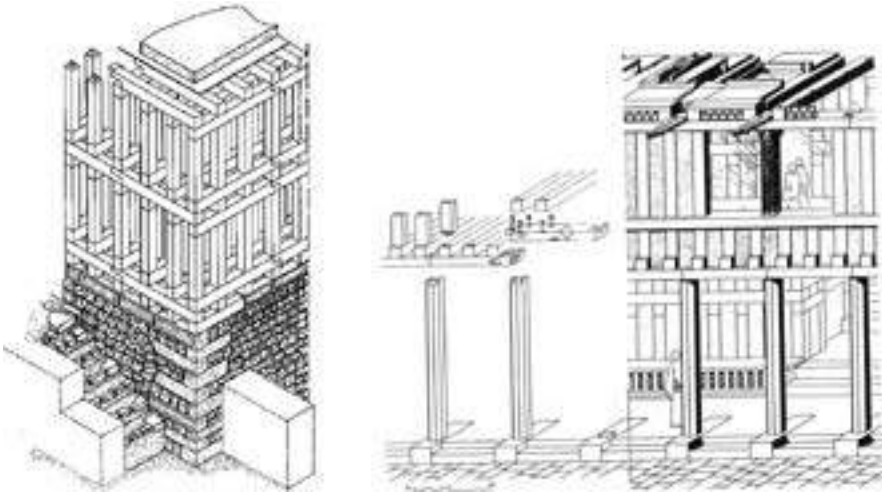


شكل 7: مخطط القصر الملكي شبوة
[عن: سنييه، 1996م، ص74]



شكل 6: تصور المنظر الخارجي للقصر الملكي شبوة
[عن: سنييه، 1996م، ص76]

(1) سنييه، 1996م، ص 65



شكل 9: تصور للمبنى A القصر الملكي في شبوة
[عن: Breton, 2000]

شكل 8: تصور لنظام التجميع والوصل المستخدم للأخشاب
[جاك سنييه، 1996م، ص 71]

3- تقنية بناء المباني البرجية بالمدن ومونة الطين باستخدام الجدران المتناقصة: تعد تقنية بناء المباني البرجية بالمدن ومونة الطين باستخدام الجدران المتناقصة من أهم تقنيات البناء بالطين التي طورها معالمة البناء في مملكة حضرموت القديمة، ولا زالت تستعمل في بناء المنازل الطينية في مدن شبوة ووادي حضرموت إلى يومنا هذا، فعندما بدأت تقنية البناء البرجية باستخدام الهياكل الخشبية والمدن ومونة الطين بالاضمحلال في حوالي القرن الثاني الميلادي؛ بسبب عدم توفر المواد الأولية، وخصوصاً الأخشاب، أخذت تقنية بناء المباني البرجية من المدن باستخدام الجدران المتناقصة تحل محلها، استغل البناءون معرفتهم لخصائص الطين المعمارية من متانة وسهولة تشكيل ومقاومة الحرارة عبر الجدران، فاستعملوها بذكاء لبناء مباني برجية من المدن بارتفاع ثمانية أدوار وباستعمال تقنية الجدران المتناقصة حيث يكون سمك الجدار متر تقريباً في الدور الأرضي ويتناقص السمك كلما ارتفعنا إلى الأعلى ليصل إلى سمك 20 سنتيمتر في الدور الأخير، هذا التناقص في سمك الجدار يؤدي إلى تخفيف الأحمال على الأساسات كلما ارتفعنا نحو الأعلى، وتعد مبانيهم الطينية أكثر

ملائمة لطبيعة المنطقة الصحراوية حيث صمدت لسنوات وسنوات وتوارثوا الخبرات وحافظوا عليها وعلى طابع البناء الخاص بهم.

أن أهم ما يميز تقنية بناء المباني البرجية بالمدر ومونة الطين باستعمال الجدران المتناقصة هو البعد والتسلسل التاريخي لتطورها بشكل شمولي لم يقتصر على الشكل المعماري فقط بل أشتمل على الجانب الوظيفي والبيئي أيضاً، فالاستعمال الأمثل للمواد المتوفرة محلياً وبيئياً مثل: الطين وأخشاب أشجار العلب والجير (النورة) والحجر، يدل على سعة الخبرة المقرونة بالذكاء الفطري بهندسة البناء حيث افرز نماذج فريدة تتميز بالبساطة وتتضمن عناصر وظيفية تلبى حاجة البيئة والظروف المناخية الصحراوية والعادات والتقاليد الاجتماعية، ولكي نفهم هذه الظاهرة وتقييمها ونستفيد منها فإننا مطالبون بالنظر إليها نظرة شمولية فاحصة، فالخبرة المتوفرة لدى معالمة الطين المعاصرين في مدن شبوة ووادي حضرموت، تعدّ من أهم الخبرات الدولية وذلك بسبب المخزون والإرث الثقافي والحضاري والخبرة المتراكمة والموروثة عبر القرون؛ حيث مارس الإنسان اليمني البناء بالطين يومياً بمنهاجية المعلم والخبير وقد أكدت الدراسات التي تمت على المباني الطينية في مدن شبوة ووادي حضرموت بوجود خمسة أنواع من مقاسات الطوب الطيني فرضت وجودها الخبرة العملية لعماقة البناء بالمدر، ويعود اختلاف المقاسات للطوب الطيني إلى اختلاف سمك الجدران الحاملة في الأدوار المختلفة للمبنى والى رغبة البناء في عدم كسر الطوبة السليمة، كما أن هناك تخصصات لمعالمة البناء في مختلف مراحل بناء المبنى بدءاً من الأساسات وانتهاءً بأعمال اليااسة والزخرفة.

يحضر الطوب الطيني "المدر" بخلط الطين الجاف والتبن، يقلب الخليط جافاً جيداً ثم يضاف الماء مع الاستمرار في التقليب والخلط إلى أن يصبح الخليط متجانساً (بمعرفة المعلم). يحوض الخليط ويملى الحوض بالماء ويترك ليتخمر لفترة لا تقل عن أربعة أيام، يعاد تقليب الخليط من جديد وفي هذه المرحلة تراعى كمية الماء (بحيث لا تزيد عن حد السيولة لأنها إذا زادت تشوه الطوبة وإذا نقصت كمية الماء يصعب التشكل، بعدها يبدأ إنتاج الطوب، بوضع الخليط في قالب من الخشب يسمى

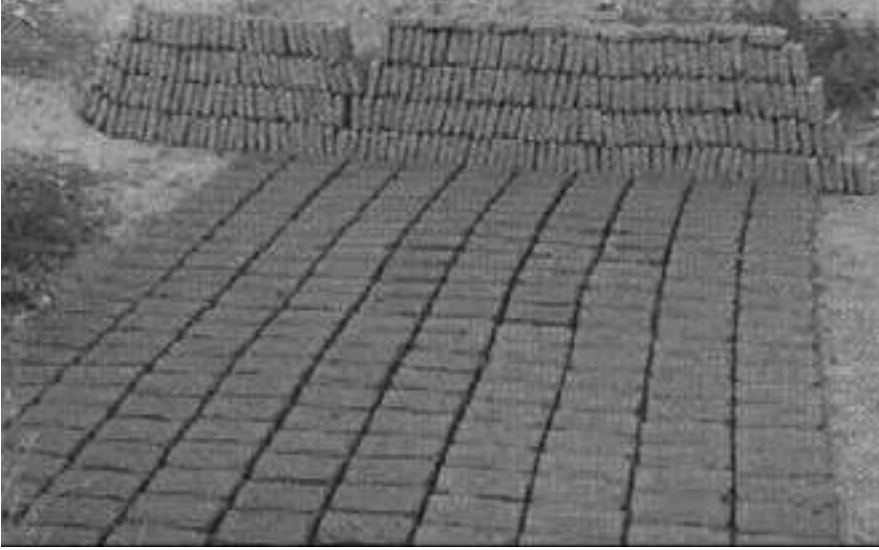
(المفتل)، وتوضع كل لبنة بجانب الأخرى في منطقة مسطحة مكشوفة لأشعة الشمس ليجف طبيعياً لمدة تراوح 7-15 يوماً بعدها يتم تخزينه قرب الموقع ويرص بطريقة هندسية (شكلا 10، 11).

الجدير بالذكر إن عمال المعمل الذين يقومون بصناعة الطوب الطيني المجفف متخصصون، فهناك المعلم الذي لديه خبرة كافية بمقياس الخلط للطين الخام والتبل وتحديد كمية الماء وعامل الخلط (العامل الذي يقوم بخلط الطين والتبن) والطباع (العامل الذي يقوم بصب خليط الطين والتبن في القالب) الذي توكل إليه مهمة إنتاج المدر وسحب القالب بعد ذلك بطريقة لا تؤثر على الطوبة وزواياه، وللطوب خمسة مقاسات تختلف بالطول والعرض وبسمك ثابت على سبيل المثال (5, 50 × 7, 32 × 5 سم) و (5, 25 × 23 × 5 سم) ويعود اختلاف المقاسات للطوب الطيني إلى اختلاف سمك الجدران الحاملة في الطوابق المختلفة للمبنى والى رغبة البناء نفسه في عدم كسر الطوبة.

كما أن هناك تخصصات لدى البنائين مثل البناء الذي يقوم بأعمال الأساسات فقط، البناء المتخصص في بناء الجدران، والمتخصصون في أعمال اللياسة والزخرفة وعمال النجارة والمشتغلون في إنتاج الطوب الخ.



شكل 10: صورة توضح عملية صنع المدر بواسطة المفتل



شكل 11: صورة توضح عملية تجفيف المدر

إن أسلوب الإنتاج القديم للطوب الطيني (المدر) قد تم تجاوزه في كثير من بلدان العالم، إلا أنه لا يزال سائداً في التجربة المحلية (في مدن شبوة ووادي حضرموت) (الأشكال 12-15)، ولا يزال أسلوب البناء نفسه يتوارث منذ مئات السنين وصامد في وجه الغزو الفكري الموجهة عبر التلفزة والأقمار الاصطناعية، بالرغم من العزوف الذي بدأ ينتشر بين أوساط الأجيال الجديدة عن ممارسة مهنة الأجداد والآباء المنتقلة بالممارسة والخبرة المتوارثة من جيل إلى جيل، ولذا يجب حماية الموروث والمحافظة عليه من خلال وقفة جادة والتفكير بإيجاد بدائل كفيلة بالمحافظة على الموروث وإدخال التكنولوجيا المتوافقة والملائمة (التكنولوجية البسيطة) مع البيئة المحلية وإصباغها بالطابع العلمي الهندسي والعملية المدروس.



شكل 12: صورة لمباني شبوة الطينية



شكل 13: صورة لمباني شبوة الطينية



شكل 14: صورة للمباني الطينية في مدينة شبام حضرموت



شكل 15: صورة للمباني الطينية في مدينة المهجرين

ثانياً - تقنيات البناء بالحجر:

تعد البيئة المحيطة بالمستوطنات البشرية، عاملاً مساعداً في تطوير مدارك الإنسان للتعامل مع ما يحيط به من مواد متوافرة، والاستفادة منها بشكل فعال وجوهري. ومن هنا، نجد أن معظم المباني في مدن شبوة، قد شيدت من الأحجار المتوافرة في المنطقة؛ إذ قام الإنسان ببناء الأساسات من كتل حجرية كبيرة، تعلوها جدران من أحجار متوسطة الحجم، تسندها أحجار صغيرة من غير استعمال أي نوع من أنواع مواد الربط، وأحياناً قد تُربط بعضها ببعض بملاط من الطين أو القَصَاضُ أو البوميس أو النُورَة أو المعادن، وأقدمها تعود إلى (الألف الثالث) قبل الميلاد⁽¹⁾.

ومن أهم تقنيات البناء بالحجر التي انتشرت في معظم أنحاء اليمن القديم، ومنها مدن شبوة، وما زالت مستخدمة حتى اليوم، ما يأتي:

1 - تقنية البناء بالكتل الحجرية:

وهي تقنية تعود إلى العصر الحجري الحديث - بداية العصر الحجري الحديث في اليمن من 8000 سنة قبل الميلاد.

وقد أظهرت نتائج أعمال التنقيب في شبوة أن تقنية البناء بالكتل الحجرية قد استعملت بشكل واسع لبناء أساسات قواعد المباني؛ إذ أن أطلال مدينة شبوة وآثارها تحتوي على 112 قاعدة مبني؛ تشكل قواعد لمبانٍ مختلفة موزعة بين القصر الملكي، ومساكن الفئات العليا للمجتمع ومعابد، وهي مباني برجية تقوم على أساس من كتل ضخمة من الحجر الرملي، يصل بينها مونة الطين (شكلا 16، 17).

كما استعملت نفس التقنية أساسات قواعد المباني المتعددة الأدوار النمط السائد في مدينة تمنع، هذه المباني لم يبق منها سوى أساساتها الحجرية المستطيلة الشكل، التي تمكنت من البقاء نتيجة لضخامتها، وهي تمثل خصوصية فريدة في طبيعة البناء في اليمن القديم، واستعملت لتشييد برججي البوابة الجنوبية، الذين شيدها بأحجار كبيرة من الجرانيت المشذب، وتتمثل شهرة البوابة الجنوبية باعتبارها المدخل الرئيس للمدينة (شكلا 18، 19).

(1) de Maigret, 2002, p.134.



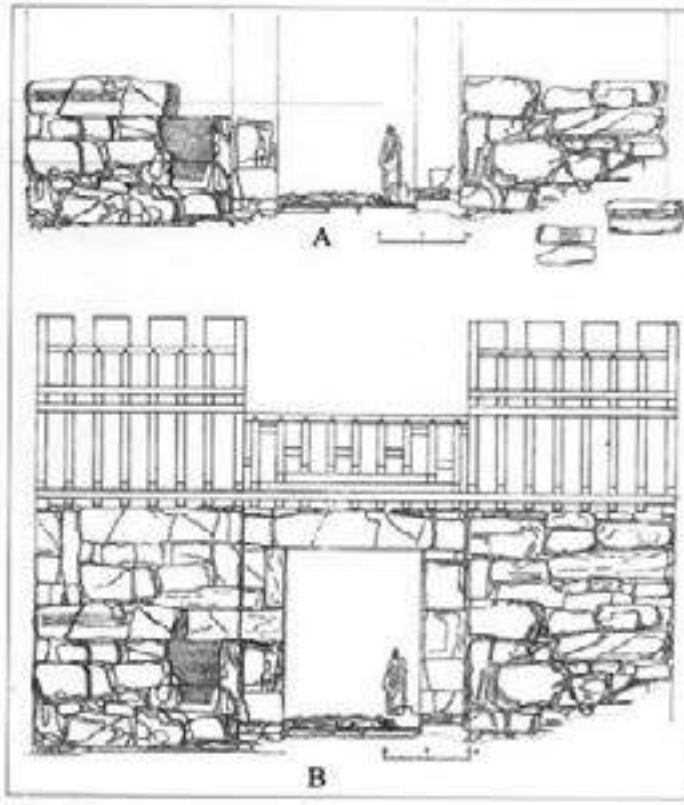
شكل 16: صورة لأطلال مدينة شبوة



شكل 17: أساس مبنى في مدينة تمنع



شكل 19: البوابة الجنوبية لمدينة تمنع



شكل 18: تصور للبوابة الجنوبية لمدينة تمنع

2 - تقنية بناء الجدران بالحجارة غير المشذبة (الدبش) باستخدام مونة ربط انتشرت هذه التقنية في أغلب مناطق شبوة؛ إذ تمثلت في المباني السكنية للعامة، فكانت الجدران تبنى من أحجار صغيرة باستعمال المونة الطينية، لتكون نسيجاً متيناً يسمح ببناء مبنى متعدد الأدوار يبلغ ارتفاع كل دور ثلاثة أمتار تقريباً، وفي مناطق الوديان الشمالية، ومنها: وادي بيحان، ووادي مرخة، ووادي عمقين؛ إذ كانت هذه التقنية تستعمل لبناء أساسات مساكن - الطبقات الخاصة تبنى الدور الأرضي كاملاً من الحجر - وذلك للكلفة العالية للبناء نتيجة عدم توافر الحجارة في تلك المناطق، وتبنى الطوابق العلوية من المدر (شكل 20).



شكل 20: مبنيين من الحجر غير المشذب في شبوة

كما استعملت في بناء الحصون وأبراج الحراسة التي عادة ما تبنى على المرتفعات التي يصعب الوصول إليها



شكل 21: مبنى حراسة في شبوة

تقنية بناء الجدران المزدوجة :

إن تقنية بناء الجدران المزدوجة، تعتمد على عملية البناء المنفصل لكل جدار، ثم ربطهما من خلال تقنيات متعددة؛ للحصول على جدران متينة، تستطيع تحمل الأثقال الرأسية، وتقاوم متغيرات الحياة للصمود لمدة زمنية طويلة. فيتم بناء جدارين متقابلين تفصلهما مسافة، تصل إلى 30سم، تُصَقَل الواجهتان الخارجيتان للجدار، وتُتْرَك الواجهتان المتقابلتان على حالهما، كما اقتطعتا من المحجر، وقد تكون الأحجار متلاصقة بعض الشيء من الداخل، فيبقى الحائط كتلة واحدة، أو تكون متباعدة، فيكون ثمة تفرغ داخلي، وتوصل بين الجدارين الخارجي والداخلي أحجار طويلة، تعمل على ربطهما معاً، ويملأ الفراغ بينهما بالأحجار الصغيرة والمونة، وهناك تقنيات متعددة في بناء الجدران المزدوجة، أبرزها وأكثرها استعمالاً ما يأتي:

بناء الجدران المزدوجة بالحجارة غير المشذبة :

تعد هذه التقنية إحدى أقدم ما عثر عليه من تقنيات البناء الحجري ذي الجدران المزدوجة، ويعود تاريخها إلى القرنين (الحادي عشر - العاشر) قبل الميلاد⁽¹⁾، فقد شيدت المباني باستعمال نظام الجدران الحجرية الجافة - البناء بالأحجار من غير استعمال المونة للربط بينها - وبتقنية بناء الجدران المزدوجة مع الحشو بالأحجار الصغيرة، على طبقات من كتل الأحجار مقطوعة بشكل خشنوغير مشذبة، وقد استعملت هذه التقنية في بناء مساكن العامة وورش الحرفيين في مدينة شبوة، وقد اتضح ذلك من خلال أعمال التنقيبات الأثرية التي تمت في المدينة، فضلاً عن مباني الحراسة التي تقام على أطراف المدن وأسوار بعض المدن (شكلا 22، 23).

(1) ديمجرية، 1988، ص 39.



شكل 22: جدران بنيت بتقنية الجدران المزدوجة غير المشدبة حيد بن عقيل شبوة



شكل 23: جدران بنيت بتقنية الجدران المزدوجة غير المشدبة

بناء الجدران المزدوجة بالحجارة المشدبة :

هذه التقنية تعتمد على تشذيب الحجارة بارتفاعات متساوية في المدماك الواحد، مع وجود اختلاف في حجم بعض المداميك عن بعض، وجدت عدد من المباني في مملكتي حضرموت وقتبان، وقد استعملت لبناء الجدران الخارجية لأساسات المباني

للمعابد في مدينة تمنع وبعض الأسوار، ومنها سور مدينة ميفعة، وتعود هذه التقنية إلى نهاية القرن (الثامن) قبل الميلاد، ولا زالت تستعمل حتى اليوم في مناطق محافظة شبوة (شكلا 24، 25).



شكل 24: الجدران الخارجية لأساسات مبني في مدينة تمنع بنيت بتقنية الجدران المزدوجة بالحجارة المشدبة



شكل 25: سور مدينة ميفعة بني بتقنية الجدران المزدوجة بالحجارة المشدبة

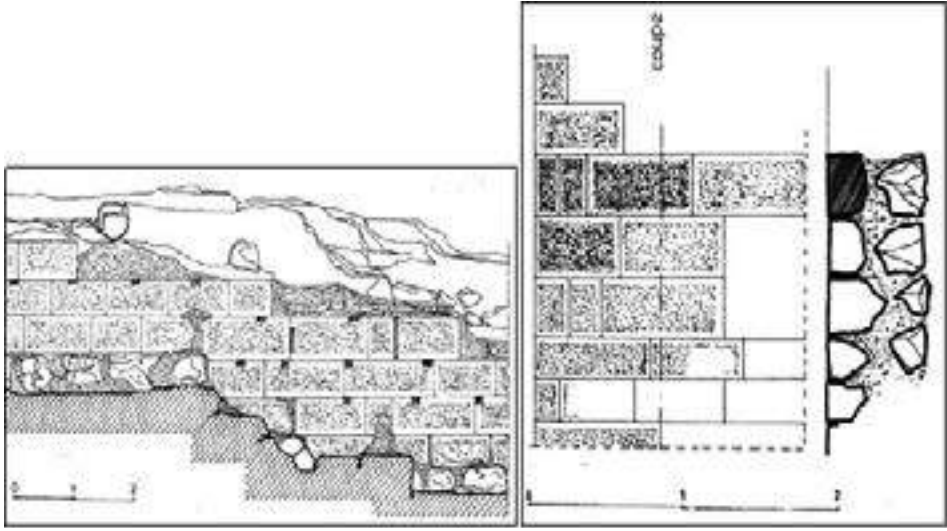
بناء الجدران المزدوجة بالحجارة المصقولة :

مثلت تقنية بناء الجدران مصقولة الحواف مرحلة متقدمة من تطور البناء؛ إذ يتم صقل حواف واجهة الحجر بصورة ناعمة، في إطار عرضه (4 - 5) سنتيمترات، ويجعل ما بداخل هذا الإطار سطحًا محببًا، وتصلق جوانب الحجر الأخرى من أعلى وأسفل والجانبين صقلًا ناعمًا جدًا؛ بحيث يبدو الجدار كتلة واحدة، ويترك الجانب السادس (الخلفي) كما اقتطع من المحجر، ويُبنى الجدار المزدوج بالطريقة نفسها⁽¹⁾ (الأشكال 26 - 28).



شكل 26: مبنى في مدينة شبوة القديمة بني بتقنية الجدران المزدوجة بالحجارة المصقولة

(1) توفيق، 1951م.



شكل 27: شكل يوضح طريقة بناء الجدار [Breton, 1998, P 47 عن:]
 شكل 28: شكل يوضح طريقة بناء الجدار [Breton et Christian Darles, 1998, P 128 عن:]

الخلاصة

من خلال ما تقدم نجد أن هناك عدد من الأنماط المعمارية القديمة، نشأ وتطور في مدن ممالك شبوّة القديمة، وكانت تعكس سمات العمارة المحلية وخصائص البيئة الاجتماعية والمكانية ومميزاتها، تواترت هذه الأنماط وتجلت بوضوح في سمات العمارة اليمينية التقليدية، وأهمها التقنيات الإنشائية على اختلافها، التي استخدمت مواد البناء المحلية، وقدمت العديد من الحلول الإبداعية والتصاميم المعمارية والعمرانية، التي تفي باحتياجات المستخدمين وتلاءم البيئة المحيطة، واستمرت هذه الأنماط المعمارية لأزمنة طويلة، حتى وصلت إلى عصرنا الحاضر.

أن تطويع البناء اليميني للبيئة، وما يتوفر فيها من مواد، واستخدامها في البناء، أكد قدرته على إيجاد بيئة صديقة للإنسان، ومن هذا المنطلق يمكننا أن نستخلص الآتي:

1 - أعتمد معالمة البناء المحليين على الطبيعة المحيطة به، كمصدر أساسي لتوفير مواد البناء، لما لها من خصائص طبيعية، الاختيار السليم لنمط البناء المتوافق

مع طوبوغرافية المنطقة وتوافق المناخ المعماري.

2- إن البناء كان يتم على أساس الفهم الواعي، لخواص المواد المحلية ومتطلبات الحياة اليومية.

3- البعد التخطيطي المدروس، لاختيار مواد البناء المتوافقة مع البيئة المحيطة بالموقع، وإيجاد بدائل لنمط البناء بحسب العوامل الطبيعية، والمتغيرات الزمنية، والبيئة المحيطة بالإنسان.

4- التفرد في نمط البناء الرأسي وإظهار المباني وكأنها قلاع حصينة وهذا يدل على كفاءة ومهارة عالية لدى معالمة البناء المحليين.

التوصيات:

7. المحافظة على الموروث وتقاليد البناء والسعي على نشره في المجتمع وذلك من خلال التوعية بأهمية استخدام المواد الطبيعية المتوفرة محليا مثل الطين، التبن والقش إضافة مواد الجير، والاستفادة من التكنولوجيا.

8. حث الأكاديميين والمتخصصين بدراسة البدائل المحلية لمواد البناء الحديثة وإدخال التكنولوجيا المتوافقة مع البيئة في البناء الحديث.

9. قيام المتخصصين والمهندسين في مجال العمارة بالاستفادة من نمط البناء والتوزيع الوظيفي للموروث وتقديم مخططات عصرية مقتبسة من عمارتنا القديمة وملائمة للعصر.

10. تشجيع استثمار المواقع التاريخية في المحافظة كمواقع سياحية ومنتديات ثقافية.

11. إمكانية تضمين المبادئ والمفاهيم التراثية للعمارة التقليدية في مناهج الدراسة لمراحل التعليم المختلفة.

12. نشر مبادئ العمران التراثي بين أفراد المجتمع بهدف تثقيفهم عمرانياً وإبراز القيم الايجابية لهذا التراث.

المصادر

♦ الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، 2006م، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، مصر، الطبعة الرابعة.

المراجع:

1. الارياني، 1990، مطهر علي، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الثانية.
2. الجرو، اسمهان سعيد، 1996، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن-أربد.
3. بافقيه، محمد عبدالقادر، بيستون، الفريد، روبان، كريستيان و الغول، محمد، 1985، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
4. بافقيه، محمد عبدالقادر، 1992م، قتبان، الموسوعة اليمنية 2، مؤسسة العفيف الثقافية-صنعاء، دار الفكر المعاصر، لبنان-بيروت.
5. بريتون، جان فرانسوا، 1996م، شبوّه الموقع والمدينة، شبوة عاصمة حضرموت القديمة، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء.
6. بريتون، جان فرانسوا، 1996م، شبوة والحواضر اليمنية القديمة (من القرن الأول إلى القرن الرابع للميلاد)، شبوة عاصمة حضرموت القديمة، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء.
7. بريتون، جان فرانسوا، 1999م، شبوة عاصمة حضرموت، اليمن في بلاد مملكة سبأ، معهد العالم العربي، ترجمة بدر الدين عردوكي، دمشق.
8. ديمجرية، 1988م، المجموعة المعمارية الأثرية السبئية في وادي يلا (خولان الطيال، الجمهورية العربية اليمنية) تقرير أولي، اسيميو، روما.
9. ديمجرية، ألساندر وروبان، كريستيان، 2006م، تمنع العاصمة القديمة لقتبان، المركز اليمني الإيطالي للبحوث الأثرية، صنعاء.

10. توفيق، محمد، 1951م، آثار معين في جوف اليمن، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

- 1- Breton, Jean Francois, 2000, documents (BYb9300), Inventory of cultural heritage priority sites, inventory of cultural heritage in yemen - Sana'a.
- 2- Doe, Brian, 1971, Southern Arabia, Thames and Hudson, London.
- 3- de Maigret A., 2002, Arabia Felix, Stacey International, London.

رؤية مستقبلية للحفاظ على التراث المعماري المتنوع وفنونه في شبوة

المقدمة :



د. محمد أحمد السدلة الخليفي
مدير المدن التاريخية، شبوة

الإخوة والأخوات: رئيس المؤتمر، ورئيس وأعضاء اللجنة التحضيرية، والأخوة المشاركون، الحاضرون جميعاً، يطيب لي إن أرحب بقدومكم إلى محافظة شبوة لحضور هذه الفعالية (المؤتمر العلمي الثالث) (شبوة تاريخ وحضارة)، المكرس لتسليط الضوء على تاريخ محافظة شبوة بكافة مراحلها الزمنية. إن هذه الفعالية العلمية البحثية النوعية تعد الأولى من نوعها تشهدها المحافظة في هذا الجانب الحيوي المهم لتوثيق تاريخ محافظة شبوة العريق.

إن التراث المعماري يعد من أهم مظاهر التطور الإنساني في كافة عصور التاريخ، واستشعاراً منا بقيمة التراث وما يمثله من عمق حضاري وثقافي ذي دلالات مادية وروحية في الجانب المعماري، وإدراكنا بوجود الكثير من المخاطر التي تهدده، ولأن حماية التراث على المستوى الوطني لا زالت إلى الآن ناقصة في غالب الأحيان بسبب حجم الموارد التي تتطلبها هذه الحماية يقابلها نقصان الموارد الاقتصادية والعلمية والتقنية في البلد الذي يقوم في أرضه التراث الواجب إنقاذه كبلادنا هذه؛ فإننا سنقوم من خلال هذه الورقة المتواضعة التي تحمل عنوان (رؤية مستقبلية للحفاظ على التراث المعماري المتنوع وفنونه في شبوة) بتقديم بعض الرؤى والمقترحات التي نأمل إن تكون مدخلاً مناسباً لفتح الباب إما الباحثين والمهتمين بالتاريخ والثقافة والموروث الحضاري وأهل الاختصاص؛ للاستفادة مما سي طرح لعمل أبحاث عن العمارة الطينية الخالصة في شبوة وما تمتاز به من خصائص معمارية أصيلة وسبل الحفاظ عليها وحمايتها من الاندثار.

الإخوة الحاضرون جميعاً: منذ القرن الماضي تقريباً بدأ الاهتمام بفنون العمارة الطينية الأصيلة، وقد لفتت المدن التاريخية الطينية في محافظة حضرموت أنظار العديد من المستشرقين الذين زاروا المنطقة في تلك الفترة، فكتبوا عنها مؤلفاتهم، ونشروا عنها أبحاثهم، وسجلوا عنها انطباعاتهم، وأبدوا إعجابهم ودهشتهم؛ لوجود مثل هذه المدن الطينية الجميلة، في هذه البقاع المنسية من العالم.

كما أن اهتمام الباحثين عرب وأجانب ويمنيين يتركز على مدن حضرموت كنموذج للعمارة الطينية مدينة شبام كنموذج، تقابلها صنعاء كنموذج للعمارة الحجرية، وتمكنت تلك المدن من الحصول على كل الدعم المحلي والدولي، ونالت اعتراف منظمة اليونسكو واهتمامها.

إن ما نسعى إليه اليوم من خلال هذا المؤتمر العلمي عن تاريخ المحافظة أن نجعل منه منطلقاً للاهتمام بالمدن الطينية في المحافظة ومنع اندثارها واندثار فنونها الجميلة، والعمل على إيجاد جهد رسمي ومجتمعي للاهتمام بالمدن التاريخية في شبوة.

المدن التاريخية في شبوة وفنونها المعمارية :

إن المدن التاريخية الطينية في شبوة لا تبعد كثيراً عن مدن محافظة حضرموت، وتزخر بذات النموذج الأصيل والفريد، ولا تقل روعة وجمالاً في بنائها عن مدن حضرموت. وقد بقيت مهملة ومجهولة حتى من اهتمام الباحثين والدارسين لفنون العمارة الطينية حتى اللحظة، والعييب يكمن فينا نحن؛ لأننا لم نعرف بأنفسنا وبما لدينا من معالم وفنون معمارية أصيلة. وقد قال أحدهم ذات مرة - وأقصد المسؤولين الكبار في الدولة -: إن شبوة هي بلد القصور الطينية الجميلة.

ومن هنا فإننا نقولها بكل صراحة ووضوح: إننا مقصرون، ولم نتمكن من إعطاء الصورة الحقيقية عمّا تمتلكه شبوة من مدن تاريخية ومعمار طيني أصيل.

وعليه: فإن واجبنا كبير، والمسئولية الملقاة على عاتقنا أكبر، وأول هذه المسؤوليات تقع تجاه أنفسنا والتعريف بما نملك من مدن وإرث معماري أصيل يجب أن نبذل قصارى جهودنا من أجل إظهار كل وجه جميل عن هذه المحافظة؛ حتى نتمكن من إقناع الآخرين بأهمية ما نملك. فتلك هي مدينة حبان التاريخية بعمقها التاريخي، وطرازها المعماري الجميل، وبيوتها المتراسة بجانب بعضها البعض، ومعالمها التاريخية، ومكتباتها العلمية،

ومساجدها، وأسواقها العريقة؛ تلك المدينة تعد متحفاً حياً وأنموذجاً بارزاً للمدن الطينية في شبوة، بل وأنموذجاً لمدن وحوضر المشرق اليمني في العصر الإسلامي الوسيط. إنها من أهم المقاصد السياحية في المحافظة على الإطلاق، ويقصدها السياح الأجانب منذ بدايات القرن الماضي، وظلت كذلك حتى بضع سنوات، وسوف تعود لتؤدي دورها في الجانب السياحي مستقبلاً - بإذن الله تعالى - إن أعطيناها ما يلزم من اهتمام، فهي مدينة قديمة احتلت موقعاً جغرافياً جعلها مركزاً للقوافل التجارية القادمة من الموانئ البحرية، والذاهبة إلى بيحان ومأرب وحريب والبيضاء وغيرها⁽¹⁾. ومن أهم معالمها جامع حبان، الذي يعود تاريخ بنائه إلى العام (266 هجرية)، ويقع في مكان مرتفع جعل منارته تشاهد من الأماكن البعيدة⁽²⁾. وحبان مدينة تحيط بها الجبال من جميع الجهات، ومسكنها ذات نمط معماري متميز، وفيها خزانات مياه أثرية منقورة في الصخر لحفظ مياه السيول المتدفقة إليها من وادي يشبم. وقد خضعت لحكم الدولة الطاهرية في القرن التاسع الهجري، ثم صارت مركزاً للسلطنة الواحدية⁽³⁾. انظر صورة (2) و (10)

وورد اسم (ح ب ن) حبان في النقوش العربية الجنوبية القديمة في سياق النقش السبئي (RES 3945 1 4 - 5)، وهو النقش المعروف بنقش النصر الكبير للمكرب السبئي كرب أيل وتر بن ذمار علي في القرن السابع قبل الميلاد، الذي دَوّن فيه معاركة وإنجازاته وانتصاراته الحربية⁽⁴⁾.

وإلى الجنوب الشرقي منها تقع مدينة الحوطة حاضرة المشرق، التي لا تقل أهمية عن مدينة حبان جمالاً ومعماراً. وهناك مدن أخرى مثل الصعيد والعليا وعزان والحاضنة ونصاب والحرّة في عرماة، وغيرها الكثير من المدن التاريخية العريقة في شبوة.

(1) مكياش: عبد الله أحمد، نقوش عبرية من شعب الشقبة، حبان شبوة، دراسة تحليلية لغوية، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية، العدد الثاني والثلاثون، أكتوبر 2013م، ص 51.

(2) المحضار: محمد عبد الله، ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان، مطابع التوجيه، صنعاء، 2008م، ص 273.

(3) المقحفي: إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، 2002، ص 404.

(4) RES 3945 14 - 5 و المعمرى، حسين عبد الله، ومطهر الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، في صفة بلاد اليمن عبر العصور، دار الفكر بيروت، 1990م، ص 13.

لمحة عن الأنواع المعمارية الأصيلة في محافظة شبوة:

لقد تعددت فنون العمارة الأصيلة في محافظة شبوة وتنوعت بتنوع البيئة في هذه المناطق الواسعة والمترامية الأطراف سهلاً وجبلاً ووادياً وصحاري، وكل بيئة تأخذ من خصائصها ومواد الشكل المعماري المناسب لها. ولا نبالغ إن قلنا إن شبوة تعد أنموذجاً فريداً لاحتوائها لأغلب الأنماط المعمارية الأصيلة المعروفة، ومن هنا فإننا سنذكر تلك الأنماط، وسوف نتحدث عنها حيث سنبدأ بالحديث عن العمارة الطينية الأصيلة. ومن هذه الأنماط: العمارة الحجرية، والعمارة المختلطة، والعمارة الطينية الخالصة التي تميزت بطابع معماري ينفرد عن غيره بطابع خاص ذي سمات فنية، وتنوع هندسي فريد يسر الناظر بالتأمل الطويل للمباني التي يشع منها الجمال التقليدي الأصيل.

أولاً: العمارة الطينية الخالصة:

امتازت العمارة الطينية الخالصة في شبوة بطابعها المعماري المتنوع منذ زمن بعيد، وما تزال إطلال ذلك التميز باقية حتى اليوم، بل إن المدينة الطينية والقلاع والحصون لازالت شاخصة منذ أزمنة بعيدة، تقاوم عوامل المناخ التي تهددها يومياً. ويعد هذا النموذج الأوسع انتشاراً في مناطق محافظة شبوة حتى العام 1990م، إما اليوم فقد بدأت تراجع العمارة الطينية الأصيلة التقليدية، لينتشر البناء المستورد والمعتمد على الإسمنت والخرسانات، ليصل إلى القرى وبطون الشعاب والمناطق النائية.

وتعد حبان والحوطة ويشبم والصعيد وعزان والعليا ونصاب والجابية بعثق والحرّة بعرماء وخورة؛ من أبرز النماذج الدالة على أصالة العمارة الطينية وجمالها في المحافظة. انظر بالملاحق صورة رقم (2)

وتوجد في هذا النوع من العمارة مميزات لا توجد في غيرها مثل:

1 - النُوب: وهي تقع في أعلي البناء، وتقوم مقام الأبراج ومقام القلاع، وتساعد في المراقبة وصد الهجوم.

2 - المرادي: وهي جمع مردى، وهي عبارة عن شرفة تقع في الطابق الأعلى من البناء، وهي بناء بارز يكون مطلاً على البوابة أو السدّة بشكل عمودي، ومن مهامه المراقبة والتعرف على من يطرق الباب هل هو عدو أو صديق.

3 - العُكر: وتسمى المواشق، وهي فتحات صغيرة تقع في البناء وتعرف بالخلف أو الخلفة، وتستخدم للرماية.

4 - البواشير: تقع في أعلي البناء وفي النوب التي هي في الأصل ذات دلالة ومعاني اعتبارية لدى القدماء، تدل على المنعة والشجاعة لأصحاب المنزل، حالها حال الوعل المرجب الذي نراه في الموروث الثقافي الشعبي رمزاً للكبرياء.

كما تتميز العمارة الطينية في شبوة بالزخارف الهندسية الجميلة المتنوعة الداخلية أو الخارجية، التي تنحت على جدران المنزل وعلى الأعمدة الخشبية والأبواب والنوافذ.

ثانياً: العمارة الحجرية: وتنقسم على قسمين:

1 - النموذج السوطي: وينسب إلى مناطق السوط التي تقع في الهضبة الشرقية (هضبة حضرموت)، وهو نموذج منتشر في سيطان بلعيد، وسوط نعمان، وصعيد جردان، ومناطق أخرى في الجهة الشرقية من الهضبة.

وفيه يتم البناء بالصروف الصخرية المتوافرة بكثرة في تلك المناطق، ويستخدم في بنائها الطين كملاط أو رشن بين الأحجار. ويعد هذا النموذج من أقدم النماذج المعمارية في المنطقة. ويعد هذا البناء الأكثر قدرة على مقاومة تقلبات الطبيعة. ويقال إن هذه البيوت أو الحصون التي تشابه القلاع في نمط بنائها تعود إلى مئات السنين، وقد يزيد عمرها عن خمسمائة عام على الأقل، ناهيك عن كونه أنموذج فريد في نوعه، وقد يكون نادراً في مناطق اليمن. انظر صورة رقم (3)

2 - النموذج الكوري: ينسب إلى مناطق جبال الكور (كور العوالق)، وهو نموذج يعتمد في البناء على الحجارة الممزوجة بالطين كارشن، وهو في شكله ومواد بنائه مقارباً إلى حد ما البناء المعماري في مناطق الظاهر، وبعض مناطق محافظة البيضاء. انظر صورة رقم (8)

ثالثاً: العمارة المختلطة:

ونقصد بها المنازل التي تكون فيها الطوابق السفلية منها مبنية من الحجارة، والطوابق العلوية مبنية من الطين، وهو أنموذج نراه منتشرًا في بعض الأودية الشمالية الغربية من المحافظة، مثل بيحان ومرخة وخورة وبعض الأودية القريبة من الحاضنة. والأصل في هذا المعمار هو المزج النمطي بين الحجر والطين، ويراعى في ذلك الحسابات الأمنية التي تؤخذ بعين الاعتبار في هذا البناء المعماري الشبوي؛ نظرًا للطبيعة القبلية التي تتميز

بها غالبية محافظة شبوة، وما شهدته من حروب قبلية طاحنة طوال القرون الماضية، فبناء الطوابق السفلية من الأحجار يمنع المهاجمين من إحداث أي فجوة في المنزل، ففي العادة الطابق السفلي من المبنى يكبس بالرمل مما يزيد من حصانته، أو يكون مخازن للمؤن والمواشي. انظر بالملاحق صورة رقم (1) و (3).

أهمية الحفاظ على المدن والمعالم التاريخية، وتنوعها المعماري الأصيل في شبوة: إن القيمة الحقيقية للعمارة الطينية تتجسد في (معاييرها الجمالية والفنية في البناء)، سواء من حيث المواد المستخدمة في البناء، أو التشكيلات الهندسية والزخرفية التي يمتاز بها، والتي تتمثل في كثير من المدن الطينية، والتي كانت أحد عوامل الاهتمام الدولي بها، ومنها ما تم إدراجه ضمن قائمة التراث العالمي في اليونسكو مثل شبام كأنموذج.

إن محافظة شبوة تزخر بهذا التنوع المعماري الأصيل، ذي القيمة الفنية والجمالية العالية الذي لا يعرف عنه الآخرون أي شيء؛ إما لضعف الترويج له، أو لعدم قدرتنا على لفت انتباه الآخرين، فلم يصل إليهم صوتنا بعد. ومن هنا ترد إلى الذهن العديد من الأسئلة، منها: كيف يمكن أن نُعرّف بما لدينا في هذا الجانب؟، وما هو دور السلطة المحلية والجهات المختصة والمجتمع في ذلك؟، وما هي الطرق والوسائل والأساليب التي ينبغي اعتمادها للحفاظ على هذا الإرث التاريخي الذي يكاد يندثر دون أن نحرك ساكنا في ظل غياب الرؤية الاستراتيجية الوطنية لدى الدولة للحفاظ على العمارة الطينية الخالصة؟.

إننا نسعى اليوم ومن خلال هذه الورقة إلى إيصال رسالتنا إلى الجهات الرسمية، والجهات ذات العلاقة، والمنظمات الدولية المهتمة بالتراث المعماري؛ للفت انتباههم إلى ما تمتلكه محافظة شبوة من كنوز معمارية ذات قيمة جمالية وفنية عالية، تجسد الهوية الثقافية والحضارية الأصيلة والانتماء لهذه المحافظة العريقة.

إننا بحاجة إلى زيادة الوعي الثقافي (المجتمعي والرسمي) للاهتمام بهذا الإرث المعماري، والبحث عن حلول سريعة ودائمة تضمن ديمومة العمل تجاه هذا التراث المعماري الأصيل. فالمؤتمرات تشكل أحد تلك الحلول، لأننا سنستفيد من مخرجاتها، وسنعمل على تطبيقها على الواقع متى ما توافرت البيئة المناسبة لذلك والإمكانات. كما إننا بحاجة إلى عقد ندوات وحلقات نقاش وندوات علمية تزيد من الوعي تجاه الاهتمام بهذه المعمار الفريد.

إن الاستراتيجية الوطنية للدولة لازالت حتى اليوم غائبة تماماً من الاهتمام بالعمارة الطينية، ونأمل من السلطة المحلية الالتفات إلى هذا المعمار الأصيل، والاهتمام بالمدن التاريخية التي تشكل جذباً سياحياً من خلال القيمة الفنية والجمالية لمبانيها، والعمل على توفير البنى التحتية لهذه المدن، من خلال رصف شوارعها، وتوفير الإنارة، وتنفيذ مشاريع الصرف الصحي فيها، من ثم ترميم المباني التي تحتاج إلى ترميم وتدخّل عاجل. إن ورقتنا البحثية هذه تؤكد أننا في هذه المحافظة بحاجة ماسة إلى تنفيذ مسوحات ميدانية للمدن التاريخية؛ لتوثيق معالمها التاريخية البارزة، ووضع تصورات ودراسات تاريخية عنها، ومخططات حفظ هندسية، حتى يمكننا - على الأقل - القول إمام أي منظمات إن السلطة قدمت لنا شيئاً من الدعم والاهتمام في جانب التوثيق، غير ذلك سيظل تاريخنا مهملاً وسيعرض للاندثار، ونحن نتغنى بتاريخ الأمجاد والحضارة.

إن مدننا ومعالمنا التاريخية بحاجة إلى تحرك عاجل من السلطات؛ لكي نبدأ أول مراحل التوثيق على أسس علمية صحيحة، ووفق التقنيات الحديثة المستخدمة في علم التوثيق.

إن الأسئلة كثيرة والطموحات أكثر أيها الأخوة، غير أننا نعرف صعوبات المرحلة وتعقيدات الواقع المعاش.

ومن هنا علينا أن نبدأ طريق الألف ميل بخطوة، التي من شأنها أن تفتح الباب والأمل للاهتمام بهذا الإرث التاريخي والثقافي العريق، وعلينا أن عمل وفق الخطوات التالية:

- إنشاء مركز للدراسات والبحوث العلمية والنشر بمحافظة شبوة؛ لكي يقوم بدوره في التوثيق وإجراء الأبحاث العلمية المختلفة في كافة الجوانب، ونرجوا أن يكون أحد مخرجات هذا المؤتمر.

- إيجاد رؤية موضوعية لكيفية الحفاظ على المدن التاريخية الطينية في المحافظة بمشاركة عدد من الجهات المعنية في المحافظة.

- الترويج للفنون المعمارية في شبوة، وإقامة عدد من المعارض خارج المحافظة مثل عدن والمكلا، وإقامة الندوات والحلقات النقاشية وورش العمل التي تخدم هذا الجانب.

- نشر الوعي في أوساط المجتمع الأهلي بأهمية ومميزات الحفاظ على العمارة الطينية وخصائصها.
- تشجيع أي بعثات أو دراسات علمية في هذا الجانب.
- إنشاء جمعية أهلية في المحافظة تعنى بهذا الشأن تحدد أهدافها وإشهارها في أقرب وقت ممكن؛ لرفد عمل الهيئة في المحافظة.
- دعم مكتب الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية؛ لكي يقوم بدوره في حماية المدن والمعالم التاريخية بالمحافظة.
- وفي الأخير أرجو لهذا المؤتمر النوعي النجاح، وأن يخرج بجمع مادة علمية غنية وغزيرة عن تاريخ محافظة شبوة بكافة مراحلها، على أن يتم جمعها في كتاب، ويتم طباعته ليستفيد منه الباحثون والمهتمون بتاريخ محافظة شبوة

قائمة المصادر المراجع:

1. المقحفي: إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، 2002، ص 404.
2. المعمري: حسين عبد الله، ومطهر الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، في صفة بلاد اليمن عبر العصور، دار الفكر بيروت، 1990م، ص 13.
3. مكياش: عبد الله أحمد، نقوش عبرية من شعب الشقب، حبان، شبوة، دراسة تحليله لغوية، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية، العدد الثاني والثلاثون، أكتوبر 2013م، ص 51.
4. المحضار: محمد عبد الله، ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان، مطابع التوجيه، صنعاء، 2008م، ص 273.

RES:

Repertoire d'Epigraphie Semitique, Tome.V, VI, VII, VIII, Academie des Inscriptions et Belles - Lettres, Paris, 1929, 1935.

5. نزول الباحث الميداني إلى عدد من المدن التاريخية والمناطق بالمحافظة بين فترة وأخرى ومنها مدينة حبان التاريخية، ومدينة الحوطة، ومدينة الصعيد، ومنطقة الجابية، وغيرها من المدن.

ملحق الصور:



صورة (1) تظهر فيها نموذج للعمارة المختلطة



صورة (2) جانب العمارة الطينية مدينة حبان التاريخية



صورة (3) نموذج العمارة المختلطة



صورة (4) احد الحصون الطينية بمنطقة الجابية وتظهر فيه النوب والبواشير



صورة (5) النموذج السوطي وتظهر خصائص البناء بالصروف



صورة (6) صورة لحصن طيني تظهر فيه المرادي



صورة (7) جانب من قصر ذبيان السياحي بعثق نموذج طيني خالص



صورة (8) لتمودج الكوري وحصن بني من الحجر



صورة (9) جانب من مدينة الصعيد التاريخية تتجسد هنا روعة البناء



صورة (10) جانب من مدينة حبان التاريخية، العمارة الطينية الخالصة

المواقع الأثرية والتاريخية والمعالم السياحية في شبوة وآلية الحفاظ عليها

تمهيد:

مقدمة تاريخية عن محافظة شبوة، ومدينة شبوة الأثرية عاصمة حضرموت القديمة



- تبلغ مساحة محافظة شبوة (73910) كيلو متراً مربعاً، وتعد عتق العاصمة الإدارية للمحافظة، وتقع على بعد (386) كيلو متراً مربعاً من عدن، وهي قريبة من مدينة شبوة الأثرية، عاصمة مملكة حضرموت القديمة.

إعداد/ خالد سعيد عوض مدرك

رئيس مؤسسة حضرموت

للتراث والتاريخ والثقافة بالملكلا

وتتميز محافظة شبوة عموماً بمناخ معتدل طيلة أيام العام، إلا أن درجة الحرارة تتفاوت بين منطقة وأخرى، فيمكن اعتبار كل من منطقة حبان وعزان وميفعة، وبيير علي مشتى، والمرتفعات الجبلية في بيحان وعتق مصيفاً.⁽¹⁾

ولشبوة تاريخ قديم وعريق ذكرته كتب التاريخ العربية والأجنبية.

كما شهدت شبوة قيام عدد من الممالك القديمة مروراً بالتاريخ الإسلامي لشبوة، وزيادة إلى ذلك تاريخ شبوة الحديث والمعاصر الذي شهد قيام السلطنات والمشيخات، وكل ذلك أنتج وأفرز هذا التراث الثقافي الضخم والكبير لمحافظة شبوة ومن بينه الإرث

(1) كتاب "المؤسسة العامة للسياحة". السياحة في اليمن الديمقراطية - عدن ص152، وسير منزله (السياحة في اليمن الديمقراطية).

الأثاري الحضاري المتمثل في المدن التاريخية القديمة وما بها من مواقع أثرية وتاريخية وسياحية سنحاول في هذا البحث أن نرصدها ونسجلها ونوثقها قدر الإمكان ونلقي الأضواء عليها وعلى واقعها المعيش وآلية الحفاظ عليها.

الفصل الأول: رصد لأهم وأبرز المواقع الأثرية والتاريخية في شبوثة:

أولاً: المواقع الأثرية والتاريخية في (عتق) عاصمة محافظة شبوثة:

- متحف (عتق) مركز المحافظة يحتوي على خمس صالات - حصن (الوقع بن جعفر) خمر عتق - حصون الجابية - قصر ذبيان - حصن محسن بن عيدروس - حصن آل العمياء - حصن الرومي.

ثانياً: المواقع الأثرية والتاريخية في عرما:

- مدينة شبوثة القديمة: عرما

شبوثة.. عاصمة مملكة حضرموت القديمة التي قامت قبل حوالي ألفي عام ولها شهرتها التاريخية وتقع بالقرب من (عرما)، وهي من أهم المدن القديمة في الجنوب، ولقد تأكد بأن شبوثة هي مدينة سبوتة وبها خمسة وستين معبداً التي وصفها المؤرخ (بليني). وقد أكدت أيضاً الحفريات التي قامت بها بعثة التنقيب الفرنسية برئاسة الدكتورة "جاكلين بيرن" بأن شبوثة هي عاصمة مملكة حضرموت القديمة كما تأكد من الحفريات الحريق والدمار الذي حل بالمدينة من قبل الحميريين.⁽¹⁾

تاريخ شبوثة ما قبل التاريخ:

((من خلال الأبحاث التي أنجزت منذ عام 1987م وقامت بها البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية يتضح أن التلال المطلة على شبوثة، تحتوي على آثار تدل على أن المنطقة قد سكنت في العصر الباليوليتي (العصر الحجري القديم) وقد عُثر على لقي أثرية تعود إلى العصر الحجري الحديث حوالي (4800 + 400 ق.م) في وادي عطف نفسه، على بعد بضعة كيلومترات أعالي شبوثة، وكذلك على أطراف الصحراء))⁽²⁾

(1) (السياحة في اليمن الديمقراطية) ص 160

(2) أعداد/ د. عزة علي عقيل. د. جان فرنسوا بريتون. شبوثة عاصمة حضرموت القديمة. نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية. ط (1) المركز الفرنسي للدراسات اليمنية. 1996م. ص 26، وسيرمزله (د. عزة د. جان) شبوثة.. عاصمة حضرموت القديمة.

سكان شبوة:

تحظى شبوة بموقع متميز بفضل الظروف الطبيعية، فهي عبارة عن مرتفع صخري تحمي من الصحراء، كما أنها تروى بآبار حُفرت في قعر الوادي، وبالسيول القادمة من مرتفعات وادي (عرماء).

سكنت شبوة منذ تاريخ بعيد كما أثبت ذلك السبر الاستراتيجرافي الذي أنجز في وسط المرتفع تحت الحائط الصخري الطبيعي المحمي للجهة الشمالية من المنطقة حيث تقع الحامية..

وعثر على بعض الآثار السكنية على سطح الأرض تعود لفترة ما قبل الكتابة التذكارية

مثال:

S /143 /75 (1)

حجرة ملبساء عليها نقش اهداء للإله (سين)

(2) خنجر صنعت شفرته من قطعة برونزية واحدة، طوله 8, 30 سم، وعرضه في أوسع نقطة 7, 3 سم، نقش عليه اهداء للإله (سين)، وثبت ذلك الحروف الأربعة المنحوتة على شفرته والتي تعود إلى عصر ما قبل الكتابة التذكارية.⁽¹⁾

شبوة مدينة ملكية

شعب الليل:

((أقدم أثر لمدينة شبوة الملكية يوجد في ضواحي شبوة، منقوشاً على جدار صخري واسع داخل تجويف في الجبل المسمى (شعب الليل).

نقش شعب الليل:

- 1 - أبيفع ذيين بن
- 2 - عم ذخر، ملك حضرموت
- 3 - نقل حجارة منحوته لبناء.....
- 4 - قصره شعبان.....

(1) (د. عزة، د. جان، شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص 20، ص 21

هذا النص يعطينا اسم أقدم ملوك حضرموت المعروفين لدينا حتى اليوم ويتضح من النقش أن الملك لم يبن القصر وحده، بل يحتمل أنه وضع حجر الأساس من الأحجار المنحوتة، أما الطبقات العليا من القصر فيحتمل أن تكون قد بنيت من الخشب واللبن كالقصر الملكي الذي يعود عهده للفترة الأخيرة من تاريخ المدينة))⁽¹⁾

ويوجد في مدينة شبوة القديمة إهمال كبير حكومي وأهلي

ومن المواقع الأثرية والتاريخية الأخرى في عرما:

- ((قنوات الري القديم في المعشار - بئر أحمد (دهر) - هجر دهر - مواقع السوط - حصن المافود - قصر شقر - نقوش العقلة))⁽²⁾

ثالثاً: المواقع الأثرية والتاريخية في مديرية رضوم:

- موقع ميناء قنا الأثري: (بئر علي)

((يقع ميناء قنا الأثري شرق عدن، ويعرف (بحصن الغراب) وهو الميناء الرئيس لمملكة حضرموت الذي يبعد (4) كيلومترات جنوب قرية بئر علي الحديثة على شاطئ جنوب الجزيرة العربية، ويمتد على الخط المتوازي بالقرب من مصب وادي ميفعة، ليتحضر ميناء قنا خليجين صغيرين، إذ يقع على نتوء ينتهي من جانب المحيط))⁽³⁾

((وتبعد مدينة قنا عن (بئر علي) بمسافة (3) كيلو متر، والميناء القديم واسع، وتبعد عن مركز محافظة شبوة (عتق) بحوالي (140) كيلو متراً، وعن مدينة المكلا بـ (120) كيلو متراً، والميناء القديم واسع، وكان الميناء الرئيس لمملكة حضرموت، وتتبع مدينة قنا (مديرية رضوم))⁽⁴⁾

((وكان الميناء في القرن الأول ق. م مدينة على الساحل الحضرمي، وقد عرفت بأسماء ثلاثة (حيفن، ومرفا، أو ميناء، ومجدح ملك حضرموت، وقنا مركز تجارة اللبان

(1) (المرجع السابق نفسه) ص 21، ص 22

(2) دليل المواقع الأثرية والتاريخية والمعالم السياحية في م / شبوة الصادر عن مكتب وزارة السياحة في م / شبوة (وسيرمز له (الدليل الأثري والسياحي في شبوة)

(3) د. خالد سالم باوزير، موانئ ساحل حضرموت، دراسة اثنو أثرية ط (1) مطابع دار الشمال 1996م، ص 29. (وسيرمز له (د. خالد. موانئ ساحل حضرموت)

(4) الدليل الأثري والسياحي في شبوة

(السلعة الأساسية التي تنبت في هضبات حضرموت، إذ ينقل إلى الميناء على ظهور الجمال أو الأماث الجلدية، وقد وصلت شهرة هذا الميناء إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، والهند، وأفريقيا.

وقنا ميناء ملك حضرموت العز (اليازورس، وهذا الملك يقيم في شبوة العاصمة، مستودع لخزن السلع الحضرمية المهمة كاللبان والمر)⁽¹⁾

وهناك شبه تدمير، وإهمال حكومي وشعبي، وحاليًا متنزه للرحلات، وتوجد هناك بقية من آثار النقوش والمعالم القديمة، ولكنها قيد الإهمال.

(حصن الغراب) (قنا)

((كما ذكرت جزائر قنا في الشعر الزامل للملاح باطابع إذ يقول:

للبر سائر - ذا مجدحة والجزائر، وهو يقصد بها قنا وتعرف حديثًا من قبل السكان (بحصن الغراب) وتحدث عن هذا الحصن الملاح باطابع قائلًا:

حصن الغراب - ذي هو معنى في الحساب..

أما لماذا سمي الموقع باسم حصن الغراب، فيعتقد أنه سمي بذلك نسبة إلى قبيلة حميرية سكنت الموقع، ولسبب ما هاجرت من موقعها (حصن الغراب) (قنا) إلى منطقة الدير الشرقية شرق الشحر ودخلت ضمن الاتحاد العشائري الحمومي وتعرف هذه القبيلة إلى اليوم باسم (بيت غراب)⁽²⁾

وحصن الغراب بمديرية رضوم اكتشف عام 1834م، ويحتوي على قرى تقع بجزيرة منخفضة، ومن الجانب الآخر بصخرة وعرة عليها بقايا حصن قديم وقد سمي بحصن الغراب، ويبعد عن مركز المحافظة عتق بـ (143) كيلو مترًا⁽³⁾

و((مما كتب عن قنا في الآثار السابقة يظهر جليًا أن هذا الميناء قد لعب دورًا كبيرًا في التجارة الدولية والمحلية، وأنه ربط حضرموت بحضارات العالم المعاصرة له))⁽⁴⁾

(1) د. خالد موانئ ساحل حضرموت ص32

(2) المرجع السابق نفسه، ص35

(3) الدليل الأثري والسياحي م/ شبوة

(4) د. خالد موانئ ساحل حضرموت ص35

وقد اثبتت الحفريات والتنقيبات التي تمت في (قنا) أن هذه المنطقة مستوطنة أثرية قديمة، ((وللأسف فإن الحقائق تكاد تكون غير كافية بسبب قلة الحفريات الأثرية وحداتها، وعدم نشر التقارير كاملة، وافتقار المنطقة كلياً والمواقع القريبة للتنقيبات الأثرية، ومنتظر ذلك مستقبلاً كما يقول الدكتور/ خالد سالم باوزير في كتابه القيم (موانئ ساحل حضرموت - دراسة إثنو أثرية - الصادر في عام 1996م))⁽¹⁾

إهمال حكومي وأهلي

ومن المعالم الأثرية والتاريخية في مديرية رضوم:

- ((ميناء بلحاف: وهو ميناء بحري صغير، ومديرية قيمة، ويبعد (115) كيلومتراً من عتق.

- مدينة شبوة القديمة: من أهم معالمها الأسوار والقصر الملكي والمعابد وقنوات الري وتبعد (130) كيلومتراً عن عتق.

- العقلة: يقع جبل العقلة إلى الغرب من مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت.

- حصن بن طالب: عبارة عن مبنى على مرتفع صخري يبلغ ارتفاعه نحو (10) أمتار، ويبعد (120) كيلومتراً عن عتق.

- عين بامعبد - طريق اللبان بالبحاف، بئر علي رضوم))⁽²⁾

إهمال حكومي وشعبي

رابعاً: المواقع الأثرية والتاريخية بمديرية عسيلان:

- مدينة تمنع (هجر كحلان): عاصمة مملكة قتبان

تعد مدينة ((تمنع (هجر كحلان) حالياً عاصمة مملكة قتبان، وتقع شمال شرقي بيحان، وتعتبر مدينة تمنع أحد الخمس المدن الرئيسة الواقعة على الطريق التجارية، وتقع هذه المدينة الأثرية في وادي بيحان، ولا تزال بقايا جدران وأعمدة المدينة بارزة، وهي محاطة بأسوار، ولها (3) مداخل، وهناك نقوش يمنية قديمة تتحدث عن الأنظمة

(1) المرجع السابق نفسه، 35

(2) الدليل الأثري السياحي م / شبوة

التجارية الخاصة بالمدينة، ويوجد بها معبد، يبرز نواحي معمارية وهندسية رائعة⁽¹⁾))
((ازدهرت قتبان في حوالي القرن الميلادي الأول، واشتهرت بطرق الري
وقوانينها التجارية))⁽²⁾.

و))تمتد مدينة تمنع من دولة المعافر الحجرية اليوم حتى وادي ضرى وبيحان
شمالاً، وتقع المدينة في مديرية عسيلان، وتبعد تمنع عن مركز المحافظة عتق بنحو
(140 كيلو متراً))⁽³⁾

إهمال حكومي وأهلي

ومن المواقع التاريخية والأثرية في مديرية عسيلان:

((حيد بن عقيل (المقبرة): يحتوي على المقبرة فوق سطح الجبل مبني من التبن بقي
منه حوالي (6) أقدام، ويبعد عن (تمنع) بنصف ميل. هجر بن حميد - هجر الصفراء -
هجر وريقة - هجر الدمنة - هجر عبدالله بن أحمد - هجر مهجاء - هجر واله - هجر
اره - أهجار جفع - هجر صربان لعلا - هجر صربان لسفل - هجر ايبتين - هجر شموح
- هجر نسقام))⁽⁴⁾

المواقع التي شهدت إهمال حكومي وأهلي:

((هجر ذهبا - قناة الري صربان - حصن الهجر - الهجيرة - الدرب - هجر المضلعة
الشرقي - هجر المضلعة القبلي - هجرام - يحموم - هجر لغجم - هجر رزق - طريقة
قضاء - رماجة - دار آل جريبة - دار آل وائل - دار الريان - حصن شمسان - حصن
لخيفر - حصن بالحمير - حصن الحجوف - قصر الشريف - قصر صالح باعوض -
حصن المعاريف - حصن الهجيرة - حصن صلاح محسن - قصر السيد عبدالله - قصر
الأمير - حصن السادة - حصن الحنور))⁽⁵⁾

(1) (السياحة في اليمن الديمقراطية) ص 43

(2) المرجع السابق نفسه، ص 51

(3) الدليل الأثري والسياحي م/ شبوة

(4) الدليل الأثري والسياحي م/ شبوة

(5) الدليل الأثري والسياحي م/ شبوة

خامساً: المواقع الأثرية والتاريخية في مديرية حبان

((مدينة حبان:

في الطريق الرابط بين أكبر مدينتين في جنوب اليمن، عدن والمكلا، تقع حبان وهي واحدة من أكبر المدن التاريخية في محافظة شبوة، والمرشحة اليوم للانضمام إلى قائمة المدن التاريخية اليمنية بحسب تصنيف منظمة اليونسكو وقد احتلت هذه المدينة موقعاً جغرافياً مهماً في جنوب شبه الجزيرة العربية واليمن، مما جعلها قديماً مركزاً للقوافل التجارية القادمة من الموانئ البحرية جنوباً والذاهبة إلى مناطق يمنية في أقصى الشمال كيبحان، ومأرب، وحريب والبيضاء وغيرها..

وفي إطار الدور التاريخي للمدينة في العصور الإسلامية، تميزت بطابع جعلها إحدى مدن الحضارة الإسلامية في اليمن، وقد خضعت حبان لحكم الدولة الطاهرية في القرن السابع الهجري، ثم صارت مركزاً لسلطنة الواحدي⁽¹⁾.

ومن أهم المعالم التاريخية في حبان:

((جامع حبان: الذي يعود تاريخه إلى عام 266 هجرية.

- مصنعة حبان التاريخية: التي كانت مقرّاً للسلطنة الواحدية..

وهناك العديد من الجوامع التاريخية مثل جامع باسيلان وجامع الهدار، وجامع النور، وجامع عقيل.

ومن معالم حبان التاريخية السور القديم ومآثر جبل كدور.

ونظراً لأن عدن شهدت ازدهاراً تجارياً لأهمية موقعها الاستراتيجي، هاجر إليها اليهود واستقروا فيها واتخذوها مركزاً لنشاطهم التجاري ولكنهم لم يستطعوا عدن بل توزعوا في سلطنات ومشيخات وإمارات الجنوب العربي ومن ضمنها سلطنة الواحدي وعاصمتها حبان، إذ سكنتها العديد من الأسر اليهودية التي بلغ عدد أفرادها حوالي (500) شخص، وعملوا في صياغة الحلي والأسلحة البيضاء وأعمال الحدادة وصناعة

(1) جمال شنيتر "تقرير صحيفة الاندبندنت البريطانية النسخة العربية عن مدينة حبان التاريخية في شبوة، حبان مدينة الحضارات تعاند الموت وعينها على قائمة "اليونسكو" اندبندنت عربية الأربعاء 4 مارس

الأدوات الزراعية والبناء والتجارة والزراعة، وما زالت مآثر اليهود موجودة في حبان، كما لهم مقبرة في ضواحي المدينة، وتركوا نقوشًا كثيرة في شعب الشقبة أحد روافد وادي حبان، وقد رحل يهود حبان إلى فلسطين المحتلة ضمن عملية البساط السحري وذلك في عام 1948م⁽¹⁾

ومن معالم المدينة الأخرى مكتبة ومدينة الزهراء الحبانية ورباط الشقاع

ومن معالم حبان التاريخية والأثرية أيضًا:

((مصنعة حبان: وهي عبارة عن موقع أثري أقيم على قمته قلعة، ويبعد عن عتق)

العاصمة بـ (38) كيلومترًا.

- جبل كدور: وهو عبارة عن مديرية أثرية قديمة، وتبعد عن عتق بـ (38) كيلومترًا.

حصن حبان - حصن باسردة: ⁽²⁾

إهمال من الجهات الحكومية والشعبية، وهناك بعض الأنشطة للحفاظ على المواقع

الأثرية والتاريخية فيها، وتعتبر حبان من أفضل المناطق اهتمامًا بإرثها الثقافي.

سادسًا: المواقع الأثرية والتاريخية في مديرية مرخة:

((هجر أمبركة: هو مبنى من جدارين داخلي وخارجي، بينهما جدران تربطهما يحتوي

على مدن منها لججية، وهجر طالب، وهجر الناب، عاصمة دولة أوسان، وتبعد نحو

(120) كيلومترًا عن مركز المحافظة (عتق).

- خزينة الدرب: يوجد بها سدان طول جدار أكبرهما (140) مترًا، وارتفاعه (4)

أمتار، وتبعد عن عتق بنحو (110) كيلو مترات.

- هجر أمحسينة: عبارة عن تل مرتفع تقع فيه قناة على امتداد الجبل يبلغ عرضها

مترين، وتبعد عن عتق بـ (100) كيلومتر.

ومن المواقع الأثرية والتاريخية الأخرى في مديرية مرخة التي شهدت إهمال:

- هجر يهر - هجر رمة - هجر خمورة - الهجر الأبيض - هجر أبو زيد - هجر ذات

الجار - هجر خزينة الدرب - هجر بن طالب - هجر لججية - قنوات الري: مرخة

(1) المرجع السابق نفسه

(2) الدليل الأثري والسياحي م / شبوة

- قنوات الري: جرشفان - هجر الناب - حصن واسط - حصن آل راجح - ثلاثة حصون في مرخة⁽¹⁾

سابعاً: المواقع الأثرية والتاريخية في مديرية نصاب

أ - ((هجر جنادلة: وهو عبارة عن تل أثري، وهو يبعد عن مركز المحافظة عتق بـ (38) كيلومتراً.

ب - نقش عبدان الكبير: ويعتبر من أهم نقوش القرن الرابع الميلادي ويبعد عن عتق العاصمة بـ (45) كيلومتراً.

ج - هجر حويدر: عبارة عن تل أثري، ويبعد عن مركز المحافظة عتق بـ (50) كيلو متراً.

د - هجر أم ذبيبة: وهو عبارة عن مدينة قديمة تأخذ شكل مستطيل أبعاده 70×90 متراً، وارتفاعه نحو (20) متراً، وتبعد عن مركز المحافظة بـ (45) كيلو متراً.

هـ - هجر ظليمين:

- مقابر أمذيبية: نصاب شبوة صفراء - هجر حنه: عبدان - نصاب - أهجار وادي ضراء: ضراء - مقابر وادي ضراء: ضراء - أهجار وادي عبدان.⁽²⁾

ثامناً: المواقع الأثرية والتاريخية في مديرية ميفعة + الروضة

- ((نقب الهجر: يبلغ طول الوادي (25) كيلومتراً، تنتشر على ضفافه منازل طينية تشبه منازل مدينة شبام.

- وادي عماقين: يبلغ طول السد حوالي (واحد) كيلو متر، وعرضه نصف كيلو متر.

- حصن بن رشيد: الرقة/ ميفعة شبوة - حصن السيد: حوطة الفقيه علي - ميفعة

القديمة - حصن الحوطة - حصن الروضة - حصن ابن الحجري - حصن عراقين

- مسجد (بلاد لماطر) مسجد قديم عمره يتجاوز (300) سنة بناه المصلح الديني

(1) الدليل الأثري والسياحي في م/ شبوة

(2) المرجع السابق نفسه

عبدالرحمن بن عمر بن عبدالجبار بارحمة وقام بتجديده النقيب وابن ثعلب قبل (130 سنة، الآن مهجور))⁽¹⁾

تاسعاً: المواقع الأثرية والتاريخية في مديرية بيحان:

- (مدينة تمنع (هجر كحلان) - حيد بن عقيل - هجر بادي - ضربة ذي نصر - قناة الري القرنين))⁽²⁾

عاشراً: المواقع الأثرية والتاريخية في مديرية جردان:

((هجر البناء: يقع على وادي جردان وهو عبارة عن تل أثري مستطيل أبعاده (210 × 140 متراً)، ويبعد عن (عتق) بـ (85) كيلو متراً.

- هجر البناء عياذ - هجر البريرية - هجر الحطم - سبعة حصون الربسة - مصنعة سبط - حصن العطفة - حصن الرباط - حصن مقر السادة - حصن الجنينة - حصن عميق - حصن الشق - حصن عياذ⁽³⁾

الحادي عشر: المواقع الأثرية والتاريخية في مديرية الصعيد

- سد ضو مرين: ويبعد (28) كيلومتراً عن العاصمة (عتق) - قصر الصعيد - حصن رويس بن محسن - حصن السادة - حصن السفال - حصن يشبم - حصن الشعبة⁽⁴⁾

الفصل الثاني: رصد لأهم وأبرز المعالم السياحية في شبوة:

أولاً: المعالم السياحية في (عتق) عاصمة محافظة شبوة

- متحف عتق - شرق وأطراف مدينة عتق - مديرية عتق - سلسلة الجبال للجبل الأبيض - عتق + جردان + عزماء + الروضة - حصون عتق - مديرية عتق - تقاطع طرق (عتق - النقبة) - (عتق - شبوة القديمة)

(1) الدليل الأثري والسياحي م/ شبوة

(2) المرجع السابق نفسه

(3) المرجع السابق نفسه

(4) الدليل الأثري والسياحي م/ شبوة

ثانياً: المعالم السياحية في عرماة :

- مدينة شبوثة القديمة - عرماة - قنوات الري في المعشار - بئر أحمد (دهر) - هجر دهر - مواقع السوط - حصن المافود - قصر شقر - نقوش العقلة⁽¹⁾

ثالثاً: المعالم السياحية في مديرية رضوم

- ((ميناء قنا الأثري منطقة (بئر علي) - مدينة شبوثة القديمة. - حصن الغراب - شواطئ حصن الغراب منطقة (بئر علي) - ميناء بلحاف: وهو ميناء بحري صغير ومديرية وتعتبر من المحميات السياحية بشواطئها الجميلة. - شاطئ المغداف - منطقة بئر علي - بحيرة شوران منطقة بئر علي - شاطئ الحومرين بئر علي - جزيرة سخة + الحلانية + البراقة + غضرين - شاطئ ساحل عين بامعبد - شاطئ ساحل النشمية - شاطئ ساحل العين - شاطئ ساحل قرية حصون (رساس دارس) عين رضوم - شواطئ ساحل الجبيل - عين رضوم - شواطئ ساحل حورة - عين رضوم - شواطئ ساحل عرقة - عين رضوم، شواطئ ساحل أمبح - ينابيع المياه المعدنية الحارة - مدينة رضوم - ينابيع المياه المعدنية الحارة - منطقة الجويري - حمام رضوم السياحي يحتوي على مسبح كبير للرجال - ومسبح آخر للنساء - مياه معدنية علاجية - العقلة - حصن بن طالب - عين بامعبد - طريق اللبان بالحاف))⁽²⁾

رابعاً: المعالم السياحية في مديرية عسيلان

- مدينة تمنع (هجر كحلان) عاصمة مملكة قتيان - حيد بن عقيل (المقبرة) - هجور، وحصون ودور مديرية عسيلان الأثرية والتاريخية كافة التي توجد في المديرية والتي ذكرت ضمن المواقع الأثرية والتاريخية في المديرية في الفصل الأول من هذا البحث. - رملة السبعين⁽³⁾

خامساً: المعالم السياحية في مديرية حبان

- مدينة حبان - وادي حبان: يقع وادي حبان في قلب مدينة حبان، وسط غابة مملوءة بأشجار الصنوبر والبلوط المخضرة طيلة أيام السنة، وفي سلسلة جبال حبان

(1) الدليل الأثري والسياحي م/ شبوثة

(2) الدليل الأثري والسياحي م/ شبوثة

(3) المرجع السابق نفسه

الشاهقة الغناء ذات الهواء العليل، وعلى الطريق بين مدينتي عدن التي تبعد بحوالي (332) كم، والمكلا (273) كم تقريباً، تربطه طريق من الدرجة الأولى، مناظر طبيعية، شعاب منخفضة، أودية، قطعان الأبل وعلى جانبي الوادي الكبير تناثرت الواحات.. نماذج مصغرة من فردوس أرضي تبسط النخيل فوقه ظلالاً منعشة، وتهزج فيه العيون الرقراقة بنغم الحياة.⁽¹⁾ - مصنعة حبان، جامع حبان، جوامع حبان، جبل كدور، حصن حبان، حصن باسردة - مكتبة ومدرسة الزهراء الحبانية، رباط الشقاع - مقبرة اليهود

سادساً : المعالم السياحية في مديرية مرخة :

- هجر امبركة - خزينة الدرب - هجر المحسنة: تقاطع طرق (مرخة - عتق) - قنوات الري، والأهجور، والحصون كافة في مديرية مرخة.

سابعاً : المعالم السياحية في مديرية نصاب :

- هجر جنادلة. - نقش عبدان الكبير - هجر حويدر - هجر أم ذبيبة - هجر ظليمين - مقابر امذبيبة وغيرها من الأهجور في المديرية.

ثامناً : المعالم السياحية في مديرية ميفعة + الروضة :

- نقب الهجر - وادي عماقين - حوطة الفقيه علي: مدينة الروضة (الروضة) - حصن بن رشيد: شلالات وادي لماطر (الروضة) - غيل السعيدي - الروضة - ميفعة القديمة - وحصون المديرية كافة - مسجد بلاد لماطر (الروضة) - عزان: تقع على بعد 222 كيلومتراً من مدينة المكلا، تمتاز بجفافها التام وشتاؤها الدافئ، وبجمال مناظرها الطبيعية وكثرة فواكهها، ووسائل الترفيه متعددة، وبالقرب من مدينة عزان توجد ينابيع المياه المعدنية لتحمل الشفاء والمتعة للزوار والمواطنين.⁽²⁾

تاسعاً : المعالم السياحية في مديرية بيحان :

- مدينة (تمنع) - (هجر كحلان) - حيد بن عقيل - ضربة ذي نصر - قناة الري القرنين

(1) (السياحة في اليمن الديمقراطية) ص 161

(2) (السياحة في اليمن الديمقراطية)، ص 68

عاشراً: المعالم السياحية في مديرية جردان:

- هجر البناء - هجر البريرية - هجر البناء عياذ- هجر الحطم - سد الدغثور- سبعة حصون الربسة - حصن عياذ وغيرها من حصون المديرية.

الحادي عشر: المعالم السياحية في مديرية الصعيد:

- سد ضومرين - قصر الصعيد - حصون الصعيد كافة

الفصل الثالث:

أولاً: آليات الحفاظ على المواقع الأثرية والتاريخية في شبوة

ثانياً: آليات الحفاظ على المعالم السياحية في شبوة

أولاً: آليات الحفاظ على المواقع الأثرية والتاريخية في شبوة

لقد تبين لنا من خلال الفصل الأول الذي رصدنا فيه أهم وأبرز المواقع الأثرية والتاريخية في محافظة شبوة أن السواد الأعظم من تلك المواقع يعاني الإهمال وعدم الاهتمام الحكومي والأهلي مما قد يؤدي إلى فقدان وضياح تلك المواقع التي تمثل جزءاً مهماً من الإرث الثقافي الحضاري في هذه المحافظة العريقة التي تكتنز الكثير والكثير من المواقع الأثرية والتاريخية التي لا تقدر بثمن.

ومن أهم الآليات للحفاظ على المواقع الأثرية والتاريخية في شبوة مايلي:

1 - أن تكون لدى الدولة والحكومة في اليمن إرادة سياسية للحفاظ على آثار البلد وهذا لاشك سيؤدي إلى اتخاذ إجراءات فاعلة وعاجلة وملموسة للحفاظ على تلك الآثار في عموم محافظات البلد كافة.

2 - زيادة الميزانيات التشغيلية لوزارة الثقافة في البلد، والهيئة العامة للآثار والمتاحف ومكاتبها في المحافظات بما يمكنها من القيام بدورها المنوط بها في الحفاظ على الآثار في البلد كافة.

3 - أن تقوم السلطات المحلية في محافظة شبوة بإجراء مسح أثري شامل للمواقع الأثرية والتاريخية وتسجيلها مع تسجيل ما بهذه المواقع من محتويات ولقى أثرية ونقوش وكتابات أثرية وغيرها من المقتنيات الأثرية، مع القيام بجرد هذه المحتويات سنوياً.

4- أن تقوم السلطات المحلية في شبوة بواجبها في مساعدة الهيئة العامة للآثار في شبوة في الحفاظ على آثار شبوة من خلال مساهمتها في تقديم الدعم المالي والمعنوي وفق إمكانياتها المتاحة، فضلاً عن تقديم مساهمتها الأمنية من خلال توفير حراسات خاصة للمواقع الأثرية والتاريخية المهمة لمنع العبث بما فيها من مقتنيات أثرية، وكذا توفير الحراسات الخاصة لمتحف عتق في مركز المحافظة.

5- أن تقوم السلطات المحلية في محافظة شبوة بالتنسيق مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف هناك بنشر التوعية والتثقيف بأهمية الحفاظ على آثار شبوة بالتنسيق مع وسائل الإعلام المحلية.

6- أن تقوم الدولة والحكومة بالتعجيل بإصدار قانون خاص بالآثار في البلد لكي يوفر الحماية المطلوبة لتلك الآثار.

7- تفعيل دور الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية في شبوة وعموم المحافظات اليمنية لتقوم بدورها كاملاً في الحفاظ على الآثار في المدن التاريخية اليمنية وضمنها مدن شبوة التاريخية.

ثانياً : آليات الحفاظ على المعالم السياحية في شبوة :

- تزرع محافظة شبوة بالكثير والكثير من المعالم السياحية التي ذكرنا أهمها وأبرزها في الفصل الثاني الخاص بأهم وأبرز المعالم السياحية في هذه المحافظة، ولكن أغلب هذه المعالم لا تحظى بالرعاية والاهتمام من قبل الجهات المسؤولة عليها في السلطة المحلية بمحافظة شبوة، ومكتب الهيئة العامة للسياحة بالمحافظة من جهة والهيئة العامة للآثار والمتاحف من جهة أخرى على اعتبار أن القرى والمدن التاريخية وما بها من مواقع أثرية وتاريخية وحضارية هي مناطق جذب سياحي وتعد مصدرًا مهمًا من المصادر السياحية وتدخل في إطار السياحة الثقافية أو الأثرية التي تحظى بإقبال كبير من قبل السياح.

ونقدم هنا أهم الآليات للحفاظ على المعالم السياحية في محافظة شبوة:

- أن تقوم الهيئة العامة للسياحة بعمل مسح سياحي دقيق وشامل للمعالم السياحية في محافظة شبوة ليشمل هذا المسح كل معالم ومواقع أنواع السياحة المتعددة مثل معالم السياحة الثقافية (أو الأثرية) ومعالم السياحة الدينية، ومعالم السياحة البيئية ومعالم

السياحة الصحراوية، ومعالم السياحة البحرية (سياحة الشواطئ والغوص) والسياحة العلاجية وغيرها من الأنواع السياحية.

- أن تقوم السلطة المحلية بمحافظة شبوة بدعم الميزانية التشغيلية الضعيفة المقررة لها من قبل الهيئة العامة للسياحة في المركز، إذ لا تلبى تلك الميزانية متطلبات وحاجات الهيئة العامة للسياحة في شبوة للقيام بمهامها المنوطة بها في الحفاظ على المعالم السياحية ورعايتها وتطويرها.

- إصدار مجلة خاصة عن الهيئة العامة للسياحة في شبوة تعني بالشؤون السياحية في شبوة، والترويج لمعالمها السياحية ونشر الوعي والتثقيف بأهمية الحفاظ على المعالم السياحية ودور وأهمية السياحة في التنمية المستدامة للبلد، إضافة إلى إصدار البروشورات والأدلة والخرائط السياحية التي تصب في ماتم ذكره سلفاً.

- أن تقوم السلطة المحلية في محافظة شبوة بالتنسيق مع الهيئة العامة للسياحة هناك بزيادة الاهتمام ببناء المنشآت والمرافق والبنى التحتية في شبوة، لأنها تعد إحدى أهم مقومات التطور السياحي.

- إنشاء الشرطة السياحية التي ستسهم بشكل كبير في الحفاظ على المعالم الأثرية والتاريخية والسياحية، وكذا ضبط المخالفين لكل القواعد والأنظمة السياحية.

الفصل الرابع: التوصيات والمقترحات

- ضرورة أن يكون لدى الدولة والحكومة في اليمن إرادة سياسية قوية للاهتمام بآثار البلد وحمايتها.

- ضرورة أن تقوم وزارة الثقافة في البلد بالطلب من الدولة والحكومة بزيادة الميزانية التشغيلية للوزارة الخاصة بالحفاظ على آثار البلد.

- في حالة استمرار الدولة والحكومة في إهمالها وعدم رعايتها لآثار محافظة شبوة وغيرها من محافظات البلد - كما نراه في الواقع المعيش - فإنه يتطلب أن تقوم السلطة المحلية في شبوة بتقديم المساعدة المالية الممكنة للهيئة العامة للآثار والمتاحف هناك حتى لا تتعرض آثار شبوة للضياع والاندثار.

- ضرورة أن تقوم الهيئة العامة للآثار والمتاحف بعمل مسح دقيق وشامل للمواقع الأثرية والتاريخية في شبوة.
- يجب أن تقوم الهيئة العامة للسياحة بعمل مسح دقيق وشامل للمعالم السياحية في شبوة.
- ضرورة أن تقوم السلطة المحلية في محافظة شبوة بتوفير الحراسات الأمنية الخاصة للمواقع الأثرية والتاريخية والمعالم السياحية في شبوة.
- يجب على السلطة المحلية في شبوة تقديم الدعم والعون المالي للهيئة العامة للسياحة هناك لتقوم بدورها المنوط بها في الحفاظ على المعالم السياحية وتطوير العمل السياحي.
- يجب على الهيئة العامة للآثار والمتاحف والهيئة العامة للسياحة بإصدار المجلات والبروشورات الخاصة بنشر التوعية والتثقيف بأهمية آثار البلد ومعالمها السياحية.
- تفعيل دور الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية في شبوة، وزيادة ميزانيتها التشغيلية.
- ضرورة إصدار القانون الخاص بالآثار اليمنية.
- ضرورة إنشاء الشرطة السياحية في شبوة.
- ضرورة الاهتمام بالمنشآت والبنى التحتية السياحية والفندقية الحالية، وإنشاء المزيد من تلك المنشآت والبنى باعتبارها إحدى أهم مقومات التنمية السياحية وتطورها.

المصادر والمراجع:

- 1 - كتاب المؤسسة العامة للسياحة. السياحة في اليمن الديمقراطية عدن.
- 2 - إعداد / د. عزة علي عقيل، د. جان فرنسوا بریتون. شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية. ط (1) المركز الفرنسي للدراسات اليمنية. 1996م.
- 3 - دليل المواقع الأثرية والتاريخية والمعالم السياحية في م / شبوة الصادر عن مكتب وزارة السياحة في م / شبوة.
- 4 - د. خالد سالم باوزير. موانئ ساحل حضرموت، دراسة اثنو أثرية ط (1) مطابع دراسات الشمال 1996م. رسالة ماجستير من معهد الآثار والانثربولوجيا بجامعة اليرموك - الأردن 1992م.
- 5 - جمال شنيتير، تقرير صحيفة الانديبننت البريطانية النسخة العربية عن مدينة حبان التاريخية في شبوة، حبان مدينة الحضارات تعاند الموت وعينها على قائمة اليونسكو - الأربعاء 4 مارس 2020م.

مدن تاريخية وأثرية في محافظة شبوة: حوطة الفقيه علي نموذجاً

تمهيد:



إعداد/ علي عبد الباقي علي المعلم

تعد محافظة شبوة إحدى أهم المحافظات اليمنية، وتحتل جغرافي متوسط في جنوب الجزيرة العربية، وبها العديد من الوديان الخصبة الصالحة للزراعة، مما ساعد في قيام عدة ممالك قديمة على أرضها منها قتيبان وأوسان وحضرموت، وتضاعفت أهميتها في عهد ازدهار تجارة البخور الذي كان يمر في برها وبحرها.

ونظراً للأهمية التاريخية لحوطة الفقيه علي وللدور الكبير الذي لعبته في تاريخ شبوة كسوق تجاري كبير معتمدة في ذلك على موقعها في وادي عمقين أحد الطرق التجارية القديمة، فضلاً عن أدوارها الاجتماعية في تاريخ شبوة وإصلاحها بين القبائل والسلطنات واستقرارها رغم المحيط المتفجر بالحروب والثرات في تلك الفترة. جاء هذا البحث المعنون بـ ((مدن تاريخية وأثرية في محافظة شبوة: حوطة الفقيه علي نموذجاً)) لنلقي الضوء على تاريخ المدينة العريقة في القدم والوقوف على أهم جوانبها في أربعة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: جغرافية وتاريخ المدينة.

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية والثقافية.

الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية.

الفصل الرابع: الأوضاع السياسية ودور مشيخة آل الفقيه علي في المنطقة.

الفصل الأول: جغرافية وتاريخ المدينة :

المبحث الأول: جغرافية المدينة :

1. الموقع: تقع حوطة الفقيه علي بمديرية ميفعة محافظة شبوة جنوب شرق الجمهورية اليمنية بين خطي العرض (22, 14) والطول (23, 47) وتبعد عن مدينة عتق عاصمة المحافظة (120 كم) وعن البحر العربي (30 كم)، كما تقع على ضفاف وادي عمقين الشهير أحد الطرق التجارية القديمة.
2. المناخ: يسود المدينة مناخ معتدل طوال السنة حيث تتجاوز درجة الحرارة في الصيف 40 درجة مئوية وتكثر الأمطار في فصل الصيف والخريف.
3. مداخل المدينة: لحوطة الفقيه علي مدخلين رئيسيين هما:
 - 1 - المدخل الأول: المدعى: ويقع في المليلة شرق المدينة (مسجد الرحمن حالياً) وهو ملتقى لأربعة طرق وهي طريق الخرمة، وطريق الصيق، وطريق لجم سلمون، وطريق الخزمة.
 - 2 - المدخل الثاني: المرجم ويقع في وادي عمقين غرب المدينة، وهو ملتقى للقوافل الآتية من القبلة، وأرض العوالق، والروضة وحبان وجردان.
4. حدود المدينة: يحدها من الشرق: جبال الضلع وقرى محيد، ومن الغرب: الرحبة وروضة بن إسرائيل، ومن الجنوب: الخرمة وعزان، ومن الشمال: جبل سقاه وسلمون.
5. جبال المدينة: يشرف على المدينة عدد من السلاسل الجبلية والهضاب أهمها:
 - أ - جبل سقاه: وهو المطل على معظم المدينة من جهة الشمال ومسافته بين الحوطة والروضة المعروفة باسم "رحبة الحوطة" وتنتهي عند جبل كبران وشرح مسارى⁽¹⁾.
 - ب - جبل قرفة: ويشرف على المدينة من جهة الجنوب، ويمتد بين وادي حبان

(1) ناصر صالح يسلم حبتور، وادي ميفعة، رسالة ماجستير قدمت الى مجلس كلية الآداب، جامعة عدن 1997م، ص 9.

وعمقين من الخرمة جنوب المدينة باتجاه الغرب إلى العرقوب شمال مدينة الروضة وتشرف حافة الجبل على الضفة الشمالية لوادي عمقين⁽¹⁾.

ج - جبل صربه: ويشرف على قرية الحضن من جهة الشرق ويشكل قمة الجبل رأس حربه، وهو متصل بسلسلة جبلية تسمى جبال الصلح.

6. الوديان: وادي عمقين: ينحدر من السلسلة الجبلية الشمالية التي تمثل قرية الظاهرة ولعلب والمبرك خط تقسيم المياه فيها، فمنه تنحدر السيول شمالاً إلى رملة السبعين عبر وادي جردان جنوباً إلى البحر العربي عبر وادي عمقين وميفعة وتخالط وادي عمقين مجموعة من الروافد مثل الحنكة والشعيب ورهوان وغر وتشكل هذه الروافد مصادر الوادي الأولى لتمر عند قرية عمقين في وادي واحد هو وادي عمقين الذي يطلق على الوادي حتى إلتقائه بوادي حبان عند المدينة الأثرية (نقب الهجر) ويصب في وادي عمقين مجموعة من الروافد أهمها: شعب ثره، شعب فطوم، شعب يايه، شعب حلفوف، شعب توريق، شعب فروان، شعب ينبق، وادي سلمون⁽²⁾⁽³⁾.

7. الشعاب: تميزت حوطة الفقيه علي بكثرة الأشعاب لوجودها بين الجبال ومن أهم الأشعاب: شعب ينبق، شعب حدث، شعب الزاد، شعيب علي، شعب لقلاع، شعب بامرصة، شعب باطفيف، العرقة، مردخ، شعب ينخب.

المبحث الثاني: تاريخ المدينة:

1. النشأة: كانت هذه الرجة⁽⁴⁾ أرضاً موأتا طلبها من أهل تلك الجهة، وبنى بها جامعاً حسناً، وحفر فيها آباراً، وأولد فيها أولاده الفقهاء، يطعمون الطعام⁽⁵⁾.

(1) المرجع السابق: ص 9.

(2) رغم ان سلمون يعد رافدا من روافد عمقين فإنه يسمى محليا (وادي) وليس شعب لأنه أطول وتنحدر إليه روافد اصغر، اما الشعب ينحدر من مسافة اقصر ليصل إلى الوادي الرئيسي.

(3) المرجع السابق: ص 11.

(4) الرجة: هي حوطة الفقيه علي حالياً.

(5) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضوموت، مكتبة الارشاد صنعاء، الطبعة

الأولى 2002م، ص 34.

وهم عقيل وعمر والشافعي وحسين ومُحمَّد وأما ولده عبد الله فقد مات قبله، ثم بنى الفقيه علي أول مسجداً بحوطته المسجد لسفل ويسمى الشرقي ثم بنى ابنه البكر عقيل المسجد لعلی ويسمى الجامع، وتوفي الفقيه علي في أول يوم من محرم سنة 832هـ ودفن جوار الجامع وبُني عليه قبه، وقد كان من عادة من قام بمنصبه العالي أن يفعل له مولدًا في النجم الخامس - يوافق التاسع من شهر سبتمبر - وفي بداية الأمر تجتمع فيه أناس قليل من أهل الجهة وقد شاع وذاع وجعلوه وقفه وسوقاً تأتي عليه الخلائق من صنعاء وأبين وحضرموت وشبوة، ويباع فيه الأنعام والحُمير والبز الأسود والتمر والسلاح⁽¹⁾.

2. التسمية: وجاءت تسمية الحوطة لمعنى اصطلاح عليه عرب الجنوب عامة وحضرموت خاصة، وأفضل من عرف معنى الحوطة المؤرخ / علوي بن طاهر الحداد: (الحوطة: هي المدينة أو القرية "بحضرموت" التي تكون معروفة الحدود الأربعة، المحصنة، والمحوطة: أي المحاطة بسياج من العهود والمواثيق التي توقعها كافة القبائل المجاورة لها مع الأمام العالم العابد المصلح الذي يتخذ من تلك المدينة أو القرية مقراً له ولمركزه (ويسمى في حضرموت مقامه) العلمي الروحي والاصلاحي، أو مع القائم في مقامه من بعده، وتسمى مثل هذه المعاهدات في حضرموت "وجوه" مفردها "وجه" ويحوط هذا الأمام العالم العابد المصلح تلك المدينة أو القرية - أي يحصنها - بالدعوة إلى الله ونشر العلم وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين من كافة الشرائح الاجتماعية، وإكرام الضيوف والقاصدين والعابرين، وبتطبيق أحكام الشرع الشريف في كل شأن من شئون حياة تلك المدينة أو القرية بعيداً عن قانون الأعراف القبليّة، وبمجالس العلم وتلاوة القرآن والذكر والدعاء، ومن جانبها - أي القبائل المجاورة - تحوط "تحصن" تلك البلدة بالاحترام والحماية وعدم الاقتتال فيها أو أخذ الثأر داخل حدودها

(1) سالم احمد المحضار، الكوكب المنير الأزهر في مناقب السادة آل محمد بن عمر. مخطوطة.

الأربعة، والدفاع جماعيا عنها ضد أي معتد أو غازي أو متتهك لمكانتها بسوء أدب أو سلوك مشين.⁽¹⁾

المبحث الثالث: أهم المظاهر في المدينة:

1 - المساجد:

أ- مسجد لسفل: يعتبر أول مسجد بني في حوطة الفقيه علي وقد بناه الفقيه علي بن محمد بن عمر الحباني بعد بنائه للمدينة، ويسمى المسجد الشرقي، وقد وتم تجديده بالإسمنت عام 1992م ولا يزال قائما ويوجد في مدخل السوق (البطحة)، وسمي لسفل لوجوده في أسفل السوق (البطحة).

ب - مسجد الجامع: هو ثاني مسجد بني في المدينة وقد بناه عقيل ابن الفقيه علي الابن البكر سنة 812 هـ - 1409م، ثم جدد وزاد على حدود المسجد قليلاً الشيخ عبدالغافر بن أحمد بن ياسين سنة 1312 هـ - 1894م، ثم قام بتوسعته أبناء المدينة في محرم 1384 هـ - مايو 1964م، ثم جدد في محرم 1402 هـ - أكتوبر 1981م وهو على شكله الحالي، ويسمى مسجد لعلی لوجوده في أعلى السوق (البطحة).

ظلت المدينة وضواحيها معتمدة على هذان المسجدان طيلة ستة قرون ولم تشهد المدينة بناء مساجد جديدة إلا في فترة قريبة وذلك لنمو السكان فيها.

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية:

تعتبر حوطة الفقيه علي من أقدم مدن محافظة شبوة ويتكون النظام الاجتماعي للمدينة على شكل هرم وهو كالتالي:

1. المشائخ آل الفقيه علي: تعتبر المدينة أحد أملاك آل الفقيه علي توارثاً عن الأجداد، إذ أن الفقيه علي أحيا هذه الأرض واختطها وسكن فيها وتوارثها

(1) علوي بن طاهر الحداد، صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت محاضرة للمؤرخ عبدالله بن حسن بلعقيه، تحقيق مصطفى بن عبدالرحمن بن عبد الله العطاس، تريم للدارسات والنشر، تريم، ص 57.

أبناءه، وينتشر آل الفقيه علي في كافة أحياء المدينة وقراها، وينقسم آل الفقيه علي إلى عدة ديار تنحصر في أبنائه الخمسة، وهم:

أ - عقيل بن الفقيه علي: وتنسب إليه الديار الرئيسية التالية: آل المعلم، آل باحنن، آل حصية، آل عطريش، آل قنيد في أئين، آل باوهاب في جول عقيل بميفعة.

ب - محمد بن الفقيه علي: وتنسب إليه الديار الرئيسية التالية: ال باياسين، ال بوداحس، ال حلفوص، ال باغافر، آل باسر.

ج - عبدالله بن الفقيه علي: وينسب إليه ال لجزل.

د - حسين بن الفقيه علي: وينسب إليه ال باشبية.

هـ - عمر بن الفقيه علي: وينسب إليه: ال عقيل، ال باحليم.

2. قبائل باهر ونعمان: تعتبر مشيخة ابن الفقيه علي هي المرجعية الأولى لقبائل باهر ونعمان وتعتبر قبائل باهر ونعمان هي المكلفة بحماية المدينة وحماية أهلها، وانتشرت بعض قبائل باهر ونعمان في ضواحي المدينة وهي كالتالي:

م	القبيلة	الموقع
١	قبيلة بابريش	حجل سلمون + باصفاء
٢	قبيلة باديان	الحضن
٣	بعض من قبيلة باقطني	كورة بن حدج + الجيزة + الرحبة
٤	بعض من قبيلة بافقير	محصن

3. الوافدين: استوطن المدينة من غير أهلها عدد من الأسر الوافدة البعض منهم جاء للعمل كون المدينة مركزا تجاريا والبعض جاء هاربا من ثأر ويريد الأمان فوجد غايته في المدينة، ومنهم جاء بسبب انتشار المجاعة والفقر فوجد فيها ملاذا آمنا ورخاء من العيش.

4. العبيد: ويسكن العبيد في البريقاء والحسوة والبعض في العبر.

المبحث الثاني: العمارة الطينية:

إن عملية البناء بالطين قد لازمت الإنسان اليمني منذ قديم الزمان وهي التي أفرزت عمارة طينية فريدة قل نظيرها في أي مكان آخر في العالم.⁽¹⁾

كما واعتمدت حوطة الفقيه علي في العمارة الطينية على النمط البرجي وهو: الذي يتمثل في مدن يمنية عدة أهمها مدينة صنعاء القديمة وعتق ويحان وعزان ورداع وصعدة ومدينة شبام حضرموت والهجرين وخليه بقشان ومعظم مدن وادي حضرموت⁽²⁾. ويتميز هذا النمط بعدد الطوابق حيث يبلغ عدد الطوابق إلى ستة طوابق والبعض إلى عشرة طوابق.

وتنوعت البيوت الطينية في المدينة فظهرت عدة أنواع أهمها:

1. بيت السبعة: وتبلغ مساحتها (12م × 13م) وتتكون من 4 غرف في واجهة البيت و3 غرف في خلفية البيت.

2. بيت التسعة: وتبلغ مساحتها (14م × 15م) وتتكون من 5 غرف في واجهة البيت و4 غرف في خلفية البيت.

3. بيت الحادي عشر: وظهر هذا النوع في العصور الحديثة، وتتكون من 6 غرف في واجهة البيت و5 غرف في خلفية البيت.

المواد المستخدمة في البناء الطيني:

1 - اللبن: يعتبر اللبن أهم مكون من مكونات مواد البناء التي تستخدم في المبنى، كما تتراوح ابعاد اللبنة (18 انش × 20 انش) إلى (14 انش × 20 انش) على حسب الموقع والأرض.⁽³⁾

2 - السقوف: يرتفع السقف على حوالي 0,2 متر أو 0,5 متر⁽⁴⁾.

(1) سالم عوض رموضه، العمارة الطينية في اليمن، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ص 79.

(2) المرجع السابق، ص 79.

(3) معاذ محمد بارمادهوآخرون، مشروع إعادة تأهيل بيت الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن ياسين، ص 25.

(4) المصدر السابق، ص 26.

3 - النوافذ: نوافذ البيت ومناوره تكون صغيرة الحجم لعدة أسباب:

أ - عدم وجود مرادم واسعة لذلك.

ب - عامل المناخ حيث المنطقة ذات مناخ شديد البرودة خاصة في الشتاء وقلة السكان لتحميهم البرد.

ج - اقتصادية نوعا ما لقلّة توفر الإمكانيات لديهم، وكانت تصنع محليا.⁽¹⁾

4. الأبواب: تصنع الأبواب محليا من مادة (السدر) وتطرز بمسامير من حديد للزينة والمنظر.⁽²⁾

وكان هناك العديد ممن احترف حرفة البناء الطيني وعمل فيها ومن أبرزهم:

1 - عمر بن عبدالله باغافر 2 - عوض بن أحمد باجوبة 3 - صالح بن سالم باجوبة

4 - محمد بن علي بن قشار 5 - سالم بن احمد بانجيفة 6 - علي باجاره

7 - عبدالرحمن بن علي البديوي 8 - محمد عبدالعزيز بن حصية.

المبحث الثالث: القناصة:

والقنص أو القنيص من أهم ما أشغلت به الأوقات والأفكار وهي الرياضة الكبرى في ذلك الوقت⁽³⁾، حيث يعلن عن أوقات الصيد، ومحاله وحدوده والفرقة التي تقوم به ويقيمون الأيام في الجبال والثلثايا التي ترعى فيها الوعول ويرسلون البشير عند عودتهم، ويحملون رؤوس الأوعال ويدخلون المدن والقرى في زجل وأناشيد ويطلقون الرصاص وتزغرد النساء ويتبارى الشعراء بأشعارهم الدارجة الشعبية التي تتضمن الوصف الدقيق لسلمات الوعل وعدد عجر قرنية وكلما زادت في العدد كلما كان أعجب للنفوس عندهم⁽⁴⁾.

(1) المصدر السابق، ص 29.

(2) المصدر السابق، ص 31.

(3) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة 1994م، ص 348.

(4) المصدر السابق، ص 349.

وقد انقسمت حوطة الفقيه علي إلى فريقين رئيسين في القناصة هما:

1. فريق بن هادي: وقد ضم الفريق عدد من القناصين المميزين نذكر أهمهم:
علي بن عمر باشيبة - احمد بن شيخ الجعفان - عبدالله بن محمد مخيشب - عمر بن محمد الخشيم - عبداللطيف بن عمر باشيبة - سالم بن احمد بن عبيد.
وقد تولى قيادة الفريق عدد القدماء: القديمة / حسين بن عمر باشيبة - القديمة / عمر بن حسين باشيبة - القديمة / علي بن عمر باشيبة - احمد بن شيخ الجعفان وقد تولى الرئاسة في أواخر عهد الفريق.

2. فريق باسر: وقد ضم الفريق عدد من القناصين المميزين ونذكر أهمهم:
مُحمَّد بن احمد ابوداحس - علي بن عبدالله المعلم - سعيد بن عبدالرب بن رحم - سالم صالح قروان - عوض الدب.
وقد تولى قيادة الفريق عدد من القدماء: القديمة / عبدالقادر بن علي بن حلفوص - القديمة / مُحمَّد بن احمد ابوداحس.

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية:

التعليم: كان نظام التعليم في حوطة الفقيه علي، يعتمد على الكتابات وختم القرآن الكريم قراءة، كما كان المذهب العقدي السائد مذهب الأشاعرة حيث يعتمدون في ذلك على حفظ قصيدة عقيدة العوام وغيرها من القصائد.

أما المذهب الفقهي فكان المذهب الشافعي وكان يحفظون أبناءهم قصيدة ألفية الزبد لابن رسلان، وسفينة النجاة وغيرها من الكتب الفقهية.

وبين عام 1351هـ - وعام 1360هـ بنيت مدرسة النور الابتدائية⁽¹⁾، على يد الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن ياسين والشيخ ابوبكر بن محمد الشبلي، فكانت تدرس من الصف الأول إلى الصف السادس.

(1) محمد عبدالله المحضار، ما جادت به الازمان من أخبار مدينة حبان، الطبعة الثانية 2008م، ص 183.

أهم المدرسون في حوطة الفقيه علي:

1. السيد العلامة/ محمد بن علوي الحداد: كان من أوائل المدرسين في الحوطة فقد درس في عام 1351هـ، وانتفع به كثير من الطلبة مدة⁽¹⁾.
2. العلامة/ محمد بن حسين المحضار: وقد مكث بها عدة سنين حتى انه تزوج عند المشائخ، وانتفع بن كثير من الناس في تعليم القرآن ومبادئ الفقه واللغة العربية حيث كان تدرسه في المدرسة (مدرسة النور الابتدائية) التي بنيت في ذلك الوقت⁽²⁾.
3. السيد / شيخ المساوي: درس الطلبة في تلك المدرسة (مدرسة النور الابتدائية) وانتفع به الكثير⁽³⁾.
4. الشيخ العلامة الشهيد / عبدالرحمن بن شيخ بن علي المعلم: ولادته بالحوطة ودرس بها القرآن الكريم ورحل إلى تريم لطلب العلوم الشريفة واستمر بها مدة مكنته ان يرجع إلى بلده فكان الخطيب والمفتي والمذكر⁽⁴⁾.
5. السيد/ عمر بن عبدالرحمن بن أحمد الجفري: استمر مدة في الحوطة وانتفع به خلق كثير وتزوج في الحوطة لطول مكثه⁽⁵⁾.
6. الشيخ/ محمد عمر بن المعلم: درس مدة من الزمان⁽⁶⁾.
7. الأستاذ/ محمد بن محمد بو حامد بن عقيل.
8. الأستاذ/ سالم الشبير.

(1) المصدر السابق، ص 183 .

(2) المصدر السابق، ص 183 .

(3) المصدر السابق، 183 .

(4) المصدر السابق، ص 183 .

(5) المصدر السابق، ص 184 .

(6) المصدر السابق، ص 184 .

الباب الثاني: زيارات العلماء للحوطة:

1. زيارة العلامة مفتي حضرموت/ عبدالرحمن بن عبيدالله بن محسن السقاف: زار الحوطة في 14 ذي الحجة 1349هـ، داعياً ومذكراً في رحلة طويلة زار خلالها حبان ونصاب وبيحان ودثينة وجردان.⁽¹⁾
2. زيارة الحبيب/ ابوبكر بن علوي بن عبدالرحمن المشهور: زار الحوطة في 27 جمادى آخر 1372هـ، داعياً إلى الله ومذكراً وانتفع به الناس.⁽²⁾

الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية:

النظام الاقتصادي في اليمن اقتصاد معيشي يوفر الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية لتلبية احتياجات المعاش الفردية.⁽³⁾ وتعتبر حوطة الفقيه علي السوق التجاري الوحيد لسلطنة الواحدي ومركزاً هاماً من مراكز السلطنة، كما ويتوافد للمدينة من بيحان وحضرموت وبلاد العوالق ونجران ومأرب وخولان وغيرها من المدن اليمنية وخاصة في مولد الفقيه علي.

المبحث الأول: الموارد الاقتصادية:

اعتمد اقتصاد المدينة على عدد من الركائز أهمها:

1. الزراعة: تعد حرفة الزراعة هي الحرفة التي نقلت الإنسان من الترحال والبحث عن القوت إلى حياة الاستقرار وإنتاج القوت،⁽⁴⁾ كما وتعتبر الزراعة هي عماد الاقتصاد اليمني وأهم مصادر ثروته⁽⁵⁾، وقد ساعدت الأراضي الزراعية الخصبة في المدينة وضواحيها ووجود المدينة على ضفاف وادي عمقين على الاستثمار الزراعي، وحيث أن معظم سكان المدينة يعملون في الزراعة.

(1) المصدر السابق، ص 184.

(2) المصدر السابق، ص 184.

(3) سالم ناصر لجدع، السلطنة الواحدية ((بالحاف)) والتغلغل الاستعماري البريطاني من عام 1934 - 1963م، رسالة ماجستير قدمت إلى مجلس كلية الآداب، جامعة عدن، ص 88.

(4) حبتور، وادي ميفعة، ص 23.

(5) لجدع، السلطنة الواحدية، ص 89.

أ - مصادر وأشكال الري: تتنوع أشكال الري تبعاً لتنوع مصادر المياه التي تروي الأرض ويتمثل ذلك التنوع فيما يأتي:

1 - الري بواسطة السيول: يعد الري السيلي من أهم أشكال الري، وذلك لسعة الأراضي الزراعية التي تروى بواسطة السيول مباشرة كما يعد هذا الشكل أفضلها وذلك لما تجلبه السيول معها من طمي⁽¹⁾، ومن أهم الأراضي الزراعية التي تعتمد على الري السيلي: الغلة، الرحبة، الجيزة، باماء، الجديفرة، العرقة، ينبق، الحويقاء، مرحوم، لييدا، مردخ.

2 - الري بواسطة الغيول: تتميز الغيول بديمومة مياهها وتسقى بها مساحات جيدة من الأراضي الزراعية ولاستمرارية مياها فإن أراضيها تعطي ثلاثة محاصيل زراعية في العام وتنتشر فيها أحواض النخيل، وإن من مميزات الأرض التي تسقى على الغيول إنتاجها للخضروات والتي تتطلب انتظام الماء حتى يتم جنيها⁽²⁾، ومن أهم الأراضي الزراعية التي تعتمد على الغيول: برح باحنحن، المليلة، الصدقة، البروح.

3 - الري بواسطة الآبار: رغم اعتماد المزارعين على السيول مباشرة والبعض على الغيول إلا أن الآبار انتشرت في القديم، وكانت تنتشر في أرض زراعية تسمى "البروح" ويوجد فيها 6 آبار قديمة الأغلب منها اندثر، وتوجد آبار حديثة وهي موزعة كالتالي:

عدد الآبار	الأرض الزراعية
١	الحويقاء
١	الرحبة
٣	العرقة

(1) حبتور، وادي ميفعة، ص 28.

(2) المرجع السابق، ص 28.

٣	الغلة
٣	الصعيد
٥	المليلة

ب - منشآت الري: لقد تجلّى دور اليمنيين في صنع شهرة واخضرار بلادهم من خلال جملة من الأعمال التي كانت منشآت الري⁽¹⁾، وكانت أشكال منشآت الري تتمثل في التالي:

1 - السدود التحويلية: يتكون السد التحويلي عادة من حاجز ترابي أو حجري يعترض مجرى السيل أو الغيل بهدف رفع مستواه كي يتدفق قسم منه في الساقية (القناة) التي تنقل الماء إلى شبكة من القنوات الصغرى في "الشرح" الزراعي ومن ثم يتم الري بسرعة ويسر، ويتميز هذا الأسلوب بفاعليته وسهولة اقامته⁽²⁾، ويسمى في اللهجة المحلية "حير" يوجد سد تحويلي واحد في المدينة: حير مشكه في الصقع باصفاء.

2 - القنوات (السواقي): يمكن تشبيه القنوات بشرايين جسم الإنسان التي يتنقل الدم عبرها إلى مختلف أجزاء جسمه وبالعنصرية نفسها فإن القنوات تقوم بنقل ماء السيل أو الغيل من السد التحويلي - أو من الوادي مباشرة - إلى مختلف الأراضي المراد ربيها⁽³⁾، ومن أهم القنوات في المدينة: ساقية الجيزة، ساقية مرحوم، ساقية الحويقاء، ساقية الرحبة، ساقية شرح الرحبة، ساقية العرقة، ساقية باماء، ساقية مردخ، ساقية الغلة، ساقية أبوداحس، ساقية الجديفرة.

3 - النقوب: كثيراً ما تعترض الجبال مجرى الوديان مما يتعذر معه ري طين مجاور لتلك الجبال ولهذا فقد عمد اليمنيون قديماً إلى نقر الجبال وشق

(1) حبتور، وادي ميفعة، ص 30.

(2) المصدر السابق، ص 30.

(3) المصدر السابق، ص 31.

نفق أو قناة عبره كي يصل الماء إلى الأرض المراد ربيها وتسمى هذه الأنفاق نقوباً ومفردها نقب⁽¹⁾، من أهم هذه النقوب: نقب العرقة، نقب الغلة، نقب الجديفة.

ج - المنتجات الزراعية:

1 - شجرة النخيل: تحتل شجرة النخيل وبلحها الصدارة بين المزروعات، تنفع شجرة النخيل لاستعمالات متنوعة فمن الجذع تصنع العوارض والحواجز وأخشاب السقوف والأبواب وأيضاً تستعمل وقوداً ومن الوريقات تصنع الحصر والزنايل⁽²⁾.

2 - شجرة العلب (الدوم): وتسمى السدر ولهذه الشجرة أهمية كبيرة، وتعتمد على مياه السيول وتقاوم الجفاف وأحياناً يكون غذاء رئيساً للكثيرين في أوقات الجفاف، وكذلك تكون الأوراق غذاء للحيوانات وتستخدم جذوع العلب في صناعة القوائم والعوارض وسقوف البيوت⁽³⁾.

3 - السمسم (الجلجل): يعد من المحاصيل المنتجة للزيت وترجع أهميته على احتواء بذوره على نسبة عالية من الزيت الصالح للغذاء إضافة إلى أن زيت السمسم سهل التصنيع والتنقية⁽⁴⁾.

2. التجارة: للقبائل اليمنية عادات قديمة في إقامة أسواق أسبوعية في مواقع متعددة من البلاد يجتمع فيها رؤساء العشائر والقبائل المجاورة لقضاء الدعاوى وحل المنازعات ويوجد بهذه الأسواق مخازن للبيع والشراء⁽⁵⁾.

(1) المصدر السابق، ص 32.

(2) لجدع، السلطنة الواحدة، ص 92.

(3) لجدع، السلطنة الواحدة، ص 93.

(4) لجدع، السلطنة الواحدة، ص 93.

(5) المصدر السابق، ص 96.

وحوطة الفقيه علي من أهم أسواق جنوب الجزيرة العربية وخاصة قرى ومناطق شبوة، ومن أهم العوامل لجعل المدينة سوقاً رسمياً على مدى قرون:

1 - كون المدينة حرماً آمناً لا يمكن فيه قتل ولا نهب ولا ظلم وتعهد القبائل المجاورة لها بالحماية، وهو ما ساعد على النهوض بالمدينة.

2 - عمل أهل المدينة في التجارة.

3 - موقع المدينة الواقع على طريق التجارة القديمة، وقربها من أهم ميناء قديم وهو قنا.

4 - انتشار زيارات الأولياء والاعتقاد ببركتهم، وزيارة مولد الفقيه علي عاملاً أساسياً في جعل المدينة سوقاً تجارياً.

الطرق المدينة الرئيسية: اعتمدت المدينة على عدة طرق رئيسية وهم:

1 - طريق الخزمة: ويعتبر طريق رئيسي لقبائل نعمان وهم آل باقطي في الحاضنة وآل بافقير في الجرة وآل باديان في قلقل والمناطق المجاورة لهم والسالكة طريقهم.

2 - طريق لجم سلمون: ويعتبر طريق رئيسي لآل بافقير في الحيرة وآل باجيل في الحنكة وآل لشرم.

3 - طريق الصيق والخزمة: ويعتبر المنفذ الوحيد لأرض عزان وميفعة ولماطر.

4 - طريق المرجم: وهو المدخل الغربي للمدينة، ويعتبر طريق رئيسي لأرض العوالق وعتق وجردان والروضة وحبان.

اعتمد سوق حوطة الفقيه علي على الزيارات الموسمية للأولياء وكانت أهم زيارة هي مولد الفقيه علي في النجم الخامس والذي يصادف التاسع من شهر سبتمبر.

ويعتمد بعض سكان المناطق في كل من جردان - حبان - عمقين - حول، على

شراء ما يحتاجونه من سوق الحوطة عن طريق المقايضة أي بمعنى إعطاء البائع ما لديهم من إنتاج بلدهم من حبوب وذره - دخن - سمسم - وثروة حيوانية⁽¹⁾.

(1) لجدع، السلطنة الواحدية، ص 97.

وتأتي السلع التجارية إلى الحوطة المركز الرئيسي للتجارة في السلطنة من عدن وحضرموت إلى مرفأ بالحاف ومن ثم تنقل عبر القوافل إلى الحوطة ومن ثم يتم تسويقها إلى مختلف مناطق السلطنة، ويتم نقل البضائع من بالحاف إلى الحوطة عبر القوافل (الجمال)⁽¹⁾.

أسواق حوطة الفقيه علي:

1. سوق الصفاة: وهو سوق المدينة القديم في الصفاة⁽²⁾، حيث اندثر السوق بعد سيل الصبحي في المدينة عام 1384هـ - 1964م ونقل السوق إلى البطحة الموقع الجديد.

2. سوق البطحة: يقع في البطحة⁽³⁾ في قلب المدينة وهو بجانب الصفاة، حيث تم العمل فيه عام 1384هـ - 1964م، ولا يزال السوق الرسمي للمدينة وضواحيها حتى اليوم.

تجار المدينة: كان رواد التجارة هم أبناء المدينة، ونذكر أهمهم:

1. محمد بن أحمد بن علي بن حسن.
2. علي بن عبدالرحمن بن حلفوص.
3. عبدالرحمن وعبدالحافظ أبناء علي ابوناصر.
4. ناصر ومحمد أبناء بن سويدان: فكانا أول من أدخل المشتقات النفطية إلى المدينة (ديزل - بترول) بعد إعطائهم تصريح من سكرتير السلطنة الواحدي بعزان محمد سعيد الواحدي ببيع المشتقات النفطية، وكانت تجلب في براميل وتباع في الواد.

المنتجات التجارية: ومن أهم المنتجات التي كانت تباع في السوق: التمر والبن والزنجبيل والبز الأسود والسلاح والحيوانات.

(1) المصدر السابق، ص 97.

(2) تبده من منزل عبدالله بن أحمد بن ياسين حتى منزل حسين بن محمد باشية.

(3) تبده من دكان ابو محمد حتى دكان بن حديج.

الفصل الرابع: الأوضاع السياسية في المدينة ودور مشيخة آل الفقيه علي:

الأوضاع السياسية لحوطة الفقيه علي:

مرت حوطة الفقيه علي بمراحل سياسية جعلتها مركزا سياسيا واجتماعيا هاما، حيث شهدت قيام السلطنات ونهايتها والحروب بين القبائل والسلطنات، ومع كل هذه الأحداث بقيت المدينة موطن آمن لكل من سكنها.

حيث كانت المدينة مقرا للقضاء والإصلاح بين القبائل والسلطنات والأفراد فقد تولى القضاء والإصلاح عدد من القضاة والمصلحين في المدينة نذكر أهمهم: القاضي / عبداللطيف بن سعيد بن حصية - أحمالالقاضي / أحمد بن عبداللطيف بن حصية - القاضي / عبدالرحمن بن عبدالقادر المعلم - القاضي / عبدالرحمن بن شيخ المعلم.

دور مشيخة آل الفقيه علي في المنطقة:

الحوطة هي الموضع الذي يختطه المنصب - الشيخ - او أحد المعتقدين ويحوطه ويعلن بأنه أصبح حرما آمنا على الدوام لا يمكن فيه قتل ولا قتال ولا نهب ولا ظلم من القبائل ولا السلاطين فيستجيبون ويتعهدون بذلك، ومن دخله صار آمنا لأنه في حمى مؤسسه ومختطه⁽¹⁾.

ويكون عمل القائم على المشيخة في أغلب أوقاته ثلاث أعمال اجتماعية وهي:

1. إصلاح ذات البين ومن أهم أنواعه عقد الصلح والهدنة بين القبائل المسلحة، وكثيرا ما يخاطرون بأنفسهم ويزجون بها في المعارك لإيقاف القتال بينها واسترجاع الأموال المنهوبة في غاراتها، والقبائل قل أن تعصي لهم أمرا في هذا السبيل.

2. إرشاد الجهال والقيام بنشر المبادئ الإسلامية في محلاتهم وفي البوادي والأرياف والأماكن البعيدة عن الدعاة وينطوي تحت قولهم (نشر الدعوة إلى الله).

(1) الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، ص 291.

3. قري الضيف فتكون ديارهم مفتوحة دائماً وكل وقت للضيوف والنزال والغرباء من الحضر والبدو.⁽¹⁾

كان آل الفقيه علي يقومون بتنصيب قائما على المدينة وفق شروط للتنصيب في ذلك الوقت، إلى أن تم تسليم المشيخة للشيخ أحمد بن ياسين بن محمد من آل محمد بن الفقيه علي واستمرت المشيخة فيهم إلى آخر شيخ من آل باياسين وهو الشيخ / عبدالله بن محضار باياسين، ثم انتقلت إلى الشيخ / حسين بن عبدالله باحنن وهو الشيخ الحالي لمشيخة آل الفقيه علي.

أهم مشائخ آل الفقيه علي:

وقد قام على المشيخة عدد من المشائخ نذكر أهمهم:

1. الشيخ عبدالله بن عبدالمانع بن عبدالنواب من آل قنيد: يذكر أنه كان عالما توفي بسبب مرض ألم به في شعبان عام 1118هـ.
 2. الشيخ أحمد بن ياسين بن محمد من آل محمد: وكان عصره 1201هـ.
 3. الشيخ عبدالغافر بن أحمد بن هادي بن ياسين: جدد وزاد على حدود الجامع في عام 1312هـ - 1894م، توفي 23 جمادى الآخر عام 1315هـ.
 4. الشيخ علي بن عبدالغافر بن احمد بن ياسين: توفي 1345هـ.
 5. الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن ياسين: ولد عام 1290هـ، وقد شهدت المشيخة في عهده أزهى عصورها فقد كان رجلاً حكيماً استطاع تجنيب المشيخة صراعات كثيرة فقد كان حكمه مع التدخل البريطاني في المنطقة وكان من أهم الأعمال خلال حكمه:
- أ - إنشاء مدرسة النور في شعب المسجد بالمدينة مع الشيخ ابوبكر بن محمد الشبلي، وقد تأسست بين عام 1351م - 1361م، والتي كانت تدرس من الصف الأول إلى الصف السادس.

(1) المرجع السابق، ص 288.

ب - تنصيب محمد بن علي العاقل باقظمي لمنصب عاقل قبيلة باقظمي خلفاً لأبيه علي بن مهدي العاقل باقظمي، وفق شروط المنصب المحددة.

ج - الوقوف ودعم مقاومة القبائل ضد الاحتلال البريطاني، وخاصة مقاومة آل رشيد بالريدة وآل باحقينه في الظاهرة.

6. الشيخ عبدالله بن محضار بن عبدالله بن ياسين: ولد في جماد الآخر 1385هـ وتولى المشيخة يوم الاثنين 14/4/1415هـ - 19/9/1994م وقتل بمنزله 13/1/2010م.

7. الشيخ حسين بن عبدالله بن علي باحنن: ولد 1376هـ، وهو القائم بالمشيخة حالياً.

الخاتمة

توصيات ومقترحات البحث:

1. يجب على الهيئة العامة للآثار والمتاحف والهيئة العامة للسياحة بإصدار المجالات والبروشورات الخاصة بنشر التوعية والتثقيف بأهمية آثار البلد ومعالمها السياحية.
2. تفعيل دور الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية، وزيادة ميزانيتها التشغيلية.
3. ضرورة الحفاظ على المدينة وتجنّبها الحروب.
4. ضرورة ضم المدينة ضمن التراث الإسلامي.

المصادر والمراجع:

1. حبتور، ناصر صالح، وادي ميفعة، رسالة ماجستير قدمت الى مجلس كلية الآداب، جامعة عدن 1997م.
2. السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله، إدام القوت في ذكر بلدان حضوموت، مكتبة الارشاد صنعاء، الطبعة الأولى 2002م.
3. الحداد، علوي بن طاهر، صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت محاضرة للمؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه، تحقيق مصطفى بن عبدالرحمن بن عبد الله العطاس، تريم للدراسات والنشر، تريم.
4. رموضه، سالم عوض، العمارة الطينية في اليمن، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا.
5. بارماده، معاذ محمد وآخرون، مشروع إعادة تأهيل بيت الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن ياسين.
6. الشاطري، محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة 1994م.
7. المحضار، محمد عبدالله، ما جادت به الازمان من أخبار مدينة حبان، الطبعة الثانية 2008م.
8. لجدع، سالم ناصر، السلطنة الواحدية ((بالحاف)) والتغلغل الاستعماري البريطاني من عام 1934 - 1963م، رسالة ماجستير قدمت إلى مجلس كلية الآداب، جامعة عدن.
9. المحضار، سالم احمد، الكوكب المنير الأزهر في مناقب السادة آل محمد بن عمر. مخطوطة

التوصيات

استضافة محافظة شبوة على مدى يومين كاملين أعمال المؤتمر العلمي الثالث: (شبوة تاريخ وحضارة)، وخلال جلسات هذا المؤتمر تم مناقشة عدد 24 بحثاً علمياً، أشرفت عليها لجنة علمية متخصصة بعلوم التاريخ المختلفة والآثار من مركز عدن، ومن محافظة شبوة، وبعد مناقشات مستفيضة، ومداخلات جادة للمشاركين في هذا المؤتمر والضيوف الحاضرين، خرجت اللجنة العلمية للمؤتمر بعدد من التوصيات ذات الأهمية، التي سيسعى مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر إلى دراسة محتواها، وتوصيلها إلى أصحاب الاختصاص من المسؤولين في السلطة المحلية والدولة والمؤسسات الأكاديمية والآثرية، لتنفيذها بهدف توثيق ما جاء عن هذه المحافظة ذات التاريخ الأصيل، والحفاظ على آثارها وموروثها الحضاري والثقافي. ومن أهم هذا التوصيات ما يلي:

1. نشر الوعي بين سكان المحافظة بأهمية ما تحتويه المساحة الجغرافية المعروفة اليوم بمحافظة شبوة من آثار ظاهرة ومدفونة، ومبان وأسوار وقصور ومعابد وقلاع وغيرها من الآثار الباقية والمنقولة؛ بهدف الحفاظ عليها وترميمها لتكون شاهداً حياً على ما تركه أجدادنا من تاريخ عظيم، لا بد أن نفتخر به بين غيرنا من الأمم والشعوب.
2. تفعيل الجانب السياحي في مناطق المحافظة، من خلال عمل منشورات ومطويات توضح ما تحتويه المحافظة من معالم تاريخية وأثرية، مع التعريف بكل موقع، مع نبذة تاريخية عن كل معلم تاريخي ليتعرف الناس عليه في الداخل والخارج، في محاولة لإعادة الدور الريادي والسياحي للمحافظة بعد توقفه.
3. حث السلطة المحلية على ضرورة الحفاظ على ما تبقى من شواهد أثرية للمحافظة، وتسوير ما يمكن تسويره؛ حفاظاً عليها من السرقة والعبث، ونشر الدوريات المشددة حولها؛ بهدف حمايتها من بعض الأيدي الجاهلة والعاثة بقصد أو غير قصد.

4. تشكيل لجنة من المتخصصين من الهيئة العامة للآثار والمدن التاريخية؛ لحصر ما تبقى من الآثار وترميمها وتصويرها وتوثيقها، وإعادة ما تم تدميره بقصد أو بدون قصد، على أن تتولى السلطة المحلية إخراجها في كتيبات تعريفية للأجيال القادمة.
5. توجيه عامة الناس وخاصتهم بضرورة الحفاظ على الأنماط المعمارية وفنونها المتنوعة في هذه المحافظة، مع دمجها بالتطور المعماري الحديث، لاسيما البناء الطيني الذي اشتهرت به المحافظة منذ القدم؛ لما فيه من فائدة صحية وبيئية للمنطقة والناس، وإقامة المعارض التعريفية في فنون العمارة المحلية داخل شبوة وخارجها، وتشجيع أي بعثات أو دراسات علمية في هذا الجانب.
6. دراسة فكرة أن تتولى السلطة المحلية التواصل مع الأهالي لجمع ما معهم من موروث أثري وثقافي، لاسيما بعد ظهور عدد من القطع الأثرية التي أظهرتها السيول والانهارات الطينية، وتوعيتهم بعدم بيعها لتجار الآثار دون معرفتهم بأهميتها التاريخية، أو حتى تصويرها وتوثيقها على أن تبقى معها حتى تتولى جهة رسمية - لاحقاً - استلامها رسمياً.
7. التشجيع على توثيق ما لم يتم توثيقه من معلومات مختلفة لتاريخ المحافظة القديم والإسلامي والحديث والمعاصر، لاسيما التاريخ الشفوي الذي مازال في أذهان كبار السن من رجال شبوة، وشخصياتها الاجتماعية، والمناضلين، وتكليف المحافظة لبعض المتخصصين وطلاب أقسام التاريخ في كلية التربية شبوة - جامعة عدن للجلوس معهم وتسجيل كل ما لديهم، وتدوينه في أفلام وثائقية لتكون شاهداً حياً للتاريخ.
8. توثيق تراث المحافظة الشعبي المادي والشفوي من وحي عادات الأهالي وتقاليدهم القديمة، التي مازالت بقاياها حاضرة في المجتمع الشبواني، وكذا كل ما يتعلق بأشعارهم الشعبية، ورقصاتهم الفلكلورية، وملابسهم الرجالية والنسائية، وغيرها من أنواع التراث المختلفة.
9. توجيه وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها إلى ضرورة تخصيص فقرات من برامجها أو صفحاتها اليومية لتبني جزءاً من تاريخ شبوة ليتعرف الناس على إرث هذه المحافظة، وأهم مواقعها التاريخية والمعمارية.

10. محاولة نشر جلسات هذا المؤتمر العلمي في وسائل الإعلام المختلفة، والشبكة الإلكترونية؛ ليتعرف العالم على ما كان لشبوة من دور فاعل ونشط في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية، على اعتبار أن هذا الدور قد تفردت به شبوة ليس على مستوى اليمن فقط، أو على مستوى المنطقة والبلاد العربية عامة؛ بل على مستوى الداخل والخارج.
11. توجيه أنظار طلاب الدراسات العليا إلى ضرورة الاهتمام بتاريخية شبوة، ودراسته دراسة أكاديمية جادة، لاسيما طلاب الآثار والتاريخ.
12. تبني مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر فكرة إقامة مؤتمر علمي دولي وبالشراكة مع بعض الجهات الحكومية، والمنظمات الدولية، ومنظمات المجتمع المدني يتناول المواقع الأثرية في شبوة والمحافظات المجاورة لها.
13. ضرورة نشر أعمال هذا المؤتمر العلمي المهم في كتاب مرجعي يتناول أبحاث المؤتمر وكل ما يتعلق بشبوة تاريخها الحضاري وموروثها.
14. العمل على إنشاء متحف كبير يخص تاريخ شبوة وآثارها ومعالمها الحضارية القديمة، الذي من خلاله يسمح لطلاب المدارس والمعاهد والجامعات بزيارته والاطلاع على تاريخ شبوة، وإنشاء قاعات خاصة بالمؤتمرات المحلية والدولية.
15. بناء مكتبة عامة تضم كل الكتب والمؤلفات والمراجع التي لها علاقة بتاريخ شبوة وتراثها واقتصادها وطبيعتها.
16. العمل على إصدار معجم يضم أهم أعلام شبوة ومناطقها وقبائلها ومدنها.
17. إنشاء مركز دراسات وأبحاث علمية يختص بنشر وتوثيق ودراسة تاريخ وتراث شبوة، وإقامة الندوات والمحاضرات العامة في كافة الجوانب.
18. دعم مكتب الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية في شبوة؛ لكي يقوم بدوره في الحفاظ على المدن والمعالم التاريخية البارزة في المحافظة، والعمل على إعادة تفعيل دور جمعية حماية الآثار في محافظة شبوة بعد توقفها عن العمل لسنوات طويلة، والبحث عن جهات داعمة لعملها في مختلف مديريات المحافظة.

الفهرس

الصفحة	الباحث	الموضوع	م
11	أ. مشارك د. ناصر سعيد العيشي	شبوة القديمة في اللغة والشعر والتاريخ	1
79	أ. د. ناصر صالح حبتور	شبوة في نقش كرب ايل وتر	2
97	أ. د. محمد بن هاوي باوزير	العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضر موت من خلال نقوش العقلة	3
123	أ. مشارك د. أسوان محمد حسين	وادي مرخة في عهد الملك الاوساني مرتع دراسة من خلال المعطيات النقشية	4
181	م. فوزي سالم باعباد	التأثيرات الحضارية الأجنبية في مملكة حضر موت على ضوء الشواهد الأثرية "شبوة وقنا أنموذجا"	5
217	د. نبيل عبدالوهاب عبدالغني	تمنع عاصمة الدولة القتبانية	6
245	د. فيصل حسين البعسي	"الأهمية الاستراتيجية لوادي يشبم"	7
269	د. عوض عبدالرب الشعبي	التشريعات القتبانية للتطور الحضاري في تاريخ جنوب الجزيرة العربية القديم (قانون تمنع التجاري أنموذجا)	8
305	د. علي صالح الكهالي	العلاقات بين الممالك العربية الجنوبية في شبوة في الألف الأول قبل الميلاد (أوسان، قتبان، حضر موت)	9
337	علي سالم علي باهادي	شبوة في كتابات الرحالة الأوربيين بنات سبأ أنموذجا	10
353	أ. د. طه حسين هديل	شبوة في كتب المؤرخين والجغرافيين	11

الصفحة	الباحث	الموضوع	م
375	أ. د. محمد يسلم عبدالنور	الدور العلمي لأسرة آل محمد بن عمر المالكي في شبوة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي	12
397	أ. مشارك. د. ليبد حسين الجابري	موقف الكيانات السياسية في منطقة شبوة من الوجود البريطاني	13
425	أ. مشارك. د. خالد طوحل	الصراع البريطاني الإمامي في شبوة (خلال المدة (1918 - 1967 م)	14
483	د. محمد سعيد يسلم المدحجي	المقاومة الشعبية للوجود البريطاني في سلطنات شبوة ومشيخاتها (1934 - 1967 م)	15
525	أ. د. أسماء أحمد ريمي	علاقة إمارة بيحان بـبريطانيا (1903 - 1967)	16
537	أ. د. علي صالح الخلاقي	شبوة والاستعمار البريطاني في ذاكرة الشعر الشعبي	17
587	أ. مشارك. د. سعيد محمود بايونس	المظاهر الاجتماعية في الشعر الشعبي في شبوة مساجلات السيد وباسردة أنموذجاً	18
621	د. وليد عبدالباري قاسم	شخصيات رائدة في تاريخ شبوة	19
643	أ. د. احمد إبراهيم حنشور	تعدد الأنماط المعمارية القديمة وتقنياتها في شبوة	20
677	د. محمد أحمد السدلة	رؤية مستقبلية للحفاظ على التراث المعماري المتنوع وفنونه في شبوة	21
693	أ. خالد سعيد مدرك	المواقع الأثرية والتاريخية والمعالم السياحية في شبوة وآلية الحفاظ عليها	22
711	أ. علي عبدالباقي علي المعلم	مدن تاريخية وأثرية في محافظة شبوة: حوطة الفقيه علي نموذجا	23
731		التوصيات	24

في هذا الكتاب

الموضوع	المؤلف	م
شبوذة القديمة في اللغة والشعر والتاريخ	أ. مشارك د. ناصر سعيد العيشي	1
شبوذة في نقش كرب ايل وتر	أ. د. ناصر صالح حبتور	2
العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت...	أ. د. محمد بن هاوي باوزير	3
وادي مرخة في عهد الملك الاوساني مرتع...	أ. مشارك د. أسوان محمد حسين	4
التأثيرات الحضارية الأجنبية في مملكة حضرموت...	م. فوزي سالم باعباد	5
تمنع عاصمة الدولة القتبانية	د. نبيل عبدالوهاب عبدالغني	6
الأهمية الاستراتيجية لوادي يشيم	د. فيصل حسين البعسي	7
التشريعات القتبانية للتطور الحضاري...	د. عوض عبدالرب الشعبي	8
العلاقات بين الممالك العربية الجنوبية في شبوذة...	د. علي صالح الكهالي	9
شبوذة في كتابات الرحالة الأوروبيين	علي سالم علي باهادي	10
شبوذة في كتب المؤرخين والجغرافيين	أ. د. طه حسين هديل	11
الدور العلمي لأسرة آل محمد بن عمر المالكي في شبوذة...	أ. د. محمد يسلم عبدالنور	12
موقف الكيانات السياسية في منطقة شبوذة...	أ. مشارك د. تبيد حسين الجابري	13
الصراع البريطاني الإمامي في شبوذة...	أ. مشارك د. خالد طوحد	14
المقاومة الشعبية للوجود البريطاني في سلطنات شبوذة...	د. محمد سعيد يسلم المدحجي	15
علاقة إمارة بيحان ببريطانيا (1903 - 1967)	أ. د. أسماء أحمد ريمي	16
شبوذة والاستعمار البريطاني في ذاكرة الشعر الشعبي	أ. د. علي صالح الخلاقي	17
المظاهر الاجتماعية في الشعر الشعبي في شبوذة...	أ. مشارك د. سعيد محمود بايونس	18
شخصيات رائدة في تاريخ شبوذة	د. وليد عبدالباري قاسم	19
تعدد الأنماط المعمارية القديمة وتقنياتها في شبوذة	أ. د. احمد إبراهيم حنشور	20
رؤية مستقبلية للحفاظ على التراث المعماري المتنوع...	د. محمد أحمد السددة	21
المواقع الأثرية والتاريخية والمعالم السياحية في شبوذة...	أ. خالد سعيد مدرك	22
مدن تاريخية وأثرية في محافظة شبوذة...	أ. علي عبدالباقي علي المعلم	23



0096711722021

